مجموعة التوحيد

لشيوخ الإسلام

تقي الدين ابن تيميَّة، محمد بن عبدالوهَّاب، محمد بن عليٍّ الشوكاني، أئمة الدعوة النجدية

قدَّم له

فضيلة الشيخ/ خالد بن مساعد الرويتع

(عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالرياض)

فضيلة الشيخ/ فهد بن يحيى العمَّاري

(القاضي بمحكمة الاستئناف بمكة المكرَّمة)

قرأه، وضبط نصَّه، وخرَّج أحاديثه، وعلَّق عليه

أبو شعيب

طارق بن عبدالواحد بن عليٍّ

ـ عفا اللَّه عنه برحمته وإحسانه ـ

الجزء الأول

دار الحجاز

مقدِّمة فضيلة الشيخ خالد بن مساعد الرويتع

عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالرياض



﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ [الأنعام].

والحمد للَّه الذي لا يُؤدَّىٰ شُكر نعمةٍ من نِعَمِهِ إلا بنعمةٍ منه توجب علىٰ مؤدِّي ماضي نعمه بأدائها نعمةً حادثةً، يجب عليه شكره بها. ولا يبلغ الواصفون كُنه عظمته، الذي هو كما وصف نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه.

أحمده حمدًا كما ينبغي لكرم وجهه وعِزِّ جلاله، وأستعينه استعانةَ من لا حول له ولا قوة إلا به، وأستهديه بهداه الذي لا يضل من أنعم به عليه، وأستغفره لما أَزلفت وَأَخَّرت؛ استغفار من يُقر بعبوديته، ويعلم أنه لا يغفر ذنبه ولا ينجيه منه إلا هو.

وأشهد ألَّا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله(١)، صلىٰ اللَّه عليه علىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فما بذل العلماء جهدهم، وصنف الراسخون تصانيفهم، في شيء

(١) مقتبس من افتتاحية الإمام الشافعي لكتابه «الرسالة»، وقد شرح شمس الدين ابن القيم هذه الافتتاحية في مقدمة كتابه «الصواعق المرسلة». وانظر: «مناقب الإمام الشافعي» للبيهقي (١/٤١٤).

أحق من توحيد اللَّه، والدعوة إليه؛ إذ هو أساس الملة، وبلاغ اللَّه للناس، وعنوان رسالاته إلىٰ خلقه، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء].

وقد عهد الناصحون لأنفسهم بإعطاء هذا الباب حقَّه من التعظيم والاهتمام، فجادت قريحتُهم بالكتابة فيه، والتأليف في مسائله، والمنافحة عنه وحمايته، وكان لأئمة الدعوة ـ وعلىٰ رأسهم الإمام المجدِّد الشيخ محمد بن عبدالوَهَّاب (ت: ١٢٠٦هـ) رحمه اللَّه رحمة واسعة ـ خصوصيةٌ فيه، سارت بها الركبان، ورفرفت بها الأعلام.

وقبله الإمامُ العلَمُ، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) الذي تُعدُّ كتبُه في هذا الباب مناهل صافية، وأنوارًا ساطعة، لم يستغن عنها مريدٌ للحق.

وبين يدي هذه المجموعة المباركة «مجموعة التوحيد»، أربت صفحاتها علىٰ ألفٍ وثمانمئة صحيفة، امتلأت بالمفيد والنافع، وضمَّت عددًا من الكتب والرسائل في أبواب التوحيد وبيانه، مما لا يسع المسلمَ جهلُه، ولا يليق بطالب العلم إغفاله، فإن طالب العلم مهما بلغ من المراتب، فإن هذا الباب «توحيد اللَّه» ينبغي أن يكون رفيقَه وأنيسه، وصاحبَه ورفيقه، ولا يُحفظ العلمُ بمثل إدامة النظر فيه، وخير ما يديم فيه طالبُ العلم نظرَه ما كان معرِّفًا باللَّه، سائقًا إليه، مزيلًا للجهل به.

وقد قام الشيخ طارق بن عبدالواحد بن علي ـ وفقه اللَّه ـ بالاعتناء بهذه المجموعة النافعة، وحين اطلعتُ علىٰ مواطن من عمله وجدته قد بذل طاقته ووسعه في إخراجها علىٰ أتم وجه، سالمةً من شوائب التصحيف والتحريف. ولا أعدُّ هذا العمل إلا من

توفيق اللَّه له؛ إذ الاعتناء بأمثال هذه المؤلفات والرسائل من أعظم ما تُصرف فيه الأوقات.

وقبل أن أختم حديثي أقول: لشيخنا العلامة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبداللَّه بن باز ـ رحمه اللَّه رحمةً واسعة ـ ولشيخنا العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه اللَّه رحمةً واسعة ـ مؤلفاتٌ ورسائل وأجوبة محررة في أبواب توحيد العبادة.

والمقترح أن يَنتخب منها عيونها، وأن يضمَّه لمجموعة التوحيد في طبعة لاحقة؛ ليكتمل العقد، وتتم الفائدة.

واللَّه الموفق.

وصلىٰ اللَّه وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

خالد بن مساعد الرويتع

عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالرياض





مقدِّمة فضيلة الشيخ فهد بن يحيى العمَّاري





الحمد للَّه وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبيَّ بعده.

فقد اطلعت علىٰ هذا المجموع القيم «**مجموعة التوحيد**»، والتي تحوي مجموعةً من نفيس الرسائل لشيخَيِ الإسلام تقي الدين ابن تيمية، ومحمد بن عبدالوهاب، وكذا للإمام العَلَم محمد بن عليٍّ الشوكاني وأئمة الدعوة النجدية ـ عليهم جميعًا رحمةُ اللَّه تعالىٰ ـ، وقد قام أخونا الشيخ طارق بن عبدالواحد بن عليٍّ بخدمتها عن طريق الرجوع إلىٰ النسخ المعتمدة لتلك الرسائل قدر طاقته، ونبَّه علىٰ العديد من الأخطاء التي قعت في الطبعات السابقة، إضافةً إلىٰ تخريج الأحاديث، والتعليق بما تيسر؛ من شرح الغريب، ومناقشة بعض الشبهات، وتفنيدها، وغير ذلك.

وقد بذل جهدًا مشكورًا في خدمة تلك المجموعة من تراث أئمة الدعوة التي نفع اللَّه ﷻ بها في أصقاع الأرض، وما ذاك إلا لأجل قصدها إلىٰ تحقيق رسالة المرسلين، وغاية الخلق أجمعين، وهو توحيد اللَّه جَلَّ وَعَلَا، ببيان حقيقته ومعناه ومفرداته، وتوضيح مقابِلِه ـ وهو الشرك ـ، وإظهار أفراده؛ ليحذره الخلق صغيرَه وكبيره، جليَّه وخَفِيَّه، ولا شك أن الدعوة النجدية هي امتدادٌ لمدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ؛ العالم المجدد في الأصول والفروع، والذي أنقذ اللَّه به الأمة من الشرك والبدع والخرافة في العصور الوسطىٰ

في أنواع التوحيد الثلاثة، وقد وضع اللَّه تعالىٰ لهذه الدعوة القبول في الأرض، وقد قام المعادون والمخالفون لها بتشويهها والافتراء عليها، واتهامها بالباطل، وهي ليست معصومةً من الخطأ، فما وافق الحق أُخذ، وما خالفه تُرك، كسائر المذاهب وأقوال العلماء، وما يُرتكب من أخطاء في التطبيق والممارسة من بعض أتباعها فلا ينسب إليها؛ وهذا عينُ الحق والعدل والإنصاف لمن طلبه، وتجرد عن الهوىٰ.

وفق اللَّه الجميع لتحقيق التوحيد ونصرته، واجتناب الشرك والتحذير منه ومحاربته، وتقبَّل اللَّهُ هذا السِّفر، وجعله عملًا صالحًا مباركًا نافعًا، وصدقةً جاريةً لمؤلفيه والمعتني به علىٰ مرِّ الأزمان والعصور.

والحمد للَّه رب العالمين.

فهد بن يحيى العمَّاري

القاضي بمحكمة الاستئناف بمكة المكرَّمة

(٢٥ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٤٢)





مقدِّمة خادم الكتاب

الحمدُ للَّه الواحد القهَّار، العزيز الغفَّار، مُبدع الليل والنهار، مسيِّر الأكوان بحكيم الأقدار، أرسل فضائلَه علىٰ العباد كالغيث المِدرار، وبشَّر الموحِّدين بأعلىٰ النعيم في دار القرار، وحذَّر المشركين من عظيم العذاب في سعير النار، قسَّم عباده إلىٰ متقين أبرار، وأشقياءَ فجَّار، حكمةً بالغةً ورحمةً تامةً وعدلًا وافيًا من عظيمٍ ذي اقتدار.

وأشهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه شهادةَ موحِّدٍ أوَّاه، مقرٍّ بذنوبه وخطاياه، مَن علم يقينًا ـ بفضله ورحمته ـ أنه لا إلٰه غيرُه ولا ربَّ سواه، آملًا منه الثباتَ علىٰ الإيمان إلىٰ يوم البعث ومنتهاه، رجاءَ ضارعٍ إلىٰ من هو أرحم بعبده من أمِّه وأباه[(١)].

وأشهد أن محمدًا عبدُه المجتبىٰ، ورسولُه المصطفىٰ، المبعوث بالنور والحقِّ والتُّقىٰ، عاش حياته الطاهرةَ مجاهدًا في سبيل ربِّ الأرض والسما، أرسله الرَّحمٰنُ الرحيمُ علىٰ حين انقطاعٍ من الرسل وفترةٍ من الهدىٰ، فاستنارت الأرض بأنوار دينه في شتَّىٰ الأمصار والقُرىٰ.

(١) نصب «أباه» علىٰ لغة القَصْر.

صلىٰ اللَّه وسلَّم وبارك عليه ما بقيت بحارٌ أو دامت وهادٌ أو ثبتت رُبىٰ، وعلىٰ آله وصحابته الأبرار أهل الأنوار والتُّقىٰ، وعلىٰ من تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم العرض علىٰ رب الأرض والسماوات العُلا.

أما بعد:

فإن «توحيد الألوهية» هو أعظم نعمةٍ أنعم اللَّه ﷻ بها علىٰ عباده، ومِن أجله قامت السماوات والأرض، وأرسل اللَّهُ صفوة خلقه إلىٰ الناس، وأنزل أشرف كتبه عليهم ليعرفوا لماذا خُلقوا، ومن أجله ـ أيضًا ـ قامت سوقُ الجهاد، وشُرع الولاء والبراء، وانقسم الخلقُ إلىٰ شقيٍّ وسعيد، ومقبولٍ وطريد. وقد قَطع ربُّنا العظيم علىٰ نفسه عهدًا صارمًا أنه لن يَغفر لمن لقيه مشركًا به كافرًا، وفتح أبواب رحمته لمن رَحَل إليه مؤمنًا موحدًا ولو سقط في عديدٍ من المخالفات؛ إلا أن ما معه من توحيد ربِّه والإيمان به يشفعُ له في الخروج من هاوية العذاب ـ لو كُتب عليه دخولها ببعض ما كسبت يداه ـ.

وهذه النعمةُ الجليلة ـ توحيد الألوهية ـ قضىٰ اللَّه تعالىٰ وقدَّر بعظيم حكمته وكمال علمه أن يَضلَّ عنها جُلُّ الثقلين ـ من إنس وجان ـ، وألَّا يُنعِمَ بها إلَّا علىٰ من اصطفاهم من العالمين، فحريٌّ بمن أدرك قيمةَ هذه النعمة التي امتنَّ عليه بها أرحمُ الراحمين، وعلم أنه لا ينفع شيءٌ دونها أبدًا أن يَعَضَّ عليها بالنواجذ، وأن يستمسك بعراها في ليله ونهاره، وأن يتدارس أصولها وقواعدها وضوابطها بين حينٍ وحين؛ حتىٰ يلقىٰ ربَّه الكريمَ ﷻ علىٰ أحسن حال وأرفع مقام.

ومنذ أن أرسىٰ الحبيبُ ﷺ دعائم الإسلام، وبيَّن أعظم واجب للَّه تعالىٰ علىٰ عباده ـ وهو هذا التوحيدُ العظيم ـ، وأتباعُه الصادقون عبر العصور ـ بَدْءًا من الصحابة الأطهار ﷺ وإلىٰ قيام الساعة ـ يعملون علىٰ إكمال المسير، والدعوة إلىٰ ما دعا إليه ربُّهم جَلَّ وَعَلَا ونبيهم ﷺ، وما دار بخَلَدِهم يومًا أن يُهملوا الدعوةَ إلىٰ التوحيد، والتحذيرَ من ألوان الشرك بالربِّ المجيد، وكيف يهملون ذلك، وهم يوقنون أن القلوب بدون تمكُّن التوحيد منها تتحول إلىٰ مستنقع خبيث، لا تصلح معه لمجاورة اللَّه تبارك وتعالىٰ في دار كرامته، فضلًا عن عقوبات العظيم الجليل ومقته المخيف التي ستصيب من أهملوا وأهدروا هذا الركنَ الركين، فمِن ثم جدُّوا واجتهدوا ـ بل حاربوا وجاهدوا ـ لإرساء دعائم التوحيد، وبيان القدر العظيم لأنصاره وأتباعه، والتحذير من الشرك وبلاياه، والكشف عن عاقبة أفراخه وأشياعه.

ولما أَهملت جُلُّ الدعوات ـ التي تزعم العمل للإسلام[(١)] ـ هذه

---

(١) والعمل للإسلام لا يكون «عملًا للإسلام» إلا إذا قام علىٰ مبادئ وقواعد الإسلام كتابًا وسنة بفهم سلف الأمة، أما من ابتدع وانحرف، واكتفىٰ في عمله ودعوته بما تراه العقول والأهواء، فلن يكون عملُه عملًا للإسلام ـ وإن زعم بلسانه ما زعم ـ، بل سيكون عملًا لنفسه وهواه، أو لحِزْبه وفرقتِه التي أعطاها صفقةَ يده وثمرة قلبه؛ فإن العمل للإسلام باختصار معناه: «تنفيذُ ما أراده مَن أنزل الإسلام جَلَّ جَلَالُهُ»، وهذا راجعٌ إلىٰ ما قرره السلف الأطهار ـ وتبعهم عليه الخَلَف الأبرار ـ: أن شَرْطَي العمل المقبول هما: «الإخلاص والاتباع»، فإذا اختلَّ أحدهما لم يصبح عمل صاحبه مبرورًا ولا سعيه مشكورًا؛ بل لن يكون ـ إذ =

النعمةَ العظمىٰ والمِنَّةَ الجُلَّىٰ، ونبذتها وراء ظهورها، عمَّ الشركُ والخلل، وفشت البلايا والعلل في جسد الأمة الجريحة؛ وصَدَع الجاهلون المفتونون من هؤلاء بأن الدعوة إلىٰ التوحيد سببٌ في تفرُّق الأمة وضعفِ تماسُكها، وأن «فقه الأولويات» يحتِّمُ النظر إلىٰ «مقتضيات العصر الحديث»، أو الانشغال بقضايا الأمة الحاضرة، والاهتمام بترقيق القلوب، أو الدعوة إلىٰ ما سمَّوه: «الحاكمية»؛ فإن هذا ـ بزعمهم ـ يحبِّب الناسَ في الإسلام، ويقرِّبُهم من اللَّه، وأنه لابد أن نشرح صدورهم أولًا ونحبِّبهم في الدين، ثم بعد ذلك نكلمهم عن التوحيد وسائر أركان الإسلام!!

وقد كَذَبوا علىٰ اللَّه ورسوله فيما يزعمون، وخانوا أمانة الدعوة ـ التي خدعوا السذَّج بأنهم لها يعملون ـ حين حَقَروا ما عظَّم اللَّه، وأهملوا ما رفعه اللَّه، وأخَّروا ما قدَّم اللَّه، وكأنَّ هؤلاء أعلمُ بدين اللَّه ممن أنزله ﷻ وجاء به ﷺ[(١)]!

= ذاك ـ عملًا صالحًا يُبتغىٰ به وجهُ اللَّه ﷻ؛ وهذا ـ بدوره ـ يجعلنا ندرك تمام الإدراك أنه لابد في كل خطوةٍ نخطوها في حياتنا أن ننهل من العلم النافع؛ فمن عبد اللَّه بغير علم، أو دعا إليه بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، ولابد أن نتذكر جيدًا ـ كذلك ـ أنه لن يُصلح آخِرَ هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. وباللَّهُ تعالىٰ التوفيق والهداية.

(١) والدليل علىٰ بطلان مزاعم هؤلاء: أنهم بعد أن يُقنعوا الناس بالانضمام إليهم والانضواءِ تحت فِرَقهم وأحزابهم، تراهم ـ أيضًا ـ لا يتكلمون معهم عن التوحيد، ولا التحذير من الشرك، ولا غير ذلك من أصول الإسلام والدعوة المحمدية؛ بل يكتفون منهم بالانضمام إليهم، وطاعة أوامرهم، والعمل علىٰ تكثير أحزابهم، وهذا واقعٌ لا ينكره منصف!

وزادوا الأمر سوءً وشرًّا حينما عادَوا دعاة التوحيد وأهل السُّنة، ونبذوهم بالألقاب المنفِّرة، واتهموهم بتخريب عقول المسلمين، وبأنهم لا يَفهمون «فقه الواقع»، وأن منهاجَ «أهل السنة» في الدعوة إلىٰ التوحيد ومتعلَّقاته ونبذ الشرك ومفرَزاتِه نفَّر الناسَ من الإسلام، ودفعهم للبعد عنه والانضواء تحت لوائه!

ولا عجب من كلِّ هذا؛ فإن شرَّ المصائب الجهل، وشرٌّ منه الجهلُ بالجهل! وهذه هي النتيجة المحتومة حينما يتصدر للدعوة والتوجيه من أفسدوا في الأرض باسم صلاحها، وزيَّنوا الباطل في قلوب العوام والمساكين. وقد زادهم تماديًا فيما هم فيه أنْ رأوا كثرة أعدادهم، ووفرةَ أشياعهم، فظنُّوا ـ جهلًا ـ أنهم علىٰ الحق المبين والصراط المستبين.

ولا أريد أن أُسهب في الكلام عن جناية هؤلاء علىٰ الإسلام ودعاته وعوام المسلمين؛ فقد أطلتُ النفَس عنهم في موضع آخر، وبيَّنت الخلل المستطير والخرابَ الكبير الذي تسبَّبوا فيه لما دَعَوا بغير علم، وأهملوا المنهاج النبوي الطاهر في الدعوة إلىٰ اللَّه تبارك وتعالى [(١)].

فمن كلِّ هذا لابد لكل من صَدَق اللَّهَ تعالىٰ في إيمانه، وصَدَق رسوله ﷺ في اتباعه أن يجعل التوحيد أَوْلىٰ الأولويات، وغاية الغايات، وأن يذكِّر به نفسه والمسلمين مِن حوله بين آنٍ وآن، يقودُه العلمُ والإخلاص وصدق الاتباع في مسيرته المباركة؛ حتىٰ

(١) راجع ـ مشكورًا ـ كتابي: «جماعة الدعوة والتبليغ في ميزان أهل السنة والجماعة».

يُحشر في زمرة إمامه وحبيبه ﷺ يوم لا ينفع الظالمين معذرتُهم.

وعلىٰ هذا النهج المبارك سار أئمة الإسلام والسُّنة عبر العصور ـ كما تقدم ـ، وجاهدوا في سبيل اللَّه تعالىٰ حقَّ جهاده، وأدَّوُا الأمانة تامةً لمن معهم وبعدَهم علىٰ الوجه الأكمل، وفصَّلوا وبيَّنوا معاني الكتاب والسنة في هذا الباب المبارك ـ باب التوحيد ـ بيانًا شافيًا تامًّا وافيًا.

وهذا المجموع المبارك الذي بين أيدينا «مجموعة التوحيد» ـ والذي شرَّفني ربي ﷻ أعظم الشرف، وامتن عليَّ أعظم المِنَّة بخدمته ـ يدورُ حول ذلكم الأصل الأصيل والركن الركين في الدعوة إلىٰ اللَّه ﷻ، وهو الأمر بالتوحيد، والتحذير من الإشرك بالرب المجيد، صنَّفه زمرةٌ جليلةٌ من علماء أهل السنة والجماعة في عصورٍ مختلفة، كشيخي الإسلام تقي ابن تيمية، ومحمد بن عبدالوهَّاب، والإمام محمد بن عليٍّ الشوكاني، وغيرهم ممن سار علىٰ الدرب الطاهر والنهج الزاهر؛ صادعين بدعوة التوحيد ـ دعوة الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ـ، نُصحًا للإسلام والمسلمين، ودعايةً صادقةً للاستمساك بغرس النبي الأمين ﷺ في أعظم أصلٍ من أصول الدين.

«مجموعة التوحيد»:

معرفتي بهذا المجموع النفيس تعود إلىٰ قرابةِ خمسة عشر عامًا، حيث اقتنيت نسخةً منه من إحدىٰ المكتبات، ومع مرور الزمان وقفتُ علىٰ ثلاثة نسخٍ أخرىٰ، وهي علىٰ الترتيب كالآتي:

- نسخة «وزارة الأوقاف السعودية»، بتعليق الشيخ رشيد رضا.
- نسخة كُتب عليها من الخارج: «طبع دار التوحيد».

ـ نسخة «دار البيان بدمشق»، بتحقيق الشيخ بشير عيون، ومراجعة العلامة عبدالقادر الأرنؤوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ـ نسخة ليس عليها اسم الناشر.

وهذه النسخ جميعًا ـ بلا استثناء ـ مليئةٌ بالطوام والدواهي من السقط والتحريفات والتصحيفات التي ـ في بعض الأحيان ـ أحالت[1] التوحيد شركًا، والشرك توحيدًا! وبالرغم من نفاسة الرسائل الموجودة في هذا الجمع المبارك، إلا أن ناشريها ـ جزاهم اللَّه خيرًا وعفا عنهم ـ لم يعتنوا بها الاعتناء اللائق؛ بالرغم من تعلقها بأخطر بابٍ علىٰ الإطلاق من أبواب الشريعة المباركة، وهو باب التوحيد، ولكن كان أمر الحكيم الخبير قَدَرًا مقدورًا.

ولما رأيتُ ما رأيتُ، ووقفتُ علىٰ ما ذكرتُ، وكانت همتي قد اتجهت إلىٰ العناية ببعض كتب أئمتنا= أحببتُ أن أُخرج نسخةً جديدةً لهذا الكتاب المبارك، تكون عملًا صالحًا لي في حياتي وبعد مماتي ـ بإذن ربي ـ؛ أتلافىٰ فيها تلك الأخطاءَ الفادحةَ قدر طاقتي، فبدأتُ بصفِّ الكتاب صفًّا جديدًا، ثم رجعتُ إلىٰ عدةِ نسخٍ مفردة للرسائل المثبَتةِ فيه، وكنتُ أقارنُ بين نسخ تلك الرسائلِ ـ التي تفاوتت بالطبع في دقَّتها وجودتها ـ، حتىٰ أصل إلىٰ أفضل صورةٍ ممكنةٍ لنسختي، ولم أهتمَّ اهتمامًا كبيرًا بذكر ما سلف من تصحيفاتٍ وتحريفاتٍ في النسخ المطبوعة للكتاب؛ إذ لم أرَ لذلك كبير فائدة في عملي، وإنما صببتُ اهتمامي علىٰ تصحيح نسختي فحسب، وأحيانًا قليلةً إذا رأيتُ اختلافًا في نسخ الرسائل التي وقفتُ عليها، أثبتها في الحواشي للبيان والتذكير.

---

(١) **أحالت**: حوَّلت.

وقد أخذ مني هذا العملُ المبارك قرابةَ سبع سنوات ـ علىٰ فتراتٍ عديدات ـ، أعطيتُه كلَّ اهتمامي وتركيزي ـ قدر طاقتي ـ، وراجعتُ الكتاب قرابةَ خمس مرات، محاولًا تجنُّبَ التصحيفات والتحريفات قدر المستطاع، ولا أخفي علىٰ القارئِ الكريم أنني في كلِّ مرةً كنتُ أراجعُ فيها الكتاب أُحسُّ في صدري انشراحًا جميلًا، وسعادةً عظمىٰ وأنا أقرأُ رسائل علمائنا في هذا الباب العظيم المبارك، وكيف لا! وأعظمُ وأجملُ ما يحبُّه أهل السنة والجماعة هو الكلام عن توحيدِ ربِّهم العظيم ﷻ؛ الذي يبعث في النفس والقلب والعقل راحةً وجمالًا وطمأنينةً عجيبةً، وهذا مصداقٌ لما قاله علماؤنا: «شرف العلم تابعٌ لشرف معلومه»، والتوحيد متعلِّقٌ بالحبيب الأعظم ﷻ؛ الذي غايةُ أمانيِّ المؤمن أن ينال منه الرضا، ويراه غدًا ويتنعم بقُربه في جنةِ المأوىٰ.

ولا أدَّعي ـ مع هذا ـ الكمالَ في عملي، فحسبي أنني معتنٍ ليس إلَّا، وحتمًا سيظهر في عملي التقصير والخلل، لكن ليس كلُّ خلل يُتسامح فيه، ولا كلُّه يؤاخذ به صاحبه. وحسبي ـ أيضًا ـ أنني بذلتُ كلَّ ما أستطيع في إخراج هذا المجموع المبارك علىٰ وجهٍ مرضيٍّ، واللَّهُ تعالىٰ يعلمُ أنني لم أدخر وُسعًا، ولم آلُ جهدًا في خدمته، راجيًا منه ﷻ أن يتقبله مني بقبول حسن.

✍ تنبيه مهمٌّ على النسخ المطبوعة:

لما بدأتُ عملي، وأخذت في مقابلة النسخ المطبوعة علىٰ بعضها البعض، وجدتُ أمرًا غريبًا يتلخص فيما يلي:

١ ـ نسخة «وزارة الأوقاف السعودية» انفردت عن بقية النسخ

بعددٍ من الكتب، وعلىٰ رأسها كتاب «قرة عيون الموحِّدين»، للشيخ عبدالرَّحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهَّاب رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، في حين خلت الطبعات الأخرىٰ منها. وقد اشتُهرت هذه الطبعة لدىٰ طلبة العلم باسم: «مجموعة التوحيد النجدية».

٢ ـ انفردت النسخ الأخرىٰ بكتب ليست موجودةً في طبعة «وزارة الأوقاف»، مع حذف عدة كتب منها ـ كذلك ـ، وعلىٰ رأسها كتاب «قرة العيون» ـ أيضًا ـ.

والظاهر ـ شبه المتيقَّن ـ أن نسخة «وزارة الأوقاف السعودية» هي النسخة الأصلية، وأن أحدهم أخذها، وانتقىٰ منها بعضها، وحذف الأخرىٰ، ثم أضاف من عنده رسائل ليست فيها؛ وأخرج هذا المجموع ـ أيضًا ـ باسم «مجموعة التوحيد».

ولعله استساغ هذا لأن هذه الرسائل لا يُعلم من جمعها أصالةً، وليس لها مؤلف واحد؛ فرأىٰ أن يحذف بعض الرسائل المتشابهة، ثم يضيف إليها ما فيه زيادة نفع. واللَّهُ أعلم بالحال.

✍ عملي في الكتاب:

١ ـ لما رأيتُ هذا الاختلاف بين نسخ الكتاب، وقعتُ في حيرةٍ من أمري: هل أُخرج «المجموعة النجدية» وحدها، أم أضم جميع الرسائل في سائر الطبعات لتعميم الفائدة؟ ثم استقر الحال علىٰ الاقتراح الثاني؛ فضممت جميع الرسائل في النسخ المختلفة مع بعضها، علىٰ أن تكون بداية الكتاب متوافقةً مع نسخة «وزارة الأوقاف السعودية» تمامًا، بحيث لم أخالف بين ترتيب الرسائل من بداية الكتاب وحتىٰ نهاية كتاب «قرة عيون الموحدين»، اللهم إلا

في رسالة واحدة قمت بحذفها كليةً ـ كما سيأتي بيانه قريبًا إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ.

والمقصود أنني بدأت الكتاب ـ كما ذكرت ـ علىٰ نفس ترتيب طبعة «وزارة الأوقاف السعودية»، وبالتالي ستكون بداية الكتاب وحتىٰ نهاية «قرة عيون الموحدين» من طبعتنا هذه هي بذاتها «المجموعة النجدية»؛ باستثناء الرسالة المحذوفة. ثم بعد ذلك وضعتُ بقية الرسائل الموجودة في النسخ الأخرىٰ، والتي تحتوي علىٰ مؤلفات لعَلَمِ الأمة في زمنه شيخ الإسلام ابن تيمية، وكذا العلامة الشوكاني وغيرهما رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

٢ ـ أضفتُ زيادة في الفائدة ـ أيضًا ـ رسالتين للإمام الشوكاني رَحِمَهُٱللَّهُ؛ وهما:

- شرح الصدور بتحريم رفع القبور.
- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد.

٣ ـ حذفت رسالة «شروط الصلاة» ـ كما تقدم[1] ـ؛ وكلُّ منصف يدرك أن وضعها ضمن «مجموعة التوحيد» أمرٌ غير مستساغ، ولكم أن تتصوروا كتابًا في الفقه يدور حول أحكام الطهارة والصلاة والزكاة، ثم في وسط ذلك رأيتم رسالة من صفحتين تحديث ـ مثلًا ـ عن الإيمان بالقضاء والقدر! وكذا ماذا تقولون ـ مثلًا ـ في كتاب عن رجال الحديث، مثل «تقريب التهذيب»، ثم رأيتم وسط التراجم ورقتين تتحدثان ـ مثلًا ـ عن أحكام الصيام! ومعلومٌ أن العلوم الشرعية قد رُتِّبت في مصنفاتها، الفقه مع الفقه، والعقيدة مع

---

(١) وكانت موجودة في سائر الطبعات.

العقيدة، والحديث مع الحديث... وهكذا. وحقيقةً لا أدري لماذا أُقحمت هذه الرسالة ضمن مجموعة التوحيد، فلم يكن من المناسب - مطلقًا - وضعها مع هذا الجمع المبارك، ومن أرادها فلينظرها في «الدرر السنية» (١٥٥/٤).

وكذلك - أيضًا - حذفت رسالةً لم تكن موجودةً في «المجموعة النجدية» أصلًا، وإنما وُجدت في النسخ الأخرىٰ، وليس لها علاقةٌ - كذلك - بالتوحيد والشرك، وهي رسالة في «مقادير زوال الشمس»، وهي من إضافات المعدِّل علىٰ «المجموعة النجدية»، ولم أقف علىٰ هذه الرسالة في «الدرر السنية» ولا غيرها.

٤ - تكررت رسالة «القواعد الأربعة» للإمام محمد بن عبدالوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرتين في غير طبعة «وزارة الأوقاف»، وهو أمرٌ عجيب، فاكتفيتُ بإثباتها مرةً واحدة.

٥ - في غير طبعة «وزارة الأوقاف السعودية» كانت هناك رسالة تحتوي علىٰ عديدٍ من الأذكار الموظفة والمطلقة في آخر الكتاب -؛ لا يُدرىٰ من ألَّفها، فحذفتُها، ووضعتُ بدلًا منها: «حصن المسلم» للشيخ سعيد بن وهفٍ القحطاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذا الكتاب المبارك ذائع الصيت، والذي وضع اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له - حسب ظني - القبول في الأرض، فرأيتُ أنه أشمل وأصح من الرسالة التي قمت بحذفها؛ لا سيما وقد شرَّفني اللَّه تعالىٰ بالاعتناء بـ«حصن المسلم» - مراجعةً وتدقيقًا - قبل وفاة مؤلفه الفاضل، وصدرت تلك النسخة في دار الحجاز خاصةً بالمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي ما أثبتُّها هنا في هذا المجموع المبارك.

٦ - أضفتُ في نهاية الكتاب ورقاتٍ من عندي؛ تحتوي علىٰ مجموعةٍ من أدعية الكتاب والسنة؛ بمثابة مناجاة للَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليقرأها

المسلمُ بين حينٍ وآخر، خاصةً في الأوقات الفاضلة والمواسم الشريفة؛ ختمتُ بها هذا المجموع المبارك.

فهذا ما قمتُ به من ناحية «إثبات الرسائل» في هذا المجموع الطيب. وبعد ذلك:

٧ ـ قمتُ بتصحيح رسائل الكتاب علىٰ نسخها المطبوعة المفردة لا سيما النسخ المحققة المتقنة، أو الموجودة في مجموعات الفتاوىٰ، كـ«الدرر السنية» ونحوها، وقد اجتهدتُ في الوصول إلىٰ نصٍّ صحيح خالٍ من التصحيف والتحريف قدر طاقتي؛ وهذا من أصول إخراجي لهذه المجموعة المباركة.

٨ ـ أحيانًا قليلةً أضيفُ كلمةً أو عبارةً بين حاصرتين [ ] إتمامًا للكلام، أو إظهارًا للمراد.

٩ ـ قمتُ بضبط ما رأيتُه بحاجةٍ إلىٰ ذلك من نصوص الكتاب بالشَّكْل، حتىٰ يتضح المرادُ للقارئ الكريم.

١٠ ـ قمتُ بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة تخريجًا وسطًا؛ حسب منهجي السائد في كافةِ أعمالي.

١١ ـ بينتُ معاني الكلمات الغريبة مما رأيتُ الكتاب بحاجةٍ إلىٰ بيانه.

١٢ ـ علقتُ علىٰ أهمِّ المواضع التي رأيتها بحاجةٍ إلىٰ انتقادٍ وتعليق، باستثناء تعليقٍ طال مني بضعة صفحات ـ وكان لابد منه ـ علىٰ رسالة الإمام الشوكاني رحمه الله «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد»؛ فوضعته عقب رسالة الإمام في الجزء الثالث.

١٣ ـ صنعتُ فهرسًا لأطراف الأحاديث النبوية.

١٤ ـ صنعتُ فهرسًا تفصيليًّا وآخر إجماليًّا لموضوعات الكتاب.

وفي الختام أسألُ اللَّه جَلَّ ثَنَاؤُهُ أن يتقبَّل مني هذا العمل ـ وسائر أعمالي ـ بقبول حسن، وأن يجعله سببًا في عفوه وغفرانه ورحمته وإحسانه بعبده الحقير الضئيل، وأن يرضىٰ به عني يوم القدوم عليه؛ إنه خيرُ مسؤول وأكرم مأمول.

وما كان من توفيقٍ وسدادٍ في شتىٰ أعمالي فهو من منَّةِ أرحم الراحمين، وما كان من زللٍ وخللٍ فهو بما كسبت يداي، ويعفو ربي عن كثير.

ولا أنسىٰ أن أُزجي جميلَ شكري وامتناني لزوجي الكريمة أم شعيب ـ حفظها اللَّه، وبارك فيها، ورضي عنها في الدارين ـ علىٰ ما تكبَّدته وتتكبدُه من معاناةٍ في سبيل مساعدتي علىٰ أعمالي ـ مع ما هي فيه من أعباء الحياة ـ؛ سائلًا اللَّه تبارك وتعالىٰ أن يتقبل منها صبرها الكريم وجهدها الكبير في إعانتي علىٰ طلب العلم.

كما أُزجي عاطرَ حبِّي وسلامي وشكري وامتناني لأخي الحبيب أحمد بن سامي ـ أبي عمر الذهبي ـ، الذي كانت ـ ولا زالت ـ معرفتي به من أجمل ما مرَّ عليَّ في حياتي، وهو من طلاب العلم المتقنين النبهاء، ولو أنه تفرَّغ للعلم ـ تمامًا ـ لرأينا منه كلَّ نفعٍ وخيرٍ وبركةٍ ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ علىٰ طلاب العلم في المشارق والمغارب، وقد انتفعتُ منه انتفاعًا عظيمًا في عددٍ من مواضع هذا الكتاب، لا سيما في الناحية الحديثية، وكنت أستشيرُه في بعض ما يتبدَّىٰ لي من تعليقات، أو يلتبس عليَّ من كلمات، فكان لا يبخلُ ولا يتأخرُ في إفادتي مما أفاده اللَّهُ، فجزاه اللَّهُ تعالىٰ عن الإسلام وعني خير الجزاء، وأسأله جل جلاله أن يُتِمَّ علينا نعمة أُخوَّةِ الإيمان،

وأن يجمعنا في دنيانا وأخرانا علىٰ ما يحبُّه ويرضاه.

والصدر منشرحٌ دومًا لكلِّ نقدٍ بنَّاء، فمن رأىٰ في هذا العمل ما يحتاج إلىٰ تعديل أو إصلاح؛ فلا يبخل علينا بنصيحته، وله مني جزيل الشكر حتىٰ آخر عمري.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين، وصلىٰ اللَّه وسلم وبارك علىٰ حبيبنا وإمامنا محمد، وعلىٰ آله وصحابته والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

✍ وكتبه: خادم التوحيد
أبو شعيب
طارق بن عبدالواحد بن علي
ـ عفا اللَّهُ عنه برحمته وإحسانه
جمهورية مصر العربية
(٠١١١١/٣٨٥٣٩٥)
(٠١٠/٢١٣١٨٨٥٧)



[١]

كتاب التوحيد

لشيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] كتاب التوحيد

وقولِ اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ١٥١].

▫ قال ابن مسعود رضي الله عنه: «من أراد أن ينظر إلىٰ وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه[1]؛ فليقرأ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ...﴾ الآية [الأنعام: ١٥٣]».

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنتُ رديفَ[2] النبي ﷺ علىٰ حمار، فقال لي: «**يا معاذ، أتدري ما حقُّ اللَّه علىٰ العباد؟ وما حقُّ العباد علىٰ اللَّه؟**»، قلت: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**فإن حقَّ اللَّه علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحقُّ العباد علىٰ اللَّه ألَّا يعذِّبَ مَن لا**

(١) أي: التي عاش ومات عليها ﷺ.

(٢) **الرديف**: الذي يركب خلف صاحبه.

يُشرِكُ به شيئًا». قلت: يا رسول اللَّه، أفلا أبشِّرُ الناس؟ قال: «لا تبشِّرهم فيتَّكلوا». أخرجاه في «الصحيحين»[(١)].

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه[(٢)].

الثالثة: أن من لم يأتِ به لم يعبد اللَّه؛ ففيه معنىٰ قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ [الكافرون].

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمَّة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة اللَّه لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت؛ ففيه معنىٰ قوله: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الثامنة: أن الطاغوت عامٌّ في كل ما عُبد من دون اللَّه.

التاسعة: عظم شأن الثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عَشْرُ مسائل؛ أولها: النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها اللَّه بقوله: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا﴾ [الإسراء: ٢٢]، وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٤٦).

(٢) أي: الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم من الكافرين.

مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ [الإسراء]. ونبَّهنا اللَّهُ سبحانه علىٰ عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ [الإسراء: ٣٩].

الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمىٰ: «آية الحقوق العشرة»؛ بدأها اللَّه تعالىٰ بقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦].

الثانية عشرة: التنبيه علىٰ وصية رسول اللَّه ﷺ عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حق اللَّه علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدَّوْا حقه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسرُّه.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال علىٰ سعة رحمة اللَّه.

التاسعة عشرة: قول المسؤول عما لا يعلم: «اللَّهُ ورسوله أعلم»[(١)].

العشرون: جوازُ تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادي والعشرون: تواضعه ﷺ لركوب الحمار، مع الإرداف عليه.

الثاني والعشرون: جواز الإرداف علىٰ الدابة.

الثالث والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل رضي الله عنه.

الرابع والعشرون: عظم شأن هذه المسألة.

---

(١) والصحيح أن هذا الكلام يقال في حياة النبي ﷺ، أما بعد وفاته ﷺ فلا يقال إلا: «اللَّه أعلم» ـ فقط ـ.

[٢] باب: فضل التوحيد وما يكفِّر من الذنوب

وقولِ اللَّه تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «مَن شهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسىٰ عبدُ اللَّه ورسوله، وكلمتُه ألقاها إلىٰ مريم[(١)]، ورُوحٌ منه[(٢)]، والجنة حق، والنار حق، أدخله اللَّه الجنة علىٰ ما كان من العمل». أخرجاه[(٣)].

ولهما في حديث عِتْبان رضي الله عنه: «فإنَّ اللَّه حرَّم علىٰ النار من قال: لا إلٰه إلا اللَّه، يبتغي بذلك وجه اللَّه»[(٤)].

وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه، عن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «قال موسىٰ: يا رب، علِّمْني شيئًا أذكرُك وأدعوك به. قال: قل - يا موسىٰ -: لا إلٰه إلا اللَّه. قال: يا رب، كلُّ عبادك يقولون هذا. قال: يا موسىٰ، لو أن السماواتِ السبعَ وعامِرَهُنَّ[(٥)] غيري، والأرَضين السبع في كِفةٍ، و«لا إلٰه إلا اللَّه» في كِفة= مالت بهن لا إلٰه إلا اللَّه». رواه ابن حبان والحاكم وصححه[(٦)].

---

(١) سُمي عيسىٰ عليه السلام «كلمةً» لأنه خُلق بقوله تعالىٰ: «كُن».

(٢) أي: روحٌ مخلوقةٌ من اللَّه جل وعلا، وهذه إضافةُ تشريف، وهذا نفيٌ لإلٰهيته عليه السلام - كما يزعمه ضلال النصارىٰ -.

(٣) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٤) رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

(٥) **عامرهن**: جميع سكانهن.

(٦) **ضعيف**: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١٠٩١٣)، وفي «عمل اليوم» (٨٣٤)، =

وللترمذي - وحسَّنه - عن أنس رضي الله عنه: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول: «**قال اللَّه تعالىٰ: يا ابن آدم، لو أتيتني بقُراب الأرض**[1] **خطايا، ثم لقيتَني لا تشركُ بي شيئًا، لأتيتُك بقُرابها مغفرةً**»[2].

فيه مسائل:

الأولى: سعة فضل اللَّه.

الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند اللَّه.

الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب.

الرابعة: تفسير الآية التي في سورة الأنعام.

الخامسة: تأمُّل الخمس اللواتي في حديث عبادة.

= وأبو يعلىٰ (١٣٩٣)، وابن حِبَّان (٦٢١٨)، والحاكم (٥٢٨/١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٨٥)، والطبراني في «الدعاء» (١٤٨٠)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الحافظ في «فتح الباري» (٢٠٨/١١). **وفيه نظر**. وقال الهيثمي في «المجمع» (٨٢/١٠): «رواه أبو يعلىٰ، ورجاله وثقوا، وفيهم ضعف» اهـ. **وضعَّفه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط؛ كلاهما عند ابن حبان، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٥١/٢٠).

(١) أي: ما يقارب سَعَتَها.

(٢) **حسن**: رواه التِّرمذي (٣٥٤٠)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٢٣١/٢)، والطبراني في «الأوسط» (٤٣٠٥)، وابن شاهين في «الترغيب» (١٧٩)، والضياء في «المختارة» (١٥٧١)، وقال الإمام التِّرمذي: «**حسن غريب**»، **وحسنه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٢٧)، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند الترمذي (٤٣/٦).

وفي الباب عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه. فانظر «مسند الإمام أحمد» (٣٧٥/٣٥).

السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده، تَبيَّن لك معنىٰ قول «لا إلٰه إلا اللَّه»، وتَبيَّن لك خطأُ المغرورين(١).

السابعة: التنبيهُ للشرط الذي في حديث عتبان(٢).

الثامنة: كون الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يحتاجون للتنبيه علىٰ فضل «لا إلٰه إلا اللَّه».

التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيرًا ممن يقولها يخفُّ ميزانُه.

العاشرة: النصُّ علىٰ أن الأَرَضين سبعٌ كالسماوات.

الحادية عشرة: أن لهن عُمَّارًا.

الثانية عشرة: إثباتُ الصفات، خلافًا للمعطِّلة(٣).

الثالثة عشرة: أنك إذا عرفتَ حديث أنس، عرفت أن قولَه في حديث عتبان: «**فإن اللَّه حرَّم علىٰ النار من قال: لا إلٰه إلا اللَّه، يبتغي بذلك وجه اللَّه**»: أنه تركُ الشرك(٤)، ليس قولَها باللسان.

---

(١) وهذا يبيِّن لنا أن طالب العلم الأمين علىٰ دينه إذا أراد الحكمَ علىٰ مسألةٍ ما ـ بعد كونه متأهِّلًا ـ، فإنه يجمع الأدلة في الباب الواحد، ولا يكتفي بما يراه أو يسمعه فقط، دون بحثٍ واستقصاءٍ قدر طاقته لأدلة الباب أو المسألة. وبسبب إهمال هذا الأصل الأصيل من أصول العلم والإنصاف، حدثت تعدياتٌ ومخالفاتٌ صارخةٌ لدين اللَّه تعالىٰ، واتسعت رقعة الخلاف بين أبناء الأمة، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العزيز الحكيم.

(٢) يعني بالشرط قوله ﷺ: «**يبتغي بذلك وجه اللَّه**».

(٣) في بعض النسخ: «للأشعرية»، والمثبت أعمُّ.

(٤) يعني بالفعل.

الرابعة عشرة: تأمُّلُ الجمع بين كون عيسىٰ ومحمد عَلَيْهِمَا ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عبدَيِ اللَّه ورسولَيه.

الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بكونه كلمةَ اللَّه.

السادسة عشرة: معرفة كونه رُوحًا منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معرفة [معنىٰ] قوله: «**علىٰ ما كان من العمل**».

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كِفتان.

العشرون: معرفة ذِكرِ الوجه.

[٣] باب: مَن حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقولِ اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل].

وقال: وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المؤمنون].

وعن حُصين بن عبدالرَّحمٰن قال: كنت عند سعيد بن جُبير؛ فقال: أيُّكم رأىٰ الكوكبَ الذي انقضَّ البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أمَا إني لم أكُن في صلاةٍ، ولكني لُدغت. قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيتُ. قال: فما حَمَلك علىٰ ذلك؟ قلت: حديثٌ حدَّثَناه الشعبي. قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بُريدة بن الحُصيب أنه قال: «لا رُقيةَ إلا من عينٍ أو حُمَةٍ[(١)]». فقال: قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع[(٢)]. ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**عُرضت عليَّ الأُمم، فرأيت النبيَّ ومعه الرَّهْط[(٣)]، والنبيَّ ومعه الرجل والرجلان، والنبيَّ وليس معه أحدٌ؛ إذ رُفع لي سوادٌ عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسىٰ وقومه. فنظرت، فإذا سوادٌ عظيم، فقيل لي: هذه**

---

(١) **الحُمَة** ـ بضم الحاء وتخفيف الميم المفتوحة ـ: ذوات السموم.
تنبيه: ليس المراد قَصْرَ الرقية علىٰ لدغات ذوات السموم، وإنما المراد أنها من أولىٰ ما فُعِلت من أجله الرُّقية. وانظر: «شروح كتاب التوحيد»، وشروح الحديث ـ أيضًا ـ.

(٢) أي: من وقف عند العِلم الذي سمعه، ولم يُفتِ بغير علمٍ فقد أحسن غاية الإحسان.

(٣) **الرَّهْط**: الجماعة دون العشرة.

أُمَّتُك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب».

ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناسُ في أولئك؛ فقال بعضهم: فلعلهم الذين صَحِبوا رسول اللَّه ﷺ. وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلدوا في الإسلام فلم يشركوا باللَّه شيئًا. وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول اللَّه ﷺ، فأخبروه، فقال: «**هم الذين لا يَسْتَرقون، ولا يكتوون، ولا يتطيَّرون، وعلىٰ ربهم يتوكلون**». فقام عكَّاشة بن مِحصَن؛ فقال: ادع اللَّه أن يجعلني منهم. قال: «**أنت منهم**». ثم قام رجل آخر؛ فقال: ادع اللَّه أن يجعلني منهم. فقال: «**سبقك بها عكَّاشة**»[(١)].

فيه مسائل:

الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد.

الثانية: ما معنىٰ تحقيقه؟

الثالثة: ثناؤه سبحانه علىٰ إبراهيم بكونه لم يكُ من المشركين.

الرابعة: ثناؤه علىٰ سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

الخامسة: كونُ ترك الرقية والكيِّ من تحقيق التوحيد.

السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

السابعة: عمقُ فهم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

الثامنة: حرصهم علىٰ الخير.

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكَميَّة والكيفيَّة.

العاشرة: فضيلة أصحاب موسىٰ عليه السلام.

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

الحادية عشرة: عرضُ الأمم عليه ﷺ.

الثانية عشرة: أن كل أمة تُحشر وحدها مع نبيها.

الثالثة عشرة: قلةُ من استجاب للأنبياء.

الرابعة عشرة: أن من لم يُجبه أحدٌ يأتي وحده.

الخامسة عشرة: ثمرةُ هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلَّة.

السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحُمَة.

السابعة عشرة: عمقُ علم السلف؛ لقوله: «قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع، ولكن كذا وكذا»؛ فعُلم أن الحديثَ الأول لا يخالف الثاني.

الثامنة عشرة: بُعدُ السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه[(١)].

التاسعة عشرة: قوله ﷺ: «**أنت منهم**» عَلَمٌ من أعلام النبوة.

العشرون: فضيلة عكَّاشة.

الحادية والعشرون: استعمال المعاريض[(٢)].

الثانية والعشرون: حُسن خلقه ﷺ.

---

(١) لأن حصين بن عبدالرَّحمٰن ذكر في الحديث أنه لم يكن في صلاة؛ حتىٰ لا يوهم للناس أنه كان في تهجُّدٍ بالليل.

(٢) يعني قوله ﷺ: «**سبقك بها عكاشة**».

[٤] باب: الخوف من الشرك

وقولِ اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء].

وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم].

وفي الحديث: «**أخوفُ ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر**». فسئل عنه، فقال: «**الرياء**». رواه أحمد والطبراني والبيهقي[(١)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «**مَن مات وهو يدعو من دون اللَّه ندًّا دخل النار**». رواه البخاري[(٢)].

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «**مَن لقي اللَّهَ لا يُشرك به شيئًا دخل الجنة، ومَن لقيه يشركُ به شيئًا دخل النار**»[(٣)].

---

(١) حسن: رواه أحمد (٥/٤٢٨)، وابن أبي شيبة (٢/٤٨١)، وابن خزيمة (٩٣٧)، والبيهقي في «الشعب» (٦٤١٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٤١٣٥)، وإسماعيل بن جعفر في «حديثه» (٣٨٤)، والطبراني في «الكبير» (٤/٢٥٣)، من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه. وقال الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٣/٢١٠): «**رجاله ثقات**»، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١/٢٩٠): «**رجاله رجال الصحيح**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٩٥١)، و«صحيح الجامع» (١٥٥٥)، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (١/٥٠١)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٩/٣٩).

(٢) رواه البخاري (٤٤٩٧).

(٣) رواه مسلم (٩٣).

فيه مسائل:

الأولى: الخوف من الشرك.

الثانية: أن الرياء من الشرك.

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوف ما يُخاف منه علىٰ الصالحين.

الخامسة: قربُ الجنة والنار.

السادسة: الجمعُ بين قربهما في حديثٍ واحدٍ علىٰ عملٍ متقاربٍ في الصورة.

السابعة: أنه مَن لقيه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار، ولو كان من أعبدِ الناس.

الثامنة: المسألة العظيمة: سؤالُ الخليل له ولبنيه وقايةَ عبادة الأصنام.

التاسعة: اعتباره بحال الأكثر؛ لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

العاشرة: فيه تفسير «لا إلٰه إلا اللَّه»، كما ذكره البخاري.

الحادية عشرة: فضيلة مَن سَلِم من الشرك.

[٥] باب: الدعاء إلى شهادة ألَّا إلٰه إلا الله

وقول اللَّهِ تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول اللَّه ﷺ لما بَعَث معاذًا إلىٰ اليمن قال له: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكنْ أولَ ما تدعوهم إليه شهادةُ ألَّا إلٰه إلا اللَّه** - وفي رواية: إلىٰ أن **يوحِّدوا اللَّه** -؛ **فإن هم أطاعوك لذلك فأعلِمْهم أن اللَّه افترض عليهم خمسَ صلواتٍ في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلِمْهم أن اللَّه افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم، فتُردُّ علىٰ فقرائهم. فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائمَ أموالهم. واتق دعوةَ المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين اللَّه حجاب**». أخرجاه[(١)].

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال يوم خيبر: «**لأُعطينَّ الرايةَ غدًا رجلًا يحبُّ اللَّهَ ورسولَه، ويحبُّه اللَّهُ ورسولُه، يَفتح اللَّهُ علىٰ يديه**». فبات الناس يدُوكُون[(٢)] ليلتهم: أيهم يُعطاها؟ فلما أصبحوا غدَوْا علىٰ رسول اللَّه ﷺ كلُّهم يرجو أن يُعطاها؛ فقال: «**أين عليُّ بن أبي طالب؟**»، فقيل: هو يشتكي عينيه. [قال]: «**فأرسِلُوا إليه**»، فأُتي به، فبَصَق في عينيه؛ ودعا له، فبَرَأَ كأنْ لم يكنْ به وجعٌ. فأعطاه الراية؛ فقال: «**انفُذْ علىٰ رِسْلِكَ**[(٣)] **حتىٰ تنزلَ بساحتهم،**

---

(١) رواه البخاري (١٣٩٥، ١٤٩٦)، ومسلم (١٩).
(٢) يأتي بيانها في نهاية الأثر.
(٣) أي: انطلق علىٰ مَهَلٍ.

ثم ادعُهم إلىٰ الإسلام، وأخبِرْهم بما يجبُ عليهم من حق اللَّه تعالىٰ فيه؛ فواللَّه لَأَنْ يَهدِيَ اللَّهُ بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَم[(١)]»[(٢)].

يدوكون: أي: يخوضون.

فيه مسائل:

الأولى: أن الدعوة إلىٰ اللَّه طريقُ مَن اتَّبع رسول اللَّه ﷺ.

الثانية: التنبيه علىٰ الإخلاص؛ لأن كثيرًا لو دعا إلىٰ الحق، فهو يدعو إلىٰ نفسه[(٣)].

الثالثة: أن البصيرة من الفرائض.

الرابعة: من دلائل حسن التوحيد: أنه تنزيهٌ للَّه تعالىٰ عن المَسبَّة.

الخامسة: أن من قبح الشرك كونَه مسبةً للَّه.

السادسة - وهي من أهمها -: إبعادُ المسلم عن المشركين؛ لئلا يصير منهم، ولو لم يُشرك.

السابعة: كون التوحيد أولَ واجب.

الثامنة: أنه يُبدأ به قبل كل شيء، حتىٰ الصلاة.

التاسعة: أن معنىٰ: «أن يوحِّدوا اللَّه» معنىٰ شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه.

العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفُها[(٤)]،

---

(١) **حُمْر النَّعَم**: النوق الحمراء، وكانت من أنفس أموال العرب.

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٣) ومثلهم تمامًا من يدعون إلىٰ الأحزاب والجماعات البدعية، التي فرقت الأمة، وعددت الانتماءات، وجلبت المِحَن والمخازي.

(٤) ضمير التأنيث عائد علىٰ كلمة التوحيد.

أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيهُ علىٰ التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البداءة بالأهمِّ فالأهم.

الثالثة عشرة: مَصرِفُ الزكاة.

الرابعة عشرة: كشفُ العالِم الشبهةَ عن المتعلم.

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة: اتقاءُ دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الإخبارُ بأنها لا تُحجب.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرىٰ علىٰ سيد المرسلين ﷺ وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

التاسعة عشرة: قوله: «**لأُعطين الراية...**» إلخ عَلَمٌ من أعلام النبوة.

العشرون: تَفْلُه في عينيه عَلَمٌ من أعلامها ـ أيضًا ـ.

الحادية والعشرون: فضيلة عليٍّ رضي الله عنه.

الثانية والعشرون: فضلُ الصحابة في دَوْكِهم تلك الليلة، وشُغلِهم عن بشارة الفتح.

الثالثة والعشرون: الإيمانُ بالقَدَر، لحصولها[١] لمن لم يَسْع لها، ومنعها عمن سعىٰ.

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: «**علىٰ رسلك**»[٢].

الخامسة والعشرون: الدعوة إلىٰ اللّٰه وإلىٰ الإسلام قبل القتال.

---

(١) يعني الراية.

(٢) يقصد: لأنه أمره بالتمهل والتأني.

السادسة والعشرون: أنه مشروعٌ لمن دُعوا قبل ذلك وقوتلوا.

السابعة والعشرون: الدعوةُ بالحكمة؛ لقوله: «**أخبرهم بما يجب عليهم**».

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق اللَّه في الإسلام.

التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدىٰ علىٰ يديه رجلٌ واحد.

الثلاثون: الحلف علىٰ الفتيا.



[٦] باب: تفسير التوحيد وشهادة ألَّا إلهَ إلَّا الله

وقولِ اللَّه تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف].

وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال: لا إلٰه إلا اللَّه، وكفر بما يُعبد من دون اللَّه، حرُم مالُه ودمه، وحسابُه علىٰ اللَّه**»[(١)].

وشرح هذه الترجمة: ما بعدَها من الأبواب.

فيه أكبر المسائل وأهمها:

وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة؛ وبيَّنها بأمورٍ واضحة:

منها: آية الإسراء؛ بَيَّن فيها الرد علىٰ المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيانُ أن هذا هو الشرك الأكبر.

ومنها: آية براءة، بَيَّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللَّه، وبَيَّن أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلٰهًا واحدًا، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء

(١) رواه مسلم (٢٣)، من حديث طارق بن أشيم رضي الله عنه.

والعُبَّاد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم.

ومنها: قول الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ للكفار: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف]؛ فاستثنىٰ من المعبودين اللَّهَ ربه.

وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي: تفسير شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه؛ فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾ [الزخرف](1).

ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال اللَّهُ فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧﴾ [البقرة]. ذكر أنهم يحبُّون أندادهم كحب اللَّه؛ فدل علىٰ أنهم يحبون اللَّه حبًّا عظيمًا، ولم يُدخلهم [هذا] في الإسلام. فكيف بمن أحب الندَّ أكبر من حب اللَّه؟ فكيف بمن لم يحبَّ إلا الندَّ وحده ولم يحب اللَّه؟

ومنها: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قال: لا إلٰهَ إلا اللَّه، وكفر بما يُعبد من دون اللَّه، حرم ماله ودمه**». وهذا من أعظم ما يبيِّن معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه»؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفةَ معناها مع لفظها، بل ولا الإقرارَ بذلك؛ بل ولا كونه لا يدعو إلا اللَّه وحده لا شريك له؛ بل لا يحرم ماله ودمه حتىٰ يضيفَ إلىٰ ذلك الكفرَ بما يُعبد من دون اللَّه؛ فإن شك أو توقف لم يحرُم ماله ودمه.

فيا لها من مسألةٍ ما أعظمَها وأجلَّها! ويا له من بيانٍ ما أوضحَه! وحجةٍ ما أقطعها للمُنازِع!

---

(١) أي: جعل كلمة التوحيد أصلًا يدعو إليه، ووصَّىٰ بها أبناءه ليُوصُوا بها من بعدهم كذلك.

[٧] باب: من الشرك لُبسُ الحَلْقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دَفْعه[(١)]

وقولِ اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر].

وعن عمران بن حُصين رضي الله عنه: أن النبي ﷺ رأىٰ رجلًا في يده حلْقةٌ من صُفر[(٢)]، فقال: «**ما هذه؟**»، قال: من الواهنة. فقال: «**انزعها؛ فإنها لا تزيدُك إلا وهْنًا؛ فإنك لو مِتَّ وهي عليك ما أفلحتَ أبدًا**». رواه أحمد بسندٍ لا بأس به[(٣)].

وله عن عقبةَ بن عامر رضي الله عنه مرفوعًا: «**من تعلَّق تميمةً فلا أتمَّ اللَّهُ له، ومن تعلَّق وَدَعةً فلا وَدَّعَ اللَّهُ له**»[(٤)][(٥)].

---

(١) **الرفع**: بعد نزوله. **الدفع**: قبل نزوله.

(٢) **الصُّفر**: النُّحاس.

(٣) **ضعيف**: رواه أحمد (٤/٤٤٥)، وابن ماجه (٣٥٣١)، والطبراني (١٨/٣٤٨)، وابن حبان (٦٠٨٨)، والحاكم (٤/٢١٦)، والبيهقي (٩/٣٥٠)، والبزار (٣٥٤٥)، والروياني (٧٢)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وحسَّنه** الإمام البوصيري في «الزوائد»، بينما **ضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٣/٢٠٤)، وفي «سنن ابن ماجه» (٤/٥٥٦)، وكذا الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٠٢٩).

(٤) أي: لا تركه اللَّهُ تعالىٰ في راحةٍ وهناءةِ بال.

(٥) **حسن**: أحمد (٤/١٥٤)، وابن عبدالحكم في «فتوح مصر» ص(٢٨٩)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٤/٣٢٥)، وابن عبدالبر في «التمهيد» =

وفي رواية: «**من تعلَّق تميمةً فقد أشرك**»[(١)].

▫ ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه: «أنه رأىٰ رجلًا في يده خيطٌ من الحُمَّىٰ، فقطعه، وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف]».

✍ فيه مسائل:

الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح. [و]فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبرُ من الكبائر.

الثالثة: أنه لم يُعذر بالجهالة.

الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة، بل تضر؛ لقوله: «**لا تزيدك إلا وهنًا**».

= (١٦٢/١٧)، وأبو يعلىٰ (١٧٥٩)، والدولابي في «الكنىٰ» (١١٥/٢)، وابن حبان (٦٠٨٦)، والحاكم (٢١٦/٤)، والطبراني في «الكبير» (٨٢٠/١٧)، وابن عدي في «الكامل» (٢٤٦٠/٦)، والبيهقي (٣٥٠/٩)، **وصحَّحه** الحاكم والذهبي، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠٢/٥): «**رجاله ثقات**»، **وجوَّده** الشيخ حسين الداراني في تحقيقه (٣١١/١١)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٦٢٣/٢٨).

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١٥٦/٤)، والحاكم (٢١٩/٤)، والطبراني في «الكبير» (٨٨٥/١٧)، والحارث في «مسنده» (٥٦٣)، من حديث عقبةَ رضي الله عنه ـ أيضًا ـ. وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٧٥/٥): «**رجاله ثقات**»، **وقوَّاه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٦٣٧/٢٨)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٤٩٢)، وفي «صحيح الجامع» (٦٣٩٤)، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٣١٢/١١).

الخامسة: الإنكار بالتغليظ علىٰ من فعل مثل ذلك.

السادسة: التصريح بأن من تعلَّق شيئًا وُكل إليه[(١)].

السابعة: التصريح بأن من تعلَّق تميمةً فقد أشرك.

الثامنة: أن تعليق الخيط من الحُمَّىٰ من ذلك.

التاسعة: تلاوة حذيفة الآيةَ دليلٌ علىٰ أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر علىٰ الأصغر، كما ذكر ابنُ عباس رضي الله عنهما في آية البقرة[(٢)].

العاشرة: أن تعليق الودَع عن العين من ذلك.

الحادية عشرة: الدعاء علىٰ من تعلق تميمةً أن اللَّه لا يُتمُّ له، ومن تعلق ودعةً فلا وَدَّع اللَّه له، أي: [فلا] تَرَك اللَّه له.

---

(١) نعم أحاديث الباب تشير إلىٰ هذا؛ لكن «التصريح» سيكون في الباب القادم في حديث عبداللَّه بن عكيم رضي الله عنه. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) يقصد قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وراجع مقدمات كتاب: «الحكم بغير ما أنزل اللَّه»، للعلامة الشيخ عبدالرَّحمٰن المحمود.

[٨] باب: ما جاء في الرُّقى والتمائم

في «الصحيح» عن أبي بَشير الأنصاري ﵁ أنه كان مع رسول اللَّه ﷺ في بعض أسفاره؛ فأرسل رسولًا: «**أَلَّا يَبقَيَنَّ في رقبةِ بعيرٍ قلادةٌ من وَتَر**[(١)]، **أو قلادةٌ**[(٢)] **إلا قُطعت**»[(٣)].

وعن ابن مسعود ﵁ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن الرُّقىٰ والتمائمَ والتِّوَلَةَ شركٌ**». رواه أحمد وأبو داود[(٤)].

«**التمائم**»: شيء يعلَّق علىٰ الأولاد يتقون به العين؛ لكن إذا كان المعلَّق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخِّص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود ﵁.

و«**الرقىٰ**»: هي التي تسمىٰ العزائم، وخَصَّ منها الدليلُ ما خلا من الشرك[(٥)]؛ فقد رخص فيه رسول اللَّه ﷺ من العين والحُمَة[(٦)].

---

(١) **الوَتَر**: أوتار القوس.

(٢) هذا شكٌّ من الراوي: هل القلادة من وَتَرٍ خاصةً، أو قلادة من أيِّ شيءٍ كان؟

(٣) رواه البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (١/٣٨١)، وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وأبو بكر الخلال في «السنة» (١٤٨٥)، وأبو يعلىٰ (٥٢٠٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٢٤٠)، وابن حبان (٦٠٩٠)، والحاكم (٤/٤١٧)، والطبراني في «الكبير» (٩/١٧٤)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٩/ ٣٥٠)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٣١)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٦/١١٠).

(٥) رواه مسلم (٢٢٠٠)، من حديث عوف بن مالك ﵁.

(٦) راجع الحديث في أول الباب رقم [٢].

و«**التِّوَلة**»: شيء يصنعونه؛ يزعمون أنه يحبِّب المرأة إلىٰ زوجها، والرجل إلىٰ امرأته.

وعن عبداللَّه بن عُكيم مرفوعًا: «**مَن تعلَّق شيئًا وُكل إليه**». رواه أحمد والترمذي[(١)].

وروىٰ أحمد عن رُويفع قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**يا رُويفع، لعل الحياةَ ستطولُ بك، فأخبِرِ الناسَ أن من عَقَد لحيتَه[(٢)]، أو تقلَّدَ وَتَرًا[(٣)]، أو استنجىٰ برجيع دابةٍ أو عَظْمٍ= فإن محمدًا بريءٌ منه**»[(٤)].

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (٤/٣١٠)، وابن أبي شيبة (٧/١٣)، والترمذي (٢٠٧٢)، والحاكم (٤/٢١٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/٣٨٥)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٩/٣٥١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٥٧٦)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٤٤١٩)، وابن قانع في «معجمه» (٢/١١٧)، وأشار الإمام التِّرمذي إلىٰ **ضعفه**، **وسكت عليه** الحاكم والذهبي، **وحسَّنه** الشيخ الألباني عند الترمذي، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣١/٧٨)، وعند التِّرمذي (٤/١٥٧).

(٢) **عَقْدُ اللحية**: قيل: هو معالجتها حتىٰ تنعقد وتتجعد. وقيل: كانوا يعقدونها في الحروب، فأمرهم ـ صلوات اللَّه عليه ـ بإرسالها، لما فيها من التشبه بالنساء.

(٣) **تقلد وترًا**: قال أبو عبيدة: «الأشبه أنه نَهيٌ عن تقليد الخيل أوتارَ القِسِي لئلَّا تصيبها العين، أو مخافةَ اختناقها به ـ لا سيما عند شدة الركض ـ. فأمر ﷺ بقطع الأوتار من أعناق الخيل تنبيهًا به علىٰ أنها لا تردُّ شيئًا من قدر اللَّه، وأن اللَّه هو الصارف للبلايا، والحافظ عن المكاره» اهـ. «مرقاة المفاتيح» (١/٣٨٢).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٤/١٠٩)، وأبو داود (٣٦)، والنسائي (٥٠٦٧)، وفي «الكبرىٰ» (٩٢٨٤)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٧٥٢)، =

▫ وعن سعيد بن جُبير قال: «من قطع تميمةً من إنسانٍ كان كعَدلِ رقبة». رواه وكيع[(١)].

▫ وله عن إبراهيم [النَّخَعي] قال: «كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن».

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الرقىٰ والتمائم.

الثانية: تفسير التِّولة.

الثالثة: أن هذه الثلاثَ كلَّها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحُمَة ليس من ذلك.

الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء: هل هي من ذلك أم لا؟

السادسة: أن تعليق الأوتار علىٰ الدواب من العين[(٢)] من ذلك.

السابعة: الوعيد الشديد علىٰ من تعلق وترًا.

الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمةً من إنسان.

= والطبراني في «الكبير» (٤٤٩١)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٧٨/١)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٦٨٠)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٢٧٠٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢١٩٦)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «السنن»، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٢٨/١).

(١) أي: كأنما أعتق رقبة، ولكنْ تحديدُ ثوابٍ لعملٍ ما لابد له من نصٍّ صحيح عن المعصوم ﷺ. والظاهر أن سعيدًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنما أراد تعظيم ثواب قاطع التميمة.

(٢) أي: خشية العين.

التاسعة: أن كلام إبراهيم [النَّخَعي] لا يخالف ما تقدم من الاختلاف؛ لأن مراده أصحابُ عبداللَّه بن مسعود[١].

(١) أي: ليس مراده الصحابة والتابعين عمومًا.

[٩] باب: من تبرَّك بشجرٍ أوحَجَرٍ ونحوهما

وقولِ اللَّه تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم].

عن أبي واقدٍ الليثي قال: خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ إلىٰ حُنين ـ ونحن حُدَثاءُ عهدٍ بكفر ـ، وللمشركين سِدْرةٌ يَعكُفون عندها، ويَنُوطون(١) بها أسلحتهم ـ يقال لها: ذاتُ أنواط ـ، فمررنا بسِدرةٍ؛ فقلنا: يا رسول اللَّه، اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط؛ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**اللَّه أكبر، إنها السُّنن؛ قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف]! لتَركبُنَّ سَننَ مَن كان قبلكم**». رواه الترمذي وصححه(٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النجم.

الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طَلبوا.

---

(١) **ينوطون:** يعلِّقون.

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٥/٢١٨)، والتِّرمذي (٢١٨٠)، والطيالسي (١٣٤٦)، والحميدي (٨٤٨)، وابن أبي شيبة (١٥/١٠١)، وأبو يعلىٰ (١٤٤١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٦)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (٣٧)، والطبري في «تفسيره» (٩/٤٥)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (١/١٧٢)، وابن حبان (٦٧٠٢)، والطبراني في «الكبير» (٣٢٩٢)، وقال الإمام التِّرمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عنده، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٣٦/٢٢٦).

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلىٰ اللَّه بذلك، لظنهم أنه يحبُّه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرُهم أولىٰ بالجهل.

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبي ﷺ لم يعذرهم في الأمر؛ بل رد عليهم بقوله: «**اللَّه أكبر، إنها السُّنن؛ لَتتَّبعُنَّ سَننَ مَن كان قبلكم**». فغلَّظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير، وهو المقصود: أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسىٰ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾.

التاسعة: أن نفي هذا من معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه»، مع دقَّته وخفائه علىٰ أولئك.

العاشرة: أنه حلف علىٰ الفتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر، لأنهم لم يرتدُّوا بهذا.

الثانية عشرة: قولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر»، فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك[١].

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب، خلافًا لمن كرهه.

الرابعة عشرة: سد الذرائع.

---

(١) يقصد أن غيرهم من السابقين ـ الذين ليسوا حُدثاءَ عهدٍ بكفر ـ يعلمون الحكم الشرعي، وهذا يدلُّ علىٰ فضيلة المداومة علىٰ حضور مجالس العلم، وأن من أمضىٰ فيه وقتًا طويلًا ليس كحال حديث العهد به. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

الخامسة عشرة: النهي عن التشبُّه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم.

السابعة عشرة: القاعدة الكلية لقوله: «**إنها السُّنن**»[(١)].

الثامنة عشرة: أن هذا عَلَمٌ من أعلام النبوة، لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أن كلَّ ما ذمَّ اللَّهُ به اليهودَ والنصارىٰ في القرآن أنه لنا.

العشرون: أنه متقرِّرٌ عندهم أن العبادات مبناها علىٰ الأمر، فصار فيه التنبيهُ علىٰ مسائل القبر. أما «**من ربُّك؟**» فواضح، وأما «**من نبيُّك؟**» فمن إخباره بأنباء الغيب. وأما «**ما دينُك؟**» فمن قولهم: «اجعل لنا» إلىٰ آخره.

الحادية والعشرون: أن سُنةَ أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه، لا يؤمَنُ أن يكون في قلبه بقيةٌ من تلك العادة، لقولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر».



(١) أي: عادة السابقة.

[١٠] باب: ما جاء في الذبح لغير الله

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي[١] وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر].

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: حدثني رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: «**لَعن اللَّهُ مَن ذبح لغير اللَّه. لعن اللَّهُ مَن لعن والدَيهِ. لعن اللَّهُ مَن آوىٰ مُحدِثًا؛ لَعن اللَّه من غيَّر منارَ الأرض**». رواه مسلم[٢].

وعن طارق بن شهاب: أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «**دخل الجنةَ رجلٌ في ذباب، ودخل النارَ رجلٌ في ذباب**». قالوا: وكيف ذلك ـ يا رسول اللَّه ـ؟ قال: «**مرَّ رجلانِ علىٰ قومٍ لهم صنمٌ، لا يَجُوزُه أحدٌ حتىٰ يقرِّبَ له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرِّبْ. قال: ليس عندي شيءٌ أُقرِّب. قالوا له: قرِّبْ ولو ذبابًا. فقرَّبَ ذُبابًا، فخلَّوْا سبيله؛ فدخل النار. وقالوا للآخر: قرِّب. فقال: ما كنتُ لأقرِّبَ لأحدٍ شيئًا دون اللَّه عز وجل، فضربوا عنقه؛ فدخل الجنة**». رواه أحمد[٣].

---

(١) **النُّسك**: الذبح في الحج. وقيل: الدِّين.

(٢) برقم (١٩٧٨).

(٣) **صحيح موقوفًا**: رواه أحمد في «الزهد» (١٥)، وابن أبي شيبة (١٧/ ٥٣٧)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١/٢٠٣)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٧٩٦)، والبيهقي في «شُعَب الإيمان» (٦٩٦٢)، والخطيب في «الكفاية» (١٨٥)، **وحسَّنه** محقق «الشعب» موقوفًا علىٰ سلمان الفارسي رضي الله عنه، **وصحَّحه** الشيخ دغش العجمي في تحقيقه لـ«كتاب التوحيد» ص(١٥٥)، وكذا الشيخ زائد النشيري في تحقيق «الداء والدواء» للإمام ابن القيم =



فيه مسائل:

الأولى: تفسير ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾.

الثانية: تفسير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾.

الثالثة: البداءة بلعنةِ مَن ذبح لغير اللَّه.

الرابعة: لَعنُ من لعن والديه، ومنه: أن تلعنَ والدَيِ الرجل؛ فيلعن والدَيك.

الخامسة: لعنُ من آوىٰ مُحدِثًا؛ وهو الرجل يُحدِثُ شيئًا يجب فيه حق اللَّه، فيلتجئُ إلىٰ من يُجيره من ذلك[١].

السادسة: لعن من غيَّر منار الأرض، وهي المراسيم[٢] التي تُفرق بين حقِّك وحق جارك، فتغيِّرُها بتقديم أو تأخير.

السابعة: الفرق بين لعن المعيَّن ولعن أهل المعاصي علىٰ سبيل العموم.

الثامنة: هذه القصةُ العظيمة، وهي قصة الذباب.

التاسعة: كونه دخلَ النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده؛ بل

= ص(٧٦ ـ ط: عالم الفوائد).

تنبيه: لم أقف علىٰ الحديث مرفوعًا للنبي ﷺ. وإنما ذكر أنه مرفوع الإمام ابن القيم رحمه الله في «الداء والدواء» ـ الموضع السابق ـ. والظاهر أنه وهمٌ منه. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(١) هذا بناءً علىٰ ضبط كلمة «محدِثًا» ـ بكسر الدال ـ، وقد جاءت الرواية ـ أيضًا ـ بالفتح: «محدَثًا»، أي: الحَدَث نفسه، بمعنىٰ: من تلبَّس ببدعةٍ.

(٢) **المراسيم**: الحدود.

فعله تخلُّصًا من شرهم[(١)].

العاشرة: معرفةُ قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك علىٰ القتل ولم يوافقهم علىٰ طِلْبتهم، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر.

الحادية عشرة: أن الذي دخل النار مسلم؛ لأنه لو كان كافرًا لم يقل: «دخل النار في ذباب»[(٢)].

الثانية عشرة: فيه شاهدٌ للحديث الصحيح: «**الجنة أقربُ إلىٰ أحدكم من شِراك نعله، والنارُ مثل ذلك**»[(٣)].

الثالثة عشرة: معرفةُ أن عمل القلب هو المقصود الأعظم، حتىٰ عند عَبَدةِ الأوثان.

---

(١) جاء في النسخة المحققة ـ بتحقيق الشيخ دغش العجمي ـ ص(١٥٦): «لا يُفهم من هذه المسألة أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يَعذر بالجهل مطلقًا؛ فقد قال في رسالته لأحمد بن عبدالكَريم: وغاب عنك قوله تعالىٰ في عمَّار ابن ياسر وأشباهه: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، إلىٰ قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧]، فلم يستثن اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إلَّا مَن أُكره وقلبه مطمئنٌّ بالإيمان، بشرط طمأنينة قلبه، والإكراهُ لا يكون علىٰ العقيدة، بل علىٰ القول والفعل؛ فقد صرَّح بأن من قال المكفِّر أو فعله فقد كفر، إلا المكره بالشرط المذكور؛ وذلك بسبب إيثار الدنيا لا بسبب العقيدة» اهـ. وانظر ـ أيضًا ـ شروح «كتاب التوحيد».

(٢) لأن الكافر يدخل النار بكفره أصالةً.

(٣) رواه البخاري (٦٤٨٨)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

[١١] باب: لا يُذبح لله بمكانٍ يُذبح فيه لغير الله

وقولِ اللَّه تعالىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة].

وعن ثابتِ بن الضحَّاك رضي الله عنه قال: نذر رجلٌ أن ينحر إبلًا ببُوانةَ[1]، فسأل النبيَّ ﷺ، فقال: «**هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يُعبد؟**»، قالوا: لا. قال: «**فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟**»، قالوا: لا. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أوفِ بنَذرك؛ فإنه لا وفاءَ لنذرٍ في معصيةِ اللَّه، ولا فيما لا يَملِكُ ابن آدم**». رواه أبو داود، وإسناده علىٰ شرطهما[2].

✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾[3].

---

(١) **بُوانة:** موضعٌ بقرب مكة، وهي معروفة إلىٰ اليوم بهذا الاسم، تقع بين ينبع وبين أملج علىٰ ساحل البحر.

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود (٣٣١٣)، والطبراني في «الكبير» (٢/٧٥)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٠/١٤٢)، و«الصغرىٰ» (٤/١٢٠)، و«المعرفة» (١٤/٢١٤)، **وصحَّحه** شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاقتضاء» (١/١٤٧)، وابن الملقن في «البدر المنير» (٥/٨١٩)، وابن عبدالهادي في «الصارم المنكي» (٣٠٩)، وابن حجر في «بلوغ المرام» (١٣٧٨)، وفي «التلخيص» (٤/١٨٠)، وكذا **صحَّحه** الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (٥/٢٠١).

(٣) يأتي بيانه في «قرة عيون الموحِّدين» ـ إن شاء اللَّه ـ.

الثانية: أن المعصية قد تؤثِّر في الأرض، وكذلك الطاعة.

الثالثة: رد المسألة المشكلة إلىٰ المسألة البيِّنة؛ ليزول الإشكال[١].

الرابعة: استفصال المفتي إذا احتاج إلىٰ ذلك.

الخامسة: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به، إذا خلا من الموانع.

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثنٌ من أوثان الجاهلية، ولو بعد زواله.

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيدٌ من أعيادهم، ولو بعد زواله.

الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نُذر في تلك البقعة؛ لأنه نذر معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم، ولو لم يقصده.

العاشرة: لا نذر في معصية.

الحادية عشرة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.



(١) كجمع الأدلة في الباب الواحد؛ كما أشرنا ص(٣٤).

[١٢] باب: من الشرك النذرُ لغير الله

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان].

وقوله: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وفي «الصحيح» عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**مَن نذر أن يطيع اللَّه فليُطِعْه؛ ومَن نذر أن يعصيَ اللَّه فلا يعصه**»(١).

فيه مسائل:

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية: إذا ثبت كونه عبادةً للَّه، فصَرْفُه إلىٰ غيره شرك.

الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوزُ الوفاء به.

---

(١) رواه البخاري (٦٠٠٧).

[١٣] باب: مِن الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا[١] ۝٦﴾ [الجن].

وعن خَولةَ بنتِ حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«مَن نزل مَنزلًا فقال: أعوذُ بكلمات اللَّه التاماتِ من شرِّ ما خلق، لم يضرَّه شيءٌ حتىٰ يرحلَ من منزله ذلك»**. رواه مسلم[٢].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه[٣] من الشرك.

الثالثة: الاستدلال علىٰ ذلك بالحديث؛ لأن العلماء استدلُّوا به علىٰ أن كلماتِ اللَّه غيرُ مخلوقة. قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلةُ هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعةٌ دنيويةٌ ـ من كف شرٍّ

---

(١) **الرَّهَق**: الطغيان.
قال أهل العلم: كان الإنس إذا سافروا في الصحاري، فأرادوا النزول بوادٍ استعاذوا بالجن الموجودين فيه، وقالوا: «نعوذ بسيد هذا الوادي من شرِّ سفهاء قومه»، فلما رأت الجنُّ خوف الإنس منهم زادهم هذا طغيانًا وكبرًا.

(٢) برقم (٢٧٠٨).

(٣) يعني: التعوُّذ بغير اللَّه تعالىٰ فيما لا يقدر عليه سواه جل جلاله.

أو جلب نفع ـ لا يدلُّ علىٰ أنه ليس من الشرك.

[١٤] باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله، أو يدعو غيره

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس].

وقوله: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف].

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وروىٰ الطبراني بإسناده: أنه كان في زمن النبي ﷺ منافقٌ يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيثُ برسول اللَّه ﷺ من هذا المنافق؛ فقال النبي ﷺ: «**إنه لا يُستغاثُ بي؛ إنما يستغاثُ باللَّه**»[١].

✍ فيه مسائل:

الأولى: أن عطف الدعاء علىٰ الاستغاثة من عطف العام علىٰ

---

(١) **ضعيف:** رواه أحمد (٣١٧/٥)، والطبراني في «الكبير» ـ كما في «المجمع» (٢٤٦/١٠) ـ، وابن سعد في «الطبقات» (٣٨٧/١)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٢٤٦/١٠): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير ابن لهيعة؛ وهو حسن الحديث»، **وضعَّفه** الشيخ حسين الداراني في تحقيقه (٣٩٩/٢٠)، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٨٠/٣٧).

الخاص[(١)].

الثانية: تفسير قوله: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾.

الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة: أن أصلح الناس لو فعله إرضاءً لغيره صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها.

السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا، مع كونه كفرًا.

السابعة: تفسير الآية الثالثة.

الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من اللَّه، كما أن الجنة لا تُطلب إلا منه.

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

العاشرة: أنه لا أضلَّ ممن دعا غير اللَّه.

الحادية عشرة: أنه[(٢)] غافلٌ عن دعاء الداعي، لا يدري عنه.

الثانية عشرة: أن تلك الدعوةَ سببٌ لبغض المدعوِّ للداعي، وعداوته له.

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادةً للمدعو.

الرابعة عشرة: كفر المدعوِّ بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: هي سبب كونه أضلَّ الناس.

السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة.

---

(١) لأن الاستغاثة نوع دعاء، وهي الدعاء حال الشدة والكرب.

(٢) يعني: المدعو من دون اللَّه جَلَّ شَأْنُهُ.

السابعة عشرة: الأمر العجيب، وهو إقرارُ عبدةِ الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلَّا اللَّه؛ ولأجل هذا يدْعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفىٰ ﷺ حمىٰ التوحيد، والتأدب مع اللَّه ﷻ.



[١٥] باب: قول اللَّه تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٢﴾ [الأعراف]

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ[١] ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فاطر].

وفي «الصحيح» عن أنس ﷺ قال: شُجَّ النبي ﷺ يوم أُحُد، وكُسرت رَبَاعِيَتُه[٢]، فقال: «**كيف يُفلح قومٌ شجُّوا نبيَّهم؟**»، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]»[٣].

وفيه: عن ابن عمر ﷺ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول - إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر -: «**اللهم العنْ فلانًا وفلانًا**» - بعدما يقول: «**سمع اللَّه لمن حمده، ربَّنا ولك الحمد**» -، فأنزل اللَّه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ...﴾ الآية[٤].

وفي رواية: «يدعو علىٰ صفوانَ بن أمية، وسهل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾»[٥].

---

(١) ﴿قِطْمِيرٍ﴾: القشرة الرقيقة الشفافة التي تكون علىٰ نواة التمرة.

(٢) **الرَّباعيَة** - بتخفيف الياء -: السنُّ التي بين الثنية والناب. والثنية: إحدىٰ السِّنَّين اللتين في مقدَّمة الفم.

(٣) رواه مسلم (١٧١٩)، وعلقه البخاري في «صحيحه» (قبل الحديث: ٤٠٦٩).

(٤) رواه البخاري (٤٠٦٩).

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (٢/٩٣)، والترمذي (٣٠٠٤)، والطبري في «تفسيره» =

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول اللَّه ﷺ حين أُنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]؛ فقال: «**يا معشرَ قريش ـ أو كلمةً نحوها ـ، اشترُوا أنفسكم، لا أُغني عنكم من اللَّه شيئًا. يا عباسُ بنَ عبدِالمطلب، لا أُغني عنك من اللَّه شيئًا. يا صفيةُ ـ عمةَ رسول اللَّه ﷺ ـ، لا أغني عنكِ من اللَّه شيئًا. ويا فاطمةُ بنتَ محمد، سليني من مالي ما شئتِ، لا أُغني عنكِ من اللَّه شيئًا**»[(١)].

✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أُحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين، وخلفَه ساداتُ الأولياء يؤمِّنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعوَّ عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالبُ الكفار، منها: شجُّهم نبيَّهم، وحرصُهم على قتله. ومنها: التمثيل بالقتلى، مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل اللَّه عليه في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

السابعة: قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾، فتاب عليهم فآمنوا.

= (٧٨١٩)، وقال الإمام التِّرمذي: «**حسن غريب**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عنده، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٤٨٧/٩).
والحديث رواه البخاري (٤٠٧٠)، عن سالمٍ بن عبداللَّه بن عمر رضي الله عنهم مرسلًا.

(١) رواه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).

الثامنة: القنوت في النوازل.

التاسعة: تسمية المدعوِّ عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعن المعيَّن في القنوت.

الحادية عشرة: قصته ﷺ لما أُنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

الثانية عشرة: جِدُّه ﷺ[(١)]؛ بحيث فَعل ما نُسب بسببه إلىٰ الجنون، وكذلك لو يفعله مسلمٌ الآن[(٢)].

الثالثة عشرة: قوله ﷺ للأبعد والأقرب: «**لا أُغني عنكم من اللَّه شيئًا**»، حتىٰ قال: «**يا فاطمةُ بنتَ محمد، لا أغني عنكِ من اللَّه شيئًا**». فإذا صرح ـ وهو سيد المرسلين ـ بأنه لا يُغني شيئًا عن سيدة نساء

---

(١) أي: اجتهاده في الدعوة إلىٰ اللَّه تبارك وتعالىٰ.

(٢) إي وربي، وقد روىٰ عمرُ بن صالح رحمه الله قال: «قال لي أبو عبداللَّه [أحمد بن حنبل]: يا أبا حفص، يأتي علىٰ الناس زمانٌ يكون المؤمنُ فيه بينهم مثلَ الجيفة، ويكون المنافق يشارُ إليه بالأصابع! فقلت: يا أبا عبداللَّه، وكيف يشارُ إلىٰ المنافق بالأصابع؟! فقال: يا أبا حفص، صيَّروا أمر اللَّه فضولًا! وقال: المؤمنُ إذا رأىٰ أمرًا بالمعروف أو نهيًا عن المنكر لم يصبر حتىٰ يأمر وينهىٰ، يعني قالوا: هذا فضولٌ! والمنافق كل شيء يراه قال: بيده علىٰ فمه، فقالوا: نِعمَ الرجلُ، ليس بينه وبين الفضول عمل» اهـ. «الأمر بالمعروف» للخلال ص (٣٦).

قلت: ومراد الإمام أحمد رحمه الله من «الفضول»: التطفُّل والتدخُّل فيما لا يعنيه، وهكذا حال الناس، إذا أمرهم أهلُ السنة بالحق ونهوهم عن الباطل والضلال ـ حتىٰ ولو بأعلىٰ صور الأدب والحكمة ـ، طعنوا فيهم، ونَفَروا ونفَّروا عنهم، وإذا تركهم دعاة الباطل علىٰ باطلهم مدحوهم وأثنَوا عليهم، ورفعوهم فوق الرؤوس. وللَّه الأمرُ من قبل ومن بعد.

العالمين، وآمن الإنسان أنه ﷺ لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم= تبين له التوحيدُ وغربة الدين.

[١٦] باب: قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٢٣﴾ [سبأ]

في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا قضىٰ اللَّه الأمرَ في السماء ضَربت الملائكة بأجنحتها خَضَعانًا لقوله[(١)]، كأنه سلسلةٌ علىٰ صفوان، يَنفذُهم ذلك، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾، فيسمعها مسترِقُ السمع، ومسترقُ السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيانُ بكفِّه، فحَرَفها وبدَّد بين أصابعه -، فيَسمع الكلمةَ، فيُلقيها إلىٰ من تحته، ثم يُلقيها الآخَرُ إلىٰ مَن تحته، حتىٰ يلقيَها علىٰ لسانِ الساحر أو الكاهن. فربما أدركه الشهابُ قبل أن يُلقيَها، وربما ألقاها قبلَ أن يدركه، فيكذبَ معها مِئةَ كِذبةٍ، فيقال: أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدَّقُ بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء»[(٢)].

وعن النوَّاس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا أراد اللَّهُ تعالىٰ أن يوحيَ بالأمر تكلَّم بالوحي، فأخذت السماواتِ منه رجفةٌ - أو قال: رِعدةٌ - شديدةٌ خوفًا من اللَّه عز وجل؛ فإذا سَمع ذلك أهلُ السماوات صَعِقوا، وخرُّوا للَّه سُجَّدًا. فيكون أولُ مَن يرفع رأسه جبريل عليه السلام، فيكلِّمُه اللَّهُ من وحيه بما أراد. ثم يمرُّ جبريلُ علىٰ الملائكة، كلما مر بسماءٍ سأله ملائكتُها: ماذا قال ربُّنا - يا جبريل -؟ فيقول جبريل: قال الحقَّ، وهو العليُّ الكبير، فيقولون كلُّهم مثلَما قال جبريل،

---

(١) خَضَعانًا: طاعةً وانقيادًا. وضبطت - أيضًا -: «خُضْعانًا».

(٢) رواه البخاري (٤٨٠٠).

فينتهي جبريلُ بالوحي إلىٰ حيث أمره اللَّه ﷻ»[١].

✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما فيها من الحُجة علىٰ إبطال الشرك، خصوصًا من تعلق علىٰ الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة: تفسير قوله: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبرائيل يجيبهم بعد ذلك بقوله: «قال: كذا وكذا».

السادسة: ذِكرُ أن أول من يرفع رأسه جبرائيل.

السابعة: أنه يقول [هذا] لأهل السماوات كلهم؛ لأنهم يسألونه.

---

(١) **ضعيف:** رواه الطبري في «التفسير» (٢٢/٩١)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢١٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص(٩٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/٣٢٦) وابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٥)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٥/١٥٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/٥٠٠)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٥٩١)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/٩٥): «رواه الطبراني عن شيخه يحيىٰ بن عثمان بن صالح، وقد وُثِّق، وتكلم فيه من لم يسمَّ بغير قادح معين، وبقية رجاله ثقات»، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ظلال الجنة» (٥١٥)، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «مجمع الزوائد» (١٤/٣٤٧).
ويغني عنه رواية أبي هريرة رضي الله عنه في «صحيح البخاري» (٤٨٠٠).
وعليه فعزو المصنف رحمه الله للرواية أعلاه إلىٰ «الصحيح» فيه نظر.
واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

الثامنة: أن الغَشْيَ يعمُّ أهل السماوات كلَّهم.

التاسعة: ارتجاف السماوات لكلام اللَّه.

العاشرة: أن جبرائيل هو الذي ينتهي بالوحي إلىٰ حيث أمره اللَّه.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضًا.

الثالثة عشرة: سبب إرسال الشُّهب.

الرابعة عشرة: أنه تارةً يدركه الشهاب قبل أن يلقيَها، وتارةً يُلقيها في أُذُن وليِّه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كونُ الكاهن يَصدُق بعض الأحيان.

السادسة عشرة: كونه يَكذِبُ معها مئةَ كذبة.

السابعة عشرة: أنه لم يُصدَّقْ كَذِبُه إلا بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء.

الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة، ولا يعتبرون بمئة كِذْبة؟!

التاسعة عشرة: كونهم يتلقىٰ بعضُهم من بعضٍ تلك الكلمة، ويحفظونها، ويستدلُّون بها.

العشرون: إثبات الصفات، خلافًا للمعطلة.

الحادية والعشرون: أن تلك الرجفةَ والغَشْيَ خوفٌ من اللَّه عز وجل.

الثانية والعشرون: أنهم يخرون للَّه سُجَّدًا.

[١٧] باب: الشفاعة

وقولِ اللَّه ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١].

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ].

▫ قال أبو العباس[١]: «نفىٰ اللَّهُ عما سواه كلَّ ما يتعلق به المشركون، فنفىٰ أن يكون لغيره مُلكٌ، أو قسط منه، أو يكون عونًا للَّه. ولم يبق إلا الشفاعة؛ فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الربُّ، كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]؛ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفيةٌ يوم القيامة ـ كما نفاها القرآن ـ، وأخبر النبي ﷺ: «**أنه يأتي فيسجدُ لربه ويحمده**» ـ لا يبدأ بالشفاعة أولًا ـ. ثم يقال له: «**ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفَّع**»[٢].

وقال له أبو هريرة: مَن أسعدُ الناس بشفاعتك؟ قال: «**مَن قال**:

---

(١) يعني الإمام ابن تيمية رحمه الله.

(٢) رواه البخاري (٤٤٧٩)، ومسلم (١٩٣)، من حديث أنس رضي الله عنه.

لا إلٰه إلا اللَّه خالصًا من قلبه»[(١)].

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن اللَّه، ولا تكون لمن أشرك باللَّه. وحقيقته: أن اللَّه سبحانه هو الذي يتفضَّل علىٰ أهل الإخلاص؛ فيغفر لهم بواسطة دعاء من أَذِنَ له أن يشفع، ليُكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع.

وقد بيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص». اهـ كلامه.

✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبَتة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرىٰ؛ وهي المقام المحمود.

الخامسة: صفة ما يفعله ﷺ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولًا، بل يسجد؛ فإذا أُذن له شَفَع.

السادسة: من أسعد الناس بها؟

السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك باللَّه.

الثامنة: بيان حقيقتها.

---

(١) رواه البخاري (٩٩).

[١٨] باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص]

وفي «الصحيح» عن ابن المسيَّب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالبٍ الوفاةُ جاءه رسولُ اللَّه ﷺ وعنده عبدُاللَّه بن أبي أُميَّة وأبو جهل، فقال له: «**يا عم، قل: لا إلٰه إلا اللَّه، كلمةٌ أُحاجُّ لك بها عند اللَّه**». فقالا له: أترغب عن ملةِ عبدالمطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا. فكان آخرُ ما قال: هو علىٰ ملةِ عبدالمطلب، وأبىٰ أن يقول: لا إلٰه إلا اللَّه. فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك**». فأنزل اللَّه ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة]. وأنزل اللَّه في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[(١)].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾.

الثانية: تفسير قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

الثالثة ـ وهي المسألة الكبرىٰ ـ: تفسير قوله ﷺ: «**قل: لا إلٰه إلا اللَّه**»، بخلاف ما عليه من يدعي العلم[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤)، من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه.

(٢) كالذين فسَّروها بتوحيد الربوبية: أنه لا خالق ولا رازق ولا محيي =



الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل: «**قل: لا إلٰه إلا اللَّه**»؛ فقبَّح اللَّه مَن أبو جهل أعلمُ منه بأصل الإسلام.

الخامسة: جِدُّه ﷺ ومبالغته في إسلام عمه.

السادسة: الرد علىٰ من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يُغفر له، بل نُهي عن ذلك.

الثامنة: مضرةُ أصحاب السوء علىٰ الإنسان.

التاسعة: مضرةُ تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة: الشبهة للمبطلين في ذلك؛ لاستدلال الجاهلية بذلك[(١)].

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأمُّل في كِبَر هذه الشبهة في قلوب الضالين[(٢)]؛ لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته ﷺ وتكريره؛ فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.

= ولا مميت إلا اللَّه ﷻ، وهذا ليس تفسير كلمة التوحيد؛ بل مرادها: لا معبود بحقٍّ إلا اللَّه، وهو الذي استكبر عنه المشركون.

(١) يقصد شُبهةَ المبطلين في تعظيم الأسلاف هي استدلال أبي جهل بذلك في قوله: «أترغب عن ملة عبد المطلب؟».

(٢) يقصد تعظيم الأسلاف والأكابر. أفاده وما قبله العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في «القول المفيد» (١/٣٦٠).

[١٩] باب: ما جاء في أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينَهم هو الغلوُّ في الصالحين

وقول اللَّه ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١].

▫ وفي «الصحيح» عن ابن عباس ﵄ في قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾ [نوح]؛ قال: «هذه أسماءُ رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم أنِ انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا. ولم تُعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت».

▫ وقال ابن القيم: «قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم».

وعن عمر ﵁ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تُطرُوني كما أطرتِ النصارىٰ ابنَ مريم؛ إنما أنا عبدٌ؛ فقولوا: عبدُ اللَّه ورسولُه**». أخرجاه[1].

و[عن ابن عباس ﵄][2] قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إياكم والغلوَّ؛ فإنما أهلك مَن كان قبلَكم الغلوُّ**»[3].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥)، من حديث الفاروق ﵁. وليس في «صحيح مسلم».

(٢) زيادة مني.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢١٥/١)، وابن سعد (١٨٠/٢)، والنسائي (٣٠٥٧)، وفي «الكبرىٰ» (٤٠٤٩)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأبو يعلىٰ (٢٤٢٧)، وابن الجارود (٤٧٣)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، وابن حبان (٣٨٧١)، والحاكم =

ولمسلم عن ابن مسعود ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**هلك المتنطِّعون**». قالها ثلاثًا[(١)].

فيه مسائل:

الأولى: أن من فهم هذا البابَ وبابين بعده= تبين له غربةُ الإسلام، ورأىٰ مِن قُدرة اللَّه وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أول شرك حدث في الأرض: أنه بشبهة الصالحين[(٢)].

الثالثة: أول شيءٍ غُيِّر به دين الأنبياء، وما سبب ذلك؟ مع معرفة أن اللَّه أرسلهم.

الرابعة: قبول البدع، مع كون الشرائع والفِطَر تردُّها.

الخامسة: أن سبب ذلك كلِّه مَزْجُ الحق بالباطل، فالأول: محبة الصالحين. والثاني: فِعلُ أُناسٍ من أهل العلم والدين شيئًا أرادوا به خيرًا، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: جِبلَّةُ الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد.

= (٤٦٦/١)، والطبراني (١٢٧٤٧)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٢٢٣/٢)، **وصحَّحه** الحاكم، **وأقرَّه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٥٠/٣).

وفي الباب عن غير واحدٍ من الصحابة ﷺ.

(١) رواه مسلم (٢٦٧٠).

(٢) أي: بشبهةِ محبتهم، ثم انجرَّت الأجيال التالية إلىٰ عبادتهم؛ بتقديس قبورهم، ودعائهم من دون ربِّهم جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

الثامنة: فيه شاهدٌ لما نُقل عن السلف أن البدع سبب الكفر.

التاسعة: معرفةُ الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حسُن قصدُ الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفةُ ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مضرةُ العكوف على القبر لأجل عملٍ صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة عظم شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة ـ وهي أعجب وأعجب ـ: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون اللَّه حال بينهم وبين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضلُ العبادات، واعتقدوا أن ما نهى اللَّه ورسوله عنه هو الكفر المبيح للدم والمال [فقط][1].

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوَّروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: «**لا تُطرُوني كما أطرتِ**

(١) الزيادة من عندي للإيضاح، ثم وجدتُ كلامًا مشابهًا للعلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ يؤيد ما رجَّحتُه، ولله الحمد والمنة. فانظر: «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/٣٨٩).
ولعل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يشير إلى أفعال بعض المنتسبين إلى العلم من تعظيم القبور، واستحباب الدعاء عندها، ونحو ذلك.

النصارىٰ ابن مريم». فصلوات اللَّه وسلامه علىٰ من بلَّغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريحُ بأنها لم تُعبد حتىٰ نُسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرة فَقْدِه[1].

العشرون: أن سبب فَقْدِ العلم موتُ العلماء.



(١) وبعد كلِّ هذا نرىٰ بعض من يدَّعون الفطنة والفهم يزعمون أن العلم صادٌّ للقلوب عن العبادة والتعلق باللَّه جَلَّ ثَنَاؤُهُ؛ سواءٌ بصورةٍ قولية، أو بصورةٍ فعلية؛ عن طريق هجر العلم والتعلم، وتحذير أتباعهم منه ومن أهله. نعوذ باللَّه من فتنة القلوب.

[٢٠] باب: ما جاء من التغليظ فيمن عَبَد اللهَ عند قبر رجلٍ صالح، فكيف إذا عَبَده[1]؟!

في «الصحيح» عن عائشة رضي الله عنها: أن أم سلمةَ ذكرت لرسول اللَّه ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور؛ فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجلُ الصالح أو العبد الصالح بنَوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرارُ الخلق عند اللَّه**»[2].

فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما عنها قالت: لما نَزَل[3] برسول اللَّه ﷺ، طَفِق يطرحُ خميصةً[4] له علىٰ وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفها؛ فقال ـ وهو كذلك ـ: «**لعنةُ اللَّه علىٰ اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد**». يُحذِّرُ ما صنعوا، ولولا ذلك أُبرز قبرُه، غيرَ أنه خَشي أن يُتَّخذَ مسجدًا. أخرجاه[5].

ولمسلم عن جُندُب بن عبدِاللَّه رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «**إني أبرأُ إلىٰ اللَّه أن يكون لي منكم خليل؛ فإن اللَّه قد اتخذني خليلًا ـ كما اتخذ إبراهيم خليلًا ـ. ولو**

---

(١) أي: فكيف إذا عَبَد صاحب القبر نفسه؛ وذلك بدعائه، وسؤاله قضاء الحاجات، وتفريج الكربات... ونحو ذلك؟!
(٢) رواه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨).
(٣) أي: الموت.
(٤) **الخميصة**: نوعٌ من الكساء.
(٥) رواه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٢٩).

كنتُ متخِذًا من أمَّتي خليلًا لاتخذتُ أبا بكر خليلًا. أَلَا وإنَّ مَن كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد؛ أَلَا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك»[(١)].

فقد نهىٰ عنه في آخر حياته. ثم إنه لعن - وهو في السياق - مَن فَعَله. والصلاةُ عندها من ذلك - وإن لم يُبنَ مسجد -، وهو معنىٰ قولها: «خشي أن يتخذ مسجدًا»؛ فإن الصحابة لم يكونوا ليَبنُوا حول قبره مسجدًا، وكلُّ موضع قُصدت الصلاة فيه فقد اتُّخذ مسجدًا؛ بل كل موضع يصلَّىٰ فيه يسمىٰ «مسجدًا»، كما قال ﷺ: «**جُعلت لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا**»[(٢)].

ولأحمد - بسندٍ جيد - عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «**إنَّ من شرار الناس مَن تُدرِكُهم الساعةُ وهم أحياء، والذين يتَّخذون القبورَ مساجد**». ورواه أبو حاتم في «صحيحه»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٥٣٢).

(٢) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٤٥٣/١)، وابن أبي شيبة (١٨٦/١)، وأبو يعلىٰ (٥٣١٦)، والبزار (١٧٢٤)، والشاشي (٥٢٨)، وابن خزيمة (٧٨٩)، وابن حِبَّان (٢٣٢٥)، والطبراني في «الكبير» (١٨٨/١٠)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١٧٨/١)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٦): «رواه البزار بإسنادين؛ في أحدهما عاصم بن بهدلة، وهو ثقةٌ وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح»، **وحسَّنه** الشيخ حسين الداراني في تحقيقه (٥٥٢/١٥)، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٦٠/٧)، وكذا الشيخ مشهور آل سلمان في تحقيقه لـ«إعلام الموقعين» (٢٠١/٤).

=

فيه مسائل:

الأولى: ما ذَكَر الرسول ﷺ فيمن بنىٰ مسجدًا يُعبد اللَّه فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نيةُ الفاعل.

الثانية: النهيُ عن التماثيل، فإذا اجتمع الأمران تغلَّظ الأمر.

الثالثة: العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك؛ كيف بيَّن لهم هذا أولًا، ثم قبل موته بخمسٍ قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتفِ بما تقدم.

الرابعة: نهيُه عن فعله عند قبره قبلَ أن يوجد القبر.

الخامسة: أنه من سُنن اليهود والنصارىٰ في قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنُه إياهم علىٰ ذلك.

السابعة: أن مراده ﷺ تحذيرُه إيانا عن قبره.

الثامنة: العلَّة في عدم إبراز قبره.

التاسعة: في معنىٰ اتخاذها[1] مسجدًا.

العاشرة: أنه قَرَن بين من اتخذها مساجد، وبين من تقوم عليه الساعة؛ فذكر الذريعة إلىٰ الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة: ذكر في خطبته قبل موته بخمس: الرد علىٰ الطائفتين اللتين هما شرار أهل البدع؛ بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقةً، وهم الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور؛ وهم أول من بنىٰ عليها المساجد.

= والحديث رواه البخاري (٧٠٦٧) ـ تعليقًا ـ.

(١) يعني القبور عامةً.

الثانية عشرة: ما بُلي به ﷺ من شدة النَّزع.

الثالثة عشرة: ما أُكرم به ﷺ من الخُلَّة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلىٰ من المحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصِّدِّيق رضي الله عنه أفضل الصحابة رضي الله عنهم.

السادسة عشرة: الإشارة إلىٰ خلافته رضي الله عنه.

[٢١] باب: ما جاء أن الغلوَّ في قبور الصالحين يصيِّرُها أوثانًا تُعبد من دون الله

روىٰ مالك في «الموطأ»: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**اللهم لا تجعلْ قبري وثنًا يُعبد. اشتدَّ غضبُ اللَّه علىٰ قومٍ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد**»[(١)].

▫ ولابن جرير بسنده عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ [النجم]، قال: «كان يَلُتُّ لهم السَّويقَ[(٢)]، فمات، فعكفوا علىٰ قبره».

▫ وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «كان يلُتُّ السَّويق للحاج».

▫ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسولُ اللَّه ﷺ زائراتِ القبور،

---

(١) صحيح: رواه مالك (٤١٦)، وعبدالرزاق في «المصنَّف» (١/٤٠٦)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/٢٤٠)، عن عطاء بن يسار مرسلًا، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «المشكاة» (٧٥٠).
ورواه ـ بنحوه ـ أحمد (٢/٢٤٦)، وأبو يعلىٰ (٦٦٨١)، والحميدي (١٠٥٥)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/٢٤١)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٧/٣١٧)، والبيهقي في «المعرفة» (٧٨٢٢)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٥/٤٣)، والمفضل الجندي في «فضائل المدينة» (١/٦٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «تحذير الساجد» ص(٢٣)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (١٢/٣١٤).

(٢) **السَّويق**: طعام يُتخذ من القمح والشعير وغير ذلك.

والمتخذينَ عليها المساجد والسُّرُج». رواه أهل السنن[(١)].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الأوثان.

الثانية: تفسير العبادة.

الثالثة: أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يَخاف وقوعه.

الرابعة: قرْنُه بهذا اتخاذَ قبور الأنبياء مساجد.

الخامسة: ذكر شدة الغضب من اللَّه.

السادسة ـ وهي من أهمها ـ: معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان.

---

(١) **حسن:** رواه أحمد (٢٢٩/١)، وأبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢٠٤٣)، وفي «الكبرىٰ» (٢١٨١)، وابن ماجه (١٥٧٥)، وابن حِبَّان (٣١٨٠)، والحاكم (٣٧٤/١)، والطيالسي (٢٨٥٢)، وابن الجعد في «مسنده» (١٥٠٠)، والطبراني في «الكبير» (١٤٨/١٢)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٧٢٠٦)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٤٧٤١)، **وصحَّحه** الإمامان ابن حبان، والحاكم، وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (٣٤٩/٢٤)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط ـ دون ذكر السُّرُج ـ في «المسند» (٤٧١/٣)، وعند أبي داود (١٣٩/٥)، بينما **ضعَّفه** الشيخ الألباني في «السنن»، و«الضعيفة» (٢٢٥).

تنبيهان:

الأول: وردت رواية الحديث عند بعض المخرِّجين بلفظ: «**والمتخذات عليها**» بدل: «**والمتخذين**».

الثاني: لَعْنُ زوارات ـ أو زائرات ـ القبور منسوخٌ علىٰ الأرجح، فالصحيح جواز زيارة النساء للقبور بالضوابط الشرعية. وليس هذا محلَّ التفصيل.

السابعة: معرفة أنه قبرُ رجل صالح.

الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنىٰ التسمية.

التاسعة: لعنه زوَّارات القبور.

العاشرة: لعنه من أسرجها.



[٢٢] باب: ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جَنَابَ التوحيد، وسدِّه كلَّ طريق يوصِّل إلى الشرك

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ[1] حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتَكم قُبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغُني حيث كنتم**». رواه أبو داود بإسنادٍ حسن، ورواته ثقات[2].

وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما: أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فُرجةٍ كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها، فيدعو، فنهاه، وقال: أَلَا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي، عن جدي، عن رسول اللَّه ﷺ؟ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلُّوا عليَّ؛ فإن تسليمَكم يبلغُني أين كنتم**». رواه في «المختارة»[3].

---

(١) أي: يعز عليه ما يشقُّ عليكم، فلا يريد بكم إلا اليُسر.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢/٣٦٧)، وأبو داود (٢٠٤٢)، وأبو يعلىٰ (٤٦٩)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٣٨٦٥)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٨٣)، والبزار (٥٠٩)، والطبراني في «الأوسط» (٨٠٣٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٢٦)، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٣/٣٨٥).

(٣) صحيح: رواه البخاري في «التاريخ» (٢/١٨٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/١٧٨)، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة علىٰ النبي =

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده [ﷺ] أمته عن هذا الحمىٰ غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره علىٰ وجهٍ مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثُّه علىٰ النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقرَّرٌ عندهم أنه لا يصلىٰ في المقبرة.

الثامنة: تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بَعُد، فلا حاجة إلىٰ ما يتوهَّمُه من أراد القُرب.

التاسعة: كونه ﷺ في البرزخ تُعرض أعمال أمَّته في الصلاة والسلام عليه.

= ﷺ» (٣٠)، وأبو يعلىٰ (٤٦٩)، والضياء في «المختارة» (٤٦٨)، **وصحَّحه** الإمام السخاوي في «القول البديع» ص(٢٢٨)، والشيخ الألباني في «تحذير الساجد» ص(٩٥).

[٢٣] باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يَعبُد الأوثان

وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ[١] مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف].

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لَتتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم، حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة[٢]، حتىٰ لو دخلوا جُحرَ ضبٍّ لدخلتموه[٣]**». قالوا: يا رسول اللَّه، اليهود والنصارىٰ؟ قال: «**فمن؟**». أخرجاه[٤].

ولمسلم عن ثوبانَ رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن اللَّه زَوىٰ[٥] لي الأرض، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغُ مُلكُها ما زُوي لي منها. وأُعطِيتُ الكَنزينِ الأحمرَ والأبيض. وإني سألتُ ربي لأمتي ألَّا يُهلِكَها بسَنةٍ بعامةٍ[٦]، وألَّا يُسلِّطَ عليهم عدوًّا من سوىٰ أنفسهم؛ فيستبيحَ بيضتهم[٧]. وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُردُّ، وإني**

(١) أي: هل أخبركم بشرٍّ جزاءً عند اللَّه يوم القيامة.
(٢) **القُذة**: ريشة السهم، وهي الجزء العلوي الحاد منه. والمراد: ستتبعونهم بدقةٍ متناهية.
(٣) **الضب**: حيوان صحراوي معروف.
(٤) رواه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).
(٥) **زوىٰ**: ضمَّ وجَمَع.
(٦) **السَّنة**: المجاعة.
(٧) **بيضتهم**: جماعتهم. وتطلق ـ أيضًا ـ علىٰ العِزِّ والمُلك.

أعطيتُك لأمتك ألَّا أُهلِكَهم بسَنةٍ عامة، وألَّا أُسلِّطَ عليهم عدوًّا من سوىٰ أنفسهم فيستبيحَ بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها، حتىٰ يكون بعضُهم يُهلِكُ بعضًا، ويَسبي بعضهم بعضًا»[(١)].

ورواه البَرْقاني في «صحيحه»، وزاد: «وإنما أخافُ علىٰ أمتي الأئمةَ المضلين، وإذا وقع عليهم السيفُ لم يُرفع إلىٰ يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتىٰ يَلحقَ حيٌّ من أمتي بالمشركين، وحتىٰ تَعبد فئامٌ من أمتي الأوثان. وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون؛ كلُّهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتمُ النبيين ـ لا نبي بعدي ـ. ولا تزال طائفةٌ من أمتي علىٰ الحق منصورةً؛ لا يضرُّهم مَن خذلهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتيَ أمر اللَّه تبارك وتعالىٰ»[(٢)].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

الرابعة ـ وهي من أهمها ـ: ما معنىٰ الإيمان بالجبت والطاغوت؟

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٥/٢٧٨)، وأبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وابن حِبَّان (٧٢٣٨)، والحاكم (٤/٤٤٩)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٢/٢٨٩)، وفي «الدلائل» (٤٦٤)، وأبو عوانة (٧٥٠٩)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٩/١٨١)، وفي «الدلائل» (٦/٥٢٦)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، وكذا الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٣)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٧/٧٩).

هل هو اعتقاد قلبٍ، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟

الخامسة: قولهم: إن الكفار ـ الذين يعرفون كفرهم ـ أهدىٰ سبيلًا من المؤمنين.

السادسة ـ وهي المقصودة بالترجمة ـ: أن هذا لابد أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد[(١)].

السابعة: التصريح بوقوعها ـ أعني عبادة الأوثان ـ في هذه الأمة في جموعٍ كثيرة.

الثامنة: العجب العجاب: خروج من يدعي النبوة، مثل المختار، مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحه أنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق. وفيه: أن محمدًا خاتم النبيين، ومع هذا يُصدَّق في هذا كله مع التضاد الواضح! وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة، وتبعه فئامٌ كثيرة.

التاسعة: البشارة بأن الحقَّ لا يزول بالكلية كما زال فيما مضىٰ؛ بل لا تزال عليه طائفة.

العاشرة: الآية العظمىٰ: أنهم مع قلَّتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أن ذلك الشَّرطَ إلىٰ قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيهن من الآيات العظيمة:

ـ منها: إخباره بأن اللَّه زوىٰ له المشارق والمغارب، وأخبر

---

(١) المتقدم في أول الباب.

بمعنىٰ ذلك، فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال.

- وإخباره بأنه أُعطي الكَنْزين.
- وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين.
- وإخباره بأنه مُنع الثالثة.
- وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يُرفع إذا وقع.
- وإخباره بإهلاك بعضهم بعضًا، وسَبْي بعضهم بعضًا.
- وخوفه علىٰ أمته من الأئمة المضلين.
- وإخباره بظهور المتنبِّئين في هذه الأمة.
- وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة.

وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدةٍ منها من أبعد ما يكون في العقول.

الثالثة عشرة: حصرُ الخوف علىٰ أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة: التنبيه علىٰ معنىٰ عبادة الأوثان.



[٢٤] باب: ما جاء في السِّحر

وقولِ اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[1] [البقرة: ١٠٢].

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

- قال عمر: «الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان».
- وقال جابر: «الطواغيت كهانٌ كان يَنزل عليهم الشيطانُ، في كل حيٍّ واحد».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**». قالوا: يا رسول اللَّه، وما هن؟ قال: **الشركُ باللَّه، والسحرُ، وقتلُ النفس التي حرَّم اللَّه إلا بالحق، وأكلُ الربا، وأكلُ مال اليتيم، والتولِّي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[2].

وعن جُندب مرفوعًا: «**حدُّ الساحر ضربُه بالسيف**». رواه الترمذي، وقال: «الصحيح أنه موقوف»[3].

---

(١) **الخلاق**: النصيب.

(٢) رواه البخاري (٢٧٩٢)، ومسلم (٨٩).

(٣) **ضعيف**: رواه التِّرمذي (١٤٦٠)، والحاكم (٤/٣٦٠)، والدَّارَقُطْني (٤/١٢٠)، والطبراني في «الكبير» (٢/١٦١)، والبغوي في «المعجم» (٣٦٥)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٢/٥٨٠)، وابن قانع في «معجمه» (١/١٤٤)، والرامهرمزي في «المحدِّث الفاصل» (٤٨٥)، **وضعَّفه** الترمذي، وقال الحاكم والذهبي: «**غريب صحيح**»، **وضعَّفه** الشيخ الألباني عند التِّرمذي، والشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (٣/٢٨٧).

=

▫ وفي «صحيح البخاري» عن بَجَالَةَ بنِ عَبْدَةَ قال: «كتب عمر ابن الخطاب ﷺ: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر».

▫ وصحَّ عن حفصة ﷺ: «أنها أَمرت بقتل جاريةٍ لها سحرتها، فقُتلت».

▫ وكذلك صح عن جندب ﷺ.

▫ قال أحمد: «عن ثلاثةٍ من أصحاب النبي ﷺ».

✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء.

الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما.

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

السادسة: أن الساحر يَكفُر.

السابعة: أنه يُقتل ولا يستتاب.

الثامنة: وجود هذا في المسلمين علىٰ عهد عمر، فكيف بعده؟

= وصحَّح غير واحدٍ من العلماء وقفه علىٰ جُندب ﷺ. فانظر: «الكبائر» للذهبي ص(١١)، و«الضعيفة» للألباني (١٤٤٦).

[٢٥] باب: بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قَطَنُ بن قَبيصة، عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال: «**إن العيافةَ والطَّرْقَ والطِّيَرةَ من الجِبْت**»[(١)].

- قال عوف: «العيافة: زجر الطير. والطَّرْق: الخط يُخَطُّ بالأرض».

والجبت:

- قال الحسن: «رنة الشيطان». إسناده جيد.

ولأبي داود والنسائي وابن حبان في «صحيحه» المسندُ منه[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَن اقتبس شعبةً**

---

(١) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: رواه أحمد (٣/٤٧٧)، وعبدالرزاق (١٩٥٠٢)، وأبو داود (٣٩٠٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١١٠٨)، وابن سعد (٧/٣٥)، وابن أبي شيبة (٩/٤٢)، والحربي في «الغريب» (٣/١١٧٧)، والدولابي في «الكنىٰ» (١/٨٦)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٤/٣١٢)، وابن حبان (٦١٣١)، والطبراني (١٨/٩٤١)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/١٥٨)، والبيهقي (٨/١٣٩)، وفي «الآداب» (٤٧٠)، **وحسَّنه** النووي في «رياض الصالحين» (٦٣٧)، وابن تيمية في «الفتاوىٰ» (٣٥/١٩٢)، **وجوَّده** ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/٣٦٥)، بينما **ضعَّفه** الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (٦/٥٢).

(٢) يعني أن هؤلاء رووا الحديث مقتصرين علىٰ المرفوع منه، ولم يذكروا كلام عوفٍ رحمه الله. قاله في «تيسير العزيز الحميد» (٢/٧٠٩).

من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السِّحر، زاد ما زاد[(١)]». رواه أبو داود، وإسناده صحيح[(٢)].

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**مَن عَقَد عقدةً ثم نفث فيها فقد سَحَر، ومَن سحر فقد أشرك. ومن تعلَّق شيئًا وُكل إليه**»[(٣)].

---

(١) أي: كلما زاد من علم النجوم زاد له من الإثم مثلُ إثم الساحر. كذا في «فيض القدير» (٦/ ٨٠).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢٢٧)، وابن أبي شيبة (٨/ ٦٠٢)، وأبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وعبد بن حميد (٧١٤)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١٢٥٠ ـ تهذيبي)، والطبراني في «الكبير» (١١٢٧٨)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٩٧)، **وحسَّنه** الشيخ الألباني عند أبي داود، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣/ ٤٥٤).

فائدة: جاء في تحقيق المصدر الأخير: «والمنهيُّ عنه من علم النجوم هو علمُ التأثير ، الذي يقول أصحابه: إن جميعَ أجزاء العالَم السفلي صادرٌ عن تأثير الكواكب والروحانيات، فهذا محرمٌ لا شك فيه؛ لأنه ضَرْب من الأوهام، وما سوىٰ ذلك من علم الفَلَك فتعلُّمُه مباحٌ لا حرج فيه، بل هو فرض كفايةٍ لابُدَّ أن يقوم به نَفَرٌ من المسلمين ليُرفع الإثم عن عامتِهم، قال اللَّهُ تعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ﴾ [الأنعام: ٩٧]» اهـ.

(٣) **ضعيف**: رواه النسائي (٤٠٧٩)، وفي «الكبرىٰ» (٣٥٢٨)، والطبراني في «الأوسط» (١٤٦٩)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٣٤٢)، **وضعَّفه** الذهبي في «الميزان» (٢/ ٣٧٨)، والمنذري في «الترغيب» (٤٦٠٤)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٧٠٢)، و«ضعيف الترغيب» (١٧٨٨)، وكذا **ضعَّفه** محققو «المسند» (٣١/ ٨٧).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «**أَلَا هل أنبِّئُكم ما العَضْهُ؟ هي النميمةُ، القالةُ بين الناس**». رواه مسلم[(١)].

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إن من البيان لَسِحرًا**»[(٢)].

فيه مسائل:

الأولى: أن العيافة والطَّرْق والطيرة من الجبت.

الثانية: تفسير العيافة والطرق.

الثالثة: أن علم النجوم من أنواع السحر.

الرابعة: أن العَقْد مع النفث من ذلك.

الخامسة: أن النميمة من ذلك.

السادسة: أن من ذلك بعضَ الفصاحة.

---

(١) برقم (٢٦٠٦).

(٢) رواه البخاري (٥١٤٦).

ورواه مسلم من حديث عمار رضي الله عنه (٨٦٩).

[٢٦] باب: ما جاء في الكهان ونحوهم

روىٰ مسلم في «صحيحه» عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**مَن أتىٰ عرَّافًا، فسأله عن شيءٍ فصدَّقه، لم تُقبل له صلاةٌ أربعين يومًا**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**مَن أتىٰ كاهنًا؛ فصدَّقه بما يقول، فقد كَفر بما أُنزل علىٰ محمد** ﷺ». رواه أبو داود[(٢)].

وللأربعة والحاكم ـ وقال: صحيح علىٰ شرطهما ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**من أتىٰ عرافًا أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كَفر بما أُنزل علىٰ محمد** ﷺ»[(٣)].

ولأبي يعلىٰ ـ بسندٍ جيدٍ ـ عن ابن مسعود مثله موقوفًا.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢/٤٢٩)، والبخاري في «التاريخ» (٣/١٦)، وأبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٩٦٧)، وابن ماجه (٦٣٩)، والدارمي (١١٣٦)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١١٧٦)، وفي «السنن» (٨/١٣٥)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (١١٤٢)، وابن الجارود في «المنتقىٰ» (١٠٧)، والخلال في «السنة» (١٢٥١)، **وضعَّفه** الترمذي، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، ونقل المُناوي في «فيض القدير» (٦/٢٣) **تصحيحه** عن الحافظ العراقي في «أماليه». وكذا **صحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٣٨٧)، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٦/٤٨).

(٣) صحيح: وهو بعض روايات الحديث السابق، وهذه رواية أحمد (٢/٤٢٩)، والحاكم (١/٨)، والبيهقي في «السنن» (٨/١٣٥).



وعن عِمران بن حُصين رضي الله عنه مرفوعًا: «**ليس منَّا مَن تَطيَّر أو تُطيِّر له، أو تَكهَّن أو تُكهِّن له، أو سَحر أو سُحر له. ومن أتىٰ كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمد** ﷺ». رواه البزار بإسناد جيد[(١)].

ورواه الطبراني في «الأوسط» بإسنادٍ حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «**ومن أتىٰ**...» إلىٰ آخره[(٢)].

▫ قال البغوي: «العرَّاف: الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدماتٍ يَستدلُّ بها علىٰ المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك. وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيَّبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عما في الضمير».

▫ وقال أبو العباس بن تيمية: «العراف: اسم للكاهن والمنجِّم والرمَّال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرُق».

▫ وقال ابن عباس رضي الله عنهما - في قوم يكتبون أبا جاد، وينظرون في

---

(١) صحيح: رواه البزار (٣٥٧٨)، والطبراني في «الكبير» (١٦٢/١٨)، والدولابي في «الكنىٰ» (٢٠٨٣)، **وجوَّده** المنذري في «الترغيب» (٤/ ٣٣)، وابن حجر في «فتح الباري» (٢٢٧/١٠)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١١٧/٥): «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، خلا إسحاق ابن الربيع وهو ثقة» اهـ، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢١٩٥). **وقوَّاه** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٣١٥/١١).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٢٦٢)، **وحسَّنه** الإمام المنذري في «الترغيب» (٣٣/٤)، **وصحَّحه لغيره** الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٠٤٢)، **وقوَّاه** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٣١٥/١١).

النجوم ـ: «ما أُرَىٰ مَن فَعل ذلك له عند اللَّه من خلاق».

✍ فيه مسائل:

الأولى: أنه لا يجتمع تصديقُ الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

الثانية: التصريح بأنه كفر.

الثالثة: ذكر من تُكهِّن له.

الرابعة: ذكر من تُطيِّر له.

الخامسة: ذكر من سُحر له.

السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد.

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.





[٢٧] باب: ما جاء في النُّشْرة

عن جابر رضي الله عنه: أن رسول اللَّه ﷺ سُئل عن النُّشرة؟ فقال: «هي من عمل الشيطان». رواه أحمد بسندٍ جيد، وأبو داود[(١)].

- وقال[(٢)]: «سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كلَّه».
- وفي البخاري عن قتادة: «قلت لابن المسيَّب: رجلٌ به طِبٌّ[(٣)]، أو يؤخَّذُ عن امرأته[(٤)]؛ أيُحَلُّ عنه أو ينشَّر؟ قال: لا بأس به؛ إنما يريدون به الإصلاح، أما ما ينفع فلم يُنهَ عنه» اهـ.
- وروي عن الحسن أنه قال: «لا يَحُلُّ السحرَ إلا ساحر».
- قال ابن القيم: «النشرة: حلُّ السحر عن المسحور، وهي نوعان:

أحدهما: حلٌّ بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يُحمل قول الحسن، فيتقرب الناشرُ والمنتشر إلىٰ الشيطان بما يُحب، فيُبطِلُ عمله عن المسحور.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/٢٩٤)، وأبو داود (٣٨٦٨)، وعبدالرزاق (١٩٧٦٢)، والبيهقي (٩/٣٥١)، ومعمر بن راشد في «جامعه» (١١/١٣)، وابن حبان في «الثقات» (٨/٣١٥)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٩/٣٥١)، **وجوَّده** ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/٦٣)، **وحسَّنه** ابن حجر في «الفتح» (١٠/٢٤٤)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٧٦٠)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٢/٤٠).

(٢) أي: أبو داود رحمه الله.

(٣) **الطبُّ**: السحر.

(٤) **يؤخَّذ**: يُحبس عن امرأته، فلا يستطيع جماعها.

والثاني: النُّشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة[(١)]؛ فهذا جائز».

✍ فيه مسائل:

الأولى: النهي عن النشرة.

الثانية: الفرق بين المنهيِّ عنه والمرخَّص فيه مما يزيل الإشكال.

(١) في بعض النسخ: «والأدوية، والدعوات المباحة».

[٢٨] باب: ما جاء في التطيُّر

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ [الأعراف].

وقوله: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾ [يس].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «**لا عدوىٰ ولا طِيَرة، ولا هامَةَ ولا صَفَر**». أخرجاه.

زاد مسلم: «**ولا نَوءٌ ولا غَوْل**»[(١)].

ولهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**لا عدوىٰ ولا طِيَرة، ويُعجبني الفألُ**». قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الطيبة**»[(٢)].

ولأبي داود - بسندٍ صحيح - عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: ذُكرت الطيرةُ عند رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم؛ فقال: «**أحسنُها الفأل، ولا تَرُدُّ مسلمًا؛ فإذا رأىٰ أحدُكم ما يَكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسناتِ إلا أنت، ولا يدفع السيئاتِ إلا أنت، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بك**[(٣)]»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٢) رواه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٣) في بعض النسخ: «**إلا باللَّه**».

(٤) حسن: رواه أبو داود (٣٩١٩)، وابن أبي شيبة (٥/٣١٠)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٨/٢٤٠)، وفي «الشُّعَب» (١١٢٨)، وفي «الدعوات» (٥٦٢) وابن أبي شيبة في «الأدب» (١٦٢)، والخلال في «السنة» (١٤٠٥)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٧٥٢)، وابن قانع في «المعجم» =

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه مرفوعًا: «**الطيرةُ شركٌ، الطيرة شرك، وما منا إلَّا**[(١)]، **ولكنَّ اللَّه يُذهبُه بالتوكل**». رواه أبو داود والترمذي ـ وصحَّحه ـ، وجعل آخره من قول ابن مسعود[(٢)].

ولأحمد من حديث ابن عمرو: «**مَن ردَّته الطيرةُ عن حاجته فقد أشرك**». قالوا: فما كفارةُ ذلك؟ قال: «**أن تقول: اللهم لا خيرَ إلا خيرُك، ولا طَيرَ إلا طيرُك، ولا إلٰه غيرك**»[(٣)].

= (٢٦٢/٢)، **وصحَّحه** النووي في «رياض الصالحين» (١٦٧٥)، وفيه نظر. **وضعَّفه** الشيخ الألباني عند أبي داود، بينما **حسَّنه لغيره** الشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (٦٢/٦).

تنبيه هام: وقع في نسخ كتاب «التوحيد»: «عقبة بن عامر»، وصوابه: عروة بن عامر القُرشي، وقيل: الجهني، وقد اختُلف في صحبته. وسيأتي في «قرة عيون الموحدين» في (٢٤٥/٢).

(١) أي: وما منَّا إلا يصيبه شيءٌ في قلبه من الطِّيَرة.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣٨٩/١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٠٩)، وأبو داود (٣٩١٠)، والتِّرمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وأبو يعلىٰ (٥٢١٩)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٥٨/١)، والشاشي (٦٥٥)، وابن حبان (٦١٢٢)، والحاكم (١٧/١)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٣٩/٨)، والبزار (٥٢٢٩)، والخلال في «السنة» (١٤٠٤)، **وصحَّحه** الترمذي، والحاكم، **وأقرَّه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٥٤/٦).

(٣) **حسن**: رواه أحمد (٢٢٠/٢)، وابن وهب في «الجامع» (٦٥٨)، والطبراني في «الكبير» (٣٦/١٤)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠٥/٥): «رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٠٦٥)، والشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» =

وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنه: «**إنما الطيرةُ ما أمضاك أو ردَّك**»[(١)].

فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾، مع قوله: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾.

الثانية: نفيُ العدوىٰ.

الثالثة: نفي الطيرة.

الرابعة: نفي الهامة.

الخامسة: نفي الصَّفَر.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك؛ بل مستحب.

السابعة: تفسير الفأل.

الثامنة: أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر؛ بل يُذهبه اللَّه بالتوكل.

التاسعة: ذكر ما يقول مَن وَجَده.

العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.

= (١١/٣٢٠)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١١/٣٢٦).

(١) **ضعيف:** رواه أحمد (١/٢١٣)، وابن الجوزي في «جامع المسانيد» (٦٠٤١)، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣/٣٢٧).

[٢٩] باب: ما جاء في التنجيم

▫ قال البخاري في «صحيحه»: «قال قتادة: خلق اللَّه هذه النجومَ لثلاثٍ: زينةً للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهتدىٰ بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علمَ له به» انتهىٰ.

▫ «وكره قتادةُ تعلُّمَ منازلِ القمر، ولم يرخِّص ابن عيينة فيه». ذكره حرب عنهما.

▫ ورخَّص في تعلُّم المنازل أحمدُ وإسحاق.

وعن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: مدمنُ الخمر، ومصدِّقٌ بالسِّحر، وقاطعُ الرحم**». رواه أحمد وابن حبان في «صحيحه»[(١)].

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الرد علىٰ من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذِكرُ الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدَّق بشيءٍ من السحر، ولو عرف أنه باطل.

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (٣٩٩/٤)، وأبو يعلىٰ (٧٢٤٨)، وابن حبان (٦١٣٧)، والحاكم (١٤٦/٤)، وبحشل في «تاريخ واسط» ص(١٦١)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٣٦٢)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٣٤/٣٢).



[٣٠] باب: ما جاء في الاستسقاء بالأنواء[١]

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ[٢] ۝٨٢﴾ [الواقعة].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «**أربعٌ في أمتي من أمرِ الجاهلية لا يتركونهنَّ: الفخرُ بالأحساب، والطعنُ في الأنساب، والاستسقاءُ بالنجوم، والنياحة**».

وقال: «**النائحة إذا لم تتُبْ قبل موتها تُقام يوم القيامة، وعليها سربالٌ من قَطِران[٣]، ودِرْعٌ من جَرَب[٤]**». رواه مسلم[٥].

ولهما عن زيدِ بن خالد رضي الله عنه قال: صلىٰ لنا رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية علىٰ إثرِ سماءٍ كانت من الليل[٦]، فلما انصرف أقبل علىٰ الناس، فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربُّكم؟**»، قالوا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر، فأما مَن قال: مُطِرْنا بفضل اللَّه ورحمته؛ فذلك مؤمنٌ بي، كافر بالكوكب. وأما من قال: مُطرنا بنَوءِ كذا وكذا؛ فذلك كافرٌ بي، مؤمنٌ بالكوكب**»[٧].

---

(١) **الأنواء**: منازل القمر. كانوا يزعمون أن القمر إذا نزل منزلًا من المنازل مُطروا، ونسوا رازقهم تبارك وتعالى.
(٢) أي: وتجعلون شكركم علىٰ نِعَمِنا أنكم تكذِّبون بكتابنا ونبينا صلى الله عليه وسلم.
(٣) **القطران**: مادة لزجة شديدة الاشتعال.
(٤) **الدرع**: القميص. أي: يسلَّط علىٰ أعضائها الجرب والحكَّة؛ بحيث يغطي بدنها تغطية الدرع وهو القميص.
(٥) برقم (٩٣٤).
(٦) أي: بعد أن أمطرت السماء في الليلة الماضية.
(٧) رواه البخاري (٨٤٦)، ومسلم.

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه، وفيه: «**قال بعضهم: لقد صَدَق نوءُ كذا وكذا**». فأنزل اللَّه هذه الآيات: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ[1] ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ[2] ۝٨١ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقعة]»[3].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الواقعة.

الثانية: ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية.

الثالثة: ذكر الكفر في بعضها.

الرابعة: أن من الكفر ما لا يُخرج من الملَّة.

الخامسة: قوله: «**أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر**». بسبب نزول النِّعمة.

السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع.

السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع.

الثامنة: التفطن لقوله: «**لقد صدق نوءُ كذا وكذا**».

التاسعة: إخراج العالِم للمتعلم المسألةَ بالاستفهام عنها؛ لقوله: «**أتدرون ماذا قال ربكم؟**».

العاشرة: وعيدُ النائحة.

---

(١) ﴿كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾: اللوح المحفوظ. ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾: الملائكة.

(٢) ﴿مُّدْهِنُونَ﴾: مكذِّبون كافرون.

(٣) رواه مسلم (٧٣). وليس في البخاري.

[٣١] باب: قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة]

وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

عن أنس رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يؤمنُ أحدُكم حتىٰ أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناسِ أجمعين**». أخرجاه(١).

ولهما عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاثٌ مَن كنَّ فيه وجد بهن حلاوةَ الإيمان: أن يكون اللَّهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا للَّه، وأن يكرهَ أن يعود في الكفر ـ بعد إذ أنقذه اللَّه منه ـ كما يَكرهُ أن يُقذفَ في النار**».

وفي رواية: «**لا يجد أحدٌ حلاوةَ الإيمان حتىٰ...**» إلىٰ آخره(٢).

▫ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مَن أحب في اللَّه، وأبغض في اللَّه، ووالىٰ في اللَّه، وعادىٰ في اللَّه، فإنما تنال ولاية اللَّه بذلك. ولن يجد عبدٌ طعمَ الإيمان ـ وإن كثرت صلاته وصومه ـ حتىٰ يكون كذلك؛ وقد صارت عامة مؤاخاة الناس علىٰ أمر الدنيا؛ وذلك لا يُجدي علىٰ أهله شيئًا». رواه ابن جرير.

▫ وقال ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ١٦٦﴾ [البقرة]، قال: «المودة».

---

(١) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).
(٢) رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: وجوب محبته ﷺ، وتقديمها على النفس والأهل والمال.

الرابعة: أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

الخامسة: أن للإيمان حلاوةً قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.

السادسة: أعمال القلب الأربع التي لا تُنال ولاية اللَّه إلا بها، ولا يجد أحدٌ طعمَ الإيمان إلا بها.

السابعة: فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة: تفسير ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.

التاسعة: أن من المشركين من يحب اللَّه حبًّا شديدًا.

العاشرة: الوعيد على من كانت الثمانيةُ أحبَّ إليه من دينه.

الحادية عشرة: أن من اتخذ نِدًّا تساوي محبتُه محبةَ اللَّه فهو الشرك الأكبر.



[٣٢] باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ(١) فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران]

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨].

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

وعن أبي سعيدٍ رضي الله عنه مرفوعًا: «**إن مِن ضعفِ اليقين أن تُرضيَ الناس بسخط اللَّه، وأن تحمَدَهم علىٰ رزق اللَّه، وأن تذمَّهم علىٰ ما لم يؤتِك اللَّه. إن رزقَ اللَّه لا يجرُّه حِرصُ حريص، ولا يردُّه كراهيةُ كاره**»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «**مَن التمس رضىٰ اللَّه بسخط الناس، رضي اللَّهُ عنه، وأرضىٰ عنه الناس. ومن التمس رضىٰ الناس بسخط اللَّه، سَخِط اللَّه عليه، وأسخط عليه الناس**». رواه ابن حبان في «صحيحه»(٣).

---

(١) أي: يخوفكم بأوليائه.

(٢) موضوع: رواه أبو نُعيم في «الحلية» (١٠٦/٥)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٢٠٣)، **وضعَّفه** عقبه، وحكم عليه الشيخ الألباني **بالوضع** في «الضعيفة» (١٤٨٢).

(٣) صحيح: رواه ابن حِبَّان (٢٦٧)، وعبد بن حميد (١٥٢٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٩٩)، وابن عساكر في «التاريخ» (٢٠/٥٤)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عند ابن حبان (٥١٠/١)، والشيخ الألباني في =

✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

الرابعة: أن اليقين يَضعُف ويَقوَىٰ.

الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث.

السادسة: أن إخلاص الخوف للَّه من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

= «الصحيحة» (٢٣١١).

[٣٣] باب: قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة]

وقولِه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ[١] ۝٦٤﴾ [الأنفال].

وقوله: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

▫ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبنا اللَّه ونعم الوكيل؛ قالها إبراهيم ﷺ حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ [آل عمران]» رواه البخاري[٢].

فيه مسائل:

الأولى: أن التوكل من الفرائض.

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

الثالثة: تفسير آية الأنفال.

الرابعة: تفسير الآية في آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق.

السادسة: عظم شأن هذه الكلمة.

---

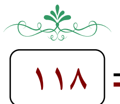
(١) أي: حسبك اللَّه، وحسبُ من اتبعك من المؤمنين.

(٢) رواه البخاري (٤٥٦٣).

السابعة: أنها قول إبراهيم ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ في الشدائد[١].

---

(١) وقد صرَّح شيء الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أنها تقال عند جلب المنافع ودفع المضار.




[٣٤] باب: قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾ [الأعراف]

وقوله: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾ [الحجر].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ سُئل عن الكبائر؟ فقال: «**الشرك باللَّه، واليأسُ من رَوح اللَّه**[1]**، والأمنُ من مكر اللَّه**»[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أكبر الكبائر: الإشراكُ باللَّه، والأمنُ من مكر اللَّه، والقنوطُ من رحمة اللَّه، واليأسُ من رَوح اللَّه». رواه عبدالرزاق.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الأعراف.

الثانية: تفسير آية الحِجْر.

الثالثة: شدة الوعيد فيمن أَمِن مكر اللَّه.

الرابعة: شدة الوعيد في القنوط.

---

(١) **الرَّوْح**: الرحمة.

(٢) **حسن**: رواه البزار (١٠٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/٩٣١)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٠٥١).

[٣٥] باب: من الإيمان بالله الصبرُ على أقدار الله

وقوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١١﴾ [التغابن].

▫ قال علقمة: «هو الرجل تصيبُه المصيبة، فيعلم أنها من عند اللَّه، فيرضىٰ ويسلِّم».

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ﵁ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**اثنتانِ في الناس هما بهم كفرٌ: الطعنُ في النسب، والنياحةُ علىٰ الميت**»[(١)].

ولهما عن ابن مسعود ﵁ مرفوعًا: «**ليس منَّا مَن ضرب الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوىٰ الجاهلية**»[(٢)].

وعن أنس ﵁ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا أراد اللَّهُ بعبده الخير عجَّلَ له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشرَّ أمسك عنه بذَنْبه حتىٰ يوافيَ به يومَ القيامة**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٦٧).

(٢) رواه البخاري (١٢٩٧)، ومسلم (١٠٣).

(٣) صحيح: رواه التِّرمذي (٢٣٩٦)، وأبو يعلىٰ (٤٢٥٤)، والحاكم (٤/ ٦٠٨)، وابن عدي في «الكامل» (٣/٣٥٥)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤٣٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٠٥٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣١٦)، وابن بشران في «الأمالي» (١٠٦)، **وحسَّنه** التِّرمذي، **وسكت عليه** الحاكم والذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٢٢٠)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عند التِّرمذي (٤/٤٠٤).



وقال ﷺ: «**إنَّ عِظمَ الجزاء مع عظم البلاء، وإن اللَّه تعالىٰ إذا أحب قومًا ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضىٰ، ومن سخط فله السُّخط**». حسنه الترمذي[(١)].

✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية التغابن.

الثانية: أن هذا من الإيمان باللَّه.

الثالثة: الطعن في النسب.

الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوىٰ الجاهلية.

الخامسة: علامة إرادة اللَّه بعبده الخير.

السادسة: علامة إرادة اللَّه به الشر.

السابعة: علامة حب اللَّه للعبد.

الثامنة: تحريم السخط.

التاسعة: ثواب الرضىٰ بالبلاء.

---

(١) **حسن:** رواه التِّرمذي (بعد الحديث: ٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، وأبو يعلىٰ (٤٢٢٢)، وابن عدي في «الكامل» (٣/٣٥٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١١٢١)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٩٣٢٥)، وابن بشران في «الأمالي» (٢٤٤)، من حديث أنس رضي الله عنه، **وحسَّنه** الترمذي، والشيخ الألباني عنده، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط ثَمَّ (٤/٤٠٥)، وكذا محقق «الشعب» (١٢/٢٣٤).

[٣٦] باب: ما جاء في الرياء

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**قال تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاءِ عن الشرك؛ من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري، تركتُه وشِرْكَه**». رواه مسلم[(١)].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا: «**ألا أُخبرُكم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيح الدجال؟**». قالوا: بلىٰ ـ يا رسول اللَّه ـ. قال: «**الشركُ الخفي؛ يقومُ الرجلُ فيصلي، فيزيِّنُ صلاتَه لما يرىٰ مِن نظر رجل**». رواه أحمد[(٢)].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الكهف.

الثانية: الأمر العظيم في ردِّ العمل الصالح إذا دخله شيءٌ لغير اللَّه.

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك؛ وهو كمال الغنىٰ.

---

(١) برقم (٢٩٨٥).

(٢) **حسن:** رواه أحمد (٣/٣٠)، وابن ماجه (٤٢٠٤)، والحاكم (٤/٣٢٩)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٦٤١٣)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٦٤١٣)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وحسَّنه** الإمام البوصيري والشيخ الألباني عند ابن ماجه. **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٧/٣٥٤)، وعند ابن ماجه (٥/٢٩١).

الرابعة: أن من الأسباب: أنه تعالىٰ خيرُ الشركاء.

الخامسة: خوف النبي ﷺ علىٰ أصحابه من الرياء.

السادسة: أنه فسَّر ذلك بأن يصلي المرء للَّه، لكن يزينها لما يرىٰ من نظر رجل إليه.



[٣٧] باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقوله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ[١] ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «تَعِس عبدُ الدينار، تَعِس عبدُ الدرهم، تَعِس عبدُ الخميصة[٢]، تَعِس عبدُ الخميلة[٣]، إن أُعطي رضيَ، وإن لم يُعطَ سخط؛ تَعِس وانتكس، وإذا شِيك فلا انتُقش. طوبىٰ لعبدٍ آخذٍ بعِنان فرسه[٤] في سبيل اللَّه، أشعثَ رأسُه، مغبرَّةٌ قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة[٥]، إن استأذن لم يؤذَن له، وإن شَفَع لم يُشفَّع»[٦].

فيه مسائل:

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبدَ الدينار والدرهم والخميصة.

---

(١) ﴿يُبْخَسُونَ﴾: يُنقصون.
(٢) **الخميصة**: ثوب مربع من صوف أو حرير.
(٣) **الخميلة**: ثوب له خملٌ وأهداب.
(٤) **العِنان**: اللجام.
(٥) **الساقة**: مؤخرة الجيش.
(٦) رواه البخاري (٢٨٨٧).

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أُعطي رضي، وإن لم يُعطَ سخط.

الخامسة: قوله: «**تعس وانتكس**».

السادسة: قوله: «**وإذا شيك فلا انتقش**».

السابعة: الثناء علىٰ المجاهد الموصوف بتلك الصفات.



[٣٨] باب: من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله؛ فقد اتخذهم أربابًا من دون الله

▫ وقال ابن عباس: «يوشك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء، أقول: قال رسول اللَّه ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!».

▫ وقال الإمام أحمد: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته؛ يذهبون إلىٰ رأي سفيان! واللَّه تعالىٰ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك؛ لعله إذا ردَّ بعض قوله [ﷺ] أن يقع في قلبه شيءٌ من الزَّيْغ فيَهلِك».

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة]، فقلت له: إنا لسنا نعبدُهم. قال: «**أليس يُحرِّمون ما أحلَّ اللَّهُ فتحرِّمونه؟ ويُحلُّون ما حرَّم اللَّه فتحلُّونه؟**»، فقلت: بلىٰ. قال: «**فتلك عبادتُهم**». رواه أحمد والترمذي وحسَّنه[١].

---

(١) حسن: رواه التِّرمذي (٣٠٩٥)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/١٧٨٤)، وابن جرير في «تفسيره» (١٠/١١٤)، وابن سعد في «الطبقات» (١/٦٥١)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١٥٧٤ ـ تهذيبي)، والطبراني في «الكبير» (١٧/٩٢)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٠/١٩٨)، وفي «المدخل» (٢٦١)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/١٢٩)، وقال الإمام التِّرمذي: =

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النور.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: التنبيه علىٰ معنىٰ «العبادة» التي أنكرها عديٌّ.

الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تغيُّر الأحوال إلىٰ هذه الغاية؛ حتىٰ صار عند الأكثر عبادةُ الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمىٰ «الولاية»، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الحال إلىٰ أن عُبد من دون اللَّه من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنىٰ الثاني مَن هو من الجاهلين.



= «**غريب**»، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عند التِّرمذي (٥/٣٢٧)، بينما **حسَّنه** الشيخ الألباني عنده ـ أيضًا ـ. وسيأتي نص الحديث عدة مراتٍ ـ إن شاء اللَّه ـ.

[٣٩] باب: قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢)﴾ [النساء]

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١)﴾ [البقرة].

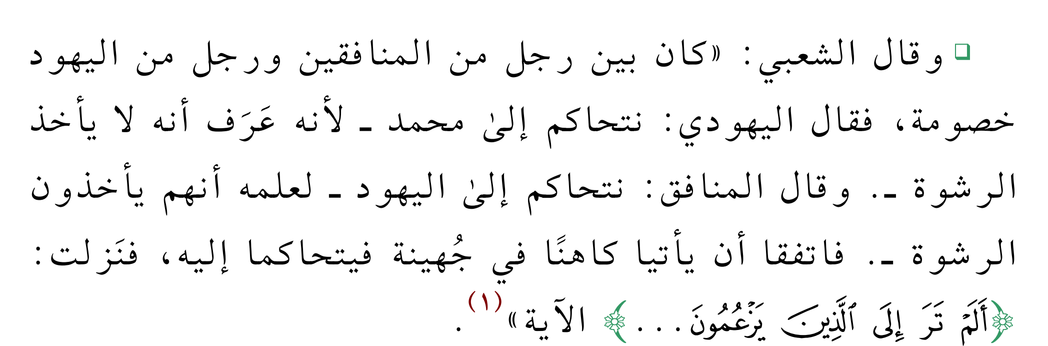
وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)﴾ [المائدة].

عن عبداللَّه بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يؤمِنُ أحدُكم حتىٰ يكون هواه تَبَعًا لما جئتُ به**». قال النووي: «حديث صحيح، رُوِّيناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح»[(١)].

---

(١) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/٢١)، والبَغوي في «شرح السنة» (١٠٤)، وابن بطة في «الإبانة» (٢٧٩)، والسلفي في «معجم السفر» (١٢٦٥)، **وصحَّحه** النووي في «الأربعين» (٢/٣٩٣) ـ مع «جامع العلوم» ـ، وكذا الشيخ أحمد شاكر في التعليق علىٰ «عمدة التفاسير» ـ كما في التعليق علىٰ «محاسن التأويل» (٢/٣٧٢) ـ، **وصحَّحه** الشيخ عبدالرحيم الطحَّان ـ كما سَمعتُه من بعض =



▫ وقال الشعبي: «كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلىٰ محمد ـ لأنه عَرَف أنه لا يأخذ الرشوة ـ. وقال المنافق: نتحاكم إلىٰ اليهود ـ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ـ. فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جُهينة فيتحاكما إليه، فنَزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ...﴾ الآية»[(١)].

▫ وقيل: «نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلىٰ النبي ﷺ، وقال الآخر: إلىٰ كعب بن الأشرف. ثم ترافعا إلىٰ عمر رضي الله عنه، فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرضَ برسول اللَّه ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله»[(٢)].

= مُحاضراته ـ، وكذا سَمعتُ من الشيخ محمد بن إسماعيل المقدِّم أن الحديث **مقبول**. **وضعَّفه** آخرون. فانظر كلام الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/٢٩٣)؛ ومن الجدير بالذِّكر أنَّ الشيخ أحمد شاكر لم يوافق علىٰ تعليل الحافظ ابن رجب للحديث؛ كما في التعليق علىٰ «محاسن التأويل» في الموضع السابق. وممن **ضعَّفه** ـ أيضًا ـ الشيخ بشار عواد في تحقيق «تاريخ بغداد» (٦/٢١).

(١) ضعيف: رواه إسحاق بن راهويه في «تفسيره»، والواحدي في «أسباب النزول» ص(١٠٧)، والطبري في «تفسيره» (٥/٩٦)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٧١١)، **وإسناده ضعيف**. وانظر: «الاستيعاب في بيان الأسباب» (١/٤١٨).

(٢) موضوع: رواه الثعلبي في «تفسيره»؛ كما في «الفتح السماوي» (٢/٤٩٧)، و«تخريج أحاديث الكشاف» (١/٣٣٠)، و«العجاب» (٢/٩٠٣)، وحكم عليه **بالوضع** الشيخان سليم الهلالي ومحمد موسىٰ آل نصر في «الاستيعاب في بيان الأسباب» (١/٤٢٤).

✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء، وما فيها من الإعانة علىٰ معرفة فهم الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ الآية.

الثالثة: تفسير آية الأعراف: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا...﴾.

الرابعة: تفسير ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ...﴾.

الخامسة: ما قال الشعبي في سبب نزول الآية الأولىٰ.

السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

السابعة: قصة عمر مع المنافق.

الثامنة: كونُ الإيمان لا يحصل لأحدٍ حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ.





[٤٠] باب: من جحد شيئًا من الأسماء والصفات

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ[١] ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد].

- وفي «صحيح البخاري»: «قال عليٌّ: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّب اللَّهُ ورسولهُ؟»[٢].

- وروىٰ عبدالرزاق، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه: عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنه رأىٰ رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات ـ استنكارًا لذلك ـ، فقال: ما فَرَقُ هؤلاء[٣]؟ يجدون رِقةً عند مُحكَمِه، ويَهلِكون عند متشابهه؟!» انتهىٰ.

ولما سمعت قريش رسول اللَّه ﷺ يذكر «الرَّحمٰن» أنكروا ذلك، فأنزل اللَّه فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾[٤].

فيه مسائل:

الأولى: عدم الإيمان بجحد[٥] شيء من الأسماء والصفات.

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع.

---

(١) ﴿مَتَابِ﴾: توبتي ومرجعي.
(٢) رواه البخاري (١٢٧).
(٣) أي: لماذا يخافون ويفزعون؟
(٤) انظر: «صحيح مسلم» (١٧٨٤).
(٥) أي: مع جحد.

الرابعة: ذكر العلة: أنه يُفضي إلىٰ تكذيب اللَّه ورسوله، ولو لم يتعمد المُنكِر.

الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئًا من ذلك، وأنه أهلكه.

[٤١] باب: قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٣﴾ [النحل]

▫ قال مجاهد ما معناه: «هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي».

▫ وقال عون بن عبداللَّه: «يقولون: لولا فلان لم يكن كذا».

▫ وقال قتيبة: «يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا».

▫ وقال أبو العباس ـ بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: «**إن اللَّه تعالىٰ قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر...**» الحديث وقد تقدم[1] ـ: «وهذا كثيرٌ في الكتاب والسنة، يذمُّ سبحانه من يضيف إنعامه إلىٰ غيره ويشرك به. قال بعض السلف: «هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملَّاح حاذقًا»، ونحو ذلك مما هو جارٍ علىٰ ألسنةِ كثير».

فيه مسائل:

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

الثانية: معرفة أن هذا جارٍ علىٰ ألسنة كثير.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة.

الرابعة: اجتماع الضدين في القلب.

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

[٤٢] باب: قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة]

▫ قال ابن عباس في الآية: «الأنداد: هو الشرك، أخفىٰ من دبيب النمل علىٰ صفاةٍ سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن يقول: واللَّه وحياتِك يا فلان، وحياتي. ويقول: لولا كلبةُ هذا لأتانا اللصوص. ولولا البطُّ في الدار لأتانا اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء اللَّه وشئت. وقول الرجل: لولا اللَّه وفلان. لا تجعل فيها فلانًا؛ هذا كلُّه به شرك». رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**مَن حَلَف بغير اللَّه فقد كفر أو أشرك**». رواه الترمذي، وحسنه، وصححه الحاكم[(١)].

▫ وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لَأَنْ أحلف باللَّه كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا»[(٢)].

وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا تقولوا: ما شاء اللَّهُ وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء اللَّهُ ثم شاء فلان**». رواه أبو داود بسندٍ

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/١٢٥)، وأبو داود (٣٢٥١)، والتِّرمذي (١٥٣٥)، وابن حبان (٤٣٥٨)، والحاكم (٤/٢٩٧)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٠/ ٢٩)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، **وحسَّنه** الترمذي، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وأعلَّه** غيرهم. **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «السنن»، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٥/١٥٥).

(٢) لأن الحلف باللَّه كاذبًا معصية، بينما الحلف بغيره ـ ولو صادقًا ـ شركٌ، وهو أعظم من الكبائر.



صحيح[(١)].

▫ وجاء عن إبراهيم النَّخَعي: «أنه يكره أن يقول الرجل: أعوذ باللَّه وبك. ويجوز أن يقول: باللَّه ثم بك. قال: ويقول: لولا اللَّه ثم فلان؛ ولا تقولوا: لولا اللَّه وفلان».

✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية: أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعمُّ الأصغر.

الثالثة: أن الحَلِف بغير اللَّه شرك.

الرابعة: أنه إذا حلف بغير اللَّه صادقًا؛ فهو أكبر من اليمين الغموس[(٢)].

الخامسة: الفرق بين «الواو» و«ثم» في اللفظ.



---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/٣٨٤)، والطيالسي (٤٣٠)، وأبو داود (٤٩٨٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٧٥٥)، وفي «عمل اليوم» (٩٨٥)، والبيهقي في «السنن» (٣/٢١٦)، وفي «الأسماء والصفات» ص(١٤٤)، و«الاعتقاد» ص(١٥٦)، والدينوري في «المجالسة» (٢٠٠٥ ـ تهذيبي)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٧)، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٨/٣٠٠)، والشيخ مشهور في «المجالسة» (٥/١٦١).

(٢) **الغموس**: الكاذبة. وسميت بذلك لأنها تغمسُ صاحبها في الإثم، ثم في النار، إلَّا أن يعفوَ العزيزُ الغفار.

[٤٣] باب: ما جاء فيمن لم يَقنَع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تَحلِفوا بآبائكم. مَن حَلَف باللَّه فلْيَصدُقْ؛ ومن حُلِف له باللَّه فلْيَرْضَ؛ ومن لم يرضَ فليس من اللَّه**» رواه ابن ماجه بسند حسن[(١)].

✍ فيه مسائل:

الأولى: النهيُ عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له باللَّه أن يرضىٰ.

الثالثة: وعيدُ من لم يَرضَ[(٢)].

---

(١) **صحيح:** رواه ابن ماجه (٢١٠١)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٨١/١٠)، **وحسَّنه** الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٥٣٥/١١)، وقال الإمام البوصيري في «الزوائد»: «**رجاله ثقات**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني ثَمَّ، **وقوَّاه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (٢٤٠/٣).

(٢) وهذا والذي قبله يراد منه: مع من لم يكن معلومًا بالكذب، فإن كان معلومًا بالكذب فلا يُصدَّق مهما حلف؛ إلا أن يظهر صدقُه.

[٤٤] باب: قول: «ما شاء الله وشئت»

عن قُتيلة [رَضِيَ اللهُ عَنْهَا]: أن يهوديًّا أتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: إنكم تشركون؛ تقولون: ما شاء اللَّه وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «**وربِّ الكعبة**»، وأن يقولوا: «**ما شاء اللَّه ثم شئت**». رواه النسائي وصححه[(١)].

وله ـ أيضًا ـ عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء اللَّه وشئت. فقال: «**أجعلتني للَّه ندًّا؟! [بل] ما شاء اللَّهُ وحده**»[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٦/٣٧٢)، والنسائي (٣٧٧٣)، وفي «الكبرىٰ» (٤٦٩٦)، وابن سعد في «الطبقات» (٨/٣٠٩)، والطبراني في «الكبير» (٢٥/٥)، والحاكم (٤/٢٩٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٤٠٨)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٣٨)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٧٨١٥)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، وكذا الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٨/٧٩)، والشيخ الألباني عند النسائي، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٤٥/٤٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١/٢٨٣)، وابن أبي شيبة (١٠/٣٤٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٧٥٩)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٩٨٨)، وابن ماجه ـ بلفظٍ مغاير ـ (٢١١٧)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٣٥)، والطبراني في «الكبير» (١٣٠٠٦)، والبيهقي (٣/٢١٧)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٤/٩٩)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، **وحسَّنه** الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٣/١٢٨)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند ابن ماجه، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣/٣٣٩).

ولابن ماجه عن الطفيل ـ أخي عائشةَ لأمها ـ قال: رأيتُ[1] كأني أَتيتُ علىٰ نفرٍ من اليهود، قلتُ: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزيرٌ ابن اللَّه. قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء اللَّه وشاء محمد. ثم مررتُ بنفرٍ من النصارىٰ، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيحُ ابن اللَّه. قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء اللَّه وشاء محمد. فلما أصبحتُ أخبرتُ بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: «**هل أخبرتَ بها أحدًا؟**»، قلت: نعم. قال: فحمد اللَّه، وأثنىٰ عليه، ثم قال: «**أما بعد، فإن طفيلًا رأىٰ رؤيا أَخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعُني كذا وكذا أن أنهاكم عنها**[2]**، فلا تقولوا: ما شاء اللَّه وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء اللَّه وحده**»[3].

---

(١) يعني في المنام.

(٢) أي: كان يمنعه الحياء ـ كما ورد في روايةٍ أخرىٰ ـ، وهذا الحياء منه ﷺ ليس حياءً من الإنكار عليهم؛ بل كان ﷺ يكرهها، لكن يستحيي أن يذكرها؛ لأنه لم يؤمر بإنكارها، فلما جاء الأمر الإلٰهي بالرؤيا الصالحة أنكرها، ولم يستحِ في ذلك. أفاده في «تيسير العزيز الحميد» (٥٢٥).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٧٢/٥)، والبخاري ـ معلقًا ـ في «التاريخ الكبير» (٣٦٣/٤)، وابن ماجه (٢١١٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٧٤٣)، وابن قانع في «معجمه» (٥٠/٢)، والحاكم (٤٦٣/٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٢٢/٧)، والخطيب في «موضح الأوهام» (٣٠٣/١)، والحازمي في «الاعتبار» ص(٢٤٢)، والطبراني في «الكبير» (٨٢١٤)، من حديث الطفيل بن سخبرة رضي الله عنه، وقال الإمام البوصيري في «زوائد =

فيه مسائل:

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوًىٰ[(١)].

الثالثة: قوله ﷺ: «**أجعلتني للَّه ندًّا؟**»، فكيف بمن قال:

يا أكرمَ الخلقِ مَن لي ألُوذُ بهِ   سواكَ عند حلولِ الحادث العممِ

والبيتين بعده[(٢)]؟!

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله: «يمنعني كذا وكذا».

الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

السادسة: أنها قد تكون سببًا لشرع بعض الأحكام.

= ابن ماجه»: «**رجاله ثقات علىٰ شرط البخاري**». **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند ابن ماجه، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٤/٢٩٦).

(١) أي: إذا كان له هوًىٰ في شيءٍ فَهِمَه.

(٢) سيأتي الكلام عليه في: «بيان المحجة في الرد علىٰ صاحب اللجة».

[٤٥] باب: من سَبَّ الدهر فقد آذى الله

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية].

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**قال تعالىٰ: يؤذيني ابنُ آدم؛ يَسُبُّ الدهر، وأنا الدهر؛ أقلِّبُ الليل والنهار**».

وفي رواية: «**لا تسبُّوا الدهر؛ فإن اللَّه هو الدهر**»(١).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سبِّ الدهر.

الثانية: تسميته: أذًىٰ للَّه(٢).

الثالثة: التأمل في قوله: «**فإن اللَّه هو الدهر**».

الرابعة: أنه قد يكون سابًّا، ولو لم يقصده بقلبه.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٢) والأذىٰ من ناحية أن السابَّ يُسمعُه تعالىٰ ما يُغضبه ويكرهه.

[٤٦] باب: التسمي بـ«قاضي القضاة» ونحوه

في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أخنعَ اسم عند اللَّه رجلٌ تسمَّىٰ: «مَلِكَ الأملاك». لا مالك إلا اللَّه».

قال سفيان: مثل «شاهان شاه».

وفي رواية: «أغيظُ رجلٍ علىٰ اللَّه يوم القيامة وأخبثُه»[1].

قوله: «أخنع»: يعني: أوضع[2].

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن التسمي بـ«مَلِك الأملاك».

الثانية: أن ما في معناه مثله، كما قال سفيان.

الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة: التفطن أن هذا لإجلال اللَّه سبحانه.



(١) رواه البخاري (٦٢٠٥)، ومسلم (٢١٤٣).
(٢) أي: أشد اتضاعًا وحقارةً.

[٤٧] باب: احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شُريح أنه كان يُكنىٰ أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «**إن اللَّه هو الحَكَم، وإليه الحُكم**». فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيءٍ أتَوني، فحكمتُ بينهم، فرضي كِلا الفريقين. فقال: «**ما أحسنَ هذا! فما لك من الولد؟**». قال: شريحٌ ومسلم وعبدُاللَّه. قال: «**فمن أكبرهم؟**»، قلت: شريح. قال: «**فأنت أبو شريح**». رواه أبو داود وغيره[1].

فيه مسائل:

الأولى: احترام أسماء اللَّه وصفاته، ولو كلامًا لم يقصد معناه.

الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٢/٨)، وفي «الأدب المفرد» (٨١١)، وأبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٥٣٨٧)، وفي «الكبرىٰ» (٥٩٠٧)، وابن حِبَّان (٥٠٤)، والحاكم (٢٤/١)، والدولابي في «الكُنىٰ» (٧٤/١)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٤٥/١٠)، وفي «الأسماء والصفات» (١٣٤)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٣٧٤٩)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند أبي داود، **وجوَّده** الشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (٣٠٩/٧).

[٤٨] باب: من هزل بشيء فيه ذِكرُ الله أو القرآن أو الرسول

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة].

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ أنه قال رجلٌ في غزوة تبوك: «ما رأينا مثلَ قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسُنًا، ولا أجبنَ عند اللقاء ـ يعني رسول اللَّه ﷺ وأصحابه القراء[١] ـ. فقال له عوف ابن مالك: كذبتَ، ولكنك منافق، لأخبرن رسول اللَّه ﷺ. فذهب عوفٌ إلىٰ رسول اللَّه ﷺ ليخبره، فوجد القرآنَ قد سبقه. فجاء ذلك الرجلُ إلىٰ رسول اللَّه ﷺ ـ وقد ارتحل وركب ناقته ـ، فقال: يا رسول اللَّه، إنما كنا نخوضُ، ونتحدث حديث الرَّكْب نقطع به عنا الطريق.

قال ابن عمر رضي الله عنه: كأني أنظر إليه متعلقًا بنِسعةِ[٢] ناقةِ رسول اللَّه ﷺ، وإن الحجارة تنكُبُ رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول له رسول اللَّه ﷺ: «﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة]»، ما يلتفتُ إليه وما يزيده عليه»[٣].

---

(١) **القرَّاء**: العلماء.

(٢) **النِّسعة**: التي تُربط علىٰ صدر البعير.

(٣) **حسن**: رواه الطبري في «تفسيره» (١١٩/١٠)، وابن أبي حاتم (٦٤/٤)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، **وحسَّنه** الشيخ مقبل الوادعي في «الصحيح =

فيه مسائل:

الأولى ـ وهي العظيمة ـ: أن من هزل بهذا أنه كافر.

الثانية: أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنًا من كان.

الثالثة: الفرق بين النميمة، وبين النصيحة للَّه ولرسوله.

الرابعة: الفرق بين العفو الذي يحبُّه اللَّه، وبين الغلظة علىٰ أعداء اللَّه.

الخامسة: أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يُقبل.

= المسند من أسباب النزول» ص(٧١).

[٤٩] باب: باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ [فصلت]

- قال مجاهد: «هذا بعملي، وأنا محقوقٌ به[1]».
- وقال ابن عباس: «يريد: من عندي».

وقولِه: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨].

- قال قتادة: «علىٰ علمٍ مني بوجوهِ المكاسب».
- وقال آخرون: «علىٰ علمٍ من اللَّه أني له أهل».
- وهذا معنىٰ قول مجاهد: «أوتيته علىٰ شرف».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن ثلاثةً من بني إسرائيل أبرصَ وأقرعَ وأعمىٰ؛ أراد اللَّه أن يبتليَهم، فبعث إليهم ملَكًا، فأتىٰ الأبرص، فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسن، وجلدٌ حسن، ويَذهب عني الذي قد قَذِرني الناسُ به» قال: «فمسحه، فذهب عنه قَذَرُه، فأُعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا. قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل أو البقر** ـ شك إسحاق ـ، **فأُعطي ناقةً عُشَراء[2]، وقال: بارك اللَّه لك فيها**».

قال: «**فأتىٰ الأقرع، فقال: أي شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: شعرٌ حسن،**

---

(١) أي: أستحقُّه.
(٢) عشراء: التي تمَّ لحملها عشرةُ أشهر.

ويذهبُ عني الذي قد قَذِرني الناس به[١]. فمسحه، فذهب عنه، وأُعطي شعرًا حسنًا، فقال: أي المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر أو الإبل. فأُعطي بقرةً حاملًا، وقال: بارك اللَّه لك فيها.

فأتىٰ الأعمىٰ، فقال: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: أن يَرُدَّ اللَّه إليَّ بصري فأُبصرَ به الناس. فمسحه، فردَّ اللَّهُ إليه بصره، قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنم، فأُعطي شاةً والدًا.

فأنتج هذانِ، وولَّد هذا؛ فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم».

قال: «ثم إنه أتىٰ الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجلٌ مسكين؛ قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا باللَّه ثم بك. أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيرًا أتبلغُ به في سفري. فقال: الحقوقُ كثيرة. فقال: كأني أعرفُك، ألم تكن أبرص يقذركُ الناس فقيرًا، فأعطاك اللَّه ﷻ المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المالَ كابرًا عن كابر. فقال: إن كنتَ كاذبًا فصيَّرك اللَّهُ إلىٰ ما كنتَ.

وأتىٰ الأقرع في صورته، فقال له مثلَما قال لهذا، ورد عليه مثلَما رد عليه هذا. فقال: إن كنتَ كاذبًا فصيرك اللَّه إلىٰ ما كنت».

قال: «وأتىٰ الأعمىٰ في صورته، فقال: رجلٌ مسكين وابن سبيل،

---

(١) قد يقول قائل: معلومٌ أن «الصَّلَع» أمرٌ قَدَري يصيب كثيرًا من الرجال، فكيف يستقذر الناس إنسانًا لا شعر له؟
والجواب: أن المراد من الحديث القَرَع الذي يصيب بعض أجزاء الرأس لمرضٍ أو نحوه، وليس الصلع المعهود المعتاد. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا باللَّه ثم بك. أسألُك بالذي ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنتُ أعمىٰ فردَّ اللَّه إليَّ بصري، فخُذ ما شئت، ودع ما شئت، فواللَّهِ لا أَجهَدُك اليوم بشيءٍ أخذتَه للَّه. فقال: أمسِك مالَك؛ فإنما ابتُليتم؛ فقد رضي اللَّه عنك، وسخط علىٰ صاحبيك». أخرجاه[(١)].

✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما معنىٰ: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾؟

الثالثة: ما معنىٰ قوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾؟

الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

[٥٠] باب: قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف]

▫ قال ابن حزم: «اتفقوا علىٰ تحريم كل اسم معبَّدٍ لغير اللَّه؛ كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك؛ حاشا عبد المطلب».

▫ وعن ابن عباس في الآية قال: «لما تغشاها آدمُ حملت، فأتاهما إبليس، فقال: إني صاحبُكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعانِّي، أو لأجعلن له قَرْنَيْ أَيِّلٍ[١]، فيَخرج من بطنكِ فيَشُقَّه، ولأفعلن ولأفعلن ـ يخوفهما ـ، سمِّياه: عبد الحارث. فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا. ثم حملت فأتاهما، فذكر لهما، فأدركهما حبُّ الولد، فسَمَّياه: عبد الحارث؛ فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]». رواه ابن أبي حاتم[٢].

▫ وله ـ بسندٍ صحيح ـ عن قتادة قال: «شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته».

▫ وله ـ بسندٍ صحيح ـ عن مجاهدٍ في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾، قال: «أشفقا ألَّا يكون إنسانًا».

وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

---

(١) **الأيِّل**: كالتَّيس.
(٢) اللَّه أعلم بصحة السند. وإن صح فهو من الإسرائيليات. وسيأتي مرفوعًا ـ أيضًا ـ **بسند ضعيف**.

فيه مسائل:

الأولى: تحريم كل اسم معبَّد لغير اللَّه.

الثانية: تفسير الآية.

الثالثة: أن هذا الشرك في مجرد تسميةٍ لم تُقصد حقيقتها.

الرابعة: أن هبة اللَّه للرجل البنتَ السوية من النِّعم.

الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة.



[٥١] باب: قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾

▫ ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾: «يشركون».

▫ وعنه: «سمَّوُا اللات من الإلٰه، والعُزَّىٰ من العزيز».

▫ وعن الأعمش: «يُدخلون فيها ما ليس منها».

فيه مسائل:

الأولى: إثبات الأسماء.

الثانية: كونها حسنىٰ.

الثالثة: الأمر بدعائه بها.

الرابعة: ترك من عارَضَ من الجاهلين الملحدين.

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها.

السادسة: وعيد من ألحد.

[٥٢] باب: لا يقال: «السلام على الله»

في «الصحيح» عن ابن مسعود ﵁ قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام علىٰ اللَّه من عباده، السلام علىٰ فلان وفلان؛ فقال النبي ﷺ: «**لا تقولوا: السلام علىٰ اللَّه؛ فإن اللَّه هو السلام**»(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير السلام.

الثانية: أنه تحية.

الثالثة: أنها لا تصلح للَّه.

الرابعة: العلة في ذلك.

الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح للَّه.

---

(١) رواه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢).

[٥٣] باب: قول: «اللهم اغفر لي إن شئت»

في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يقُلْ أحدكم: اللهم اغفرْ لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، لِيعزِمِ المسألةَ؛ فإن اللَّه لا مُكرِهَ له**».

ولمسلم: «**ولْيُعظِمِ الرغبةَ؛ فإن اللَّه لا يتعاظمُه شيءٌ أعطاه**»[(١)].

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء.

الثانية: بيان العلة في ذلك.

الثالثة: قوله: «**ليعزم المسألة**».

الرابعة: إعظام الرغبة.

الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

---

(١) رواه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

[٥٤] باب: لا يقول: «عَبْدي، وأَمَتي»

في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا يقلْ أحدُكم: أطعِمْ ربَّك، وضِّئْ ربَّك؛ وليقل: سيدي ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي وأَمَتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي»[1].

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن قول: «عبدي، وأمتي».

الثانية: لا يقول العبد: «ربي»، ولا يقال له: «أطعم ربك».

الثالثة: تعليم الأول قول: «فتاي، وفتاتي، وغلامي».

الرابعة: تعليم الثاني قول: «سيدي، ومولاي».

الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتىٰ في الألفاظ.

---

(١) رواه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩).

[٥٥] باب: لا يُردُّ من سأل بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَن سأل باللَّه فأعطُوه، ومن استعاذ باللَّه فأعيذوه، ومَن دعاكم فأجيبوه، ومَن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعُوا له حتىٰ ترَوْا أنكم قد كافأتموه**». رواه أبو داود والنسائي بسندٍ صحيح[(١)].

فيه مسائل:

الأولى: إعاذة من استعاذ باللَّه.

الثانية: إعطاء من سأل باللَّه.

الثالثة: إجابة الدعوة.

الرابعة: المكافأة علىٰ الصنيعة.

الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه.

السادسة: قوله: «**حتىٰ تروا أنكم قد كافأتموه**».

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/٩٩)، والطيالسي (١٨٩٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٦)، وأبو داود (٥١٠٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٢٣٤٨)، وفي «المجتبىٰ» (٢٥٦٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/٥٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٢١)، وابن حِبَّان (٢٣٧٥)، والحاكم (١/٤١٢)، والسهمي في «تاريخ جرجان» (٢٣٥)، والطبراني في «الكبير» (١٢/٣١٣)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، وكذا الإمام النووي في «رياض الصالحين» (١٧٢١)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في السنن، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٩/٢٦٦).



[٥٦] باب: لا يُسأل بوجه الله إلَّا الجنة

عن جابر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يُسأل بوجه اللَّه إلا الجنة**». رواه أبو داود[(١)].

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن أن يُسأل بوجه اللَّه إلا غايةُ المطالب.

الثانية: إثبات صفة الوجه.

---

(١) **ضعيف:** رواه أبو داود (١٦٧١)، والفسوي في «المعرفة» (٣/٤٦٥)، وابن عدي في «الكامل» (٣/٢٥٧)، والخطيب في «موضح الأوهام» (١/٣٥٢)، وابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (٨٩)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٤/١٩٩)، وفي «الشعب» (٣٢٥٩)، وفي «الأسماء والصفات» (٦٦١)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (٣/١٠٣).

[٥٧] باب: ما جاء في «اللو»

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٨].

في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: **«احرصْ علىٰ ما ينفعُك، واستعِنْ باللَّه ولا تَعجِزنَّ، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أنني فعلتُ لكان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ اللَّه، وما شاء فعل؛ فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»**[1].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران.

الثانية: النهي الصريح عن قول: «لو» إذا أصابك شيء[2].

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يَفتح عمل الشيطان.

الرابعة: الإرشاد إلىٰ الكلام الحسن.

الخامسة: الأمر بالحرص علىٰ ما ينفع، مع الاستعانة باللَّه.

السادسة: النهي عن ضد ذلك، وهو العجز.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).
(٢) وهذا إذا قيلت علىٰ وجه الاعتراض علىٰ القضاء والقدر. أما إذا قيلت علىٰ وجه الندم، أو لربط شرطٍ بجوابه ونحو ذلك، فلا بأس.

[٥٨] باب: النهي عن سب الريح

عن أُبيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تسبُّوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألُك من خير هذه الريح، وخيرِ ما فيها، وخيرِ ما أُمِرَتْ به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمرَتْ به**». صححه الترمذي[(١)].

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الريح.

الثانية: الإرشاد إلىٰ الكلام النافع إذا رأىٰ الإنسان ما يكره.

الثالثة: الإرشاد إلىٰ أنها مأمورة.

الرابعة: أنها قد تؤمر بخير، وقد تؤمر بشر.



---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/١٢٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٩)، والترمذي (٢٢٥٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٧٠٣)، والحاكم (٢/ ٢٧٢)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٩١٨)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٠٠٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٦٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٩٨)، وابن أبي الدنيا في «المطر والرعد» (١٢٨)، وقال الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، وكذا الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٥/٧٥).

[٥٩] باب: قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران]

وقولِه: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦].

▫ قال ابن القيم في الآية الأولىٰ: فُسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل. وفُسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر اللَّه وحكمته؛ ففُسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يَتمَّ أمرُ رسوله، وأن يظهره اللَّه علىٰ الدين كله؛ وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح. وإنما كان هذا ظنَّ السوء؛ لأنه ظنٌّ غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يُديل[1] الباطلَ علىٰ الحق إدالةً مستقرةً يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرىٰ بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدَّرَه لحكمةٍ بالغةٍ يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئةٍ مجردة= فذلك ظن الذين كفروا، ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص].

وأكثر الناس يظنون باللَّه ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يَسلَمُ من ذلك إلا من عرف اللَّه وأسماءه وصفاته، وموجَبَ حكمته وحمده.

فليعتن اللبيبُ الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلىٰ اللَّه، وليستغفره

---

(١) **يُديل**: ينصر.

من ظنه بربه ظن السوء. ولو فتشتَ مَن فتشتَ لرأيت عنده تعنتًا علىٰ القَدَر وملامةً له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا؛ فمستقلٌّ ومستكثر. وفتِّش نفسك: هل أنت سالم؟

فإن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمةٍ … وإلا فـإني لا إِخالُـك نـاجـيا(١)

✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية الفتح.

الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواعٌ لا تُحصر.

الرابعة: أنه لا يَسلَمُ من ذلك إلا من عَرف الأسماء والصفات، وعرف نفسه.



---

(١) **إخالك**: أظنُّك.

[٦٠] باب: ما جاء في منكري القَدَر

وقال ابن عمر: «والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثلُ أُحُد ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل اللَّه، ما قبله اللَّه منه حتىٰ يؤمن بالقدر».

ثم استدل بقول النبي ﷺ: «**الإيمانُ أن تؤمن باللَّه وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليوم الآخر، وتؤمنَ بالقَدَر خيرِه وشره**». رواه مسلم(١).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: يا بني، إنك لن تجدَ طعمَ الإيمان حتىٰ تعلمَ أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبَك. سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنَّ أول ما خلق اللَّه القلمُ، فقال له: اكتب. فقال: ربِّ، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقاديرَ كل شيءٍ حتىٰ تقوم الساعة**». يا بني، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**مَن مات علىٰ غير هذا فليس مني**».

وفي روايةٍ لأحمد: «**إن أول ما خلق اللَّه تعالىٰ القلم، فقال له: اكتبْ. فجرىٰ في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامة**»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
ورواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣١٧/٥)، والطيالسي (٥٧٧)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والتِّرمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩)، وابن أبي شيبة (١١٤/١٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٧)، والشاشي في «مسنده» (١١٩٢)، والآجري في «الشريعة» (١٨٠)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (١٩١/٢)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣٥٧)، من حديث عبادة بن =

وفي رواية لابن وهب قال رسول اللَّه ﷺ: «**فمن لم يؤمنْ بالقَدَر خيرِه وشرِّه، أَحرَقَه اللَّه بالنار**»[(١)].

وفي «المسند» و«السنن» عن ابن الديلمي قال: أتيت أُبيَّ بن كعب، فقلت: في نفسي شيءٌ من القدر، فحدِّثْني بشيءٍ؛ لعلَّ اللَّهَ يُذهبُه من قلبي. فقال: «**لو أنفقتَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ما قَبِله اللَّهُ منك حتىٰ تؤمنَ بالقَدَر، وتعلمَ أن ما أصابك لم يكن ليخطئَك، وما أخطأك لم يكن ليصيبَك، ولو متَّ علىٰ غير هذا لكنت من أهل النار**».

قال: فأتيت عبدَاللَّه بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت؛ فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ». حديث صحيح. رواه الحاكم في «صحيحه»[(٢)].

✍ فيه مسائل:

الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر.

الثانية: بيان كيفية الإيمان به.

= الصامت رضي الله عنه. وقال الإمام التِّرمذي في الموضع الأول: «**غريب من هذا الوجه**». وفي الثاني: «**حسن صحيح غريب**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني ثَمَّ. والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٧/٣٧٨).

(١) **حسن**: رواه ابن وهب في «القدر» (٢٦)، ويشهد له ما قبله، كما قال الشيخ دغش العجمي في تحقيق كتاب «التوحيد» ص(٣١٨).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣٥/٤٦٥)، وابن أبي شيبة (١/١٠٥)، وعبد بن حميد (٢٤٧)، والطيالسي (٦١٩)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وابن حِبَّان (٧٢٧)، والطبراني في «الكبير» (٥/١٦٠)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٠/٢٠١)، وفي «الشعب» (١٧٩)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند أبي داود، **وقوَّاه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (٧/٨٥).

الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به.

الرابعة: الإخبار أن أحدًا لا يجد طعم الإيمان حتىٰ يؤمن به.

الخامسة: ذِكرُ أول ما خلق اللَّه.

السادسة: أنه جرىٰ بالمقادير في تلك الساعة إلىٰ قيام الساعة.

السابعة: براءته ﷺ ممن لم يؤمن به.

الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.

التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يُزيل شبهته؛ وذلك أنهم نسبوا الكلام إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فقط[١].



(١) فالقلب الصادق بمجرد ما يأتيه الأمر من ربه العظيم ﷻ ونبيه الأمين ﷺ يفرح ويسلِّم.

[٦١] باب: ما جاء في المصوِّرين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**قال اللَّه تعالىٰ: ومَن أظلم ممن ذهب يَخلُقُ كخلقي! فلْيَخلقوا ذرَّةً**[(١)]**، أو لِيخلقوا حبةً، أو ليخلقوا شعيرةً**». أخرجاه[(٢)].

ولهما عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون**[(٣)] **بخَلقِ اللَّه**»[(٤)].

ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**كلُّ مصوِّرٍ في النار، يُجعل له بكل صورةٍ صوَّرَها نفسٌ يُعذَّبُ بها في جهنم**»[(٥)].

ولهما عنه مرفوعًا: «**مَن صوَّر صورةً في الدنيا، كُلِّف أن يَنفخَ فيها الروح، وليس بنافخ**»[(٦)].

ولمسلم عن أبي الهيَّاج قال: قال لي عليٌّ: أَلَا أبعثُك علىٰ ما بعثني عليه رسول اللَّه ﷺ؟ «**ألَّا تَدَعَ صورةً إلا طمستَها**[(٧)]**، ولا قبرًا**

---

(١) **الذرة**: النملة.
(٢) رواه البخاري (٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١).
(٣) **يضاهئون**: يشابهون.
(٤) رواه البخاري (٥٩٥٤).
(٥) رواه مسلم (٢١١٠).
(٦) رواه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠).
(٧) **الطمس**: المحو. وقد جاءت الشريعة بمحو الوجه علىٰ الأقل.

مشرِفًا إلا سوَّيتَه[(١)] »[(٢)].

✍ فيه مسائل:

الأولى: التغليظ الشديد في المصوِّرين.

الثانية: التنبيه علىٰ العلة، وهو ترك الأدب مع اللَّه، لقوله: «**ومَن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي!**».

الثالثة: التنبيه علىٰ قدرته وعجزهم؛ لقوله: «**فلْيَخلقوا ذرةً أو حبةً أو شعيرة**».

الرابعة: التصريح بأنهم أشد الناس عذابًا.

الخامسة: أن اللَّه يخلق بعدد كل صورة نفسًا يعذَّب بها المصوِّرُ في جهنم.

السادسة: أنه يكلَّف أن ينفخ فيها الروح.

السابعة: الأمر بطمسها إذا وجدت.



---

(١) ليس المراد بالتسوية الإلصاق بالأرض، بل كما قال أهل العلم: لابد أن يكون القبر مرفوعًا ـ ولو شبرًا ـ حتىٰ لا تُنتهك حُرمته، ويُعرف أنه قبر المسلم.

(٢) رواه مسلم (٩٦٩).

[٦٢] باب: ما جاء في كثرة الحَلِف

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩].

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**الحلفُ مَنفَقةٌ للسِّلعة، مَمْحَقةٌ للكسب**». أخرجاه[(١)].

وعن سلمان ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم اللَّه، ولا يزكِّيهم، ولهم عذابٌ أليم: أُشيمِطُ زانٍ**[(٢)]، **وعائلٌ مستكبِر**[(٣)]، **ورجلٌ جعل اللَّهَ بضاعتَه: لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**». رواه الطبراني بسندٍ صحيح[(٤)].

وفي «الصحيح» عن عِمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**خيرُ أمتي قرني، ثم الذين يلُونهم، ثم الذين يلونهم** - قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا؟ -، **ثم إن بعدكم قومًا يَشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويَنذِرُون ولا**

---

(١) رواه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦).

(٢) **الأشيمط**: العجوز.

(٣) **العائل**: الفقير.

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٦/٢٤٦)، وفي «الأوسط» (٥٥٧٧)، وفي «الصغير» (٨٢١)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٤٥١١)، وقال الإمام المنذري في «الترغيب» (٢/٥٨٧): «**رواته محتجٌّ بهم في الصحيح**»، وبنحوه قال الهيثمي في «المجمع» (٧/٨٧)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٧٨٨)، والشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٩/٩٢).

يُوفُّون، ويَظهرُ فيهم السِّمَن[(١)]»[(٢)].

وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يجيءُ قومٌ تَسبقُ شهادةُ أحدِهم يمينَه، ويمينُه شهادتَه**»[(٣)].

▫ وقال إبراهيم: «كانوا يضربوننا علىٰ الشهادة والعهد ونحن صغار»[(٤)].

✍ فيه مسائل:

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان.

الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقةٌ للسلعة، ممحقةٌ للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه علىٰ أن الذنب يعظُم مع قلَّة الداعي[(٥)].

الخامسة: ذم الذين يحلفون ولا يُستحلفون.

السادسة: ثناؤه ﷺ علىٰ القرون الثلاثة ـ أو الأربعة ـ، وذكر ما يحدث بعدهم.

---

(١) والسِّمَن المذموم هو ما كان ثمرة الجشع علىٰ الدنيا، وليس الخَلْقي؛ فإننا رأينا كثيرًا من الصالحين يتصفون بالسِّمنة.

(٢) رواه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٣) رواه البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٤) المراد: عدم الإكثار منهما بلا ضابط.

(٥) كحال العجوز الزاني؛ لأن داعي الزنا ضعُف بشدةٍ فيه، فلذلك لما زنا فإنما فعل ذلك عنادًا وجراءةً وحبًّا في المعصية. نعوذ باللَّه تعالىٰ من سوء الكِبَر.

السابعة: ذمُّ الذين يشهدون ولا يستشهدون.

الثامنة: كون السلف يضربون الصغار علىٰ الشهادة والعهد.



[٦٣] باب: ما جاء في ذمة الله وذمة نبيِّه [ﷺ]

وقوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا (١) إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٩١﴾ [النحل].

وعن بُريدة رضي الله عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ إذا أمَّر أميرًا علىٰ جيشٍ أو سريةٍ أوصاه بتقوىٰ اللَّه، ومَن معه من المسلمين خيرًا؛ فقال: «اغزوا بسم اللَّه في سبيل اللَّه. قاتِلوا مَن كَفَر باللَّه. اغزُوا، ولا تَغُلُّوا(٢)، ولا تغدِروا، ولا تُمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدًا. وإذا لقيتَ عدوَّك من المشركين فادعُهم إلىٰ ثلاث خصال ـ أو خلال ـ، فأيَّتَهُنَّ ما أجابوك فاقبلْ منهم، وكُفَّ عنهم. ثم ادعُهم إلىٰ الإسلام، فإن أجابوك فاقبلْ منهم. ثم ادعُهم إلىٰ التحوُّل من دارهم إلىٰ دار المهاجرين، وأخبِرْهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما علىٰ المهاجرين. فإن أبَوا أن يتحوَّلوا منها، فأخبِرْهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين؛ يَجري عليهم حكمُ اللَّه تعالىٰ، ولا يكون لهم في الغنيمةِ والفيء شيءٌ؛ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبَوا فاسألهم الجزية. فإن هم أجابوك فاقبلْ منهم وكُفَّ عنهم. فإن هم أبَوا فاستعِنْ باللَّه وقاتِلْهم.

وإذا حاصرتَ أهلَ حصن، فأرادوك أن تجعل لهم ذمةَ اللَّه وذمةَ نبيِّه، فلا تجعلْ لهم ذمةَ اللَّهً وذمةَ نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمةَ أصحابك؛ فإنكم أن تُخفِرُوا(٣) ذممَكم وذمة أصحابكم أهونُ من أن

---

(١) **كفيلًا**: شهيدًا بالوفاء.

(٢) **الغلول**: السرقة من الغنائم.

(٣) **تُخفروا**: تَنقضوا.

تُخفروا ذمةَ اللَّه وذمةَ نبيه.

وإذا حاصرتَ أهل حصن، فأرادوك أن تُنزِلَهم علىٰ حكم اللَّه فلا تنْزلهم، ولكن أَنزِلهم علىٰ حُكمك؛ فإنك لا تدري أتُصيبُ فيهم حكمَ اللَّه أم لا؟». رواه مسلم[(١)].

✍ فيه مسائل:

الأولى: الفرق بين ذمة اللَّه وذمة نبيِّه وبين ذمة المسلمين.

الثانية: الإرشاد إلىٰ أقل الأمرين خطرًا.

الثالثة: قوله: «**اغزوا بسم اللَّه في سبيل اللَّه**».

الرابعة: قوله: «**قاتلوا من كفر باللَّه**».

الخامسة: قوله: «**استعن باللَّه وقاتلهم**».

السادسة: الفرق بين حكم اللَّه وحكم العلماء.

السابعة: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكمٍ لا يدري أيوافق حكم اللَّه أم لا؟



---

(١) رواه مسلم (١٧٣١).

[٦٤] باب: ما جاء في الإقسام على الله

عن جندُب بن عبداللَّه رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**قال رجلٌ: واللَّهِ لا يغفرُ اللَّهُ لفلان، فقال اللَّه عز وجل: من ذا الذي يتألّىٰ عليَّ**[١] **ألّا أغفرَ لفلان؟ إني قد غفرتُ له، وأحبطتُ عملك**». رواه مسلم[٢].

وفي حديث أبي هريرة: أن القائل رجلٌ عابد.

قال أبو هريرة: «تكلم بكلمةٍ أوبقتْ[٣] دنياه وآخرته»[٤].

فيه مسائل:

الأولى: التحذير من التألّي علىٰ اللَّه.

الثانية: كون النار أقرب إلىٰ أحدنا من شراك نعله.

الثالثة: أن الجنة مثل ذلك.

الرابعة: فيه شاهد لقوله: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة...**»[٥] إلخ.

---

(١) **يتألّي**: يُقسِم.

(٢) رواه مسلم (٢٦٢١).

(٣) **أوبقت**: أهلكت.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٢/٢٢٣)، وابن المبارك في «الزهد» (٩٠٠)، وأبو داود (٤٩٠١)، وابن حبان (٥٧١٢)، والبيهقي في «الشعب» (٦٦٨٩)، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن باللَّه» (٤٥)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٣/٣٢٦)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند أبي داود، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٤/٤٧)، وفي «سنن أبي داود» (٧/٢٦٢).

(٥) رواه البخاري (٦٤٧٨)، ومسلم (٢٩٨٨).

الخامسة: أن الرجل قد يُغفر له بسبب هو مِن أكره الأمور إليه.

= وتمامه: «**إن العبد ليتكلمُ بالكلمة من رِضوان اللَّه، لا يُلقي لها بالًا، يرفعه اللَّه بها درجات، وإن العبد ليتكلمُ بالكلمة من سخط اللَّه، لا يُلقي لها بالًا، يَهوي بها في جهنم**».

[٦٥] باب: لا يُستشفع بالله على خلقه

عن جُبير بن مُطعِم رضي الله عنه قال: جاء أعرابيٌّ إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه، نُهِكَتِ[1] الأنفسُ، وجاع العيال، وهلكتِ الأموال، فاستسقِ لنا ربَّك؛ فإنا نستشفع باللَّه عليك، وبك علىٰ اللَّه. فقال النبي ﷺ: «**سبحان اللَّه! سبحان اللَّه!**»، فما زال يسبِّح حتىٰ عُرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: «**ويحك! أتدري ما اللَّه؟ إنَّ شأن اللَّه أعظمُ من ذلك، إنه لا يُستشفع باللَّه علىٰ أحد...**» وذكر الحديث، رواه أبو داود[2].

فيه مسائل:

الأولى: إنكاره علىٰ من قال: «نستشفع باللَّه عليك»[3].

---

(١) **نُهكت**: ضعفت.

(٢) **محتملٌ للتحسين**: رواه أبو داود (٤٧٢٦)، والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» ص(٢٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص(١٤٧)، ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٨٤)، والطبراني في «الكبير» (١٥٤٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٩٢)، والآجُرِّي في «الشريعة» (٦٦٧)، والدَّارَقُطْني في «الصفات» (٣٦)، وابن منده في «التوحيد» (٦٤٣)، **وقوَّاه** الإمام ابن تيمية في «الفتاوىٰ» (١٦/ ٤٣٥)، **وحسَّنه** ابن القيم في «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ٢٠٩)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٦٣٩)، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٧/ ١٠٧).

(٣) ومثل هذا ما يجري علىٰ ألسنةِ بعض جهلاء العوام؛ حينما يقول أحدهم في أمر يريد من آخرَ قضاءه: «واسطتي هو اللَّه»! وهذا كلامٌ باطلٌ لا =

الثانية: تغيُّره تغيُّرًا عُرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

الثالثة: أنه لم يُنكِر عليه قوله: «نستشفع بك علىٰ اللَّه».

الرابعة: التنبيه علىٰ تفسير «سبحان اللَّه»[1].

الخامسة: أن المسلمين يسألونه ﷺ الاستسقاء.

= يليق باللَّه تبارك وتعالى. وإلا فكيف يتوسط ربُّه العالمين جل جلاله عند مخلوق في بعض حاجات آخر؟!

(١) يقصد أنها تفيد التنزيه والإجلال والتعظيم.

[٦٦] باب: ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، وسدِّه طُرقَ الشرك

عن عبداللَّه بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: انطلقتُ في وفد بني عامر إلىٰ رسول اللَّه ﷺ؛ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «**السيدُ اللَّه تبارك وتعالى**». قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طَوْلًا[(١)]. فقال: «**قولوا بقولكم - أو بعض قولكم -، ولا يَستجرينَّكم الشيطان**[(٢)]». رواه أبو داود بسندٍ جيد[(٣)].

وعن أنسٍ رضي الله عنه: أن ناسًا قالوا: يا رسول اللَّه، يا خيرَنا، وابن خيرنا، وسيدَنا، وابن سيدنا. فقال: «**يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان**[(٤)]. **أنا محمدٌ عبدُ اللَّه ورسوله. ما أُحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني اللَّه عز وجل**». رواه النسائي بسندٍ جيد[(٥)].

---

(١) **الطَّوْل**: الإحسان.

(٢) **يستجرينكم**: يسحبنَّكم إلىٰ طرق الهلاك.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٤/٢٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١١)، وأبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٠٠٣)، وفي «عمل اليوم» (٢٤٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٤٨٢)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/٣٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٣)، وفي «الآداب» (٤١٧)، و«الدلائل» (٥/٣١٨)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٦/٢٣٨).

(٤) **يستهوينكم**: يسقطنكم في الباطل.

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (٣/٢٤٩)، وعبد بن حميد (١٣٠٩)، والبخاري في «التاريخ الأوسط» (١/١١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٠٠٦)، وفي =

✍ فيه مسائل:

الأولى: تحذيره [ﷺ] الناس من الغلو.

الثانية: ما ينبغي أن يقول: من قيل له: «أنت سيدنا».

الثالثة: قوله: «**لا يستجرينَّكم الشيطان**»، مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: «**ما أُحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي**».

= «عمل اليوم» (٢٤٨)، وابن حبان (٦٢٤٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٤٩٨)، والضياء في «المختارة» (١٦٢٦)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٦/ ٢٥٢)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٤٥٢٩)، وفي «المدخل» (٥٣٦)، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٠/ ٢٤)، والشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٠٩٧).

[٦٧] باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر]

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «جاء حَبرٌ من الأحبار إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد[1] أن اللَّه يجعل السماوات علىٰ إصبع[2]، والأرضين علىٰ إصبع، والشجر علىٰ إصبع، والماء علىٰ إصبع، والثرىٰ علىٰ إصبع، وسائرَ الخلق علىٰ إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتىٰ بدت نواجذُه تصديقًا لقول الحبر. ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾».

وفي رواية لمسلم: «والجبالَ والشجر علىٰ إصبع، ثم يَهُزُّهنَّ فيقول: أنا الملك، أنا اللَّه».

وفي رواية للبخاري: «يجعل السماوات علىٰ إصبع، والماء والثرىٰ علىٰ إصبع، وسائر الخلق علىٰ إصبع». أخرجاه[3].

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا: «**يَطوي اللَّهُ السماوات يوم القيامة، ثم يأخذُهن بيده اليمنىٰ، ثم يقول: أنا المَلِك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرَضين السبعَ، ثم يأخذُهنَّ بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**»[4].

---

(١) يعني في توراتهم.

(٢) أي: من أصابعه جل جلاله.

(٣) رواه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٤) رواه مسلم (٢٧٨٨).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما السماواتُ السبعُ والأَرَضون السبع في كف الرَّحمٰن إلا كخردلةٍ[(١)] في يد أحدكم».

وقال ابن جرير: حدثني يونس: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما السماوات السبعُ في الكرسيِّ إلا كدراهمَ سبعةٍ أُلقيت في تُرْس**»[(٢)].

وقال: قال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ما الكرسيُّ في العرش إلا كحلْقةٍ من حديدٍ أُلقيت بين ظهرَيْ فلاةٍ من الأرض**»[(٣)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خَمْسُمِئة عام، وبين كل سماءٍ وسماء خَمْسُمئة عام، وبين السماء السابعة والكرسيِّ خَمْسُمئة عام، وبين الكرسي والماء خَمْسُمئة عام، والعرش فوق الماء، واللَّه فوق العرش لا يخفىٰ عليه شيء من أعمالكم».

أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبداللَّه. ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبداللَّه.

---

(١) **الخردلة**: نبات صغير الحَب.

(٢) **ضعيف**: رواه الطبري في «تفسيره» (٥٣٩/٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٢٠)، وفيه **ضعف وإعضال**. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٣) **صحيح**: رواه ابن حِبَّان (٣٦١)، وابن عدي في «الكامل» (٢٦٩٩/٧)، والبيهقي في «السُّنن» (٤/٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٦٨/١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٥٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦١)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ شعيب الأرنؤوط عند ابن حبان (٧٧/٢)، بينما **صحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٠٩).

قاله الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ. قال: «وله طرق».

وعن العباس بن عبدالمطلب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول اللَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**هل تدْرُون كم بين السماء والأرض؟**»، قلنا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**بينهما مسيرةُ خَمْسِمِئة سنة، ومن كل سماءٍ إلىٰ سماء مسيرةُ خَمْسِمِئة سنة، وكِثَفُ كل سماء مسيرة خَمْسِمِئة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحرٌ بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. واللَّهُ تعالىٰ فوق ذلك، وليس يخفىٰ عليه شيءٌ من أعمال بني آدم**». أخرجه أبو داود وغيره[1].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقيةٌ عند اليهود الذين في زمنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لم ينكروها، ولم يتأولوها.

---

(١) **ضعيف:** رواه أحمد (١/٢٠٧)، وأبو داود (٤٧٣٢)، والتِّرمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وابن أبي شيبة في «العرش» (١٠)، وأبو يعلىٰ (٦٧١٣)، والحاكم (٢/٥٠١)، وابن طهمان في «مشيخته» (١٨)، والآجري في «الشريعة» (٦٦٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٤٧)، والجورقاني في «الأباطيل» (١/٧٧)، واللالكائي في «شرح الاعتقاد» (٦٤٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/٢٣٤)، من حديث العباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وقال الإمام التِّرمذي: «**حسن غريب**»، **وصحَّحه** الحاكم، **وتعقبه** الذهبي في الموضع الأول، ثم وَهِم في موضع آخر، وقال: «**قد مرَّ، وهو صحيح**»! **وضعَّفه** الشيخ الألباني في السنن، و«الضعيفة» (١٢٤٧)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٣/٢٩٢).

الثالثة: أن الحبر لما ذكرها للنبي ﷺ صدقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك.

الرابعة: وقوع الضحك من رسول اللَّه ﷺ؛ لما ذكر الحَبرُ هذا العلم العظيم.

الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأن السماوات في اليد اليمنىٰ، والأَرَضين في الأخرىٰ.

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبِّرين عند ذلك.

الثامنة: قوله: «كخردلةٍ في كفِّ أحدكم».

التاسعة: عظم الكرسيِّ بالنسبة إلىٰ السماء.

العاشرة: عظم العرش بالنسبة إلىٰ الكرسي.

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء.

الثانية عشرة: كم بين كل سماءٍ إلىٰ سماء.

الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي.

الرابعة عشرة: كم بين الكرسي والماء.

الخامسة عشرة: أن العرش فوق الماء.

السادسة عشرة: أن اللَّه فوق العرش.

السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض.

الثامنة عشرة: كِثفُ كل سماء خَمْسُمئة سنة.

التاسعة عشرة: أن البحر الذي فوق السماوات أسفله وأعلاه مسيرةُ خمسمئة سنة.

والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا.



[٢]

كشف الشبهات

لشيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

[حقيقة التوحيد، وإقرار الكفار بتوحيد الربوبية]:

اعلم ـ رحمك اللَّه ـ أن التوحيد هو إفراد اللَّه سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم اللَّه به إلىٰ عباده، فأولهم نوح عليه السلام؛ أرسله اللَّه إلىٰ قومه لما غَلَوا في الصالحين: وَد، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر.

وآخِرُ الرسل محمدٌ ﷺ، وهو الذي كسَّر صور[1] هؤلاء الصالحين[2]، أرسله اللَّه إلىٰ أناسٍ يتعبدون، ويحجُّون، ويتصدَّقون، ويذكرون اللَّه كثيرًا، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائطَ بينهم وبين اللَّه؛ يقولون: «نريد منهم التقرب إلىٰ اللَّه، ونريد شفاعتهم عنده»، مثل الملائكة، وعيسىٰ، ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين، فبعث اللَّه محمدًا ﷺ يجدِّد لهم دين أبيهم إبراهيم، ويخبرهم أن هذا التقربَ والاعتقاد محضُ حق اللَّه؛ لا يصلح منه شيءٌ لا لمَلَكٍ مقرَّب، ولا نبيٍّ مرسل ـ فضلًا عن غيرهما ـ، وإلا

(١) يعني تماثيل.
(٢) ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول اللَّه ﷺ لما قَدِم [مكة] أبىٰ أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأَمَر بها فأُخرجت، فأخرجوا صورةَ إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**قاتلهم اللَّه، أما واللَّهِ لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط**». فدخل البيت، فكبَّر في نواحيه، ولم يصلِّ فيه. رواه البخاري (١٦٠١).
وانظر: «البداية والنهاية» (٦/٥٤٥ ـ ط: هجر، في دخوله ﷺ مكة).

فهؤلاء المشركون مقرُّون يشهدون أن اللَّه هو الخالقُ الرازق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو، ولا يدبِّر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن، والأرَضين ومن فيهن، كلُّهم عبيده، وتحت تصرفه وقهره.

فإذا أردت الدليل علىٰ أن هؤلاء المشركين ـ الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ ـ يشهدون بهذا، فاقرأ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون]. وغير ذلك من الآيات.

فإذا تحققتَ أنهم مقرون بهذا، وأنه لم يُدخِلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول اللَّه ﷺ، وعرفتَ أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة، الذي يسميه المشركون في زماننا «الاعتقاد»، كما كانوا يدْعون اللَّه سبحانه ليلًا ونهارًا، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقُربهم من اللَّه ليشفعوا له، أو يدعو رجلًا صالحًا مثل اللات[1]، أو نبيًّا مثل عيسىٰ.

وعرفت أن رسول اللَّه ﷺ قاتلهم علىٰ هذا الشرك، ودعاهم إلىٰ إخلاص العبادة للَّه وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا

(١) وهو رجلٌ كان يلتُّ السَّويق ـ نوعٌ من الطعام ـ للحجيج، كما تقدم.

تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا[(١)] ﴿١٨﴾ [الجن]، وكما قال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ[(٢)] وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤].

وتحققت أن رسول اللَّه ﷺ قاتَلَهم ليكون الدعاءُ كلُّه للَّه، والذبحُ كله للَّه، والنذرُ كله للَّه، والاستغاثة كلها باللَّه، وجميع أنواع العبادة كلها للَّه.

وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قَصْدَهم الملائكةَ أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتَهم، والتقربَ إلىٰ اللَّه بذلك، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم:

عرفت[(٣)] حينئذٍ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبىٰ عن الإقرار به المشركون.

---

(١) قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كانت اليهود والنصارىٰ إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعَهم أشركوا باللَّه، فأمر اللَّه المؤمنين أن يُخلصوا للَّه الدعوة إذا دخلوا المساجد. وأراد بها المساجد كلها» اهـ.
وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أراد بها البقاع كلها؛ لأن الأرض جُعلت كلها مسجدًا للنبي ﷺ» اهـ.
وقال سعيد بن جُبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المراد بالمساجد: الأعضاء التي يَسجد عليها الإنسان؛ وهي سبعة: الجبهة، واليدان، والركبتان، والقدمان؛ فهذه الأعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقةٌ للَّه؛ فلا تسجدوا عليها لغيره» اهـ.
انظر في كلِّ ما سلف: «تفسير البغوي» عند الآية الكريمة.

(٢) ﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾: دعوة التوحيد والإخلاص للَّه تعالىٰ لا شريك له، فهي ـ وحدها ـ دعوةُ الحق، وما سواها دعاوىٰ باطلةٌ فاسدة.

(٣) هذا جواب الشرط لقوله السالف: «فإذا تحققت...» إلخ.

وهذا التوحيد هو معنىٰ قولك: «لا إلٰه إلا اللَّه»؛ فإن الإلٰه عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور، سواءً كان ملَكًا، أو نبيًّا، أو وليًّا، أو شجرةً، أو قبرًا، أو جنيًّا؛ لم يريدوا أن «الإلٰه» هو الخالق الرازق المدبر؛ فإنهم يعلمون أن ذلك للَّه وحده ـ كما قدمتُ لك ـ، وإنما يعنون بـ«الإلٰه» ما يعني المشركون في زماننا بلفظ «السيد»، فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلىٰ كلمة التوحيد؛ وهي «لا إلٰه إلا اللَّه».

والمراد من هذه الكلمة معناها ـ لا مجرد لفظها ـ، والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد اللَّه تعالىٰ بالتعلق، والكفرُ بما يُعبد من دونه، والبراءة منه؛ فإنه لما قال لهم: «**قولوا: لا إلٰه إلا اللَّه**»؛ قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص](١).

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجبُ ممن يدعي الإسلام، وهو لا يعرفُ من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهالُ الكفار؛ بل يَظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها، من غير اعتقاد القلب لشيءٍ من المعاني! والحاذق منهم يظن أن معناها: «لا يخلق ولا

---

(١) المعنىٰ العام صحيح. وقد ورد حديثٌ في سبب نزول الآية خاصةً، لكنه **ضعيف**: رواه أحمد (٢٢٧/١)، والتِّرمذي (٣٢٣٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٤٣٦)، والطبري في «التفسير» (١٢٥/٢٣)، وابن حبان (٦٦٨٦)، والحاكم (٤٣٢/٢)، والواحدي في «أسباب النزول» ص(٢٤٦)، وأبو يعلىٰ (٢٥٨٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. **وحسَّنه** الترمذي، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، بينما **ضعَّفه** الشيخ الألباني عند التِّرمذي، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٤٥٨/٣).
وسيأتي حديث آخر من رواية ربيعة بن عباد رضي الله عنه في (٣٥٧/١).

يرزق إلا اللَّه، ولا يدبر الأمر إلا اللَّه»، فلا خير في رجلٍ جهالُ الكفار أعلمُ منه بمعنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه»!

إذا عرفت ما قلتُ لك معرفة قلب، وعرفت الشرك باللَّه الذي قال اللَّه فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ...﴾ الآية [النساء: ٤٨]، وعرفت دين اللَّه الذي بعث به الرسل من أولهم إلىٰ آخرهم، الذي لا يَقبل اللَّه من أحد سواه، وعرفت ما أصبح غالبُ الناس فيه من الجهل بهذا، أفادك فائدتين:

الأولى: الفرحُ بفضل اللَّه وبرحمته؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس].

[الثانية]: وأفادك ـ أيضًا ـ: الخوفَ العظيم؛ فإنك إذا عرفت أن الإنسان يَكفر بكلمةٍ يُخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل، فلا يُعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظنُّ أنها تقرِّبه إلىٰ اللَّه ـ كما ظن المشركون ـ؛ خصوصًا إن ألهمك اللَّه ما قصَّ عن قوم موسىٰ ـ مع صلاحهم وعلمهم ـ أنهم أتوه قائلين: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾ [الأعراف: ١٣٨]= فحينئذ يعظُم خوفك وحرصُك علىٰ ما يخلِّصك من هذا وأمثاله.

واعلم أن اللَّه سبحانه مِن حكمته لم يبعث نبيًّا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداءً، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقد يكون لأعداء التوحيد علومٌ كثيرة وكتبٌ وحجج، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [غافر: ٨٣].

فإذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلىٰ اللَّه لابد له من أعداء

قاعدين عليه، أهلِ فصاحةٍ وعلم وحجج= فالواجب عليك أن تعلم من دين اللَّه ما يصير سلاحًا لك، تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدَّمُهم لربك ﷻ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف]. ولكن إذا أقبلتَ علىٰ اللَّه، وأصغيت إلىٰ حجج اللَّه وبيِّناته، فلا تخف ولا تحزن، ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء].

والعاميُّ من الموحدين يَغلِبُ الألفَ من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات]، فجُندُ اللَّه هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسِّنان، وإنما الخوف علىٰ الموحِّد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح. وقد منَّ اللَّه علينا بكتابه، الذي جعله ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل]، فلا يأتي صاحبُ باطلٍ بحجة، إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبيِّن بطلانها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان][1].

▫ قال بعض المفسرين: «هذه الآية عامةٌ في كل حجةٍ يأتي بها

---

(١) وبحمد اللَّه جَلَّ ثَنَاؤُهُ وإحسانه وصيانته لدينه؛ فإن كلَّ حجةٍ يحتجُّ بها مُبطل علىٰ باطله، ترىٰ في نفس حجته ما يردُّ باطله عليه.

▪ يقول الإمام ابن تيمية ﷺ: «ما احتج أحدٌ بدليل سمعي أو عقليٍّ علىٰ باطل، إلَّا وذلك الدليلُ إذا أُعطي حقَّه، ومُيِّز ما يدلُّ عليه مما لا يدلُّ= تبيَّن أنه يدلُّ علىٰ فسادِ قولِ المُبطِلِ المُحتَجِّ به؛ وأنه دليلٌ لأهل الحق، وأن الأدلةَ الصحيحةَ لا يكونُ مدلولُها إلا حقًّا، والحقُّ لا يتناقض؛ بل يُصدِّقُ بعضُه بعضًا. واللَّه أعلم» اهـ. «مجموع الفتاوىٰ» (٢٩/٨).

أهل الباطل إلىٰ يوم القيامة».

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر اللَّه في كتابه، جوابًا لكلامٍ احتج به المشركون في زماننا علينا.

فنقول: جوابُ أهل الباطل من طريقين: مجمل، ومفصَّل:

أما المجمل: فهو الأمر العظيم، والفائدةُ الكبيرة لمن عقلها؛ وذلك قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [آل عمران: ٧].

وقد صح عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**إذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمَّىٰ اللَّهُ فاحذروهم**»(١).

مثال ذلك: إذا قال لك بعض المشركين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس]، أو أن الشفاعة حق، أو أن الأنبياء لهم جاهٌ عند اللَّه، أو ذكر كلامًا للنبي ﷺ يَستدل به علىٰ شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنىٰ الكلام الذي ذكره= فجاوبه بقولك: إن اللَّه ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغٌ يتركون المحكَم، ويتبعون المتشابه، وما ذكرتُه لك من أن اللَّه ذَكَر أن المشركين يقرُّون بالربوبية، وأن كفرهم بتعلُّقهم علىٰ الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، هذا أمرٌ محكمٌ بيِّن لا يقدر أحدٌ أن يغيِّر معناه، وما ذكرتَه لي ـ أيها المشرك ـ من القرآن أو كلام رسول اللَّه ﷺ، لا أعرف معناه. ولكن أقطعُ أن كلام اللَّه لا يتناقض، وأن كلام النبيِّ ﷺ لا

(١) رواه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥)، من حديث أمنا عائشة ﵂.

يخالِفُ كلام اللَّه ﷻ.

وهذا جوابٌ جيدٌ سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفَّقه اللَّه، فلا تستهن به؛ فإنه كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ [فصلت].

وأما الجواب المفصل: فإن أعداء اللَّه لهم اعتراضاتٌ كثيرة علىٰ دين الرسل يصدُّون بها الناس عنه:

منها قولهم: نحن لا نشرك باللَّه؛ بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأن محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا - فضلًا عن عبدِالقادر[1] أو غيره -، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاهٌ عند اللَّه، وأطلب من اللَّه بهم.

فجاوِبْه بما تقدم؛ وهو أن الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ مقرُّون بما ذكرتَ، ومقرون أن أوثانهم لا تدبِّر شيئًا، وإنما أرادوا منها الجاه والشفاعة، واقرأ عليه ما ذكره اللَّه في كتابه ووضَّحه.

فإن قال: هؤلاء الآياتُ نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصنامًا؟

فجاوبه بما تقدم؛ فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها للَّه، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة، ولكن إذا أراد أن يفرِّق بين فعلهم وفِعله بما ذَكر، فاذكر له أن الكفار: منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال اللَّه فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ...﴾ الآية [الإسراء: ٥٧]،

---

(١) يعني الإمام عبدالقادر الجَيلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ويدْعون عيسىٰ ابن مريم وأمه.

وقد قال تعالىٰ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ[1] ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة].

واذكر له قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة].

وقل له: عرفتَ أن اللَّه كفَّر مَن قصد الأصنام، وكفَّر - أيضًا - من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول اللَّه ﷺ.

فإن قال: الكفار يريدون منهم[2]، وأنا أشهد أن اللَّه هو النافع الضار المدبر، لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من اللَّه شفاعتهم.

فالجواب: أن هذا قولُ الكفار سواءً بسواء. واقرأ عليه قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ

---

(١) ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرفون عن الحق.

(٢) أي: يطلبون من الأصنام النفع والضر.

﴿شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

واعلم أن هذه الشُّبهَ الثلاث هي أكبر ما عندهم، فإذا عرفت أن اللَّه وضَّحها في كتابه، وفهمتها فهمًا جيدًا، فما بعدها أيسرُ منها.

فإن قال: أنا لا أعبدُ إلا اللَّه، وهذا الالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس بعبادة.

فقل له: أنت تقرُّ أن اللَّه افترض عليك إخلاصَ العبادة للَّه؟ فإذا قال: نعم. فقل له: بيِّن لي هذا الذي فرضه اللَّه عليك، وهو إخلاص العبادة للَّه، وهو حقُّه عليك؟ فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها، فبيِّنْها له بقولك: قال اللَّه تعالىٰ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف].

فإذا أعلمتَه بهذا، فقل له: هل علمت هذا عبادةً للَّه؟ فلابد أن يقول: نعم، و«**الدعاءُ مُخُّ العبادة**»[1]، فقل له: إذا أقررت أنها

---

(١) **ضعيف:** رواه التِّرمذي (٣٣٧١)، والطبراني في «الأوسط» (٣٢٢٠)، وفي «الدعاء» (٨)، من حديث أنس رضي الله عنه، وقال الإمام الترمذي: «**غريب**»، **وأقرَّه** الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (١/٢٩٨)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٠٠٣)، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند الترمذي (٦/٦).

واللفظ الثابت: «**الدعاء هو العبادة**». **صحيح:** رواه أحمد (٤/٢٦٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٤)، وأبو داود (١٤٧٩)، والتِّرمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وابن حبان (٨٩٠)، والحاكم (١/٤٩١)، والطبراني في «الدعاء» (٣)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٨/١٢٠)، والبيهقي في «الدعوات» (٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الإمام التِّرمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الحاكم، **وأقره** الذهبي، وكذا **أقرَّ** =

عبادة، ودعوت اللَّه ليلًا ونهارًا خوفًا وطمعًا، ثم دعوت في تلك الحاجة نبيًّا أو غيره؛ هل أشركت في عبادة اللَّه غيره؟ فلابد أن يقول: نعم.

فقل له: إذا عملتَ بقول اللَّه تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر]، وأطعت اللَّه ونحرتَ له، هل هذا عبادة؟ فلابد أن يقول: نعم، فقل له: فإن نحرتَ لمخلوق ـ نبيٍّ أو جنيٍّ أو غيرهما ـ، هل أشركت في هذه العبادة غيرَ اللَّه؟ فلابد أن يُقر ويقول: نعم.

وقل له ـ أيضًا ـ: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلابد أن يقول: نعم، فقل له: وهل كانت عبادتُهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء... ونحو ذلك؟ وإلا فهم مقرون أنهم عبيدُه وتحت قهره، وأن اللَّه هو الذي يدبر الأمر، ولكن دَعَوهم، والتجؤوا إليهم للجاه والشفاعة، وهذا ظاهر جدًّا.

[الشفاعة الشرعية وشروطها]:

فإن قال: أتنكر شفاعة رسول اللَّه ﷺ، وتتبرأ منها؟

فقل: لا أنكرها، ولا أتبرَّأُ منها؛ بل هو ﷺ الشافع المشفَّع، وأرجو شفاعته، ولكنَّ الشفاعةَ كلها للَّه تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

ولا تكون إلا مِن بعد إذن اللَّه، كما قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى

= الترمذيَّ والحاكمَ الحافظُ العراقي في تخريج «الإحياء» (١/٢٥٣)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٠٧)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٠/٢٩٨).

﴿يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ولا يشفع [ﷺ] في أحد إلا من بعد أن يأذن اللَّه فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وهو سبحانه لا يرضىٰ إلا التوحيد، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فإذا كانت الشفاعة كلها للَّه، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يَشفع النبيُّ ﷺ ـ ولا غيره ـ في أحدٍ حتىٰ يأذن اللَّه فيه، ولا يأذنُ إلا لأهل التوحيد، تبيَّن لك أن الشفاعة كلَّها للَّه، وأطلبُها منه؛ فأقول: «اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفِّعه فيَّ»، وأمثال هذا.

فإن قال: النبي ﷺ أُعطي الشفاعة، وأنا أطلبُ[1] مما أعطاه اللَّه.

فالجواب: أن اللَّه أعطاه الشفاعة، ونهاك عن هذا[2]؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن]. فإذا كنت تدعو اللَّه أن يشفِّع نبيَّه فيك فأطِعْه في قوله: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾.

وأيضًا فإن الشفاعة أُعطيَها غيرُ النبي ﷺ؛ فصح أن الملائكة يشفعون، والأفراط[3] يشفعون، والأولياء يشفعون، أتقول: إن اللَّه أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم؟

فإن قلت هذا رجعتَ إلىٰ عبادة الصالحين[4] التي ذكرها اللَّه

---

(١) في المطبوعات، و«كشف الشبهات وشروحه»: «أطلبه»، ولعل الأصح ما أثبتُّه.

(٢) أي: عن طلبها منه ﷺ.

(٣) **الأفراط:** الأطفال الصغار الذين ماتوا قبل البلوغ.

(٤) أي: صرت تعبدهم.

في كتابه. وإن قلت: «لا»، بَطَل قولك: «أعطاه اللَّه الشفاعة، وأنا أطلبُ[(١)] مما أعطاه اللَّه».

فإن قال: أنا لا أُشرك باللَّه شيئًا، حاشا وكلا، ولكنَّ الالتجاء إلىٰ الصالحين ليس بشرك.

فقل له: إذا كنت تُقرُّ أن اللَّهَ حرم الشرك أعظمَ من تحريم الزنا، وتقرُّ أن اللَّه لا يغفره؛ فما هذا الأمرُ الذي حرَّمه اللَّه، وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدري.

وقل له: كيف تبرِّئُ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ كيف يُحرِّمُ اللَّه عليك هذا، ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أن اللَّه يحرِّمُه ولا يبيِّنه لنا؟

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام، فقل له: ما معنىٰ عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشابَ والأحجار تَخلق وترزق وتدبِّر أمرَ من دعاها؟ فهذا يكذِّبُه القرآن.

وإن قال: هو مَن قَصَد خشبةً، أو حَجَرًا، أو أبنيةً علىٰ قبر أو غيره، يدْعون ذلك، ويذبحون له، ويقولون: إنه يقرِّبُنا إلىٰ اللَّه زلفىٰ، ويدفع اللَّه عنا ببركته، أو يعطينا ببركته.

فقل: صدقت، وهذا هو فِعلُكم عند الأحجار والأبنية التي علىٰ القبور وغيرها.

فهذا أقرَّ أن فِعلَهم هذا هو عبادةُ الأصنام، فهو المطلوب.

ويقال له ـ أيضًا ـ: قولُك: «الشرك عبادة الأصنام»، هل مرادك

---

(١) في المطبوعات و«كشف الشبهات وشروحه»: «أطلبه»، كالموضع السابق، ولعل الأصح ما أثبتُّه.

أن الشرك مخصوصٌ بهذا؟ وأن الاعتماد علىٰ الصالحين ودعاءَهم لا يدخل في ذلك؟ فهذا يردُّ ما ذكره اللَّه في كتابه مِن كُفرِ مَن تعلَّق علىٰ الملائكة، أو عيسىٰ، أو الصالحين، فلابد أن يقرَّ لك أن من أشرك في عبادة اللَّه أحدًا من الصالحين، فهو الشركُ المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب.

وسر المسألة: أنه إذا قال: «أنا لا أشرك باللَّه»، فقل له: وما الشرك باللَّه؟ فسِّره لي.

فإن قال: هو عبادة الأصنام.

فقل: وما معنىٰ عبادة الأصنام؟ فسِّرْها لي.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا اللَّه وحده.

فقل: ما معنىٰ عبادة اللَّه وحده؟ فسِّرْها لي.

فإن فسرها بما بيَّنه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدَّعي شيئًا وهو لا يعرفه؟ وإن فسَّر ذلك بغير معناه، بُيِّنت له الآياتُ الواضحات في معنىٰ الشرك باللَّه وعبادة الأوثان، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة اللَّه وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا، ويصيحون فيه، كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص].

[شركُ الأولين أخفُّ من شرك المعاصرين]:

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا: «الاعتقاد» هو الشرك الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسولُ اللَّه ﷺ الناس عليه= فاعلم أن شركَ الأولين أخفُّ من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يُشركون ويدْعون الملائكة والأولياء

والأوثان مع اللَّه إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيُخلصون للَّه الدين:

كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ۝٦٧﴾ [الإسراء].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ[1] إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۝٤١﴾ [الأنعام].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ[2] نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨﴾ [الزمر].

وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ[3] دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

فمن فَهِم هذه المسألة التي وضَّحها اللَّه في كتابه ـ وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسولُ اللَّه ﷺ يدْعون اللَّه، ويدْعون غيره في الرخاء، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا اللَّهَ وحده لا شريك له، وينسَون ساداتهم ـ: تبيَّن له الفرقُ بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين مَن يفهم قلبُه هذه المسألة فهمًا راسخًا؟ واللَّه المستعان.

والأمر الثاني: أن الأولين يدْعون مع اللَّه أناسًا مقربين عند اللَّه ـ إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة ـ، أو يدْعون أحجارًا أو أشجارًا مطيعةً للَّه ليست عاصيةً، وأهل زماننا يدعون مع اللَّه أناسًا

---

(١) ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾: أخبروني.
(٢) ﴿خَوَّلَهُۥ﴾: أعطاه.
(٣) ﴿كَٱلظُّلَلِ﴾: كالسُّحُب.

من أفسق الناس، والذين يدْعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجورَ من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك، والذي يَعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي ـ مثلَ الخشب والحجر ـ أهونُ ممن يَعتقد فيمن يشاهِدُ فسقه وفساده ويشهد به.

[من أعظم شبهات المشركين]:

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسولُ اللَّه ﷺ أصحُّ عقولًا وأخف شركًا من هؤلاء، فاعلم أن لهؤلاء شُبهةً يوردونها علىٰ ما ذكرنا، وهي من أعظم شُبههم، فأصغ سمعك لجوابها:

وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون ألَّا إلٰه إلا اللَّه، ويكذِّبون الرسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذِّبون القرآن، ويجعلونه سحرًا. ونحن نشهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، ونصدِّق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم؛ فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلِّهم: أن الرجل إذا صدَّق رسول اللَّه ﷺ في شيء، وكذَّبه في شيء؛ أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجَحد بعضه؛ كمن أقر بالتوحيد، وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة، وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كلِّه وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج. ولما لم يَنْقَدْ أناسٌ في زمن النبي ﷺ للحج، أنزل اللَّه في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران][1].

---

(١) انظر: «الاستيعاب في بيان الأسباب» (١/٢٧٥)، ففيه عدة آثار لا يثبت =

ومن أقر بهذا كلِّه، وجحد البعث كفر بالإجماع، وحلَّ دمُه وماله، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١﴾ [النساء].

فإذا كان اللَّه قد صرَّح في كتابه أن مَن آمن ببعضٍ وكفر ببعضٍ فهو الكافر حقًّا، زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعضُ أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا.

ويقال ـ أيضًا ـ: إذا كنت تقرُّ أن مَن صدَّق الرسولَ في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة أنه كافرٌ حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقرَّ بكل شيءٍ إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان، وصدَّق بذلك كله؛ لا تختلف المذاهب فيه[(١)]، وقد نطق به القرآن ـ كما قدمنا ـ؛ فمعلومٌ أن التوحيد هو أعظم فريضةٍ جاء بها النبيُّ ﷺ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر ـ ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ـ؟ وإذا جحد التوحيدَ ـ الذي هو دين الرسل كلهم ـ لا يكفر؟ سبحان اللَّه! ما أعجب هذا الجهل!

ويقال ـ أيضًا ـ: هؤلاء أصحابُ رسول اللَّه ﷺ؛ قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون ألَّا إلٰه إلا اللَّه

= منها شيء.

(١) في طبعات ونسخ أخرىٰ من «كشف الشبهات»: «وصدق بذلك كله، لا يجحد هذا، ولا تختلف المذاهب فيه»، والأوضح ما أُثبِت.

وأن محمدًا عبده ورسوله، ويؤذِّنون ويصلون.

فإن قال: إنهم يقولون: إن مسيلِمة نبي.

فقل: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلًا إلىٰ رتبةِ النبي ﷺ كفر وحلَّ ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شُمْسان أو يوسف[1]، أو صحابيًّا، أو نبيًّا في رتبة جبار السماوات والأرض؟! سبحان اللَّه! ما أعظم شأنه! ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٩﴾ [الروم].

ويقال ـ أيضًا ـ: الذين حرَّقهم عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار كلُّهم يدَّعون الإسلام، وهم من أصحاب علي رضي الله عنه، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في عليٍّ مثل الاعتقاد في يوسف وشُمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابةُ علىٰ قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفِّرون المسلمين؟ أتظنون أن الاعتقاد في تاج[2] وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في عليِّ بن أبي طالب يُكفِّر؟!

ويقال ـ أيضًا ـ: بنو عُبيد القدَّاح ـ الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس ـ، كلهم يشهدون ألَّا إلٰه إلَّا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، ويدَّعون الإسلام، ويصلُّون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفةَ الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه، أجمع العلماء علىٰ كُفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلادُ حرب، وغزاهم المسلمون حتىٰ استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال ـ أيضًا ـ: إذا كان الأوَّلون لم يَكفُروا إلا لأنهم جمعوا

---

(١) أسماءُ أناسٍ كانت تُدعَىٰ وتُعبد من دون اللَّه تعالىٰ.
(٢) اسم طاغوتٍ ـ أيضًا ـ كان يُعبد من دون اللَّه تعالىٰ.

بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وإنكار البعث... وغير ذلك، فما معنىٰ الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب: «باب: حكم المرتد» - وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه -؟ ثم ذكروا أنواعًا كثيرة؛ كل نوع منها يُكفِّر ويُحلُّ دمَ الرجل ومالَه؛ حتىٰ إنهم ذكروا أشياء يسيرةً عند من فعلها، مثل كلمةٍ يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمةٍ يذكرها علىٰ وجه المُزاح واللعب!

ويقال - أيضًا -: الذين قال اللَّه فيهم: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾ [التوبة: ٧٤]، أما سمعت اللَّهَ كفَّرهم بكلمةٍ مع كونهم في زمن رسول اللَّه ﷺ، وهم يجاهدون معه، ويصلون معه، ويزكُّون، ويحجون، ويوحِّدون؟

وكذلك الذين قال اللَّه فيهم: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة]؛ فهؤلاء الذين صرح اللَّه فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول اللَّه ﷺ في غزوة تبوك قالوا كلمةً ذكروا أنهم قالوها علىٰ وجه المزاح[(١)].

فتأمل هذه الشبهة؛ وهي قولهم: تكفِّرون المسلمين؛ أناسًا يشهدون ألَّا إلٰه إلا اللَّه، ويصلون ويصومون؟! ثم تأمل جوابها؛ فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.

ومن الدليل علىٰ ذلك - أيضًا -: ما حكىٰ اللَّه عن بني إسرائيل - مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم - أنهم قالوا لموسىٰ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقول أناس من الصحابة: اجعل لنا ذات أنواط؛ فحلف رسول اللَّه ﷺ أن هذا مثلُ قول بني إسرائيل

---

(١) حسن: وقد تقدم.

لموسىٰ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾[(١)].

[شبهةٌ أخرى للمشركين]:

ولكنْ للمشركين شُبهةٌ يُدلُون بها عند هذه القصة؛ وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفُروا بذلك، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: «اجعل لنا ذات أنواطٍ» لم يكفروا.

فالجواب أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا، وكذلك الذين سألوا النبيَّ ﷺ لم يفعلوا، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا. وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبيُّ ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذاتَ أنواط بعد نَهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب.

ولكن هذه القصة تُفيد أن المسلم - بل العالِم - قد يقع في أنواعٍ من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التعلُّمَ[(٢)] والتحرزَ ومعرفةَ أن قول الجاهل: «التوحيد فهمناه» أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان. وتفيد - أيضًا - أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفرٍ وهو لا يدري، فنُبه علىٰ ذلك وتاب من ساعته، أنه لا يكفر - كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا رسول اللَّه ﷺ -.

وتفيد - أيضًا - أنه لو لم يكفر فإنه يُغلَّظُ عليه الكلام تغليظًا شديدًا - كما فعل رسول اللَّه ﷺ -.

[شبهةٌ أخرى للمشركين]:

ولهم شبهةٌ أخرىٰ؛ يقولون: إن النبي ﷺ أنكر علىٰ أسامةَ قتل

---

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) أي: تعلُّمَ نواقض الإيمان ونحو ذلك.

من قال: لا إلٰه إلا اللَّه، وقال: «**أقتلتَه بعدما قال: لا إلٰه إلا اللَّه؟**»[١]، وكذلك قوله: «**أُمرتُ أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إلٰه إلا اللَّه**»[٢]، وأحاديث أخرىٰ في الكفِّ عمن قالها، ومرادُ هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يُكفَّر ولا يُقتل ولو فعل ما فعل!

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلومٌ أن رسول اللَّه ﷺ قاتَل اليهود وسباهم، وهم يقولون: لا إلٰه إلا اللَّه، وأن أصحاب رسول اللَّه ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون ألَّا إلٰه إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، ويصلُّون ويدَّعون الإسلام، وكذلك الذين أحرقهم عليُّ بن أبي طالب. وهؤلاء الجهلة مقرُّون أن من أنكر البعث كَفر وقُتل، ولو قال: لا إلٰه إلا اللَّه، وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كَفر وقُتل، ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئًا من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسُه؟! ولكنَّ أعداء اللَّه ما فهموا معنىٰ الأحاديث.

فأما حديث أسامة: فإنه قَتَل رجلًا ادعىٰ الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلَّا خوفًا علىٰ دمه وماله. والرجلُ إذا أظهر الإسلام وجب الكفُّ عنه حتىٰ يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل اللَّه في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤]، أي: فتثبتوا، فالآية تدل علىٰ أنه يجبُ الكفُّ عنه والتثبُّت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلامَ قُتل، لقوله: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾، ولو

---

(١) رواه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦)، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.
(٢) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
ورواه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كان لا يُقتل إذا قالها لم يكن للتثبُّت معنًىٰ.

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله: معناه ما ذكرناه؛ أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكفُّ عنه، إلىٰ أن يتبين منه ما يناقض ذلك.

والدليل علىٰ هذا: أن رسول اللَّه ﷺ، وهو الذي قال: «**أقتلته بعدما قال: لا إلٰه إلا اللَّه؟**»، وقال: «**أُمرتُ أن أقاتل الناس، حتىٰ يقولوا: لا إلٰه إلا اللَّه**»[(١)]= هو الذي قال في الخوارج: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم. لئن أدركتهم لأُقتلنَّهم قتل عاد**»[(٢)]، مع كونهم من أكثر الناس عبادةً وتهليلًا، حتىٰ إن الصحابة يَحقِرون أنفسَهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إلٰه إلا اللَّه، ولا كثرةُ العبادة، ولا ادعاء الإسلام لمَّا ظهر منهم مخالفةُ الشريعة، وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حنيفة.

وكذلك أراد ﷺ أن يغزوَ بني المصطلِق لمَّا أخبره رجلٌ أنهم منعوا الزكاة، حتىٰ أنزل اللَّه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات]، وكان الرجلُ كاذبًا عليهم[(٣)]، فكلُّ هذا يدل علىٰ أن مراد النبي ﷺ في

(١) تقدم الحديثان في الصفحة السابقة.

(٢) رواه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) **ضعيف**: رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» ـ كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٣٣٢)، و«المطالب العالية» (٩/ ٤٠ ـ رقم: ٤١١١)، والطبري في «تفسيره» (٢٦/ ٧٨)، والطبراني في «الكبير» (٣٢٦/٢٣)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها، **وضعَّفه** الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١١١/٧)، والشيخ =

الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه.

[شبهةٌ أخرى للمشركين]:

ولهم شبهةٌ أخرىٰ، وهو ما ذَكر النبيُّ ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسىٰ، ثم بعيسىٰ؛ فكلهم يعتذرون، حتىٰ ينتهوا إلىٰ رسول اللَّه ﷺ[(١)] قالوا: فهذا يدل علىٰ أن الاستغاثة بغير اللَّه ليست شركًا.

فالجواب أن نقول: سبحان من طبع علىٰ قلوب أعدائه! فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يَقدر عليه لا ننكرها، كما قال اللَّه تعالىٰ في قصة موسىٰ: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، وكما يستغيثُ الإنسان بأصحابه في الحرب، أو غيرها من الأشياء التي يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثةَ العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء، أو في غَيبتهم في الأشياء التي لا يَقدِرُ عليها إلا اللَّه.

إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدْعوا اللَّهَ أن يحاسبَ الناس، حتىٰ يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائزٌ في الدنيا والآخرة؛ أن تأتيَ عند رجل صالح حيٍّ يجالسك ويسمع كلامك، وتقول له: «ادع اللَّه لي»، كما كان أصحاب رسول اللَّه ﷺ يسألونه ذلك في حياته، وأما بعد موته

= حسين الداراني في تحقيقه (١٤/٣٩٧)، وكذا الشيخان سليم الهلالي ومحمد موسىٰ آل نصر في «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٣/٢٧٣).

(١) رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي الباب عن غير واحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم.

فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره؛ بل أنكر السلفُ علىٰ من قصد دعاء اللَّه عند قبره، فكيف دعاؤُه نفسَه [ﷺ][1]؟!

[شبهةٌ أخرى للمشركين]:

ولهم شبهة أخرىٰ، وهي قصة إبراهيم [عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه] لما أُلقي في النار اعترض له جبرائيلُ في الهواء، فقال له: «ألك حاجة؟ فقال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: أما إليك فلا». قالوا: فلو كانت الاستغاثةُ بجبرائيل شركًا، لم يعرضْها علىٰ إبراهيم.

فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولىٰ؛ فإن جبرائيل عرض عليه أن ينفعه بأمرٍ يقدر عليه، فإنه كما قال اللَّه تعالىٰ فيه: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم]، فلو أذن اللَّه له أن يأخذَ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال، ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره أن يضع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في مكانٍ بعيدٍ عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلىٰ السماء لفعل، وهذا كرجل غنيٍّ له مالٌ كثير يرىٰ رجلًا محتاجًا، فيعرض عليه أن يُقرضه، أو أن يَهَبَه شيئًا يقضي به حاجته، فيأبىٰ ذلك الرجلُ المحتاج أن يأخذ، ويصبر إلىٰ أن يأتيه اللَّه برزق لا مِنَّةَ فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك ﴿لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ۝٨١﴾ [التوبة][2]؟

(١) وبعد كلِّ هذا نرىٰ طوائف تُنسب إلىٰ العلم من المتأخرين يجيزون ـ بل يستحبُّون ـ الدعاء عند قبور الصالحين؛ بغير أيِّ مستندٍ شرعي من الكتاب والسنة وهدي سلف الأمة.

(٢) أضف إلىٰ ما ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أمرين هامين:

الأول: أن قصة إبراهيم وجبريل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ من الإسرائيليات التي لا تقوم بها الحُجة، هذا لو صحَّ سندها، فما بالُنا إذا علمنا أنها لا تصحُّ سندًا؛ =

📖 **[خاتمة: بذكر مسألة عظيمة]:**

ولنختم الكلام - إن شاء اللَّه تعالىٰ - بمسألةٍ عظيمةٍ مهمةٍ جدًّا تُفهم مما تقدم، ولكن نُفرد لها الكلام لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها فنقول:

لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكونَ بالقلب واللسان والعمل، فإن اختلَّ شيء من هذا لم يكن الرجل مسلمًا، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به، فهو كافرٌ معاندٌ - كفرعون وإبليس وأمثالهما -، وهذا يغلط فيه كثيرٌ من الناس، ويقولون: هذا حقٌّ، ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق، ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلَّا من وافقهم، أو غير ذلك من الأعذار.

ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ [التوبة: ٩]، وغير ذلك من الآيات؛ كقوله: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ

= بل - أيضًا - لا يثبت رفعُها للنبي ﷺ؛ بل كل ما ورد إما عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أو عن التابعين؟! وقد تقرر أن الإسرائيليات ليست من الحُجج الشرعية التي يُحتجُّ بها ما لم يأتِ في شرعنا ما يؤيِّدُها - كما هو معلوم -.

الثاني: لو ارتكن إليها البعضُ من ناحية الاحتجاج بشرع من قبلنا، فأيضًا لابد أن يصحَّ السندُ إلىٰ المعصوم ﷺ من ناحية، وألَّا يأتي في شريعتنا الغراء ما يردُّها من ناحيةٍ أخرىٰ.

وكأني بالمصنف رحمه الله علم سذاجةَ وسماجةَ هذا الاحتجاج؛ لكنه قام بالرد عليه - باختصار - خوفًا من ارتكانِ بعض السُّذَّج إليه. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

أَبْنَآءَهُمْۖ﴾ [البقرة: ١٤٦]، فإن عمل بالتوحيد عملًا ظاهرًا وهو لا يفهمه، أو لا يعتقده بقلبه فهو منافق، وهو شرٌّ من الكافر الخالص، لقوله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وهذه المسألة مسألةٌ كبيرةٌ طويلة، تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس، ترىٰ مَن يعرف الحق ويترك العمل به، لخوفِ نقصِ دنيا أو جاهٍ أو مداراة، وترىٰ مَن يعمل به ظاهرًا لا باطنًا، فإذا سألته عما يعتقدُ بقلبه، فإذا هو لا يعرفه. ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب اللَّه:

أُولاهما: ما تقدم من قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزَوا الرومَ مع الرسول ﷺ كفروا بسبب كلمةٍ قالوها علىٰ وجه المَزح واللعب، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر، أو يعمل به خوفًا من نقص مالٍ أو جاهٍ أو مداراةٍ لأحد، أعظمُ ممن يتكلم بكلمةٍ يمزح بها.

والآية الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، فلم يعذر اللَّهُ من هؤلاء إلا من أُكره مع كون قلبه مطمئنًّا بالإيمان، وأما غير هذا فقد كَفر بعد إيمانه، سواءً فَعَله خوفًا، أو مداراةً، أو مَشَحَّةً بوطنه أو أهله، أو عشيرته أو ماله، أو فعله علىٰ وجه المُزاح، أو لغير ذلك من الأغراض إلا المُكره، فالآية تدلُّ علىٰ هذا من جهتين:

الأولىٰ: قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾، فلم يستثن اللَّهُ إلا المكره. ومعلومٌ أن الإنسان لا يُكره إلا علىٰ العمل أو الكلام، وأما عقيدة القلب فلا يُكره أحد عليها.

والثانية: قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧]؛ فصرَّح أن هذا الكفرَ والعذابَ لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل، أو البُغض للدين، أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظًّا من حظوظ الدنيا؛ فآثره علىٰ الدين.

واللَّه ﷻ أعلم، والحمد للَّه رب العالمين، وصلىٰ اللَّه علىٰ محمد وسلَّم تسليمًا.



[٣]

مسائل الجاهلية

لشيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه أمورٌ خالف فيها رسولُ اللَّه ﷺ ما عليه أهل الجاهلية ـ الكتابيين والأمِّيِّين ـ، مما لا غنىٰ للمسلم عن معرفتها؛ فالضد يُظهِرُ حُسْنَه الضدُّ، وبضدها تتبيَّنُ الأشياء[1].

فأهمُّ ما فيها وأشدها خطرًا: عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ؛ فإن انضاف إلىٰ ذلك استحسانُ ما عليه أهل الجاهلية تمَّت الخسارة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٥٢﴾ [العنكبوت].

المسألة الأولى:

أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء اللَّه وعبادته، يريدون شفاعتهم عند اللَّه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وهذه أعظم مسألةٍ خالفهم فيها رسولُ اللَّه ﷺ، فأتىٰ بالإخلاص،

---

(١) رأيتُ بعض من علَّق علىٰ هذه الرسالة جعل الجملتين الأخيرتين بيتًا واحدًا من الشعر في شطرين متقابلين، وهذا غير صحيح، بل كلٌّ منهما شطرٌ في بيتٍ مختلف كالآتي:

ضدَّان لما استجمَعا حَسُنا ... والضدُّ يُظهِرُ حُسنَه الضِّدُّ

والآخر:

ونَذيمُهُم وبهم عَرفْنا فَضْلَهُ ... وبضِدِّها تَتَبَيَّنُ الأشْياءُ

وأخبر أنه دين اللَّهِ الذي أرسل به جميعَ الرسل، وأنه لا يَقبل من الأعمال إلا الخالص، وأخبر أن من فعل ما يستحسنونه فقد حرَّم اللَّه عليه الجنة، ومأواه النار.

وهذه المسألة التي تَفرَّقَ الناس لأجلها بين مسلم وكافر، وعندها وقعت العداوة، ولأجلها شُرع الجهاد، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩].

المسألة الثانية:

أنهم متفرِّقون في دينهم، كما قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣﴾ [المؤمنون]، وكذلك في دنياهم، ويرون ذلك هو الصواب، فأتىٰ بالاجتماع في الدين بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ونهانا عن مشابهتهم بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ونهانا عن التفرق في الدين بقوله: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ(١) جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

[المسألة] الثالثة:

أن مخالفة وليِّ الأمر عندهم وعدمَ الانقياد له فضيلة، والسمع

---

(١) **حبل اللَّه**: دينه. وقيل: كتابه. ولا منافاة، فالكتاب أصل الدين وأُسُّه.

والطاعة ذلٌّ ومهانة، فخالفهم رسول اللَّه ﷺ، وأمر بالصبر علىٰ جور الولاة، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة، وغلَّظ في ذلك، وأبدأ فيه وأعاد.

وهذه الثلاث [هي] التي جمع بينها ـ فيما ذكر عنه ﷺ في «الصحيحين» ـ أنه قال: «**إن اللَّه يرضىٰ لكم ثلاثًا: أن تعبدوا اللَّه ولا تُشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل اللَّه جميعًا ولا تَفرَّقوا، وأن تُناصحوا مَن وَلَّاه اللَّه أمركم**»[1]. ولم يقع خللٌ في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث، أو بعضها.

[المسألة] الرابعة:

أن دينهم مبنيٌّ علىٰ أصول، أعظمها التقليد؛ فهو القاعدة الكبرىٰ لجميع الكفار أولِهم وآخرهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ[2] إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ[3] وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [الزخرف].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ[4] ٢١﴾ [لقمان].

فأتاهم بقوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ...﴾ الآية [سبأ: ٤٦].

(١) رواه مسلم (١٧١٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وليس في البخاري.
(٢) **المترفون**: الأغنياء المتنعِّمون.
(٣) **الأمَّة** ـ هنا ـ: الدين والملَّة.
(٤) وفي هذا بيانٌ أنه لا فرق بين اتباع العادات والتقاليد المخالفة للشرع المجيد، وبين السير في طريق جهنم والعذاب الشديد. انظر: «محاسن التأويل» للقاسمي (٨/٣٣) عند الآية الكريمة.

وقولِه تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ(١) قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف].

[المسألة] الخامسة:

أن من أكبر قواعدهم: الاغترارَ بالأكثر، ويحتجون به علىٰ صحة الشيء، ويستدلون علىٰ بطلان الشيء بغربته وقلةِ أهله، فأتتهم الآيات بضد ذلك، وأوضحه [ﷻ] في غير موضع من القرآن.

[المسألة] السادسة:

الاحتجاجُ بالمتقدمين، كقوله: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾ [طه]، وقوله: ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [القصص].

[المسألة] السابعة:

الاستدلال بقوم أُعطوا قوًىٰ في الأفهام والأعمال، وفي المُلك والمال والجاه(٢)، فردَّ اللَّه ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ...﴾ الآية [الأحقاف: ٢٦]، وقوله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ...﴾ الآية [الأنعام: ٢٠].

[المسألة] الثامنة:

الاستدلالُ علىٰ بطلان الشيء بأنه لم يتَّبِعْه إلا الضعفاء؛ كقوله:

---

(١) أي: لا تتخذوا غيره أولياءَ تُطيعونهم في معصية اللَّه تعالىٰ. وقيل: لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول ﷺ إلىٰ غيره، فتكونوا قد عَدَلتم عن حكم اللَّه إلىٰ حكم غيره. والمعنيان متلازمان.

(٢) أي: احتجوا بهؤلاء أنهم لم يؤمنوا.

﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ[١] ﴿١١١﴾﴾ [الشعراء]، وقوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾، فردَّه اللَّه بقوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام].

[المسألة] التاسعة:

الاقتداءُ بفَسَقة العلماء، فأتىٰ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، وبقوله: ﴿لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا[٢] وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة].

[المسألة] العاشرة:

الاستدلال علىٰ بطلان الدين بقلةِ أفهام أهله، وعدم حفظهم؛ كقولهم: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ[٣]﴾ [هود: ٢٧].

[المسألة] الحادية عشرة:

الاستدلالُ بالقياس الفاسد، كقوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠].

---

(١) ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾: السِّفلة. ويعنون بهم الفقراء وأصحاب الأعمال الصغيرة والمتواضعة؛ كالحائك والإسكافي ونحوهما.

(٢) ظن بعضهم أن الخطاب لمَّا كان للنصارىٰ، فإن المراد بـ«من ضل من قبلُ» هم اليهود، وهذا ظنٌّ خاطئٌ؛ بل المراد اليهود وآباء النصارىٰ أنفسهم ممن كفروا وضلُّوا قبل أبنائهم عن سواء السبيل. وانظر في هذا ـ لزامًا ـ: «صفوة الآثار والمفاهيم» للعلامة عبدالرَّحمٰن الدوسري عند الآية الكريمة طبع دار ابن الجوزي بالدمام؛ بعنايتي وتخريجي للأحاديث.

(٣) أي: اتبعوك ظاهرًا من غير أن يتدبَّروا ويتفكروا باطنًا في كلامك.

🕮 [المسألة] الثانية عشرة:

إنكار القياس الصحيح.

والجامع لهذا وما قبله: عدم فهم الجامع والفارق(١).

🕮 [المسألة] الثالثة عشرة:

الغلو في العلماء والصالحين، كقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

🕮 [المسألة] الرابعة عشرة:

أن كل ما تقدم مبنيٌّ علىٰ قاعدة؛ وهي النفي والإثبات؛ فيتبعون الهوىٰ والظن، ويُعرضون عما آتاهم اللَّه.

🕮 [المسألة] الخامسة عشرة:

اعتذارهم عن اتباع ما آتاهم اللَّه بعدم الفهم، كقوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾ [البقرة: ٨٨]، وقوله: ﴿يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]، فأكذَبَهم اللَّه، وبيَّن أن ذلك بسبب الطبع علىٰ قلوبهم، والطبعُ بسبب كفرهم.

🕮 [المسألة] السادسة عشرة:

اعتياضهم عمَّا أتاهم من اللَّه بكتب السحر(٢)، كما ذكر اللَّه ذلك

---

(١) وحتىٰ الآن فإنَّ الجهل بهذا من أعظم أسباب ضلال من ضل، فنعوذ باللَّه من فتنة القلوب.

(٢) تمامًا كما اعتاض أهلُ الضلال ـ كالجماعات المنحرفة علىٰ الساحة ـ عن صحيح السُّنة المطهرة بالأكاذيب والأباطيل، بحجةِ جذب الناس والعُصاة إلىٰ اللَّه ﷻ! وجَهِل هؤلاء أن الكذب لا يحلُّ لنصرة =

في قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾[1] [البقرة].

[المسألة] السابعة عشرة:

نسبة باطلهم إلىٰ الأنبياء، كقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧].

[المسألة] الثامنة عشرة:

تناقضهم في الانتساب، [حيث] ينتسبون إلىٰ إبراهيم مع إظهارهم تركَ اتباعه.

[المسألة] التاسعة عشرة:

قدحُهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين، كقدح اليهود في عيسىٰ، وقدح اليهود والنصارىٰ في محمد ﷺ.

[المسألة] العشرون:

اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات

= الدين بحال. وانظر كلامًا مهمًّا عن هذا في الكتاب النفيس: «الإمام الألباني وجماعة التبليغ»، للعلامة المحقق مشهور حسن آل سلمان؛ بواسطة فهرس الموضوعات.

(١) وهاتان الآيتان الكريمتان أصلٌ للحكمة المشهورة: «النفسُ إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل»، فإن اللَّه ﷻ بيَّن أنهم لما تركت قلوبهم الحق ـ حين نبذوا ما أنزل اللَّه ﷻ عليهم ـ، اتبعوا الباطل ـ وهو ما تختلقُه الشياطين علىٰ سليمان عليه السلام ومُلكه العظيم ـ، زاعمين أنه أُوتي ما أُوتي عن طريق السحر والدجل. وهكذا كلُّ من ترك الحق لابد أن ينشغل بكل ما يُغضب اللَّه تعالىٰ، نعوذ باللَّه من ذلك.

الصالحين، ونسبتُه إلىٰ الأنبياء، كما نسبوه لسليمان.

[المسألة] الحادية والعشرون:

تعبُّدهم بالمكاء والتصدية(١).

[المسألة] الثانية والعشرون:

أنهم اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا.

[المسألة] الثالثة والعشرون:

أن الحياة الدنيا غرَّتهم، فظنوا أن عطاء اللَّه منها يدلُّ علىٰ رضاه، كقوله: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [سبأ].

[المسألة] الرابعة والعشرون:

تركُ الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء تكبُّرًا وأنفةً، فأنزل اللَّه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم...﴾ الآية [الأنعام: ٥٢].

[المسألة] الخامسة والعشرون:

الاستدلال علىٰ بطلانه بسَبْق الضعفاء، كقوله: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

[المسألة] السادسة والعشرون:

تحريفُ كتاب اللَّه من بعدِ ما عقلوه وهم يعلمون.

---

(١) **المكاء**: الصفير. **التصدية**: التصفيق. كما نراه من ضُلَّال المتصوفة حينما يتعبدون ـ زعموا ـ بالرقص والغناء والتصفيق والتقافز المزري.

[المسألة] السابعة والعشرون:

تصنيفُ الكتب الباطلة، ونسبتها إلىٰ اللَّه، كقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ...﴾ الآية [البقرة: ٧٩].

[المسألة] الثامنة والعشرون:

أنهم لا يَعقلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم، كقوله: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١].

[المسألة] التاسعة والعشرون:

أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله الطائفة، كما نبَّه اللَّه عليه بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة].

[المسألة] الثلاثون:

وهي من عجائب آيات اللَّه: أنهم لما تركوا وصية اللَّه بالاجتماع، وارتكبوا ما نَهىٰ اللَّه عنه من الآفة= صار كلُّ حزب بما لديهم فرحون.

[المسألة] الحادية والثلاثون:

وهي من عجائب اللَّه ـ أيضًا ـ: معاداتُهم الدين ـ الذي انتسبوا إليه ـ غاية العداوة، ومحبتُهم دين الكفار ـ الذين عادَوهم، وعادَوا نبيهم وفِئَتهم[1] ـ غاية المحبة، كما فعلوا مع النبي ﷺ لما أتاهم بدين موسىٰ[2]، واتبعوا كتب السحر، وهي من دين آل فرعون.

---

(١) في المطبوعات: «وفتنتهم»، والمثبت من «شرح مسائل الجاهلية» للعلامة صالح الفوزان.

(٢) لأن جميع الأنبياء دينهم التوحيد، وسيأتي من كلام شيخ الإسلام عن =

[المسألة] الثانية والثلاثون:

كفرهم بالحق إذا كان مع من لا يَهْوَونه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ...﴾ الآية [البقرة: ١١٣].

[المسألة] الثالثة والثلاثون:

إنكارهم ما أقروا أنه من دينهم، كما فعلوا في حجِّ البيت، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

[المسألة] الرابعة والثلاثون:

أن كل فرقة تدَّعي أنها الناجية، فأكذبهم اللَّه بقوله: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة]، ثم بيَّن الصواب بقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ...﴾ الآية [البقرة: ١١٢].

[المسألة] الخامسة والثلاثون:

التعبُّد بكشف العورات، كقوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً...﴾ الآية [الأعراف: ٢٨].

[المسألة] السادسة والثلاثون:

التعبُّد بتحريم الحلال؛ كما تعبَّدوا بالشرك.

[المسألة] السابعة والثلاثون:

التعبُّد باتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون اللَّه.

= هذا في كتاب «العبودية». وانظر المرجع السابق حول هذه النقطة.

[المسألة] الثامنة والثلاثون:

الإلحاد في الصفات، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت].

[المسألة] التاسعة والثلاثون:

الإلحاد في الأسماء، كقوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

[المسألة] الأربعون:

التعطيل، كقول آل فرعون[١].

[المسألة] الحادية والأربعون:

نسبة النقائص إليه [تبارك وتعالىٰ].

[المسألة] الثانية والأربعون:

الشرك في المُلك؛ كقول المجوس[٢].

[المسألة] الثالثة والأربعون:

جحود القَدَر.

[المسألة] الرابعة والأربعون:

الاحتجاج علىٰ اللَّه.

---

(١) يقصد كما قال فرعون ـ عليه لعائن اللَّه ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وكما قال ـ أيضًا ـ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر].

(٢) حيث يقولون: إن الكون له خالقان: أحدهما النور، وهو خالق الخير. والثاني الظَّلام، وهو خالق الشر.

[المسألة] الخامسة والأربعون:

معارضة شرع اللَّه بقدره.

[المسألة] السادسة والأربعون:

مسبة الدهر؛ كقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤][(١)].

[المسألة] السابعة والأربعون:

إضافة نعم اللَّه إلىٰ غيره، كقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣][(٢)].

[المسألة] الثامنة والأربعون:

الكفر بآيات اللَّه.

[المسألة] التاسعة والأربعون:

جحد بعضها.

[المسألة] الخمسون:

قولهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

[المسألة] الحادية والخمسون:

قولهم في القرآن: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر].

---

(١) وجه كون الآية سُبةً للدهر: أنهم نسَبوا إليه الإهلاك، وأنه - أيضًا - ظالمٌ في ذلك. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) وأعظم النعم عليهم وعلىٰ الخلق كافةً: الإسلام والقرآن والحبيب محمد ﷺ، وبالرغم من ذلك أنكروها، وحاربوها، وكذَّبوا بها.

📖 **[المسألة] الثانية والخمسون:**

القدح في حكمة اللَّه تعالىٰ.

📖 **[المسألة] الثالثة والخمسون:**

إعمال الحيل الظاهرة والباطنة في دفع ما جاءت به الرسل، كقوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ٧٢].

📖 **[المسألة] الرابعة والخمسون:**

الإقرار بالحق ليتوصلوا به إلىٰ دفعه، كما قال في الآية[1].

📖 **[المسألة] الخامسة والخمسون:**

التعصب للمذهب، كقوله فيها: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣].

📖 **[المسألة] السادسة والخمسون:**

تسمية اتِّباع الإسلام شركًا، كما ذكره في قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ الآية [آل عمران: ٧٩].

---

(١) ذلك أن الآية السابقة بيَّنت بعض مكر اليهود ـ عليهم لعائن اللَّه ـ في صد الناس عن دين الإسلام؛ حيث تواصَوا فيما بينهم أن يتظاهروا بالدخول فيه، ثم بعد فترةٍ يسيرةٍ جدًّا يُظهرون الخروج منه، فإذا رآهم الجهلاء قالوا: ما ترك هؤلاء الإسلام ـ وهم أهل كتاب ـ إلَّا لأنهم علموا أنه دينٌ باطل، ولو كان دين الحق لما تركوه، وأعرضوا عنه.

[المسألة] السابعة والخمسون:

تحريف الكلم عن مواضعه.

[المسألة] الثامنة والخمسون:

لَيُّ الألسنة بالكتاب(١).

[المسألة] التاسعة والخمسون:

تلقيب أهل الهدىٰ بالصُّباة والحَشْوية(٢).

[المسألة] الستون:

افتراء الكذب علىٰ اللَّه.

[المسألة] الحادية والستون:

التكذيب بالحق.

[المسألة] الثانية والستون:

كونهم إذا غُلبوا بالحجة فزعوا إلىٰ الشكوىٰ للملوك، كما قال: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

[المسألة] الثالثة والستون:

رميهم إياهم بالإفساد(٣) في الأرض كما في الآية.

---

(١) أي: تحريف الكتاب وتغييره عن مراد اللَّه تعالىٰ.

(٢) وفي زماننا سمعنا بعض رؤوس البدع والجهل صعد المنبر، وصدع بوصف أهل السنة بأنهم «شُذَّاذ».

(٣) في المطبوعات: «بالفساد»، ولعل الأدق ما أثبتُّه.

🕮 [المسألة] الرابعة والستون:

رميهم إياهم بانتقاص دين المَلِك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، وكما قال تعالىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ...﴾ الآية [غافر: ٢٦].

🕮 [المسألة] الخامسة والستون:

رميهم إياهم بانتقاض آلهة المَلِك كما في الآية.

🕮 [المسألة] السادسة والستون:

رميهم إياهم بتبديل الدين؛ كما قال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾ [غافر].

🕮 [المسألة] السابعة والستون:

رميهم إياهم بانتقاص المَلِك، كقولهم: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

🕮 [المسألة] الثامنة والستون:

دعواهم العملَ بما عندهم من الحق، كقوله: ﴿نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ [البقرة: ٩١]، مع تركهم إياه.

🕮 [المسألة] التاسعة والستون:

الزيادة في العبادة؛ كفعلهم يوم عاشوراء.

🕮 [المسألة] السبعون:

نقصهم منها، كتركهم الوقوف بعرفات.

🕮 [المسألة] الحادية والسبعون:

تركهم الواجب ورعًا.

[المسألة] الثانية والسبعون:

تعبُّدهم بترك الطيبات من الرزق.

[المسألة] الثالثة والسبعون:

تعبُّدهم بترك زينة اللَّه.

[المسألة] الرابعة والسبعون:

دعوتُهم الناس إلىٰ الضلال بغير علم.

[المسألة] الخامسة والسبعون:

دعوتهم إياهم إلىٰ الكفر مع العلم.

[المسألة] السادسة والسبعون:

المكر الكُبَّار كفعل قوم نوح.

[المسألة] السابعة والسبعون:

أن أئمتهم إما عالم فاجر، وإما عابد جاهل؛ كما في قوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ[1] ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ

(١) أي: إذا خَلَوا إلىٰ بعضهم تواصوا أن يكتموا ما عرفوه في كتبهم من البشارة بنُبوَّة محمد ﷺ، حتىٰ لا يتخذ المسلمون ذلك حجةً عليهم واعترافًا صريحًا بأن محمدًا ﷺ هو النبيُّ الحقُّ، ودينه هو الدينُ الحق.

﴿ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ[(١)] وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة].

[المسألة] الثامنة والسبعون:

دعواهم أنهم أولياء اللَّه من دون الناس.

[المسألة] التاسعة والسبعون:

دعواهم محبة اللَّه مع تركهم شرعه، فطالبهم اللَّه بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ...﴾ الآية [آل عمران: ٣١].

[المسألة] الثمانون:

تمنِّيهم الأمانيَّ الكاذبة؛ كقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، وقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١].

[المسألة] الحادية والثمانون:

اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد.

[المسألة] الثانية والثمانون:

اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد كما ذُكر عن عمر[(٢)].

[المسألة] الثالثة والثمانون:

اتخاذ السرج على القبور.

---

(١) **الأمانيُّ**: القراءة الظاهرة الخالية من الفهم.

(٢) وما يسمىٰ في عصرنا بـ«إحياء الآثار» ـ سواءٌ الإسلامية منها أو غيرها ـ؛ هذا من البدع والمحرمات، وداعيةٌ إلىٰ التبرك المحرم والشرك باللَّه ﷻ. وللعلامة صالح الفوزان محاضرة نفيسة في كتابه: «محاضرات في العقيدة والدعوة ـ أواخر المجموعة الثالثة».



[المسألة] الرابعة والثمانون:

اتخاذها أعيادًا.

[المسألة] الخامسة والثمانون:

الذبح عند القبور.

[المسألة] السادسة والثمانون:

التبرك بآثار المعظَّمين، كدار الندوة، وافتخار من كانت تحت يده بذلك، كما قيل لحكيم بن حزام: «بِعتَ مكرمة قريش؟ فقال: ذهبت المكارم إلا التقوىٰ».

[المسألة] السابعة والثمانون:

الفخر بالأحساب.

[المسألة] الثامنة والثمانون:

الطعن في الأنساب.

[المسألة] التاسعة والثمانون:

الاستسقاء بالأنواء[1].

[المسألة] التسعون:

النياحة.

[المسألة] الحادية والتسعون:

أن أجلَّ فضائلهم البغي[2]، فذكر اللَّه فيه ما ذكر.

---

(١) **الأنواء**: منازل القمر. وقد تقدم.

(٢) في بعض نسخ الكتاب: «الفخرُ بالأنساب» بدل «البغي».

🕮 [المسألة] الثانية والتسعون:

أن أجلَّ فضائلهم ـ أيضًا ـ الفخر ـ ولو بحق ـ، فنَهَىٰ عنه[١].

🕮 [المسألة] الثالثة والتسعون:

أن تعصُّب الإنسان لطائفته علىٰ الحق والباطل أمرٌ لابد منه عندهم؛ فذكر اللَّهُ فيه ما ذكر.

🕮 [المسألة] الرابعة والتسعون:

أن من دينهم أخْذَ الرجل بجريمةِ غيره[٢]، فأنزل اللَّه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

🕮 [المسألة] الخامسة والتسعون:

تعيير الرجل بما في غيره، فقال [ﷺ]: «أعيَّرته بأمه؟ إنك امرؤٌ فيك جاهلية»[٣].

🕮 [المسألة] السادسة والتسعون:

الافتخار بولاية البيت؛ فذمهم اللَّه بقوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ[٤] ﴿٦٧﴾﴾ [المؤمنون].

🕮 [المسألة] السابعة والتسعون:

الافتخار بكونهم ذريةَ الأنبياء؛ فأتىٰ اللَّه بقوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ

---

(١) فما بالُنا بالفخر بالباطل؟!

(٢) كالثأر.

(٣) رواه البخاري (٥١٢٦، ٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦٢)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٤) أي: تستكبرون وتتفاخرون بأنكم أهل البيت الحرام، وتسمرون في لياليكم هاجرين محمدًا ﷺ، وتسبُّونه وتطعنون فيه وفيما جاء به.

خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ...﴾ الآية [البقرة: ١٣٤].

[المسألة] الثامنة والتسعون:

الافتخار بالصنائع؛ كفعل أهل الرِّحلتين علىٰ أهل الحرث[(١)].

[المسألة] التاسعة والتسعون:

عظمة الدنيا في قلوبهم، كقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف].

[المسألة] المئة:

التحكُّم[(٢)] علىٰ اللَّه كما في الآية.

[المسألة] الحادية بعد المئة:

ازدراء الفقراء، فأتاهم بقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢].

[المسألة] الثانية بعد المئة:

رميُهم أتباعَ الرسل[(٣)] بعدم الإخلاص وطلب الدنيا، فأجابهم بقوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ...﴾ الآية [الأنعام: ٥٢] وأمثالها.

[المسألة] الثالثة بعد المئة:

الكفر بالملائكة.

---

(١) **أهل الرحلتين**: هم قريش، كانت لهم رحلتان للتجارة: في الصيف للشام، وفي الشتاء لليمن. **وأهل الحرث**: أصحاب الزرع والفلاحة.

(٢) **التحكم**: فرض الرأي.

(٣) في بعض المطبوعات: «الرسول».

[المسألة] الرابعة بعد المئة:

الكفر بالرسل.

[المسألة] الخامسة بعد المئة:

الكفر بالكتب.

[المسألة] السادسة بعد المئة:

الإعراض عمَّا جاء عن اللَّه.

[المسألة] السابعة بعد المئة:

الكفر باليوم الآخر.

[المسألة] الثامنة بعد المئة:

التكذيب بلقاء اللَّه.

[المسألة] التاسعة بعد المئة:

التكذيب ببعض ما أَخبرت به الرسلُ عن اليوم الآخر، كما في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ﴾ [الكهف: ١٠٥]، ومنها التكذيب بقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وقوله: ﴿لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [الزخرف].

[المسألة] العاشرة بعد المئة:

قتلُ الذين يأمرون بالقسط من الناس.

[المسألة] الحادية عشرة بعد المئة:

الإيمان بالجِبْت والطاغوت.

[المسألة] الثانية عشرة بعد المئة:

تفضيل دين المشركين علىٰ دين المسلمين.

[المسألة] الثالثة عشرة بعد المئة:

لَبْسُ الحق بالباطل.

[المسألة] الرابعة عشرة بعد المئة:

كتمانُ الحق مع العلم به.

[المسألة] الخامسة عشرة بعد المئة:

قاعدة الضلال؛ وهي القول علىٰ اللَّه بلا علم.

[المسألة] السادسة عشرة بعد المئة:

التناقض الواضح لما كذَّبوا الحق، كما قال تعالىٰ: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ[1] ٥﴾ [ق].

[المسألة] السابعة عشرة بعد المئة:

الإيمان ببعض المنزَّل دون بعض.

[المسألة] الثامنة عشرة بعد المئة:

التفريق بين الرسل.

---

(١) **المريج**: المضطرب المختلط، وكل من ترك الدين الحق التبست عليه الأمور واضطربت، وتضاربت أقواله وأفعاله، ولذلك كان هؤلاء الكفار مرةً يقولون عن محمدٍ ﷺ: إنه ساحر، ومرةً: شاعر، ومرةً: كاهن... إلخ.

[المسألة] التاسعة عشرة بعد المئة:

مخاصمتهم فيما ليس لهم به علم.

[المسألة] العشرون بعد المئة:

دعواهم اتباع السلف، مع التصريح بمخالفتهم.

[المسألة] الحادية والعشرون بعد المئة:

صدهم عن سبيل اللَّه من آمن به.

[المسألة] الثانية والعشرون بعد المئة:

مودَّتُهم الكفرَ والكافرين.

[المسألة] الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعشرون بعد المئة:

العيافة(١)، والطَّرْق(٢)، والطِّيَرة(٣)، والكهانة(٤)، والتحاكم إلىٰ الطاغوت، وكراهية التزويج بين العبدين(٥).

---

(١) **العيافة**: زجر الطير، وقد تقدم.

(٢) **الطَّرْق**: الضرب بالحصىٰ والودع. وقيل: هو الخط في الرمل. وقد تقدم ـ أيضًا ـ.

(٣) **الطِّيَرة**: التشاؤم.

(٤) **الكهانة**: سحر الدجل.

(٥) وردت في بعض النسخ: «العيدين» ـ بياءين ـ! ورأيتُ تعليقًا في بعض النسخ المحققة؛ نصُّه: «لعل المراد بذلك ما كان عليه أهل الجاهلية من أنه إذا كانت لأحدهم أَمَةٌ أرسلها تزني، وجعل عليها «ضريبةً» يأخذها منها كل وقت، وامتنع من تزويجها لذلك، فأنزل اللَّه في كتابه: =

واللَّه أعلم. وصلىٰ اللَّه علىٰ محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلم.



= ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النور: ٣٣]»
اهـ.

[٤]

شرح ستة مواضع من السيرة

لشيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

تأمل ـ رحمك اللَّه ـ ستةَ مواضع من السيرة، وافهمها فهمًا حسنًا، لعل اللَّه أن يفهِّمك دين الأنبياء لتتَّبعه، ودين المشركين لتتركه؛ فإن أكثر من يدعي الدين ويُعدُّ من الموحدين لا يفهم الستة كما ينبغي.

الموضع الأول: قصة نزول الوحي:

وفيها أن أول آية أرسله اللَّه بها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾[1]؛ إلىٰ قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدثر].

فإذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرةً يعرفون أنها من الظلم والعدوان مثل الزنا وغيره، وعرفت ـ أيضًا ـ أنهم يفعلون شيئًا من العبادة يتقربون بها إلىٰ اللَّه، مثل الحج والعمرة والصدقة علىٰ المساكين والإحسان إليهم وغير ذلك، وأجلُّها عندهم الشرك، فهو أجلُّ ما يتقربون به إلىٰ اللَّه عندهم؛ كما ذكر اللَّه عنهم أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

[وقال تعالىٰ]: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف].

فأول ما أمره اللَّه به: الإنذار عنه[2]، قبل الإنذار عن الزنا

---

(١) وآية الإرسال هي الثانية، فالأولىٰ نداءٌ ـ كما هو ظاهر ـ.
(٢) أي: عن الشرك.

والسرقة وغيرهما.

و[إذا] عرفتَ أن منهم من تعلق علىٰ الأصنام، ومنهم من تعلق علىٰ الملائكة وعلىٰ الأولياء من بني آدم، ويقولون: «ما نريد منهم إلا شفاعتهم»، ومع هذا بدأ بالإنذار عنه في أول آية أرسله اللَّه بها.

فإن أحكمت هذه المسألة فيا بشراك! خصوصًا إذا عرفت أن ما بعدها أعظمُ من الصلوات الخمس، ولم تُفرض إلا في ليلة الإسراء سنة عشر، بعد حصار الشِّعب بسنتين، وموت أبي طالب، وبعد هجرة الحبشة بسنتين.

فإذا عرفت أن تلك الأمورَ الكثيرةَ والعداوةَ البالغة؛ كل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة= رجوتُ أن تعرف المسألة.

الموضع الثاني: أنه ﷺ لما قام ينذرهم عن الشرك، ويأمرهم بضده ـ وهو التوحيد ـ لم يكرهوا ذلك واستحسنوه:

وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه؛ إلىٰ أن صرح بسبِّ دينهم[1]،

---

(١) لم يكن الحبيب ﷺ سبَّابًا ولا فحَّاشًا، وإنما المراد بالسب: العيب والانتقاص؛ لأنه ﷺ بيَّن لهم أن آلهتهم ناقصةٌ معيبةٌ، لا تنفع ولا تضر، فرأوا هذا سبًّا لهم لآلهتهم.
ومن هنا نعلم فسادَ فهم من استدل بمثل تلك الأدلة التي فيها «الشتم والسب» علىٰ جواز السبِّ الفاحش بالألفاظ المُقذعة للمخالفين؛ فقد رأيتُ بعض من يُسب إلىٰ الدعوة خَرج علىٰ وسائل الإعلام مِن بضع سنين، وأُثيرت بعض المشاحنات بينه وبين الخارجين عن الشريعة، فكان يتكلم بألفاظٍ لاذعةٍ لا تجوز ـ حتىٰ مع أمثال هؤلاء الضُّلَّال ـ، =

وتجهيل علماءهم، فحينئذٍ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة، وقالوا: «سفَّه أحلامنا[١]، وعاب ديننا، وشتم آلهتنا»، ومعلوم أنه ﷺ لم يشتم عيسىٰ وأمه، ولا الملائكة، ولا الصالحين، لكن لما ذَكَر لهم أنهم لا يُدْعون ولا ينفعون ولا يضرون، جعلوا ذلك شتمًا.

فإذا عرفت هذا، عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلامٌ ـ ولو وحَّد اللَّه وترك الشرك ـ إلا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة والبغض.

كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ...﴾ الآية [المجادلة: ٢٢].

فإذا فهمت هذا فهمًا جيدًا، عرفت أن الكثير من الذين يدَّعون الدين لا يعرفونها، وإلا فما حَمَل المسلمين علىٰ الصبر علىٰ ذلك العذابِ والأسر والضرب والهجرة إلىٰ الحبشة؟ مع أنه ﷺ أرحم الناس، لو يجد لهم رخصةً لأرخص لهم، كيف وقد أنزل اللَّه

= فلما عوتب في سلاطةِ لسانه، وكيف يسبُّ بمثل تلك الألفاظ، وهو يُشار إليه علىٰ أنه «شيخ»! رأيناه جاء ببعض الأحاديث الصحيحة المحتوية علىٰ لفظ «السب» ـ عن النبي ﷺ أو صحابته الأبرار ﭫ ـ، واستدلَّ بها علىٰ جواز ما يفعل! فظنَّ العوام والأغمار أن الإسلام دينُ سبٍّ وقذف، ولم يفهموا معنىٰ «السب» علىٰ الوجه الصحيح ـ كما بيَّنَّا ـ، وقد كان العرب يسمون أي لفظٍ فيه انتقاصٌ «سبًّا» ـ حتىٰ ولو لم يحتوِ علىٰ ألفاظٍ خارجةٍ ـ؛ لأنهم حال الخِصام والعراك كان يُشير بعضهم إلىٰ بعض بالسبابة؛ لذا سُمِّي فِعلُهم «سبًّا»؛ فلا يلزمُ من لفظ «السب» ـ إذن ـ احتواؤه علىٰ الألفاظ الخارجة، ولا الكلمات البذيئة. واللَّهُ الموفق للخيرات.

(١) **الأحلام**: العقول.

تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]!

فإذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه، فكيف بغير ذلك؟!

الموضع الثالث: قصة قراءته سورة «النجم» بحضرتهم:

فلما بلغ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم]، ألقىٰ الشيطانُ في تلاوته: «تلك الغرانيق العُلىٰ، وإن شفاعتها لتُرتَجَىٰ»؛ فظنوا أن رسول اللَّه ﷺ قالها، ففرحوا بذلك، وقالوا كلامًا ـ معناه ـ: «هذا الذي نريد، ونحن نعرف أن اللَّه هو الضارُّ النافع وحده لا شريك له، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده». فلما بلغ السجدة، سجد وسجدوا معه، فشاع الخبر أنهم صافَوْه، وسمع بذلك مَن بالحبشة فرجعوا، فلما أنكر ذلك رسولُ اللَّه ﷺ، عادُوا إلىٰ شرٍّ مما كانوا عليه، ولما قالوا له: «إنك قلت ذلك»، خاف من اللَّه خوفًا عظيمًا، حتىٰ أنزل اللَّه عليه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ...﴾ الآية [الحج: ٥٢][(١)].

فمن فهم هذه القصة، ثم شك بعدها في دين النبي ﷺ، ولم يفرِّق بينه وبين دين المشركين؛ فأبعده اللَّه، خصوصًا إن عرف أن قولهم: «تلك الغرانيق» الملائكة.

الموضع الرابع: قصة أبي طالب:

فمن فهمها فهمًا حسنًا، وتأمل إقراره بالتوحيد، وحثَّ الناس عليه، وتسفيهَ عقول المشركين، ومحبته لمن أسلم وخَلَع الشرك،

---

(١) **قصة الغرانيق باطلةٌ موضوعة**: وقد أفردها الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمؤلَّفٍ مستقل بعنوان: «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق».

ثم بَذْلَ عمره وماله وأولاده وعشيرته في نصرة رسول اللَّه ﷺ إلىٰ أن مات، ثم صَبْرَه علىٰ المشقَّة العظيمة والعداوة البالغة، لكن لما لم يدخُل فيه، ولم يتبرأ من دينه الأول، لم يَصِر مسلمًا؛ مع أنه يَعتذر من ذلك بأن فيه مسبَّةً لأبيه عبدالمطلب ولهاشم وغيرهما من مشايخهم. ثم مع قرابته ونصرته استغفر له رسول اللَّه ﷺ؛ فأنزل اللَّه تعالىٰ عليه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة][(١)].

والذي يبين هذا: أنه إذا عُرف رجلٌ من أهل البصرة أو الأحساء يحبُّ الدين ويحب المسلمين، ظن أكثرُ الناس أنه مع المسلمين، مع أنه لم ينصر الدين بيدٍ ولا مال، ولا له من الأعذار مثلُ ما لأبي طالب!

فمن فَهِم قصة أبي طالب، وفَهِم الواقعَ من أكثر من يدَّعي الدين، تبيَّن له الهدىٰ من الضلال، وعرف سوءَ الأفهام، واللَّه المستعان.

الموضع الخامس: قصة الهجرة:

وفيها من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثرُ من قرأها، ولكن مرادنا الآن مسألةٌ من مسائلها، وهي:

أن من أصحاب رسول اللَّه ﷺ من لم يهاجر من غير شكٍّ في الدين، وتزيين دين المشركين، ولكن محبةً للأهل والمال والوطن، فلما خرجوا إلىٰ بدر، خرجوا مع المشركين كارهين، فقُتل بعضهم

---

(١) صحيح: وقد تقدم.



بالرمي - والرامي لا يعرفه -، فلما سمع الصحابة أن من القتلىٰ فلانًا وفلانًا شق عليهم، وقالوا: «قتلنا إخواننا»؛ فأنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ[1] قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً[2] وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا[3] ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء][4].

فمن تأمل قصتهم، وتأمل قول الصحابة: «قتلنا إخواننا» - فإنه لو بلغهم عنهم كلام في الدين[5]، أو كلام في تزيين دين المشركين، لم يقولوا: «قتلنا إخواننا» -؛ فإن اللَّه تعالىٰ قد بيَّن لهم - وهم في مكة قبل الهجرة - أن ذلك كفرٌ بعد الإيمان بقوله: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

وأبلغُ من هذا ما تقدم من كلام اللَّه تعالىٰ فيهم؛ فإن الملائكة تقول: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾، ولم يقولوا: «كذبتم»؛ مثلما يقول اللَّه والملائكة للمجاهد الذي يقول: «**جاهدتُ في سبيلك حتىٰ قُتلتُ**»؛ فيقول اللَّه: «**كذبتَ؛ بل قاتلتَ ليقال: جريء**». وكذلك يقولون للعالم والمتصدِّق:

---

(١) أي: في ماذا كنتم؟ أو في أي الفريقين كنتم: في المسلمين أم في المشركين؟ سؤال توبيخ وتعيير.
(٢) أي: لا يقدرون علىٰ حيلةٍ ولا علىٰ نفقةٍ ولا قوةٍ للخروج منها.
(٣) أي: ولا يعرفون طريقًا إلىٰ الخروج.
(٤) رواه البخاري (٤٥٩٦، ٧٠٨٥).
وانظر: «الاستيعاب في بيان الأسباب» (١/٤٧٦).
(٥) أي: طعنٌ في دين الإسلام.

«كذبت؛ بل تعلمت ليقال: عالم، وتصدقت ليقال: جَوَاد»[(١)].

وأما هؤلاء فلم يكذِّبوهم؛ بل أجابوهم بقولهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾.

ويزيد من ذلك إيضاحًا للعارف والجاهل: الآية التي بعدها؛ وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ [النساء]؛ فهذا أوضَحَ جدًّا أن هؤلاء خرجوا من الوعيد، فلم يبق شبهة، لكن لمن طلب العلم ـ بخلاف من لم يطلبه ـ؛ بل قال اللَّه فيهم: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة].

▫ ومن فهم هذا الموضع والذي قبله، فهم كلام الحسن البصري، قال: «ليس الإيمان بالتحلِّي ولا بالتَّمنِّي، ولكن ما وقر في القلب، وصدقته الأعمال؛ وذلك أن اللَّه تعالىٰ يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]».

📖 الموضع السادس: قصة الرِّدَّة بعد موت النبي ﷺ:

فمن سمعها لا يبقىٰ في قلبه مثقالُ ذرة من شبهةِ الشياطين الذين يسمَّون «العلماء»؛ وهي قولهم: «هذا هو الشرك، لكنهم[(٢)] يقولون: لا إلٰه إلا اللَّه، ومن قالها لا يكفر بشيء»! وأعظم من ذلك وأكبر: تصريحهم «بأن البوادي ليس معهم من الإسلام شعرة، ولكن يقولون: لا إلٰه إلا اللَّه، وهم بهذه اللفظة أهلُ إسلام، وحرَّم الإسلام مالهم ودمهم»! مع إقرارهم بأنهم تركوا الإسلام كله، ومع علمهم بإنكارهم

(١) رواه مسلم (١٩٠٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) في المطبوع و«الدرر السنية» (٨/١٥): «لكن»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه. والضمير عائدٌ علىٰ أهل الردة بعد وفاته ﷺ. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

البعث، واستهزائهم بمن أقرَّ به، واستهزائهم وتفضيلهم دينَ آباءهم المخالف لدين النبي ﷺ، ومع هذا كلِّه يصرِّح هؤلاء الشياطينُ المَرَدةُ الجهلة: «أن البدو أسلموا ـ ولو جرىٰ ذلك كله ـ؛ لأنهم يقولون: لا إلٰه إلا اللَّه»!

ولازمُ قولهم: أن اليهود أسلموا؛ لأنهم يقولونها! وأيضًا كُفرُ هؤلاء أغلظُ من كفر اليهود بأضعافٍ مضاعفة ـ أعني البوادي المتصفين بما ذكرنا[1] ـ.

والذي يبيِّنُ ذلك من قصة الرِّدَّة: أن المرتدين افترقوا في ردَّتهم:

١ ـ فمنهم من كذَّب النبيَّ ﷺ، ورجعوا إلىٰ عبادة الأوثان، وقالوا: «لو كان نبيًّا ما مات».

٢ ـ ومنهم من ثبت علىٰ الشهادتين، ولكن أقرَّ بنبوَّة مسيلمة؛ ظنًّا أن النبي ﷺ أشركه في النبوة؛ لأن مسيلمة أقام شهود زور شهدوا له بذلك، فصدقهم كثيرٌ من الناس، ومع ذلك أجمع العلماء أنهم مرتدُّون ـ ولو جهلوا ذلك ـ، ومن شكَّ في رِدَّتهم فهو كافر.

فإذا عرفت أن العلماء أجمعوا:

١ ـ أن الذين كذَّبوا ورجعوا إلىٰ عبادة الأوثان، وشتموا رسول اللَّه ﷺ، هم ومن أقرَّ بنبوَّة مسيلمة= في حالٍ واحدة، ولو

---

(١) قال الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طبعته ص(١٤٤): «هذا القيد يدحضُ قول من افترىٰ علىٰ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه كان يكفِّر جميع أهل البادية! علىٰ أن أكثرهم في أول عهد دعوته كانوا مجرَّدين من دين الإسلام، ثم هدىٰ اللَّه له الكثيرين بدعوته في حياته وبعد وفاته» اهـ.

ثبت علىٰ الإسلام كله.

٢ ـ ومنهم من أقرَّ بالشهادتين، وصدَّق طُليحةَ بن خويلد الأسدي في دعواه النبوَّة.

٣ ـ ومنهم من صدق عَبْهلة بن كعب «الأسود العنسي» ـ صاحب صنعاء ـ.

وكل هؤلاء أجمع العلماءُ أنهم سواء.

٤ ـ ومنهم من كذَّب النبي ﷺ، ورجع إلىٰ عبادة الأوثان.

[وهم كذلك] علىٰ حالٍ واحدة.

٥ ـ ومنهم نوع آخر، آخِرُهم الفُجاءة السُّلمي؛ لمَّا وفد علىٰ أبي بكر، وذكر له أنه يريد قتال المرتدين، ويطلب من أبي بكر أن يُمدَّه، فأعطاه سلاحًا ورواحل، فاستعرض السُّلميُّ المسلمَ والكافر يأخذ أموالهم، فجهز أبو بكر جيشًا لقتاله، فلما أحسَّ بالجيش، قال لأميرهم: «أنت أمير أبي بكر، وأنا أميره، ولم أكفر. قال الأمير: إن كنت صادقًا فألق السِّلاح» فألقاه، فبعث به إلىٰ أبي بكر، فأمر بتحريقه بالنار وهو حي[1].

(١) إن صحت القصة فهو اجتهادٌ من الصديق رضي الله عنه، والصواب أنه لا يجوز التحريق بالنار، بل القتل مباشرةً؛ لما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَعَثَنا رسولُ اللَّه ﷺ في بَعثٍ، فقال: «**إن وجدتم فلانًا وفلانًا** ـ لرجلين من قريش ـ، **فأحرقوهما بالنار**». ثم قال رسول اللَّه ﷺ ـ حين أردنا الخروج ـ: «**إني كنتُ أمرتكم أن تُحرقوا فلانًا وفلانًا بالنار، وإن النار لا يعذِّبُ بها إلا اللَّهُ** عز وجل، **فإن وجدتموهما فاقتلوهما**». رواه البخاري (٢٩٥٤، ٣٠١٦).

=

فإذا كان هذا هو حكمَ الصحابة في هذا الرجل ـ مع إقراره بأركان الإسلام الخمسة ـ، فما ظنك بمن لم يقرَّ من الإسلام إلا بكلمةٍ واحدة، إلا أن يقول: «لا إلٰه إلا اللَّه» بلسانه، مع تصريحه بتكذيب معناها، وتصريحه بالبراءة من دين محمد ﷺ، ومن كتاب اللَّه تعالىٰ، ويقولون: «هذا دين الحَضَر، وديننا دين آبائنا»؟!

ثم يفتي هؤلاء المردةُ الجهالُ: أن هؤلاء مسلمون ـ ولو صرحوا بذلك كله ـ إذا قالوا: «لا إلٰه إلا اللَّه»! ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور].

وما أحسن ما قال واحدٌ من البوادي ـ لما قدم علينا وسمع شيئًا من الإسلام ـ، قال: «أشهد أننا كفار ـ يعني هو وجميع البوادي ـ! وأشهد أن المطَّوِّع الذي يسمينا أهلَ الإسلام أنه كافر».

تم، والحمد للَّه رب العالمين، وصلىٰ اللَّه علىٰ محمدٍ وآله وصحبه وسلم.



= وبنحوه من حديث حمزة بن عمرو الأسلميِّ رضي الله عنه بلفظ: «**لا يعذِّبُ بالنار إلَّا ربُّ النار**». **صحيح**: رواه أحمد (٣/٤٩٤)، وأبو داود (٢٦٧٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٩٩٠)، والبيهقي في «السنن» (٩/٧٢)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٧٦)، وأبو يعلىٰ (١٥٣٦)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٥/٤٢١).

[٥]

تفسير كلمة التوحيد[١]

لشيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهَّاب

---

(١) وردت هذه الرسالة في غير مطبوعة «وزارة الأوقاف السعودية» بعنوان: «هدية طيبة».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة على نبيه

سئل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عن معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه».

فأجاب بقوله: اعلم - رحمك اللَّه - أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوىٰ، وهي العروة الوثقىٰ، وهي التي جعلها إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كلمةً باقيةً في عقبه لعلهم يرجعون.

وليس المراد قولَها باللسان مع الجهل بمعناها؛ فإن المنافقين يقولونها، وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصلُّون ويتصدقون، ولكن المراد قولُها مع معرفتها بالقلب، ومحبتها، ومحبة أهلها، وبغض من خالفها ومعاداته.

كما قال النبي ﷺ [لما سئل: من أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة]: «**من قال**: «**لا إلٰه إلا اللَّه**» **مخلصًا** - وفي رواية: **خالصًا من قلبه**، وفي رواية: **صادقًا من قلبه** -»[(١)].

وفي حديث آخر: «**من قال**: «**لا إلٰه إلا اللَّه**»، **وكفر بما يُعبد من دون اللَّه**...»[(٢)].

إلىٰ غير ذلك من الأحاديث الدالة علىٰ جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة.

فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات:

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

- نفيُ الإلٰهيَّة عما سوىٰ اللَّه تعالىٰ من المخلوقات، حتىٰ محمد ﷺ وجبرائيل؛ فضلًا عن غيرهم من الأولياء والصالحين.

- [وإثباتُها له وحده ﷻ].

إذا فهمت ذلك؛ فتأمل هذه الألوهيةَ التي أثبتها اللَّه لنفسه، ونفاها عن محمد وجبرائيل وغيرهما أن يكون لهم [فيها] مثقالُ حبةٍ من خردل:

فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا: «السر والولاية»، و«الإلٰه» معناه: «الوليُّ الذي فيه السر»، وهو الذي يسمُّونه: «الفقير والشيخ»، وتسميه العامة: «السيد» وأشباه هذا؛ وذلك أنهم يظنون أن اللَّه جعل لخواصِّ الخلق منزلةً، يَرضىٰ أن الإنسان يلتجئُ إليهم، ويرجوهم، ويستغيث بهم، ويجعلهم واسطةً بينه وبين اللَّه.

فالذي يزعم أهلُ الشرك في زماننا أنهم وسائطهم: هم الذين يسمونهم الأوَّلون «الآلهة»، والواسطة هو «الإلٰه»، فقول الرجل: «لا إلٰه إلا اللَّه» إبطال الوسائط.

وإذا أردت أن تعرف هذا معرفةً تامة، فذلك بأمرين:

الأول: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ، وقتلهم، ونهب أموالهم، واستحل نساءهم= كانوا مقرِّين للَّه سبحانه بتوحيد الربوبية؛ وهو أنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا يحيي، ولا يميت، ولا يدبر الأمور إلا اللَّه وحده، كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

وهذه مسألةٌ عظيمةٌ مهمة؛ وهي أن تعرف أن الكفار شاهدون بهذا كلِّه ومقرُّون به، ومع هذا لم يُدخلهم ذلك في الإسلام، ولم يحرِّم دماءهم ولا أموالهم. وكانوا ـ أيضًا ـ يتصدقون، ويحجُّون، ويعتمرون، ويتعبدون، ويتركون أشياء من المحرمات خوفًا من اللَّه ﷻ.

ولكنَّ الأمر الثاني هو الذي كفَّرهم، وأحل دماءهم وأموالهم، وهو أنهم لم يشهدوا للَّه بتوحيد الألوهية؛ وهو أنه لا يُدعىٰ ولا يُرجىٰ إلا اللَّه وحده لا شريك له، ولا يُستغاث بغيره، ولا يُذبح لغيره، ولا يُنذر لغيره ـ لا لمَلَكٍ مقرَّب، ولا نبيٍّ مرسل ـ؛ فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقد كفر، ومن نذر لغيره فقد كفر، وأشباه ذلك.

وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسولُ اللَّه ﷺ كانوا يدْعون الصالحين ـ مثل الملائكة وعيسىٰ وعزير وغيرهم من الأولياء ـ، فكفروا بها مع إقرارهم بأن اللَّه هو الخالق الرازقُ المدبِّر.

إذا عرفت هذا عرفت معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه»، وعرفت أن من نخا[1] نبيًّا أو مَلَكًا، أو نَدَبَه[2]، أو استغاث به= فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفرُ الذي قاتلهم عليه رسول اللَّه ﷺ.

فإن قال قائلٌ من المشركين: نحن نعرف أن اللَّه هو الخالق الرازق

---

(١) **نخا**: عظَّم. والمراد: التعظيم الخارج عن الحد؛ بصرف شيءٍ من خصائص الإلٰهيَّة إليه.

(٢) **ندبه**: دعاه.

المدبر، لكنَّ هؤلاء الصالحين مقرَّبون، ونحن ندعوهم وننذر لهم وندخل عليهم، ونستغيث بهم، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة، وإلا فنحن نفهم أن اللَّه هو الخالق المدبر.

فقل: كلامك هذا مذهبُ أبي جهل وأمثاله؛ فإنهم يدْعون عيسىٰ وعزيرًا والملائكة والأولياء يريدون ذلك[1]، كما قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ[2]﴾ [الزمر: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فإذا تأملت هذا تأملًا جيدًا:

- عرفت أن الكفار يشهدون للَّه بتوحيد الربوبية ـ وهو التفرد بالخلق والرزق والتدبير ـ، وهم يَنخُون عيسىٰ والملائكة والأولياء؛ يقصدون أنهم يقربونهم إلىٰ اللَّه ويشفعون عنده.

- وعرفتَ أن من الكفار ـ خصوصًا النصارىٰ منهم ـ مَن يعبدُ اللَّهَ الليل والنهار، ويزهد في الدنيا، ويتصدق بما دخل عليه منها، معتزلٌ في صومعةٍ عن الناس، ومع هذا كافرٌ عدوٌّ للَّه، مخلَّدٌ في النار بسبب اعتقاده في عيسىٰ أو غيره من الأولياء، يدعوه أو يذبح له أو يَنذر له.

وتبين لك كيف صفةُ الإسلام الذي دعا إليه نبيُّك ﷺ، وتبين

---

(١) أي: يريدون الوجاهة والشفاعة.
(٢) ﴿زُلْفَىٰ﴾: قُربىٰ. وهو اسمٌ أُقيم في مقام المصدر. والمعنىٰ: إلَّا ليقرِّبونا إلىٰ اللَّه تقريبًا، ويشفعوا لنا عند اللَّه.

لك أن كثيرًا من الناس عنه بمَعزِل، وتبين لك معنىٰ قوله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ**»[(١)].

فاللَّهَ اللَّهَ ـ يا إخواني ـ؛ تمسكوا بأصل دينكم، وأوَّلِه وآخرِه، وأُسِّه ورأسه: شهادة «ألَّا إلٰه إلا اللَّه». واعرفوا معناها، وأحبوها، وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم ـ ولو كانوا بعيدين ـ، واكفروا بالطواغيت، وعادَوْهم وأبغضوهم، وأبغضوا من أحبهم، أو جادل عنهم، أو لم يكفِّرْهم، أو قال: «ما عليَّ منهم»، أو قال: «ما كلفني اللَّه بهم»؛ فقد كذب هذا علىٰ اللَّه وافترىٰ، فقد كلَّفه اللَّه بهم، وافترض عليه الكفر بهم والبراءةَ منهم ـ ولو كانوا إخوانه وأولاده ـ.

فاللَّهَ اللَّهَ؛ تمسَّكوا بذلك؛ لعلكم تلقَون ربكم لا تشركون به شيئًا، اللهم توفَّنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

ولنختم الكلام بآيةٍ ذكرها اللَّه في كتابه، تبيِّن لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظمُ كفرًا من الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ:

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ۝٦٧﴾ [الإسراء].

فقد سمعتم أن اللَّه سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسَّهم الضر تركوا السادةَ والمشايخ، ولم يستغيثوا بهم؛ بل أخلصوا للَّه وحده لا شريك له، واستغاثوا به وحده، فإذا جاء الرخاءُ أشركوا. وأنت ترىٰ المشركين من أهل زماننا ـ ولعل بعضهم يدَّعي أنه من أهل

(١) رواه مسلم (١٤٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

العلم، وفيه زهدٌ واجتهاد وعبادة ـ، إذا مسه الضرُّ قام يستغيث بغير اللَّه مثل معروف أو عبدالقادر الجَيْلاني، وأجلَّ من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير، وأجلَّ من هؤلاء مثل رسول اللَّه ﷺ، فاللَّه المستعان.

وأعظم من ذلك وِزْرًا أنهم يستغيثون بالطواغيت والكَفَرة والمَرَدة، مثل شُمْسان وإدريس ويونس وأمثالهم[1].

واللَّه سبحانه أعلم، والحمد للَّه أولًا وآخرًا، وصلىٰ اللَّه علىٰ خير خلقه محمدٍ وآله أجمعين.



---

(١) تقدم الكلام عن هؤلاء الطواغيت ص(٢٠٠).

[٦]

القواعد الأربعة

لشيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

أسأل اللَّهَ الكريمَ ربَّ العرش العظيم أن يتولَّاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركًا أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر؛ فإن هذه الثلاثَ عنوانُ السعادة.

اعلم ـ أرشدك اللَّه لطاعته ـ أن الحنيفية ـ ملَّة إبراهيم ـ أن تَعبد اللَّه وحده مخلصًا له الدين، وبذلك أمر اللَّه جميع الناس، وخلقهم لها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

فإذا عرفت أنَّ اللَّه خلقك لعبادته؛ فاعلم أنَّ العبادة لا تسمَّىٰ «عبادة» إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمَّىٰ «صلاةً» إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدتْ؛ كالحَدَث إذا دخل في الطهارة.

فإذا عرفتَ أن الشرك إذا خالط العبادةَ أفسدها وأحبط العمل، وصار صاحبُه من الخالدين في النار= عرفتَ أنَّ أهمَّ ما عليك معرفةُ ذلك، لعلَّ اللَّه أن يخلِّصك من هذه الشَّبَكة ـ وهي الشرك باللَّه ـ الذي قال اللَّه تعالىٰ فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:١١٦]؛ وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها اللَّه تعالىٰ في كتابه:

القاعدة الأولى:

أن تعلم أنَّ الكفَّار الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ مقِرُّون بأنَّ اللَّه



تعالىٰ هو الخالِق المدبِّر، وأنَّ ذلك [وحده] لم يُدْخِلْهم في الإسلام.

والدليل علىٰ ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس].

القاعدة الثانية:

أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجَّهْنا إليهم إلا لطلب القُرْبة والشفاعة:

فدليل القربة: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

ودليل الشفاعة: قوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ [1] وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ الآية [يونس: ١٨].

والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفيَّة، وشفاعة مثبَتة:

فالشفاعة المنفيَّة: ما كانت تُطلب من غير اللَّه فيما لا يقدر عليه إلَّا اللَّه.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ [2] وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة].

والشفاعة المثبَتة: هي التي تُطلب من اللَّه، والشَّافع مُكْرَمٌ بالشفاعة.

---

(١) قد يقول قائل: وهل يحبُّ أحدٌ أن يعبد ما يضرُّه؟ فالجواب أن المقصود: يعبدون ما لا يضرهم إذا عَصَوه وخالفوا أمره؛ فإلٰههم عاجزٌ قاصر، لا يضرهم إذا عَصَوه، ولا ينفعهم إذا أطاعوه؛ فكيف يعبدون ما هذا وصفه من دون العليم القدير؟!

(٢) ﴿خُلَّةٌ﴾: المحبة.

والمشفوعُ له: من رضيَ اللَّهُ قوله وعمله ـ بعد الإذن ـ، كما قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

القاعدة الثالثة:

أنَّ النبي ﷺ ظهر علىٰ أُناسٍ متفرِّقين في عباداتهم:

- منهم مَن يعبُد الملائكة.
- ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين.
- ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار.
- ومنهم مَن يعبد الشمس والقمر.

وقاتلهم رسول اللَّه ﷺ، ولم يفرِّق بينهم.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ(١) وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩].

ودليل الشمس والقمر: قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾ [فصلت].

ودليل الملائكة: قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١﴾ [سبأ].

ودليل النبيين: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ

---

(١) **الفتنة:** الشرك والكفر باللَّه تعالىٰ.

عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾ [المائدة].

ودليل الصالحين: قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا[1] ٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء].

ودليل الأحجار والأشجار: قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠﴾ [النجم].

وحديث أبي واقدٍ الليثي رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلىٰ حُنين ـ ونحنُ حدثاء عهدٍ بكفر ـ، وللمشركين سِدْرةٌ يعكفُون عندها، وينوطون بها أسلحتهم ـ يقال لها: ذات أنواط ـ، فمررنا بسدرةٍ؛ فقلنا: يا رسول اللَّه، اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواط ...» الحديث[2].

القاعدة الرابعة:

أنَّ مشركي زماننا أغلظُ شركًا من الأوَّلين؛ لأنَّ الأوَّلين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدَّة، ومشركو زماننا شركهم دائم؛ في الرخاء والشدَّة.

والدليل علىٰ ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥﴾ [العنكبوت].

---

(١) أي: لا يملكون رفع الضرِّ عنكم بالكلية، ولا تحويله إلىٰ غيركم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

والله أعلم، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمدٍ، وآله وصحبه وسلم.



[٧]

تلقين أصول العقيدة للعوام[١]

لشيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهَّاب

(١) جاء العنوان في غير طبعة «وزارة الأوقاف»: «دلائل التوحيد».

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا قيل لك: من ربك؟

فقل: ربي اللَّه.

فإذا قيل لك: أي شيء[(١)] معنىٰ الرب؟

فقل: المعبود المالك المتصرف.

فإذا قيل لك: أي شيء أكبر ما ترىٰ من مخلوقاته؟

فقل: السماوات والأرض.

فإذا قيل لك: أي شيء تعرفه به؟

فقل: أعرفه بآياته ومخلوقاته؟

وإذا قيل لك: أي شيءٍ أعظم ما ترىٰ من آياته؟

فقل: الليل والنهار.

والدليل علىٰ ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف]

فإذا قيل لك: أي شيء معنىٰ «اللَّه»؟

فقل: معناه: ذو الألوهية والعبودية علىٰ خلقه أجمعين.

---

(١) في «الدرر السنية» (١٥٣/١)، وطبعة «وزارة الأوقاف» (١٥٦): «أيش»، وكذا في جميع المواضع القادمة. والمثبت من بقية المطبوعات.

فإذا قيل لك: لأي شيء خلقك اللَّه؟

فقل: لعبادته.

فإذا قيل لك: أي شيء عبادتُه؟

فقل: توحيده وطاعته.

فإذا قيل لك: ما الدليل علىٰ ذلك؟

فقل: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

وإذا قيل لك: أي شيء أولُ ما فرض اللَّه عليك؟

فقل: كفر بالطاغوت، وإيمان باللَّه.

والدليل علىٰ ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ [البقرة].

فإذا قيل لك: أي شيء «العروة الوثقىٰ»؟

فقل: «لا إلٰه إلا اللَّه»؛ «لا إلٰه» نفي، «إلا اللَّه» إثبات.

فإذا قيل لك: أي شيء أنت نافٍ، وأي شيءٍ أنت مُثبِت؟

فقل: نافٍ جميعَ ما كان يُعبد من دون اللَّه، ومثبِتٌ العبادة للَّه وحده لا شريك له.

فإذا قيل لك: ما الدليل علىٰ ذلك؟

فقل: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف].

فإذا قيل لك: أي شيء الدليلُ علىٰ ذلك؟

فقل: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾

هذا دليل النفي، ودليل الإثبات: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾.

فإذا قيل لك: أي شيء الفرقُ بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؟

فقل: توحيد الربوبية: فِعلُ الرب؛ مثل الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وإنزال المطر، وإنبات النبات، وتدبير الأمور.

وتوحيد الإلٰهيَّة: فِعلُك ـ أيها العبد ـ؛ مثل الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والرغبة، والرهبة، والنذر، والاستغاثة... وغير ذلك من أنواع العبادة.

فإذا قيل لك: أي شيء دينك؟

فقل: ديني الإسلام، وأصله وقاعدته أمران:

ـ الأمر بعبادة اللَّه وحده لا شريك له، والتحريضُ علىٰ ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

ـ والإنذار عن الشرك في عبادة اللَّه تعالىٰ، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفيرُ مَن فَعَله.

وهو مبنيٌّ على خمسة أركان: أولها شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت مع الاستطاعة.

ودليل الشهادة: قوله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران].

ودليل أن محمدًا رسول اللَّه: قوله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

والدليل علىٰ إخلاص العبادة والصلاة والزكاة: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ[1] ﴿٥﴾﴾ [البينة].

ودليل الصوم: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة].

ودليل الحج: قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران].

وأصول الإيمان ستة: أن تؤمن باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

والإحسان: أن تعبد اللَّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فإذا قيل لك: من نبيك؟

فقل: محمد بن عبداللَّه بن عبدالمطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل ـ علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ، بلده مكة، وهاجر إلىٰ المدينة وعمره ثلاثٌ وستون سنة؛ منها أربعون قبل النبوة، وثلاثٌ وعشرون نبيًّا رسولًا. نبئ بـ«اقرأ»، وأُرسل «بالمدثر».

فإذا قيل: هو ميتٌ أو حي؟

فقل: مات، ودينه باقٍ إلىٰ يوم القيامة.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر].

---

(١) أي: دين الملَّة المستقيمة.

والناس إذا ماتوا يبعثون.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه].

والذي ينكر البعث كافر.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾﴾ [التغابن].

وصلىٰ اللَّه علىٰ محمد وآله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.



[٨]

ثلاث مسائل

لشيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم - رحمك اللَّه تعالىٰ - أنه واجبٌ علىٰ كل مسلمٍ ومسلمةٍ أن يتعلم ثلاث مسائل:

المسألة الأولى:

أن اللَّه خلقنا، ولم يخلقنا عبثًا، ولم يتركنا هَملًا[(١)]؛ بل أرسل إلينا رسولًا ومعه كتاب؛ من أطاعه فهو في الجنة، ومن عصاه فهو في النار.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا[(٢)] ﴿١٦﴾﴾ [المزمل].

المسألة الثانية:

أن أعظم ما جاء به هذا الرسول: ألَّا يُشرَكَ مع اللَّه في عبادته أحدٌ.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

المسألة الثالثة:

أن من وحَّد اللَّه وعَبَد اللَّه لا يجوز له موالاةُ من حادَّ اللَّه ورسوله[(٣)]، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم.

---

(١) **هملًا**: بلا حساب.

(٢) ﴿وَبِيلًا﴾: شديدًا عنيفًا.

(٣) **والمحادَّة**: المعاندة والمعارضة.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ(١) وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].



---

(١) **الرَّوح**: النصر. وقيل: الإيمان. وقيل: القرآن وحُجته، وقيل: الرحمة. وقيل: جبريل عليه السلام. انظر: «تفسير البغوي» عند الآية الكريمة.

[٩]

رسالة في معنى «الطاغوت»

لشيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ـ رحمك اللَّه تعالىٰ ـ أن أول ما فرض اللَّه علىٰ ابن آدم: الكفرُ بالطاغوت، والإيمان باللَّه.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فأما صفة الكفر بالطاغوت:

أن تعتقد بطلان عبادة غير اللَّه، وتتركها، وتبغضها، وتُكفِّرَ أهلها، وتعاديهم.

وأما معنى الإيمان باللّٰه:

أن تعتقد أن اللَّه هو الإلٰهُ المعبود ـ وحده ـ دون من سواه، وتُخلِصَ جميع أنواع العبادة كلها للَّه، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم، وهذه ملة إبراهيم التي سَفِهَ من رغب عنها، وهذه هي «الأسوة» التي أخبر اللَّه بها في قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

[حقيقة الطاغوت]:

و«الطاغوت»: عامٌّ في كل ما عُبد من دون اللَّه، ورضي بالعبادة؛ من معبودٍ، أو متبوعٍ، أو مطاعٍ في غير طاعة اللَّه ورسوله[(١)]،

(١) الفرق بين الثلاثة كالآتي: =



فهو طاغوت.

والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة:

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله:

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس].

الثاني: الحاكم الجائر المغيِّر لأحكام الله:

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء].

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله[1]:

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة].

= **المعبود**: ما صُرف له شيءٌ من العبادة وخصائص الإلٰهيَّة من دون اللَّه تعالىٰ، بأن يُعتقد فيه أنه يغيثُه كيفما شاء، أو يملك غَوْثه، أو يملك الشفاعة له، أو أن يغفر له، ونحو ذٰلك مما لا يقدر عليه إلا اللَّه ﷻ.

المتبوع: مثل العلماء والقادة في الدين.

المطاع: مثل الملوك والأمراء والحكام ونحوهم.

والمراد بمجاوزة الحد فيهم جميعًا: إنزالهم غير منزلتهم، وطاعتهم فيما يخالف أوامر اللَّه ﷻ.

(١) الفرق بين هذا والذي قبله:
- أن الأول تلاعب بأحكام الشريعة، وغيرها وبدَّلها.
- أما الثاني فقد تركها كما هي، لكنه أعرض عنها، وحكم بغيرها من القوانين والتشريعات البشرية.

الرابع: الذي يدَّعي علم الغيب من دون الله:

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا[1] ٢٧﴾ [الجن].

وقال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام].

الخامس: الذي يُعبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة:

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [الأنبياء].

[شرط الإيمان الصحيح]:

واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمنًا باللَّه إلا بالكفر بالطاغوت.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة].

«الرشد»: دين محمد ﷺ.

و«الغي»: دين أبي جهل.

و«العروة الوثقىٰ»: شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه؛ وهي متضمنةٌ للنفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير اللَّه، وتثبت جميع أنواع العبادة كلِّها للَّه وحده لا شريك له.



(١) أي: يجعل بين يديه وخلفه حَفَظةً من الملائكة يحفظونه من الشياطين أن يَسترقوا السمع، ومن الجن أن يستمعوا الوحي فيُلقُوه إلىٰ الكهنة.

[١٠]

الأصول الثلاثة

لشيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيد المرسلين، وإمام المتقين، نبيِّنا محمدٍ وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاعلموا ـ وفقكم اللَّه لمراضيه، وجنَّبكم طريق معاصيه ـ أن من الواجب علىٰ كل مسلمٍ ومسلمةٍ معرفةَ ثلاثة أصول، والعمل بهن:

الأصل الأول: في معرفة العبد ربَّه:

فإذا قيل لك ـ أيها المسلم ـ: من ربُّك؟

فقل: ربي اللَّهُ الذي رباني بنعمته، وخلقني من عدمٍ إلىٰ وجود.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٥١﴾ [آل عمران].

وإذا قيل لك: بأي شيء عرفتَ ربك؟

فقل: بآياته ومخلوقاته.

فأما الدليل علىٰ آياته: فهو قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾ [فصلت].

وأما الدليل علىٰ مخلوقاته: فهو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا[1] وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ

(١) ﴿حَثِيثٗا﴾: مسرعًا. أي: يأتي الليلُ وراء النهار سريعًا ـ وكذا العكس ـ، =

ﭐلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف].

وإذا قيل لك: لأي شيء خلقك اللَّه؟

فقل: خلقني لعبادته، وطاعته، واتباع أمره، واجتناب نهيه.

فدليل العبادة: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

ودليل الطاعة: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

يعني: كتابَ اللَّه، وسنةَ نبيه.

وإذا قيل لك: أيُّ شيء أمرك اللَّه به؟ وأي شيء نهاك عنه؟

فقل: أمرني بالتوحيد، ونهاني عن الشرك[(١)].

ودليل الأمر: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ...﴾ الآية [النحل: ٩٠].

ودليل النهي[(٢)]: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ١١٦].

[وقوله]: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا

= كأن كلَّ واحدًا منهما يجري وراء الآخر.

(١) لم يقصد الإمام ـ بالطبع ـ أن التوحيد فقط هو كلُّ المأمورات؛ لكنه أعلاها وأجلُّها، وبدونه لا ينفع شيء. وكذلك ليس الشرك ـ فقط ـ هو كل ما نهىٰ اللَّه ﷻ عنه؛ لكنه أعلىٰ المنهيات، وبوجوده لا ينفع شيء.

(٢) وما يأتي في الآيات «نفي»؛ لكن المراد به «النهي»، والنفي أقوىٰ من النهي الصريح ـ كما قرر أهل العلم ـ.

لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ [المائدة].

الأصل الثاني: في معرفة دين الإسلام:

فإذا قيل لك: ما دينك؟

فقل: ديني الإسلام، وهو: الاستسلام، والإذعان، والانقياد إلىٰ طاعة اللَّه تعالىٰ ورسوله ﷺ.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩][(١)].

[وقوله]: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

وهو مبنيٌّ علىٰ خمسة أركان:

الأول: شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه.

الثاني: إقام الصلاة.

الثالث: إيتاء الزكاة.

الرابع: صوم رمضان.

الخامس: حج بيت اللَّه الحرام لمن استطاع إليه سبيلًا.

و«السبيل»: الزاد والراحلة[(٢)].

---

(١) هذه قاعدة عامة علىٰ مدار التاريخ؛ فليس للَّه ﷻ دينٌ سوىٰ الإسلام، فمن الخطأ الفادح أن يقال: «الأديان الثلاثة» ـ ونحو ذلك ـ، بل جميع الرسل عليهم السلام إنما جاؤوا بالإسلام، وكان دينهم الإسلام. وسوف تأتي طائفةٌ من الأدلة علىٰ ذلك في كتاب «العبودية» لشيخ الإسلام.

(٢) مع «القدرة»، وهي إما أن تكون بالنفس، أو بإنابة الغير ـ كما هو معلوم ـ.

فدليل الشهادة: قوله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران].

ودليل أن محمدًا رسول اللَّه: قوله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ودليل الصلاة: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا (١) ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء].

ودليل الزكاة: قوله تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ﴾ [التوبة: ١٠٣].

ودليل الصوم: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة].

وإذا قيل لك: الصيام شهرٌ؟

فقل: نعم.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾ الآية [البقرة: ١٨٥].

وإذا قيل لك: الصيام في الليل أو في النهار؟

فقل: في النهار.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ودليل الحج: قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران].

---

(١) أي: فرضًا محتومًا مقدرًا بعددٍ ووقتٍ محدد.

وإذا قيل لك: ما الإيمان؟

فقل: هو أن تؤمن باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره كلِّه من اللَّه.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ودليل القدر: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾ [القمر].

وإذا قيل لك: ما الإحسان؟

فقل: هو أن تعبد اللَّهَ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل].

وإذا قيل لك: مُنكِرُ البعث كافر؟

فقل: نعم.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [التغابن].

🕮 الأصل الثالث: في معرفة نبينا محمد ﷺ:

فإذا قيل لك: من نبيُّك؟

فقل: محمد ﷺ بن عبداللَّه بن عبدالمطلب بن هاشم. وهاشمٌ من قريش، وقريش من كنانة، وكنانة من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم، علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

وإذا قيل لك: من أول الرسل؟

فقل: أولهم نوح. وآخرهم وأفضلهم: محمد ﷺ.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣].

وإذا قيل لك: هل بينهم رسل؟

فقل: نعم(١).

---

(١) اعلم - علمني اللَّه وإياك - أن الشائع عند كثير من أهل العلم أن الفارق بين الأنبياء والرسل: أن «الأنبياء» أُوحي إليهم بشرع ولم يؤمروا بتبليغه، بينما «الرسل» أوحي إليهم بشرع، وأُمروا بتبلّيغه.
والصنف الأخير - بلا ريب - أعلىٰ مقامًا، لقيامِهم بأعباء الدعوة ونشر الحق ونَهْي المنحرفين عن المنكرات.
لكنَّ هذا الفرقَ بين الأنبياء والمرسلين ليس متفقًا عليه؛ بل إن التفرقة السابقة فيها نظرٌ لعدةِ أمور:
أولًا: أن هذا الفرقَ السالف خلافُ ظاهر القرآن الكريم؛ حيث قال ربُّنا ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ...﴾ الآية [الحج: ٥٢]؛ فدلَّت الآية علىٰ أن الصنفين جميعًا أرسلوا بالإبلاغ.
ثانيًا: أنَّ تركَ البلاغ كتمانٌ لوحي اللَّه ﷻ، واللَّهُ لا يُنزل وحيه ليكتم ويُدفن في صدرِ واحدٍ من الناس، ثمَّ يموت هذا العلمُ بموته.
ثالثًا: قولُ رسول اللَّه ﷺ - فيما يرويه عنه ابن عباس رضي الله عنهما -: «**عُرِضَتْ عليَّ الأمم، فجعل يمرُّ النبيُّ معه الرجل، والنبيُّ معه الرجلان، والنبيُّ معه الرهط، والنبيُّ ليس معه أحد**». رواه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠). فدلَّ هذا الحديث علىٰ أنَّ الأنبياء عليهم السلام مأمورون بالبلاغ، وأنَّهم يتفاوتون في مدىٰ الاستجابة لهم.
والتعريف المختار: أنَّ «الرسولَ» مَنْ أُوحي إليه بشرع جديد، و«النبيَّ» هو المبعوث لتقرير شرع من قبله. انظر: «روح المعاني» للآلوسي (٧/١٥٧).
وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**كانت بنو إسرائيل تسُوسُهم الأنبياء، كلما** =

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وإذا قيل لك: نبيُّنا محمدٌ ﷺ بشر؟

فقل: نعم.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ...﴾ الآية [الكهف: ١١٠].

وإذا قيل لك: كم عمره؟

فقل: ثلاث وستون سنة؛ منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيًّا رسولًا، نُبِّئ بـ«اقرأ»، وأُرسل بـ«المدثر»، وخرج علىٰ الناس؛ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فكذَّبوه وآذَوْه وطردوه، وقالوا: ساحرٌ كذاب؟ فأنزل اللَّه عليه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ

= **هلك نبيٌّ خَلَفَه نبيٌّ**». رواه البخاري (٣٤٥٥)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وأنبياء بني إسرائيل كلُّهم مبعوثون بشريعة موسىٰ عليه السلام - التوراة -، وكانوا مأمورين بإبلاغ قومهم وحيَ اللَّه إليهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا...﴾ الآية [البقرة: ٢٤٦]، فالنبيُّ - كما يظهر من الآية - يُوحَىٰ إليه شيءٌ يُوجِبُ علىٰ قومه أمرًا، وهذا لا يكون إلا مع وجوب التبليغ.
واعتبِرْ في هذا بحال داود وسليمان وزكريا ويحيىٰ عليهم السلام؛ فهؤلاء جميعًا أنبياء، وقد كانوا يقومون بسياسة بني إسرائيل، والحكمِ بينهم وإبلاغهم الحق، واللَّهُ أعلم بالصواب. اهـ.
انظر: «الرسل والرسالات»، للشيخ عمر الأشقر رحمه الله ص(١٤ - ١٥).

وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ [البقرة].

وبلده مكة، ووُلد فيها، وهاجر إلىٰ المدينة، وبها تُوفِّي، ودُفن جسمه، وبقي علمه.

وهو نبيٌّ لا يُعبد، ورسولٌ لا يُكذَّب؛ بل يطاعُ ويُتَّبع، صلوات اللَّه وسلامه عليه.

والحمد للَّه رب العالمين[1].

---

(١) في ختام هذه الرسالة النفيسة أحببتُ تبصير القارئ الكريم بأمرٍ وقع معي، من باب «إن لصاحب الحق مقالًا»، وكذا تبرئةً لنفسي أمام الإخوة الكرام، وإظهارًا لحقٍّ أراه لا يتجلَّىٰ إلا بالإيضاح؛ ذلك أنني في بداية طلبي للعلم أسند إليَّ صاحب دار «السلف الصالح» في مصر «مراجعة» هذه الرسالة «الأصول الثلاثة»، فقمت بمراجعتها، **ولم أعلق عليها بأيِّ تعليق يُذكر، ولم أضع فيها ولا حاشيةً واحدةً، ولم أضع عليها اسمي ـ فإن المُراجِعَ لا يوضع اسمُه علىٰ غلاف الكتاب أصلًا ـ!** وبعدها انقطعت علاقتي بتلك الدار تمامًا، ثم فوجئت منذ فترة ببعض الإخوة التابعين لـ«دار الآثار» في اليمن أنه يُشيع عني أنني سرقت تحقيق طبعتهم من «ثلاثة الأصول»، ونشرتها «بحواشيها» في «دار السلف الصالح»، ووضعتُ عليها اسمي!! فاستنكرت الأمر تمامًا، وأخبرتهم ببراءتي من تلك الفِرْية، وأنني لم أضع أيَّ حاشيةٍ في طبعتي أصلًا؛ لأنني لم أفعل فيها شيئًا سوىٰ «المراجعة» اللغوية ـ كما ذكرتُ لكم ـ، فأخبروني أنها لا زالت مطبوعةً في «دار السلف الصالح» واسمي عليها من الخارج! فتواصلتُ مع صاحب الدار مستفهمًا منه عن الأمر، وطلبت منه أن يرسل آخِرَ النسخ المطبوعة من الرسالة، فلما أرسلها فوجئتُ بأنها نسخةٌ مغايرةٌ تمامًا للنسخة التي راجعتُها؛ بل ووجدتُ عليها ـ أيضًا ـ اسمي علىٰ غلافها الخارجي بدون علمي! فلما سألتُ صاحب =



= الدار عن ذلك؛ أخبرني صراحةً أنه وضع اسمي عليها من باب التسويق ـ مع أنني لم أكن معروفًا للقراء أصلًا ـ!! فقلت له: الإشكال الأكبر أن هذه النسخة ليست نفس النسخة التي راجعتُها، ولا أعلم عنها شيئًا، وأخبرتُه بما اتهمتني به «دار الآثار» من سرقة نسختهم، فأنكر صاحب «دار السلف الصالح» في البداية، وأصرَّ علىٰ أنها نسختي، فأرسلت إليه صورة «PDF» من نسختي الحقيقية، وطالبته بتقصِّي الأمر، وبعد أخذٍ وردٍّ بيني وبينه ظهرت الحقيقة، وأن صاحب هذه الدار بعد أن نفدت الطبعة الأولىٰ من نسختي، طلب مِن أحد من يَصُفُّون الكتب علىٰ الحاسوب أن يعيد صفَّها مرةً أخرىٰ لطبعةٍ جديدة، لكن بدلًا من أن يقوم هذا الأخ بصفِّ نسختي كما هي، بحث عن نسخةٍ نصيَّة جاهزة «WORD» علىٰ الشبكة الدولية «الإنترنت»، فوقع علىٰ طبعة «دار الآثار» بحواشيها، وقام بتنسيقها، ثم أعادها إلىٰ صاحب «دار السلف الصالح» الذي قام بطباعتها مباشرةً، مع وضع اسمي ـ أيضًا ـ عليها بدون علمي، وقد اعترف صاحب «دار السلف الصالح» بذلك بعدما تبيَّن له الأمر، فلما رآها أصحابُ «دار الآثار» منشورةً بحواشيها ظنُّوا أنني سرقتُ نسختهم، ووضعتُ عليها اسمي!! وبعد ظهور الحقيقة أخبرتهم بها، وبرَّأتُ نفسي عندهم. لكنَّ أسوأ ما في الأمر أن صاحب «دار السلف الصالح» بعد اعترافه بالحقيقة؛ بدلًا أن يقدِّم إليَّ اعتذارًا عمَّا سبَّبه لي من اتهام باطل وتشويهٍ لسمعتي العلمية؛ وجدته يخاطبني بطريقةٍ فجَّة، ورفض إظهار الحق الذي عرفه!

وإنما ذكرتُ هذه الواقعة لأن طالب العلم فينا إذا سقطت «أمانته العلمية»؛ فلن تقوم له قائمة، وسوف يشنَّع عليه بالباطل هنا وهناك، وأعوذ باللَّه تعالىٰ من الغش والخيانة وسرقة جهود الآخرين. وللَّه الأمر من قبلُ ومن بعد.

[١١]

الجامع لعبادة الله وحده

لشيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

فإن قيل: فما الجامع لعبادة اللَّه وحده؟

قلت: طاعته بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

فإن قيل: فما أنواع العبادة التي لا تصلح إلا للَّه؟

قلت: من أنواعها: الدعاء، والاستعانة والاستغاثة، وذبح القربان والنذر، والخوف والرجاء، والتوكل والإنابة، والمحبة والخشية، والرغبة والرهبة والتأله، والركوع والسجود، والخشوع والتذلل والتعظيم الذي هو من خصائص الألوهية.

ودليل الدعاء: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

وقوله تعالىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد].

ودليل الاستعانة: قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة].

ودليل الاستغاثة: قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

ودليل الذبح: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

ودليل النذر: قوله تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان].

ودليل الخوف: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ(١) فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

ودليل الرجاء: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

ودليل التوكل: قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة].

ودليل الإنابة: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

ودليل المحبة: قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ودليل الخشية: قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

ودليل الرغبة والرهبة: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

ودليل التأله: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة].

ودليل الركوع: والسجود قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج].

ودليل الخشوع: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا﴾ الآية [آل عمران: ١٩٩]، ونحوها.

---

(١) أي: يخوفكم بأوليائه ـ كما سلف ـ.

فمن صرف شيئًا من هذه الأنواع لغير اللَّه، فقد أشرك باللَّه غيره.

فإن قيل: فما أجلُّ أمرٍ أَمَرَ اللَّه به؟

قيل: توحيده بالعبادة، وقد تقدم بيانه، وأعظمُ نهيٍ نَهَىٰ اللَّه عنه الشرك به، وهو أن يدعو مع اللَّه غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة، فمن صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير اللَّه فقد اتخذه ربًّا وإلٰهًا، وأشرك مع اللَّه غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة.

وقد تقدم من الآيات ما يدلُّ علىٰ أن هذا هو الشرك الذي نهىٰ اللَّه عنه وأنكره علىٰ المشركين، وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة].

واللَّه أعلم.



[١٢]

فوائد من سورة «الفاتحة»

لشيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾.

تضمنت ثلاثُ الآيات ثلاثَ مسائل:

الآية الأولى: فيها المحبة؛ لأن اللَّه منعِم، والمنعِم يُحَبُّ علىٰ قدْر إنعامه.

والمحبة تنقسمُ إلىٰ أربعة أنواع:

١ ـ **محبة شركية:** وهي محبة الذين قال اللَّه فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا[1] يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ۝١٦٥ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ[2] ۝١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً[3] فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧﴾ [البقرة].

٢ ـ **المحبة الثانية:** حبُّ الباطل وأهله، وبُغْض الحق وأهله؛ وهذه صفة المنافقين.

٣ ـ **والمحبة الثالثة:** طبيعية، وهي محبة المال والولد، فإذا لم تَشغل عن طاعة اللَّه، ولم تُعِنْ علىٰ محارم اللَّه، فهي مباحة.

---

(١) **الأنداد:** الأمثال والأشباه. ويأتي ـ أيضًا ـ بمعنىٰ: «الضِّد»، فهذا اللفظ من الأضداد كما قال الإمام ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أي: ضاعت منهم أسباب الفلاح والنجاة. نسأله تعالىٰ السلامة.

(٣) **الكَرَّة:** الرَّجعة.

٤ ـ **والمحبة الرابعة**: حب أهل التوحيد، وبغض أهل الشرك، وهي أوثق عرىٰ الإيمان، وأعظم ما يَعبدُ بها الإنسانُ ربَّه.

الآية الثانية: فيها الرجاء.

والآية الثالثة: فيها الخوف.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، أي: أعبدك ـ يا رب ـ بما مضىٰ من هذه[1] الثلاث: بمحبتك ورجائك وخوفك؛ هذه الثلاثُ أركانُ العبادة، وصَرفُها لغير اللَّه شرك.

وفي هذه الثلاث الردُّ علىٰ من تعلق بواحدةٍ منها، كمن تعلق بالمحبة وحدها، أو تعلق بالرجاء وحده، أو تعلق بالخوف وحده، فمن صرف منها شيئًا لغير اللَّه فهو مشرك.

وفيها من الفوائد: الرد علىٰ ثلاث الطوائف التي كلُّ طائفةٍ تَعَلَّقُ بواحدة منها:

- كمن عَبَد اللَّه بالمحبة وحدها.
- وكذلك من عَبَد اللَّه بالرجاء وحده كالمرجئة.
- وكذلك من عَبَد اللَّه بالخوف وحده كالخوارج.

📖 ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[2].

وأما ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ ففيها توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية:

---

(١) في المطبوعات وكذا «الدرر السنية» (١٧/١٣): «بهذه»، ولعل الأدقَّ ما أثبتُّه.

(٢) لم تذكر هذه الآيات الثلاث الكريمة في المطبوعات، وأثبتها للفائدة.

[الآية الرابعة]: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ فيها توحيد الألوهية. ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فيها توحيد الربوبية.

[الآية الخامسة]: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ فيها الرد علىٰ المبتدعين.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾[1].

وأما الآيتان الأخيرتان، ففيها من الفوائد:

١ ـ ذِكرُ أحوال الناس؛ قسمهم اللَّه ثلاثة أصناف: منعَمٌ عليه، ومغضوبٌ عليه، وضال:

فـ[النوع الأول]: ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾: أهل علم ليس معه عمل.

و[النوع الثاني]: ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾: أهل عبادة ليس معها علم.

وإن كان سبب النُّزول في اليهود والنصارىٰ، فهي لكل من اتصف بذلك[2].

والنوع الثالث: من اتصف بالعلم والعمل، وهم المنعَم عليهم.

٢ ـ وفيها من الفوائد: التبرؤ من الحول والقوة؛ لأنه منعَمٌ عليك.

٣ ـ وكذلك فيها: معرفة اللَّه علىٰ التمام، ونفيُ النقائص عنه تبارك وتعالىٰ.

٤ ـ وفيها: معرفة الإنسان نفسَه، ومعرفة ربه؛ فإنه إذا كان ربٌّ فلابد من مربوب، وإذا كان هنا عبدٌ فلابد من معبود. وإذا كان هنا هادٍ فلابد من مَهديٍّ؛ وإذا كان هنا منعَم عليه فلابد من منعِم،

---

(١) لم تُذكر هذه الآية الكريمة في المطبوعات، وأثبتها للفائدة.

(٢) تبعًا للقاعدة العظيمة: «العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب».



وإذا كان هنا مغضوبٌ عليه فلابد من غاضب؛ وإذا كان هنا ضالٌّ فلا بد من مُضِلٍّ.

فهذه السورة تضمنت الألوهية، والربوبية، ونفي النقائص عن اللَّه؛ وتضمنت معرفة العبادة وأركانها. واللَّه أعلم.



[١٣]

نواقض الإسلام

لشيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أن نواقض الإسلام عشرةُ نواقض:

الأول: الشرك في عبادة اللَّه وحده لا شريك له.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

و[قال تعالىٰ]: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة].

ومنه الذبح لغير اللَّه؛ كمن يذبح للجن أو للقبر.

الثاني: من جعل بينه وبين اللَّه وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم؛ فقد كفر إجماعًا.

الثالث: من لم يكفِّر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كَفَر.

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكملُ من هديه، أو أن حكم غيره أحسنُ من حكمه؛ كالذي يفضِّل حكم الطواغيت علىٰ حكمه، فهو كافر.

الخامس: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسولُ ﷺ ـ ولو عَمِل به ـ، فقد كفر.

السادس: من استهزأ بشيءٍ من دين اللَّه، أو ثوابه، أو عقابه، كفر.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة].

السابع: السحر، ومنه الصَّرْف والعَطْف[1]؛ فمن فعله أو رضي به كفر.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثامن: مظاهرة[2] المشركين، ومعاونتهم علىٰ المسلمين.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٥١﴾ [المائدة].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعُه الخروج عن شريعة محمد ﷺ ـ كما وسع الخضرَ الخروج عن شريعة موسىٰ عليه السلام ـ، فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين اللَّه، لا يتعلمه، ولا يعملُ به.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝٢٢﴾ [السجدة].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجادِّ والخائف إلا المكرَه، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا؛ فينبغي للمسلم أن يَحذَرَها، ويخاف منها علىٰ نفسه؛ نعوذ باللَّه من موجبات غضبه وأليم عقابه.

---

(١) **الصَّرْف:** صرف قلب الرجل عن امرأته أو العكس. **والعطف:** تحبيبه فيها أو العكس.

(٢) **المظاهرة:** المناصرة.

وصلىٰ اللَّه علىٰ خير خلقه محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.



[١٤]

ستة أصول عظيمة

لشيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مِن أعجب العجاب، وأكبر الآيات الدالة علىٰ قدرة المَلِك الغلَّاب: ستة أصول، بيَّنها اللَّه تعالىٰ بيانًا واضحًا للعوام، فوق ما يظن الظانون، ثم بعد ذلك غَلِط فيها أذكياءُ العالم، وعقلاء بني آدم، إلا أقل القليل.

الأصل الأول: إخلاص الدين للَّه وحده لا شريك له، وبيان ضده، الذي هو الشرك باللَّه، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتىٰ، بكلام يفهمه أبلدُ العامة. ثم لما صار علىٰ أكثر الأمة ما صار، أظهر لهم الشيطانُ الإخلاص في صورةِ تنقُّصِ الصالحين، والتقصير في حقهم، وأظهر لهم الشرك باللَّه في صورة محبة الصالحين، واتباعهم.

الأصل الثاني: أمر اللَّه بالاجتماع في الدين، والنهي عن التفرق؛ فبين اللَّهُ هذا بيانًا شافيًا تفهمه العوام، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا. وذكر أنه أَمَر المسلمين بالاجتماع في الدين، ونهاهم عن التفرق فيه.

ويزيده وضوحًا ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك، ثم صار الأمر إلىٰ أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الأمر بالاجتماع لا يقوله إلا زنديق أو مجنون!

الأصل الثالث: أن من تمام الاجتماع السمعَ والطاعة لمن تأمَّر علينا ـ ولو كان عبدًا حبشيًّا ـ؛ فبيَّن النبي ﷺ هذا بيانًا شائعًا ذائعًا

بكل وجهٍ من أنواع البيان شرعًا وقدرًا، ثم صار هذا الأصل لا يُعرف عند أكثر من يدعي العلم؛ فكيف العمل به؟!

الأصل الرابع: بيان العلم والعلماء والفقه والفقهاء، وبيان مَن تشبَّه بهم وليس منهم، وقد بيَّن اللَّه تعالىٰ هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله لبني إسرائيل: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] إلىٰ قوله ـ قبل ذكر إبراهيم عليه السلام ـ: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ...﴾ [البقرة: ١٢٢] الآية.

ويزيده وضوحًا ما صرَّحت به السنة في هذا من الكلام الكثير البيِّن الواضح للعامي البليد، ثم صار هذا أغرب الأشياء، وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لَبسُ الحق بالباطل، وصار العلم الذي فرضه اللَّه تعالىٰ علىٰ الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديقٌ أو مجنون، وصار من أنكره وعاداه، وصنف في التحذير منه والنهي عنه= هو الفقيه العالم!

الأصل الخامس: بيان اللَّه سبحانه لأولياء اللَّه، وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء اللَّه، والمنافقين والفجار، ويكفي في هذا آيةٌ في آل عمران، وهي قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ...﴾ [آل عمران: ٣١] الآية، وآية في المائدة؛ وهي قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ...﴾ [المائدة: ٥٤] الآية، وآية في يونس، وهي قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

ثم صار الأمر عند أكثر من يدَّعي العلم، وأنه من هداة الخلق وحُفَّاظ الشرع= إلىٰ أن الأولياء لابد فيهم من ترك اتباع الرسل،

ومن تبعهم فليس منهم.

يا ربنا، نسألك العفو والعافية؛ إنك سميع الدعاء.

الأصل السادس: ردُّ السنة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة، واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي ـ أي: السنة التي وضعها الشيطان ـ هي أن القرآن والسنة لا يعرفها إلا المجتهد المطلق، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا، أوصافًا لعلها لا توجد تامةً في أبي بكر وعمر!! فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عنهما فرضًا حتمًا لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدىٰ منهما فهو إما زنديق وإما مجنون لأجل صعوبتهما! سبحان اللَّه وبحمده!

والأمر برد هذه الشبهة الملعونة من وجوهٍ شتىٰ بلغت إلىٰ أمر الضروريات العامة، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف]، ﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [يس].

آخره، والحمد للَّه رب العالمين، وصلىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدين.



[١٥]

فوائد حول قوله ﷻ:

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾

لشيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد:

فهذه عشر درجات:

الأولى: تصديق القلب أن دعوة غيرِ اللَّه باطلة. وقد خالف فيها من خالف.

الثانية: أنها منكرٌ يجب فيها البغض. وقد خالف فيها من خالف.

الثالثة: أنها من الكبائر والعظائم المستحِقة للمقت والمفارقة. وقد خالف فيها من خالف.

الرابعة: أن هذا هو الشرك باللَّه الذي لا يَغفره، وقد خالف فيها من خالف.

الخامسة: أن المسلم إذا اعتقده، أو دان به كفر. وقد خالف فيها من خالف.

السادسة: أن المسلم الصادق إذا تكلَّم به[(١)] هازلًا، أو خائفًا، أو طامعًا، كفر بذلك لعلمه، وأين ينزل القلب هذه الدرجةَ ويصدقه بها[(٢)]؟ وقد خالف فيها من خالف.

السابعة: أنك تعمل معه عملَك مع الكفار؛ من عداوة الأب والابن، وغير ذلك. وقد خالف فيها من خالف.

---

(١) يعني الشرك.

(٢) كذا وردت هذه العبارة في المطبوعات.

الثامنة: أن هذا معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه»، و«الإلٰه» المألوه، والتألُّهُ عملٌ من الأعمال، وكونه منفيًّا عن غير اللَّه تركٌ من التُّروك.

التاسعة: القتال علىٰ ذلك ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

العاشرة: أن الداعي لغير اللَّه لا يُقبل منه الجزية، كما يقبل من اليهود، ولا تنكح نساؤهم كما تنكح نساء اليهود؛ لأنه أغلظ كفرًا.

وكل درجة من هذه الدرجات، إذا عملتَ بها تخلَّف عنك بعضُ من كان معك، واللَّه أعلم[(١)].



(١) جاء بعدها في المطبوعات و«الدرر السنية» (٤٢٦/١٣) ما يلي: «وقوله عند كل درجة: «وقد خالف فيها من خالف»: [هم] ناسٌ يعتقدون أن دعوة غير اللَّه جائزة! والرسولُ ومن آمن به مخالفون لهم، و[منهم أيضًا] ناسٌ لا يكفرون بالطاغوت، ولا يبغضونه! والرسول وأتباعه مخالفون لهم؛ بل ملة إبراهيم هي الكفر بالطاغوت والإيمان باللَّه... وهكذا سائر الدرجات، واللَّه أعلم» اهـ.
قلت: وليست في أصل رسالة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان». والواضح أنها من شرح بعض المعلِّقين، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

[١٦]

فوائد حول قوله ﷻ:

﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي﴾

لشيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس].

فيه ثماني حالات[١]:

الحالة الأولى: ترك عبادة غير اللَّه مطلقًا، ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل والإخافة الثقيلة، كما جرىٰ لسعدٍ مع أمه[٢].

---

(١) في بعض المطبوعات بعدها: «وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم]» اهـ. وحذفها أصح، كما في «الدرر السنية» (١٣/٢١٤).

(٢) يقصد القصة المشهورة التي قال فيها ﵁: «كنتُ رجلًا برًّا بأمي، فلما أسلمت قالت: يا سعد، ما هذا الذي أراك قد أحدثتَ؟ لتَدَعنَّ دينك هذا، أو لا آكلُ ولا أشرب حتىٰ أموت، فتُعيَّر بي، فيقال: يا قاتِلَ أمِّه! فقلت: لا تفعلي ـ يا أمَّهْ ـ؛ فإني لا أدع ديني هذا لشيء. فمكثتْ يومًا وليلةً لم تأكل، فأصبحت قد جهدت، فمكثت يومًا آخر وليلةً أخرىٰ لا تأكل، فأصبحت قد اشتدَّ جهدُها، فلما رأيتُ ذلك قلت: يا أمَّه، تعلمين ـ واللَّهِ ـ لو كانت لك مِئةُ نفس؛ فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت ديني هذا لشيء؛ فإن شئت فكلي، وإن شئت لا تأكلي. فأكلت» اهـ. **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ:** رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠/٣٣١)، والواحدي في «أسباب النزول» (٣٣٦)، والطبراني في «العِشْرة» ـ كما =



الحالة الثانية: أن كثيرًا من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه، لا يفطنُ لما يريد اللَّه من قلبه من إجلاله وإعظامه وهيبته؛ فذكر هذه الحال بقوله: ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ [يونس: ١٠٤].

الحالة الثالثة: إن قدَّرْنا أنه ظُنَّ وجودُ الترك(١) والفعل منه، فلابد من تصريحه منه بأنه من هذه الطائفة [المؤمنة؛ حتىٰ يقويَها ويتقوَّىٰ بها، ويُفزِعَ الطواغيت الذين لا يبلغون الغاية في العداوة؛ حتىٰ يصرح لهم أنه من هذه الطائفةِ المحاربة لهم](٢).

الحالة الرابعة: إن قدَّرنا أنه ظُن وجود هذه الثلاث؛ فقد لا يبلغ الجِدَّ في العمل بالدين. والجدُّ والصدق هو إقامة الوجه للدين.

= في «تفسير ابن كثير» عند الآية (١٥) من سورة «لقمان»، و«سير أعلام النبلاء» (١/١٠٩) ـ، **وضعَّفه** الشيخ ماهر الفحل في تحقيقه لـ«أسباب النزول» (٣٣٦)، بينما قال الشيخ الحميدان في طبعته من نفس الكتاب ص(٣٤٢): «**إسناده لا بأس به**»، بينما قطع **بحسنه** الشيخ كمال بسيوني زغلول في تحقيقه لنفس الكتاب ص(٣٥٢).

وأصل القصة في «صحيح مسلم» (١٧٤٨).

(١) في المطبوع وبعض المصادر: «الشرك»، والمثبت أصح ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ. ثم وجدتُه كذلك في مطبوع «وزارة الأوقاف»، وللَّه الحمد.

(٢) ورد في المطبوعات وبعض النسخ ـ بدل ما بين المعقوفتين ـ: «ولو لم يقض هذا الغرضَ إلا بالهرب عن بلاد كثير من الطواغيت؛ الذين لا يبلغون الغاية في العداوة، حتىٰ يصرِّح بأنه من هذه الطائفة المحاربة لهم». والمثبت من «الموالاة والمعادة في الشريعة الإسلامية» للشيخ محماس الجلعود (١/١٧٣)، و«القول السديد في وجوب الاهتمام بالتوحيد»، للشيخ إسلام دربالة ص(١١١)، ونقلاه جميعًا ـ نصًّا ـ عن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

الحالة الخامسة: إن قدَّرْنا أنه ظُن وجود الحالات الأربع، فلابد له من مذهبٍ ينتسب إليه، فأُمر أن يكون مذهبُه الحنيفية، وتركُ كل مذهب سواها ـ ولو كان صحيحًا[(١)] ـ، ففي الحنيفية عنه غُنيةٌ[(٢)].

الحالة السادسة: أنَّا إن قدَّرنا أنه ظُن وجود الحالات الخمس، فلابد أن يتبرأ من المشركين، فلا يكثِّر سوادهم.

الحالة السابعة: إن قدَّرنا أنه ظُن وجود الحالات الست، فقد يدعو من غير قلبه نبيًّا أو غيره لشيءٍ من مقاصده، ولو كان دينًا يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا ـ خصوصًا عند الخوف ـ أنه لا يدخل في هذا[(٣)].

الحالة الثامنة: إن ظُن سلامته من ذلك كله، لكن غيرُه من إخوانه فعله خوفًا، أو لغرضٍ من الأغراض، هل يَصدُقُ اللَّهَ أن هذا ـ ولو كان أصلح الناس ـ قد صار من الظالمين؟ أو يقول: «كيف أكفِّرُه، وهو يحب الدين ويبغض الشرك؟!». وما أعزَّ من يتخلص من هذا! بل ما أعزَّ من يفهمه وإن لم يعمل به! بل ما أعز من لا يظنه جنونًا.

واللَّه أعلم[(٤)].



---

(١) يقصد علىٰ افتراض صحة مذهب آخر غيرها. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) لا سيما وقد نَسخت كلَّ ما قبلها.

(٣) كذا في جُلِّ المطبوعات و«الدرر السنية»، وهي بحاجة إلىٰ إيضاح. واللَّهُ أعلم. بينما سقطت كليةً من طبعة وزارة «الأوقاف».

(٤) جاء في المطبوعات بعد ذلك رسالة بعنوان: «شروط الصلاة»، للإمام محمد بن عبدالوهاب، وقد بينت حالها في المقدمة.

[١٧]

شرح رسالة «أصل الإسلام وقاعدته»

لشيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهَّاب

شرح الشيخ

عبدالرَّحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

◻ قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «**أصل دين الإسلام وقاعدته أمران: الأول: الأمر بعبادة اللَّه وحده لا شريك له، والتحريض علىٰ ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه**».

قلت: وأدلة هذا في القرآن أكثر من أن تُحصر، كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ...﴾ الآية [آل عمران: ٦٤].

أمر اللَّه تعالىٰ نبيَّه أن يدعوَ أهل الكتاب إلىٰ معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه» الذي دعا إليه العرب وغيرهم، والكلمة هي: «لا إلٰه إلا اللَّه»؛ ففسرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ فقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ فيه معنىٰ: «لا إلٰه»، وهو نفي العبادة عما سوىٰ اللَّه، قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو المستثنىٰ في كلمة الإخلاص، فأمَرَه تعالىٰ أن يدعوهم إلىٰ قَصْر العبادة عليه وحده، ونفيها عمن سواه.

ومثل هذه الآية كثير؛ يبيِّن أن الإلٰهيَّة هي العبادة، وأنها لا يصلح منها شيءٌ لغير اللَّه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

معنىٰ ﴿وَقَضَىٰ﴾: أمر ووصَّىٰ؛ قولان، ومعناهما واحد.

وقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ فيه معنىٰ «لا إلٰه».

وقوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فيه معنىٰ «إلا اللَّه».

وهذا هو توحيد العبادة، وهو دعوة الرسل، إذ قالوا لقومهم:

﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]؛ فلابد من نفي الشرك في العبادة رأسًا، والبراءة منه وممن فعله، كما قال تعالىٰ عن خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف]؛ فلابد من البراءة من عبادة ما كان يُعبد من دون اللَّه.

وقال عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨]؛ فيجب اعتزال الشرك وأهله بالبراءة منهما، كما صرح به في قوله تعالىٰ: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾: هم الرسل ـ كما ذكره ابن جرير ـ.

وهذه الآية تتضمن جميع ما ذكره شيخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ من التحريض علىٰ التوحيد، ونفي الشرك، والموالاة لأهل التوحيد، وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافي له؛ فإنَّ مَن فَعَل الشرك فقد ترك التوحيد، فإنهما ضدان لا يجتمعان؛ فمتىٰ وُجد الشرك انتفىٰ التوحيد.

وقد قال تعالىٰ في حق من أشرك: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨﴾ [الزمر]، فكفَّره تعالىٰ باتخاذ الأنداد ـ وهم الشركاء في العبادة ـ.

وأمثال هذه الآيات كثير؛ فلا يكون المرء موحِّدًا إلا بنفي الشرك، والبراءة منه، وتكفيرِ من فعله.

□ ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «**الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة اللَّه، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله**».

[قلت]: فلا يتمُّ مقامُ التوحيد إلا بهذا، وهو دين الرسل؛ [حيث] أنذروا قومهم عن الشرك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحقاف: ٢١].

وقوله: «**في عبادة اللَّه**»: العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه اللَّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

وقوله: «**والتغليظ في ذلك**»: وهذا موجودٌ في الكتاب والسنة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات]، ولولا التغليظُ لَمَا جرىٰ علىٰ النبي ﷺ وأصحابه من قريشٍ ما جرىٰ من الأذىٰ العظيم، كما هو مذكور في السِّيَر مفصلًا؛ فإنه بادأهم بسبِّ دينهم وعيب آلهتهم[(١)].

وقوله: «**والمعاداة فيه**»، كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥]. والآيات في هذا كثيرةٌ جدًّا، كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. والفتنة: الشرك[(٢)].

---

(١) راجع التعليق ص(٢٤٠).

(٢) وهذه الآية من أصرح الأدلة علىٰ «جهاد الطلب»؛ خلافًا لمن قصره علىٰ «جهاد الدفع». وانظر ـ مشكورًا ـ تعليقي علىٰ «جوامع الآداب» =

ووَسَم تعالىٰ أهل الشرك بالكفر فيما لا يُحصىٰ من الآيات، فلابد من تكفيرهم ـ أيضًا ـ، هذا هو مقتضىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه» ـ كلمة الإخلاص ـ؛ فلا يتمُّ معناها إلا بتكفير مَن جعل للَّه شريكًا في عبادته، كما في الحديث الصحيح: «**من قال: لا إلٰه إلا اللَّه، وكفر بما يُعبد من دون اللَّه، حَرُم مالُه ودمُه. وحسابُه علىٰ اللَّه**»(١).

فقوله: «**وكفر بما يُعبد من دون اللَّه**» تأكيدٌ للنفي؛ فلا يكون معصومَ الدم والمال إلا بذلك، فلو شك أو تردد، لم يُعصم دمه وماله.

فهذه الأمور هي تمام التوحيد؛ لأن «لا إلٰه إلا اللَّه» قُيدت في الأحاديث بقيودٍ ثِقال؛ بالعلم والإخلاص والصدق واليقين وعدم الشك، فلا يكون المرء موحِّدًا إلا باجتماع هذا كله، واعتقاده، وقبوله، ومحبته، والمعاداة فيه، والموالاة؛ فبمجموع ما ذكره شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ يحصل ذلك.

▫ ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «**والمخالف في ذلك أنواع: فأشدهم مخالفةً: من خالف في الجميع**»: فقَبِل الشرك، واعتقده دينًا(٢)، وأنكر التوحيد، واعتقده باطلًا ـ كما هو حال الأكثر ـ! وسببه الجهلُ بما دل عليه الكتاب والسنة من معرفة التوحيد، وما ينافيه من الشرك والتنديد، واتباع الأهواء وما عليه الآباء، كحال مَن قبلهم مِن أمثالهم من أعداء الرسل؛ فرَمَوْا أهل التوحيد بالكذب والزور،

= للإمام القاسمي (٢١٥ ـ ط: دار ابن الجوزي).

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) يقصد بالشرك هنا: الدعاء والذبح والنذر ونحو ذلك لغير اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ كما سلف غير مرة ـ.

والبهتان والفجور، وحجتُهم: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء].

وهذا النوع من الناس ـ والذي بعده ـ قد ناقضوا ما دلت عليه كلمة الإخلاص، وما وُضعت له، وما تضمنته من الدِّين الذي لا يَقبل اللَّه دينًا سواه؛ وهو دين الإسلام الذي بَعث اللَّهُ به جميعَ أنبيائه ورسله، واتفقت دعوتُهم عليه، كما لا يخفىٰ فيما قص اللَّه تعالىٰ عنهم في كتابه.

▫ ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «**ومن الناس من عَبد اللَّه وحده، ولم يُنكر الشرك، ولم يُعادِ أهله**».

قلت: ومن المعلوم أن من لم يُنكر الشرك لم يعرف التوحيد، ولم يأتِ به. وقد عرفتَ أن التوحيد لا يحصل إلا بنفي الشرك، والكفرِ بالطاغوت المذكور في الآية[1].

▫ ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «**ومنهم من عاداهم ولم يكفِّرهم**»: فهذا النوع ـ أيضًا ـ لم يأتِ بما دلت عليه «لا إلٰه إلا اللَّه» من نفي الشرك، وما تقتضيه من تكفير مَن فعله بعد البيان إجماعًا، وهو مضمون سورة «الإخلاص» و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وقولِه في آية «الممتحنة»: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾، ومن لم يكفِّر من كفَّره القرآن، فقد خالف ما جاءت به الرسل من التوحيد وما يوجبه.

▫ ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ومنهم من لم يُحبَّ التوحيد، ولم يبغضه**».

قلت[2]: مَن لم يحبَّ التوحيد لم يكن موحِّدًا؛ لأنه هو الدين

---

(١) يعني قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

(٢) في المطبوع و«الدرر السنية» (٢/٢٠٦): «فالجواب: أن...»، وغيَّرتُها =

الذي رضيه اللَّه لعباده، كما قال تعالىٰ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]؛ فلو رضي بما رضي به اللَّهُ وعَمِلَ به لأحبه، ولابد من المحبة؛ لعدم حصول الإسلام بدونها، فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد.

□ قال الشيخ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإخلاص محبة اللَّه وإرادة وجهه؛ فمن أحب اللَّه أحب دينه، ومَن لا فلا، والمحبةُ يترتب عليها كلمة الإخلاص، وهو من شروط التوحيد».

□ ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «**ومنهم من لم يُبغض الشرك، ولم يحبَّه**».

قلت: ومن كان كذلك ـ فلم يَنفِ ما نفته «لا إلٰه إلا اللَّه» من الشرك والكفر بما يُعبد من دون اللَّه والبراءة منه ـ، فهذا ليس من الإسلام في شيء أصلًا، ولم يُعصم دمه ولا ماله كما دل عليه الحديث المتقدم[1].

□ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ومنهم مَن لم يعرف الشرك ولم ينكره**».

قلت: مَن لم يعرف الشرك ولم ينكره، لم ينفه، ولا يكون موحِّدًا إلا من نفىٰ الشرك وتبرأ منه وممن فعله، وكفَّرهم. وبالجهل بالشرك لا يحصل شيء مما دلت عليه «لا إلٰه إلا اللَّه»، ومن لم يقُم بمعنىٰ هذه الكلمة ومضمونها فليس من الإسلام في شيء؛ لأنه لم يأت بهذه الكلمة ومضمونها عن علمٍ ويقين، وصدقٍ وإخلاص، ومحبةٍ وقبولٍ وانقياد، وهذا النوعُ ليس معه من ذلك شيء، وإن قال: «لا إلٰه إلا اللَّه» فهو لا يعرف ما دلت عليه، ولا ما تضمنته.

= تبعًا لأخواتها.

(١) يعني حديث: «**وكفر بما يُعبد من دون اللَّه**»، وهو صحيح: وقد تقدم.

▫ ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «**ومنهم من لم يعرف التوحيد، ولم يُنكره**».

قلت[(١)]: هذا كالذي قبله، لم يرفعوا رأسًا بما خُلقوا له من الدين الذي بعث اللَّه به رُسله، وهذه الحالُ حالُ من قال اللَّه فيهم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان].

▫ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ومنهم ـ وهو أشد الأنواع خطرًا ـ: من عمل بالتوحيد ولم يعرف قَدْره، ولم يبغض مَن تركه، ولم يكفِّرهم**».

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو أشد الأنواع خطرًا» لأنه لم يعرف قدر ما عمل به، ولم يجئ بما يصحِّحُ توحيده من القيود الثقال التي لابد منها، لِمَا علمتَ أن التوحيد يقتضي نفيَ الشرك، والبراءةَ منه، ومعاداةَ أهله، وتكفيرَهم، مع قيام الحجة عليهم، فهذا قد يُغترُّ بحاله، وهو لم يجئ بما عليه من الأمور التي دلَّت عليها كلمة الإخلاص نفيًا وإثباتًا.

▫ وكذلك قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ومنهم من ترك الشرك وكرهه، ولم يعرف قَدْرَه**».

وهذا أقرب من الذي قبله، لكن لم يعرف قدر الشرك؛ لأنه لو عرف قدره لفعل ما دلت عليه الآياتُ المحكمات؛ كقول الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف]، وقوله: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ [الممتحنة: ٤].

فلابد لمن عرف الشركَ وتَرَكه من أن يكونَ كذلك من الولاء

(١) في المطبوع و«الدرر»: «فأقول»، وغيَّرتُها تبعًا لأخواتها.

والبراء من العابد والمعبود[(١)]، وبُغضِ الشرك وأهله وعداوتهم.

وهذان النوعان هما الغالب علىٰ أحوال كثيرٍ ممن يدعي الإسلام، فيقع منهم من الجهلِ بحقيقته ما يمنع الإتيانَ بكلمة الإخلاص، وما اقتضته علىٰ الكمال الواجب الذي يكون به موحِّدًا؛ فما أكثر المغرورين الجاهلين بحقيقة الدين!

فإذن عرفتَ أن اللَّه كفَّر أهل الشرك، ووصفهم به في الآيات المحكمات كقوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، وكذلك السنة.

▫ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأهل التوحيد والسُّنة يصدِّقون الرسل فيما أَخبروا، ويطيعونهم فيما أَمروا، ويحفظون ما قالوا، ويفهمونه ويعملون به، وينفُون عنه تحريف الغالين[(٢)]، وانتحال المبطلين[(٣)]، وتأويل الجاهلين، ويجاهدون من خالفهم[(٤)] تقربًا إلىٰ اللَّه، وطلبًا للجزاء من اللَّه لا منهم[(٥)].

وأهل الجهل والغلو لا يميِّزون بين ما أُمروا به ونُهوا عنه، ولا بين ما صحَّ عنهم[(٦)]، ولا ما كُذِب عليهم، ولا يفهمون حقيقة

---

(١) أي: ممن عَبَد أو عُبد من دون اللَّه تعالىٰ.

(٢) **الغالين**: الذين يخرجون الأمور عن حقيقتها التي وضعها عليها العليم الحكيم جَلَّ جَلَالُهُ، فيجعلون المكروه حرامًا، والمستحبَّ أو المباح واجبًا... ونحو ذلك، فيلزمون العباد بما لم يُلزمهم به أرحم الراحمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ وهذه هي حقيقة الغلو.

(٣) **المبطلين**: الكذابين.

(٤) أي: من خالف الرسل.

(٥) أي: من الرسل.

(٦) أي: عن الرسل.

مرادهم، ولا يتحرَّون طاعتهم؛ بل هم جهال بما أَتوا به مُعظِّمون لأغراضهم».

قلت: ما ذكره شيخ الإسلام يشبه حالَ هذين النوعين الأخيرين.

[تكفير المعيَّن]:

بقيت مسألةٌ؛ حيث تكلم فيها شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو عدم تكفير المعين ابتداءً، لسبب ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ أوجب له التوقفَ في تكفيره قبل إقامة الحجة عليه.

▫ قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «ونحن نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يشرع لأحدٍ أن يدعوَ أحدًا من الأموات ـ لا الأنبياء ولا الصالحين، ولا غيرهم ـ بلفظ «الاستغاثة» ولا بغيرها، كما أنه لم يَشرع لأمته السجود لميتٍ ولا إلىٰ غير ميت، ونحو ذلك؛ بل نعلم أنه نهىٰ عن هذه الأمور كلها، وأن ذلك من الشرك الذي حرَّمه اللَّه ورسوله ﷺ، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثيرٍ من المتأخرين، لم يمكن تكفيرهم بذلك حتىٰ يبيَّن [لهم] ما جاء به الرسول مما يخالفه». انتهىٰ.

قلت: فذكر رَحِمَهُ اللَّهُ ما أوجب له عدمَ إطلاق الكفر عليهم علىٰ التعيين خاصةً، إلا بعد البيان والإصرار؛ فإنه قد صار أمةً وحده؛ لأن من العلماء من كفَّره[(١)] بنهيه لهم عن الشرك في العبادة؛ فلا يمكنه أن يعاملهم إلا بمثل ما قال، كما جرىٰ لشيخنا محمد بن عبدالوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ في ابتداء دعوته؛ فإنه إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب، قال: «اللَّه خير من زيد»! تمرينًا لهم علىٰ نفي الشرك

(١) أي: كفَّر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ.



بليِّن الكلام نظرًا إلىٰ المصلحة وعدم النفرة.

والله ﷻ أعلم.



[١٨]

أنواع التوحيد وأنواع الشرك

للشيخ

عبدالرَّحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد للَّه وكفىٰ، وسلام علىٰ عباده الذين اصطفىٰ.

أما بعد:

اعلم - أرشدك اللَّه تعالىٰ - أن اللَّه خلق الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

والعبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

أما التوحيد فهو ثلاثة أنواع:

١ - توحيد الربوبية.

٢ - وتوحيد الألوهية.

٣ - وتوحيد الأسماء والصفات.

[النوع الأول]: توحيد الربوبية:

فهو الذي أقرَّ به الكفارُ علىٰ زمن رسول اللَّه ﷺ، ولم يُدخِلْهم في الإسلام، وقاتلهم [عليه] رسولُ اللَّه ﷺ، واستباح دماءهم وأموالهم، وهو توحيدُه بفعله تعالىٰ[1].

---

(١) أي: توحيده ﷻ من جهة ما يتعلق بأفعاله هو ﷻ؛ كالإحياء والإماته، =

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس].

[وقوله]: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ[1] إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ[2] ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون].

والآيات علىٰ هذا كثيرة جدًّا، وأكثر من أن تُحصر، وأشهر من أن تذكر.

النوع الثاني ـ وهو توحيد الألوهية ـ:

فهو الذي وقع فيه النزاعُ في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد اللَّه بأفعال العباد[3]؛ كالدعاء، والنذر، والنحر، والرجاء، والخوف، والتوكل، والرغبة، والإنابة.

ودليل الدعاء: قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر].

= والبعث والرزق... إلخ.

(١) ﴿يُجِيرُ﴾: يؤمِّن من يشاء. ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: من أراده تبارك وتعالىٰ بسوءٍ فلن يستطيع أحدٌ أن يحميه من بأسه جَلَّ وَعَلَا.

(٢) ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾، أي: كيف تُخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته، وكيف يخيَّلُ لكم الحق باطلًا؟!

(٣) في المطبوع: «العبادة»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليلٌ من القرآن.

وأصل العبادة: تجريد الإخلاص للَّه تعالىٰ ـ وحده ـ، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا[(١)] ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ[(٢)] وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد].

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج]. والآيات معلومات.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].

✍ وأما النوع الثالث: فهو توحيد الذات والصفات[(٣)]:

---

(١) راجع التعليق علىٰ هذه الآية ص(١٨٥).

(٢) راجع التعليق علىٰ هذه الآية ص(١٨٥).

(٣) فائدةٌ حول لفظ «الذات»:

بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن لفظة «ذات» في الكتاب والسنة ولغة العرب لا تأتي إلا مضافةً، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]، وكقول القائل: «فلان ذو علم، وذو فضل...» ونحو هذا؛ فلما جاء =

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ[(١)] ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ[(٢)] ۝٤﴾ [الإخلاص].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف].

وقال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ].

[ما يضاد التوحيد]:

ثم اعلم أن ضد التوحيد: الشرك، وهو ثلاثة أنواع:

- شرك أكبر.
- وشرك أصغر.
- وشرك خفي.

النوع الأول: شرك أكبر:

والدليل علىٰ الشرك الأكبر: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ

= المعتزلة وأشياعهم، وأرادوا نفي الصفات ـ المعبَّر عنها بلفظ «ذات» ـ نزعوا منها الإضافة، وقالوا: «الذات» ـ فقط ـ، وهذا اللفظ ـ بهذه الصورة ـ لفظٌ مولَّد لا يُعرف في كلام العرب العرباء.
انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٦/٩٨ ـ ٩٩)، و«درء التعارض بين العقل والنقل» (٤/١٤٠)، و«حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين»، للشيخ عبدالرَّحيم السلمي (٢٧٩ ـ ٢٩٠)، وكذلك أفاد الإمام الزَّبيدي أن لفظة «ذات» ليست من كلام العرب، وإنما هو من اصطلاح المتكلمين.
«إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين» (٢/٢٨).

(١) سيأتي الكلام تفصيلًا عن معنىٰ «الصمد» في (٢/٦٢٦).

(٢) أي: ليس كمثله شيءٌ ﷻ.

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء].

[وقوله]: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة].

وهو أربعة أنواع:

■ النوع الأول: شرك الدعوة:

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ[(١)] دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت].

■ النوع الثاني: شرك النيَّة والإرادة والقصد:

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ[(٢)] ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

■ النوع الثالث: شرك الطاعة:

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة].

وتفسيرها ـ الذي لا إشكال فيه ـ: طاعة العلماء والعُبَّاد في المعصية؛ لا دعاؤهم إياهم[(٣)]؛ كما فسَّرها النبيُّ ﷺ لعديِّ بن حاتم

(١) و«الفُلْك» لفظٌ مفرد، فانتبه.
(٢) ﴿يُبْخَسُونَ﴾: يُنقصون.
(٣) أي: ليس المراد أنهم يدْعُونهم لجلب المنافع ودفع المضار.

لما سأله؛ فقال: لسنا نعبدهم؛ فذكر له أن عبادتهم طاعتُهم في المعصية[(١)].

■ **النوع الرابع: شرك المحبَّة:**

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

والنوع الثاني: الشرك أصغر ـ وهو الرياء ـ:

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

والنوع الثالث: شرك خفي:

والدليل عليه: قوله ﷺ: «**الشركُ في هذه الأمة أخفىٰ من دبيب النملة السوداء، علىٰ صَفاةٍ سوداء**[(٢)]**، في ظلمة الليل**»[(٣)].

---

(١) **حسن:** وقد تقدم.

(٢) **الصَّفاة:** الصخرة.

(٣) **صحيح ـ بنحوه ـ:** رواه البزار (٣٥٦٦)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٦١)، والحاكم (٢/٢٩١)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٨/٣٩٦)، وابن الجوزي في «العلل» (١٣٧٨)، من حديث أمنا عائشة رضي الله عنها. وأشار البزار إلىٰ **ضعفه**، وحكم عليه العقيلي بأنه **منكرٌ لا أصل له**. **وصحَّحه** الحاكم، فتعقبه الذهبي بأن الدَّارَقُطْني **ضعَّف أحد رواته**. وكلام الدَّارَقُطْني في «العلل» (رقم: ٣٥٣٩)، بينما **وافق** المنذريُّ الحاكمَ علىٰ التصحيح في «الترغيب» (٤٦٠٢)، **وضعَّفه** الهيثمي في «المجمع» (١٠/٢٢٣)، والشيخ حسين الداراني في تحقيقه (٢١/١٥٩)، وكذا محققو «المسند» (٣٢/٣٨٥) ـ تحت تحقيق حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه الآتي قريبًا ـ، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣٧٥٥).

وكفارتُه قوله ﷺ: «**اللَّهم إني أعوذ بك أن أشركَ بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرُك من الذنب الذي لا أعلم**»[١].

= ويشهد لقسمه الأول: ما ورد من حديث أبي عليٍّ - رجل من بني كاهل - قال: خَطَبنا أبو موسىٰ الأشعري، فقال: يا أيها الناس، اتقوا هذا الشرك؛ فإنه أخفىٰ من دبيب النمل. فقام إليه عبدُاللَّه بن حَزْنٍ وقيسُ بن المضارب؛ فقالا: واللَّهِ لتَخرُجَنَّ مما قلتَ، أو لنأتينَّ عمرَ مأذون لنا أو غير مأذون. قال: بل أخرج مما قلت؛ خَطَبَنا رسولُ اللَّه ﷺ ذات يوم، فقال: «**أيها الناس، اتقوا هذا الشرك؛ فإنه أخفىٰ من دبيب النمل**». فقال له من شاء اللَّه أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفىٰ من دبيب النمل - يا رسول اللَّه -؟! قال: «**قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرُك لما لا نعلم**». حسن: رواه أحمد (٤٠٣/٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٥٨/٩)، والطبراني في «الأوسط» (٣٥٠٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٧/١٠). وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٢٢٣/١٠): «رجال أحمد رجال الصحيح؛ غير أبي عليٍّ [وهو رجل من بني كاهل]؛ وثقه ابن حِبَّان» اهـ. **وحسَّنه لغيره** الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٦)، **وصحَّحه بشواهده** الشيخ بشير عيون في نسخته من «مجموعة التوحيد» (٩/١)، **وحسَّنه** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (١٦٠/٢١)، بينما **ضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط. وانظر - لزامًا -: تحقيق «المسند» (٣٨٤/٣٢ - ط: الرسالة). وانظر - أيضًا - التخريج التالي.

(١) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧١٦)، وأبو يعلىٰ (٥٨)، وابن عدي (٢٤٠/٧)، وابن حِبَّان في «المجروحين» (١٣٠/٣)، والحاكم (٢٩١/٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١١٢/٧)، وهناد في «الزهد» (٨٤٩)، والمروزي في «مسند أبي بكر» (٦٣)، والدَّارَقُطْني في «العلل» (١٥)، وذكره ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٨٢٤/٢). من حديث أبي بكر =

📖 **والكفر كفران:**

✍ **[أحدهما]: كفر يُخرج من الملة: وهو خمسة أنواع:**

▪ **النوع الأول: كفر التكذيب:**

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [العنكبوت].

▪ **النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق:**

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة].

▪ **النوع الثالث: كفر الشكِّ ـ وهو كفر الظن ـ:**

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف].

= رضي الله عنه. ونقل **تضعيفه** عن أهل العلم. وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/٣٨٥): «رواه أبو يعلىٰ من رواية ليث بن أبي سليم عن أبي محمد عن حذيفة، وليث مدلس، وأبو محمد إن كان هو الذي روىٰ عن ابن مسعود، أو الذي روىٰ عن عثمان بن عفان؛ فقد وثقه ابن حبان، وإن كان غيرهما فلم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح» اهـ. **وضعَّفه** الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٨٨٧)، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٣٢/٣٨٤)، وكذا الشيخ حسين الداراني عند أبي يعلىٰ (١/٥٨)، وعزاه في «الجامع الصغير» (٦٠٤٤) ـ أيضًا ـ للحكيم الترمذي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٣١).
وانظر السابق.

■ **النوع الرابع: كفر الإعراض:**

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [الأحقاف].

■ **النوع الخامس: كفر النفاق:**

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾ [المنافقون].

[ثانيهما]: وكفرٌ أصغر لا يخرج من الملة: وهو كفر النعمة:

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ۝١١٢﴾ [النحل].

وأما النفاق فنوعان: اعتقادي، وعملي:

فأما الاعتقادي فهو ستة أنواع:

١ ـ تكذيب الرسول.

٢ ـ أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول.

٣ ـ أو بُغض الرسول.

٤ ـ أو بغض ما جاء به الرسول.

٥ ـ أو المَسَرَّة بانخفاض دين الرسول.

٦ ـ أو الكراهية بانتصار دين الرسول.

فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار.

وأما العملي فهو خمسة أنواع:

والدليل: قوله ﷺ: «**آيةُ المنافق ثلاث: إذا حدَّث كَذَب، وإذا وَعد**

أخلف، وإذا ائتُمن خان»[١]، «**وإذا خاصم فَجَر**[٢]، **وإذا عاهد غدر**»[٣].

نعوذ باللَّه من النفاق والشِّقاق وسوء الأدب، واللَّه أعلم.



---

(١) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أي: إذا وقعت خصومة بينه وبين أحد، تعدَّىٰ بالكذب والبهتان علىٰ خصمه.

(٣) رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، من حديث عبداللَّه بن عمرو رضي الله عنهما.

[١٩]

التوحيد وطروء الشرك على المسلمين، ومحاربة العلماء له

للشيخ

عبدالرَّحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد للَّه رب العالمين، وصلىٰ اللَّه علىٰ سيد المرسلين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا.

اعلم أن أعظم شهادة، وأفرضها علىٰ الخلق قولًا وعملًا واعتقادًا= ما شهد اللَّه به لنفسه من اختصاصه بالإلٰهيَّة، دون جميع خلقه، أزلًا وأبدًا.

قال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران].

فكرر الشهادة به في هذه الآية؛ وأخبر أن ملائكته وأولي العلم شهدوا له بذلك جَلَّ وَعَلَا؛ وأخبر عباده بهذه الشهادة، ودعاهم إلىٰ أن يشهدوا له بها.

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه].

وقال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠].

وأخبر أنه بعث بهذه الشهادة الرسل جميعهم، فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء]، فبين في هذه الآية وأمثالها ـ كقوله: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩] ـ أن الإلٰهيَّة هي العبادة؛ فإن الإلٰه هو المألوه الذي

تألهه القلوب، محبةً وتعظيمًا، وتذللًا وخضوعًا، وتوكلًا ورغبةً إليه، ورهبةً وخوفًا ورجاءً، وغير ذلك من أنواع العبادة.

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام].

وبين تعالىٰ ما تضمنته هذه الشهادة من النفي والإثبات بقوله، عن خليله عليه السلام، أنه قال لأبيه وقومه: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾ [الزخرف].

والكلمة هي: لا إلٰه إلا اللَّه، فعبَّر عنها الخليل بمعناها، فنفىٰ ما نفته هذه الكلمةُ من الشرك في العبادة؛ بالبراءة من كل ما يُعبد من دون اللَّه، واستثنىٰ الذي فَطَره، وهو اللَّه سبحانه الذي لا يَصلُحُ من العبادة شيءٌ لغيره، كما قال تعالىٰ: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود]، فقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ فيه معنىٰ: لا إلٰه، وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو المستثنىٰ في هذه الكلمة العظيمة، وفي هذه الآيات نفىٰ الإلٰهيَّة عما سوىٰ اللَّه نفيًا عامًّا بـ«لا» النافية للجنس، وأثبت الإلٰهيَّة له وحده دون كل ما سواه.

والآيات في معنىٰ هذه الكلمة كثيرة في القرآن:

قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ فقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ نفيُ استحقاق العبادة لغيره، وأثبتها لنفسه بقوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

وأمر نبيه أن يدعوَ أهل الكتاب إلىٰ معنىٰ هذه الكلمة، وما

تضمنته من النفي والإثبات:

فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، فتضمنت هذه الآية معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه» من نفي الإلٰهيَّة عما سوىٰ اللَّه وتفرُّدِه بالعبادة دون كل ما سواه.

ومعنىٰ: ﴿تَعَالَوْاْ﴾، أي: هلموا وأقبلوا، إلىٰ أن نكون نحن وأنتم في توحيد اللَّه مجتمعين علىٰ ذلك، ثم قرر تعالىٰ بقوله: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية [آل عمران: ٦٤].

وهذه الكلمة هي التي دعا رسول اللَّه قريشًا والعرب أن يقولوها، ويعملوا بها، وقال لهم: «**قولوا: لا إلٰه إلا اللَّه تفلحوا، كلمةً تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم، وتكونون بها ملوكًا في الجنة**»، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص]، ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [ص: ٧][1].

وذلك أنهم نشؤوا في الفترة بعد عبادة الأصنام، حين استخرجها عمرو بن لُحيٍّ الخزاعي، وفرقها في القبائل ـ وهي الأصنام التي

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/٣٤١)، والحاكم (١/٦١)، والطبراني في «الكبير» (٥/٦١)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٩/١٣)، وفي «الدلائل» (٢/١٥٨)، والحارث في «مسنده» (٦٧٧)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٢٧٥٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٩٦٤)، من حديث ربيعة بن عبَّاد الديلي رضي الله عنه. ووصف الإمام الهيثمي في «المجمع» (٦/٢١)، أحد أسانيد أحمد بأن **رجاله ثقات**، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٥/٤٠٤)، والشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢٥/٢٧).
وراجع حديث ابن عباس رضي الله عنهما ص(١٨٦).

عبدها قومُ نوح ـ، فعبدوها، وكثرت عبادة الأوثان والأصنام؛ فصار عند الكعبة ثلاثُمِئةٍ وستون صنمًا علىٰ صورة من كانوا يعبدونه.

وعبدوا اللات والعزىٰ ومناة وذا الخَلَصة، وغيرها مما لا يُحصىٰ كثرةً، ولذلك أنكروا معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه» لما دعاهم النبي ﷺ إلىٰ ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون اللَّه، فأبوا أن ينفوا ما نفته من عبادة الأوثان والأصنام، وأن يُخلصوا العبادة للَّه وحده.

ولمعرفتهم معنىٰ هذه الكلمة نَهَوْا أبا طالب عن أن يقولها عند موته، لما قال له رسول اللَّه: «**يا عم، قل: لا إلٰه إلا اللَّه، كلمةً أُحاجُّ لك بها عند اللَّه**». قال له أبو جهل، وعبداللَّه بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟[1]. علموا أنه لو قالها لترك عبادة غير اللَّه وأنكرها، لمعرفتهم ما دلت عليه من النفي والإثبات.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات].

وأما هذه الأمة فلما كثر الشرك فيهم ـ كما كثر في أولئك ـ، وبُنيت المساجد علىٰ القبور وعُبدت، وبُنيت المشاهد علىٰ اسم من بُنيت باسمه من الصالحين وعُبدت= صاروا يقولون: «لا إلٰه إلا اللَّه»، والشركُ قد قام في قلوبهم، واتخذوه دينًا، فأثبتوا ما نفته هذه الكلمةُ من عبادة غير اللَّه، وأنكروا ما دلت عليه من الإخلاص؛ فعكسوا مدلولَ هذه الكلمة العظيمة، بكونهم أثبتوا ما نفته من الشرك، ونفَوا ما أثبتته من الإخلاص الذي هو حقُّ اللَّه علىٰ عباده،

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

فيقول قائلهم: «لا إلٰه إلا اللَّه»، وقد اعتقد عكس ما دلت عليه؛ وهذا غايةُ الجهل والضلال، يقول كلمةً تتضمن النفي والإثبات، فلا يعرف ما نفت ولا ما أثبتت؛ هذا وهم فيما يَقرؤونه، ويُقرِئونه في مذاهبهم، وما كانوا يتعاطونه من العلوم= لا يجهلون مثل هذا.

وكثيرٌ منهم له في علم المعقول اليدُ الطولىٰ، فسبحان اللَّه! كيف جهلوا من ذلك ما دعت إليه الرسل من توحيد اللَّه، ونفي الشرك الذي نَهَوا أممهم عنه، كما هو صريح في القرآن، لا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ فهمٍ إن وُفِّق لفهمه؟! فوضعوا الشرك موضع التوحيد بالقبول والعمل، ووضعوا التوحيد موضع الشرك بالإنكار علىٰ من دعا إليه وعداوته!

فبهذا يتبين لك معنىٰ ما أخبر به النبي ﷺ من قوله: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ**»[(١)]. فلا غربة للإسلام أعظم من هذه الغربة التي عليها الأكثرون في هذه القرون المتأخرة.

وقد ذكر العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ من أهل السنة والجماعة في معنىٰ: «لا إلٰه إلا اللَّه»، وبيان ما نفته وما أثبتته= ما يفيد العلم اليقيني بمعناها الذي أوجب اللَّه تعالىٰ معرفته، وما تضمنته من النفي والإثبات.

▫ قال الوزير أبو المظفر في «الإفصاح»: «قوله: (شهادة ألا إلٰه إلا اللَّه)، يقتضي أن يكون الشاهدُ عالمًا بأنه لا إلٰه إلا اللَّه، كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. قال: واسم اللَّه مرتفع بعد ﴿إِلَّا﴾ من حيث أنه الواجب له الإلٰهيَّة، فلا يستحقها

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

غيره سبحانه».

▫ قال: «وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمةَ مشتملةٌ علىٰ الكفر بالطاغوت والإيمان باللَّه؛ فإنك لما نفيتَ الإلٰهيَّة وأثبت الإيجاب للَّه تعالىٰ، كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن باللَّه».

▫ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «البدائع»: «فدلالتها ـ أي لا إلٰه إلا اللَّه ـ علىٰ إثبات الإلٰهيَّة أعظمُ من دلالة قولنا: «اللَّه إلٰه»، ولا يستريب أحدٌ في هذا البتة». انتهىٰ بمعناه.

▫ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإلٰه هو الذي تألهُه القلوب، محبةً وإجلالًا وإنابةً، وإكرامًا وتعظيمًا، وذلًّا وخضوعًا، وخوفًا ورجاء، وتوكلًا عليه، وسؤالًا منه، ودعاءً له؛ لا يصلح ذلك كله إلا للَّه؛ فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور ـ التي هي من خصائص الإلٰهيَّة ـ، كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قوله: «لا إله إلا اللَّه»، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك».

▫ وقال أبو عبداللَّه القرطبي في «تفسيره»: «﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، أي: لا معبود إلا هو».

▫ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإلٰه هو: المعبود المطاع، فإن الإلٰه هو المألوه، والمألوه هو: الذي يستحق أن يُعبد، وكونه يستحق هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع».

▫ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «فإن الإلٰه هو: المحبوب المعبود، الذي تألهه القلوب بحبها، وتخضع له، وتَذِلُّ له، وتخافه، وترجوه، وتُنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه، وتطمئن بذكره، وتسكن إلىٰ حبه، وليس ذلك إلا للَّه وحده،

وبهذا كانت «لا إلٰه إلا اللَّه» أصدق الكلام، وكان أهلها هم أهل اللَّه وحزبه؛ والمنكرون لها أعداؤه، وأهل غضبه ونقمته. فإذا صحَّت صحَّ بها كلُّ مسألةٍ وحالٍ وذوق، وإذا لم يصححها العبد، فالفساد لازم له في علومه وأعماله».

▫ وقال البقاعي: «﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، أي: انتفىٰ انتفاءً عظيمًا أن يكون معبودًا بحقٍّ غير الملك الأعظم؛ فإن هذا العلم[1] هو أعظم الذكرىٰ المنجية من أهوال الساعة؛ وإنما يكون علمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه؛ وإلا فهو جهلٌ صرف».

وهذا الذي ذكرناه عن شيخ الإسلام والبقاعي هو الموجود في كلام أهل السنة جميعهم.

إذا عرفت ذلك؛ فمما يدل علىٰ غربة الإسلام ما أخبر به النبي ﷺ من وقوع الشرك في هذه الأمة، كما في الصحيح من حديث ثوبان: «**وحتىٰ تَعبد فئامٌ من أمتي الأوثان**»[2].

وأخرج أبو داود عن عبداللَّه بن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «**تدور رَحَىٰ الإسلام لخمس وثلاثين، أو ست وثلاثين، أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيلُ مَن هلك**[3]، **وإن يَقُم لهم دينُهم يَقُمْ تسعين عامًا**». قال: قلت: أمما بقي، أو مما مضىٰ؟ قال: «**مما مضىٰ**»[4].

---

(١) المشار إليه في قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.
(٣) أي: سيكون حالهم كحال الهالكين من الأمم قبلهم.
(٤) **صحيح**: رواه أحمد (١/٩٠)، والطيالسي (٣٨٣)، وأبو داود (٤٢٥٤)، =

ومما يبيِّن غربة الإسلام وشدتها: ما جرىٰ من الملوك والقضاة والرؤساء علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العداوة والحبس، وشدة الإنكار عليه، لما دعاهم إلىٰ ما تضمنته «لا إلٰه إلا اللَّه»، ومعناها الذي تقدم عنه وعن أمثاله من العلماء؛ وقد ردوا عليه بشبهاتٍ واهية، وضلالاتٍ في الضلال متناهية؛ فرد عليهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «منهاج السنة»، و«اقتضاء الصراط المستقيم»، وكتاب «الاستغاثة في الرد علىٰ ابن البكري»؛ ورد علىٰ أهل البدع جميعهم من الفلاسفة والمتكلمين، كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هؤلاء كلَّهم ـ وإن كثرت أبحاثهم ومصنفاتهم ـ فما منهم من يعرف ما دلت عليه كلمة الإخلاص «لا إلٰه إلا اللَّه»؛ فلم يعرفوا التوحيد الذي أثبتته، ولا الشرك الذي نفته؛ هذا معنىٰ كلامه. ولتلميذه العلامة ابن القيم في بيان أنواع التوحيد والرد علىٰ أهل البدع المصنفاتُ الكثيرة المفيدة؛ فمن أحسنها: «إغاثة اللهفان»، وكتاب: «الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة»، وللحافظ ابن عبدالهادي: «الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي»،

= ونعيم بن حماد في «الفتن» (١٩٦٣)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/٣٥٥)، وأبو يعلىٰ (٥٢٨١)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١٦٠٩)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٨٣٥)، والخطابي في «غريب الحديث» (١/٥٤٩)، والبزار (١٩٤٢)، وابن حِبَّان (٦٦٦٤)، والحاكم (٣/١٠١)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٥٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/٣٩٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٢٢٥)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٦/٢٣٨).

ولهم أصحابٌ كثيرٌ أخذوا عنهم؛ فلما طال الأمد بعدهم صارت كتبهم في أيدي أناسٍ جهلة، وفي خزائن الكتب الموقوفة، فلم يلتفتوا إليها، فرجعوا إلىٰ ما كان عليه من قبلهم ممن مضىٰ من المبتدعة، وكثر الشرك في القرىٰ والأمصار؛ وصاروا لا يعرفون من التوحيد إلا ما تدعيه الأشاعرةُ من تأويل صفات الرب والإلحاد فيها، فصاروا كذلك حتىٰ نُسي العلم، وعم الشرك والبدع إلىٰ منتصف القرن الثاني عشر، فإنه لا يُعرف إذ ذاك عالمٌ أنكر شركًا أو بدعةً مما صار في آخر هذه الأمة.

فشرح اللَّه صدر شيخنا[١] ـ فضلًا من اللَّه ونعمةً عظيمةً منَّ بها تعالىٰ في آخر هذا الزمان ـ، فعرف من الحق ما عرف شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه، بتدبره الآيات المحكمات، وصحيحي البخاري ومسلم، والسن والمسانيد والآثار، ومعرفة ما كان عليه رسول اللَّه ﷺ والتابعون وأتباعهم، وما عليه سلف الأمة وأئمتها، والأئمة من أهل الحديث والتفسير، والفقهاء ـ كالأئمة الأربعة ومن أخذ عنهم ـ؛ فتبين له التوحيد وما ينافيه، والسنة وما يناقضها؛ فدعا الناس من أهل قريته وما قرب منها أن يتركوا عبادة أرباب القبور والطواغيت، وعبادة الأشجار والأحجار، والذبح للجن، ونحو ذلك؛ وكل هذا قد وقع في قرىٰ نجد وغيرها كالبوادي؛ فلما أنكر ذلك كرهوا ذلك منه، وطرده أهلُ قريته عنها ـ وهي: «حريملا» ـ، وصار في «العيينة» يدعو إلىٰ دين الإسلام، وينهىٰ عن الشرك وعبادة الأوثان، وقَبِل ذلك طائفةٌ منهم ومن أهل «الدرعية»؛ ثم بعد ذلك ضاق نطاق

(١) يعني الإمام محمد بن عبدالوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أمير العيينة لمَّا رآه قد أنكر قولَه الخلقُ الكثير والجم الغفير، وقد نصب له العداوةَ أهلُ القرىٰ والأمصار والبادي والحاضر، فأمره أن ينتقل من بلده عنه.

وصار في «الدرعية» عند محمد بن سعود وأولاده وإخوانه، وبعض الأعيان من جماعته؛ فصار لهم قبولٌ لهذه الدعوة، فصبروا علىٰ عداوة الناس - قريبهم وبعيدهم -، وكلٌّ قَصَدهم بالحرب، فثبتهم اللَّه - علىٰ قلَّتهم وكثرة من خالفهم -، وقُتل من قتل من أعيانهم، فصبروا، وصارت الحرب بينهم سجالًا، واللَّهُ يحميهم ويقوِّي قلوبهم. وما جرىٰ بينهم وبين عدوهم مذكور في التاريخ؛ فأظهر اللَّه هذا الدين في نجدٍ والبادية، حتىٰ لم يكن فيهم من ينازع ويجادل؛ لأن اللَّه أبطل كل شبهةٍ بما أبداه هذا الشيخ ببيانه ومصنفاته التي صارت في أيدي المسلمين؛ وانتشرت دعوته في الأمصار، وقبلها القليلُ منهم ممن له التفاتٌ إلىٰ ما ينفعه، بخلاف من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدىٰ اللَّه - وهم الأكثرون -؛ فللَّه الحمد علىٰ هذه النعمة العظيمة، فيا سعادة من هُدي إلىٰ معرفة حقيقة دين الإسلام واتبعه.

وقد وجدت للعلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كلامًا في «الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة»، يتعين نقله هنا، لعظيم فائدته، وشدة الحاجة إليه.

▫ قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «فصلٌ عظيمُ النفع، جليل القدر؛ ينتفع به من عرف نوعي التوحيد القولي العلمي الخبري، والتوحيد القصدي الإرادي العملي، كما دل علىٰ الأول سورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص]، وعلىٰ الثاني سورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون].

وكذلك دل على الأول، قوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ الآية [البقرة: ١٣٦]، وعلى الثاني: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ [آل عمران: ٦٤]، ولهذا كان النبيُّ ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سُنة الفجر وسنة المغرب[(١)]؛ ويقرأ بهما في ركعتي الطواف[(٢)]؛ ويقرأ بالآيتين في سنة الفجر لتضمنهما التوحيد العلمي والعملي.

والتوحيد العلمي أساسه: إثبات الكمال للرب، ومباينته لخلقه، وتنزيهه عن العيوب والنقائص، والتمثيل.

والتوحيد العملي أساسه: تجريد القصد بالحب، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والاستعانة، والاستغاثة، والعبودية بالقلب، واللسان، والجوارح، للَّه وحده.

ومدار ما بعث اللَّه به رسله وأنزل به كتبه على هذين التوحيدين؛ وأقرب الخلق إلى اللَّه أقومهم بهما علمًا وعملًا؛ ولهذا كانت الرسل - صلوات اللَّه وسلامه عليهم - أقرب الخلق إلى اللَّه؛ وأقربُهم إليه وسيلةً أولو العزم؛ وأقربهم الخليلان؛ وخاتمهم سيد ولد آدم وأكرمهم على اللَّه؛ لكمال عبوديته وتوحيده.

فهذان الأصلان هما قطبُ رَحَىٰ الدين، وعليهما مداره، وبيانهما من أهم الأمور؛ واللَّه سبحانه بيَّنهما غاية البيان، بالطرق العقلية والنقلية، والفطرية والنظرية، والأمثال المضروبة؛ ونوَّع سبحانه الطرق بإثباتهما كل التنويع؛ بحيث صار معرفة القلوب الصحيحة

---

(١) رواه مسلم (٧٢٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٢١٨)، من حديث جابر بن عبداللَّه رضي الله عنهما.

والفطر السليمة لهما بمنزلة رؤية العين المبصرة التي لا آفة بها، للشمس والقمر والنجوم والأرض والسماء؛ فذلك للبصيرة بمنزلة هذه للبصر.

فإنْ تسلط التأويل علىٰ التوحيد الخبري العلمي كان تسليطه علىٰ التوحيد العملي القصدي أسهل، وانمحت رسوم التوحيد، وقامت معالم التعطيل والشرك؛ ولهذا كان الشرك والتعطيل متلازمين، لا ينفك أحدهما عن صاحبه؛ وإمام المعطلين المشركين فرعون، فهو إمام كل معطِّلٍ ومشركٍ إلىٰ يوم القيامة، كما أن إمام الموحدين إبراهيم ومحمد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ».

▫ وقال ـ أيضًا ـ لما ذكر سبب عبادة الأصنام التي صورها قومُ نوح علىٰ صور الصالحين ـ: «وما زال الشيطان يوحي إلىٰ عُبَّاد القبور، ويلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلىٰ الدعاء بالمقبور والإقسام به علىٰ اللَّه؛ فإن شأن اللَّه أعظم من أن يُقسَم به عليه، أو يُسأل بأحدٍ من خلقه؛ فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلىٰ دعائه وعبادته، وسؤاله الشفاعة، واتخاذ قبره وثنًا تعلَّق عليه القناديل والستور، ويُطاف به، ويُستلم ويُقبَّل، ويُحج إليه، ويُذبح عنده.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلىٰ دعاء الناس إلىٰ عبادته، واتخاذه عيدًا ومنسكًا؛ ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم؛ وكل هذا قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث اللَّه به رسوله ﷺ من تجريد التوحيد، وألَّا يُعبد إلا اللَّه.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلىٰ أن من نهىٰ عن ذلك فقد تنقَّص أهل الرتب العالية، وحطهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حُرمة لهم ولا قَدْر، وغَضِب المشركون واشمأزت قلوبهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر].

وسرىٰ ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلىٰ العلم والدين، حتىٰ عادَوْا أهل التوحيد، ورمَوهم بالعظائم، ونفَّروا الناس عنهم، ووالَوا أهل الشرك وعظَّموهم، وزعموا أنهم أولياء اللَّه، وأنصار دينه ورسوله؛ ويأبىٰ اللَّه ذلك ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]». انتهىٰ كلامه، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج].

فتأمل هذا المثل الذي أَمَر الناسَ كلَّهم باستماعه ـ فمن لم يسمعه فقد عصىٰ أمره ـ؛ كيف تضمن إبطال الشرك وأسبابه بأصح برهانٍ وأوجز عبارةٍ وأحسنها وأحلاها، وسجل علىٰ جميع آلهة المشركين أنهم لو اجتمعوا كلهم في صعيد واحد، وساعد بعضهم بعضًا، وعاونه بأبلغ المعاونة= لعجزوا عن خلق ذباب واحد؛ ثم بين ضعفهم وعجزهم عن استنقاذ ما يسلبه الذبابُ إياه، فأي إلٰه أضعف من هذا الإلٰه المطلوب ومِن عابده الطالب، فهل قَدَرَ القويَّ العزيزَ حقَّ قَدْرِه مَن أشرك معه آلهةً هذا شأنها؟

فأقام سبحانه حجةَ التوحيد، وبيَّن إفك أهل الشرك والإلحاد، بأعذب الألفاظ وأحسنها، لم يعترها غموض، ولم يشُبْها تطويل، ولم يَعِبها تعقيد، ولم يُزْرِ بها زيادةٌ ولا تنقيص؛ بل بلغتْ في الحسن والفصاحة والإيجاز ما لا يتوهم متوهِّم، ولا يظن ظانٌّ أن يكون أبلغ في معناها منها، وتحتها من المعنىٰ الجليل العظيم الشريف البالغ في النفع ما هو أجل من الألفاظ.

انتهىٰ، واللَّه أعلم، وصلىٰ اللَّه علىٰ محمد.



[٢٠]

الجواب عن أسئلة من عمان صدرت من جهمي ضال

للشيخ

عبدالرَّحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه رب العالمين، وصلىٰ اللَّه علىٰ محمدٍ النبي الصادق الأمين، وعلىٰ آله وصحبه، وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فقد وردت علينا أسئلةٌ من «عمان»؛ صدرت من جهميٍّ ضال، يستعجز بها بعضَ المسلمين، فينبغي أن نجيب عنها بما يفيد طالب العلم، وما لا فائدة فيه لا يُحتاج إلىٰ الاشتغال بالجواب عنه.

[الإيراد الأول: اشتقاق اسم «الله» تبارك وتعالى]:

فمما ينبغي أن نجيب عنه قوله: (إن «الاسم» مشتقٌّ من السمو، أو من «السِّمَة»).

واشتقاق الاسم من هذين ذكره العلماء في كتبهم، لكن يتعين أن نسأله عن كيفية هذا الاشتقاق، وما معنىٰ الاشتقاق الذي ذكره العلماء؛ فنطلب منه الجواب عن هذين الأمرين ـ وإن كانا مذكورَينِ في كتب النحاة وغيرهم ـ، وقد ذكرته في «فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد»[1].

[الإيراد الثاني: الفرق بين القضاء والقَدَر]:

وأما سؤاله عن الفَرق بين القضاء والقدر:

فالقدر: أصلٌ من أصول الإيمان؛ كما في سؤال جبريل عليه السلام، وما

---

(١) في بداية الكتاب عند ذكر البسملة (٧/١).

أجابه به رسول اللَّه ﷺ حين سأله، قال: «**الإيمان أن تؤمن باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمنَ بالقدر خيره وشرِّه**»[(١)].

وفي الحديث الصحيح: «**إن أولَ ما خَلق اللَّهُ القلمُ، فقال له: اكتب. فجرىٰ بما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامة**»[(٢)].

أي: جرىٰ بما يكون مما يعلمه اللَّه تعالىٰ؛ فإنه تعالىٰ يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ﴿لَا يَعْزُبُ[(٣)] عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٣﴾ [سبأ].

وأما القضاء: فيطلق في القرآن:

- ويراد به: «إيجاد المقدَّر»؛ كقوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ١٤].

- ويطلق ويراد به: «الإخبار بما سيقع مما قُدِّر»، كقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الإسراء: ٤]؛ أَخبرَهم في كتابهم أنهم يفسدون في الأرض مرتين.

- ويطلق ويراد به «الأمر والوصية»، كما قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: أمر ووصَّىٰ.

- ويراد به: «الحكم»؛ كقوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩].

- ويطلق ويراد به «القدر»، ونحو ذلك.

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) ﴿يَعْزُبُ﴾: يغيب.

[الإيراد الثالث: استشكاله حول استواء الله تبارك وتعالى]:

وأما ما زَعَمه من أن الأدلة الدالة علىٰ استوائه علىٰ العرش لا تمنع أن يكون مستويًا علىٰ غيره!

فالجواب أن نقول: قد أجمع أهل السنة والجماعة ـ قديمًا وحديثًا ـ علىٰ أنه لا يجوز أن يوصفَ اللَّه بما لم يصف به نفسه، ولا وصفه به رسولُه ﷺ، ومَن وصفه بغير ما وَصف به نفسه، أو وصفه به رسولُه ﷺ؛ فهو جهميٌّ ضالٌّ مضل، يقول علىٰ اللَّه بلا علم.

وقد ذكر سبحانه استواءه علىٰ عرشه في سبعة مواضع من كتابه: في سورة الأعراف، وفي سورة يونس، وفي سورة الرعد، وفي سورة طه، وفي سورة الفرقان، وفي سورة السجدة، وفي سورة الحديد. ولم يذكر تعالىٰ أنه استوىٰ علىٰ غير العرش، ولا ذكره رسوله ﷺ، فعُلم أنه ليس من صفاته التي يجوز أن يوصف بها[1]؛ فمن أدخل في صفات اللَّه ما لم يُذكر في كتاب اللَّه، ولا في سنة رسوله= فهو جهميٌّ، يقول علىٰ اللَّه ما لا يعلم.

وقد قال اللَّه تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

وقال تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة].

---

(١) يقصد الاستواء علىٰ غير العرش.

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ].

علوَّ القَدْر، وعلو القهر، وعلو الذات؛ لا يجوز أن يوصف إلا بذلك كله؛ لكماله تعالىٰ في أوصافه؛ فله الكمال المطلق في كل صفةٍ وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ.

وقال تعالىٰ: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]، فذِكرُ العرش عند هذه الصفة من أدلة فوقيته تعالىٰ، كما هو صريح فيما تقدم من الآيات.

وكقوله تعالىٰ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ الآية [الشورىٰ: ٥].

وذكر النبي ﷺ في معنىٰ قول اللَّه تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]: «**اللهم أنت الأولُ فليس قبلَك شيء، وأنت الآخِرُ فليس بعدَك شيء، وأنت الظاهرُ فليس فوقك شيء، وأنت الباطنُ فليس دونَك شيء**[(١)]»[(٢)].

فقوله: «**فليس فوقك شيء**» نصٌّ في أنه تعالىٰ فوق جميع المخلوقات؛ وهو الذي ورد عن الصحابة والتابعين من المفسرين وغيرهم في معنىٰ قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه]: إن معنىٰ ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: استقر وارتفع وعلا، وكلها بمعنًىٰ واحد، لا ينكر هذا إلا جهميٌّ زنديق، يَحكم علىٰ اللَّه وعلىٰ أسمائه وصفاته بالتعطيل، ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة]. والنصوص الدالة علىٰ إثبات الصفات كثيرة جدًّا.

---

(١) أي: فليس أقرب منك شيءٌ.

(٢) رواه مسلم (٢٧١٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد صنَّف أهل السنة من المحدِّثين والعلماء مصنفاتٍ كبارًا، ومن ذلك كتاب «السنة» لعبداللَّه بن الإمام أحمد؛ ذكر فيه أقوال الصحابة والتابعين والأئمة. وكتاب «التوحيد» لإمام الأئمة محمد ابن خزيمة، وكتاب «السنة» للأثرم ـ صاحب الإمام أحمد ـ، وكتاب عثمان بن سعيد الدارمي في ردِّه علىٰ المَرِيسي، وكتاب «السنة» للخلال، وكتاب «العلو» للذهبي، وغير ذلك مما لا يُحصىٰ كثرةً، وللَّه الحمد والمنة.

ونذكر بعض الأحاديث الصريحة في المعنىٰ:

فمن ذلك: ما في «الصحيح» عن النوَّاس بن سمعان قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إذا أراد اللَّه تعالىٰ أن يُوحيَ بالأمر تكلم بالوحي، [فإذا تكلَّم]**[1] **أَخذت السماواتِ منه رجفةٌ** ـ أو قال: **رِعْدةٌ ـ شديدةٌ خوفًا من اللَّه ﷻ، فإذا سمع ذلك أهلُ السماوات صَعِقوا، وخرُّوا للَّه سجَّدًا. فيكون أولُ من يرفع رأسه جبرائيل، فيكلمه اللَّه من وحيه بما أراد، ثم يمرُّ جبرائيل علىٰ الملائكة، كلما مر علىٰ سماءٍ سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا ـ يا جبرائيل ـ؟ فيقول جبرائيل: قال الحقَّ، وهو العليُّ الكبير، فيقولون كلُّهم مثلما قال جبرائيل، فينتهي جبرائيلُ بالوحي إلىٰ حيث أمره اللَّه ﷻ»**[2].

ففي هذا الحديث التصريحُ بأن جبرائيل ينزل بالوحي من فوق السماوات السبع، فيمرُّ بها كلِّها نازلًا إلىٰ حيث أمره اللَّه، وهذا صريحٌ بأن اللَّه تعالىٰ فوق السماوات علىٰ عرشه، بائنٌ من خلقه.

---

(١) زيادة من بعض مصادر التخريج.

(٢) **ضعيف**: وقد تقدم.



▫ كما قال عبداللَّه بن المبارك لما قيل له: «بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه علىٰ عرشه، بائنٌ من خلقه».

وهذا قول أئمة الإسلام قاطبةً، خلافًا للجهمية الحُلولية، والفلاسفة، وأهل الوحدة، وغيرهم من أهل البدع، فرحم اللَّه أهل السنة والجماعة المتمسكين بالوحيين.

وصح عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «**إن اللَّه كتب كتابًا ـ قبل أن يخلق الخلق ـ: إن رحمتي سبقت غضبي. فهو عنده فوق العرش**»[(١)].

وفي حديث العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه ـ الذي رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه ـ: أن النبي ﷺ ذكر سبع سماواتٍ وما بينهما، ثم قال: «**وفوق ذلك بحرٌ، بين أعلاه وأسفله كما بين سماءٍ إلىٰ سماء، ثم فوق ذلك ثمانيةُ أوعال**[(٢)]**، ما بين أظلافِهن ورُكَبِهنَّ كما بين سماءٍ إلىٰ سماء، ثم فوق ظهورِهن العرش، ما بين أعلاه وأسفله كما بين سماءٍ إلىٰ سماء، واللَّهُ تعالىٰ فوق ذلك**»[(٣)].

▫ وفي حديث ابن مسعود، الذي رواه عبدالرَّحمٰن بن مهدي ـ شيخ الإمام أحمد ـ، عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن عبداللَّه بن مسعود، قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خَمْسُمئة عام، وبين كل سماء إلىٰ سماء خَمْسُمئة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خَمْسُمئة عام، وبين الكرسي والماء خَمْسُمئة عام، والعرشُ

(١) رواه البخاري (٧٤٢٢)، ومسلم (٢٧٥١).
(٢) **الأوعال**: تيوس الجبال.
(٣) **ضعيف**: وقد تقدم.

فوق الماء، واللَّهُ تعالىٰ فوق العرش لا يخفىٰ عليه شيء من أعمالكم».

والجهمية جحدوا هذه النصوص، وعاندوا في التكذيب، فصاروا بذلك كفارًا عند أكثر أهل السنة والجماعة.

وهذا القَدرُ الذي ذكرناه كافٍ في بيان ما عليه أهل السنة والجماعة، من علو اللَّه تعالىٰ علىٰ جميع المخلوقات، واستوائِه علىٰ عرشه، وقد تظاهرت الأدلةُ من الكتاب والسنة علىٰ ذلك، ولو ذهبنا نذكرُ ما ورد في ذلك لاحتَمل مجلدًا، فالحمد للَّه الذي حفظ علىٰ الأمة دينَها في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وبنقل العلماء ـ الذين هم في هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل ـ، وهدانا إلىٰ ذلك؛ فأبطل اللَّه بالعلماء كلَّ بدعةٍ وضلالةٍ حَدَثت في هذه الأمة؛ فيا لها من نعمة، ما أجلَّها في حق من تلقَّىٰ الحق بالقبول، وعرفه، ورضي به! نسأل اللَّه أن يجعلنا شاكرين لنعمه، مُثنين بها عليه، فله الحمدُ لا نحصي ثناءً عليه، هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه، وفوق ما يُثني عليه خلقُه.

فأهل السنة والجماعة عرفوا ربَّهم بما تعرَّف به إليهم من صفات كماله اللائقة بجلال اللَّه، فأثبتوا له تعالىٰ ما أثبته لنفسه، وأثبته له رسولُه ﷺ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، وعرفوه بأفعاله وعجائب مخلوقاته، وما أظهره لهم من عظيم قدرته، وبما أسبغه عليهم من عظيم نِعَمه، فعبدوا ربًّا أحدًا صمدًا[١]، إلٰهًا واحدًا، وهو اللَّه الذي الإلٰهيَّةُ وصفه، فالخلق خلقه، والمُلك ملكه، لا شريك

---

(١) **الصمد**: الذي يَصمُد إليه ـ أي: يَلجأُ إليه ـ الخلائق في الحوائج. وقيل: الذي لا جوف له. وانظر ما سيأتي (٢/٦٢٦).



له في إلٰهيته، ولا في ربوبيته، ولا في ملكه، تعالىٰ وتقدس، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس].

ونزَّهوه[(١)] عما تنزَّه عنه، وعن كل ما فيه عيبٌ ونقص، وعن كل ما وصفته [به] الجهميةُ وأهلُ البدع مما لا يليق بجلاله وعظمته؛ فعطلوه من صفات الكمال، وصاروا إنما يعبدون عدمًا؛ لأنهم وصفوه بما ينافي الكمال، ويُوقع في النقص العظيم، فشبَّهوه بالناقصات تارةً، وبالمعدوم تارةً، فهم أهل التشبيه[(٢)]، كما عرفتَ

---

(١) يعني أهل السنة والجماعة.

(٢) للإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامٌ نفيسٌ وهامٌّ جدًّا عن حقيقة «التمثيل» و«التشبيه»، وهل بينهما فرقٌ أم لا؟ وقد رجَّح رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن بينهما فرقًا، وأن جهلَ أهل البدع ـ كالأشاعرة وأمثالهم ـ بالفرق بينهما هو الذي جعلهم ينفُون صفاتِ الباري جَلَّ جَلَالُهُ؛ متعلِّلين بأن إثباتَها يؤدي إلىٰ تشبيهه بخَلقه، وخلاصةُ كلامه القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتلخص فيما يلي:

١ ـ أن القرآنَ الكريم جاء بنفي «المماثلة» بين اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وبين خلْقه، أما «المشابهة»، فلم يأتِ ذمُّها في الكتاب والسنة.

٢ ـ الفارق بينهما: أن «المماثلة» تُطلق علىٰ اتفاقِ الموصوفَينِ في بعض الصفات؛ أو علىٰ اشتراكهما في جميع الصفات؛ بحيث يصبح أحدُهما كالآخر تمامًا، وهذا هو الذي نفاه ربُّ العالمين جَلَّ جَلَالُهُ عن نفسه في كتابه المجيد.

أما «المشابهة» فتقتضي وجودَ اشتراكٍ ما بين الشيئين المختلفَينِ تمامًا ـ ولو من وجهٍ بعيد ـ، كما يقال ـ مثلًا ـ: «هذا الحائطُ يشبهُ الحِصان»، والمقصودُ في اللون ـ أو غيره ـ، أو يقال: «الإنسانُ يشبه الأرض»، والمقصود في الوجود ـ مثلًا ـ... وهكذا. =

= ٣ ـ وبناءً علىٰ ما سبق؛ فإن السلفَ الصالح يُثبتون نوعَ «مشابهةٍ» ـ لا «مماثلة» ـ بين اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وبين خَلقه؛ وهذه المشابهةُ هي التي جعلت العبادَ يفهمون معاني صفات اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا ـ كالوجه واليدين والرِّجل والساق... ـ، وإن كانت حقيقةُ صفاتِه تعالىٰ تختلفُ عن حقيقةِ صفات المخلوقين.

٤ ـ ومِن هنا فإن المحقِّقين من أهل السُّنة يَمنعون أن يقال عن ربِّ العالمين: «إنه لا يُشبهُ الأشياءَ بوجهٍ من الوجوه»؛ لأنه لو ثبَت هذا الكلامُ وجُعل قاعدةً كليةً عامة؛ لأدىٰ بالضرورة إلىٰ كونه تعالىٰ مَعدومًا ـ كما يَفهمُ كل عاقل ـ. وقد جاء عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله ـ في كتابه «الرد علىٰ الجهمية» ـ: «[إذا قيل]: إن الشيءَ لا كالأشياء؛ عَرف العقلاء أنه لا شيء!» اهـ، ويقصدُ أن الشيء لو كان يخالفُ الموجوداتِ من كلِّ وجهٍ، لكان عدمًا! وهذا ما قرَّره ـ أيضًا ـ بعضُ كبار الأشاعرة ـ كالجُويني والرازي ـ.

٥ ـ ومِن ثَمَّ فإن إثبات الصفات للَّهِ تعالىٰ ـ كما أثبتها لنفسه وكما أثبتها له نبيُّه ﷺ ـ لا يستلزمُ تمثيل اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بخلقه؛ فإن التشابُهَ في «معنىٰ» الصفات لا يستلزمُ تشبيهًا في «الحقيقة»؛ إذ كلُّ موصوفٍ يتصفُ بما يليق بحاله.

٦ ـ وقد يُطلِقُ بعضُ أهل السنة أن اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يشبهُ شيئًا من خلقه ـ كما في هذا المجموع المبارك «مجموعة التوحيد» ـ؛ وهو يريد «التشبيه» الذي هو مساوٍ لمعنىٰ «التمثيل»، وهذا ـ بلا شك ـ كلامٌ صحيح.

وخلاصةُ ما سبق: أنه لا يجوزُ إثبات «المماثلة» بين اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وبين عباده ـ لا مطلقًا ولا مقيدًا ـ؛ بينما يجوزُ إثباتُ نوع «مشابهةٍ» في المعنىٰ؛ كأن يقال: اللَّهُ تعالىٰ موجود، والمخلوقُ موجود؛ فهذا نوع مشابهة في «معنىٰ الوجود»، وإن كان كِلا الوجودين يختلفُ عن الآخر... وهكذا في بقية الصفات. =

من حالهم وضلالهم ومُحالهم.

وأما ما أورده هذا الجهميُّ الجاهل من آيات العلم، كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، فلا منافاة بين استوائِه علىٰ عرشه، وإحاطةِ علمه بخلقه، والسياق يدل علىٰ ذلك.

أما الآية الأولىٰ: فهي مسبوقة بقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد: ٤]؛ ذَكَر استواءه علىٰ عرشه، وذكر إحاطة عِلمِه بما في الأرض والسماوات، ثم قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، أي بعلمه المحيط بما كان وما يكون.

وأما الآية الثانية: فهي كذلك مسبوقة بالعلم، وختمها تعالىٰ به؛ فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ...﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، فعُلم أن المراد علمُه بخلقه، وأنه لا يخفىٰ عليه شيء من أعمالهم، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق]، وهذا المعنىٰ الذي ذكرنا هو الذي عليه المفسرون من الصحابة والتابعين والأئمة، وجميع أهل السنة والجماعة.

= انظر تفاصيل هذه القاعدة النفيسةِ ومصادرَ كلام الإمام في «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (٣/٩٦٠ : ٩٧٢) للعلامة عبدالرَّحمٰن المحمود، و«حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين» للشيخ عبدالرَّحيم السلمي (٣٢٨ : ٣٣٧).

وأما الجهمية وأهل البدع، فحُرموا معرفةَ الحق، لانحرافهم عنه وجهلهم به، وبالقرآن والسنة.

▫ كما قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

ثقُل الكتابُ عليهمُ لما رأوا تقييده بشرائع الإيمانِ

ومن المعلوم أنه لا يَقبل الحقَّ إلا من طلبه، وأما أهل البدع فأُشربوا في قلوبهم ما وقعوا فيه من البدع والضلال، وجادلوا بالباطل ليُدحضوا به الحق، فأبىٰ اللَّه إلا أن يتمَّ نوره ولو كره الكافرون.

فإذا عُرف ذلك فيتعين أن نسأل هذا الجهميَّ وغيره من المبتدعة عن أمورٍ لا يسع مسلمًا أن يجهلها ـ لأن الإسلام يتوقف علىٰ معرفتها ـ؛ فمن ذلك:

١ ـ ما معنىٰ كلمة الإخلاص «لا إلٰه إلا اللَّه»؟

٢ ـ وما الإلٰهيَّة المنفية بـ«لا» النافية للجنس؟ وما خبرها؟

٣ ـ وما معنىٰ الإلٰهيَّة التي ثبتت للَّه وحده دون ما سواه؟

٤ ـ وما أنواع التوحيد، وألقابُه، وأركانه؟

٥ ـ وما معنىٰ الإخلاص الذي أمر اللَّه به عباده، وأخبرهم أنه له وحده؟

٦ ـ وما تعريف «العبادة» التي خُلقوا لها؟

٧ ـ وما أقسام العلم النافع الذي لا يسع أحدًا جهله؟

٨ ـ وما معنىٰ اسم «اللَّه» تعالىٰ الذي لا يسمَّىٰ بهذا الاسم غيره؟

٩ ـ وما صفة اشتقاقه من المصدر الذي هو معناه؟

فالجواب عن هذا مطلوب، واللَّه المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

وصلىٰ اللَّه علىٰ محمدٍ سيد المرسلين، وإمام المتقين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.



[٢١]

الكلام على «لا إله إلا الله»، وتحقيق معنى التوحيد

للشيخ

عبدالرَّحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام في بيان ما أوردناه على الجهمي، الذي في بني ياس.

أما الكلام في معنى «لا إلٰه إلا اللَّه»، فأقول ـ وباللَّه التوفيق ـ:

أما هذه الكلمة العظيمة، فهي التي شهد اللَّه بها لنفسه، وشهد بها له ملائكته، وأولو العلم من خلقه، كما قال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران].

فـ«لا إلٰه إلا اللَّه» هي كلمة الإسلام، لا يصح إسلامُ أحدٍ إلا بمعرفة ما وُضعت له، ودلَّت عليه، وقبولِه والانقياد للعمل به؛ وهي كلمة الإخلاص المنافي للشرك، وكلمة التقوىٰ التي تقي قائلها من الشرك باللَّه؛ فلا تنفع قائلها إلا بشروط سبعة.

الأول: العلم بمعناها، نفيًا وإثباتًا.

الثاني: اليقين، وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك.

الرابع: الصدق المانع من النفاق.

الخامس: المحبة لهذه الكلمة، ولما دلت عليه، والسرور بذلك.

السادس: القبول المنافي للرد؛ فقد يقولها من يعرفها، لكن لا يقبلها ممن دعاه إليها تعصبًا وتكبُّرًا، كما قد وقع من كثير.

السابع: الانقياد بحقوقها، وهي الأعمال الواجبة إخلاصًا للَّه، وطلبًا لمرضاته.

إذا عرفت ذلك؛ فقولك: «لا إله إلا اللَّه»:

فـ«**لا**»: نافية للجنس.

و«**الإلٰه**»: هو المألوه بالعبادة، وهو: الذي تألهه القلوب، وتقصده رغبةً إليه في حصول نفع، أو دفع ضر، كحال من عبد الأموات، والغائبين، والأصنام؛ فكل معبودٍ مألوه بالعبادة.

وخبر «لا» المرفوع محذوف، تقديره: «حق»(١).

وقوله: «**إلا اللَّه**»: استثناء من الخبر المرفوع؛ فاللَّه سبحانه هو الحق، وعبادته وحده هي الحق، وعبادةُ غيره منتفيةٌ بـ«لا» في هذه الكلمة، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، فإلٰهية ما سواه باطل، فدلت الآية علىٰ أن صرف الدعاء ـ الذي هو مخ العبادة(٢) ـ عنه لغيره باطل.

فتبين أن الإلٰهيَّة هي العبادة؛ لأن الدعاء من أفرادها، فمن صرف منها شيئًا لغيره تعالىٰ فهو باطل. والقرآن كله يدل علىٰ أن الإلٰهية هي العبادة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف]. فذكر البراءة من كل معبود سوىٰ اللَّه، ولم يستثن إلا عبادةَ مَن فَطَرَه، ثم قال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨]، أي: لا إلٰه إلا اللَّه، فعبر عن الإلٰهيَّة بالعبادة في النفي والإثبات.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الجن]:

فقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ هو معنىٰ «إلا اللَّه» في كلمة الإخلاص.

---

(١) أي: لا إلٰه حقٌّ إلا اللَّه.

(٢) ضعيف: وقد تقدم.

وقوله: ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ هو المنفي في كلمة الإخلاص بـ«لا إلٰه».

فتبين أن «لا إلٰه إلا اللَّه» دلت على البراءة من الشرك في العبادة، في حق كل ما سوى اللَّه.

وقال اللَّه تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ [الزمر]، والدين هو العبادة.

وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ۝٣٦﴾ [الرعد]، ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [الكهف: ١١٠]، أي: الذي لا تصلح الإلٰهيَّة إلا له وحده، فانتفت الإلٰهيَّة وبَطَلت في حق كل ما سوى اللَّه، والقرآن يبين بعضه بعضًا ويفسره، والرسل إنما يفتتحون دعوتهم بمعنى «لا إلٰه إلا اللَّه»: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

فتبين أن الإلٰهيَّة هي العبادة، ولهذا قال قوم هود ـ لما قال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥] ـ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]؛ فتبين بالآية أنهم لم يستنكفوا من عبادة اللَّه، لكنهم أبوا أن يخلصوا العبادة للَّه وحده، فلم ينفوا ما نفته «لا إلٰه إلا اللَّه»؛ فاستوجبوا ما وقع بهم من العذاب؛ لعدم قبولهم ما دعاهم إليه من إخلاص العبادة، كما قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾، وهم الرسل جميعهم ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحقاف: ٢١]. وهذا هو معنى كلمة «لا إلٰه إلا اللَّه».

فقوله: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ هو معنى: «لا إلٰه»، وقوله ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو المستثنى في كلمة الإخلاص؛ فهذا هو تحقيق معناها بحمد اللَّه؛

وإنذار الرسل جميعهم أممهم عن الشرك في العبادة، وأن يُخلِصوها للَّه وحده لا شريك له؛ فما ذكرناه في هذه الآيات في معناها كافٍ وافٍ شافٍ؛ وللَّه الحمد والمنة.

وأما تعريف العبادة:

▫ فقد قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكافية الشافية»:

وعبادة الرَّحمٰنِ غايةُ حبِّه ... مع ذلِّ عابدِه هما قطبانِ

وعليهما فلكُ العبادة دائرٌ ... ما دار حتىٰ قامتِ القطبانِ

ومدارُه بالأمر أمرِ رسوله ... لا بالهوىٰ والنفس والشيطانِ

فذكر أصل العبادة التي يصلح العمل مع حصولها ـ إذا كان علىٰ السنة ـ، فذكر قطبيها، وهما: غاية المحبة للَّه، في غاية الذل له؛ والغاية تفوت بدخول الشرك، وبه يبطل هذا الأصل؛ لأن المشرك لابد أن يحب معبوده، ولابد أن يَذِلَّ له، ففسد الأصل بوجود الشرك فيه؛ ولا تحصل الغاية فيهما إلا بانتفاء الشرك، وقَصْرِ المحبة والتذلل للَّه وحده، وبهذا تصلح جميع الأعمال المشروعة، وهي المراد بقوله: «وعليهما فلك العبادة دائر»، والدائر هي الأعمال، ولا تصلح إلا بمتابعة السنة.

▫ وهذا معنىٰ قول الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]؛ قال: «أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتىٰ يكون خالصًا صوابًا؛ والخالص: ما كان للَّه، والصواب: ما كان علىٰ السنة».

وأما أقسام التوحيد، فهي ثلاثة:

[النوع الأول]: توحيد الإلهية: وهي العبادة ـ كما تقدم ـ، فهي تَعَلَّقُ بأعمال العبد وأقواله الباطنة والظاهرة.

▫ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه اللَّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة».

فمن صرف منها شيئًا لغير اللَّه فهو مشرك باللَّه؛ فهذا هو الذي أُرسلت الرسل وأنزلت الكتب بالإنذار عنه، وترتبت عليه عقوبات الدنيا والآخرة في حق من لم يتب منه.

ويسمىٰ هذا التوحيد ـ إذا كان للَّه وحده ـ: توحيد القصد والطلب والإرادة؛ وهو الذي جحده المشركون من الأمم؛ وقد بعث اللَّه نبينا محمدًا بالأمر به، والنهي عما ينافيه من الشرك، فأبىٰ المشركون إلا التمسُّكَ بالشرك الذي عَهِدوه من أسلافهم، فجاهدهم علىٰ هذا الشرك، وعلىٰ إخلاص العبادة للَّه وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾ [ص].

النوع الثاني: توحيد الربوبية: وهو العلم والإقرارُ بأن اللَّه تعالىٰ رب كل شيء ومَليكه، وهو المدبرُ لأمور خلقه جميعهم، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾ [يونس].

وقال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝٨٩﴾ [المؤمنون].

وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير، وهذا النوع قد أقرَّ به المشركون ـ كما دلَّت عليه الآيات ـ.

والنوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات: وهو أن يوصف اللَّه تعالىٰ بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله من صفات الكمال التي تَعَرَّفَ بها سبحانه إلىٰ عباده، ويُنفىٰ ما لا يليق بجلاله وعظمته، وهذا النفي أقسام، ذكرها العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «الكافية الشافية».
فأهل السنة والجماعة ـ سلفًا وخلفًا ـ يثبتون للَّه هذا التوحيد، علىٰ ما يليق بجلال اللَّه وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، وهذا النوع والذي قبله هو توحيد العلم والاعتقاد.

وأما تعريف التوحيد:

▫ فقد ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، في «الكافية الشافية» بقوله:

فالصدقُ والإخلاصُ ركنا ذلك التـ ... ـوحيدِ كالركنين للبنيانِ

وحقيقةُ الإخلاص توحيد المُرا ... د فلا يزاحمُه مرادٌ ثانِ

والصدقُ توحيد الإرادة وهو بذ ... ل الجهد لا كسلًا ولا متوانِ

ثم ذكر توحيد المتابعة فقال:

والسنةُ المُثلىٰ لسالكها فتوحـ ... ـيد الطريقِ الأعظم السلطانِ

فلواحدٍ كن واحدًا في واحدٍ ... أعني طريقَ الحق والإيمانِ

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإخلاص بمثل ما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

▫ فقال: «الإخلاص: محبة اللَّه، وإرادة وجهه».

وأما أقسام العلم النافع الذي يجب معرفته واعتقاده: فهو يتضمن

ما سبق ذكره؛ وهو ثلاثة أقسام، ذكرها العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكافية الشافية».

▫ قال:

والعلم أقسامٌ ثلاثةٌ ما لها ... من رابع خِلوًا عن الروغانِ
علمٌ بأوصاف الإلٰه وفعله ... وكذلك الأسماءُ للرحمٰنِ
والأمرُ والنهي الذي هو دينُه ... وجزاؤه يومَ المعادِ الثاني

وبهذا تم الجواب عما أوردناه، وصلىٰ اللَّه علىٰ محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.



[٢٢]

أوثق عرى الإيمان

للشيخ

سليمان بن عبداللَّه بن محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد للَّه ربِّ العالمين.

اعلم أولًا ـ أيَّدك اللَّه بتوفيقه ـ: أن «**أوثق عُرىٰ الإيمان: الحبُّ في اللَّه والبغضُ في اللَّه**»[(١)]، وهذا وجهه في أهل بلدٍ مرتدين أو باديةٍ وهم بنو عم، ويجيء لهم ذكرٌ عند الأمراء، فيتسببُ بالدفع عنهم [بعضُ أقاربهم ـ مما هو عند المسلمين][(٢)] حميةٌ دنيوية ـ؛ إما بطرح نكال[(٣)]، أو دفن نقائص المسلمين[(٤)]، أو يشير بكفِّ

---

(١) حسن: رواه أحمد (٤/٢٨٦)، والطيالسي (٧٤٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٤)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (١٧/٤٣١)، وابن أبي شيبة (١١/٤١)، وفي «الإيمان» (١١٠)، من حديث البراء بن عازب ﵄، وقال الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٢/١٢٤): «رواه أحمد، وفيه ليث بن أبي سُليم مختلفٌ فيه». وقال الإمام الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٨٩): «رواه أحمد، وفيه ليث بن أبي سُليم، وضعفه الأكثر». **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٠/٤٨٨)، والشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٠٣٠)، والشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (١/٤٤٥).

(٢) ما بين المعقوفتين من «الدرر السنية» (٨/١٤٣)، وطبعة «وزارة الأوقاف» ص(٢٣١)، وهو ساقطٌ من المطبوعتين الأخريين.

(٣) أي: إسقاط عقوبةٍ عنهم.

(٤) أي: عدم إعطاء المسلمين حقوقهم التي أخذها منهم هؤلاء من الأموال ونحو ذلك. وسوف يأتي المقصود من كل هذا ـ بإذن اللَّه ـ ص(٤١٢).

المسلمين عنهم، هل يكون هذا موالاةَ نفاقٍ أو يصير كفرًا؟ فإن كان ما يَقدِرُ من نفسه أن يتلفَّظ بكُفرهم وسبِّهم ما حكمه؟ وكذلك إذا عَرفتَ هذا من إنسانٍ؛ ماذا يجب عليك؟ أفتنا مأجورًا:

فأقول:

أولاً: إن اللَّه افترض علىٰ المؤمنين عداوةَ المشركين من الكفار، والمنافقين، وجفاةِ الأعراب الذين يُعرفون بالنفاق، ولا يؤمنون باللَّه ورسوله ﷺ، وأَمَرَهم بالجهاد والإغلاظِ عليهم بالقول والفعل، وتوعدهم باللعن والقتل؛ لقوله: ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ۝٦١﴾ [الأحزاب]، وقَطَع الموالاة بين المؤمنين وبينهم، وأخبر أن من تولَّاهم فهو منهم.

وكيف يدَّعي رجلٌ محبة اللَّه، وهو يحبُّ أعداءه الذين ظاهروا[1] الشيطان علىٰ عدوانهم، واتخذوهم أولياءَ من دون اللَّه؛ كما قيل:

تُحبُّ عدوِّي ثم تزعمُ أنني صديقُك إن الوُدَّ عنك لعازِبُ[2]

وبالجملة: فالحب في اللَّه والبغض في اللَّه أصلٌ عظيمٌ من أصول الإيمان، يجب علىٰ العبد مراعاتُه؛ ولهذا في الحديث: «**أوثق عرىٰ الإيمان الحبُّ في اللَّه والبغضُ في اللَّه**»[3]، ولذلك أكثرَ اللَّهُ من ذكره في القرآن.

١ - قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ [آل عمران: ٢٨].

---

(١) **ظاهروا:** ناصروا.

(٢) **عازب:** بعيدٌ غائب.

(٣) **حسن:** وقد تقدم قريبًا.

▫ قال بعض المفسرين: «نُهوا أن يوالُوا الكافرين لقرابةٍ بينهم، أو صداقةٍ قبل الإسلام[١]، أو غير ذلك من الأسباب التي يُتصادق بها ويُتعاشر».

وقوله: ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحةً[٢] عن موالاة الكافرين، فلا تؤثروهم عليهم.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾، أي: ومن يتولَّ الكفرة فليس من ولاية اللَّه في شيءٍ يقع عليه اسم الولاية؛ يعني أنه منسلخٌ من ولاية اللَّه رأسًا. وهذا أمرٌ معقول[٣]؛ فإن موالاة الوليِّ وموالاة عدوه متنافيان.

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ فرخص في [إظهار] موالاتهم إذا خافوهم فلم يُحسِنوا معاشرتهم إلا بذلك، وكانوا مقهورين لا يستطيعون إظهار العداوة لهم؛ فحينئذٍ تجوز المعاشرة ظاهرةً ـ والقلبُ مطمئنٌّ بالعداوة والبغضاء ـ حتىٰ يزول المانع؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

▫ قال ابن عباس: «ليس التقية بالعمل، إنما التقية باللسان»[٤].

▫ وقال ـ أيضًا ـ: «نهىٰ اللَّه المؤمنين أن يُلاطفوا الكفار، ويتخذوهم وليجةً[٥] من دون المؤمنين؛ إلا أن يكون الكفار عليهم

(١) أي: قبل أن يُسلم المشركون.
(٢) **مندوحةً**: سعةً.
(٣) أي: معلومٌ بالعقل.
(٤) يعني بالموافقة اللسانية، وليس بالعمل القلبي. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.
(٥) **الوليجة**: البطانة المؤتمَنة.

ظاهرين؛ فيُظهرون لهم اللطف، ويخالفونهم في الدين؛ وذلك قوله: ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾». ذكره ابن جرير، وابن أبي حاتم.

٢ ـ وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨].

▫ قال القرطبي: «لا تجعلوا خاصتكم وبطانتكم منهم».

٣ ـ وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، إلىٰ آخر قوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

▫ قال حذيفة: «لِيتَّقِ أحدُكم أن يكون يهوديًّا أو نصرانيًّا وهو لا يشعر؛ لهذه الآية: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾».

▫ وقال مجاهدٌ في قوله تعالىٰ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ٥٢]، قال: «[هم] المنافقون في مصانعة اليهود، ومداخلتهم، واسترضاعهم أولادَهم إياهم».

▫ وقال عليٌّ رضي الله عنه في قوله تعالىٰ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، قال: «أهلُ رِقةٍ علىٰ أهل دينهم، ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، قال: أهل غلظةٍ علىٰ من خالفهم في دينهم».

وكذا نُقل معناه عن غير واحد من السلف.

٤ ـ وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥٧].

٥ ـ وقال تعالىٰ: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة]، والآية بعدها.

٦ ـ وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة].

فقد أمر اللَّهُ بجهاد الكفار والمنافقين مع دعواهم الإسلام، وأمر بالإغلاظ عليهم قولًا وفعلًا.

▫ وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: «﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾: بالسيف، ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: باللسان، ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾، قال: أذهِبِ الرفق عنهم».

▫ وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾، قال: بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، ولْيَلْقَه بوجه مكفهرٍّ». أي: عابسٍ متغيِّر من الغيظ والبغض.

ذكره ابن أبي حاتم، وجاء معناه في حديث مرفوعٍ، رواه البيهقي في «الشعب»[(١)].

٧ ـ وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فنفىٰ سبحانه وتعالى الإيمان عمن هذا شأنه؛ ولو كانت مودتُه ومحبته ومناصحته لأبيه وأخيه وابنه ونحوهم ـ فضلًا عن غيرهم ـ.

٨ ـ وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

▫ قال ابن عباس: «﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟﴾ قال: لا تميلوا».

---

(١) **حسن**: رواه البيهقي في «الشُّعَب» (٨٩٢٥)، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾، أُمر رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم أن يجاهد بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فعليه بوجهٍ مكفهرٍّ». **وحسَّنه** محقق «الشعب» (٦/١٢).

◻ وقال عكرمة: «أن تطيعوهم أو تودُّوهم أو تصطنعوهم».

ومعنىٰ «تصطنعوهم»: أي تُولُّوهم الأعمال؛ كمن يولِّي الفساق والفجار.

◻ وقال الثوري: «ومَن لَاقَ[1] لهم دواةً، أو بَرَىٰ لهم قلمًا، أو ناولهم قِرطاسًا دخل في هذا».

◻ وقال بعض المفسرين في الآية: «والنهيُ متناولٌ للانحطاط في هواهم[2]، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم، ومجالستهم، وزيارتهم، ومداهنتهم[3]، والرضا بأعمالهم، والتشبه بهم، والتزيِّي بزيهم، ومدِّ العين إلىٰ زهرتهم، وذِكْرِهم بما فيه تعظيم لهم».

وتأمل قوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾، والركون: هو الميل اليسير[4].

٩ ـ وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾ [الممتحنة].

وصحَّ أنَّ صَدْرَ هذه السورة نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، لما كتب إلىٰ المشركين يخبرهم بمسير رسول اللَّه ﷺ إليهم[5].

وجاء في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾

---

(١) **لاق**: مَلَأَ قليلًا. وجاء في حاشية طبعة «دار البيان»: لاق الدواةَ فلاقت: لزق المدادُ بصوفها، والاسم منه: اللِّيقة.

(٢) أي: اتباع رغباتهم الباطلة.

(٣) **المداهنة**: المتابعة في الباطل.

(٤) تعقب الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا التفسير في طبعته ص(٢٣٥)، مبينًا أن الصواب أنه الركون القوي.

(٥) **صحيح**: وقد تقدم.

الآية: أنها في أبي عُبيدة بن الجراح لما قَتل أباه يوم بدْر، كما رواه الطبراني وابن أبي حاتم والحاكم وغيرهم[(١)].

▫ وعن ابن جُريج قال: «حُدثت أن أبا قحافة سَبَّ النبيَّ ﷺ، فصكَّه أبو بكر صكةً سقط منها، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**أفعلتَ ـ يا أبا بكر ـ؟**»، فقال: واللَّهِ لو كان السيفُ قريبًا مني لضربته، فنزلت: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾». رواه ابن المنذر[(٢)].

وهذا ـ واللَّه أعلم ـ في أول الإسلام، فإن أبا قحافة أسلم عام الفتح، فلم يكن ليسبَّ النبي ﷺ بعد الإسلام. وأبو بكر خرج مهاجرًا من مكة، ولم يعُد إليها إلا بعد الإسلام في عُمْرةٍ مع النبي ﷺ.

▫ وقال ابن عباس رضي الله عنه: «مَن أحب في اللَّه، وأبغض في اللَّه، وعادىٰ في اللَّه، ووالىٰ في اللَّه[(٣)]؛ فإنما تُنال ولايةُ اللَّه بذلك».

---

(١) ضعيف: رواه الطبرني في «الكبير» (١/١٥٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/١٠١)، و«معرفة الصحابة» (٥٧٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/٤٤٦)، والحاكم (٣/٢٦٤)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٩/٢٧)، **وسكت عليه** الحاكم والذهبي، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٣٢)، والشيخ حسين الداراني في تحقيقه (١٨/٤٠٤)، وكذا الشيخان سليم الهلالي ومحمد موسىٰ آل نصر في «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٣/٣٥٠).

(٢) ضعيف: ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٨٦)، و«لباب النقول» ص(٢٠٨)، ونسبه لابن المنذر، **وضعَّفه** الشيخان سليم الهلالي ومحمد موسىٰ آل نصر لإعضاله في «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٣/٣٥١).

(٣) أي: فهو وليُّ اللَّه تعالىٰ حقًّا.

رواه ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم.

وفي حديثٍ رواه أبو نعيم وغيره عن ابن مسعودٍ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أوحىٰ اللَّه إلىٰ نبي من الأنبياء، أنْ قُلْ لفلانٍ العابد: أما زهدُك في الدنيا، فتعجلتَ راحةَ نفسك، وأما انقطاعُك إليَّ فتعززتَ بي، فما عملتَ فيما لي عليك؟ قال: يا رب، وما لك عليَّ؟ قال: هل واليتَ لي وليًّا، أو عاديت لي عدوًّا؟**»[1].

١٠ ـ وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال].

فعَقَد تعالىٰ الموالاة بين المؤمنين، وقَطَعهم من ولاية الكافرين، وأخبر أن الكفار بعضُهم أولياءُ بعض، وإن لم يفعلوا ذلك وقع من الفتنة والفساد الكبير شيءٌ عظيم، وكذلك يقع.

فهل يتمُّ الدين، أو يقام عَلَمُ الجهاد، وعَلَمُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا بالحب في اللَّه والبغض في اللَّه، والمعاداة في اللَّه والموالاة في اللَّه؟! ولو كان الناس متفقين علىٰ طريقةٍ واحدة، ومحبةٍ من غير عداوةٍ ولا بغضاء، لم يكن فرقانًا بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرَّحمٰن وأولياء الشيطان، والآياتُ في هذا كثيرة.

وأما الأحاديث:

---

(١) ضعيف: رواه أبو نُعيم في «الحلية» (٣١٦/١٠)، والخطيب في «التاريخ» (٣٣٠/٤)، وإسماعيل الحلبي في «حديثه» (١١٢/١)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣٣٣٧)، والشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد».

١١ ـ فروىٰ أحمد عن البراء بن عازب: «**أوثقُ عُرىٰ الإيمان الحبُّ في اللَّه، والبغض في اللَّه**»[(١)].

١٢ ـ وفي حديث مرفوع: «**اللهم لا تجعلْ للفاجر عندي يدًا**[(٢)] **ولا نعمةً فيودَّه قلبي؛ فإني وجدتُ فيما أُوحي إليَّ:** ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]». رواه ابن مردويه وغيره[(٣)].

١٣ ـ وعن أبي ذرٍّ مرفوعًا: «**أفضل الأعمال الحبُّ في اللَّه، والبغض في اللَّه**». رواه أبو داود، ورواه أحمد مطوَّلًا[(٤)].

١٤ ـ وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود مرفوعًا: «**المرءُ مع من أحب**»[(٥)].

١٥ ـ وعن ابن مسعودٍ مرفوعًا: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ**». رواه ابن حبان في «صحيحه»[(٦)].

---

(١) **حسن**: وقد تقدم.

(٢) **اليد**: المعروف والجميل.

(٣) **ضعيف**: وعزاه الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٢/١١٦) لابن مردويه في «تفسيره»، عن رجلٍ لم يسمَّ، وبنحوه في «مسند الفردوس» من حديث معاذٍ ﵁. ثم قال: «**أسانيده كلها ضعيفة**».

(٤) **حسن**: رواه أحمد (٥/١٤٦)، وأبو داود (٤٥٩٩)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني عند أبي داود، بينما **حسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٥/ ٢٢٩)، وعند أبي داود (٧/٩).

ويشهد له حديث البراء ﵁ المشار إليه قريبًا.

(٥) رواه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠).

(٦) **حسن**: رواه أحمد (١/٤٦٤)، وابن المبارك في «الزهد» (٣٦٤)، وأبو =

١٦ ـ وعن عليٍّ مرفوعًا: «**لا يحبُّ رجلٌ قومًا إلَّا حُشر معهم**». رواه الطبراني بإسنادٍ جيد، قاله ابن المنذر(١).

١٧ ـ وقد روىٰ أحمد معناه عن عائشةَ بإسنادٍ جيد ـ أيضًا ـ عنها مرفوعًا: «**الشركُ أخفىٰ من دبيب الذرِّ(٢) علىٰ الصفا في الليلة**

= داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٨٤)، والدارمي (٢/١٠٣)، وأبو يعلىٰ (١٣١٥)، وابن حبان (٥٦٠)، والحاكم (٤/١٢٨)، والخطابي في «العزلة» (١٦٠ ـ تهذيبي)، من حديث أبي سعيد الخُدْري ﷺ. **وحسَّنه** الإمام الترمذي، والشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٧/٤٣٧).

تنبيه: الحديث ـ كما رأينا ـ من رواية أبي سعيد، لا ابن مسعود ﷺ كما وهم المصنف رحمه الله.

فائدة: قال الإمام الخطابي رحمه الله: «قوله ﷺ: «**لا يأكلْ طعامَك إلَّا تقي**»، إنما أراد به «طعامَ الدعوة» دون «طعام الحاجة»، ألَا تراه يقولُ ـ تعالىٰ ذِكرُه ـ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنسان]؟! ومعلومٌ أن أُسَراءَهم الكفارُ دون المؤمنين، ودون الأتقياء من المسلمين؛ وإنما وجهُ الحديث ومعناه: «لا تَدْعُ إلىٰ مؤاكلتك إلَّا الأتقياء»، لأن المؤاكلةَ تُوجِبُ الأُلفة، وتجمعُ بين القلوب» اهـ. من «العزلة»، الموضع السابق.

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٤٥٠)، وفي «الصغير» (٨٧٤)، **وجوَّده** الحافظ المنذري في «الترغيب» (٤٦٠٠)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/٤٩٦): «رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح، غير محمد بن ميمون الخياط وقد وُثِّق». **وصحَّحه لغيره** الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٠٣٧)، **وضعَّفه** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «مجمع الزوائد» (٢١/٣٨٦).

(٢) **الذر**: النمل.

الظلماء، وأدناه أن تحبَّ علىٰ شيءٍ من الجور، أو تُبغِضَ علىٰ شيءٍ من العدل، وهل الدينُ إلا الحبُّ في اللَّه والبغضُ في اللَّه؟! قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية [آل عمران: ٣١]». رواه الحاكم، وقال: «صحيح الإسناد»[١].

فقد جعل النبي ﷺ في هذا الحديث الحبَّ علىٰ شيء من الجور ـ وإن قلَّ ـ والبغض علىٰ شيء من العدل ـ وإن قلَّ ـ من الشرك.

فليُحذَرْ أشدَّ الحذر من موادة أعداء اللَّه من الكفار والمنافقين.

١٨ ـ وعن بُريدة مرفوعًا: «**لا تقولوا للمنافق سيدًا، فإنه إن يكن سيدًا فقد أسخطتم ربكم** ﷻ». رواه أبو داود والنسائي بإسنادٍ صحيح.

ورواه الحاكم، ولفظه: «**إذا قال الرجلُ للمنافق: «يا سيدي»؛ فقد أغضب ربه** ﷻ»، وقال: «صحيح الإسناد»[٢].

---

(١) **ضعيف ـ دون الجملة الأولىٰ ـ:** وقد تقدم.

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٣٤٦/٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٠)، وأبو داود (٤٩٧٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٠٠٢)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٦٤)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٥٩٨٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٩١)، وابن حزم في «المحلىٰ» (١١/ ٢١٩)، والبيهقي في «الشعب» (٤٨٨٣)، والحاكم (٣١١/٤)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١٩٨/٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤٥٤/٥). **وصححه** الإمام النووي في «الأذكار» ص(٤٤٩)، والحافظ المنذري في «الترغيب» (٥٧٩/٣)، والحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (١٦٢/٣)، والشيخ الألباني، ومال الشيخ شعيب الأرنؤوط إلىٰ **تضعيف الحديث**، كما في «المسند» (٢٣/٣٨)، و«سنن أبي داود» (٣٣٢/٧)، وللحديث ألفاظٌ عدة انظرها في تحقيق «المسند».

١٩ ـ وعن ابن مسعود مرفوعًا: «**مثلُ الذي يُعين قومه علىٰ غير الحق، كمثل بعيرٍ تردَّىٰ في بئر، فهو يُنزَعُ بذَنَبه**». رواه أبو داود وابن حبان[١].

▫ قال ابن المنذر: «ومعنىٰ الحديث: أنه وقع في الإثم. وهلك البعير: إذا وقع في بئرٍ فصار يُنزَعُ بذَنَبه[٢]، فلا يَقدِرُ علىٰ الخلاص».

والأحاديث في ذلك كثيرة.

فصل: في ذكر الآثار عن السلف:

وهي كثيرة؛ فنذكر منها بعضها:

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ...﴾، إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩﴾ [آل عمران: ١١٨ ـ ١١٩] والآية بعدها.

▫ قال ابن عباس في الآية: «كان رجالٌ من المسلمين يواصلون رجالًا من اليهود ـ لما كان بينهم من الجوار والحِلْف في الجاهلية ـ، فأنزل اللَّه فيهم ينهاهم عن بطانتهم لخوف الفتنة عليهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾، قال: هم المنافقون». رواه ابن أبي حاتم.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١/٣٩٣)، والطيالسي (٣٤٤)، وأبو داود (٥١١٨)، وابن حِبَّان (٥٩٤٢)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٧٢٧٢)، وفي «الكبرىٰ» (١٠/٣٩٥)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٧/١٠٢)، والبزار (٢٠١٣)، والشاشي في «مسنده» (٢٨٠)، وابن بشران في «الأمالي» (٥١١)، والرامهرمزي في «الأمثال» ص(١٠٣)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند أبي داود، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (٧/٤٣٩).

(٢) أي: يُشدُّ من ذَيْله.

▫ وعن عمر بن الخطاب ﵁ أنه قيل له: «إن هاهنا غلامًا من أهل الحِيرة[(١)]، حافظًا كاتبًا، فلو اتخذته كاتبًا؟ قال: قد اتخذتُ ـ إذن ـ بطانةً من دون المؤمنين». رواه ابن أبي شيبة.

▫ وعن الربيع: «﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾، قال: لا تستدخلوا المنافقين[(٢)]؛ تتولونهم دونَ المؤمنين».

▫ وفي «تفسير القرطبي» ـ في الكلام علىٰ هذه الآية ـ: «نهىٰ اللَّه ﷻ المؤمنين ـ بهذه الآية ـ أن يتخذوا من الكافرين واليهود وأهل الأهواء دخلاءَ ووُلجاء[(٣)]؛ يفاوضونهم في الآراء، ويُسندون إليهم أمورهم. ويقال: كلُّ من كان علىٰ خلاف دينك ومذهبك لا ينبغي أن تُخادنَه[(٤)]، قال القائل شعرًا:

عن المرء لا تَسَلْ وسَلْ عن قرينِهِ ... فكلُّ قرينٍ بالمقارَنِ يقتدي

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**المرءُ علىٰ دين خليله؛ فلْينظر أحدُكم من يُخالل**»[(٥)].

---

(١) وكان نصرانيًّا.

(٢) أي: لا تجعلوهم أصفياءكم وخواصَّكم.

(٣) **الوُلجاء**: البطانة القريبة.

(٤) **تخادنه**: تصاحبه.

(٥) **حسن**: أخرجه أحمد (٢/٣٠٣)، والطيالسي (٢٥٧٣)، وعبد بن حميد (١٤٣١)، وأبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، والحاكم (٤/١٧١)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٨٩٩٠)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٣/١٦٥)، وابن وضاح في «البدع» (١٢٦)، والخطابي في «العزلة» (١٥٨ ـ تهذيبي، ط: دار ابن رجب)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٧٤٠)، وفي «مساوئ الأخلاق» (٦٥٥)، وابن أبي الدنيا في الإخوان (٣٧)، وقال =

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «اعتبروا الناس بأخدانهم».

ثم[1] بيَّن المعنىٰ الذي من لأجله ورد النهي عن المواصلة؛ فقال: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾، يعني فسادًا، يعني لا يتركون [الجهد في] فسادكم».

▫ قال: «وقد مر أبو موسي الأشعري علىٰ عمر رضي الله عنه بحَسَّاب[2]، فدفعه إلىٰ عمر، فأعجبه. فقال لأبي موسي: أين كاتبُك يقرأ هذا الكتاب علىٰ الناس؟ فقال: إنه لا يدخل المسجد؟ لِمَ؟ أجنبٌ هو؟ قال: إنه نصراني. قال: فانتهره، وقال: لا تُدنِهِمْ وقد أقصاهم اللَّه، ولا تكرمهم وقد أهانهم اللَّه، ولا تأمنهم وقد خوَّنهم اللَّه».

ومن كتاب الإمام محمد بن وضَّاح:

▫ قال: «جاء في الأثر[3]: مَن جالس صاحب بدعةٍ فقد مشىٰ في هدم الإسلام».

▫ وقال الأوزاعيُّ: «كانت أسلافكم تشتدُّ[4] عليهم ـ أي: علىٰ

= الإمام الترمذي: «**حسن غريب**»، **وصححه** الشيخ الألباني، **وجوَّده** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٣/٣٩٨).

(١) لازال الكلام للإمام القرطبي رحمه الله.

(٢) أي: خبير بالحِساب.

(٣) جاء في المطبوعتين قبل هذه الجملة: «سئل بن...»، وقال محقق طبعة «دار البيان»: «كذا في الأصل». ورجعتُ لكتاب ابن وضاح، فلم عبارة «سئل» قبيل هذا الأثر. ولا ضير من حذفها كليةً. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٤) في المطبوع: «تشهد»، ولها وجهٌ صحيح. والمثبت من كتاب ابن وضاح.

أهل البدع - ألسنتُهم، وتشمئزُّ منهم قلوبهم، ويُحذِّرون الناس بدعتَهم».

▫ وقال الحسن: «لا تجالس صاحب بدعة؛ فإنه يُمرض قلبك».

▫ وقال إبراهيم: «لا تجالسوا أهلَ البدع، ولا تكلموهم؛ فإني أخاف أن ترتدَّ قلوبكم». روىٰ هذه الآثارَ ابنُ وضاح.

▫ وقال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم - رحمك اللَّه - أن كلام السلف في معاداة أهل البدع والضلالة انتهىٰ[(١)]، فإذا كان هذا كلامُ السلف، وتشديدهم في معاداة أهل الضلالات، ونهيهم عن مجالستهم؛ فما ظنك بمجالسة الكفار والمنافقين وجفاة الأعراب الذين لا يؤمنون باللَّه ورسوله، والسعيِ في مصالحهم، والذبِّ عنهم، وتحسين حالهم؛ مع كونهم بين اثنتين: إما كافر، أو منافق، ومن يهتمُّ بمعرفة الإسلام منهم قليل؟! فهذا من رؤوسهم وأصحابهم، وهو معهم يحشر يوم القيامة. قال تعالىٰ: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ الآية [الصافات: ٢٢]. وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ[(٢)] ﴿٧﴾﴾ [التكوير]. وقد تقدم الحديث: «**لا يحبُّ رجلٌ قومًا إلا حُشر معهم**»[(٣)]».

فصل: في التنبيه على حاصل ما تقدم:

قد نهىٰ اللَّه سبحانه عن موالاة الكفار، وشدد في ذلك، وأخبر أن من تولاهم فهو منهم، وكذلك جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ،

---

(١) أي: تم ووقع علىٰ الوجه الأكمل.

(٢) أي: قُرن كلُّ صنفٍ مع صاحبه ونظيره؛ أهل الإيمان مع بعضهم، وأهل الكفر مع بعضهم، ونحو ذلك.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

وأخبر النبي ﷺ أن من أحب قومًا حُشر معهم، ويُفهم مما ذكرنا في الكتاب والسنة والآثار عن السلف أمور؛ من فعلها دخل في تلك الآيات، وتعرض للوعيد بمسيس النار ـ نعوذ باللَّه من موجبات غضبه وأليم عقابه ـ:

أحدها: التولي العام.

الثاني: المودة والمحبة الخاصة.

الثالث: الركون القليل، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ[1] ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الأسراء]. فإذا كان هذا الخطابُ لأشرف مخلوقٍ ـ صلاةُ اللَّه وسلامُه عليه ـ؛ فكيف بغيره؟!

الرابع: مداهنتهم ومداراتهم[2]، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [القلم].

الخامس: طاعتهم فيما يقولون، وفيما يشيرون، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا[3] ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ[4] ﴿١٠﴾﴾ الآيات [القلم].

السادس: تقريبهم في الجلوس، والدخولِ علىٰ أمراء الإسلام.

السابع: مشاورتهم في الأمور.

---

(١) أي: ضِعفَ عذاب الحياة، وضِعفَ عذاب الممات.

(٢) **المداهنة**: المتابعة في الباطل. **المداراة**: إظهار خلاف ما يُبطن.

(٣) ﴿فُرُطًا﴾: ضياعًا. أي: ضيَّع أمره وأيامه في العصيان. وقيل: مخالفًا للحق. وقيل: باطلًا. وكلُّ المعاني صحيحة.

(٤) ﴿مَّهِينٍ﴾: ذليلٍ حقير، ضعيفِ الرأي والعقل. وقيل: كذَّاب.

الثامن: استعمالهم في أمرٍ من أمور المسلمين أيَّ أمر كان، إمارةً أو عَمَالة، أو كتابة، أو غير ذلك.

التاسع: اتخاذهم بطانةً من دون المؤمنين.

العاشر: مجالستهم، ومزاورتهم، والدخول عليهم.

الحادي عشر: البشاشة لهم والطلاقة[١].

الثاني عشر: الإكرام العام.

الثالث عشر: استئمانهم، وقد خوَّنهم اللَّه.

الرابع عشر: معاونتهم في أمورهم، ولو بشيءٍ قليل، كبَرْي القلم، وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم.

الخامس عشر: مناصحتهم.

السادس عشر: اتباع أهوائهم.

السابع عشر: مصاحبتهم ومعاشرتهم.

الثامن عشر: الرضا بأعمالهم، والتشبه بهم، والتزيِّي بزيهم.

التاسع عشر: ذِكرُهم بما فيه تعظيمٌ لهم، كتسميتهم: «سادات، وحكماء»؛ كما يقال لطواغيتهم: «السيد فلان»[٢]، أو يقال لمن يدعي منهم علمَ الطب: «الحكيم»، ونحو ذلك[٣].

---

(١) أما من باب تأليف قلوبهم على الحق فجائز.

(٢) ومثله تمامًا وصف ومناداة الكافر الأجنبي بـ«مستر»، انظر: «فتاوىٰ نور علىٰ الدرب» ص(٣٧٦ ـ بعناية الشيخ عبداللَّه الطيار).

(٣) هذا فيه نظرٌ اليوم؛ إذ صار يطلق علىٰ الطبيب، ولا يُعدُّ وصفَ تعظيم، و«العادة محكَّمة».

العشرون: السُّكنىٰ معهم في ديارهم، كما قال النبي ﷺ: «**من جامع المشركين وسكن معهم؛ فإنه مثلهم**» رواه أبو داود[(١)].

إذا تبين هذا فلا فرق في هذه الأمور بين أن يفعلها مع أقربائه منهم، أو مع غيرهم كما في آية المجادلة[(٢)]؛ وحينئذٍ فالذي يتسبب بالدفع عنهم حَمِيةً؛ إما بطرح نكالٍ[(٣)]، أو دفن نقائص المسلمين[(٤)]، أو يشير بكفِّ المسلمين عنهم= [فهو] من أعظم الموالين المحبين للكفار من المرتدين والمنافقين وغيرهم، خصوصًا المرتدين؛ ينبغي أن تكون الغلظةُ عليه أشدَّ من الكافر الأصلي؛ لأن هذا عادىٰ اللَّه علىٰ بصيرة، وعادىٰ رسوله ﷺ بعدما عرف الحق، ثم أنكره وعاداه ـ والعياذ باللَّه ـ.

---

(١) **حسن:** رواه أبو داود (٢٧٨٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٥١/٧)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٥٧٥٦)، وذكره البغوي في «شرح السنة» (٣٧٤/١٠)، من حديث سمرة بن جُندب رضي الله عنه. **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند أبي داود، وفي «الصحيحة» (٢٣٣٠)، بينما قال الشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (٤١٣/٤): «**إسناده مسلسل بالضعفاء والمجاهيل**». وأورد لمعناه بعض الشواهد. **وحسَّنه لغيره** الشيخ محمد صبحي حلاق في تحقيق «نيل الأوطار» (٣٨١/١٤)، وكذا فعل الشيخ مشهور آل سلمان في تحقيق «الإنجاد في معرفة أبواب الجهاد» لابن المُناصف (٦٦/١).

وانظر: «ميزان الاعتدال» (٨٩/٤)، و«لسان الميزان» (١٦/٦).

(٢) يقصد الآية رقم (٢٢).

(٣) يقصد: إسقاط عقوبةٍ عنهم ـ كما سلفت إشارة ـ.

(٤) يقصد: عدم إعطاء المسلمين حقوقهم التي أخذها منهم هؤلاء من الأموال والعقارات ونحو ذلك، كما سلفت إشارة ـ أيضًا ـ.

فإذا كان من أعان ظالمًا فقد شاركه في ظلمه؛ فكيف بمن يعين الكفار والمنافقين علىٰ كفرهم ونفاقهم؟! وإذا كان من أعان ظالمًا مسلمًا في خصومةِ ظلمٍ عند حاكم، يكون شريكًا لظالم؛ فكيف بمن يُعينُ الكفار ويذبُّ عنهم عند الأمراء؟!

وإذا كان الحرامية ـ الذين يأخذون أموال الناس ـ إذا بذلوا للأمير مالًا علىٰ أن يكفَّ عنهم، فكفَّ عنهم؛ فهو رئيسُهم، فما ظنك بمن يُسِرُّ إلىٰ الكفار بالمودة، ويُعلِمُهم أنه يحبهم ليواصلوه ويكرموه؟! كما نص علىٰ ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدَّس اللَّه روحه ـ وغيرُه.

لكنَّ طرحَ النكال إن كان عن مسلمٍ مظلوم، فالشفاعة فيه والسعي في إسقاطه بالرأي ونحوه حسن. وإن كان عن مرتدٍّ، فلا نِعِمَّا لعثرته ولا كرامة.

ويكفي في ذلك ما رواه أحمد، والترمذي ـ وحسَّنه ـ، وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم ـ وصحَّحه ـ، عن ابن مسعود قال: لما كان يومُ بدر جيء بالأسرىٰ وفيهم العباس، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما تأمرون في هؤلاء الأسرىٰ؟**»، فقال أبو بكر: قومك ـ يا رسول اللَّه ـ وأهلك، فاستَبْقِهم؛ لعل اللَّه أن يتوب عليهم ـ وفي حديث أنس عند أحمد: نرىٰ أن تعفو عنهم، وتقبل منهم الفداء ـ؛ رجع الحديث إلىٰ ابن مسعود: فقال عمر: يا رسول اللَّه، كذَّبوك وأخرجوك وقاتلوك، قدِّمْهم فأضرب أعناقهم، فدخل النبي ﷺ ولم يردَّ عليهم شيئًا، فخرج رسول اللَّه ﷺ، وقال: «**يا أبا بكر، مَثَلُك مَثَلُ إبراهيم عليه السلام قال:** ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٦﴾ [إبراهيم]، **ومَثَلُك ـ يا عمر ـ كمثل نوح عليه السلام قال:** ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦﴾

[نوح]. **أنتم عالةٌ**[١]**، فلا ينفلتَنَّ أحدٌ منهم إلا بفداءٍ أو ضربِ عنق**».

فأنزل اللَّه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] الآيتين. مختصرًا[٢].

وفي حديث أنس: فأنزل اللَّه: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ...﴾ الآية [الأنفال: ٦٨][٣].

وفي حديث ابن عمر عند أبي نعيم: فلقي رسول اللَّه ﷺ عمر؛ فقال: «**كاد أن يُصيبَنا في خلافك شرٌّ**»[٤].

---

(١) **عالة**: فقراء.

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (١/٣٨٣)، وفي «الفضائل» (١٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٧٣١)، والتِّرمذي (١٧١٤) ـ مختصرًا ـ، وابن أبي شيبة (١٢/٤١٧)، والطبري في «تفسيره» (الأنفال: ٦٧)، وفي «التاريخ» (٢/٤٧٦)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٦/٣٢١)، والواحدي في «أسباب النزول» ص(٢٣٦)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٤/٢٠٧)، والحاكم (٣/٢٤)، **وحسَّنه** الترمذي، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/٨٦)، والشيخ الألباني عند التِّرمذي، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٦/١٤٠)، والشيخ ماهر الفحل في تحقيق «أسباب النزول» (٢٥٨)، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (١٣/١٨١).

(٣) **حسن**: رواه أحمد (٣/٢٤٣)، **وحسَّنه لغيره** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢١/١٨١).

وانظر ـ أيضًا ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه في «المسند» (٢/٢٥٢)، و«سنن الترمذي» (٣٠٨٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٢٠٩)، والطيالسي (٢/١٩)، **وإسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين** كما في «تحقيق مسند الإمام أحمد» (١٢/٤٠٤).

(٤) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: رواه الحاكم (٢/٣٢٩)، وأبو نُعيم في «الحلية» =

وفي رواية عنه عند ابن المنذر وابن مردويه: فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن كاد لَيمسُّنا في خلاف ابن الخطاب عذابٌ عظيم، ولو نزل عذابٌ ما أفلت إلا عمر**»(١).

فإذا كان هذا في رأيٍ للصدِّيق رضي الله عنه ـ الذي اجتهد فيه، ونصح للَّه ورسوله ﷺ ـ؛ فما ظنك بمن يفعل ذلك مع قريبه حَمِيَّةً دنيويَّةً، لا لغرضِ دينٍ، ولا يَقصِدُ وجهَ اللَّه بذلك، بل لا يقصد إلا الدنيا؟!

فإن قيل: فالنبي ﷺ لم يذمَّ أبا بكر علىٰ التشبيه؛ بل شبهه بإبراهيم وعيسىٰ وميكائيل عليهم السلام، وشبَّه عمر بجبرائيل ونوح وموسىٰ عليهم السلام.

قيل: المراد: [تشبيهُه(٢)] في الموافقة في أهل اللين والرحمة، لا في خصوص هذه المسألة؛ فإن الصواب فيها مع عمر قطعًا بكتاب اللَّه، ومع ذلك توعَّد اللَّهُ في أخذ الفداء بالعذاب؛ لولا ما سبق

= (٤٣/١)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وتعقبهما** الشيخ الألباني في «إرواء الغليل» (٤٧/٥)، بأن في الإسناد إبراهيمَ بنَ مُهاجر، وهو ليِّن الحديث، وبذلك أشار محقق «تفسير البغوي» (٣١٠/٢ ـ ط: طيبة)، لكنه بين أن إبراهيم متابَع، وكذا حكم عليه **بالصحة** الشيخان عبداللَّه اللحيدان وسعد آل حميد في «مختصر استدراك الحافظ الذهبي علىٰ مستدرك الحاكم» (٨٠٤/٢). وكذا **أقرَّ** الحاكمَ والذهبيَّ علىٰ التصحيح الشيخ مقبل بن هادي الوادعي في «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(١٠٣).

(١) **لم أقف علىٰ هذه الرواية:** وأصلها صحيح كما في الرواية قبلها. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

(٢) يعني أبا بكر رضي الله عنه.

من كتاب اللَّه أنه رأيٌ للصدِّيق رضي الله عنه الذي اجتهد فيه؛ فكيف بمن ينصح لهم، ويرفق بهم، ويرىٰ الكفَّ عن القتال، ويشير بإسقاط النكال عنهم، من غير مسوِّغ شرعي؛ بل لمجرد المحبة الدنيوية؟!

وأما من يشير بكفِّ المسلمين عنهم:

- فإن كان مراده بذلك تأليفَهم علىٰ الدخول في الإسلام، أو دخلوا فيه، أو واعدوه بالدخول فيه عن قريب، وكان المصلحةُ في تركهم قليلةً ونحوه= فيجوز ذلك.

- وإن كان المراد به ألَّا يتعرَّض المسلمون لهم بشيء ـ لا بقتال ولا نكالٍ وإغلاظٍ ونحو ذلك ـ، فهو من أعظم أعوانهم، وقد حصلت له موالاتُهم مع بُعدِ الديار وتباعد الأقطار؛ كما قيل:

سهمٌ أصاب ـ وراميهِ بذي سَلْمٍ ـ مَن بالعراقِ لقد أَبعَدْتِ مَرماكِ

وأما من يشير بترك نقائص المسلمين لهم إن كانوا مرتدين، فهذا عند الفقهاء مخطيءٌ آثم؛ لأنه يجب علىٰ المرتدِّ ضمانُ ما أتلفه للمسلمين في حال الردَّة، خصوصًا من تكررت منه الردةُ مرارًا؛ فإنه لا يَقصِدُ بذلك ـ في هذا الزمان ـ إلا الإغارةَ والنهب لا غير؛ فتَركُ ذلك له من أعظم المعاونة علىٰ الإثم والعدوان.

ولهذا لما صار هذا أمرًا سائغًا عند بعض الناس، انفتحت للبُدْوان[1] أبوابُ الرِّدة، وآتوها مهطعين[2] من كل وجهٍ؛ ولو كان هذا مصلحةً في بعض الأوقات رآها بعض الأمراء؛ فلا يجب طَرْدُ[3]

(١) كذا في المطبوعات و«الدرر السنية» (٨/١٥٨)، ولعل المقصود: همج البدو وأمثالهم.
(٢) مُهطعين: مسرعين.
(٣) طرد: تعميم.

ذلك لكل أحد في كل زمان؛ فاعلم ذلك.

وأما قول السائل: هل يكون هذا موالاةَ نفاق، أم يكون كفرًا؟

فالجواب:

١ ـ إن كانت الموالاة مع مُساكنتهم في ديارهم، والخروج معهم في قتالهم، ونحو ذلك؛ فإنه يُحكَم علىٰ صاحبها بالكفر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

وقال النبي ﷺ: «**من جامع المشركين وسكن معهم فإنه مثلُهم**»(١).

وقال: «**أنا بريءٌ من مسلمٍ [أقام] بين أظهُر المشركين**»(٢).

رواهما أبو داود.

٢ ـ وإن كانت الموالاة لهم في ديار الإسلام إذا قدموا إليهم ـ ونحو ذلك ـ، فهذا عاصٍ آثمٌ متعرضٌ للوعيد.

---

(١) **حسن:** وقد تقدم.

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٩٦)، وفي «العلل الكبير» (٢/٦٨٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٢٦٤)، وابن حزم في «المحلىٰ» (١٠/٣٦٩)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٨/١٣١)، وفي «الشعب» (٨٩٢٩)، وابن أبي عاصم في «الديات» ص(٩١)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٣٢٣٣)، والطبراني (٣٨٣٦)، من حديث جرير البجلي رضي الله عنه. **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرنؤوط ثَمَّ ـ أيضًا ـ (٤/٢٨١).



٣ ـ وإن كانت موالاتهم لأجل دينهم؛ فيجبُ عليه من التعزير ـ بالهجر والأدب ونحوه ـ ما يَزجُر أمثالَه. وإن كانت الموالاةُ لأجل دينهم فهو مثلهم، و«**مَن أحب قومًا حُشر معهم**»[1].

ولكن ليتفكر السائلُ في قوله: «حميةً دنيويةً»؛ [فقد] يمكن هذا لإبلاغ المحبة في قلوبهم، وإلا فلو كان يبغضهم في اللَّه ويعاديهم، لكان أقرَّ شيءٍ لعينه ما يُسخطهم، ولكن كما قال ابن القيم:

أتُحبُّ أعداءَ الحبيبِ وتدَّعي حبًّا لـه مـا ذاك في إمكـانِ

وأما قول السائل: فإن كان ما[2] يَقدرُ من نفسه أن يتلفظ بكفرهم وسبهم، ما حكمه؟

فالجواب: لا يخلو ذلك عن:

١ ـ أن يكون شاكًّا في كفرهم، أو جاهلًا به.

٢ ـ أو يُقِرَّ بأنهم كَفَرةٌ وأشباههم، ولكن لا يقدر علىٰ مواجهتهم وتكفيرهم.

٣ ـ أو يقول: أقول: غيرهم كفار؛ لا أقول: إنهم كفار.

ـ فإن كان شاكًّا في كفرهم، أو جاهلًا بكفرهم: بُيِّنت له الأدلةُ من كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ علىٰ كفرهم؛ فإن شك بعد ذلك وتردد فإنه كافرٌ بإجماع العلماء؛ علىٰ أن من شكَّ في كُفر الكفار فهو كافر.

ـ وإن كان يُقرُّ بكفرهم، ولا يقدر علىٰ مواجهتهم بتكفيرهم: فهو مداهنٌ لهم، ويدخل في قوله: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم]،

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) «ما»: بمعنىٰ «لا».

وله حكم أمثاله من أهل الذنوب.

- وإن كان يقول: «أقول: غيرهم كفار، ولا أقول: هم كفار»، فهذا حكمٌ منه بإسلامهم - إذ لا واسطة بين الكفر والإسلام -، فإن لم يكونوا كفارًا فهم مسلمون، وحينئذٍ فمن سمىٰ الكفر إسلامًا، أو سمىٰ الكفار مسلمين فهو كافر؛ فيكون هذا كافرًا.

وأما قوله: إذا عرفت هذا من إنسان ماذا يجب عليك؟

فالجواب: يجب عليك أن تنصحه، وتدعوَه إلىٰ اللَّه سبحانه، وتعرِّفَه قبح ما ارتكبه، فإن تاب فهذا هو المطلوب، وإن أصر وعاند فله حكمُ ما ارتكبه: إن كان كُفرًا فكافر، وإن كان معصيةً أو إثمًا فعاصٍ آثم، يجب الإنكار عليه، وتأديبه، وهجره، وإبعاده حتىٰ يتوب.

وقد هجر النبيُّ ﷺ من تخلَّف عن غزوةٍ واحدة، ونهىٰ عن كلامهم والسلام عليهم[1]؛ فكيف بمن يوالي الكفار، ويُظهر لهم المودة؟! انتهىٰ.



(١) رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

[٢٣]

حكم موالاة أهل الإشراك

للشيخ

سليمان بن عبداللَّه بن محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ـ رحمك اللَّه ـ: أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقةَ علىٰ دينهم، خوفًا منهم، ومداراةً لهم، ومداهنةً لدفع شرهم= فإنه كافر مثلهم ـ وإن كان يكره دينهم ويبغضهم، ويحبُّ الإسلام والمسلمين؛ هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كان في دار مَنَعةٍ، واستدعىٰ بهم[1]، ودخل في طاعتهم، وأظهر الموافقة علىٰ دينهم الباطل، وأعانهم عليه بالنصرة والمال ووالاهم، وقَطَع الموالاة بينه وبين المسلمين، وصار من جنود القِباب[2] والشرك وأهلها، بعدما كان من جنود الإخلاص والتوحيد وأهله؟ فإنَّ هذا لا يشك مسلمٌ أنه كافر، من أشد الناس عداوةً للَّه ولرسوله ﷺ.

ولا يُستثنىٰ من ذلك إلا المُكرَه، وهو الذي يستولي عليه المشركون، فيقولون له: «اكفر، أو افعل كذا، وإلا فعلنا بك وقتلناك»، أو يأخذونه فيعذبونه حتىٰ يوافقهم، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان.

وقد أجمع العلماء علىٰ أن من تكلَّم بالكفر هازلًا أنه يكفر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفًا وطمعًا في الدنيا؟!

وأنا أذكر بعضَ الأدلة علىٰ ذلك بعون اللَّه وتأييده:

الدليل الأول: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

---

(١) أي: اعتصم بهم وتقوَّىٰ.

(٢) يقصد: مشاهد وقبور الموتىٰ.

فأخبر تعالىٰ أن اليهود والنصارىٰ ـ وكذلك المشركون ـ لا يرضون عن النبي ﷺ حتىٰ يتبع ملتهم، ويشهد أنهم علىٰ حق.

ثم قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة]، وفي الآية الأخرىٰ: ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة].

فإذا كان النبي ﷺ لو يوافقهم علىٰ دينهم ظاهرًا ـ من غير عقيدة القلب، لكن خوفًا من شرِّهم ومداهنةً ـ كان من الظالمين، فكيف بمن أظهر لعُبَّاد القبور والقِباب أنهم علىٰ حقٍّ وهدًىٰ مستقيم؟! فإنهم لا يرضَون إلا بذلك.

الدليل الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة].

فأخبر تعالىٰ أن الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتىٰ يردُّوهم عن دينهم إن استطاعوا، ولم يرخِّص في موافقتهم خوفًا علىٰ النفس والمال والحرمة؛ بل أخبر عمن وافقهم ـ بعد أن قاتلوه ـ ليدفع شرهم أنه مرتد، فإن مات علىٰ رِدَّته ـ بعد أن قاتله المشركون ـ فإنه من أهل النار الخالدين فيها. فكيف بمن وافقهم من غير قتال؟!

فإذا كان من وافقهم بعد أن قاتلوه لا عذر له، عرفت أن الذين يأتون إليهم، ويسارعون في الموافقة لهم ـ من غير خوفٍ ولا قتال ـ أنهم أولىٰ بعدم العذر، وأنهم كفارٌ مرتدون.

الدليل الثالث: قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ

ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

فنهىٰ سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحابًا من دون المؤمنين ـ وإن كانوا خائفين منهم ـ، وأخبر أن من فعل ذلك ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾، أي: لا يكون من أولياء اللَّه الموعودين بالنجاة في الآخرة، ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾، وهو أن يكون الإنسان مقهورًا معهم، لا يقدر علىٰ عداوتهم، فيُظهر لهم المعاشرة، وقلبُه مطمئنٌّ بالبغضاء والعداوة، وانتظارِ زوال المانع، فإذا زال رجع إلىٰ العداوة والبغضاء. فكيف بمن اتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عذر، إلا استحباب الدنيا علىٰ الآخرة، والخوف من المشركين، وعدم الخوف من اللَّه؟! فما جعل اللَّه الخوف منهم عذرًا؛ بل قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

الدليل الرابع: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران].

فأخبر تعالىٰ أن المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلابد أن يردُّوهم علىٰ أعقابهم عن الإسلام؛ فإنهم لا يَقنَعون منهم بدون الكفر، وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ولم يرخِّص في موافقتهم وطاعتهم خوفًا منهم. وهذا هو الواقع؛ فإنهم لا يقنعون ممن وافقهم إلا بالشهادة أنهم علىٰ حق، وإظهارِ العداوة والبغضاء للمسلمين، وقطع اليد منهم.

ثم قال تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾، فأخبر تعالىٰ أنه وليُّ المؤمنين

وناصرهم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]؛ ففي ولايته وطاعته كفايةٌ وغُنيةٌ عن طاعة الكفار.

فيا حسرةً على العباد الذين عرفوا التوحيد، ونشؤوا فيه، ودانوا به زمانًا، كيف خرجوا عن ولاية رب العالمين وخير الناصرين، إلى ولاية القِباب وأهلها، ورَضُوا بها بدلًا من ولاية مَن بيده ملكوت كل شيء؟! ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠﴾ [الكهف].

الدليل الخامس: قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٦٢﴾ [آل عمران].

فأخبر تعالىٰ أنه لا يستوي من اتبع رضوان اللَّه، ومن اتبع ما يُسخطه، ومأواه جهنم يوم القيامة. ولا ريب أن عبادة الرَّحمٰن وحده، ونصرَها، وكونَ الإنسان من أهلها= من رضوان اللَّه، وأن عبادة القِباب والأموات، ونصرَها، والكونَ من أهلها= مما يُسخط اللَّه؛ فلا يستوي عند اللَّه من نَصَر توحيده ودعوته بالإخلاص، وكان مع المؤمنين، ومن نصر الشرك ودعوة الأموات، وكان مع المشركين.

فإن قالوا: خفنا. قيل لهم: كذبتم.

وأيضًا: فما جعل اللَّهُ الخوفَ عذرًا في اتباع ما يسخطه، واجتناب ما يرضيه. وكثيرٌ من أهل الباطل إنما يتركون الحق خوفًا من زوال دنياهم، وإلا فهم يعرفون[1] الحق ويعتقدونه، ولم يكونوا بذلك مسلمين.

الدليل السادس: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟

(١) في المطبوع: «فيعرفون»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء].

أي: في أيِّ فريق كنتم: أفي فريق المسلمين، أم في فريق المشركين؟ فاعتذروا عن كونهم لم يكونوا في فريق المسلمين بالاستضعاف، فلم تعذرهم الملائكة: ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

ولا يشك عاقلٌ أن أهل البلدان الذين خرجوا عن المسلمين، وصاروا مع المشركين، وفي فريقهم وجماعتهم = أعظمُ ممن ترك الهجرة مشحةً بوطنه وأهله وماله؛ هذا مع أن الآية نزلت في أُناسٍ من أهل مكة، أسلموا واحتُبسوا عن الهجرة، فلما خرج المشركون إلىٰ بدر أكرهوهم علىٰ الخروج معهم، فخرجوا خائفين، فقتلهم المسلمون يوم بدر، فلما علموا بقتلهم تأسَّفوا، وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل اللَّه فيهم هذه الآية[(١)].

فكيف بأهل البلدان الذين كانوا علىٰ الإسلام، فخلعوا رِبْقتَه[(٢)] من أعناقهم، وأظهروا لأهل الشرك الموافقةَ علىٰ دينهم، ودخلوا في طاعتهم وآوَوْهم ونصروهم، وخذلوا أهل التوحيد، وابتغوا غير سبيلهم وخطَّؤوهم، وظهر فيهم سبُّهم وشتمُهم، وعيبُهم والاستهزاءُ بهم، وتسفيه رأيهم في ثباتهم علىٰ التوحيد، والصبر عليه وعلىٰ الجهاد فيه، وعاونوهم[(٣)] علىٰ أهل التوحيد طوعًا لا كرهًا، واختيارًا

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) الرِّبْقة: الحلقة التي تربط بالعنق.
(٣) أي: المشركين ـ كما هو ظاهر ـ.

لا اضطرارًا؟!

فهؤلاء أولىٰ بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة شُحًّا بالوطن، وخوفًا من الكفار، وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين.

فإن قال قائل: هلا كان الإكراهُ علىٰ الخروج عذرًا للذين قُتلوا يوم بدر؟

قيل: لا يكون عذرًا؛ لأنهم في أول الأمر لم يكونوا معذورين ـ إذ أقاموا مع الكفار ـ، فلا يُعذرون بعد ذلك الإكراه؛ لأنهم السبب في ذلك، حيث أقاموا معهم وتركوا الهجرة.

الدليل السابع: قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

فذكر تعالىٰ أنه نزَّل علىٰ المؤمنين في الكتاب: أنهم إذا سمعوا آيات اللَّه ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ فلا يقعدوا معهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[(١)]، وأن من جلس مع الكافرين بآيات اللَّه، المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم فهو مثلهم؛ ولم يفرِّق بين الخائف وغيره إلا المُكرَه؛ وهذا وهم في بلدٍ واحد في أول الإسلام، فكيف بمن كان في سعةِ الإسلام وعزِّه وبلاده؛ فدعا الكافرين بآيات اللَّه المستهزئين بها إلىٰ بلاده، واتخذهم أولياءَ وأصحابًا وجلساء،

---

(١) والذي أنزل اللَّهُ ﷻ عليهم قبل ذلك هو الآية المشابهة في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام]. فهذه الآية مكية، وآية النساء أعلاه مدنية.

وسمع كفرهم واستهزاءهم وأقرهم، وطَرَد أهل التوحيد وأبعدهم؟!

الدليل الثامن: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

فنهىٰ سبحانه المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارىٰ أولياء، وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم؛ وهكذا حكمُ من تولَّىٰ الكفار من المجوس وعُبَّاد الأوثان، فهو منهم.

فإن جادل مجادلٌ في أن عبادة القِباب، ودعاء الأموات مع اللَّه ليس بشركٍ، وأن أهلها ليسوا بمشركين، بان أمره، واتضح عنادُه وكفره.

ولم يفرِّق تعالىٰ بين الخائف وغيره؛ بل أخبر اللَّه تعالىٰ أن الذين في قلوبهم مرضٌ يفعلون ذلك خوفًا من الدوائر[1]؛ وهكذا حال هؤلاء المرتدين، خافوا من الدوائر؛ فزال ما في قلوبهم من الإيمان بوعد اللَّه الصادق بالنصر لأهل التوحيد، فبادروا وسارعوا إلىٰ الشرك، خوفًا أن تصيبهم دائرة، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة].

الدليل التاسع: قوله تعالىٰ: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة]؛ فذكر تعالىٰ أن موالاة الكفار موجبةٌ لسخط اللَّه، والخلودَ في النار بمجردها ـ وإن كان الإنسان خائفًا ـ إلا المكرَهَ بشرطه؛

(١) **الدوائر:** المصائب.

فكيف إذا اجتمع ذلك مع الكفر الصريح؛ وهو معاداة التوحيد وأهله، والمعاونة علىٰ زوال دعوة اللَّه بالإخلاص، وعلىٰ تثبيت دعوةِ غيره؟!

الدليل العاشر: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة].

فذكر تعالىٰ أن موالاة الكفار منافيةٌ للإيمان باللَّه والنبيِّ وما أُنزل إليه. ثم أخبر أن سبب ذلك كونُ كثيرٍ منهم فاسقين، ولم يفرق بين من خاف الدائرة ومن لم يخف. وهكذا حالُ كثير من هؤلاء المرتدين قبل رِدتهم؛ كثيرٌ منهم فاسقون، فجَرَّ ذلك إلىٰ موالاة الكفار والرِّدةِ عن الإسلام. نعوذ باللَّه من ذلك.

الدليل الحادي عشر: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام].

وهذه الآية نزلت لما قال المشركون: تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل اللَّه[(١)]؟! فأنزل اللَّه هذه الآية[(٢)].

---

(١) وهذه الفتنة الشيطانية ـ فتنةُ الشبهات ـ تتزايد مع مرور الأزمان؛ وجُلُّ من يحمل لواءها اليوم هم الأحزاب المبتدعة؛ الذي يرغبون في تمرير بدعهم بشبهات عقيمة، وجهالات ذميمة، ليشككوا الناس في صحة المنهاج النبوي وما كان عليه أسلافُنا الطاهرون. وانظر عددًا من ذلك في كتابي: «فرقة الدعوة والتبليغ في ميزان أهل السنة والجماعة».

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود (٢٨١٩)، والترمذي (٣٠٦٩)، والبزار في «مسنده» ـ كما في «تفسير القرآن العظيم» (١٧٧/٢)، والطبري في «تفسيره» (١٥/٨)، والطبراني في «الكبير» (٣٦١/١١)، والضياء في =

فإذا كان من أطاع المشركين في تحليل الميتة مشركًا ـ من غير فرق بين الخائف وغيره ـ إلا المكره، فكيف بمن أطاعهم في تحليل موالاتهم، والكون معهم، ونصرهم، والشهادة أنهم علىٰ حق، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم، والخروج عن جماعة المسلمين إلىٰ جماعة المشركين؟! فهؤلاء أولىٰ بالكفر والشرك، ممن وافقهم علىٰ أن الميتة حلال.

الدليل الثاني عشر: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥﴾ [الأعراف].

وهذه الآية نزلت في رجل عالم عابد، في زمان بني إسرائيل، يقال له: «بلعام»، وكان يَعلمُ الاسم الأعظم[1].

▫ قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: «لما نزل بهم موسىٰ عليه السلام ـ يعني بالجبارين ـ أتوه[2] بنو عمِّه وقومه، فقالوا: إن موسىٰ رجلٌ حديد[3]، ومعه جنود كثيرة، وإنه إن يظهر علينا يُهلِكْنا، فادع

= «المختارة» (٢٦٩)، والبيهقي (٩/٢٤٠)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٢٢/٣٠٠)، وابن مردويه في «تفسيره» ـ كما في «الدر المنثور» (٣/٣٤٦) ـ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الترمذي: «**حسن غريب**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ، وكذا صاحبا «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٢/١٥٥).

(١) صحَّ عن ابن مسعود رضي الله عنه أن المراد بالآية هو هذا الرجل «بلعام»، وصحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في أمية بن الصلت. فانظر: «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٢/١٦٩).

(٢) أي: أتوا إلىٰ بلعام.

(٣) أي: شديدٌ قاسٍ.

اللَّه أن يرد موسىٰ ومن معه. قال: إني إن دعوت اللَّهَ ذهبت دنياي وآخرتي. فلم يزالوا به حتىٰ دعا عليهم، فسلخه اللَّه مما كان عليه، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾».

▫ وقال ابن زيد: «كان هواه مع القوم».

يعني الذين حاربوا موسىٰ وقومه.

فذكر تعالىٰ أَمرَ هذا المنسلخِ من آيات اللَّه بعد أن أعطاه اللَّه إياها، وعَرَفها، وصار من أهلها، ثم انسلخ منها، أي: ترك العمل بها. وذكر في انسلاخه منها ما معناه أنه مظاهرةُ المشركين، ومعاونتهم برأيه، والدعاء علىٰ موسىٰ ﷺ ومن معه أن يردَّهم اللَّه عن قومه، خوفًا علىٰ قومه، وشفقةً عليهم، مع كونه يعرفُ الحق ويقطع به، ويتكلم به ويشهد به، ويتعبد، ولكن صدَّه عن العمل به متابعةُ قومه وعشيرته وهواه، وإخلادُه إلىٰ الأرض؛ فكان هذا انسلاخًا من آيات اللَّه.

وهذا هو الواقع من هؤلاء المرتدين ـ وأعظم ـ؛ فإن اللَّه تعالىٰ أعطاهم آياته التي فيها الأمرُ بتوحيدِه ودعوتِه وحده لا شريك له، والنهيُ عن الشرك به ودعوةِ غيره، والأمرُ بموالاة المؤمنين، ومحبتهم ونصرتهم، والاعتصام بحبل اللَّه جميعًا، والكون مع المؤمنين، والأمر بمعاداة المشركين وبغضهم، وجهادهم وفراقهم، والأمر بهدم الأوثان، وإزالة القِحاب[1] واللواط والمنكرات، وعرفوها وأقروا بها، ثم انسلخوا من ذلك كله، فهم أولىٰ بالانسلاخ من آيات اللَّه والكفر والردة من بلعام، أو هم مثله.

---

(١) كذا في المطبوعات و«الفتاوىٰ النجدية»، ومعناها: الزانيات.

الدليل الثالث عشر: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود].

فذكر تعالىٰ أن الركون إلىٰ الظلمة والكفار والظالمين موجبٌ لمسيس النار، ولم يفرِّق بين من خاف منهم وغيره، إلا المكره؛ فكيف بمن اتخذ الركون إليهم دينًا ورأيًا حسنًا، وأعانهم بما قَدَر عليه من مالٍ ورأي، وأحبَّ زوالَ التوحيد وأهله، واستيلاء أهل الشرك عليهم؟! فإن هذا من أعظم الكفر والركون.

الدليل الرابع عشر: قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [النحل].

فحَكَم تعالىٰ حكمًا لا يبدَّل: أن من رجع عن دينه إلىٰ الكفر فهو كافر، سواء كان له عذرٌ ـ خوفًا علىٰ نفس أو مال أو أهل ـ أم لا، وسواءٌ كَفَر بباطنه وظاهره، أم بباطنه دون ظاهره، وسواءٌ كفر بفعاله أو مقاله، أو بأحدهما دون الآخر، وسواءٌ كان طامعًا في دنيا ينالها من المشركين أم لا، فهو كافرٌ علىٰ كل حال، إلا المكره، وهو في لغتنا: المغصوب؛ فإذا أُكره إنسانٌ علىٰ الكفر، أو قيل له: «اكفر وإلا قتلناك، أو ضربناك»، أو أخذه المشركون فضربوه، ولم يمكنه التخلصُ إلا بموافقتهم= جاز له موافقتهم في الظاهر؛ بشرط أن يكون قلبه مطمئنًا بالإيمان ـ أي: ثابتًا عليه معتقدًا له ـ، فأما إن وافقهم بقلبه فهو كافر ـ ولو كان مكرهًا ـ.

وظاهر كلام أحمد: أنه في الصورة الأولىٰ لا يكون مكرهًا حتىٰ يعذبه المشركون:

▫ فإنه لما دخل عليه يحيىٰ بن معين وهو مريض، فسلم عليه فلم يرد عليه السلام، فما زال يعتذر ويقول: «حديث عمار، وقال اللَّه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾، فقلَب أحمد وجهه إلىٰ الجانب الآخر، فقال يحيىٰ: لا يقبل عذرًا. فلما خرج يحيىٰ قال أحمد: يَحتجُّ بحديث عمار! وحديثُ عمار: «مررت بهم وهم يسبُّونك، فنهيتُهم فضربوني»[(١)]، وأنتم قيل لكم: نريد أن نضربكم[(٢)]. فقال يحيىٰ: واللَّهِ ما رأيت تحت أديم السماء أفقهُ في دين اللَّه منك»[(٣)].

ثم أخبر تعالىٰ: أن هؤلاء المرتدِّين الشارحين صدورهم بالكفر ـ وإن كانوا يقطعون [أنهم] علىٰ الحق، ويقولون: ما فعلنا هذا إلا خوفًا ـ، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل].

ثم أخبر تعالىٰ أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد للشرك، أو الجهل بالتوحيد، أو البغض للدين، أو محبة الكفر؛ وإنما سببه أن له في ذلك حظًّا من حظوظ الدنيا فآثره علىٰ الآخرة، وعلىٰ رضا رب العالمين؛ فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [النحل]، فكفَّرهم تعالىٰ، وأخبر أنه لا يهديهم ـ مع كونهم يعتذرون بمحبة الدنيا ـ.

---

(١) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/٢٤٩)، والطبري في «تفسيره» (١٤/٣٧٤)، والحاكم (٢/٣٥٧)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١/١٤٠)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، وقال الحافظ ابن حجر في «الدراية» (٢/١٩٧): «إسناده صحيح إن كان محمد بن عمار سمع من أبيه».

(٢) أي: عمارٌ ومن معه رضي الله عنهم عُذِّبوا فعليًّا، ولم يُهدَّدوا فحسب.

(٣) انظر: «مهذَّب مناقب الإمام أحمد رحمه الله» (رقم: ٨٤٦ ـ تهذيبي).

ثم أخبر تعالىٰ أن هؤلاء المرتدين لأجل استحباب الدنيا علىٰ الآخرة هم ﴿ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾، وأنهم الغافلون، ثم أخبر خبرًا مؤكَّدًا محققًا ﴿أَنَّهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [النحل].

الدليل الخامس عشر: قوله تعالىٰ عن أهل الكهف: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الكهف].

فذكر تعالىٰ عن أهل الكهف أنهم ذكروا عن المشركين أنهم إن قهروكم وغلبوكم فهم بين أمرين:

- إما أن يرجموكم، أي: يقتلوكم شرَّ قِتلةٍ برجم.
- وإما أن يُعيدوكم في مِلَّتهم ودينهم، ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾، أي: وإن وافقتموهم علىٰ دينهم ـ بعد أن غلبوكم وقهروكم ـ فلن تفلحوا إذن أبدًا؛ فهذا حال من وافقهم بعد أن غلبوه، فكيف بمن وافقهم وراسلهم من بعيد، وأجابهم إلىٰ ما طلبوا من غير غلبةٍ ولا إكراه، ومع ذلك يحسبون أنهم مهتدون؟!

الدليل السادس عشر: قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج].

فأخبر تعالىٰ أن من الناس ﴿مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾، أي: علىٰ طرف[1]، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾ أي: نصرٌ وعزٌّ وصحةٌ، وسعةٌ وأمن وعافية، ونحو ذلك، ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾، أي: ثبت، وقال: «هذا دينٌ حسن، ما رأينا فيه إلا خيرًا»، ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾، أي: خوف ومرض وفقر

(١) والمقصود ـ كما عليه أكثرُ المفسرين ـ: علىٰ شك.

ونحو ذلك، ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾، أي: ارتد عن دينه، ورجع إلىٰ أهل الشرك.

فهذه الآية مطابقةٌ لحال المنقلبين عن دينهم في هذه الفتنة سواءً بسواء؛ فإنهم قبل هذه الفتنة يعبدون اللَّه علىٰ حرف، أي: علىٰ طرف، ليسوا ممن يعبد اللَّه علىٰ يقينٍ وثبات، فلما أصابتهم هذه الفتنة انقلبوا عن دينهم، وأظهروا الموافقة للمشركين، وأعطَوهم الطاعة، وخرجوا عن جماعة المسلمين إلىٰ جماعة المشركين، فهم معهم في الآخرة كما هم معهم في الدنيا، فـ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ۝١١﴾ [الحج].

هذا مع أن كثيرًا منهم في عافية، ما أتاهم من عدو، وإنما ساء ظنُّهم باللَّه، فظنوا أنه يُديل[1] الباطل وأهله علىٰ الحق وأهله، فأرداهم[2] سوءُ ظنهم باللَّه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [فصلت].

وأنت ـ يا من مَنَّ اللَّه عليه بالثبات علىٰ الإسلام ـ احذر أن يدخل في قلبك شيء من الريب، أو تحسين [حال] هؤلاء المرتدين، وأن موافقتهم للمشركين وإظهار طاعتهم رأيٌ حسنٌ[3]، حذرًا علىٰ الأنفس والأموال والمحارم! فإن هذه الشبهة هي التي أوقعت كثيرًا من الأولين والآخرين في الشرك باللَّه، ولم يعذرهم اللَّه بذلك، وإلا فكثيرٌ منهم يعرفون الحق، ويعتقدونه بقلوبهم، وإنما يدينون للَّه

---

(١) **يُديل**: ينصر.

(٢) **أرداهم**: أهلكهم.

(٣) في بعض المطبوعات: «رأيًا حسنًا».

بالشرك للأعذار الثمانية التي ذكرها اللَّه في كتابه - أو لبعضها -؛ فلم يعذر بها أحدًا ولا ببعضها، فقال: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة].

الدليل السابع عشر: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ[1] ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد].

فذكر تعالىٰ عن المرتدين علىٰ أدبارهم: أنهم من بعد ما تبين لهم الهدىٰ ارتدوا علىٰ علمٍ، فلم ينفعهم علمُهم بالحق مع الردة، وغرَّهم الشيطان بتسويله، وتزيينِ ما ارتكبوه من الردة. وهكذا حال هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة، غرَّهم الشيطانُ؛ فأوهمهم أن الخوف عذرٌ لهم في الردة، وأنهم بمعرفة الحق ومحبته والشهادة به لا يضرهم ما فعلوه! ونسُوا أن من المشركين من يعرفون الحقَّ ويحبونه ويشهدون به، ولكن يتركون متابعته والعمل به محبةً للدنيا، وخوفًا علىٰ الأنفس والأموال، والمآكل والرياسات.

ثم قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾، فأخبر تعالىٰ أن سبب ما جرىٰ عليهم من الردة، وتسويل الشيطان والإملاء لهم، هو قولهم للذين كرهوا ما نزَّل

(١) أي: خدعهم بطول الأمل.

اللَّه: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾، فإذا كان مَن وَعَد المشركين ـ الكارهين لما أنزل اللَّه ـ طاعتَهم في بعض الأمر كافرًا ـ وإن لم يَفعل ما وعدهم به ـ، فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما أنزل اللَّه من الأمر بعبادته وحده لا شريك له، وتركِ عبادة ما سواه من الأنداد والطواغيت والأموات، وأظهر أنهم علىٰ هدًىٰ، وأن أهل التوحيد مخطئون في قتالهم، وأن الصواب في مسالمتهم والدخول في دينهم الباطل؟! فهؤلاء أولىٰ بالردة من أولئك الذين وَعدوا المشركين بطاعتهم في بعض الأمر.

ثم أخبر تعالىٰ عن حالهم الفظيع عند الموت، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾، أي: الأمر الفظيع عند الوفاة، ﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾. ولا يستريب المسلم أن اتباع المشركين، والدخول في جملتهم، والشهادة أنهم علىٰ حق، ومعاونتَهم علىٰ زوال التوحيد وأهله، ونصرةَ القباب والقِحاب واللواط= مِنِ اتِّباع ما يُسخط اللَّه وكراهةِ رضوانه، وإنِ ادَّعَوا أن ذلك لأجل الخوف؛ فإن اللَّه ما عذر أهل الرِّدة بالخوف من المشركين؛ بل نهىٰ عن خوفهم. فأين هذا ممن يقول: ما جرىٰ منا شيء ونحن علىٰ ديننا؟!

الدليل الثامن عشر: قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر].

فعقد اللَّه تعالىٰ الأُخُوَّة بين المنافقين والكفار، وأخبر أنهم يقولون لهم في السر: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾، أي: لئن غلبكم محمد ﷺ وأخرجكم من بلادكم، ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا﴾، أي: لا نسمع

من أحدٍ فيكم قولًا، ولا نعطي فيكم طاعةً، ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾، أي: إن قاتلكم محمد ﷺ لننصرنكم ونكون معكم. ثم شهد اللَّه إنهم لكاذبون في هذا القول.

فإذا كان وَعْدُ المشركين في السرِّ بالدخول معهم، ونَصْرهم والخروج معهم إن جُلُوا[1] = نفاقًا وكفرًا ـ وإن كان كذبًا ـ، فكيف بمن أظهر ذلك صادقًا، وقَدِم عليهم، ودخل في طاعتهم، ودعا إليها[2]، ونصرهم، وانقاد لهم وصار من جملتهم، وأعانهم بالمال والرأي؟! هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك إلا خوفًا من الدوائر، كما قال تعالىٰ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢]، هكذا حالُ كثير من هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة، فإنَّ عذرَ كثير منهم هو هذا العذر الذي ذكره اللَّه عن الذين في قلوبهم مرض، ولم يَعذِرْهم اللَّه به، قال تعالىٰ: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [المائدة].

ثم قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]؛ فأخبر تعالىٰ أنه لابد عند وجود المرتدِّين من وجود المحبين المجاهدين، ووصفهم بالذِّلة والتواضع للمؤمنين، والعزة والغلظة والقسوة علىٰ الكافرين، بضدِّ من كان تواضعه وذلُّه ولينُه لعُبَّاد القباب وأهل القحاب واللواط، وعزتُه وغلظته علىٰ أهل التوحيد والإخلاص؛

---

(١) أي: أُخرجوا من ديارهم.
(٢) أي: إلىٰ طاعتهم.

فكفىٰ بهذا دليلًا علىٰ كفر من وافقهم ـ وإن ادعىٰ أنه خائف ـ، فقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾؛ وهذا بضد من يترك الصدق والجهاد خوفًا من المشركين.

ثم قال تعالىٰ: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: في توحيده، صابرين علىٰ ذلك ابتغاء وجه ربهم، لتكون كلمةُ اللَّه هي العليا، ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ أي: لا يبالون بمن لامهم وآذاهم في دينهم؛ بل يَمضُون علىٰ دينهم مجاهدين فيه، غير ملتفتين للوم أحدٍ من الخلق، ولا لسخطه ولا لرضاه، وإنما همَّتُهم وغايةُ مطلوبهم رضا سيدهم ومعبودهم، والهربُ من سخطه؛ وهذا بخلاف مَن كانت همته وغاية مطلوبه رضىٰ عُبَّاد القِباب وأهل القحاب واللواط، ورجاءَهم، والهرب مما يُسخطهم؛ فإن هذا غاية الضلال والخذلان.

ثم قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة]، فأخبر اللَّه تعالىٰ أن هذا الخيرَ العظيم، والصفاتِ الحميدة لأهل الإيمان الثابتين علىٰ دينهم عند وقوع الفتن= ليس بحَوْلهم ولا بقوتهم، وإنما هو ﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾ [البقرة].

ثم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥﴾ [المائدة]. فأخبر اللَّه تعالىٰ ـ خبرًا بمعنىٰ الأمر ـ بولاية اللَّه ورسوله والمؤمنين، وفي ضمنه النهيُ عن موالاة أعداء اللَّه ورسوله والمؤمنين، ولا يخفىٰ أيُّ الحزبين أقرب إلىٰ اللَّه ورسوله: أهل الأوثان والقباب والقحاب واللواط والخمور والمنكرات، أم أهل الإخلاص وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة! فالمتولي لضدِّهم واضعٌ للولاية في غير مَحِلِّها، مستبدلٌ بولاية اللَّه ورسوله

والمؤمنين ـ المقيمين للصلاة المؤتين للزكاة ـ ولايةَ أهل الشرك والأوثان والقباب.

ثم أخبر تعالىٰ أن الغلبة لحزبه ومن تولَّاهم، فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

الدليل التاسع عشر: قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢].

فأخبر تعالىٰ أنك لا تجد من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر يوادُّ مَن حادَّ اللَّه ورسوله ـ ولو كان أقربَ قريب ـ، وأن هذا منافٍ للإيمان مضادٌّ له، لا يجتمع هو والإيمان إلا كما يجتمع الماء والنار.

وقد قال تعالىٰ في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة].

ففي هاتين الآيتين البيانُ الواضح أنه لا عذر لأحد في الموافقة علىٰ الكفر خوفًا علىٰ الأموال والآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشائر، ونحو ذلك مما يعتذر به كثيرٌ من الناس. فإذا كان لم يرخِّص لأحد في موالاتهم، واتخاذهم أولياء بأنفسهم، خوفًا منهم وإيثارًا لمرضاتهم، فكيف بمن اتخذ الكفار الأباعد أولياءَ وأصحابًا، وأظهر لهم الموافقة علىٰ دينهم، خوفًا علىٰ بعض هذه الأمور، ومحبةً لها؟! ومِن العجب استحسانهم لذلك، واستحلالهم له، فجمعوا مع الردة استحلال الحرام.



الدليل العشرون: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ [الممتحنة]. أي: أخطأ الصراط المستقيم.

فأخبر تعالىٰ أن من تولَّىٰ أعداء اللَّه - وإن كانوا أقرباء وأصدقاء - ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، أي: أخطأ الصراط المستقيم، وخرج عنه إلىٰ الضلال؛ فأين هذا ممن يدعي أنه علىٰ الصراط المستقيم لم يخرج عنه؟! فإن هذا تكذيبٌ للَّه - ومن كذَّب اللَّه فهو كافر -، واستحلالٌ لما حرَّم اللَّه من ولاية الكفار - ومن استحل محرمًا فهو كافر -.

ثم ذكر تعالىٰ شبهةَ مَن اعتذر بالأرحام والأولاد، فقال: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣﴾ [الممتحنة]، فلم يعذر اللَّهُ تعالىٰ من اعتذر بالأرحام والأولاد، والخوفِ عليهما، ومشقةِ مفارقتهما؛ بل أخبر أنها لا تنفع يوم القيامة، ولا تغني من عذاب اللَّه شيئًا، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١﴾ [المؤمنون].

الدليل الحادي والعشرون: من السنة: ما رواه أبو داود وغيره، عن سمُرة بن جُندب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَن جامع المشركَ وسكن معه فهو مثله**»(١).

فجعل ﷺ في هذا الحديث من جامع المشركين - أي: اجتمع

---

(١) **حسن:** وقد تقدم.

معهم وخالطهم وسكن معهم - فهو مثلهم؛ فكيف بمن أظهر لهم الموافقة علىٰ دينهم، وآواهم وأعانهم؟ فإن قالوا: خِفنا، قيل لهم: كذبتم.

وأيضًا فليس الخوف بعذر؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]؛ فلم يعذر اللَّه ﷻ من يرجع عن دينه عند الأذىٰ والخوف، فكيف بمن لم يُصبه أذًىٰ ولا خوف، وإنما جاء إلىٰ الباطل محبةً له وخوفًا من الدوائر؟

والأدلة علىٰ هذا كثيرة، وفي هذا كفايةٌ لمن أراد اللَّه هدايته. وأما من أراد اللَّه فتنته وضلالته، فكما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس].

فنسأل اللَّه الكريم المنَّان أن يحيينا مسلمين، وأن يتوفانا مسلمين، وأن يُلحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، برحمته؛ وهو أرحم الراحمين، وصلىٰ اللَّه علىٰ محمد.



[٢٤]

حكم السفر إلى بلاد الشرك والإقامة فيها

للشيخ

سليمان بن عبداللَّه بن محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

المسألة الأولى: هل يجوز للمسلم أن يسافر إلى بلد الكفار الحربية، لأجل التجارة أم لا؟:

الجواب: الحمد للَّه.

إن كان يقدر علىٰ إظهار دينه، ولا يوالي المشركين، جاز له ذلك؛ فقد سافر بعضُ الصحابة ﷺ ـ كأبي بكر ﷺ وغيره من الصحابة ـ إلىٰ بلدان المشركين لأجل التجارة، ولم يُنكر ذلك النبيُّ ﷺ، كما رواه أحمد في «مسنده» وغيره[(١)].

وإن كان لا يقدر علىٰ إظهار دينه، ولا علىٰ عدم موالاتهم، لم يَجُز له السفر إلىٰ ديارهم ـ كما نص علىٰ ذلك العلماء ـ، وعليه تُحمل الأحاديث التي تدل علىٰ النهي عن ذلك، ولأن اللَّه تعالىٰ أوجب علىٰ الإنسان العملَ بالتوحيد، وفَرَض عليه عداوة المشركين، فما كان ذريعةً وسببًا إلىٰ إسقاط ذلك لم يَجُز.

وأيضًا فقد يجُرُّه ذلك إلىٰ موافقتهم وإرضائهم، كما هو الواقع لكثيرٍ ممن يسافر إلىٰ بلدان المشركين من فسَّاق المسلمين، نعوذ باللَّه من ذلك.

---

(١) **صحيح**: لكني لم أقف علىٰ حديث «المسند» الذي أشار إليه المصنف رحمه الله. لكن ثبت في «الصحيحة» (٢٩٢٩) أن أبا بكرٍ رضي الله عنه كان يتاجر في بُصرىٰ علىٰ عهد الحبيب ﷺ.

المسألة الثانية: هل يجوز للإنسان أن يجلس في بلد الكفار ـ وشعائر الكفر ظاهرة ـ لأجل التجارة؟:

الجواب عن هذه المسألة: هو الجواب عن التي قبلها سواءً، ولا فرق في ذلك بين دار الحرب أو دار الصلح، فكلُّ بلدٍ لا يَقدرُ المسلمُ علىٰ إظهار دينه فيها، لا يجوز له السفر إليها.

المسألة الثالثة: هل يفرَّق بين المدة القريبة ـ مثل شهر أو شهرين ـ، والمدة البعيدة؟:

الجواب: أنه لا فرق بين المدة القريبة والبعيدة، فكلُّ بلدٍ لا يقدر علىٰ إظهار دينه فيها، ولا علىٰ عدم موالاة المشركين، لا يجوز له المقام فيها ولا يومًا واحدًا، إذا كان يقدر علىٰ الخروج منها.

المسألة الرابعة: في معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، وقوله ﷺ في الحديث: «مَن جامع المشركَ[(١)] وسكن معه فإنه مثلُه»[(٢)]:

الجواب: أن معنىٰ الآية علىٰ ظاهرها؛ وهو أن الرجل إذا سمع آيات اللَّه يُكفر بها ويستهزأ بها، فجلس عند الكافرين المستهزئين من غير إكراهٍ ولا إنكار، ولا قيامٍ عنهم حتىٰ يخوضوا في حديث غيره= فهو كافرٌ مثلهم ـ وإن لم يفعل فِعْلَهم ـ؛ لأن ذلك يتضمن الرضاءَ بالكفر، والرضاءُ بالكفر كفرٌ.

وبهذه الآية ـ ونحوها ـ استدل العلماء علىٰ أن الراضي بالذنب كفاعله؛ فإن ادَّعىٰ أنه يكره ذلك بقلبه لم يُقبل منه؛ لأن الحكم

(١) سيأتي المراد لاحقًا ـ إن شاء اللَّه ـ.
(٢) حسن: وقد تقدم.

علىٰ الظاهر، وهو قد أظهر الكفر؛ فيكون كافرًا؛ ولهذا لما وقعت الرِّدة بعد موت النبي ﷺ وادعىٰ أُناسٌ أنهم كرهوا ذلك، لم يَقبل منهم الصحابة ذلك؛ بل جعلوهم كلَّهم مرتدين، إلا من أنكر بلسانه وقلبه.

وكذلك قوله في الحديث: «**من جامع المشركَ وسكن معه، فإنه مثله**» علىٰ ظاهره؛ وهو أن الذي يدعي الإسلام، ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل معهم ـ بحيث يعدُّه المشركون منهم ـ، فهو كافرٌ مثلهم ـ وإن ادعىٰ الإسلام ـ، إلا إن كان يُظهر دينه، ولا يوالي المشركين؛ ولهذا لما ادعىٰ بعضُ الناس الذين أقاموا في مكة بعدما هاجر النبي ﷺ، فادعوا الإسلام إلا أنهم أقاموا في مكة، يعدُّهم المشركون منهم، وخرجوا معهم يوم بدر كارهين للخروج، فقُتلوا، فظن بعضُ الصحابة أنهم مسلمون، وقالوا: «قتلنا إخواننا»! فأنزل اللَّه تعالىٰ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧][(١)].

قال السُّدِّي وغيره من المفسرين: «إنهم كانوا كفارًا، ولم يعذر اللَّه منهم إلا المستضعفين».

المسألة الخامسة: هل يقال لمن أظهر علامات النفاق ـ ممن يدعي الإسلام ـ: إنه منافق أم لا؟:

الجواب: أنه من ظهرت منه علاماتُ النفاق الدالةُ عليه ـ كارتداده عند التحزيب علىٰ المؤمنين، وخذلانهم عند اجتماع العدو؛ كالذين قالوا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وكونه إذا غلب

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

المشركون التجأ معهم، وإن غلب المسلمون التجأ إليهم، ومدحِه للمشركين بعض الأحيان، وموالاتهم من دون المؤمنين، وأشباه هذه العلامات التي ذكر اللَّه أنها علامات للنفاق وصفات للمنافقين ـ؛ فإنه يجوز إطلاق النفاق عليه، وتسميته منافقًا.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون ذلك كثيرًا:

- كما قال حذيفة رضي الله عنه: «إنْ [كان] الرجلُ لَيتكلمُ بالكلمة علىٰ عهد رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم؛ فيكون بها منافقًا».
- وكما قال عوف بن مالك رضي الله عنه لذلك المتكلم بذلك الكلام القبيح[(١)]: «كذبت؛ ولكنك منافق»[(٢)].
- وكذلك قال عمر رضي الله عنه في قصة حاطب: «يا رسول اللَّه، دعني أضرب عنق هذا المنافق». وفي رواية: «دعني أضرب عنقه؛ فإنه منافق»[(٣)].

وأشباه ذلك كثير.

- وكذلك قال أُسيد بن حُضير لسعد بن عبادة رضي الله عنهما ـ لما قال ذلك الكلام[(٤)] ـ: «كذبت؛ ولكنك منافقٌ، تجادل عن المنافقين»[(٥)].

---

(١) كان هذا حين قال بعض المنافقين ـ في غزوة تبوك ـ: «لم أر مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسُنًا»، وقد تقدم ص(١٤٣).

(٢) حسن: وقد تقدم، وهو عندما طعن المنافقون في النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته بقولهم: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا».

(٣) رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)، من حديث عليٍّ رضي الله عنه.

(٤) انظر التالي.

(٥) رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠)، من حديث أمنا عائشة رضي الله عنها. =

ولكن ينبغي أن يُعرف أنه لا تلازم بين إطلاق النفاق عليه ظاهرًا، وبين كونه منافقًا باطنًا، فإذا فعل علاماتِ النفاق جاز تسميته منافقًا لمن أراد أن يسمِّيه بذلك ـ وإن لم يكن منافقًا في نفس الأمر ـ؛ لأن بعض هذه الأمورِ قد يفعلها الإنسانُ مخطئًا لا علم عنده، أو لمقصدٍ يَخرج به عن كونه منافقًا [في الباطن]، فمن أَطلق عليه النفاق لم يُنكَر عليه، كما لم يُنكِر النبي ﷺ على أُسيد بن حضير تسميتَه سعدًا منافقًا ـ مع أنه ليس بمنافق ـ، ومن سكت لم ينكَر عليه، بخلاف المذبذب الذي ليس مع المسلمين ولا مع المشركين؛ فإنه لا يكون إلا منافقًا.

واعلم أنه لا يجوز إطلاقُ النفاق على المسلم بالهوى والعصبية، أو لكونه يشاحِن رجلًا في أمر دنيا، أو يبغضه لذلك، أو لكونه يخالفُ في بعض الأمور التي لا يزال الناسُ فيها مختلفين؛ فليحذر الإنسان أشد الحذر؛ فإنه قد صح في ذلك الحديثُ عن النبي ﷺ

= والكلام المذكور كان في قصة الإفك المريرة، حين قام رسول اللَّه ﷺ وطلب من أصحابه نُصرته على من اتهم زوجه الطاهرة بما اتهمها به، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: «أعذرك منه ـ يا رسول اللَّه ـ؟ إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت أمنا عائشة رضي الله عنها: فقام سعد بن عبادة ـ وهو سيد الخزرج ـ، وكان رجلًا صالحًا، ولكنِ اجتهلتْه الحَمِيَّة، فقال لسعد بن معاذ: لَعَمْرُ اللَّهِ لا تقتلُه، ولا تقدرُ على قتله، فقام أسيدُ بن حضير ـ وهو ابن عم سعد بن معاذ ـ، فقال لسعد بن عبادة: كذبت؛ لعمرُ اللَّه لنقتلنَّه؛ فإنك منافقٌ تجادلُ عن المنافقين».

في: «مَن رمىٰ مؤمنًا بكفرٍ فهو كقتله»[١]، وإنما يجوز مِن ذلك إذا[٢] كانت العلاماتُ مطردةً في النفاق ـ كالعلامات التي ذكرنا وأشباهها ـ، بخلاف مثل الكِذبة والفَجْرة ونحو ذلك، وكان قصدُ الإنسان ونيتُه إعلاءَ كلمة اللَّه ونصرَ دينه.

المسألة السادسة: في الموالاة والمعاداة؛ هل هي من معنى «لا إلٰه إلا الله»، أو من لوازمها؟:

الجواب: أن يقال: اللَّه أعلم، لكن بحسب المسلم أن يعلمَ أن اللَّه افترض عليه عداوةَ المشركين، وعدم موالاتهم، وأوجب عليه محبة المؤمنين وموالاتَهم، وأخبر أن ذلك من شروط الإيمان، ونفىٰ الإيمان عمن يوادُّ من حادَّ اللَّه ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم[٣].

وأما كون ذلك من معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه» أو لوازمها، فلم يكلِّفْنا اللَّه بالبحث عن ذلك، وإنما كلَّفَنا بمعرفة أن اللَّه فرض ذلك وأوجبه، وأوجب العملَ به، فهذا هو الفرضُ والحتم الذي لا شك فيه، ومن عرف أن ذلك من معناها أو من لوازمها فهو حسنٌ وزيادةُ خير، ومن لم يعرفه فلم يكلَّف بمعرفته، لا سيما إذا كان الجدالُ والمنازعة فيه مما يُفضي إلىٰ شرٍّ واختلاف، ووقوع فرقةٍ بين المؤمنين الذين قاموا بواجبات الإيمان، وجاهدوا في اللَّه، وعادَوا المشركين ووالَوا المسلمين؛ فالسكوت عن ذلك متعيِّن، وهذا ما

(١) رواه البخاري (٦١٠٥)، من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.
(٢) في المطبوع: «ما»، والأدق ـ إن شاء اللَّه ـ ما أثبتُّه.
(٣) كما في الآية الأخيرة من سورة «المجادلة».

ظهر لي؛ على أن الاختلاف قريبٌ من جهة المعنىٰ.

واللَّه تعالىٰ أعلم. وللَّه الحمد والمنة.

وصلىٰ اللَّه علىٰ محمد وآله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا[1].



(١) تكررت في بعض المطبوعات ـ بعد هذه الرسالة ـ رسالة «القواعد الأربعة»، للإمام محمد بن عبدالوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد قمت بحذفها اكتفاءً بموضعها السابق. وقد ذكرتُ هذا في المقدمة.

[٢٥]

معنى كلمة التوحيد، وتضمنها الكفر بما يعبد من دون الله

للشيخ

عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل العالم العلامة الشيخ عبداللَّه بن عبدالرَّحمٰن؛ المعروف بـ«أبا بطين» رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ - عن معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه»، وعمن قالها، ولم يكفر بما يُعبد من دون اللَّه، وهل من قالها ودعا نبيًّا أو وليًّا؛ هل تنفعه؟ أو هو مباح الدم والمال ولو قالها؟

أجاب - رحمه اللَّه تعالىٰ وعفا عنه -: معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه» عند جميع أهل اللغة وعلماء التفسير والفقهاء؛ كلهم يفسِّرون «الإلٰه» بالمعبود، و«التألُّه»: التعبُّد.

وأما «العبادة»: فعرَّفها بعضهم بأنه ما أُمر به شرعًا، من غير اطرادٍ عرفي، ولا اقتضاءٍ عقلي[1].

والمأثور عن السلف: تفسير العبادة بالطاعة؛ فيدخل في ذلك فِعلُ المأمور وتركُ المحظور؛ من واجبٍ ومندوب، وترك المنهي عنه من محرَّم ومكروه، فمن جعل نوعًا من أنواع العبادة لغير اللَّه

(١) **الاطراد العرفي**: ما تتابع الناسُ علىٰ فِعله أو تركه؛ حتىٰ صار عرفًا لهم.
الاقتضاء العقلي: هو ما يلزم بدلالة العقل فِعلُه أو تَركُه؛ كاجتناب ما يُخشىٰ ضرره.
والمقصود من هذا التعريف: أن العبادة مبنيةٌ علىٰ الأمر فقط، لا يُنظر فيها إلىٰ عرف الناس، ولا إلىٰ عقولهم، ولا كون العرف يطَّرد في هذا أو يكون جائزًا، أو أن العقل يقتضيه، فلا دخل للعبادة في ذلك.
وهذا التعريف المثبت أعلاه للعباده هو تعريف الأصوليين.

كالدعاء والسجود والذبح والنذر وغير ذلك= فهو مشرك.

و«لا إلٰه إلا اللَّه» متضمنةٌ للكفر بما يُعبد من دونه؛ لأن معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه» إثباتُ العبادة للَّه وحده، والبراءة من كلِّ معبودٍ سواه، وهذا معنىٰ الكفر بما يُعبد من دونه؛ لأن معنىٰ الكفر بما يُعبد من دونه: البراءة منه، واعتقاد بطلانه؛ وهذا معنىٰ «الكفر بالطاغوت» في قول اللَّه تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والطاغوت: اسمٌ لكل معبود سوىٰ اللَّه؛ كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**من قال: لا إلٰه إلا اللَّه، وكفر بما يعبد من دون اللَّه= حرم ماله ودمه، وحسابه علىٰ اللَّه**»[(١)].

فقوله: «**وكفر بما يُعبد من دون اللَّه**»: فالظاهر أن هذا زيادة إيضاح؛ لأن «لا إلٰه إلا اللَّه» متضمنةٌ الكفرَ بما يعبد من دون اللَّه، ومن قال «لا إلٰه إلا اللَّه»، ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر ـ كدعاء الموتىٰ والغائبين، وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، والتقرب إليهم بالنذور والذبائح= فهذا مشركٌ ـ شاء أم أبىٰ ـ، واللَّهُ لا يغفر أن يشرك به، و﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

و[هو] مع هذا الفعل مشرك، ومن فعله فهو كافر.

ولكن علىٰ ما قال الشيخ لا يقال: «فلان كافر»؛ حتىٰ يبيَّن له ما جاء به الرسول ﷺ، فإن أصرَّ بعد البيان حُكم بكفره، وحلَّ دمه وماله.

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، أي: شركٌ، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، فإذا كان في بلدٍ وثنٌ يعبد من دون اللَّه= قوتلوا لأجل هذا الوثن، أي: لإزالته وهدمه وترك الشرك؛ حتىٰ يكون الدينُ كلُّه للَّه.

والدعاء دين، سماه اللَّه دينًا؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، أي: الدعاء.

وقال ﷺ: «**بُعثتُ بالسَّيف بين يدي الساعة حتىٰ يعبد اللَّهُ وحده لا شريك له**»(١)، فمتىٰ كان شيءٌ من العبادة مصروفًا لغير اللَّه، فالسيف مسلول علىٰ ذلك.

واللَّهُ أعلىٰ، وصلىٰ اللَّه علىٰ محمد، وآله وصحبه وسلَّم.



(١) حسن: وقد تقدم.

[٢٦]

رسالة في معنى كلمة التوحيد

للشيخ

عبداللَّه بن عبدالرَّحمٰن أبا بطين

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل بعض الإخوان الشيخَ عبداللَّه بن عبدالرَّحمٰن أبا بطين ـ رحمةُ اللَّه تعالىٰ علينا وعليه ـ عن معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه»، وما تنفي وما تثبت.

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: وما سألتَ عنه من معنىٰ «لا إلٰه إله اللَّه»، وما تُثبت وما تنفي:

فأول واجب علىٰ الإنسان معرفة معنىٰ هذه الكلمة.

قال اللَّه تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقال: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾، أي: بـ«لا إلٰه إلا اللَّه» ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [الزخرف]، بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، فأفرضُ الفرائض معرفةُ معنىٰ هذه الكلمة، ثم التلفظ بمقتضاها، فالإلٰه هو المعبود، والتألُّه التعبُّد. [و]لا معبود إلا اللَّه؛ [فهذه الآية] نفت الإلٰهيَّة عمن سوىٰ اللَّه، وأثبتتها للَّه تعالىٰ وحده.

فإذا عرفت أن الإلٰه هو المعبود، والإلٰهيَّة هي العبادة، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبُّه اللَّه تعالىٰ ويرضاه من الأقوال والأفعال= فالإلٰه هو المعبود المطاع، فمن جعل شيئًا من العبادة لغير اللَّه فهو مشرك، وذلك كالسجود والدعاء والذبح والنذر، وكذلك التوكل والخوف والرجاء، وغير ذلك من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة.

وإفراد اللَّه سبحانه بالعبادة، ونفيها عمن سواه= هو حقيقة التوحيد، وهو معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه»؛ فمن قال: «لا إلٰه إلا اللَّه»

بصدق ويقين أخرجت من قلبه كل ما سوىٰ اللَّه محبةً وتعظيمًا، وإجلالًا ومهابةً، وخشيةً وتوكُّلًا؛ فلا يصير في قلبه محبةٌ لما يكرهه اللَّه، ولا كراهةٌ لما يحبُّه؛ وهذا حقيقة الإخلاص الذي قال فيه ﷺ: «**من قال: لا إلٰه إلا اللَّه مخلصًا من قبله دخل الجنة، أو حرم اللَّه عليه النار**»(١).

◻ قيل للحسن البصري: «إن ناسًا يقولون: من قال: لا إلٰه إلَّا اللَّه دخل الجنة! فقال: من قال: لا إلٰه إلا اللَّه، فأدىٰ حقها وفرضها...» إلخ.

وغالب من يقول: «لا إلٰه إلا اللَّه» إنما يقولوها تقليدًا، ولم يخالط الإيمانُ بشاشة قلبه، فلا يعرف الإخلاص فيها، ومن لا يعرف ذلك يُخشىٰ عليه أن يُصرف عنها عند الموت. وفي غالب من يفتن بالقبور(٢) أمثالُ هؤلاء، كما في الحديث: «**سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلتُه**»(٣).

نسأل اللَّه أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وفي الآخرة.

واللَّهُ أعلم، وصلىٰ اللَّه علىٰ محمدٍ وآله وصحبه وسلم.



---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) في المطبوع: «القبور»، والأصح ـ إن شاء اللَّه ـ ما أثبتُّه.

(٣) رواه البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥)، من حديث أمنا عائشة ﵂.

[٢٧]

تعريف العبادة، وتوحيد العبادة

للشيخ

عبداللَّه بن عبدالرَّحمٰن أبا بطين

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال: ما قولكم ـ دام فضلكم ـ في:

١ ـ تعريف العبادة.

٢ ـ وتعريف توحيد العبادة، وأنواعه.

٣ ـ وتعريف الإخلاص.

٤ ـ وما بين الثلاثة من العموم والخصوص، وهل هو مطلقٌ أو وجهي[1].

٥ ـ وما معنىٰ «الإلٰه»؟

٦ ـ وما معنىٰ «الطاغوت» الذي أُمرنا باجتنابه والكفر به؟

فأجاب الشيخ العالم عبداللَّه بن عبدالرَّحمٰن المعروف بـ«أبا بطين» بهذا الجواب:

---

(١) يأتي بيان المقصود ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه رب العالمين.

١ ـ **أما العبادة في اللغة:** فهي من الذُّلِّ؛ يقال: بعيرٌ معبَّدٌ: أي مذلَّل، وطريقٌ معبَّد: إذا كان مذلَّلًا قد وطِئَتْه الأقدام. وكذلك الدِّين ـ أيضًا ـ من الذل؛ يقال: دنته فدان: أي أذللتُه فذلَّ.

٢ ـ **وأما تعريفها في الشرع:** فقد اختلفت عباراتهم(١) في تعريفها، والمعنىٰ واحد.

ـ فعرفها طائفة بقولهم: هي ما أُمر به شرعًا من غير اطرادٍ عُرفي، ولا اقتضاءٍ عقلي(٢).

ـ وعرفها طائفة: بأنها كمالُ الحب مع كمال الخضوع.

▫ وقال أبو العباس(٣) رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه اللَّه ويرضاه؛ من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة؛ فالصلاةُ، والزكاة، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والأمرُ بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين، والإحسان إلىٰ الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاءُ، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك= من العبادة، وكذلك حبُّ اللَّه ورسوله،

---

(١) يعني أهل العلم.

(٢) راجع ص(٤٥٧).

(٣) يعني الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وخشية اللَّه، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبرُ لحكمه، والشكر لنِعَمِه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك، فالدين كله داخلٌ في العبادة» انتهىٰ.

ومن عرَّفها بالحب مع الخضوع؛ فلأن الحبَّ التام مع الذل التام يتضمن طاعةَ المحبوب والانقياد له، فالعبدُ هو الذي ذلَّلَهُ الحبُّ والخضوعُ لمحبوبه؛ فبحسب محبة العبد لربه وذلِّه له تكون طاعته، فمحبةُ العبد لربه وذلُّه له يتضمن عبادته وحده لا شريك له، والعبادة المأمور بها تتضمن معنىٰ الذلِّ ومعنىٰ الحب؛ فهي تتضمن غاية الذل للَّه بغاية المحبة له.

▫ كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

لـيس الـعـبـادةُ غيـرَ توحـيـد ... ـهِ مع خضوعِ القلب والأركانِ

والحبُّ نفسُ وِفاقِهِ فيما يحبُّـ ... ـه وبغضُ ما لا يَرتضي بجَنانِ

ووفـاقُـه نفسُ اتبـاعِـك أمـرَه ... والقصدُ وجهُ اللَّه ذي الإحسانِ

فعرَّف العبادة بتوحيد المحبة مع خضوع القلب والجوارح؛ فمن أحب شيئًا وخضع له فقد تعبَّد قلبُه له؛ فلا تكون المحبةُ المنفردة عن الخضوع عبادة، ولا الخضوعُ بلا محبة عبادة، فالمحبة والخضوع ركنان للعبادة، فلا يكون أحدهما عبادةً بدون الآخر، فمن خضع لإنسانٍ مع بُغضه له لم يكن عابدًا له، ولو أحب شيئًا ولم يخضع له لم يكن عابدًا له، كما يحبُّ ولدَه وصديقه؛ ولهذا لا يكفي أحدُهما في عبادة اللَّه تعالىٰ؛ بل يجب أن يكون اللَّهُ أحبَّ إلىٰ العبد من كل شيء، وأن يكون أعظمَ عنده من كل شيء؛ بل لا يَستحقُّ المحبةَ

الكاملةَ والذلَّ التام إلا اللَّه سبحانه.

إذا عُرف ذلك:

٣ ـ **فتوحيد العبادة:** هو إفراد اللَّه سبحانه بأنواع العبادة المتقدمِ تعريفُها، وهو نفس العبادة المطلوبة شرعًا؛ ليس أحدهما دون الآخر.

▫ ولهذا قال ابن عباس: «كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد».

وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبىٰ عن الإقرار به المشركون.

وإما العبادة من حيث هي؛ فهي أعمُّ من كونها توحيدًا عمومًا مطلقًا، فكل موحِّدٍ عابدٌ اللَّه، وليس كل مَن عبد اللَّه يكون موحِّدًا؛ ولهذا يقال عن المشرك: إنه يعبد اللَّه مع كونه مشركًا.

كما قال الخليل ﷺ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء].

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف].

فاستثنىٰ الخليلُ ربَّه من معبوديهم؛ فدلَّ أنهم يعبدون اللَّه سبحانه.

فإن قيل: ما معنىٰ النفي في قوله سبحانه: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾﴾ [الكافرون]؟

قيل: إنما نفىٰ عنهم الاسم الدال علىٰ الوصف والثبوت، ولم ينفِ وجود الفعل الدال علىٰ الحدوثِ والتجدد[1].

---

(١) أي: نفىٰ اللَّه تعالىٰ كونهم عابدين العبوديةَ التامة الدائمة، ولم ينف =

وقد نبَّه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ علىٰ هذا المعنىٰ اللطيف في «بدائع الفوائد»:

▫ فقال ـ لما انجز كلامَه علىٰ سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ـ: «وأما المسألة الرابعة: وهو أنه لم يأت النفيُ في حقهم إلا باسم الفاعل[1]، وفي جهته [ﷺ] جاء بالفعل المستقبَل تارةً[2]، وباسم الفاعل أخرىٰ[3]، وذلك ـ واللَّه أعلم ـ لحكمةٍ بديعة؛ وهي أن المقصود الأعظم براءتُه [ﷺ] من معبوديهم بكل وجهٍ وفي كل وقت، فأتىٰ أولًا بصيغة الفعل الدالة علىٰ الحدوث والتجدُّد، ثم أتىٰ ـ في هذا النفي بعينِه ـ بصيغة اسم الفاعل الدالة علىٰ الوصف والثبوت، فأفاد في النفي الأول أن هذا لا يقع مني، وأفاد في الثاني أن هذا ليس وصفي ولا شأني؛ فكأنه قال: «عبادة غير اللَّه لا تكون فِعلًا لي ولا وصفًا»؛ فأتىٰ بنفيينِ لمنفيَّينِ مقصودين بالنفي، وأما في حقهم فإنما أتىٰ بالاسم الدال علىٰ الوصف والثبوت دون الفعل، أي: الوصفُ الثابتُ اللازمُ للعابد للَّه منتفٍ عنكم، فليس هذا الوصفُ ثابتًا لكم، وإنما يثبت لمن خَصَّ اللَّهَ وحدَه بالعبادة لم يُشرك معه فيها أحدًا، وأنتم لمَّا عبدتم غيره فلستم من عابديه ـ وإن عبدتموه في بعض الأحيان ـ؛ فإن المشرك يعبد اللَّه، ويعبد معه غيره، كما قال أهل الكهف: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦]، أي: اعتزلتم معبوديهم إلا اللَّه؛ فإنكم لم تعتزلوه. وكذا قول المشركين

= أنهم يعبدونه أحيانًا.

(١) أي: ﴿عَٰبِدُونَ﴾.

(٢) أي: ﴿أَعْبُدُ﴾.

(٣) أي: ﴿عَابِدٌ﴾.

عن معبوديهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]؛ فهم كانوا يعبدون اللَّه، ويعبدون معه غيره؛ لم يَنفِ عنهم الفعل لوقوعه منهم، ونفىٰ الوصف لأن مَن عَبَدَ غير اللَّه [معه] لم يكن ثابتًا علىٰ عبادةِ اللَّه موصوفًا بها.

فتأمل هذه النكتةَ البديعة؛ كيف تجد في طيِّها أنه لا يوصف بأنه عابدٌ للَّه ـ وإنْ عَبَدَه ـ، ولا المستقيمُ علىٰ عبادته: إلا من انقطع إليه بكليته، وتبتَّل إليه تبتيلًا[1]، لم يلتفت إلىٰ غيره، ولم يُشرك به أحدًا في عبادته، وأنه إن عَبَده وأشرك به غيره فليس عابدًا للَّه، ولا عبدًا له.

وهذا من أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة، التي هي أحد سورتي الإخلاص التي تعدل رُبعَ القرآن ـ كما جاء في بعض السنن[2] ـ، وهذا لا يفهمه كل أحد، ولا يدركه إلا من منحه اللَّه فهمًا من عنده؛ فله الحمد والمنة». انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

٤ ـ **وأما الإخلاص:** فحقيقته أن يُخلص العبدُ للَّه في أقواله وأفعاله، وإرادته ونيته، وهذه هي الحنيفيةُ ملةُ إبراهيم ﷺ، التي أمر اللَّهُ بها عبادَه كلَّهم، ولا يَقبل من أحدٍ غيرها، وهي حقيقة الإسلام؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران]، وهي ملةُ إبراهيم التي مَن رَغِب عنها فهو

---

(١) **التبتُّل**: الانقطاع ـ أيضًا ـ.

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (٣/١٤٦)، والترمذي (٢٨٩٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٥١٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/٢٤٣)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٦٤٨)، **وضعَّفه** الإمام الترمذي، والشيخ الألباني ثَمَّ، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٩/٤٧٢).

من أسفه السفهاء، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقد تظاهرت دلائلُ الكتاب والسنة وإجماعُ الأمة علىٰ اشتراط الإخلاص للأعمال والأقوال الدينية، وأن اللَّه لا يَقبل منها إلا ما كان خالصًا وابتُغي به وجهُه؛ ولهذا كان السلف الصالح يجتهدون غاية الاجتهاد في تصحيح نياتهم، ويرون الإخلاص أعزَّ الأشياء، وأشقَّها علىٰ النفس؛ وذلك لمعرفتهم باللَّه، وما يجب له، وبعلل الأعمال وآفاتها، ولا يُهمُّهم العملُ لسهولته عليهم، وإنما يُهمُّهم سلامة العمل، وخلوصُه من الشوائب المُبطِلة لثوابه، أو المُنقِصة له.

- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمر النية شديد».
- وقال سفيانُ الثوري: «ما عالجتُ شيئًا أشدَّ عليَّ من نيَّتي؛ لأنها تتقلَّبُ عليَّ».
- وقال يوسف بن أسباط: «تخليصُ النية من فسادها أشدُّ علىٰ العاملين من طول الاجتهاد».
- وقال سهلُ بن عبداللَّه: «ليس علىٰ النفس شيءٌ أشقُّ من الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب».
- وقال يوسف بن الحسين: «أعزُّ شيءٍ في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، وكأنه ينبُت فيه علىٰ لونٍ آخر».

فيجب علىٰ من نصح نفسه أن يكون اهتمامُه بتصحيح نيته وتخليصها من الشوائب فوقَ اهتمامه بكل شيء؛ لأن «**الأعمال بالنيات، ولكل امرئٍ ما نَوىٰ**»[(١)].

(١) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧)، من حديث الفاروق عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٥ ـ وأما ما بين الثلاثة من العموم والخصوص، وهل هو وجهي أو مطلق:

فقد قدمنا أن العبادة من حيث هي أعمُّ من توحيد العبادة عمومًا مطلقًا، وأن العبادة المطلوبة شرعًا هي نفس توحيد العبادة.

ودلَّ كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن توحيد العبادة أعمُّ من الإخلاص.

▫ حيث قال:

فلواحدٍ كن واحدًا في واحدٍ	أعني سبيلَ الحقِّ والإيمانِ
هذا وثاني نوعَيِ التوحيد تو	حيدُ العبادةِ منك للرحمٰن
أن لا تكون لغيره عبدًا ولا	تَعبُدْ بغير شريعةِ الإيمانِ
فتقوم بالإخلاص والإيمان وال	إحسان في سرٍّ وفي إعلانِ
والصدقُ والإخلاص ركنا ذلك التـ	ـوحيد كالركنين للبنيانِ

▫ إلىٰ أن قال:

وحقيقةُ الإخلاص توحيد المرا	دِ فلا يزاحمُه مرادٌ ثانِ
والصدقُ توحيد الإرادة وهو بذ	لُ الجهدِ لا كسِلًا ولا متوانِ
والسُّنَّة المثلىٰ لسالكها فتو	حيد الطريقِ الأعظم السلطانِ

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصدق والإخلاص ركنا ذلك التوحيد»: جعل الإخلاص أحد ركني العبادة، والصدق ركنه الآخر، وفَسَّر الصدق بما ذكر.

▫ وقال في بعض كلامه: «ومقام الصدق جامعٌ للإخلاص».

فعرَّفَنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن توحيد العبادة أعمُّ من الإخلاص، ولم يذكر إلا عمومًا مطلقًا.

وأما العموم الوجهي: فالظاهر أن المراد به: إذا كان أحد الشيئين أعمَّ من وجهٍ، وأخصَّ من وجهٍ، والعموم الذي بين مطلق العبادة وتوحيد العبادة والإخلاص: مطلقٌ لا وجهي.

٦ ـ وأما الإله: فهو الذي تألهُه القلوب بالمحبة، والخضوع والخوف والرجاء، وتوابع ذلك من الرغبة والرهبة، والتوكل والاستغاثة والدعاء، والذبح والنذر والسجود، وجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة؛ فهو إلٰهٌ بمعنىٰ مألوه ـ أي معبود ـ، وأجمع أهلُ اللغة أن هذا معنىٰ الإلٰه.

▫ قال الجَوْهري: «أَلَه ـ بالفتح ـ إلٰهةً، أي: عبد عبادةً. قال: ومنه قولنا: اللَّه، وأصله إلٰه علىٰ فِعال بمعنىٰ مفعول، لأنه مألوهٌ بمعنىٰ معبود، كقولنا: «إمامٌ» فِعال بمعنىٰ مفعول؛ لأنه مؤتمٌّ به. قال: والتأليه: التعبيد، والتأله: التنسُّك والتعبد. قال رؤبة: سَبَّحْنَ واسترجعنَ من تألُّهي[1]». انتهىٰ.

▫ وقال في «القاموس»: «أَلَه إلٰهَةً وأُلوهةً: عبد عبادةً، ومنه لفظ الجلالة. واختُلف فيه علىٰ عشرين قولًا ـ يعني في لفظ الجلالة ـ. قال: وأصله إلٰه بمعنىٰ مألوه، وكلُّ ما اتُّخذ معبودًا أُلِهَ عند مُتَّخِذِه، قال: والتألُّه: التنسُّك والتعبد». انتهىٰ.

وجميع العلماء ـ من المفسرين وشرَّاح الحديث والفقه وغيرهم ـ يفسرون الإلٰه بأنه «المعبود»، وإنما غَلِط في ذلك بعض أئمة المتكلمين؛ فظن أن الإلٰه هو «القادر علىٰ الاختراع»! وهذه زلةٌ

---

(١) عجُز بيت شعر، وتمامه:

لـلَّهِ درُّ الـغـانـيـات الـمُـدَّهِ   سبَّحْنَ واسترْجَعْنَ من تألُّهي

عظيمة، وغلطٌ فاحش، إذا تصوَّره العاميُّ العاقلُ تبيَّن له بطلانُه، وكأن هذا القائلَ لم يستحضر ما حكاه اللَّه عن المشركين في مواضع من كتابه، ولم يَعلم أن مشركي العرب وغيرهم يقرُّون بأن اللَّه هو القادر علىٰ الاختراع، وهم مع ذلك مشركون.

ومن أبعد الأشياء: أن عاقلًا يمتنع من التلفظ بكلمةٍ يُقرُّ بمعناها، ويعترف به ليلًا ونهارًا سرًّا وجهارًا؛ هذا ما لا يفعلُه من له أدنىٰ مُسكةٍ من عقل.

▫ قال أبو العباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «وليس المراد بالإلٰه هو القادر علىٰ الاختراع ـ كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين ـ؛ حيث ظن أن الألوهية هي القدرة علىٰ الاختراع، وأن من أقرَّ بأن اللَّه هو القادر علىٰ الاختراع دون غيره فقد شهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه؛ فإن المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ الآيات [المؤمنون].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «تسألهم: من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: اللَّه، وهم مع هذا يعبدون غيره!».

وهذا التوحيد[1] من التوحيد الواجب؛ لكن لا يحصلُ به الواجب، ولا يُخلَصُ بمجرده عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر؛ الذي لا

(١) يعني توحيد الربوبية.

يغفره اللَّه؛ بل لابد أن يُخلِصَ للَّه الدين؛ فلا يَعبد إلا إياه؛ فيكون دينُه للَّه، والإلٰه: هو المألوه الذي تألهُه القلوب، فهو إلٰهٌ بمعنىٰ مألوه[(١)]» انتهىٰ.

وقد دل صريحُ القرآن علىٰ معنىٰ الإلٰه، وأنه هو المعبود؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف].

- قال المفسرون: «[الكلمة]: هي كلمة الوحيد: لا إلٰه إلا اللَّه؛ ﴿بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ أي: ذريته». انتهىٰ.
- قال قتادة: «لا يزال في ذريَّته من يعبد اللَّه ويوحِّده».

والمعنىٰ: جَعَل هذه الموالاةَ والبراءةَ من كل معبودٍ سواه كلمةً باقيةً في ذرية إبراهيم؛ يتوارثها الأنبياءُ وأتباعُهم بعضُهم عن بعض، وهي كلمة «لا إلٰه إلا اللَّه».

فتبيَّن أن موالاة اللَّه بعبادته والبراءة من كل معبود سواه هو معنىٰ: «لا إلٰه إلا اللَّه».

إذا تبين ذلك؛ فمن صرف لغير اللَّه شيئًا من أنواع العبادة المتقدم تعريفها ـ كالحب والتعظيم، والخوف والرجاء، والدعاء والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك ـ؛ فقد عَبَد ذلك الغيرَ، واتخذه إلٰهًا، وأشركه مع اللَّه في خالص حقه، وإن فرَّ من تسمية فعله ذلك:

---

(١) ورد في المطبوعات بعد ذلك عبارة: «لا بمعنىٰ إلٰه»، ولا أدري ما وجهها، وهذا النص عن شيخ الإسلام ابن تيمية ثابتٌ في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٣٨٧)، وقد انتهىٰ عند قوله: «تألهه القلوب». فاللَّهُ تعالىٰ أعلم.

تألُّهًا وعبادةً وشركًا.

ومعلومٌ عند كل عاقلٍ أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغيُّر أسمائها، فلو سُمي الزنا والربا والخمر بغير أسمائها، لم يُخرجها تغييرُ الاسم عن كونها زنًا وربًا وخمرًا ونحو ذلك، ومن المعلوم أن الشرك إنما حرُم لقبحه في نفسه، وكونه متضمنًا مسبَّةَ الرب، وتنقُّصَه، وتشبيهَه بالمخلوقين[1]؛ فلا تزول هذه المفاسد بتغيير اسمه؛ كتسميته: «توسلًا، وتشفُّعًا، وتعظيمًا للصالحين، وتوقيرًا لهم»، ونحو ذلك، فالمشرك مشركٌ شاء أم أبىٰ، كما أن الزاني زانٍ شاء أم أبىٰ، والمرابي مرابٍ شاء أم أبىٰ.

وقد أخبر النبيُّ ﷺ أن طائفةً من أمَّته يستحلُّون الربا باسم البيع[2]، ويستحلون الخمر باسمٍ آخَرَ غيرِ اسمها[3]، وذمَّهم علىٰ ذلك، فلو كان الحكمُ دائرًا مع الاسم ـ لا مع الحقيقة ـ لم يستحقَّ

(١) راجع ما ذكرتُه عن «التشبيه» و«التمثيل» ص(٣٧٨).

(٢) ضعيف: رواه الخطابي في «غريب الحديث» (٢١٨/١)، **وإسناده ضعيف لإعضاله** كما بيَّن الشيخ مشهور آل سلمان في تحقيق «إعلام الموقعين» (٥٢٩/٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٣٧/٤)، والنسائي (٥٦٥٨)، وفي «الكبرىٰ» (٥١٤٨)، والطيالسي (٥٨٧)، وأبو نُعيم في «المعرفة» (٧٨٩)، من حديث رجلٍ من الصحابة رضي الله عنه. **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند النَّسائي، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٩٦/١٥).
وفي الباب عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه. فانظره في «المسند» (٥٣٤/٣٧)، و«سنن أبي داود» (٥٣٠/٥)، كلاهما طبع مؤسسة الرسالة. وكذا: «إعلام الموقعين» (٥٢٧/٤ ـ ط: دار ابن الجوزي).

الذم، وهذه من أعظم مكائد الشيطان لبني آدم قديمًا وحديثًا؛ أخرج لهم الشركَ في قالب: «تعظيم الصالحين وتوقيرهم»، وغيَّر اسمه بتسميته إياه توسلًا وتشفعًا، ونحو ذلك. واللَّه الهادي إلىٰ سواء السبيل.

٦ ـ **وأما تعريف الطاغوت**[١]: فهو مشتقٌّ من: طغا، وتقديره: طَغوت، ثم قلبت الواو ألفًا. قال النحويون: وزنه فَعْلوت، والتاء زائدة.

▫ قال الواحدي: «قال جميع أهل اللغة: الطاغوت كلُّ ما عُبد من دون اللَّه؛ يكون واحدًا، وجمعًا، ويذكَّر ويؤنث:

قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠]؛ فهذا في الواحد.

وقال تعالىٰ في الجمع: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ[٢] يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال في المؤنث: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧]».

▫ قال: «ومثله في الأسماء[٣]: الفُلْك؛ يكون واحدًا، وجمعًا، مذكرًا، ومؤنثًا».

▫ قال: «قال الليث وأبو عُبيدة والكِسائي وجماهير أهل اللغة: الطاغوت كل ما عُبد من دون اللَّه. وقال الجوهري: الطاغوت: الكاهن، والشيطان، وكلُّ رأسٍ في الضلال».

▫ وقال مالكٌ وغير واحد من السلف والخلف: «كل ما عُبد من

---

(١) راجع: «رسالة في معنىٰ الطاغوت» (٢٧٧).
(٢) يعني الطواغيت.
(٣) في المطبوع: «أسماء». ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

دون اللَّه فهو طاغوت[١]».

▫ وقال عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما وكثيرٌ من المفسرين: «الطاغوت: الشيطان».

▫ قال ابن كثير: «وهو قول قويٌّ جدًّا؛ فإنه يشملُ كلَّ ما عليه أهلُ الجاهلية من عبادة الأوثان، والتحاكم إليها، والاستنصار بها».

▫ وقال الواحدي ـ عند قول اللَّه تعالىٰ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] ـ: «كل معبودٍ من دون اللَّه فهو جبتٌ وطاغوت».

▫ قال ابن عباس في رواية عطية: «الجِبْت: الأصنام، والطاغوت تراجمةُ الأصنام، الذين يكونون بين أيديهم يُعبِّرون عنها الكذبَ ليضلُّوا الناس».

▫ وقال في رواية الوالبي: «الجبت: الكاهن، والطاغوت: الساحر».

▫ وقال بعض السلف في قوله سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]: «إنه كعبُ بن الأشرف».

▫ وقال بعضهم: «حُيَيُّ بن أخطب».

وإنما استحقا هذا الاسمَ لكونهما من رؤوس الضلال، ولإفراطهما في الطغيان، وإغوائهما الناس، ولطاعة اليهود لهما في معصية اللَّه؛ فكل من كان بهذه الصفة هو طاغوت.

▫ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ [في قوله عز وجل]: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ﴾ ـ لمَّا ذَكَر ما قيل: إنها نزلت فيمن طلب التحاكم إلىٰ كعب

---

(١) هذا إذا كان باختياره أو رضاه.

ابن الأشرف أو إلىٰ حُكَّام الجاهلية وغير ذلك[١] ـ، قال: «والآيةُ أعمُّ من ذلك كله؛ فإنها ذامةٌ لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلىٰ ما سواهما من الباطل؛ وهو المراد بالطاغوت هاهنا».

فتحصَّلَ من مجموع كلامهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: أن اسم «الطاغوت» يشمل:

- كلَّ معبود من دون اللَّه، وكل رأس في الضلال يدعو إلىٰ الباطل ويحسِّنه.

- ويشمل ـ أيضًا ـ: كلَّ مَن نصَّبه الناسُ للحُكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم اللَّه ورسوله.

- ويشمل ـ أيضًا ـ: الكاهن، والساحر، وسدنةَ الأوثان[٢]، إلىٰ عبادة المقبورين وغيرهم بما يَكذِبون من الحكاياتِ المُضلِّلة للجهال المُوهمة أن المقبور ونحوه يقضي حاجةَ مَن توجَّه إليه وقَصَده، وأنه فعل كذا وكذا ـ مما هو كذب، أو مِن فعل الشياطين ـ؛ ليوهموا الناس أن المقبور ونحوه يقضي حاجةَ مَن قصده، فيوقعهم في الشرك الأكبر وتوابعه.

وأصل هذه الأنواع كلها، وأعظمُها: الشيطان؛ فهو الطاغوت الأكبر. واللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم.

هذا ما جمعه الشيخ عبداللَّه بن عبدالرَّحمٰن المعروف بـ«أبا بطين» شكر اللَّه سعيه، آمين.



(١) موضوع: وقد تقدم.
(٢) السَّدَنة: الخُدَّام.

[٢٨]

الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة

للشيخ

عبدالله بن محمد بن عبدالوهَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الإسلام الشيخ عبداللَّه بن الشيخ محمد بن عبدالوهَّاب ـ أسكنهما اللَّه الفردوس الأعلىٰ ـ:

الحمد للَّه نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد ألَّا إله إلا اللَّه، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي بعثه رحمةً للعالمين، وحجةً علىٰ المعاندين، الذي أكمل اللَّه به الدين، وختم به الأنبياء والمرسلين، صلىٰ اللَّه عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فهذه فصولٌ وكلماتٌ نقلتها من كلام العلماء المجتهدين أصحاب الأئمة الأربعة ـ الذين هم أئمة أهل السنة والدين ـ في بيان بعض الأفعال والأقوال المكفرة للمسلم، المخرجة له من الدين، وأن تلفُّظَه بالشهادتين، وانتسابه إلىٰ الإسلام، وعمله ببعض شرائع الدين= لا يمنع من تكفيره وقتله وإلحاقه بالمرتدين.

والسبب الحامل علىٰ ذلك: أن بعض من ينتسب إلىٰ العلم والفقه ـ من أهل هذا الزمان ـ غلط في ذلك غلطًا فاحشًا قبيحًا، وأنكر علىٰ من أفتىٰ به من أهل العلم والدين إنكارًا شنيعًا؛ ولم يكن لهم بإنكار ذلك مستندٌ صحيح، لا من كلام اللَّه، ولا من كلام رسوله، ولا من كلام أئمة العلم والدين، إلا أنه خلاف عاداتهم وأسلافهم؛

عياذًا باللَّه من الجهل والخذلان والتعصب.

وأذكر من ذلك ما مسَّت إليه الحاجة، وغَلِطَ فيه من غَلِط، من المنسوبين إلىٰ العلم في هذا الزمان، الذين غلبت عليهم الشقاوة والجهل والتعصب والخذلان، لِما جُبلوا عليه من مخالفة الكتاب والسنة، وعمل السلف والأئمة المهديين، وحب الرياسة وشهوات الدنيا، والطمع فيما في أيدي الناس، والفسقة المعاندين؛ نسأل اللَّه أن يوفقنا لما يرضاه من العمل، ويجنبنا لما يسخطه من الزلل، إنه لا يخيِّبُ مَن رجاه، ولا يرد سؤال من دعاه.

فنقول ـ وباللَّه التوفيق ـ: اعلم أن هذه المسائل من أهم ما ينبغي للمؤمن الاعتناءُ بها؛ لئلا يقع في شيء منها وهو لا يشعر، وليتبين له الإسلام والكفر، حتىٰ يتبين له الخطأ من الصواب، ويكون علىٰ بصيرةٍ في دين اللَّه، ولا يغترَّ بأهل الجهل والارتياب؛ وإن كانوا هم الأكثرين عددًا، فهم الأقلون عند اللَّه وعند رسوله والمؤمنين قدرًا.

وقد اعتنىٰ العلماء رضي الله عنهم بذلك في كتبهم، وبوَّبوا لذلك في كتب الفقه في كل مذهب من المذاهب الأربعة، وهو: «باب حكم المرتد»، وهو: المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، وذكروا أنواعًا كثيرة، كل نوع منها يَكفُر به المسلم، ويبيح دمه وماله.

وسأذكر ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ من ذلك ما يكفي ويشفي لمن هداه اللَّه، وألهمه رشده، وأجعل كلام كل طائفة من أتباع الأئمة الأربعة ـ أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد ـ علىٰ حدة، ليسهل ذلك علىٰ من أراد الاطلاع عليه. ونبدأ بكلام في الشرك

الأكبر، وتكفيرهم لأهله حين وقع في زمانهم من بعض المنتسبين إلىٰ الإسلام والسنة؛ لأنه هو المهم؛ فنقول:

■ **أما كلام الشافعية:**

▫ فقال ابن حجر في كتاب «الزواجر عن اقتراف الكبائر»: «الكبيرة الأولىٰ: الكفر والشرك ـ أعاذنا اللَّه منه ـ، ولما كان الكفر أعظم الذنوب كان أحق أن يبسط الكلام عليه، وعلىٰ أحكامه.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة].

وفي الصحيح: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك باللَّه، وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس، فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**». فما زال يكررها حتىٰ قلنا: ليته سكت[(١)]».

ثم ذكر أحاديث كثيرة.

▫ ثم قال: «تنبيهات، منها: بيان الشرك...» ـ وذكر جملةً من أنواعه ـ «لكثرة وقوعها في الناس، وعلىٰ ألسنة العامة، من غير أن يعلموا أنها كذلك؛ فإذا بانت لهم فلعلهم أن يجتنبوها، لئلا تحبط أعمال مرتكبي ذلك، ويخلدون في أعظم العذاب، وأشد العذاب؛ ومعرفة ذلك أمر مهم جدًّا.

(١) رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

فإن من ارتكب مكفِّرًا تحبط جميع أعماله، ويجب عليه قضاء الواجب منها عند جماعةٍ من الأئمة كأبي حنيفة، ومع ذلك فقد توسع أصحابه في المكفرات، وعدوا منها جملًا مستكثرةً جدًّا، وبالغوا في ذلك أكثر من بقية أئمة المذاهب؛ هذا مع قولهم: إن الرِّدة تحبط جميع الأعمال، وبأن من ارتد بانت منه زوجته، وحرمت عليه، فمع هذا التشديد بالغوا في الاتساع في المكفرات.

فتعين علىٰ كل ذي مُسكةٍ في دينه أن يعرف ما قالوه، حتىٰ يجتنبه، ولا يقع فيه فيحبط عمله، ويلزمه قضاؤه، وتَبِينَ منه زوجته عند هؤلاء الأئمة؛ بل عند الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن الردة وإن لم تُحبط العمل، لكنها تحبط ثوابه، فلم يبق الخلاف بينه وبين غيره إلا في القضاء فقط».

ثم ذكر أنواع الكفر نوعًا نوعًا؛ وسيأتي بقية كلامه ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ في ذلك.

لكن تأمل ـ رحمك اللَّه ـ قوله: «لكثرة وقوعها في الناس علىٰ ألسنة العامة، من غير أن يعلموا أنها كذلك»، وأن الشرك والردة قد وقع فيه كثير من أهل زمانه، يتبين لك مصداق ما قلنا ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ.

▫ وقال النووي في «شرح مسلم»: «وأما الذبح لغير اللَّه، فالمراد به أن يَذبح باسم غير اللَّه، كمن ذبح للصنم، أو للصليب، أو لموسىٰ، أو عيسىٰ، أو للكعبة ونحو ذلك؛ وكل هذا حرام، ولا تحل هذه الذبيحة، سواء كان الذابح مسلمًا أو نصرانيًّا أو يهوديًّا، نص عليه الشافعي، واتفق عليه أصحابنا؛ فإن قصد مع ذلك تعظيم

المذبوح له غيرَ اللَّه والعبادة له= كان ذلك كفرًا، فإن كان الذابح قبل ذلك مسلمًا، صار بالذبح مرتدًّا» انتهىٰ.

فتأمل قوله: «فإن قصد مع ذلك...» إلخ، تجده صريحًا في أن المسلم إذا قصد بالذبح لغير اللَّه تعظيم المذبوح له غير اللَّه والعبادة، أنه يصير كافرًا مرتدًّا، واللَّه أعلم.

■ **وأما كلام الحنفية:**

▫ فقال في كتاب «تبيين المحارم المذكورة في القرآن»: «باب الكفر؛ وهو الستر وجحود الحق وإنكاره، وهو أول ما ذكر في القرآن العظيم من المعاصي، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة]، وهو أكبر الكبائر علىٰ الإطلاق، فلا كبيرة فوق الكفر».

▫ إلىٰ أن قال: «واعلم أن ما يلزم به الكفر أنواع: نوع يتعلق باللَّه سبحانه، ونوع يتعلق بالقرآن، وسائر الكتب المنَزلة، ونوع يتعلق بنبينا محمد ﷺ وسائر الأنبياء والملائكة والعلماء، ونوع يتعلق بالأحكام.

فأما ما يتعلق باللَّه سبحانه: إذا وَصف اللَّهَ سبحانه بما لا يليق به؛ بأن شبه اللَّه سبحانه بشيء من المخلوقات، أو نفىٰ صفاته، أو قال بالحلول والاتحاد، أو معه قديم غيره، أو معه مدبِّر مستقل غيره، أو اعتقد أنه سبحانه جسم، أو محدَث، أو غير حي، أو اعتقد أنه لا يعلم الجزئيات، أو كفر باسم من أسمائه، أو أمر من أمره، أو وعيده أو وعده، أو أنكرهما، أو سجد لغير اللَّه، أو سب اللَّه سبحانه، أو ادعىٰ أن له ولدًا، أو صاحبةً، أو أنه متولِّدٌ من شيء

كائن عنه، أو أشرك بعبادته شيئًا من خلقه، أو افترىٰ علىٰ اللَّه ﷻ الكذب بادعاء الإلٰهية أو الرسالة، أو نفىٰ أن يكون خالقُه ربَّه، وقال: «ليس لي ربًّا»، أو قال لذرة من الذرات: «هذه خُلقت عبثًا وهملًا»، وما أشبه ذلك مما لا يليق به ـ سبحانه وتعالىٰ عما يقولون علوًّا كبيرًا ـ.

يكفر في هذه الوجوه كلها بالإجماع، سواء فعله عمدًا أو هزلًا؛ ويُقتل إن أصر علىٰ ذلك، وإن تاب اللَّه عليه، وسلم من القتل». انتهىٰ كلامه بحروفه.

فتأمل ـ رحمك اللَّه ـ تصريحه بأن من أشرك في عبادة اللَّه غيره، أنه يكفر بالإجماع، ويُقتل إن أصر علىٰ ذلك!

والعبادة التي لا تصلح إلا للَّه، ولا يجوز أن يشرك معه فيها غيره أنواع:

منها: الدعاء لجلب خير، أو دفع ضر.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ [الرعد: ١٤]، الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ [الشرح].

وقال رسول اللَّه ﷺ لابن عباس: «**إذا سألتَ فاسألِ اللَّه، وإذا استعنت فاستعن باللَّه**»[(١)].

(١) **صحيح:** رواه أحمد (٤٠٩/٤)، والترمذي (٢٥١٦)، وابن أبي عاصم =

ومن أنواع العبادة: الصلاة، فلا يصلَّىٰ إلا للَّه، ولا يُسجد ولا يُركع إلا للَّه وحده.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام]، الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر].

ومن أنواع العبادة: النسك وهو الذبح، فلا يجوز أن يتقرب العبد بالذبح لأحد سوىٰ اللَّه تعالىٰ.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام] الآية.

وقال لنبيه ﷺ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر] أي: أخلص لربك الصلاة والنحر، بلا شريك له في ذلك.

وقال النبي ﷺ: «**لعن اللَّه من ذبح لغير اللَّه**»(١).

وقد قرن اللَّه بين هاتين العبادتين ـ الصلاة والنسك ـ في هاتين الآيتين؛ فإذا كان من صلىٰ لغير اللَّه، أو ركع لغير اللَّه، أو سجد

= في «السنة» معلقًا (٣١٦)، والطبراني في «الكبير» (١٢٩٨٨)، و«الأوسط» (٥٤١٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٥)، والبيهقي في «الشعب» (١٩٥)، و«الآداب» (١٠٧٣)، وعبد بن حميد (٢٣٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/٥٣)، والآجري في «الشريعة» (٤١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٣١٤)، والحاكم (٣/٥٤١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الحاكم، **وتعقبه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٤/٤١٠).

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

لغير اللَّه= فقد أشرك في عبادة اللَّه غيره، فكذلك من ذبح القربان لغير اللَّه فقد أشرك في عبادة اللَّه غيره.

ومن أنواع العبادة ـ أيضًا ـ: الخشية؛ فلا تجوز الخشية إلا للَّه وحده، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور].

فجعل الطاعة للَّه ولرسوله، وجعل الخشية والتقوىٰ للَّه وحده.

ومن أنواع العبادة: التوكل، وهو إسناد العبد أمره إلىٰ اللَّه تعالىٰ وحده لا شريك له في جميع أموره الدينية والدنيوية.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران].

[وقال]: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة].

فمن توكل علىٰ غير اللَّه، فقد أشرك في عبادة اللَّه غيره.

ومن أنواع العبادة: الاستعانة:

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة].

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

وقال النبي ﷺ لابن عباس: «**إذا استعنتَ فاستعِنْ باللَّه**»[(١)]؛ فمن استعان بغير اللَّه، فقد أشرك في عبادة اللَّه غيره.

ومن أنواع العبادة: النذر، فلا ينذر إلا للَّه وحده، قال اللَّه تعالىٰ:

---

(١) **صحيح:** وقد تقدم.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان].

وقال النبي ﷺ: «**مَن نَذَر أن يطيعَ اللَّه فلْيُطِعْه، ومَن نذر أن يعصيَ اللَّه فلا يعصه**»(١).

والحاصل: أن العبادة اسمٌ جامع لكل ما يحبُّه اللَّه ويرضاه، من أقوال العباد وأفعالهم، مما أمرهم اللَّه به في كتابه، علىٰ لسان رسوله ﷺ.

وقد صرح هذا الحنفيُّ في كتابه الذي قدمته لك: أن من أشرك في عبادة اللَّه غيره فهو كافر بالإجماع، سواء فعله عمدًا أو هزلًا، وأنه يقتل إن أصر علىٰ ذلك، وإن تاب تاب اللَّه عليه، وسَلِم من القتل؛ واللَّه أعلم.

وذكر ـ أيضًا ـ: أن ما يكون فعله كفرًا بالاتفاق، إذا فعله مسلمٌ تَحبَطُ جميع أعماله، ويلزمه إعادة الحج، ولا يلزمه إعادة الصلاة والصوم، لأنهما يسقطان عن المرتد، ويكون وطؤه امرأته حرامًا وزِنًا، وإن أتىٰ بكلمة الشهادة بحكم العادة، ولم يرجع عما قاله، لا يرتفع الكفر؛ واللَّه أعلم.

▫ وقال الشيخ قاسم في «شرح الدرر»: «النذر الذي يقع من أكثر العوام، بأن يأتي إلىٰ قبر بعض الصلحاء، قائلًا: «يا سيدي فلان، إن رُدَّ غائبي، أو عوفي مريضي، أو قُضيت حاجتي، فلك من الذهب أو من الطعام أو الشمع كذا»= باطلٌ إجماعًا، لوجوه:

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

منها: أن النذر للمخلوق لا يجوز.

ومنها: أن ذلك كفر».

▫ إلىٰ أن قال: «وقد ابتُلي الناس بذلك ـ ولا سيما في مولد أحمد البدوي ـ» انتهىٰ.

فصرح بأن هذا النذر كفرٌ يكفر به المسلم؛ واللَّه أعلم.

ومن كلام الشافعية ـ أيضًا ـ:

▫ ما قاله الإمام المحقق ناصر السنة شهاب الدين عبدالرَّحمٰن بن إسماعيل بن إبراهيم محدث الشام ـ المعروف بأبي شامة ـ في كتابه «الباعث علىٰ إنكار البدع والحوادث»: «ومن هذا: ما قد عم به الابتلاءُ من تزيين الشيطان للعامة = تخليق(1) الحيطان والعَمَد، ومواضعَ مخصوصة في كل بلد، يحكي لهم حاك، أنه رأىٰ في منامه بها أحدًا ممن شُهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك، ويحافظون عليه، مع تضييعهم فرائض اللَّه تعالىٰ وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك.

ثم يتجاوزون ذلك إلىٰ أن يَعظُم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي: ما بين عيونٍ وشجر وحائطٍ وحجر. وفي مدينة دمشق ـ صانها اللَّه تعالىٰ ـ مواضعُ متعددة، كعوينة الحمىٰ خارج باب توما، والعمود المخلَّق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق، سهل اللَّه قطعها واجتثاثها من أصلها.

---

(1) **التخليق**: التطييب.

فما أشبهها بذات أنواطٍ الواردة في الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق، وسفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سنان بن أبي سنان، عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ إلىٰ حنين، وكانت لقريش شجرةٌ خضراءُ عظيمةٌ، يأتونها كل سنة، فيعلقون عليها سلاحهم، ويعكفون عندها، ويذبحون لها.

وفي رواية: خرجنا مع النبي ﷺ قِبَلَ حُنين، ونحن حديثو عهدٍ بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عليها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسِدْرة، فقلنا: يا رسول اللَّه ـ وفي الرواية الأولىٰ: وكانت تسمىٰ: ذاتَ أنواط، فمررنا بسدرة، وفي رواية: بشجرةٍ عظيمةٍ خضراء، فتنادينا من جنبتي الطريق، ونحن نسير إلىٰ حنين: يا رسول اللَّه ـ، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «**اللَّه أكبر! هذا كما قال قوم موسىٰ لموسىٰ**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ١٣٨﴾ [الأعراف]! **لتركبن سنن من كان قبلكم**». وأخرجه الترمذي بلفظٍ آخر، والمعنىٰ واحد، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»[(١)].

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله في كتابه: «فانظروا ـ رحمكم اللَّه ـ؛ أينما وجدتم سدرةً أو شجرةً يقصدها الناس، ويعظمون من شأنها، ويرجون البُرْءَ والشفاء من قبلها، وينوطون بها أسلحتهم، ويضربون عليها المسامير والخرق= فهي ذات أنواط؛ فاقطعوها».

قلت: ولقد أعجبني ما صنعه الشيخ أبو إسحاق الجبنياني رحمه الله ـ أحد الصالحين ببلاد إفريقية في المئة الرابعة ـ، حكىٰ عنه صاحبه

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

الصالح أبو عبداللَّه محمد بن أبي العباس المؤدب: أنه كان إلىٰ جانبه عين تسمىٰ «عين العافية»، كان العامة قد افتتنوا بها، يأتونها من الآفاق، مَن تَعذَّر عليها نكاحٌ أو ولد، قالت: «امضوا بي إلىٰ عين العافية»؛ فتعرف بها الفتنة. قال أبو عبداللَّه: فإنا في السحر ذات ليلة، إذ سمعت أذان أبي إسحاق نحوها، فخرجت فوجدته قد هدمها، وأذَّن الصبح عليها، ثم قال: اللهم إني هدمتها لك، فلا ترفع لها رأسًا، قال: فما رفع لها رأس إلىٰ الآن».

قلت: وأدهىٰ من ذلك وأمر: إقدامهم علىٰ قطع الطريق السابلة، يُجيزون في أحد الأبواب الثلاثة القديمة العادية ـ التي هي من بناء الجن في زمن نبي اللَّه سليمان بن داود عليه السلام، أو من بناء ذي القرنين؛ وقيل فيها غير ذلك ما يؤذن بالتقدم؛ علىٰ ما نقلناه في كتاب «تاريخ مدينة دمشق» حرسها اللَّه تعالىٰ ـ، وهو الباب الشمالي، ذَكَر لهم بعض من لا يوثق به، في أحد شهور سنة ست وثلاثين وستمئة: أنه رأىٰ منامًا يقتضي أن ذلك المكان دُفن فيه بعض أهل البيت رضي الله عنهم.

وقد أخبرني عنه ثقة: أنه اعترف له أنه افتعل ذلك، فقطعوا طريق المارة فيه، وجعلوا الباب بكماله أصلَ مسجدٍ مغصوب؛ وقد كان الطريقُ يَضِيق بسالكيه، فتضاعف الضيقُ والحرج، علىٰ من دخل ومن خرج؛ ضاعف اللَّه عذاب من تسبب في بنائه، وأجزل ثواب من أعان علىٰ هدمه وإزالته وإعدامه، اتباعًا لسنة النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد الضرار المُرصَد لأعدائه من الكفار[(١)].

(١) انظر فوائد قيمة علىٰ موقع «الإسلام سؤال وجواب»، تحت عنوان: =

قلت: فلم ينظر الشرع إلىٰ كونه مسجدًا، وهدمه لما قُصد به السوء والردىٰ، وقال اللَّه تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨]. أسأل اللَّه الكريم معافاته من كل ما يخالف رضاه، وألَّا يجعلنا ممن أضله فاتخذ إلٰهه هواه» انتهىٰ.

فتأمل ـ رحمك اللَّه ـ: كلام هذا الإمام، وتصريحه بأن الذي تفعله العامةُ في زمانه في العَمَد والشجر والمواضع المخصوصة، أنه مِثلُ فعل المشركين بذات أنواط، وكذلك تصريح أبي بكر الطرطوشي ـ وكان من أئمة المالكية ـ بأن كل شجرة يقصدها الناس، ويعظمون من شأنها، فهي ذات أنواط.

وكذلك تأمل قوله: ولقد أعجبني ما فعل الشيخ أبو إسحاق، ببلاد إفريقية في المئة الرابعة، في هدمه تلك العين، التي تسمىٰ «عين العافية» لما رأىٰ الناس يقصدونها، ويتبركون بها= يتبين لك أن الشرك قد حدث في هذه الأمة من زمانٍ قديم، وأن أهل العلم ﵃ ينكرون ذلك أشدَّ الإنكار، ويَهدِمون ما قَدَروا عليه مما يُفتتن به الناس، وأن هذا مما حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة، وأن ذلك ليس من الدين بإجماع أهل العلم، ويجب علىٰ من قدر علىٰ ذلك إزالته، فويل للأمراء والقضاة القادرين علىٰ إزالته والنهي عنه.

وتأمل ـ أيضًا ـ: كلام أبي شامة في المسجد الذي بني علىٰ قارعة الطريق، وتمنِّيه هدمه وإزالته، وتشبيهه إياه بمسجد الضرار! وكان

= «ما هو مسجد الضرار؟».

أبو شامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أوائل القرن السابع، ومعلوم أن الأمر لا يزيد إلا شدة، واللَّه أعلم.

فهذا ما وقفنا عليه من كلام الشافعية والحنفية في هذه المسألة.

■ **وأما كلام الحنابلة:**

▫ فقال الإمام أبو الوفاء بن عقيل: «لما صعبت التكاليف علىٰ الجهال والطغام، عدلوا[1] عن أوضاع الشرع، إلىٰ تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم؛ وهم عندي كفار بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور، وخطاب الموتىٰ بالحوائج، وكَتْبِ الرِّقاع، فيها: «يا مولاي، افعل بي كذا وكذا»، وإلقاء الخرق علىٰ الشجر، اقتداءً بمن عبد اللات والعزىٰ». انتهىٰ كلامه.

فتأمل قوله: «وهم عندي كفار بهذه الأوضاع»، وتشبيهه إياهم بمن عبد اللات والعزىٰ!

▫ وقال الشيخ تقي الدين في «الرسالة السنية» ـ لما ذكر حديث الخوارج، ومروقهم من الدين، وأمره ﷺ بقتالهم[2] ـ، قال: «فإذا كان علىٰ عهد النبي ﷺ وخلفائه ممن انتسب إلىٰ الإسلام مَن قد مَرَق منه مع عبادته العظيمة؛ فلْيُعلَمْ أن المنتسب إلىٰ الإسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق ـ أيضًا ـ من الإسلام؛ وذلك بأسباب، منها: الغلوُّ الذي ذمه اللَّه في كتابه، حيث قال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا

(١) **عدلوا**: حادوا وانحرفوا.

(٢) رواه البخاري (٥٠٥٨)، ومسلم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾ [النساء: ١٧١] الآية.

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حرَّق الغالية من الرافضة، فأمر بأخاديدَ خُدَّت لهم عند باب كندة، فقذفهم فيها؛ واتفق الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس رضي الله عنهما كان مذهبه أن يُقتلوا بالسيف بلا تحريق، وهو قول أكثر العلماء[1]، وقصتهم معروفة عند العلماء؛ وكذلك الغلو في بعض المشايخ؛ بل الغلو في علي بن أبي طالب؛ بل الغلو في المسيح ونحوه.

فكل من غلا في نبيٍّ أو رجل صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلٰهيَّة ـ مثل أن يقول: «يا سيدي فلان انصرني، أو أغثني، أو ارزقني، أو اجبرني، أو أنا في حسبك»، ونحو هذه الأقوال ـ، فكل هذا شرك وضلال يُستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل؛ فإن اللَّه إنما أرسل الرسل، وأنزل الكتب ليُعبَدَ وحده، لا يُجعلَ معه إلٰهٌ آخر.

والذين يدْعون مع اللَّه آلهةً أخرىٰ ـ مثل المسيح والملائكة والأصنام ـ لم يكونوا يعتقدون أنها تَخلق الخلائق، أو تُنزل المطر، أو تُنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم، أو يعبدون قبورهم، أو صورهم، ويقولون: «إنما نعبدهم ليقربونا إلىٰ اللَّه زلفىٰ»، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]؛ فبعث اللَّه رسله تنهىٰ أن يُدعىٰ أحدٌ من دونه، لا دعاءَ عبادة، ولا دعاءَ استغاثة.

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء] الآية.

(١) لأنه صلى الله عليه وسلم نهىٰ عن التعذيب بالنار في حديثه الصحيح.

قال طائفة من السلف: كان أقوامٌ يَدْعون المسيح وعُزيرًا والملائكة، فنَزلت فيهم».

▫ إلىٰ أن قال[(١)]: «وعبادة اللَّه وحده هي أصل الدين، وهي التوحيد الذي بعث اللَّه به الرسل، وأنزل به الكتب، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وكان ﷺ يُحقِّق التوحيد ويُعلِّمه أمته، حتىٰ قال له رجل: ما شاء اللَّه وشئت، قال: «**أجعلتني للَّه ندًّا؟ بل ما شاء اللَّه وحده**»[(٢)]، ونهىٰ عن الحلف بغير اللَّه، وقال: «**من حلف بغير اللَّه فقد أشرك**»[(٣)]، وقال في مرض موته: «**لعن اللَّه اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» - يحذر ما فعلوا[(٤)]-، وقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»[(٥)].

ولهذا اتفق أئمة الإسلام علىٰ أنه لا يُشرع بناء المساجد علىٰ القبور والصلاة عندها؛ وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان تعظيم القبور؛ ولهذا اتفق العلماءُ علىٰ أن من سَلَّم علىٰ النبي ﷺ عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته، ولا يقبلها، لأنه إنما يكون لأركان بيت اللَّه، فلا يُشبَّه بيتُ المخلوق ببيت الخالق؛ كل هذا

---

(١) أي: شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) صحيح: وقد تقدم.
(٣) صحيح: وقد تقدم.
(٤) صحيح: وقد تقدم.
(٥) صحيح: وقد تقدم.

لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه، الذي لا يقبل اللَّه عملًا إلا به، ولا يغفر لمن تركه، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء]؛ ولهذا: كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه، فأعظم آيةٍ في القرآن آيةُ الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥][(١)]، وقال ﷺ: «**مَن كان آخر كلامه: لا إلٰه إلا اللَّه، دخل الجنة**»[(٢)]. والإلٰه هو الذي يألهه القلبُ، عبادةً له واستعانةً به، ورجاءً له وخشيةً منه وإجلالًا» انتهىٰ كلامه.

فتأمل أول كلامه وآخره، وتأمل كلامه فيمن دعا نبيًّا أو وليًّا، مثل أن يقول: «يا سيدي فلان أغثني ونحوه»: أنه يستتاب؛ فإن تاب وإلا قتل= تجده صريحًا في تكفير أهل الشرك، وقتلهم بعد الاستتابة، وإقامة الحجة عليهم، وأن من غلا في نبيٍّ أو رجل صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلٰهيَّة، فقد اتخذه إلٰهًا مع اللَّه؛ لأن الإلٰه هو المألوه الذي يألهه القلب، أي: يقصده بالعبادة والدعوة

---

(١) رواه مسلم (٨١٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٣٣/٥)، وأبو داود (٣١١٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٩٠٧)، وابن ماجه (٣٧٩٦)، والحميدي (٣٧٣)، والبزار (٢٦٢٦)، والشاشي (١٣٧٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٢١/٢٠)، وفي «الدعاء» (١٤٧١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٧٩٨/٢)، وابن حِبَّان (٢٠٠)، والحاكم (٣٥١/١)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٧)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٣١٢/٧)، وفي «المعرفة» (٥٩٦٣)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٦٣/٣٦).

والخشية والإجلال والتعظيم، وإن زعم أنه لا يريد إلا الشفاعة والتقرب عند اللَّه؛ لأنه بيَّن أن هذا هو مطلوب المشركين الأولين، ويستدل علىٰ ذلك بالآيات الصريحات القاطعات، واللَّه أعلم.

▫ وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم»: «وكانت الطواغيت الكبار التي تُشد إليها الرحال ثلاثة: ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝٢٠﴾ [النجم]، وكل واحد منها لمصر من أمصار العرب:

فكانت «اللات» لأهل الطائف، ذكروا أنه كان في الأصل رجلًا صالحًا، يَلُتُّ السويق للحاج، فلما مات عكفوا علىٰ قبره.

وأما «العزىٰ» فكانت لأهل مكة قريبًا من عرفات، وكانت هناك شجرةٌ يذبحون عندها ويَدْعون؛ وأما «مناة» فكانت لأهل المدينة، وكانت حذوَ قُديد من ناحية الساحل.

ومن أراد أن يعرف كيف كانت أحوال المشركين في عبادة أوثانهم، ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه اللَّه وأنواعه، حتىٰ يتبين له تأويل القرآن= فلينظر إلىٰ سيرة النبي ﷺ وأحوال العرب في زمانه، وما ذكره الأزرقي في أخبار مكة وغيره من العلماء.

ولما كان للمشركين شجرةٌ يعلقون عليها أسلحتهم، ويسمونها «ذات أنواط»، فقال بعض الناس: يا رسول اللَّه، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال: «**اللَّه أكبر! إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم**»(١)؛ فأنكر ﷺ، مجرد مشابهتهم في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم؛ فكيف بما هو أطم من ذلك

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

الشرك بعينه؟».

▫ إلىٰ أن قال: «فمن ذلك أمكنة بدمشق مثل: مسجد يقال له «مسجد الكف» فيه تمثال كف، يقال: إنه كف علي بن أبي طالب! حتىٰ هدم اللَّه ذلك الوثن؛ وهذه الأمكنة كثيرة موجودة في أكثر البلاد، وفي الحجاز منها مواضع». انتهىٰ كلامه.

فتأمل ـ رحمك اللَّه ـ كلام هذا الإمام في «اللات» و«العزىٰ» و«مناة»، وجعله بعينه هذا الذي يُفعل بدمشق وغيرها من البلاد من ذلك؛ وتأمل قوله علىٰ حديث ذات أنواط وتدبره؛ فإنه نافع جدًّا.

▫ وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]: «ظاهره: أنه ما ذبح لغير اللَّه ـ سواءٌ لُفظ به أو لم يلفظ ـ؛ وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم، وقال فيه: «باسم المسيح» ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلىٰ اللَّه كان أزكىٰ مما ذبحناه للحم وقلنا عليه: «بسم اللَّه»؛ فإن عبادة اللَّه بالصلاة له والنسك له أعظمُ من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور؛ والعبادة لغير اللَّه أعظم كفرًا من الاستعانة بغير اللَّه؛ فلو ذبح لغير اللَّه متقربًا إليه لحرم، وإن قال فيه بسم اللَّه، كما قد يفعله طائفةٌ من منافقي هذه الأمة؛ وإن كان هؤلاء مرتدين لا تُباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، ومن هذا ما يُفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن». انتهىٰ كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فتأمل ـ رحمك اللَّه ـ هذا الكلام، وتصريحه فيه بأن من ذبح لغير اللَّه من هذه الأمة، فهو كافرٌ مرتدٌّ لا تباح ذبيحته؛ لأنه يجتمع فيها مانعان:

الأول: أنها ذبيحةُ مرتد، وذبيحةُ المرتد لا تباح بالإجماع.

الثاني: أنها مما أُهلَّ به لغير اللَّه، وقد حرَّم اللَّه ذلك في قوله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وتأمل قوله: «ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن»، واللَّه أعلم.

فصل: [أنواع الشرك]:

▫ وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح المنازل»، في «باب التوبة»: «وأما الشرك فهو نوعان: أكبر، وأصغر:

فالأكبر: لا يغفره اللَّه إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون اللَّه ندًّا يحبه كما يحب اللَّه؛ بل أكثرهم يحبُّون آلهتهم أعظمَ من محبة اللَّه، ويغضبون لمنتقص معبودهم من المشايخ أعظمَ مما يغضبون إذا انتقص أحدٌ ربَّ العالمين؛ وقد شاهدنا هذا نحن منهم جهرةً.

وترىٰ أحدهم قد اتخذ ذكر إلٰهه ومعبوده علىٰ لسانه، إن قام وإن قعد، وإن عَثَر وإن استوحش[1]؛ وهو لا ينكر ذلك، ويزعم أنه باب حاجته إلىٰ اللَّه، وشفيعه عنده؛ وهكذا كان عباد الأصنام سواء، وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم؛ فأولئك كانت آلهتهم من الحَجَر، وغيرهم اتخذوها من البشر، قال اللَّه تعالىٰ ـ حاكيًا عن أسلاف هؤلاء ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ

(١) أي: شعر بالوحشة.

بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر].

فهذه حالُ من اتخذ من دون اللَّه وليًّا يزعم أنه يقربه إلىٰ اللَّه تعالىٰ، وما أعزَّ من تخلص من هذا! بل ما أعز من يعادي من أنكره! والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين وسلفهم: أن آلهتهم تشفع لهم عند اللَّه، وهذا عين الشرك؛ وقد أنكر اللَّه ذلك عليهم في كتابه وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها له.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ].

والقرآن مملوء من أمثال هذه الآية، ولكنَّ أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته، ويظنه في قومٍ قد خَلَوا ولم يُعقِبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين المرء وبين فهم القرآن؛ كما قال عمر بن الخطاب: «إنما تنتقض عرىٰ الإسلام عروةً عروةً، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية».

وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه= وقع فيه وأقره، وهو لا يعرف أنه الذي عليه أهل الجاهلية، فتنتقض بذلك عرىٰ الإسلام، ويعودُ المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والبدعة سنةً والسنة بدعةً، ويُكفَّر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويُبدَّع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الأهواء والبدع؛ ومن له بصيرةٌ وقلب حي يرىٰ ذلك عيانًا، فاللَّه المستعان.

ومن أنواعه[١]: طلب الحوائج من الموتىٰ، والاستعانة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالَم؛ فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، فضلًا لمن استغاث به، أو سأله أن يشفع له إلىٰ اللَّه، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده؛ فإن اللَّه تعالىٰ لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه. واللَّه لم يجعل سؤال غيره سببًا لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسببٍ يمنع الإذن؛ والميت محتاجٌ إلىٰ من يدعو له، كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين، أن نترحم عليهم، ونسأل لهم العافية، فعكس المشركون هذا، وزاروهم زيارة العبادة، وجعلوا قبورهم أوثانًا تعبد، فجمعوا بين الشركِ بالمعبود، وتغييرِ دينه، ومعاداةِ أهل التوحيد، ونسبتهم إلىٰ التنقص بالأموات.

وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين بذمهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به؛ وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمانٍ ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم، ولله در خليله إبراهيم حيث قال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم]، وما نجا مِن شَرَكِ[٢] هذا الشِّرْك الأكبر إلا من جرد توحيده للَّه، وتقرب بمقتهم إلىٰ اللَّه». انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

فتأمل - رحمك اللَّه - كلام هذا الإمام، وتصريحه بأن من دعا الموتىٰ وتوجه إليهم، واستغاث بهم ليشفعوا له عند اللَّه= فقد فعل

---

(١) يعني الشرك الأكبر.
(٢) الشَّرَك - بفتح الشين والراء -: الفخ.

الشرك الأكبر الذي بُعث محمد ﷺ بإنكارِه وتكفيرِ من لم يتب منه، وقتاله ومعاداته، وأن هذا قد وقع في زمانه، وأنهم غيروا دين الرسول ﷺ، وعادوا أهل التوحيد الذين يأمرونهم بإخلاص العبادة للَّه وحده لا شريك له!

وتأمل قوله ـ أيضًا ـ: «وما أعزَّ من تخلص من هذا! بل ما أعز من لا يعادي من أنكره!»؛ يتبين لك الأمر ـ إن شاء اللَّه ـ.

وكذلك تأمل ـ أرشدك اللَّه ـ قوله: «وما نجا مِن شَرَكِ هذا الشرك الأكبر إلا من عادىٰ المشركين للَّه» إلىٰ آخره، يتبين لك أن الإسلام لا يستقيم إلا بمعاداة أهل الشرك، فإن لم يُعادهم فهو منهم وإن لم يفعله، واللَّه أعلم.

▫ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» ـ في الكلام علىٰ غزوة الطائف، وما فيها من الفقه ـ، قال: «وفيها أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت، بعد القدرة علىٰ هدمها وإبطالها يومًا واحدًا، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات؛ فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة.

وهكذا حكم المشاهد التي بنيت علىٰ القبور، التي اتُّخذت أوثانًا وطواغيت تُعبد من دون اللَّه، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل؛ لا يجوز إبقاء شيء منها علىٰ وجه الأرض، مع القدرة علىٰ إزالته؛ وكثير منها بمنزلة اللات والعزَّىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ، أو أعظم شركًا عندها وبها، واللَّه المستعان.

ولم يكن أحدٌ من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تَخلق أو ترزق، أو تحيي وتميت، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله

إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حَذْوَ القذة بالقذة، وأخذوا مأخذهم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع.

وغلب الشرك علىٰ أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والسنة بدعةً، والبدعة سنةً؛ ونشأ في ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطُمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقل العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر، بما كسبت أيدي الناس؛ ولكن لا تزال طائفةٌ من الأمة المحمدية قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلىٰ أن يرث اللَّه سبحانه الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

ومنها[(١)]: جواز صرف الإمام الأموال ـ التي تصير إلىٰ هذه المشاهد والطواغيت، في الجهاد ومصالح المسلمين، كما أخذ النبي ﷺ أموال اللات، وأعطاها أبا سفيان يتألفه بها، وقضىٰ منها دين عروة والأسود؛ وكذلك الحكم في أوقافها، فإن وقفها والوقف عليها باطل، ومال ضائع، فإن الوقف لا يصح إلا في قربة؛ وهذا مما لا يخالف فيه أحد من أئمة الإسلام ومن اتبع سبيلهم، واللَّه أعلم». انتهىٰ كلامه.

فتأمل ـ رحمك اللَّه ـ هذا الكلام، وما فيه من التصريح بأن هذا الذي يُفعل عند المشاهد والقباب التي علىٰ القبور في كثير من البلدان، أنه هو الشرك الأكبر الذي فعله المشركون، وأن كثيرًا

---

(١) أي: من فوائد غزوة الطائف.

منها بمنزلة «اللات والعزىٰ ومناة»؛ بل أعظم شركًا من شرك أهل اللات والعزىٰ ومناة، وتصريحه بأنهم فعلوا فعل المشركين، واتبعوا سبيلهم حذو القذة بالقذة؛ وتأمل قوله: «وغلب الشرك علىٰ أكثر النفوس؛ لظهور الجهل وخفاء العلم»، واللَّه أعلم.

▫ وقال الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ اللَّهُ ـ لما سئل عن قتال التتار، مع التمسك بالشهادتين، ولِمَا زَعَموا من اتباع أصل الإسلام ـ، فقال: «كل طائفة ممتنعة عن التزام شريعةٍ من شرائع الإسلام الظاهرة، المتواترة من هؤلاء القوم أو غيرهم= فإنه يجب قتالهم حتىٰ يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، وملتزمين بعض شرائعه، كما قاتل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مانعي الزكاة؛ وعلىٰ ذلك اتفق الفقهاء بعدهم ـ بعد سابقة مناظرة عمر لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(١)] ـ، فاتفق الصحابة علىٰ القتال علىٰ حقوق الإسلام، عملا بالكتاب والسنة.

وكذلك ثبت عن النبي ﷺ من عشرة أوجه الحديث عن الخوارج، والأمر بقتالهم، وأخبر أنهم شر الخلق والخليقة، مع قوله: «**تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم**»[(٢)]، فعُلم أن مجرد الاعتصام بالإسلام، مع عدم التزام شرائعه، ليس بمسقط للقتال؛ فالقتال واجب.

فأيما طائفةٍ ممتنعةٍ امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات، أو الصيام، أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء أو الأموال، أو الخمر،أو الميسر، أو الزنىٰ أو نكاح ذوات المحارم، أو عن التزام

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم. وهو حديث: «**أُمرتُ أن أقاتل الناس حتىٰ يقولون: لا إلٰه إلا اللَّه**».

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

جهاد الكفار، أو ضرب الجزية علىٰ أهل الكتاب، أو غير ذلك من التزام واجبات الدين، أو محرماته التي لا عذر لأحد في جحودها أو تركها التي يكفر الواحد بجحودها= فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها ـ وإن كانت مقرةً بها ـ؛ وهذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء.

وإنما اختلف الفقهاء في الطائفة الممتنعة، إذا أصرت علىٰ ترك بعض السنن، كركعتي الفجر، والأذان، والإقامة ـ عند من لا يقول بوجوبها ـ، ونحو ذلك من الشعائر، وهل تُقاتَلُ الطائفة الممتنعة علىٰ تركها أم لا؟ فأما الواجبات والمحرمات المذكورة ونحوها، فلا خلاف في القتال عليها.

وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين علىٰ الإمام، أو الخارجين عن طاعته ـ كأهل الشام مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ؛ فإن أولئك خارجون عن طاعة إمامٍ معين، أو خارجون عليه لإزالة ولايته، وأما المذكورون فهم خارجون عن الإسلام بمنزلة مانعي الزكاة، وبمنزلة الخوارج الذين قاتلهم علي رضي الله عنه؛ ولهذا افترقت سيرته في قتاله لأهل البصرة وأهل الشام، وفي قتاله لأهل النهروان، فكانت سيرته مع البصريين والشاميين سيرةَ الأخ مع أخيه، ومع الخوارج بخلاف ذلك، وثبتت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بما استقر عليه إجماع الصحابة من قتال الصديق لمانعي الزكاة، وقتال عليٍّ للخوارج» انتهىٰ كلامه.

فتأمل ـ رحمك اللَّه ـ تصريح هذا الإمام في هذه الفتوىٰ، بأن من امتنع عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة، كالصلوات الخمس،

والصيام والزكاة والحج، أو ترك المحرمات كالزنىٰ، أو تحريم الدماء والأموال، أو شرب الخمر أو المسكرات، أو غير ذلك= أنه يجب قتال الطائفة الممتنعة عن ذلك، حتىٰ يكون الدين كله للَّه، ويلتزموا جميع شرائع الإسلام ـ وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، وملتزمين بعض شرائع الإسلام ـ، وأن ذلك مما اتفق عليه العلماء من سائر الطوائف من الصحابة فمن بعدهم، وأن ذلك عملًا بالكتاب والسنة.

فتبين لك أن مجرد الاعتصام بالإسلام مع عدم التزام شرائعه ليس بمُسقطٍ للقتال، وأنهم يقاتلون قتالَ كفرٍ وخروجٍ عن الإسلام، كما صرح به في آخر الفتوىٰ، بقوله: وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين عن الإمام، بل هم خارجون عن الإسلام بمنزلة مانعي الزكاة». واللَّه أعلم.

▫ وقال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر كلامه علىٰ كفر مانعي الزكاة: «والصحابة لم يقولوا: هل أنت مقرٌّ بوجوبها أو جاحد لها، هذا لم يُعهد عن الصحابة بحال، بل قال الصديق لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «واللَّه لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلىٰ رسول اللَّه ﷺ لقاتلتهم علىٰ منعها»، فجعل المبيح للقتال مجرد المنع، لا جحد وجوبها؛ وقد روي أن طوائف منهم كانوا يقرُّون بالوجوب، لكن بخلوا بها.

ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم سيرة واحدة، وهي قتلُ مُقاتِلتِهم، وسَبيُ ذراريهم، وغنيمةُ أموالهم، والشهادة علىٰ قتلاهم بالنار، وسمَّوهم جميعهم أهل الردة؛ وكان من أعظم فضائل الصديق عندهم أنْ ثبَّته اللَّه علىٰ قتالهم، ولم يتوقف كما توقف غيره حتىٰ ناظرهم فرجعوا إلىٰ قوله.

وأما قتال المقرين بنبوة مسيلمة، فهؤلاء لم يقع بينهم نزاعٌ في قتالهم؛ وهذه حجة من قال: إن قاتَلوا الإمامَ عليها كفروا، وإلا فلا؛ فإن كفر هؤلاء وإدخالهم في أهل الردة، قد ثبت باتفاق الصحابة المستنِدِ إلىٰ نصوص الكتاب والسنة، بخلاف من لم يقاتل الإمام عليها؛ فإن في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قيل له: منع ابن جميل؛ فقال: «**ما ينقم ابنُ جميل إلا أنه كان فقيرًا فأغناه اللَّه؟**»[1]، فلم يأمر بقتله، ولا حكم بكفره.

وفي السنن من حديث بهز بن حكيم، عن أبيه عن جده، عن النبي ﷺ: «**ومن منعها فإنا آخِذُوها وشطرَ ماله**»[2] الحديث». انتهىٰ.

فتأمل كلامه وتصريحه بأن الطائفة الممتنعة عن أداء الزكاة إلىٰ الإمام= أنهم يقاتلون، ويُحكم عليهم بالكفر والردة عن الإسلام، وتسبىٰ ذراريهم، وتُغنم أموالهم، وإن أقروا بوجوب الزكاة، وصلَّوا الصلوات الخمس، وفعلوا جميع شرائع الإسلام غير أداء الزكاة،

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٨)، ومسلم (٩٨٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/٥)، وعبدالرزاق (٦٨٢٤)، وأبو داود (١٥٧٥)، والنسائي (٢٤٤٩)، وفي «الكبرىٰ» (٢٢٣٦)، والدارمي (١٦٧٧)، وابن أبي شيبة (١٢٢/٣)، وأبو عبيد في «الأموال» (٩٨٧)، وابن زنجويه في «الأموال» (١٤٤٣)، وابن خزيمة (٢٢٦٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٩/٢)، والطبراني في «الكبير» (٩٨٤/١٩)، والحاكم (٣٩٨/١)، وابن حزم في «المحلىٰ» (٥٧/٦)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٠٥/٤)، والخطيب في «تاريخه» (٤٤٨/٩)، **وصحَّحه** الحاكم، **سكت عليه** الذهبي، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٢٦/٣).

وأن ذلك ليس بمسقِطٍ للقتال لهم، والحكم عليهم بالكفر والردة، وأن ذلك قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الصحابة رضي الله عنهم، واللَّه أعلم.

[حكم من سب الرسول صلى الله عليه وسلم]:

▫ وقال الشيخ رحمه الله تعالى في كتاب «الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول»: «قال الإمام إسحاق بن راهويه ـ أحد الأئمة، يعدل بالشافعي وأحمد ـ: أجمع المسلمون أن من سب اللَّه أو رسوله، أو دفع شيئًا مما أنزل اللَّه= أنه كافر بذلك ـ وإن كان مقرًّا بكل ما أنزل اللَّه ـ.

وقال محمد بن سحنون ـ أحد الأئمة من أصحاب مالك ـ: أجمع العلماء علىٰ أن شاتم الرسول كافر، وحكمه عند الأئمة القتل، ومن شك في كفره كفر؛ قال ابن المنذر: أجمع عوامُّ أهل العلم علىٰ أن علىٰ من سبه القتل.

وقال الإمام أحمد فيمن سبَّه: يقتل، قيل له: فيه أحاديث؟ قال: نعم؛ منها: حديث الأعمىٰ الذي قتل المرأة(١)؛ وقول ابن عمر: «من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قُتل». وعمر بن عبدالعزيز يقول: «يقتل»؛ وقال

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٣٦١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٣٥١٩)، وفي «المجتبىٰ» (٤٠٧٠)، والحاكم (٤/٣٩٤)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٥١)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٧/٩٦)، والدَّارَقُطْني (٤/١١٦)، وابن أبي عاصم في «الديات» ص(٧٢)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند أبي داود، **وقوَّاه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (٦/٤١٦).

في رواية عبداللَّه: لا يستتاب؛ فإن خالد بن الوليد قَتل رجلًا شتم النبي ﷺ ولم يستتبه» انتهىٰ.

فتأمل ـ رحمك اللَّه ـ كلام إسحاق بن راهويه، ونقله الإجماع علىٰ أن من سب اللَّه، أو سب رسوله، أو دفع شيئًا مما أنزل اللَّه؛ أنه كافر، وإن كان مقرًّا بكل ما أنزل اللَّه؛ يتبين لك أن من تلفظ بلسانه بسب اللَّه تعالىٰ، أو سب رسوله، فهو كافر مرتد عن الإسلام، وإن أقر بجميع ما أنزل اللَّه، وإن كان هازلًا بذلك لم يقصد معناه بقلبه، كما قال الشافعي: «مَن هَزَل بشيء من آيات اللَّه فهو كافر»، فكيف بمن هزل بسب اللَّه، أو سب رسوله ﷺ؟

▫ ولهذا قال الشيخ تقي الدين: «قال أصحابنا وغيرهم: من سب اللَّه تعالىٰ كفر ـ مازحًا أو جادًّا ـ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة]، الآية قال: وهذا هو الصواب المقطوع به» انتهىٰ.

ومعنىٰ قول إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «أو دفع شيئًا مما أنزل اللَّه»: أن يدفع أو يردَّ شيئًا مما أنزل اللَّه في كتابه، أو علىٰ لسان رسوله ﷺ من الفرائض، أو الواجبات، أو المسنونات، أو المستحبات، بعد أن يعرف أن اللَّه أنزله في كتابه، أو أمر به رسوله ﷺ أو نهىٰ عنه، ثم دفعه بعد ذلك= فهو كافر مرتد، وإن كان مقرًّا بكل ما أنزل اللَّه في كتابه من الشرع، إلا ما دفعه وأنكره لمخالفته لهواه أو عادته، أو عادة أهل بلده.

وهذا معنىٰ قول العلماء: من أنكر فرعًا مجمعًا عليه كفر[1]، فإذا

---

(١) قال الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طبعته ص(٣٢٣): «زاد العلماء في هذه =

كان من أنكر النهي عن الأكل بالشمال، أو النهي عن إسبال الثياب، بعد معرفته أن الرسول ﷺ نهىٰ عن ذلك، فهو كافر مرتد ـ ولو كان من أعبد الناس وأزهدهم ـ، فكيف بمن أنكر إخلاص العبادة للَّه وحده، وإخلاص الدعوة والاستغاثة، والنذر والتوكل، وغير ذلك من أنواع العبادة، التي لا تصلح إلا للَّه وحده، ولا يصلح منها شيء لمَلَكٍ مقرب، ولا نبي مرسل، التي[1] أرسل اللَّه جميع رسله، وأنزل جميع كتبه لأجل معرفتها والعمل بها، التي هي أعظم شعائر الإسلام، الذي هو معنىٰ لا إلٰه إلا اللَّه؟ فمن أنكر ذلك وأبغضه، وسبه وسب أهله، وسماهم الخوارج= فهو الكافر حقًّا الذي يجب قتاله حتىٰ يكون الدين كله للَّه، بإجماع المسلمين كلهم؛ واللَّه سبحانه أعلم.

فصل: [قول ابن القيم في اتخاذ القبور أعيادًا]:

▫ وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «الإغاثة»: «قال ﷺ: «**لا تتَّخِذوا قبري عيدًا**»[2]، وقال: «**اللهم لا تجعلْ قبري وثنًا يُعبد. اشتدَّ غضبُ اللَّه علىٰ قومٍ اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد**»[3]؛ وفي اتخاذها عيدًا من

= المسألة أن يكون المجمع عليه معلومًا من الدين بالضرورة، فذا كان من أمور العادات الدنيوية لا يكفر بجحده ولا بإنكاره ـ فضلًا عن تركه ـ، وإذا كان من أمور الدين الخفية غير معلوم للجمهور بالضرورة فلا تكفير فيه، ومثَّلوا له بإرث بنت الابن مع بنت الصلب السدسَ، فإطلاقه للقاعدة وما فرَّعه عليها فيه ما علمت» اهـ.

(١) أي: العبادة.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

أعيادهم من المفاسد العظيمة = ما يَغضبُ لأجله من في قلبه وقار للَّه وغَيرةٌ علىٰ التوحيد؛ ولكن ما لجرح بميت إيلام.

منها: الصلاة إليها، والطواف بها واستلامها، وتعفير الخدود علىٰ ترابها، وعبادة أصحابها، وسؤالهم النصر والرزق والعافية، وقضاء الديون، وتفريج الكربات، التي كان عُبَّاد الأوثان يسألونها أوثانهم، وكلُّ من شم أدنىٰ رائحة من العلم يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلىٰ ذلك، وأنه ﷺ أعلم بعاقبة ما نهىٰ عنه، وما يؤول إليه.

وإذا لُعن مَن اتَّخذ قبور الأنبياء مساجد يَعبد اللَّه فيها، فكيف بملازمتها واعتياد قصدها؟ ومَن جمع بين سنة رسوله ﷺ في القبور، وما أمر به ونهىٰ عنه، وما عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم = رأىٰ أحدهما مضادًّا للآخر.

فنهىٰ عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ونهىٰ عن تشريفها، وهؤلاء يُوقِفون الوقوف علىٰ إيقاد القناديل عليها، ونهىٰ أن تتخذ عيدًا، وهؤلاء يتخذونها أعيادًا.

وأمر بتسويتها ـ كما في «صحيح مسلم» عن عليٍّ رضي الله عنه[(١)] ـ، وهؤلاء يرفعونها، ويجعلون عليها القباب.

ونهىٰ عن تجصيص القبر[(٢)] والبناء عليه، كما في «صحيح مسلم» عن جابر[(٣)].

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.
(٢) **التجصيص**: بناؤها بالجص، وهو ما يسمىٰ في عصرنا: «الجِير».
(٣) رواه مسلم (٩٧٠).

ونهىٰ عن الكتابة عليها، كما رواه الترمذي عن جابر وصححه[(١)].

ونهىٰ أن يُزاد عليها غير ترابها، كما رواه أبو داود عن جابر[(٢)].

وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن، ويزيدون علىٰ ترابها بالجص والآجُرِّ والأحجار.

وقد آل الأمر بهؤلاء الضُّلال المشركين إلىٰ أن شرعوا للقبور حجًّا، ووضعوا له مناسك، حتىٰ صنف بعضهم كتابًا سماه: «مناسك حج المَشاهد»؛ ولا يخفىٰ أن هذا مفارقةٌ لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام؛ فانظر إلىٰ هذا التباين العظيم بين ما شرعه الرسول ﷺ وما شرعه هؤلاء!

والنبيُّ ﷺ أمر بزيارة القبور لأنها تذكِّر الآخرة[(٣)]، وأمر الزائرين أن يدعوا لأهل القبور، ونهاه أن يقول هُجْرًا[(٤)]؛ فهذه

---

(١) **صحيح**: رواه التِّرمذي (١٠٥٢)، والنسائي (٢٠٢٧)، وفي «الكبرىٰ» (٢١٦٥)، وابن حِبَّان (٣١٦٤)، والحاكم (١/٣٧٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/٢٣)، وعبد بن حميد (١٠٧٥)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٢٩٤٥)، والبيهقي في «الصغرىٰ» (١١١٣)، وفي «المعرفة» (٧٧٤٣)، من حديث جابر رضي الله عنه ـ أيضًا ـ، وقال الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الحاكم، **وأقرَّه** الذهبي، وكذا الشيخ الألباني عند الترمذي، والشيخ شعيب الأرنؤوط ثَمَّ ـ أيضًا ـ (٢/٥٣١).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٢٢٦)، وهي إحدىٰ روايات الحديث قبل السابق الذي رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم (٩٧٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وانظر أحاديث مشابهة في «الإبداع في مضار الابتداع»، تحت عنوان: «بدع المقابر والأضرحة وزيارة القبور»، بعنايتي.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٩٧٧)، واللفظ لأحمد (٥/٣٦١)، والنسائي في =

الزيارة التي أذِن فيها لأمته، وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئًا مما يعتمده أهلُ الشرك والبدع؟ أم تجدها مضادةً لما هم عليه من كل وجه؟!

وما أحسن ما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لن يُصلِحَ آخِرَ هذه الأمة إلا ما أَصلَحَ أولها».

ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، عوَّضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك.

ولقد جرَّد السلف الصالح التوحيد، وحَمَوا جنابَه؛ حتىٰ كان أحدهم إذا سلم علىٰ النبي ﷺ ثم أراد الدعاء جعل ظهره إلىٰ جدار القبر ثم دعا؛ وقد نص علىٰ ذلك الأئمة الأربعة؛ أنه يستقبل القبلة للدعاء حتىٰ لا يدعو عند القبر؛ فإن الدعاء عبادة.

وبالجملة: فالميت قد انقطع عمله، فهو محتاج إلىٰ من يدعو له؛ ولهذا شُرع في الصلاة عليه من الدعاء ما لم يشرع مثله للحي؛ ومقصود الصلاة علىٰ الميت الاستغفار له، والدعاء له، وكان ﷺ يقف علىٰ القبر بعد الدفن، فيقول: «**سَلُوا له التثبيت؛ فإنه الآن يسأل**»[(١)]، فبدلُ أهل الشرك والبدع قولًا غير الذي قيل لهم؛ فبدلوا

= «الكبرىٰ» (٢١٧١)، وفي «المجتبىٰ» (٢٠٣٣)، من حديث بريدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(١) **صحيح**: رواه عبداللَّه بن أحمد في «السنة» (١٤٢٥)، وفي زياداته علىٰ «فضائل الصحابة» لأبيه (٧٧٣)، وأبو داود (٣٢٢١)، والبزار (٤٤٥)، وابن المنذر في «الأوسط» (٥/٤٥٨)، والحاكم (١/٣٧٠)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٤/٥٦)، والضياء في «الأحاديث المختارة» (٣٨٨)، والمِزِّي في «تهذيب الكمال» (٣٠/١٤٧)، من حديث عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «سنن أبي داود»، **وحسَّنه** الشيخ شعيب =

الدعاء له بدعائه نفسه والشفاعة له بالاستشفاع به، والزيارة التي شُرعت إحسانًا للميت وإلىٰ الزائر بسؤال الميت والإقسام به علىٰ اللَّه، وتخصيص تلك البقعة بالدعاء ـ الذي هو مخ العبادة ـ، وحضور القلب عندها، وخشوعه أعظم منه في المساجد.

وذكر ابن إسحاق عن أبي العالية قال: «لما فتحنا تُستَر، وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرًا عليه رجلٌ ميتٌ عند رأسه مصحف[(١)]، فحملنا المصحف إلىٰ عمر، فدعا كعبًا، فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأه؛ قرأته مثلما أقرأ القرآن، فيه سيرتكم وأموركم، ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد؛ قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة، فلما كان الليل دفناه، وسوينا القبور كلها، لنعمِّيه علىٰ الناس ألَّا ينبشوه. قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حُبست عنهم[(٢)] أبرزوا السرير فيُمطَرون، قلت: من كنتم تظنون الرجل: قال: دانيال؛ قلت: منذ كم مات؟ قال: من ثلاثمئة سنة؛ قلت: ما تغير منه شيء؟ قال: لا؛ إلا شعراتٌ من قفاه؛ إن لحوم الأنبياء لا تُبلِيها الأرض، ولا تأكلها السباع».

ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به؛ ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف وعبدوه، فهم قد اتخذوا من القبور أوثانًا من لا يدانيه، وجعلوا لها سدنة.

= الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (١٢٧/٥).

(١) أي: صحيفة فيها كلام.

(٢) أي: لم ينزل المطر.

وقد أنكر الصحابة ما هو دون هذا بكثير:

فقطع عمر بن الخطاب ﷺ الشجرة التي بويع رسول اللَّه ﷺ تحتها، ولما رأىٰ عمر الناس يذهبون، فسأل عن ذلك فقيل: «مسجد صلىٰ فيه رسول اللَّه ﷺ يصلون فيه، فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، كانوا يتبعون آثار أنبيائهم، ويتخذونها كنائسَ وبيعًا؛ فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمض ولا يتعمدها»[(١)].

وقد أنكر رسول اللَّه ﷺ علىٰ الصحابة لما سألوه شجرة يعلقون عليها أسلحتهم بخصوصها... (ثم ذكر حديث ذات أنواط)[(٢)].

فإذا كان اتخاذ الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها، اتخاذ إلٰهٍ مع اللَّه ـ وهم لا يعبدونها ولا يسألونها ـ؛ فما الظن بالعكوف حول القبر، ودعائه والدعاء عنده، والدعاء به؟ وأين نسبة الفتنة بشجرة، إلىٰ الفتنة بالقبر، لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون؟ ومن له خبرة بما بعث اللَّه به رسوله ﷺ، وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم، في هذا الباب وغيره= علم أن بين السلف وبينه

---

(١) **صحيح**: رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/١٠٠)، **وصحَّحه** الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/٤٤٨) عن نافع؛ لكن فيه انقطاعٌ بينه وبين عمر ﷺ. وانظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٢٧٤).

وانظر مشاركاتٍ قيمةً لإخواننا من أهل الحديث ـ كثَّر اللَّه جمعهم ـ حول هذه المسألة علىٰ الرابط التالي:

«https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=4040»

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

أبعد مما بين المشرق والمغرب؛ والأمر واللَّه أعظم مما ذكرنا.

وفي «صحيح البخاري» عن أم الدرداء قالت: دخل عليَّ أبو الدرداء مغضبًا؛ فقلت: ما لك؟ فقال: واللَّه ما أعرف فيهم شيئًا من أمر محمد ﷺ إلا أنهم يصلون جميعًا» انتهىٰ.

فتأمل ـ رحمك اللَّه ـ كلام الشيخ، وتصريحه بأن عبادة الأوثان قد وقعت في زمانه، وتصريحه ـ بعد ذكره لقصة دانيال ـ بأن أهل زمانه المتأخرين قد اتخذوا من قبور من لا يدانيه في المرتبة والفضل والصلاح أوثانًا، وأنهم لو وجدوه لجالدوا عليه بالسيوف، وعبدوه من دون اللَّه= يتبين لك ما أصبح غالب الناس فيه من عبادة غير اللَّه، ودعائهم، والاستغاثة بهم في الشدائد، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، والإخلاص لهم في العبادة في أوقات الشدائد عند ركوبهم في البحر وغيره، الذي لم يفعله المشركون الأولون، كما أخبر اللَّه عنهم بقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت]، وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام].

فتأمل ـ رحمك اللَّه ـ ما ذكر الإلٰهُ عن هؤلاء المشركين من إخلاص الدعوة له أوقات الشدائد، ثم تأمل ما يفعله المشركون في زماننا مما ذكرتُ لك= يتبين لك غربةُ الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ في هذه الأزمان.

فإذا كان هذا كلامَ أهل العلم، وتصريحهم بأن الشرك غلب علىٰ

أكثر النفوس، وأن القليل الذي تخلص منه، بل القليل من لا يعادي من أنكر الشرك، فما ظنك بزمانك هذا؟ ومعلومٌ أن الأمر لا يزداد إلا شدةً وغربة؛ وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه**». أخرجه البخاري في «صحيحه» عن أنس[(١)].

ولكن الأمر كما قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن له خبرة بما بعث اللَّه به رسوله ﷺ، وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم في هذا الباب وغيره= علم أن بينهما أبعد مما بين المشرق والمغرب».

وهذه هي الفتنة التي قال فيها ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنةٌ يَهرَمُ فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير، يتخذها الناس سنة، إذا غُيرت قيل: غُيرت السنة»!». واللَّه أعلم.

فصل: [ابتلاء الناس بالأنصاب والأزلام]:

▫ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «والناس قد ابتُلوا بالأنصاب والأزلام، فالأنصاب للشرك، والأزلام لطلب علم ما استأثر اللَّه به، هذه للعلم، وتلك للعمل، ودين اللَّه مضاد لهذا، وهذا؛ وعمَّىٰ الصحابةُ قبرَ دانيال بأمر عمر، ولمَّا بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بويع رسول اللَّه ﷺ تحتها أرسل فقطعها، قال عيسىٰ بن يونس: هو عندنا من حديث ابن عون عن نافع.

فإذا كان هذا فعله في الشجرة التي ذكر اللَّه في القرآن، وبايع تحتها الصحابة رسول اللَّه ﷺ، فماذا حكمه فيما عداها؟

وأبلغُ من ذلك: أن رسول اللَّه ﷺ هدم مسجد الضرار[(٢)]؛ ففيه

---

(١) رواه البخاري (٧٠٦٨).

(٢) راجع الحاشية ص(٤٩٦).

دليل علىٰ هدم المساجد التي هي أعظم فسادًا منه، كالمبنية علىٰ القبور، وكذلك قبابها؛ فتجب المبادرة إلىٰ هدم ما لعن رسول اللَّه ﷺ فاعله، واللَّهُ يُقيم لدينه من ينصره ويذبُّ عنه.

وكان بدمشق كثيرٌ من هذه الأنصاب، فيَسَّر اللَّه سبحانه كسرها علىٰ يد شيخ الإسلام وحزب اللَّه الموحدين؛ وكانوا يقولون ـ أي العامة ـ لشيء منها: إنه يَقبل النذر، أي: يقبل العبادة من دون اللَّه، فالنذر عبادة يَتقرب بها الناذر إلىٰ المنذور له.

ولقد أنكر السلف التمسح بحجر المقام، الذي أمر اللَّه أن يُتخذ منه مصلًّىٰ، قال قتادة في الآية: «إنما أُمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه». ولقد تكلفت هذه الأمة شيئًا ما تكلفته الأمم قبلها، ذكر لنا من رأىٰ أثر أصابعه، فما زالت هذه الأمة تمسحه حتىٰ اخلولق.

وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب: فتنة أصحاب القبور، وهي أصل فتنة عبادة الأصنام، كما ذكره اللَّه في سورة «نوح»، في قوله: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾ [نوح] الآية؛ ذكر السلف في تفسيرها: أن هؤلاء أسماء رجال صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم، ثم صوَّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم؛ وتعظيمُ الصالحين إنما هو باتباع الصالحين، واتباع ما دَعَوا إليه دون اتخاذ قبورهم أعيادًا وأوثانًا، فأعرضوا عن المشروع، واشتغلوا بالبدع. ومن أصغىٰ إلىٰ كلام اللَّه وتفهَّمه أغناه عن البدع والآراء، ومَن بَعُد عنه فلابد أن يتعوض عنه بما لا ينفعه، كما أن مَن عَمَّر قلبه بمحبة اللَّه وخشيته والتوكل

عليه، أغناه عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه؛ فالمعرض عن التوحيد مشرك ـ شاء أم أبىٰ ـ، والمعرض عن اتباع السنة مبتدع ـ شاء أم أبىٰ ـ، والمعرض عن محبة اللَّه عابد الصور ـ شاء أم أبىٰ ـ.

[أنواع البدع عند القبور]:

وهذه الأمور المبتدعة عند القبور أنواع[1]:

أبعدها عن المشروع: أن يسأل الميت حاجته، كما يفعله كثير؛ وهؤلاء من جنس عُبَّاد الأصنام، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت، كما يتمثل لعباد الأصنام، وهذا يحصل للمشركين وأهل الكتاب، وكذلك السجود للقبر، وتقبيله والتمسح به.

والنوع الثاني: أن يسأل اللَّه به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين، وهو بدعةٌ إجماعًا.

النوع الثالث: أن يَظن أن الدعاء عنده مستجاب، وأنه أفضل من الدعاء في المسجد، فيقصد القبر لذلك؛ فهذا ـ أيضًا ـ من المنكرات إجماعًا، وما علمت فيه نزاعًا بين أئمة الدين، وإن كان كثير من المتأخرين يفعله.

وبالجملة: فأكثر أهل الأرض مفتتنون بعبادة الأوثان، ولم يتخلص منه إلا الحنفاءُ أتباع إبراهيم، وعبادتها في الأرض من قبل نوح، وهياكلها ووقوفها، وسَدَنتها وحُجَّابها، والكتب المصنفة في عبادتها طبق الأرض.

---

(١) لا زال الكلام للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال إمام الحنفاء عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم]. وكفىٰ في معرفة أنهم أكثر أهل الأرض ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**أنَّ بَعْثَ النار**[1] **من كل ألف تِسْعُمئة وتسعةٌ وتسعون**»[2].

وقد قال تعالىٰ: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٨٩﴾ [الإسراء].

وقال: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقال: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۝١٠٣﴾ [يوسف].

وقال: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ۝١٠٢﴾ [الأعراف].

ولو لم تكن الفتنةُ بعبادة الأصنام عظيمة، لما أقدم عُبَّادُها علىٰ بذل نفوسهم، وأموالهم وأبنائهم دونها، وهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حل بهم، ولا يزيدهم ذلك إلا حبًّا لها وتعظيمًا، ويوصي بعضهم بعضًا بالصبر عليها، واللَّه أعلم».

فتأمل ـ رحمك اللَّه تعالىٰ ـ كلام الشيخ في الأنصاب والأزلام والقباب المبنية علىٰ القبور، وأنه يجب المبادرة إلىٰ هدمها، وأنها أعظم ضررًا من مسجد الضرار الذي قال اللَّه في أهله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ١٠٧]، وأمر رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم بهدمه وتحريقه،

---

(١) أي: الذين سيدخلون النار. نسأله تعالىٰ السلامة والنجاة.

(٢) رواه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ونهىٰ اللَّهُ نبيَّه عن الصلاة فيه.

وقوله: «واللَّه يقيم لدينه من ينصره ويذب عنه؛ وكان بدمشق كثير من هذه الأنصاب، فيسر اللَّه كسرها علىٰ يد شيخ الإسلام، وحزب اللَّه الموحدين»، ومراده بذلك الشيخ تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنه هدم مواضعَ كثيرةً بدمشق مما يعبده العامة من دون اللَّه، وينذرون له، ويقولون: إنه يقبل النذر، أي: يقبل العبادة.

وذلك لأن النذر عبادة:

قال تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

فإذا عرفت أن النذر عبادة، وصرفته لغير اللَّه، فقد أشركت في عبادة اللَّه غيره.

وقد أقام اللَّه في زماننا هذا ـ وهو آخر القرن الثاني عشر من الهجرة النبوية ـ مَن بَعَث به دينَ الإسلام، وإخلاص العبادة للَّه وحده بعد اندراسه، وهو الشيخ الإمام العالم، ذو الفضائل والمكارم، والأخلاق السَّنية والأعمال المرضية السُّنية، محيي السنة النبوية، وقامع البدعة الشركية: محمد بن عبدالوهَّاب، أسكنه اللَّه الجنة التي هي أحسن المآب، وبرَّد مضجعه، وأجزل له الثواب.

فنصر اللَّه به الدين القويم، وبيَّن بسببه صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم اللَّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأزال اللَّه به الشركَ وعبادة الأوثان من أرض نجدٍ من الكفر والطغيان، ويسر اللَّه كسر تلك الأوثان علىٰ يده وأيدي أتباعه من

الموحدين، وحزب اللَّه المفلحين.

وكان قبل ذلك في كل أرضٍ وبلدٍ من أرض نجد أوثانٌ وأشجار تعبد من دون اللَّه، وينذر لها ويذبح لها القربان، ويعظمونها أعظم من تعظيم اللَّه، كقبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه في «الجبيلة» وكشجرة في «قريوة» في بلد الدرعية، وشجرة أخرىٰ لأهل «الطرفية»، وغار يقال له «غار بنت الأمير» في أسفل بلد الدرعية، وقبر يقال له «قبر المغربي».

وأعظم من ذلك: عبادتهم «تاجًا وشُمْسان»[١]، مع شهادتهم عليهم بالفجور، لكن يزعمون أنهم أولياء لا تضرهم الذنوب، ويهابونهم أعظم مما يهابون اللَّه؛ ومنهم من يدعو الجن ويذبح لهم، وفي كل بلد من ذلك شيء عظيم؛ فأزال اللَّه ذلك كله بشيخ الإسلام، وأقام اللَّه به الحجة علىٰ أهل زمانه، وعَرَف التوحيد جميعُ أهل عدوانه، وأقروا أنه دين اللَّه ورسوله، وأن الذي هم عليه الشرك باللَّه تعالىٰ، ولم يردهم ذلك إلا بغضًا له وعداوة، وسعوا في إزالته وعداوته بكل ممكن حسدًا له، لِمَا أظهر اللَّه الدين علىٰ يده، حتىٰ أظهره اللَّه عليهم ونصره، ونصر أتباعه علىٰ من خذلهم وخالفهم - مع ضعفهم وقلة عددهم، وقوة عدوهم وكثرتهم، وأدخل اللَّه جميع أهل نجد في الإسلام، ودانوا به، واجتمعوا عليه، حاضرتهم وباديتهم؛ فالحمد للَّه حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله؛ ونسأل اللَّه العظيم المنان أن يثبتنا علىٰ الإسلام، وألَّا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن

---

(١) تقدم الكلام عن هذين الطاغوتين ص(٢٠٠).

يعيذنا من التفرق والاختلاف، إنه علىٰ كل شيء قدير.

فصل: [رد الإمام ابن تيمية على ابن البكري في مسألة الاستغاثة]:

▫ وقال الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ - في ردِّه علىٰ ابن البكري في مسألة الاستغاثة -: «العبادة مبناها علىٰ الاتباع، لا علىٰ الابتداع، فليس لأحد أن يشرع من الدين ما لم يأذن به اللَّه، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

وفي «الصحيحين» عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ: **«من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»**.

وفي لفظ في «الصحيح»: **«مَن عَمِل عملًا ليس عليه أمرُنا فهو رد»**(١).

وفي «الصحيح» وغيره: **«يقول اللَّه تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاءِ عن الشرك؛ مَن عمل عملًا أشرك فيه معي غيري، فأنا منه بريءٌ، وهو للذي أشرك»**(٢).

ولهذا قال الفقهاء: «العبادات مبناها علىٰ التوقيف»، كما في «الصحيحين» عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قبَّل الحجر الأسود، وقال: «واللَّه إني لأعلم أنك لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسولَ اللَّه ﷺ يقبِّلُك ما قبَّلتُك»(٣).

واللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمرنا باتباع الرسول ﷺ وطاعته وموالاته ومحبته، وضمن لنا بطاعته ومحبته وكرامته محبته لنا ومغفرته، وهدايتَه

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).
(٢) صحيح: وقد تقدم.
(٣) رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠)، من حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وإدخالنا الجنة:

فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤].

وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء].

وأمثال ذلك في القرآن كثير، ولا ينبغي لأحد أن يخرج في هذا الباب عما مضت به السنة، وكان عليه سلف الأمة.

وبالجملة: فمعنا أصلان عظيمان:

أحدهما: ألَّا نعبد إلا اللَّه.

والثاني: ألَّا نعبده إلا بما شرع؛ لا نعبده بعبادةٍ مبتدعة.

وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه، كما قال تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

قال الفضيل بن عياض: «أخلصه وأصوبه؛ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل، حتىٰ يكون خالصًا صوابًا؛ والخالص: أن يكون للَّه، والصواب أن يكون علىٰ السنة».

وذلك تحقيقُ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

وجاءت السنة أن يُسأل اللَّهُ بأسمائه وصفاته، فيقال: «**أسألُك بأن لك الحمدَ، لا إلٰه إلا أنت، المنَّانُ، بديعُ السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيوم، أسألك بأنك أنت اللَّه، لا إلٰه إلا أنت،**

الأحدُ الصمد، الذي لم يَلِد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد»[(١)].

وكذلك قوله: «**اللهم إني أسألك بمعاقِدِ العزِّ مِن عرشك، ومنتهىٰ الرحمةِ من كتابك، وباسمِك الأعظم، وجدك الأعلىٰ، وكلماتك التامة**»[(٢)].

مع أن هذا الدعاء الثاني في جواز الدعاء به قولان للعلماء.

وقال الشيخ أبو الحسين القدوري: «قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف قال: قال أبو حنيفة: «لا ينبغي لأحد أن يدعو اللَّه إلا به،

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٣/١٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٩٣)، وابن أبي شيبة (٢٧٢٠)، وأبو داود (١٤٩٥)، والتِّرمذي (٣٥٤٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٢٢٤)، وفي «المجتبىٰ» (١٣٠٠)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، وابن حِبَّان (٨٩٣)، والحاكم (١/٦٨٣)، والطحاوي في «شرح المشكل الآثار» (١٧٤)، والبيهقي في «الدعوات» (١٢٦)، وفي «الأسماء والصفات» (١٢٦)، والطبراني في «الصغير» (١٠٣٨)، وفي «الدعاء» (١١٦)، وابن منده في «التوحيد» (٢٣٠)، من حديث أنس رضي الله عنه، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٩/٢٣٨).

(٢) موضوع: رواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/٢٤١)، من رواية الحاكم، وذكره الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (١٠٢١)، وعزاه للحاكم ـ أيضًا ـ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وحكم عليه ابن الجوزي **بالوضع**، **وأقرَّه** الزيلعي في «نصب الراية» (٤/٢٧٢)، وكذا فعل الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (٤١٨). وانظر: «معجم المناهي اللفظية» للعلامة بكر أبو زيد رحمه الله ص(٩٠).

تنبيه: حكم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله علىٰ الدعاء بمعاقد العز بأنه لا أصل له، بالرغم من وجود قولين فيه للعلماء. انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١/٣٤٤).

وأكره أن يقول: بمعاقد العز من عرشك، أو بحق خلقك».

وهو قول أبي يوسف.

قال أبو يوسف: «بمعقد العز من عرشك هو اللَّه[(١)]، فلا أكره هذا، وأكره «بحق فلان»، أو «بحق أنبيائك ورسلك»، و«بحق البيت»، و«المشعر الحرام».

قال القدوري: «المسألة بخلقه لا تجوز؛ لأنه لا حق للمخلوق علىٰ الخالق». يعني: فلا تجوز وفاقًا.

وقال البلدجي في «شرح المختار»: ويُكره أن يدعو الإلٰه إلا به، فلا يقول: «أسألك بحق فلان، وبملائكتك، أو بأنبيائك»، ونحو ذلك؛ لأنه لا حق للمخلوق علىٰ الخالق، ويقول في دعائه: «أسألك بمعقد العز من عرشك». وعن أبي يوسف أنه يجوز».

قلت: وهذا عن أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما يقتضي المنعَ أن يُسأل اللَّه تعالىٰ بغيره.

وأما سؤال الميت والغائب ـ نبيًّا كان أو غير نبي ـ فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين، لم يأمر اللَّه به ولا رسولُه، ولا فعله أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين؛ وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن أحدًا منهم ما كان يقول ـ إذا نزلت به شدة، أو عَرَضت له حاجة ـ لميت: «يا سيدي فلان، أنا في حسبك، أو اقض حاجتي»، كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتىٰ والغائبين؛ ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته، ولا

---

(١) فيه نظرٌ بيِّن؛ إذ لا أصل لمثل تلك الصفة في صفات رب العالمين ﷻ.

بغيره من الأنبياء، لا عند قبورهم، ولا إذا بَعِدوا عنها، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء، ولا الصلاة عندها.

ولما قحط الناس في زمان عمر بن الخطاب استسقىٰ بالعباس، وتوسل بدعائه، وقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إذا أجدبنا بنبينا، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»، فيُسقَون، كما ثبت ذلك في «صحيح البخاري»[(١)].

وكذلك معاوية رضي الله عنه لما استسقىٰ بأهل الشام، توسل بيزيد بن الأسود الجُرشي.

فهذا الذي ذكره عمر رضي الله عنه توسُّلٌ منهم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته في حياته؛ ولهذا توسلوا بعده بدعاء العباس، ودعاءِ يزيد بن الأسود، وهذا هو الذي ذكره الفقهاء في كتاب «الاستسقاء»، فقالوا: يُستحب أن يُستسقىٰ بالصالحين، وإذا كانوا من أقارب رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم فهو أفضل.

وقد كره العلماء ـ كمالك وغيره ـ: أن يقوم الرجل عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لنفسه، وذكروا أن هذا من البدع، التي لم يفعلها السلف؛ وقد قال تعالىٰ. ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ۝٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء]، قال: عيسىٰ ابن مريم وعُزير والملائكة.

وكذلك عن إبراهيم النخعي قال: كان ابن عباس يقول في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: «هو عزير، والمسيح، والشمس، والقمر».

---

(١) رواه البخاري (١٠١٠).

وكذلك شعبة روىٰ عن السدي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: «عيسىٰ وأمه والعُزَير».

وعن عبداللَّه بن مسعود قال: «نزلت في نفرٍ من العرب، كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، فنَزلت هذه الآية»، ثبت ذلك عنه في «صحيح البخاري».

وهذه الأقوال كلها حق؛ فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابدًا للَّه ـ سواء كان من الملائكة، أو من الجن، أو من البشر ـ؛ والسلف في تفسيرهم، يذكرون جنس المراد بالآية علىٰ نوع التمثيل، كما يقول الترجمان لمن سأله: ما معنىٰ لفظ «الخبز»؟ فيريه: رغيفًا، فيقول: «هذا»، فالإشارة إلىٰ نوعه لا إلىٰ عينه، وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع دون نوع، مع شمول الآية للنوعين؛ فالآية خطاب لكل من دعا دون اللَّه مدعوًّا، وذلك المدعوُّ يبتغي إلىٰ اللَّه الوسيلة، ويرجو رحمته ويخاف عذابه.

فكل من دعا ميتًا أو غائبًا من الأنبياء والصالحين ـ سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها ـ فقد تناولته هذه الآية، كما تتناول مَن دعا الملائكة والجن؛ ومعلوم أن هؤلاء كلهم وسائط فيما يُقدِّرُه اللَّه بأفعالهم، ومع هذا فقد نهىٰ اللَّه تعالىٰ عن دعائهم، وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويلًا؛ لا يرفعونه بالكلية، ولا يحوِّلونه من موضع إلىٰ موضع ـ كتغيير صفته أو قدره ـ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾، فذكر نكرةً تعمُّ أنواع التحويل.

فكل من دعا ميتًا أو غائبًا من الأنبياء والصالحين، أو دعا

الملائكة، أو دعا الجن، فقد دعا من لا يغيث، ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويلًا؛ وقد قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن]؛ وقد نص الأئمة ـ أحمد وغيره ـ علىٰ أنه لا يجوز الاستغاثة بمخلوق، وهذا مما استدلوا به علىٰ أن كلام اللَّه غير مخلوق، قالوا: لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات اللَّه، وأمر بذلك[1]؛ ولهذا نهىٰ العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يُعرف معناها؛ خشيةَ أن يكون فيها شرك.

ومما يبيِّن حكمة الشريعة وعظم قدرها، وأنها كما قيل: «كسفينة نوح؛ من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»= أن الذين خرجوا عن المشروع زين لهم الشيطان أعمالهم حتىٰ خرجوا إلىٰ الشرك، وطائفةٌ من هؤلاء يُصلُّون إلىٰ الميت، ويستدبر أحدهم القبلة، ويسجد للقبر؛ ويقول أحدهم: «القبلة قبلةُ العامة، وقبر الشيخ فلان قبلةُ الخاصة»، وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادةً وزهدًا وهو شيخٌ متبوع، ولعله من أمثل أتباع شيخه يقوله في شيخه.

وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين ـ أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد ـ، يأمر المريد أول ما يذهب يتوب: أن يذهب إلىٰ قبر الشيخ، فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها.

وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يَجِدُون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب= ما لا يجده أحدهم في مساجد اللَّه التي أَذِنَ أن تُرفع ويذكر فيها اسمه.

وآخرون يحجُّون للقبور، وطائفة صنفوا «مناسك حج المَشاهد»،

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

كما صنف أبو عبد اللَّه محمد بن النعمان الملقب بالمفيد ـ أحد شيوخ الإمامية ـ كتابًا في ذلك، وذكر فيه من الحكايات المكذوبة علىٰ أهل البيت ما لا يخفىٰ كذبه علىٰ من له معرفة بالنقل. وآخرون يسافرون إلىٰ قبور المشائخ، وإن لم يسموا ذلك «مَنسَكًا وحجًّا»، فالمعنىٰ واحد؛ ومن هؤلاء من يقول: «وحقِّ النبي الذي تَحُجُّ إليه المطايا»، فيجعل الحجَّ إلىٰ النبي لا إلىٰ بيت اللَّه ﷻ، وكثير من هؤلاء أعظمُ قَصدِهِ من الحج قصدَ قبر النبي ﷺ لا حجَّ البيت.

وبعض الشيوخ المشهورين بالدين والزهد والصلاح، صنف كتابًا أسماه: «الاستغاثة بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام»، وهذا الضالُّ استعان بهذا الكتاب، وقد ذُكر في مناقب هذا الشيخ أنه حج مرةً، وكان قبر النبي ﷺ منتهىٰ قصده، ثم رجع ولم يذهب إلىٰ مكة، وجُعل هذا من مناقبه! فإن كان هذا مستحبًّا، فينبغي لمن يجب عليه حج البيت إذا حج أن يجعل المدينة منتهىٰ قصده، ولا يذهب إلىٰ مكة، فإنه زيادة كُلفةٍ ومشقة، مع ترك الأفضل، وهذا لا يقوله عاقل.

وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض أكابر الشيوخ عند الناس ممن يقصده الملوك والقضاة والعلماء والعامة= علىٰ طريق ابن سبعين، قيل عنه: إنه كان يقول: «البيوت المحجوجة ثلاثة: مكة، وبيت المقدس، والبيت الذي للمشركين بالهند»، وهذا لأنه كان يعتقد أن دين اليهود حقٌّ ودين النصارىٰ حقٌّ[1].

(١) قال الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طبعته ص(٣٤١): «هذا التعليل لا يكفي؛ بل يزاد عليه ما هو أظهر في المقام، وهو: ودينُ بوذية الهند وغيرها =

وجاء بعض إخواننا العارفين ـ قبل أن يعرف حقيقته ـ فقال له: «أريد أن أسلك علىٰ يديك، فقال: علىٰ دين اليهود أو النصارىٰ أو المسلمين؟ فقال: اليهود والنصارىٰ ليسوا كفارًا؟! فقال: لا تشدِّد عليهم، لكن الإسلام أفضل».

ومن هؤلاء مَن قدَّم الحج إلىٰ المقابر علىٰ الحج إلىٰ البيت؛ ومنهم من يرجِّح الحج إلىٰ البيت، لكن قد يقول أحدهم: «إنك إذا زرت قبر الشيخ مرتين أو ثلاثًا كان كحجةٍ»؛ ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ بمنزلة عرفات، يسافرون إليها وقت الموسم، فيُعرفون بها كما يعرف المسلمون بعرفات، كما يُفعل هذا بالمشرق والمغرب.

ومنهم من يجعل السفر إلىٰ المشهد والقبر الذي يعظمه أفضل من الحج، ويقول أحد المريدين للآخر ـ وقد حج سبع حجج إلىٰ بيت اللَّه العتيق ـ: «أتبيعني زيارة قبر الشيخ بالحجج السبع؟ فشاور الشيخ، فقالوا: لو بعته كنت مغلوبًا». ومنهم من يقول: «من طاف بقبر الشيخ سبعًا كان كحجة»، ومنهم من يقول: «زيارة المغارة الفلانية ثلاث مرات كحجة». ومنهم من يحكي عن الشيخ الميت أنه قال: «كل خطوة إلىٰ قبري كحجة، ويوم القيامة لا أبيع بحجة»؛ وأنكر بعضُ الناس ذلك، فتمثل له الشيطان بصورة الشيخ في منامه، وزجره علىٰ إنكار ذلك! وهؤلاء وأمثالهم صلاتُهم ونسكهم لغير اللَّه رب العالمين، فليسوا علىٰ ملةِ الحنفاء، وليسوا من عمار مساجد

= حقٌّ ـ أي: عنده ـ؛ فإن لفظ «البد» مأخوذ من «بوده» ـ بالمهملة وبالمعجمة ـ؛ بل هو وأمثاله يقولون: إن عباد الشمس والقمر والأوثان والأصنام كلهم يعبدون اللَّه؛ إذ لا موجود غيره فيُعبد» اهـ.

اللَّه؛ الذين قال اللَّه فيهم: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]، فعمار مساجد اللَّه لا يخشون إلا اللَّه.

وعمار مشاهد القبور يخشون غير اللَّه، ويرجون غير اللَّه، حتىٰ إن طائفة من أرباب الكبائر ـ الذين لا يخشون اللَّه فيما يفعلونه من القبائح ـ كان(١) إذا رأىٰ قبة الميت، أو الهلال الذي علىٰ رأس القبة، يخشىٰ(٢) مِن فعل الفواحش، ويقول أحدهم لصاحبه: «ويحك هذا هلال القبة»، فيخشون المدفون تحت الهلال، ولا يخشون الذي خلق السماوات والأرض، وجعل أَهِلَّةَ السماء مواقيت للناس والحج.

وهؤلاء إذا نوظروا خوَّفوا مُناظِرَهم، كما صنع المشركون بإبراهيم، قال تعالىٰ: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام]، إلىٰ قوله: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإلٰه، والشيخَ الحيَّ المتعلق به كالنبي؛ فمن الميت تُطلب قضاء الحاجات، وكشف الكربات، وأما الحي فالحلال ما أحله، والحرام ما حرمه، وكأنهم في أنفسهم قد عزلوا اللَّه عن أن يتخذوه إلٰهًا، وعزلوا محمدًا ﷺ أن يتخذوه رسولًا.

---

(١) انتقل إلىٰ الإفراد، وكانت الجادة: كانوا... إلخ.
(٢) في المطبوع: «فيخشىٰ»، والأصح ـ إن شاء اللَّه ـ ما أثبتُّه.

وقد يجيء الحديثُ العهد بالإسلام أو التابع لهم الحَسنُ الظن بهم أو غيره، يطلب من الشيخ الميت إما دفعَ ظلم مَلِكٍ يريد أن يظلمه أو غير ذلك، فيدخل ذلك السادن، فيقول: «قد قلت للشيخ، والشيخ يقول للنبي، والنبي يقول للَّه، واللَّه قد بعث رسولًا إلىٰ السلطان فلان»؛ فهل هذا إلا محض دين المشركين والنصارىٰ! وفيه من الكذب والجهل ما لا يستجيزه كل مشرك ونصراني، ولا يروج عليه.

ويأكلون من النذور والمنذور وما يؤتىٰ به إلىٰ قبورهم، ما يدخلون به في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، يعرِّضون بأنفسهم، ويمنعون غيرهم؛ إذ التابع لهم يعتقد أن هذا سبيل اللَّه ودينه، فيمتنع بسبب ذلك من الدين الحق الذي بعث اللَّه به رسله وأنزل به كتبه.

واللَّه تعالىٰ لم يذكر في كتابه المشاهد؛ بل ذكر المساجد وأنها خالصة له:

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: ١٨] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور: ٣٦] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠].

ولم يذكر بيوت الشرك ـ كبيوت الأصنام والمشاهد ـ ولا ذكر بيوت النار؛ لأن الصوامع والبيع لأهل الكتاب؛ فالممدوح من ذلك ما كان مبنيًّا قبل النسخ والتبديل، كما أثنىٰ علىٰ اليهود والنصارىٰ والصابئين الذين كانوا قبل النسخ والتبديل، يؤمنون باللَّه واليوم الآخر، ويعملون الصالحات.

فبيوت الأوثان، وبيوت النيران، وبيوت الكواكب، وبيوت المقابر= لم يمدح اللَّه شيئًا منها، ولم يذكر ذلك إلا في قصة من لعنهم النبي ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾ [الكهف]؛ فهؤلاء الذين اتخذوا مسجدًا علىٰ أهل الكهف كانوا من النصارىٰ الذين لعنهم النبي ﷺ؛ حيث قال: «**لعن اللَّه اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، وفي رواية: «**والصالحين**»[1].

ودعاء المقبورين من أعظم الوسائل إلىٰ ذلك، وقد قدم بعض شيوخ المشرق، وتكلم معي في هذا، فبينت له فسادَ هذا، فقال أليس قد قال النبي ﷺ: «إذا أعيتكم الأمور، فعليكم بأصحاب القبور»؟ فقلت: هذا مكذوب باتفاق أهل العلم، لم يروه عن النبي ﷺ أحد من علماء الحديث.

وبسبب هذا وأمثاله ظهر مصداقُ قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القُذَّة بالقذة، حتىٰ لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**». قالوا: يا رسول اللَّه، اليهود والنصارىٰ؟ قال: «**فمن؟**»[2].

وهؤلاء الغلاة المشركون إذا حصل لأحدهم مطلوبه ـ ولو من

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

كافر ـ لم يقبل على الرسول ﷺ؛ بل يطلب حاجته من حيث يظن أنها تُقضىٰ.

فتارةً يذهب إلىٰ ما يظنه قبر رجل صالح، ويكون فيه قبر كافر أو منافق، وتارةً يعلم أنه كافرٌ أو منافق، ويذهب إليه، كما يذهب قوم إلىٰ كنيسة، أو إلىٰ موضع، يقال لهم: إنها تقبل النذر؛ فهذا يقع فيه عامتهم، وأما الأول فيقع فيه خاصتهم؛ حتىٰ إن بعض أصحابنا المباشرين لقضاء القضاة، لما بلغه أني أنهىٰ عن ذلك، صار عنده من ذلك شبهة ووسواس لما يعتقده من الحق فيما أذكره، ولما عنده من المعارضة؛ لذلك قال لبعض أصحابنا سرًّا: «أنا جربت إجابة الدعاء عند قبرٍ بالقرافة، فقال له ذلك الرجل: فأنا أذهب معك إليه، لنعرف من هو قبره»، فذهب إليه، فوجد مكتوبًا عليه «عبد علي»؛ فعرفوا: أنه إما رافضي، أو إسماعيلي.

وكان بالبلد جماعة كثيرون يظنون في العبيديين أنهم أولياء اللَّه الصالحون، فلما ذكرت لهم أن هؤلاء كانوا منافقين زنادقة، وخيارٌ من فيهم الرافضة، جعلوا يتعجبون، ويقولون: نحن نذهب بالفَرَس التي فيها مغلٌ [1] إلىٰ قبورهم؛ فتشفىٰ عند قبورهم، فقلت لهم: هذا من أعظم الأدلة علىٰ كفرهم.

وطلبتُ طائفةً من سُيَّاس الخيل، فقلت: أنتم بالشام ومصر إذا أصاب الخيلَ المغلُ أين تذهبون بها؟ فقالوا: في الشام نذهب بها إلىٰ قبور اليهود والنصارىٰ، وإذا كنا بأرض الشمال نذهب بها إلىٰ القبور التي ببلاد الإسماعيلية ـ كالعليقة والمنيقة ونحوهما ـ وأما

(١) الظاهر أنه مرض.

في مصر فنذهب بها إلىٰ دير هناك للنصارىٰ، ونذهب بها إلىٰ قبور هؤلاء الأشراف، وهم يظنون أن العبيديين أشراف لمَّا أظهروا أنهم من أهل البيت.

فقلت: هل تذهبون إلىٰ قبور صالحي المسلمين، مثل الليث بن سعد، والشافعي، وابن القاسم، ونفيسة، وغير هؤلاء؟ فقالوا: لا؛ فقلت لأولئك: اسمعوا، إنما يذهبون بها إلىٰ قبور الكفار، والمنافقين، وبيَّنتُ لهم سبب ذلك، فقلت: لأن هؤلاء يعذَّبون في قبورهم، والبهائم تسمع أصواتهم ـ كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح[(١)] ـ، فإذا سمعت ذلك فزعت؛ فبسبب الرعب الذي يحصل لها تنحلُّ بطونها فتروث، فإن الفزع يقتضي الإسهال، فتعجبوا من ذلك؛ وهذا المعنىٰ كثيرًا ما كنت أذكره للناس، ولم أعلم أن أحدًا قاله، ثم وجدته قد ذكره بعض العلماء.

والمقصود هنا أن كثيرًا من الناس يُعظِّم قبرَ من يكون في الباطن كافرًا أو منافقًا، ويكون هذا عنده والرسولُ من جنسٍ واحد؛ لاعتقاده أن الميت يقضي حاجته إذا كان رجلًا صالحًا، وكلا هذين عنده من جنس من يستغيث به.

(١) رواه البخاري (٦٣٦٦)، ومسلم (٥٨٦)، من حديث أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
وروىٰ البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن ملائكة القبر حين تضرب الميت، فإنه يصيح صيحة يسمعها كلُّ شيءٍ إلا الثقلين ـ عياذًا برحمة اللَّه تعالىٰ ـ.
وفي «صحيح مسلم» (٢٨٦٧)، من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان راكبًا علىٰ بغلةٍ، فحادت به ـ أي مالت ـ، فكاد يسقط من فوقها ﷺ، وذلك لأنها سمعت أصوات بعض اليهود المعذَّبين في قبورهم.

وكم من مَشهدٍ يعظِّمُه الناس وهو كذب! بل يقال: إنه قبر كافر! كالمشهد الذي بسفح جبل لبنان، الذي يقال: إنه قبر نوح؛ فإن أهل المعرفة يقولون: إنه قبر بعض العمالقة، وكذلك مشهد الحسين الذي بالقاهرة، وقبر أُبيِّ بن كعب الذي في دمشق، اتفق العلماء علىٰ أنه كذب، ومنهم من قال: هما قبران لنصرانيين؛ وكثيرٌ من المشاهد متنازع فيها، وعندها شياطين تُضلُّ بسببها مَن تُضِل.

ومنهم من يرىٰ في المنام شخصًا يظن أنه المقبور، ويكون ذلك شيطانًا تَصوَّر بصورته، أو بغير صورته، كالشياطين التي تكون بالأصنام، وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيث بالأصنام، والموتىٰ والغائبين؛ وهذا كثيرٌ في زماننا وغيره.

مثل أقوام يرصدون بعض التماثيل التي بالبرابي بديار مصر بأخميم وغيرها، يرصدون التمثال مدةً، لا يتطهرون طهر المسلمين، ولا يصلون صلاة المسلمين، ولا يقرؤون حتىٰ يتعلق الشيطان تلك الصورة، فيراها تتحرك فيضع فيها شمعةً أو غيرها، فيرىٰ شيطانًا قد خرج له، فيسجد لذلك الشيطان حتىٰ يقضي بعض حوائجه.

وقد يُمكِّنُه من فعل الفاحشة حتىٰ يقضي حوائجه، ومثل هذا كثير في شيوخ الترك الكفار، يسمونه «البوشت» ـ وهو «المخنث» ـ، إذا طلبوا منه بعضَ هذه الأمور أرسلوا له من ينكحه، وينصبون له حركاتٍ عاليةً في ليلة ظلماء، وقربوا له خبزًا أو ميتةً، وغنَّوا غناءً يناسبه؛ بشرط ألَّا يكون عندهم من يذكر اللَّه، ولا هناك شيءٌ فيه شيءٌ من ذكر اللَّه. ثم يصعد ذلك الشيخ المفعول به في الهواء، ويرون الدف يطير في الهواء، ويَضرب من مد يده إلىٰ الخبز، ويضرب الشيطان بآلات اللهو وهم يسمعون، ويغني لهم الأغاني التي

كانت تغنيها آباؤهم الكفار، ثم قد يغيب، وكذلك الطعام، فيرونه وقد نُقل إلىٰ بيت «البوشت»، وقد لا يغيب، ويقربون له ميتةً يحرقونها بالنار، ويقضي بعض حوائجهم؛ ومثلُ هذا كثير جدًّا للمشركين، فالذي يجري عند المشاهد من جنس ما يجري عند الأصنام.

وقد ثبت بطرقٍ متعددةٍ أن ما يُشرَكُ به من دون اللَّه ـ من صنم وقبر وغير ذلك ـ قد يكون عنده شياطينُ تُضِلُّ من أشرك به، وأن تلك الشياطين لا يقضون إلا بعض أغراضهم، وإنما يقضونها إذا حصل منهم من الشرك والمعاصي ما يحبه الشيطان؛ فمنهم من يأمر الداعي أن يسجد له، ومنهم من يأمره بالفواحش، وقد يفعلها الشيطان، وقد ينهاه عما أمر اللَّه به من التوحيد والإخلاص، والصلوات الخمس، وقراءة القرآن ونحو ذلك.

والشياطين تُغوي الإنسان بحسب ما تطمع منه، فإن كان ضعيف الإيمان أمرته بالكفر البيِّن، وإلا أمرته بما هو فسقٌ أو معصية؛ وإن كان قليلض العلم، أمرته بما لا يعلم أنه مخالف للكتاب والسنة؛ وقد وقع في هذا النوع كثير من الشيوخ، الذين لهم نصيب وافر، من الدين والزهد والعبادة، لكن لعدم علمهم بحقيقة الدين الذي بعث اللَّه به رسوله ﷺ طمعت فيهم الشياطين، حتىٰ أوقعوهم فيما يخالف الكتاب والسنة.

وقد جرىٰ [هذا] لغير واحد من أصحابنا المشائخ، يستغيث بأحدهم بعضُ أصحابه، فيرىٰ الشيخ قد جاء في اليقظة حتىٰ قضىٰ ذلك المطلوب؛ وإنما هي شياطين تتمثل للمشركين الذين يدعون غير اللَّه.

والجن بحسب الإنس، فالكافر للكافر، والفاجر للفاجر، والجاهل للجاهل، وأما أهل العلم والإيمان فأتباع الجن لهم كأتباع الإنس، يتبعونهم فيما أمر اللَّه تعالىٰ به ورسوله.

وقد حدثني بعض الثقات عن هذا الشيخ - يعني ابن البكري الذي جَوَّز في كتابه الاستغاثة بالرسول ﷺ في كل ما يستغاث باللَّه -؛ أنه كان يقول: إن النبي ﷺ علم مفاتيح الغيب التي قال فيها النبي ﷺ: «**خمسٌ لا يعلمُها إلا اللَّه**»، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤][(١)]، وأظنه ذَكَر عنه أنه قال: «علمها بعد أن أخبر أنه لا يعلمها إلا اللَّه».

وآخر من جنسه - يباشر التدريس وينسب إلىٰ الفتيا - كان يقول: «إن النبي ﷺ يعلمُ ما يعلمه اللَّه، ويقدر علىٰ ما يقدر اللَّه عليه، وأن هذا السر انتقل بعده إلىٰ الحسن، ثم انتقل في ذرية الحسن إلىٰ الشيخ أبي الحسن الشاذلي»، وقالوا: «هذا مقام القطب الغوث، الفرد الجامع».

وكان شيخٌ آخرُ معظَّمٌ عند أتباعه يدعي هذه المنزلة، ويقول: «إنه المهديُّ الذي بشر به النبي ﷺ[(٢)]، وأنه يزوِّج عيسىٰ بابنته، وأن نواصي الملوك والأولياء بيده، يولي من يشاء، ويعزل من يشاء، وأن الرب يناجيه دائمًا، وأنه الذي يُمِدُّ حَمَلَةَ العرش وحيتان البحر».

---

(١) رواه البخاري (٤٦٢٧)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) راجع كتاب: «المهدي»، للشيخ محمد بن إسماعيل المقدِّم.

وقد عزرتُه تعزيرًا بليغًا في يومٍ مشهود بحضرة من أهل المسجد الجامع يوم الجمعة بالقاهرة، فعرفه الناس، وانكسر بسببه أشباهه من الدجاجلة.

ومن هؤلاء: من يقول [في] قول اللَّه سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح]: «إن الرسول هو الذي يسبَّح بكرةً وأصيلًا». ومنهم من يقول: «نحن نعبد اللَّه ورسوله»! فيجعلون الرسول معبودًا!

ومنهم من يأتي إلىٰ قبر الميت ـ الرجل أو المرأة ـ الذي يُحسِّنُ الظن لنفسه، فيقول: «اغفر لي وارحمني، ولا توقفني علىٰ زلة»، ونحو هذا الكلام، إلىٰ أمثال هذه الأمور التي يُتخذ فيها المخلوق إلٰهًا.

ولما استقر هذا في نفوس عامتهم، تجد أحدهم إذا سئل عمن ينهاهم: «ما يقول هذا؟ فيقول: فلان عنده ما ثَم إلا اللَّه»، لما استقر في نفوسهم أنهم يجعلون مع اللَّه إلٰهًا آخر! وهذا كله وأمثاله وقع ونحن بمصر، وآخر يقول ـ معظمًا لمن يدعو إلىٰ التوحيد ـ: «قد جعل الآلهة إلٰهًا واحدًا».

وهؤلاء الضالون مستخفُّون بتوحيد اللَّه، ويعظمون دعاء غير اللَّه من الأموات؛ فإذا أمروا بالتوحيد، ونهوا عن الشرك، استخفوا به، كما أخبر تعالىٰ عن المشركين بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [الفرقان: ٤١] الآية، فاستهزؤوا بالرسول ﷺ لما نهاهم عن الشرك.

وقال تعالىٰ عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونِۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الصافات].

وقال تعالىٰ: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص]... (وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ آياتٍ كثيرة).

وما زال المشركون يسفِّهون الأنبياء، ويصفونهم بالجنون، والضلال والسفاهة، كما قال قومُ نوح لنوح وعادٍ لهود: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، فأعظم ما سفهوه لأجله وأنكروه هو التوحيد.

وهكذا تجد من فيه شبهُ هؤلاء من بعض الوجوه، إذا رأىٰ من يدعو إلىٰ توحيد اللَّه، وإخلاص الدين له، وألَّا يعبد الإنسان إلا اللَّه، ولا يتوكل إلا عليه= استهزأ بذلك؛ لما عنده من الشرك؛ وكثيرٌ من هؤلاء يخربون المساجد، فتجد المسجد الذي بني للصلوات الخمس معطلًا مخربًا، ليس له كسوةٌ إلا من الناس، كأنه خانٌ من الخانات[(١)]، والمشهد الذي بُني علىٰ الميت فعليه الستور وزينة الذهب والفضة والرخام، والنذور تغدو وتروح إليه.

فهل هذا إلا من استخفافهم باللَّه وآياته ورسوله، وتعظيمهم للشرك؟ فإنهم اعتقدوا أن دعاء الميت الذي بُني له المشهد، والاستغاثة به، أنفع لهم من دعاء اللَّه والاستغاثة به في البيت الذي بُني للَّه عَزَّ وَجَلَّ؛ ففضلوا البيت الذي بني لدعاء المخلوق، علىٰ البيت

(١) **الخان**: الدكان.

الذي بني للَّه.

وإذا كان لهذا وقفٌ ولهذا وقف؛ كان وقف الشرك أعظم عندهم منه، مضاهاة لمشركي العرب الذين ذكر اللَّه حالهم في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦] الآية، كما يجعلون للَّه زرعًا وماشيةً، ولآلهتهم زرعًا وماشيةً، فإذا أصيب نصيب آلهتهم أخذوا من نصيب اللَّه فوضعوه فيه، وقالوا: «اللَّه غني، وآلهتنا فقيرة»، فيفضِّلون ما يُجعل لغير اللَّه علىٰ ما يجعل للَّه.

وهكذا هؤلاء؛ الوقوف والنذور التي تبذل عندهم للمَشاهد أعظم مما تبذل عندهم للمساجد، ولعمار المساجد، والجهاد في سبيل اللَّه؛ وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه بكىٰ عنده وخضع، ويدعو ويتضرع، ويحصل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب= ما لا يحصل له مثله في الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن؛ فهل هذا إلا من حال المشركين المبتدعين، لا الموحدين المخلصين المتبعين لكتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ؟!

ومثل هذا: أنه إذا سمع أحدهم سماع الأبيات، يحصل له من الحضور والخشوع والبكاء ما لا يحصل له مثله عند سماع آيات اللَّه؛ فيخشع عند سماع المشركين المبتدعين، ولا يخشع عند سماع المتقين المخلصين؛ بل إذا سمعوا آيات اللَّه اشتغلوا عنها، وكرهوها، واستهزؤوا بها، وبمن يقرؤها، ما يحصل لهم به أعظم نصيب من قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة].

وإذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسُنٍ لاغية[1]، كأنهم

---

(١) **لاغية**: مشغولة باللغو وما لا فائدة منه.

صمٌّ وعمي، وإذا سمعوا الأبيات حضرت قلوبهم، وسكنت حركاتهم، حتىٰ لا يشرب العطشان منهم ماءً.

ومن هؤلاء من إذا كانوا في سماعهم، فأذن المؤذن؛ قالوا: «نحن في شيء أفضل مما دعانا إليه». ومنهم من يقول: «كنا في الحضرة، فإذا قمنا إلىٰ الصلاة صرنا إلىٰ الباب».

وقد سألني بعضهم عمن قال ذلك من هؤلاء الشيوخ الضلَّال، فقلت: كَذَب، كان في حضرة الشيطان، فصار علىٰ باب اللَّه، فإن البدع والضلالة فيها من حضور الشيطان ما قد فُصِّل في غير هذا الموضع.

والذين يجعلون دعاء الموتىٰ من الأنبياء والأئمة والشيوخ، أفضل من دعاء اللَّه أنواع متعددة، منهم من تقدم، ومنهم من يحكي أنواعًا من الحكايات:

- كحكاية أن بعض المريدين استغاث باللَّه فلم يغثه، واستغاث بشيخه فأغاثه.

- وحكاية أن بعض المأسورين في بلاد العدو دعا اللَّه؛ فلم يخرجه، فدعا بعض المشائخ الموتىٰ، فجاءه فأخرجه إلىٰ بلاد الإسلام.

- وحكاية أن بعض الشيوخ قال لمريده: «إذا كانت لك إلىٰ اللَّه حاجة، فتعال إلىٰ قبري»، وآخر قال: «فتوسل إلىٰ اللَّه بي»، وآخر قال: «قبر فلان هو الترياق المجرَّب».

فهؤلاء وأشباههم يرجِّحون هذه الأدعيةَ علىٰ أدعية المخلصين للَّه، مضاهاةً لسائر المشركين، وهؤلاء يتمثل لكثيرٍ منهم صورةُ

شيخه الذي يدعوه، فيظنه إياه، أو ملكًا علىٰ صورته، وإنما هو شيطانٌ أغواه. ومن هؤلاء من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه، ولا يذكر إلا اسمه، قد لهج به كما يلهج الصبي بذكر أمه، فيستنصر به أحدهم، فيقول: يا فلان؛ وقد قال اللَّه تعالىٰ للموحدين: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

ومن هؤلاء من يحلف باللَّه ويكذب، ويحلف بشيخه وإمامه ويَصدُق ولا يكذب؛ فيكون شيخه عنده في صدره أعظم من اللَّه.

فإذا كان دعاء الموتىٰ ـ مثل الأنبياء والصالحين ـ يتضمن هذا الاستهزاء باللَّه وآياته ورسوله، فأي الفريقين أحق بالاستهزاء باللَّه وآياته ورسوله؟ من كان يأمر بدعاء الموتىٰ والاستغاثة بهم، مع ما يترتب علىٰ ذلك من الاستهزاء باللَّه وآياته ورسوله ﷺ أو من كان يأمر بدعاء اللَّه وحده لا شريك له، كما أمرت به رُسلُه، ويوجب طاعة الرسول ﷺ ومتابعته في كل ما جاء به؟

وأيضًا: فإن هؤلاء الموحدين من أعظم الناس إيجابًا لرعاية جانب الرسول ﷺ، وتصديقًا له فيما أخبر، وطاعةً له فيما أمر، واعتناء بمعرفة ما بُعث به، والتمييز بين ما روي عنه من الصحيح والضعيف، والصدق والكذب، واتباع ذلك دون ما خالفه، عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف].

وأما أولئك الضلّال أشباه المشركين والنصارىٰ، فعمدتهم إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة، أو منقولات عمن لا يُحتج بقوله، إما أن يكون كُذب عليه، وإما أن يكون غلطًا منه؛ إذ هي نقلٌ غير

مصدَّق عن قائل غير معصوم، وإن اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول ﷺ حرَّفوا الكلم عن مواضعه، وتمسكوا بمتشابهه، وتركوا مُحكمَه ـ كما يفعل النصارىٰ ـ، وكما فعل هذا الضال؛ أخذ لفظ «الاستغاثة»، وهي تنقسم إلىٰ الاستغاثة بالحي وبالميت، والاستغاثة بالحي تكون فيما يقدر عليه وما لا يقدر عليه، فجعل حكم ذلك كلِّه واحدًا، ولم يكفه حتىٰ جعل السؤال بالشخص من مسمىٰ الاستغاثة، ولم يكفه ذلك حتىٰ جعل الطالب منه إنما طلب من اللَّه، لا منه، فالمستغيث به مستغيثًا باللَّه، ثم جعل الاستغاثة باللَّه بكل ميتٍ من نبيٍّ وصالحٍ جائزة.

واحتج علىٰ هذه الدعوىٰ العامة الكلية ـ التي أدخل فيها من الشرك والضلال ما لا يعلمه إلا ذو الجلال ـ بقضية خاصة جزئية، كسؤال الناس للنبي ﷺ في الدنيا والآخرة أن يدعو اللَّه، وتوجههم إلىٰ اللَّه بدعائه وشفاعته؛ ومعلوم أن هذا الذي جاءت به السنة حق لا ريب فيه، لكن لا يلزم من ذلك ثبوت جميع تلك الدعاوىٰ العامة وإبطال نقيضها؛ إذ الدعوىٰ الكلية لا تثبت بمثالٍ جزئي، لا سيما عند الاختلاف والتباين.

وهذا كمن يريد أن يثبت جميع الملاهي لكل أحد، والتقرب بها إلىٰ اللَّه بكون جاريتين غنتا عند عائشة رضي الله عنها في بيت النبي ﷺ يوم عيد، مع كون وجهه كان مصروفًا إلىٰ الحائط لا إليهما، ويحتج علىٰ استماع كل قول بقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر]، ولا يدري أن «القول» هنا هو القرآن، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وإلا فمسلمٌ لا يُسوِّغُ استماع كل قول.

وقد نهىٰ اللَّه ﷻ عن الجلوس مع الخائضين في آياته، وخوضهم نوع من القول، فقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ۝٧٢﴾ [الفرقان]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥] الآية.

وهذا الضال يجوز عنده أن يستغاث بالرسول في كل ما يستغاث باللَّه، علىٰ معنىٰ أنه وسيلةٌ من وسائل اللَّه في طلب الغوث؛ وهذا عنده ثابت للصالحين، وهو ثابتٌ عند هذا الضال بعد موته ثبوته في حياته، لأنه عند اللَّه في مزيدٍ دائمٍ لا ينقص جاهه.

فدخل عليه الخطأ من وجوه:

منها: أنه جعل المتوسَّل به بعد موته في الدعاء مستغاثًا به؛ وهذا لا يُعرف في لغة أحد من الأمم ـ لا حقيقةً ولا مجازًا ـ، مع دعواه الإجماع علىٰ ذلك؛ فإن المستغاث هو المسؤول المطلوب منه، لا المسؤول به.

الثاني: ظنه أن توسل الصحابة به في حياته كان توسلًا بذاته لا بدعائه وشفاعته، فيكون التوسل به بعد موته كذلك؛ وهذا غلط، لكنه يوافقه طائفةٌ من الناس بخلاف الأول، فإني ما علمت أحدًا وافقه عليه.

الثالث: أنه أدرج سؤاله ـ أيضًا ـ في الاستغاثة به، وهذا صحيحٌ جائز في حياته؛ وهو قد سَوَّىٰ في ذلك بين محياه ومماته، وهذا أصاب في لفظ «الاستغاثة»، لكن أخطأ في التسوية بين المحيا والممات.

وهذا ما علمته يُنقل عن أحد من العلماء، لكنه موجود في كلام بعض الناس، مثل الشيخ يحيىٰ الصرصري، ففي شعره قطعة منه؛ والشيخ محمد بن النعمان له كتاب «المستغيثين بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام»، وهذا الرجل قد نقل منه فيما يغلب علىٰ ظني.

وهؤلاء لهم صلاح ودين، لكنهم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام، ومعرفة الحلال والحرام، وليس لهم دليل شرعي، ولا نقلٌ عن عالم مرضي، بل عادة جَرَوْا عليها؛ كما جرت عادة كثير من الناس بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه.

وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم ولهم فضل وعلم وزهد، إذا نزل به أمرٌ خطا إلىٰ جهة الشيخ عبدالقادر[(١)] خطواتٍ معدودةً، واستغاث به، وهذا يفعله كثير من الناس؛ ولهذا لما نُبِّه من نبَّه من فضلائهم تنبهوا، وعلموا أن ما كانوا عليه ليس من دين الإسلام؛ بل هو مشابهة لعُباد الأصنام.

لكن هؤلاء كلهم ليس منهم من يَعُدُّ نَفْيَ هذا والنهي عنه كفرًا، إلا مثل هذا الأحمق الضال الذي حاق به وبيل النكال؛ فإنه من غلاة أهل البدع الذين يبتدعون القول ويُكفِّرون من خالفهم فيه كالخوارج والروافض والجهمية؛ فإن هذا القول الذي قالوه لم يوافقهم عليه أحد من علماء المسلمين الأولين ولا الآخرين.

وقد طاف بجوابه علىٰ علماء مصر ليوافقه واحد منهم، فما وافقوه، وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذي كتبتُه، فما خالفوه؛

---

(١) الجَيْلاني.

وقد كان بعض الناس يوافقه علىٰ جواز التوسل بالنبي الميت، لكنهم لم يوافقوه علىٰ تسميته «استغاثة»، ولا علىٰ كفر من أنكر الاستغاثة به، ولا جَعَل هذا من السب؛ بل عامتهم وافقوا علىٰ منع الاستغاثة به، بمعنىٰ أنه يُطلب منه ما لا يقدر عليه إلا اللَّه.

وما علمت عالمًا نازع في أن الاستغاثة بالنبي ﷺ وغيره من المخلوقين بهذا المعنىٰ لا تجوز، مع أن قومًا كان لهم غرض وفيهم جهل بالشرع قاموا في ذلك قيامًا عظيمًا، واستغاثوا بمن كان له غرضٌ من ذوي السلطان، وجمعوا الناس وعقدوا مجلسًا عظيمًا، ضلَّ فيه سعيهم، وظهر فيه جهلهم، وخاب فيه قصدهم، وظهر فيه الحق لمن يعاونهم من الأعيان، وتمنوا أن ما فعلوه ما كان لأنه كان سببًا لظهور الحق مع الذي عادوه وقاموا عليه، وسببًا لانقلاب الخلق إليه، وكانوا كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفه[(١)]، مع فرط تعصبهم، وكثرة جمعهم، وقوة سلطانهم، ومكائد شيطانهم.

وهذه الطريقة ـ التي سلكها هذا وأمثاله ـ هي طريقة أهل البدع الذين يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعةً مخالفةً للكتاب والسنة وإجماع الصحابة، ويكفِّرون من خالفهم في بدعتهم كالخوارج المارقين، وكذلك الروافض الذين كفَّروا من خالفهم من الصحابة وجمهور المؤمنين، حتىٰ كفَّروا أبا بكر وعمر وعثمان ومن والاهم وأئمة السنة والجماعة.

وأهل العلم والإيمان فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون

---

(١) **مارن الأنف**: طرفه.

الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون فيمن خرج عنها ولو ظلمهم، كما قال تعالىٰ: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥] الآية، وقال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] الآية.

فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفِّرون من خالفهم ـ وإن كان ذلك المخالف يكفِّرهم ـ؛ لأن الكفر حكم شرعي؛ فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنىٰ بأهلك؛ ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنا حرامٌ لحقِّ اللَّه، وكذلك التكفير حق للَّه، فلا يُكفَّر إلا من كفَّره اللَّه ورسوله.

وأيضًا فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف علىٰ أن تبلغه الحجةُ النبوية التي يكفر من خالفها؛ فليس كلُّ مَن جَهِل شيئًا من الدين يكفر؛ ولهذا لما استحل طائفةٌ من الصحابة والتابعين ـ كقدامة بن مظعون وأصحابه ـ الخمر، وظنوا أنها تباح لمن عمل صالحًا علىٰ ما فهموه من آية المائدة[1] = اتفق علماء الصحابة ـ كعمر وعلي وغيرهما ـ علىٰ أنهم يستتابون، فإن أصروا علىٰ الاستحلال كفروا، وإن أقروا به جلدوا، فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداءً لأجل الشبهة التي عرضت لهم، حتىٰ يتبين لهم الحق، فإذا أصروا علىٰ الجحود كفروا.

وقد ثبت في «الصحيحين» حديث الذي قال لأهله: «**إذا أنا متُّ**

---

(١) وهي قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة].

فاسحقوني، ثم ذرُّوني في اليم؛ فواللَّهِ لئن قَدَر اللَّه عليَّ ليُعذِّبنِّي عذابًا ما عذَّبه أحدًا من العالمين. فأمر اللَّهُ البَرَّ؛ فرَدَّ ما أخذه منه، وأمر البحر فرد ما أخذه منه، وقال: ما حَمَلك علىٰ ما فعلت؟ قال: خشيتك ـ يا رب ـ. فغفر له»[(١)].

فهذا اعتقد أنه إذا فعل ذلك لن يقدر اللَّهُ علىٰ إعادته، وأنه لا يعيده، أو جوَّز ذلك؛ وكلاهما كفر، لكن كان جاهلًا لم يتبين له الحق بيانًا لا يعذر بمخالفته، فغفر اللَّه له.

ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفَوا أن يكون اللَّه تعالىٰ فوق العرش: أنا لو وافقتكم كنت كافرًا؛ لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال، وكان هذا خطابًا لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم.

وهو قد احتج بحديث الأعمىٰ الذي قال: «**اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيِّك محمدٍ نبي الرحمة**»[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٤٨١)، ومسلم (٢٧٥٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٣٨/٤)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٣٧٩)، والترمذي (٣٥٧٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٤١٩)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٦٥٩)، وابن ماجه (١٣٨٥)، وابن خزيمة (١٢١٩)، والحاكم (٣١٣/١)، والطبراني في «الكبير» (٣٠/٩)، وفي «الصغير» (٥٠٨)، وفي «الدعاء» (١٠٥٠)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٢٣٥)، و«الدلائل» (١٦٦/٦)، وابن قانع في «المعجم» (٢٥٧/٢)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٤٩٢٨)، من حديث عثمان بن حُنيف رضي الله عنه، وقال الترمذي: «**حسن صحيح غريب**»، **وصحَّحه** الحاكم، **وأقرَّه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني =

وهذا الحديث لا حجة فيه لوجهين:

أحدهما: أنه ليس هو استغاثة؛ بل توجه به.

والثاني: أنه إنما توجه بدعائه وشفاعته؛ فإنه طلب من النبي ﷺ الدعاء، وقال في آخره: «اللهم فشفِّعْه فيَّ»، فعلم أنه شفع له، فتوسل بشفاعته لا بذاته، كما كان الصحابة يتوسلون بدعائه في الاستسقاء، وكما توسلوا بدعاء العباس بعد مماته ﷺ[(١)].

وكل ذلك في أول الحديث أنه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له، فدل الحديث علىٰ أن النبي ﷺ شفع له ودعا له، وإن النبي ﷺ أمره هو أن يدعو اللَّه تعالىٰ، وأن يسأله قبول شفاعته، وقوله: «يا محمد، إني أتوجه بك إلىٰ ربي في حاجتي هذه لتقضىٰ»، خطاب لما ظهر في قلبه، كما نقول في صلاتنا: «السلام عليك أيها النبي ورحمة اللَّه وبركاته»، وكما يستحضر الإنسان من يحبُّه ويبغضه في قلبه، ويخاطبه، وهذا كثير.

وما ذكره من توسل آدم وحكاية المنصور[(٢)]، فجوابها من

= في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٨/٤٧٨).

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) وهي قصة أبي جعفر المنصور مع الإمام مالكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، **وهي قصةٌ باطلةٌ**؛ رواها القاضي عياض بسندٍ فيه كذاب وضعفاء، وفيها: أن أبا جعفر المنصور رفع صوته في المسجد النبوي، فنهاه مالك، وتلا عليه بعض آيات القرآن، فقال أبو جعفر: يا أبا عبد اللَّه، أستقْبِلُ القبلة وأدعو؟ أم أستقبل رسول اللَّه ﷺ (يعني قبره ﷺ)؟ فقال مالك: ولِمَ تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك اللَّه... إلخ القصة. =

وجهين:

أحدهما: أن هذا لا أصل له، ولا تقوم به حجة، ولا إسناد لذلك.

والثاني: أنه لو دل علىٰ التوسل بذاته، لا يدل علىٰ الاستغاثة به. وأما اشتكاء البعير إليه[1]، فهذا كاشتكاء الآدمي إليه، وما زال الناس يستغيثون به في حياته، كما يستغيثون به يوم القيامة؛ وقد قلنا: إنه إذا طلب ما يليق بمنصبه فهذا لا نزاع فيه؛ والطلب منه في حياته، والاستغاثة به في حياته فيما يقدر عليه= لم ينازع فيه أحد. فما ذكره لا يدل علىٰ مورد النِّزاع.

ولكن هذا أخذ لفظ الاستغاثة ومعناها العام، فجعل يشبه به، وهذا إنما يليق بمن قال: «لا يستغيث به أحد حيًّا ولا ميتًا في شيء من الأشياء»، ومعلوم أن العاقل لا يقول هذا في آحاد العامة، فضلًا عن الصالحين، فضلًا عن الأنبياء والمرسلين، فضلًا عن سيد

= انظر: «الشفا في التعريف بحقوق المصطفىٰ» (٤١/٢)، و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك» (١٠١/٢)، كلاهما للقاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) **صحيح:** رواه أحمد (٢٠٤/١)، وأبو داود (٢٥٤٩)، والحاكم (١٠٩/٢)، وأبو يعلىٰ (٦٧٨٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢١/٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٣٧)، وأبو عوانة (٤٩٧)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٥٨٤٢)، والطبراني في «الكبير» (٧٨/١٣)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٢٣/٨)، وفي «المعرفة» (٣١٠/١١)، وفي «دلائل النبوة» (٢٦/٦)، من حديث عبداللَّه بن جعفر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٧٤/٣)، وكذا عند أبي داود (٢٠١/٤).

وأصل الحديث في «صحيح مسلم» (٣٤٢)، دون قصة البعير.

الأولين والآخرين؛ فإنه ما من أحد إلا يمكن أن يُستغاث به في بعض الأشياء، فكيف أفضل الخلق، وأكرمهم علىٰ اللَّه؟!

ولكن النفي عاد إلىٰ شيئين:

- إلىٰ الاستغاثة به بعد الموت.

- وأن يُطلب منه ما لا يقدر عليه إلا اللَّه تعالىٰ.

وأما قول هؤلاء الجهال فهو يستلزم الردة عن الدين، والكفر برب العالمين؛ ولا ريب أن أصل قول هؤلاء هو من باب الشرك باللَّه، الذي هو الكفر الذي لا يغفره اللَّه تعالىٰ.

فإن اللَّه سبحانه قال في كتابه: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح] الآية.

وقد قال غير واحد من السلف: «هذه أسماء قوم صالحين، كانوا في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم عبدوهم».

وقد ذكروا ذلك بعباراتٍ متقاربةٍ في كتب الحديث والتفسير وقصص الأنبياء، كما ذكره البخاري في «صحيحه»[(١)] وجماعةٌ من أهل الحديث.

وقد أمر اللَّه نبيه ﷺ أن يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف] الآية؛ فيقول أهل الضلال: «هذا يقوله هو نفسه، وأما نحن فليس لنا أن نقول: هذا بشر، بل نقول كما قال فلان وفلان، ومن زعم أن محمدًا بشرٌ كلُّه فقد كفر».

(١) **صحيح**: وقد تقدم من كلام ابن عباس رضي الله عنهما.

وهذا يقوله قوم منهم، وهو تشبُّهٌ بقول النصارىٰ في المسيح، يقولون: ليس هو بشرًا كله؛ بل المسيح عندهم اسم يتناول اللاهوت والناسوت، الإلٰهيَّة والبشرية جميعًا؛ وهذا يقوله طائفة من غلاة الصوفية والشيعة، يقولون باتحاد اللاهوت والناسوت، في الأنبياء والصالحين، كما تقول النصارىٰ في المسيح.

ونحن نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يشرع لأمته أن يدْعوا أحدًا من الأموات، لا الأنبياء، ولا الصالحين، ولا غيرهم بلفظ الاستغاثة ولا غيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلىٰ ميت ونحو ذلك؛ بل نعلم أنه نهىٰ عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه اللَّه ورسوله، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثيرٍ من المتأخرين= لم يمكن تكفيرهم بذلك، حتىٰ يتبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه.

ولهذا ما بيَّنت هذه المسألة قط لمن يعرف دين الإسلام إلا تفطن لها، وقال: هذا أصل دين الإسلام! وكان بعض أكابر الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول: «هذا أعظم ما بيَّنته لنا»، لعلمه أن هذا أصل الدين.

وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرىٰ يدَّعون الإسلام، ويدْعون الأموات ويسألونهم، ويستجيرون بهم ويفزعون إليهم، وربما كان ما يفعلونه بالأموات أعظم؛ لأنهم إنما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم، فيدعونه دعاء المضطر، راجين قضاء حاجاتهم بدعائه، والدعاء به عند قبره، بخلاف عبادتهم للَّه ودعائهم إياه؛ فإنهم يفعلون ذلك في كثير من الأوقات، علىٰ وجه التكلف والعادة،

حتىٰ إن العدو الخارج من الإسلام لما قدم دمشق، خرجوا يستغيثون بالموتىٰ عند القبور، يرجون عندها كشف ضرهم.

وقال بعض الشعراء:

يا خائفينَ من التتر لوذُوا بقبر أبي عمر
عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكمو من الضرر

فقلت لهم: هؤلاء الذين تستغيثون بهم، لو كانوا معكم في القتال لانهزموا ـ كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أُحُد ـ؛ فإنه قُضي أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك، والحكمة كانت للَّه في ذلك؛ ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة، لعدم القتال الشرعي الذي أمر اللَّه به ورسوله.

فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين للَّه، والاستغاثة به، وأنهم لا يستغيثون إلا إياه؛ لا يستغيثون بمَلَكٍ مقرَّب ولا نبيٍّ مرسل، فلما أصلح الناس أمورهم، وصدقوا في الاستغاثة بربهم، نصرهم علىٰ عدوهم نصرًا لم يتقدم نظيره، ولم يَهزِم مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلًا؛ لما صح من توحيد اللَّه وطاعة رسوله ﷺ ما لم يكن قبل ذلك؛ فإن اللَّه ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، كما قال تعالىٰ في يوم بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

وروي أن النبي ﷺ يوم بدر كان يقول: «**يا حيُّ يا قيوم، لا إلٰه إلا أنت، برحمتك أستغيث**»، وفي لفظ: «**أصلِحْ لي شأني كلَّه، ولا تكِلْني إلىٰ نفسي طرفة عين، ولا إلىٰ أحدٍ من خلقك**»(١).

(١) حسن: رواه النسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٣٣٠)، والحاكم (١/٥٤٥)، =

وهؤلاء يدْعون الميت والغائب، فيقول أحدهم: «بك أستغيث، بك أستجير، أغثنا، أجرنا»، ويقول: «أنت تعلم ذنوبي»، ومنهم من يقول للميت: «اغفر لي، وارحمني، وتب علي»، ونحو ذلك؛ ومن لم يقل [هذا] من عقلائهم فإنه يقول: «أشكو إليك ذنوبي، وأشكو إليك عدوي، وأشكو إليك جور الولاة، وظهور البدع، وجدب الزمان»، أو غير ذلك؛ فيشكو إليه ما حصل من ضررٍ في الدين والدنيا، ومقصوده بالشكوىٰ أن يُشكِيَه[(١)]، فيزيل ذلك الضرر عنه؛ وقد يقول مع ذلك: «أنت تعلم ما نزل بنا من الضرر، وأنت تعلم ما فعلتُه من الذنوب»، فيجعل الميت أو الحي الغائب عالمًا بذنوب العباد وجزئياتهم، التي يمتنع أن يعلمها بشرٌ حي أو ميت[(٢)].

ثم منهم من يطلق سؤاله والشكوىٰ ظانًّا أنه يقضي حاجته، كما يخاطب بذلك ربه، بناءً علىٰ أنه يمكنه ذلك بطريق من الطرق، وأنه وسيلة وسبب، وإن كان السائل لا يعلم وجه ذلك.

= والبيهقي في «الشُّعَب» (٧٤٥)، و«الأسماء والصفات» (٢١٣)، والطبراني في «الدعاء» (١٠٤٦)، وفي «الأوسط» (٣٥٦٥)، وفي «الصغير» (٤٤٤)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٨٧٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٨)، من حديث أنس رضي الله عنه. **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، وكذا الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (١/٢٦٩)، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٢٠).

(١) **يُشكيه**: يزيل شكواه.

(٢) قال الشيخ رشيد رضا رحمه الله في طبعته ص(٣٦٤): «لخواصِّ مشركي زماننا عبارة مألوفة في ذلك؛ هي قولهم عند القبر: العارف لا يعرَّف! سمعها بعض أصحابنا من «قاضٍ شرعي» متوجهٌ إلىٰ القبر الحسيني المزور بمصر بغاية الخشوع» اهـ.

وعقلاؤهم يقولون: «مقصودنا أن يسأل اللَّه لنا، ويشفع لنا»، ويظنون أنهم إذا سألوه بعد موته، أنه يسأل اللَّه لهم؛ فإنه يسأل ويَشفع، كما يَسأل ويَشفع لما سأله الصحابة رضي الله عنهم الاستسقاء وغير ذلك، وكما يشفع يوم القيامة إذا سئل الشفاعة؛ ولا يعلمون أن سؤال الميت أو الغائب غير مشروع البتة، ولم يفعله أحد من الصحابة، بل عدلوا عن سؤاله وطلب الدعاء منه، إلىٰ سؤال غيره وطلب الدعاء منه، وأن الرسول ﷺ وسائر الأنبياء والصالحين وغيرهم لا يُطلب منه بعد موته من الأمور، ما كان يطلب منه في حياته، واللَّه أعلم». انتهىٰ ملخصًا.

فتأمل ـ رحمك اللَّه ـ كلامه ساعةً بعد ساعة، ويومًا بعد يوم، وشهرًا بعد شهر، وسنةً بعد سنة؛ لعلك أن تعرف دين الإسلام، الذي بعث اللَّه به جميع رسله، وأنزل به جميع كتبه:

كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف].

ثم تأمل ما ذكره الشيخ من أنواع الشرك الأكبر؛ الذي قد وقع في زمانه لمن يدعي العلم والمعرفة، وينتصب للفتيا والقضاء، لكن لما نبَّههم الشيخ علىٰ ذلك، وبيَّن لهم أن هذا هو الشرك الذي حرمه اللَّه ورسوله، تنبهوا وعرفوا أن ما هم عليه شرك وضلال،

وانقادوا للحق، وأن بعضهم لما بُيِّن له ذلك، قال: «هذا أحسن ما بينته لنا»= يتبين لك غربة الإسلام؛ وهذا مصداقُ ما تواترت به الأحاديث عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**» الحديث[١].

وتأمل ـ أيضًا ـ ما وقع من هذا الرجل، وتجويزه الاستغاثة بغير اللَّه، وأنه يجوز الاستغاثة بالنبي ﷺ في كل ما يُستغاث به اللَّه، واحتجاجه علىٰ ذلك بمتشابه القرآن والسنة، وتكفير من قال: إنه لا يُستغاث إلا باللَّه في الأمور التي لا يقدر عليها إلا اللَّه، من كشف الشدائد وإنزال الفوائد.

ثم تأمل رد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عليه بالآيات المحكمات، والبراهين القاطعات، من الأحاديث الصريحات= يتبين لك الأمر ـ إن هداك اللَّه ـ، وتنزاح عنك الشبهة التي أدخلت كثيرًا من الناس النار، وهي الاغترار بما عليه الآباء والأجداد، وما استمر عليه عملُ كثيرٍ من أهل البلاد.

ومن أعجب ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عن هؤلاء المشركين في زمانه: أن أحدهم يسجد للقبر ويستدبر القبلة، ويقول أحدهم: «القبلة قبلة العامة، وقبر الشيخ فلان قبلة الخاصة»؛ قال رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا: «يقوله من هو أكثر الناس عبادةً وزهدًا، وهو شيخٌ متبوع».

قلتُ: كما يشاهَدُ اليوم في زماننا، يفعل في مشهد عليٍّ وغيره من المشاهد والمساجد المبنية علىٰ القبور[٢]، ويجدون عند عبادة

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) قال الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ في طبعته ص(٣٦٦): «استقبال القبور عند =

القبور من الرقة والخشوع والبكاء أعظمَ مما يجدون في بيوت اللَّه.

بل إذا قام أحدهم في الصلاة بين يدي اللَّه نَقَرها نَقْرَ الغراب، ومنهم من يحلف باللَّه اليمين الغموس كاذبًا، فإذا قيل له: «احلف بتربة فلان أو بفلان»، أبىٰ أن يحلف كاذبًا، فيكون فلانٌ أو تربتُه والشيخ فلان أعظمَ في صدره من اللَّه؛ فإنا للَّه وإنا إليه راجعون، ما أعظمها من مصيبة! تاللَّه إنها فتنةٌ عمَّت فأعمت، وربت علىٰ القلوب والأسماع فأصمت.

وتأمل - أيضًا - رحمك اللَّه قول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا ما علمته يُنقل عن أحد من العلماء، لكنه موجود في كلام بعض الناس، مثل الشيخ يحيىٰ الصرصري، والشيخ محمد بن النعمان، وأن هؤلاء وأشباههم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام، الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام، ومعرفة الحلال والحرام».

فإن الشيخ يحيىٰ الصرصري الحنبلي في شعره قطعةٌ من دعوة الرسل، والاستغاثة بهم، وكذلك غيره من المصنفين في الزيارة؛ فإياك أن تغتر بذلك، وتقلدهم في ذلك؛ فإنه ليس لهم في ذلك

= الدعاء لا يزال كثيرًا في جميع البلاد التي بُنيت فيها القبور، وبُنيت عليها المساجد والقِباب، وأما استقبالها في الصلاة - مع عدم الموافقة لاستقبال القبلة - فقليل، أخبرني الشريف محمد شرف عدنان باشا أنه رأىٰ رجلًا يصلي في مسجد الطائف مستقبلًا قبر ابن عباس؛ فظن أنه أعمىٰ، فأمر رجلًا بتحويله إلىٰ القبلة، فحاول الرجل ذلك، فامتنع عليه المصلي، وإذا هو بصيرٌ متعمدٌ لاستقبال القبر، فقال له الشريف: أخرجه من المسجد؛ فإنه مشرك» اهـ.

مستندٌ صحيحٌ ـ لا من كتاب ولا سنة، ولا نقلٍ عن عالمٍ مرضي ـ؛ بل قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عادةٌ جَرَوا عليها، فلا يقتدىٰ بهم في ذلك؛ إنما يقتدىٰ في الدين بكلام رب العالمين وكلام رسوله ﷺ وأصحابه ـ رضي اللَّه عنهم أجمعين ـ».

فهل تجد أحدًا من الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ أتىٰ رسول اللَّه ﷺ بعد موته واستغاث به، أو استشفع به إلىٰ ربه، أو قال: «يا رسول اللَّه، اشفع لي إلىٰ ربك، أو اقض ديني، أو فرِّج كربتي، أو انصرني، أو اغفر لي ذنبي»؟ بل جردوا التوحيد للَّه تعالىٰ، وحمَوا جانبه، ولهذا كان عبداللَّه بن عمر وغيره من الصحابة إذا سلَّم علىٰ النبي ﷺ يقف، فيقول: «السلام عليك ـ يا رسول اللَّه ـ». ثم يقف فيقول: «السلام عليك ـ يا أبا بكر ـ، ثم يقف فيقول: السلام عليك ـ يا أبت ـ».

وإذا أراد أحدهم الدعاء جعل ظهره إلىٰ جدار القبر، واستقبل القبلة إذا أراد أن يدعو، حتىٰ لا يدعو عند القبر.

وذكر الإمام أحمد وغيره: أنه يستقبل القبلة، ويجعل القبر عن يساره لئلا يستدبره، وذلك بعد تحيته، والصلاة والسلام عليه ﷺ، ثم يدعو لنفسه؛ وذكروا أنه إذا حيَّاه وصلىٰ عليه يستقبل وجهه ـ بأبي هو وأمي ﷺ ـ؛ فإذا أراد الدعاء جعل الحُجرةَ عن يساره، واستقبل القبلة ودعا اللَّه.

وذكر أصحاب مالك أنه يدنو من القبر، فيسلم علىٰ النبي ﷺ، ثم يدعو مستقبل القبلة، يوليه ظهره، وقيل: لا يوليه ظهره؛ وإنما اختلفوا لما فيه من استدباره، فأما إذا جعل الحُجرةَ عن يساره، فقد زال المحذور بلا خلاف.

▫ وقال مالك في «المبسوط»: «لا أرىٰ أن يقف[1] عند قبر النبي ﷺ، ولكن يصلي ويسلم».

فهذا هو هدي السلف الصالح من الصحابة ﵃، والتابعين لهم بإحسانٍ والأئمة الأربعة.

▫ وما أحسن ما قال الإمام مالك ﵀: «لن يُصلِحَ آخِرَ هذه الأمة إلا ما أصلح أولها».

ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم عُوِّضوا عن ذلك بما أحدثوا من البدع والشرك وغيره، ولهذا كرهت الأئمة استلام القبر وتقبيله، وبنوا بناءً منعوا الناس أن يَصِلوا إليه، واللَّه أعلم.

وتأمل - أيضًا - قول الشيخ ﵀ في آخر الكلام: «ولا ريب أن أصل قول هؤلاء هو الشرك الأكبر، والكفر الذي لا يغفره اللَّه إلا بالتوبة منه، وأن ذلك يستلزم الردة عن الدين، والكفر برب العالمين»= كيف صرح بكفرِ مَن فعل هذا وردَّتِه عن الدين، إذا قامت عليه الحُجة من الكتاب والسنة، ثم أصر علىٰ فعل ذلك؛ وهذا لا ينازع فيه من عرف دين الإسلام الذي بعث اللَّه به رسوله محمدًا ﷺ؛ واللَّه أعلم.

فصل: [في تعريف المرتد وحكمه]:

▫ قال في «الإقناع» و«شرحه»: «باب: حكم المرتد، وهو الذي يكفر بعد إسلامه نطقًا، أو شكًّا، أو فعلًا، ولو مميِّزًا، فتصح ردته كإسلامه، لا مكرها؛ لقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، ولو هازلًا، لعموم قوله تعالىٰ: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾

---

(١) يعني بالدعاء. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

[المائدة: ٥٤] الآية، وأجمعوا علىٰ وجوب قتل المرتد.

فمن أشرك باللَّه تعالىٰ كفر بعد إسلامه، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، أو جحد ربوبيته أو وحدانيته كفر؛ لأن جاحد ذلك مشركٌ باللَّه تعالىٰ، أو جحد صفةً من صفاته، أو اتخذ له صاحبةً أو ولدًا= كفر، أو ادعىٰ النبوة، أو صدَّق من ادعاها بعد النبي ﷺ كفر؛ لأنه مكذِّبٌ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، أو جحد نبيًّا، أو كتابًا من كتب اللَّه، أو شيئًا منه، أو جحد الملائكة، أو واحدًا ممن ثبت أنه مَلَكٌ= كفر؛ لتكذيبه القرآن، أو جحد البعث كفر، أو سب اللَّه ورسوله كفر، أو استهزأ باللَّه أو كتبه أو رسله= كفر؛ لقوله: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥﴾ [التوبة].

قال الشيخ: أو كان مبغضًا لرسوله، أو لما جاء به اتفاقًا، أو جعل بينه وبين اللَّه وسائط يتوكل عليهم، ويدعوهم، ويسألهم= كفر إجماعًا؛ لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام، قائلين: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، أو أتىٰ بقولٍ أو فعلٍ صريح في الاستهزاء بالدين الذي شرعه اللَّه= كفر، للآية السابقة، أو وُجد منه امتهانٌ للقرآن كفر.

وإن أتىٰ بقول يخرجه عن الإسلام، مثل أن يقول: «هو يهودي، أو نصراني»، فهو كافر، أو سخر بوعد اللَّه أو وعيده فهو كافر، لأنه كالاستهزاء باللَّه، أو لم يكفِّر من دان بغير الإسلام، أو شك في كفرهم».

▫ إلىٰ أن قال: «ومن قال: أنا محتاج إلىٰ محمدٍ في علم الظاهر دون علم الباطن، أو قال: من الأولياء من يسعه الخروج عن

الشريعة، كما وسع الخَضِرَ الخروج من شريعة موسىٰ= فهو كافر.

ومن سب الصحابة ﵃ أو واحدًا منهم، واقترن بسبه دعوىٰ أن عليًّا إلٰه، وأن جبرائيل غلط[(١)]= فلا شك في كفر هذا؛ بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره. وأما من لَعن أو قبَّح مطلقًا، فهذا محلُّ الخلاف، توقف أحمد في تكفيره وقتله.

ويحرُم تعلُّم السحر، وتعليمه، وفعله، وهو عُقَدٌ ورقًىٰ، وكلامٌ يتكلم به، أو يكتبه، أو يعمل شيئًا يؤثر في بدن المسحور، أو عقله أو قلبه من غير مباشرة. وله حقيقة، فمنه ما يقتل، ومنه ما يُمرِض، ومنه ما يأخذ الرجل عن امرأته، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجته، ومنه ما يُبغِّض أحدهما إلىٰ الآخر، ويحبِّب بين اثنين، ويَكفُر بتعلُّمه وفعله، سواء اعتقد تحريمه أو إباحته، كالذي يركب الجماد من مكة وغيرها، فيطير به في الهواء.

وأما الذي يعزِّم علىٰ الجن، ويزعم أنه يجمعها فتطيعه، فلا يكفر، ويعزَّرُ تعزيرًا بليغًا دون القتل، كالمنجِّم والضارب بحصًىٰ أو شعر، والنظر في ألواح الأكتاف إذا لم يعتقد إباحته، وأنه لا يعلم به، عُزر ويُكف عنه، وإلا كفر».

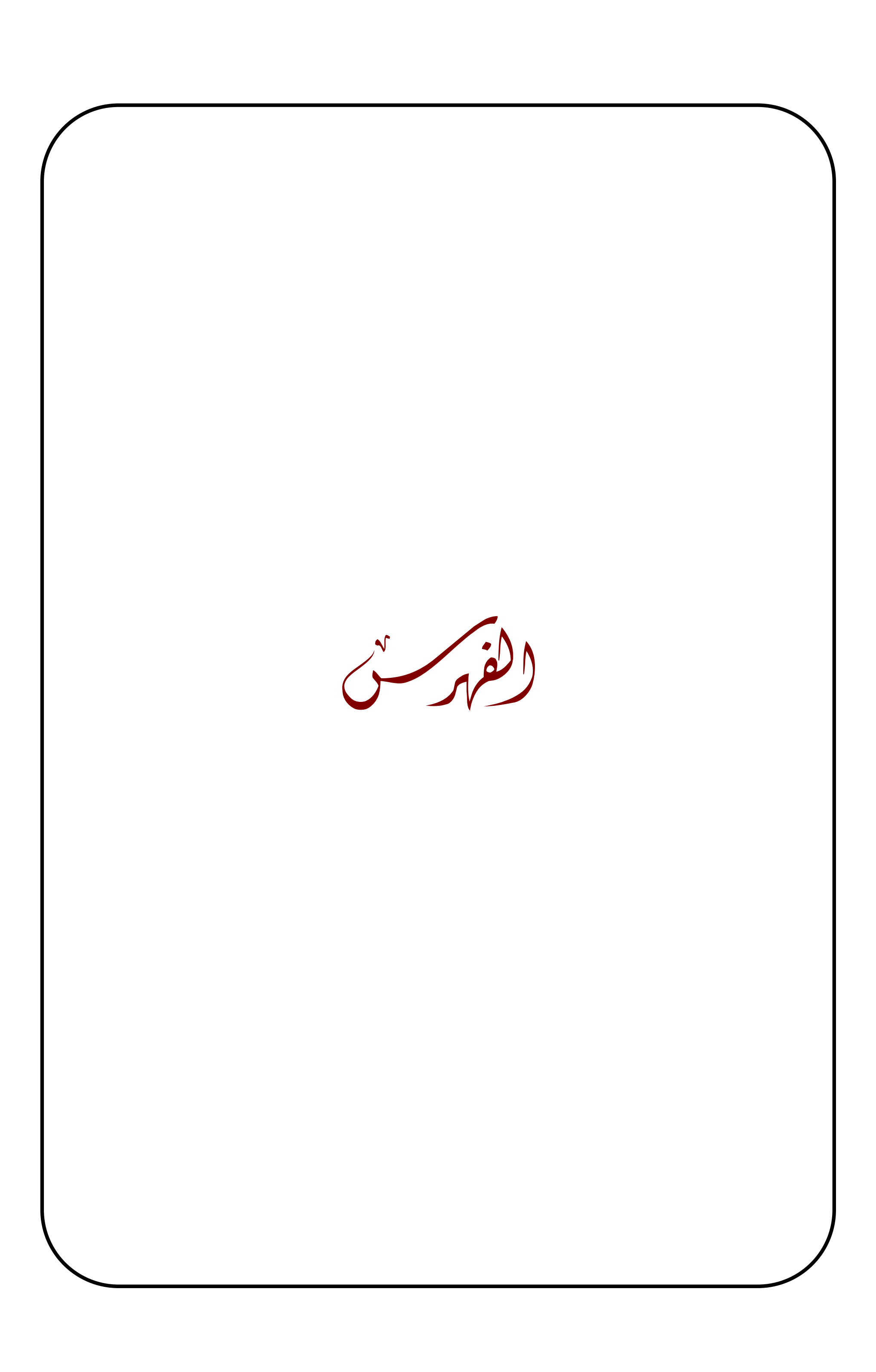
▫ وقال في شرحه عند قوله: «أنا محتاج إلىٰ محمد في علم الظاهر»، قال: «وقد عمت به البلوىٰ في زمنه في مصر والشام».

---

(١) أي: غلط في نزوله بالوحي! حيث زعم الروافض ـ قبحهم اللَّه ـ أن جبريل ﵇ كان ينبغي أن ينزل بالوحي علىٰ عليٍّ ﵁، لكنه أخطأ ونزل به علىٰ محمد ﷺ. نعوذ باللَّه من الخزي والفضيحة.

والله أعلم، وصلىٰ الله علىٰ محمد، وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدين صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، آمين.




الفهرس

فهرس محتويات الجزء الأول

[٢] كشف الشبهات ـ ١٨١

[٣] مسائل الجاهلية ـ ٢١١

[٤] شرح ستة مواضع من السيرة ـ ٢٣٧

[٥] تفسير كلمة التوحيد ـ ٢٤٩

[٦] القواعد الأربعة ـ ٢٥٧

[٧] تلقين أصول العقيدة للعوام ـ ٢٦٥

[٨] ثلاث مسائل ـ ٢٧٣

[٩] رسالة في معنى «الطاغوت» ـ ٢٧٧

[١٧] شرح رسالة أصل الإسلام وقاعدته - ٣٢٩

[١٨] أنواع التوحيد وأنواع الشرك - ٣٤١



مجموعة التوحيد

لشيوخ الإسلام

تقي الدين ابن تيميَّة، محمد بن عبدالوهَّاب، محمد بن عليٍّ الشوكاني، أئمة الدعوة النجدية

قدَّم له

فضيلة الشيخ/ خالد بن مساعد الرويتع

(عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالرياض)

فضيلة الشيخ/ فهد بن يحيى العمَّاري

(القاضي بمحكمة الاستئناف بمكة المكرَّمة)

قرأه، وضبط نصَّه، وخرَّج أحاديثه، وعلَّق عليه

أبو شعيب

طارق بن عبدالواحد بن عليٍّ

ـ عفا اللَّه عنه برحمته وإحسانه ـ

الجزء الثاني

دار الحجاز

[٢٩]

قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين

لفضيلة الشيخ

عبدالرَّحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم(١)

[١] كتاب التوحيد

وقولِ اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].



بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن يا كريم

■ قوله: «﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾»: الكلام علىٰ البسملة بيِّنٌ مذكور في الشرح.

---

(١) تقدم ـ بحمد اللَّه تعالىٰ ـ تخريج أحاديث «كتاب التوحيد»، وهو أول كتاب في هذا الجمع المبارك ص(٢٧)، واكتفيت هنا ـ فقط ـ ببيان درجة الحديث. وما ورد في كلام الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ مما لم يتقدم تخريجه ـ خرَّجتُه ـ بفضل اللَّه تعالىٰ وإحسانه ـ؛ علمًا أن هذا الكتاب طبع في أصله بدون المتن «كتاب التوحيد»، فعمل من قاموا علىٰ خدمة الكتاب بوضع المتن أعلاه، وهذا ما فعلته ـ أيضًا ـ في هذه الطبعة.

والبَداءة بها سنة، كما فعل البخاري وغيره من العلماء؛ اتباعًا للسنة في مراسلات النبي ﷺ للملوك وغيرهم، وفي الأمر بالبداءة بها حديث معروف(١).

■ قوله: «كتاب التوحيد»: المراد بالتوحيد: توحيد العبادة، وكل رسول يفتتح دعوته لقومه بهذا التوحيد: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]؛ كما في سورة الأعراف وهود وغيرهما.

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾»: دلت الآية علىٰ أن اللَّه تعالىٰ خلق الخلق لحكمة عظيمة، وهي القيام بما وجب عليهم من عبادته وحده وترك عبادة ما سواه، ففَعَل الأول ـ وهو خَلْقُهم ـ ليفعلوا هم الثاني ـ وهي العبادة ـ.

▫ قال شيخ الإسلام: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه اللَّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة».

▫ وقال ـ أيضًا ـ: «والعبادة اسم يجمع كمال الحب للَّه ونهايته، وكمال الذل للَّه ونهايته، فالحب الخليُّ عن ذل، والذلُّ الخلي عن حب لا يكون عبادة، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين».

▫ وقال ـ أيضًا ـ: «وأما ما خُلقوا له من محبة اللَّه تعالىٰ ورضاه فهو إرادته الدينية، فذلك مذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات]».

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ

---

(١) **ضعيف**: وقد تقدم. وهو حديث: «**كل أمرٍ ذي بال لم يبدأ بـ«بسم اللَّه الرَّحمٰن الرحيم» فهو أبتر**».

ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ...﴾» الآية: يخبر تعالىٰ أنه بعث في كل قرنٍ وطائفةٍ من الأمم رسولًا يدعوهم إلىٰ عبادة اللَّه وحده، وينهاهم عن عبادة ما زيَّنه الشيطان لهم وأوقعهم فيه من عبادة ما سواه، فمنهم من هدىٰ اللَّه، ووحَّده تعالىٰ بالعبادة، وأطاع رسله، ومنهم من حقت عليه الضلالة؛ فأشرك مع اللَّه غيره بعبادته، ولم يقبل هُدىٰ اللَّه الذي جاءت به الرسل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]. وهذا التوحيد الذي خلقوا له ودُعوا إليه هو توحيد الإلٰهية، توحيد القصد والطلب.

وأما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الأفعال= فهو توحيد العلم والاعتقاد، وأكثرُ الأمم قد أقروا به للَّه. وأما توحيد الإلٰهية فأكثرهم قد جحدوه، كما قال تعالىٰ عن قوم هود - لما قال لهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥] -: ﴿أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٠]، وقال مشركو قريش: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾﴾ [ص].

وهذه الآية - وهي قوله: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] - تبين معنىٰ الآية قبلها وكذلك الآيات بعدها، وأن المراد بالعبادة التي خلقوا لها هي العبادة الخالصة التي لم يُلابسْها[1] شرك بعبادة شيء سوىٰ اللَّه كائنًا ما كان، فلا تصح الأعمالُ إلا بالبراءة من عبادة كل ما يُعبد من دون اللَّه.

---

(١) **يلابسها**: يخالطها. ووردت في المطبوع: «يلبسها» ولعل الأدق ما أثبتُّه.

واللَّه تعالىٰ خلق الثقلين ليعبدوه، فمنهم من فعل، ومنهم من أشرك وكفر، كما قال تعالىٰ في هذه الآية: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]؛ يبين أن حكمة الرب في خلقه للجن والإنس لا تقتضي أن كُلًّا يَفعل ما خُلق له وأُرسلت الرسل لأجله، ولهذه الحكمة أهلك اللَّه من لم يعبده وحده، ولم يَقبل ما جاءت به رسله، وشرع قتالهم لنبيه ﷺ وأتباعه، فمنهم من أطاع ـ وهم الأقلون ـ، ومنهم من عصىٰ ـ وهم الأكثرون ـ.

وهذا التوحيد هو دين الإسلام الذي لا يَقبل اللَّه من أحد دينًا سواه، كما قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف [بن يعقوب بن إبراهيم] عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

وهذا هو الدين الذي بعث اللَّه به رسله، وأنزل به كتبه، وأمر الرسل أن يقيموه، كما قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرعد]، فأمره أن يعبده وحده، وأن يدعوَ الأمة إلىٰ ذلك.

والقرآن كله في هذا التوحيد، وبيانه، وجزائه، والرد علىٰ من جحده، كما قال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم

مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ [المائدة].

وفي حديث معاذ الذي رواه أبو داود والترمذي ـ وقال: حديث حسن صحيح ـ، قال: قلت: يا رسول اللَّه، دُلَّني علىٰ عمل يدخلني الجنة، ويباعدني عن النار، فقال: «**سألتَ عن عظيم، وإنه لَيسيرٌ علىٰ من يسَّره اللَّه عليه: تعبُدُ اللَّهَ، ولا تشرك به شيئًا، وتقيمُ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان**» ـ وذكر الحج ـ. ثم قال: «**ألا أُخبِرُك برأس الأمر، وعمودِه، وذِروةِ سَنامه؟**»، قلت: بلىٰ ـ يا رسول اللَّه ـ. قال: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذِروةُ سنامه الجهاد في سبيل اللَّه**»(١).

فدل علىٰ أن الإسلام هو التوحيد، والفرائض من حقوقه. وقد أجمع الفقهاء علىٰ أن الإسلام شرطٌ لصحة الصلاة وغيرها من الأعمال، وهو مقتضىٰ الشهادتين ـ شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه، وشهادة أن محمدًا رسول اللَّه ـ؛ فمعنىٰ «شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه»: نفي الشرك، والبراءة منه وممن فعله، وإخلاص العبادة للَّه وحده، والإيمان بالرسول وطاعته، وهو معنىٰ الآية الثالثة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ

(١) صحيح: رواه أحمد (٥/٢٣١)، والترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١١٣٣٠)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وعبدالرزاق في «المصنف» (٢٠٣٠٣)، وعبد بن حميد (١١٢)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٩٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/٢٦٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٤)، والبيهقي في «الشعب» (٣٣٥٠)، وقال الإمام الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٦/٣٤٥).

﴿رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، أي أمر ووصَّىٰ.

فقوله: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ فيه معنىٰ «لا إلٰه». وقوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فيه معنىٰ «إلا اللَّه». وهذا هو معنىٰ كلمة الإخلاص؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [آل عمران: ٦٤]؛ فقوله: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ﴾ فيه معنىٰ «لا إلٰه»، وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو المستثنىٰ في كلمة الإخلاص.

فسبحان اللَّه! كيف خفي هذا مع بيانه ووضوحه علىٰ الأذكياء من متأخري هذه الأمة[1]؟



---

(١) يقصد الذين فسَّروا كلمة التوحيد ـ الدالة علىٰ توحيد الألوهية ـ بما يدلُّ علىٰ توحيد الربوبية.

وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ١٥١].

▫ قال ابن مسعود رضي الله عنه: «من أراد أن ينظر إلىٰ وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه؛ فليقرأ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ...﴾ الآية [الأنعام: ١٥٣]».

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنتُ رديفَ النبي ﷺ علىٰ حمار، فقال لي: «**يا معاذ، أتدري ما حقُّ اللَّه علىٰ العباد؟ وما حقُّ العباد علىٰ اللَّه؟**»، قلت: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**فإن حقَّ اللَّه علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحقُّ العباد علىٰ اللَّه ألَّا يعذِّبَ مَن لا يُشرِكُ به شيئًا**». قلت: يا رسول اللَّه، أفلا أبشِّرُ الناس؟ قال: «**لا تبشِّرهم فيتَّكلوا**». أخرجاه في «الصحيحين»[(١)].


الشرح

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾»: الآية: وهذه الآية تبين العبادة التي خلقوا لها ـ أيضًا ـ؛ فإنه تعالىٰ قَرَن الأمر بالعبادة التي فرضها بالنهي عن الشرك الذي حرَّمه ـ وهو الشرك في العبادة ـ؛ فدلت هذه الآية علىٰ أن اجتناب الشرك شرطٌ في صحة العبادة، فلا تصح بدونه أصلًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر]، فتقديم المعمول يفيد الحصر، أي: بل اللَّهَ فاعبده وحده لا غير، كما في فاتحة الكتاب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة].

وقرر تعالىٰ هذا التوحيد بقوله: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر].

والدين هو العبادة بفعل ما أَمر [اللَّهُ] به، وترك ما نهىٰ عنه، كما قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

والأمرُ والنهي الذي هو دينُه   وجزاؤُه يوم المعاد الثاني

وتقدم أن أصله وأساسه توحيد العبادة، فلا تغفل عما تقدم.

■ قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام: ١٥١]»: أي حرم عليكم الشرك الذي نهاكم عنه بقوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ١٥١]؛ فالشرك أعظم ذنب عُصي اللَّه به ـ أكبره وأصغره ـ.

وقد وقع الأكثر من متأخري هذه الأمة في هذا الشرك الذي هو أعظم المحرمات، كما وقع في الجاهلية قبل مبعثِ النبي ﷺ؛ عبدوا القبور والمَشاهد والأشجار والأحجار والطواغيت والجن، كما عبد أولئك اللاتَ والعزىٰ ومناة وهُبل وغيرها من الأصنام والأوثان، واتخذوا هذا الشرك دينًا، ونَفَروا إذا دُعُوا إلىٰ التوحيد أشدَّ نفرة، واشتد غضبهم لمعبوداتهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟

عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ [الإسراء]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات].

علموا أنَّ «لا إلٰه إلا اللَّه» تنفي الشرك الذي وقعوا فيه، وأنكروا التوحيد الذي دلَّت عليه، فصار أولئك المشركون[(١)] أعلَمَ بمعنىٰ هذه الكلمة «لا إلٰه إلا اللَّه» من أكثر متأخري هذه الأمة! لا سيما أهل العلم منهم[(٢)] الذين لهم درايةٌ في بعض الأحكام وعلم الكلام، فجهلوا توحيدَ العبادة، فوقعوا في الشرك المنافي له وزيَّنوه، وجهلوا توحيد الأسماء والصفات وأنكروه، فوقعوا في نفيه ـ أيضًا ـ. وصنفوا فيه الكتب لاعتقادهم أن ذلك حقٌّ، وهو باطل.

وقد اشتدت غربة الإسلام؛ حتىٰ عاد المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، فنشأ علىٰ هذا الصغير، وهَرِمَ عليه الكبير، وقد قال النبي ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ**»[(٣)].

وقد قال ﷺ: «**افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقةً، وافترقت النصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقةً، وستفترق هذه الأمةُ علىٰ ثلاث وسبعين فرقةً؛ كلها في النار إلا واحدة**». قالوا: ومن هي ـ يا رسول اللَّه ـ؟ قال: «**من كان علىٰ مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[(٤)].

---

(١) يعني المشركين الأوائل.

(٢) يعني المتأخرين.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٣/١٢٠)، وابن ماجه (٣٩٩٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٤)، والمروزي في «السنة» (٥٣)، واللالكائي في «شرح الاعتقاد» (١٤٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/٥٢)، وأبو يعلىٰ (٤١٢٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣٩١٥)، والآجري في «الشريعة» (٢٥)، والطبراني في «الأوسط» (٤٨٨٦)، وفي «الصغير» (٧٢٤)، وابن بطة في =

وهذا الحديث قد صح من طرق ـ كما ذكره العماد ابن كثير وغيره من الحفاظ ـ، وهو في «السنن» وغيرها، ورواه محمد بن نصر في كتاب «الاعتصام».

وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ بعد القرون الثلاثة؛ فلهذا عم الجهلُ بالتوحيد ـ الذي هو أصل دين الإسلام ـ؛ فإن أصله ألَّا يُعبد إلا اللَّه، وألَّا يُعبد إلا بما شرع، وقد تُرك هذا، وصارت عبادة الأكثرين مشوبةً بالشرك والبدع، لكنَّ اللَّه تعالىٰ ـ وله الحمد ـ لم يُخْلِ الأرض من قائمٍ له بحُجَجه، وداعٍ إليه علىٰ بصيرة؛ لكي لا تَبطُلَ حُججُ اللَّه وبيِّناتُه التي أنزلها علىٰ أنبيائه ورسله، فله الحمد والشكر علىٰ ذلك.

■ وأما قول عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه: «من أراد أن ينظر إلىٰ وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ الآية»:

■ قوله: «التي عليها خاتمه»: شبه هذه الوصية بوصيةٍ كُتبت فختمت، أي: فلم تتغير ولم تتبدل، أراد أن النبي ﷺ لم يزل يدعو الأمةَ من حين بعثه اللَّه تعالىٰ إلىٰ أن توفاه ـ صلوات اللَّه

= «الإبانة» (٢٧٠)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٤١٩/١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٨٧/٦)، من حديث أنس رضي الله عنه، **وصحَّحه** الإمام البوصيري في «الزوائد»، والشيخ الألباني عند ابن ماجه، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٢٤١/١٩)، وتحقيق «سنن ابن ماجه» (١٢٩/٥). وفي الباب عن غير واحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم.
تنبيه: ورد الحديث بلفظ: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»، وبلفظ: «**هي الجماعة**».

وسلامه عليه ـ إلىٰ ما تضمنته هذه الآيات المحكماتُ أمرًا ونهيًا، كما قال تعالىٰ عن خليله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ الآيات [البقرة].

■ قوله: وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنت رديف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ حمار؛ فقال لي: «**يا معاذ أتدري ما حق اللَّه علىٰ العباد، وما حق العباد علىٰ اللَّه؟**»: فساقه المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ هنا لتضمنه معنىٰ الآيات التي تقدمت، وذلك قوله: «**حق اللَّه علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**».

▫ قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

حقُّ الإلٰه عبادةٌ بالأمر لا	بهوىٰ النفوس فذاك للشيطانِ
من غير إشراكٍ به شيئًا هما	سبب النجاةِ فحبَّذا السببانِ
لم ينجُ من غضب الإلٰه ونارهِ	إلا الذي قامت به الأصلانِ
والناسُ بعدُ فمشركٌ بإلٰهه	أو ذو ابتداعٍ أو له الوصفانِ

«**وحق العباد علىٰ اللَّه ألَّا يعذب من لا يشرك به شيئًا**»، ليس علىٰ اللَّه حقٌّ واجب بالعقل كما تزعم المعتزلة، لكنْ هو سبحانه أَحَقَّ ذلك علىٰ نفسه تفضلًا وإحسانًا علىٰ الموحدين المخلصين؛ الذين لم يلتفتوا في إرادتهم ومهماتهم ورغباتهم ورهباتهم إلىٰ أحد سواه، ولم يتقربوا بما يقولونه ويعملونه من الطاعات إلا إليه وحده، واللَّه أعلم.

❁ ❁ ❁

✍ فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأتِ به لم يعبد اللَّه؛ ففيه معنىٰ قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ [الكافرون].

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمَّة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة اللَّه لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت؛ ففيه معنىٰ قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الثامنة: أن الطاغوت عامٌّ في كل ما عُبد من دون اللَّه.

التاسعة: عظم شأن الثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عَشْرُ مسائل؛ أولها: النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها اللَّه بقوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ۝٢٢﴾ [الإسراء]، وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۝٣٩﴾ [الإسراء]. ونبَّهَنا اللَّهُ سبحانه علىٰ عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩].

الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمىٰ: «آية الحقوق العشرة»؛ بدأها اللَّه تعالىٰ بقوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

الثانية عشرة: التنبيه علىٰ وصية رسول اللَّه ﷺ عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حق اللَّه علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدَّوْا حقه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسرُّه.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال علىٰ سعة رحمة اللَّه.

التاسعة عشرة: قول المسؤول عما لا يعلم: «اللَّهُ ورسوله أعلم».

العشرون: جوازُ تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادي والعشرون: تواضعه ﷺ لركوب الحمار، مع الإرداف عليه.

الثاني والعشرون: جواز الإرداف علىٰ الدابة.

الثالث والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل رضي الله عنه.

الرابع والعشرون: عظم شأن هذه المسألة.



[٢] باب: فضل التوحيد وما يكفِّر من الذنوب

وقولِ اللَّه تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

عن عبادة بن الصامت ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَن شهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسىٰ عبدُ اللَّه ورسوله، وكلمتُه ألقاها إلىٰ مريم، ورُوحٌ منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله اللَّه الجنة علىٰ ما كان من العمل**». أخرجاه[(١)].



الشرح

■ قوله: «باب فضل التوحيد»: الباب هو المدخل إلىٰ الشيء.

■ قوله: «وما يكفر من الذنوب»: «ما» مصدرية؛ أي: وتكفيره الذنوب. ويجوز أن تكون موصولة، والعائد محذوف، أي: والذي يكفِّره من الذنوب.

والمراد بالتوحيد: توحيد العبادة، وهو إفراد اللَّه تعالىٰ بأنواع العبادة الباطنة والظاهرة؛ كالدعاء والذبح والنذر ونحوه، كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥].

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾»: واللبس: الخلط. والمراد بالظلم هنا:

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

الشرك الأكبر؛ لما ثبت في حديث ابن مسعود وغيره مرفوعًا: «**إنما هو الشرك. ألم تسمعوا إلىٰ قول العبد الصالح:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان]»[(١)].

أراد أن من لم يجتنب الشرك لم يحصل له أمنٌ ولا اهتداء بالكلية. وأما مَن سَلِم منه فيحصل له من الأمن والاهتداء بحسب مقامه في الإسلام والإيمان؛ فلا يحصل الأمنُ التام والاهتداء التام إلا لمن لم يَلقَ اللَّه بكبيرةٍ مصرًّا عليها.

وأما إن كان للموحد ذنوبٌ لم يتب منها حصل له من الأمن والاهتداء بحسب توحيده، وفاته منه بقدر معصيته، كما قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

فالظالم لنفسه: هو الذي خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا؛ فهو تحت مشيئة اللَّه؛ إن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنبه، ونجاه بتوحيده من الخلود في النار.

وأما المقتصد: فهو الذي عمل بما أوجب اللَّه عليه، وترك ما حرَّم عليه فقط، وهذه حال الأبرار.

وأما السابق: فهو الذي حصل له كمالُ الإيمان باستفراغه وُسعَه في طاعة اللَّه علمًا وعملًا.

فهذان لهم الأمنُ التام والاهتداء التام في الدنيا والآخرة، فالكل للكل، والحِصَّةُ للحصة؛ لأن كمال الإيمان يمنع صاحبه من المعاصي وعقوباتها، فلم يلق ربَّه بذنب يعاقَب به، كما قال تعالىٰ: ﴿مَّا

(١) رواه البخاري (٣٣٦٠)، ومسلم (١٢٤).

يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡ﴾ [النساء: ١٤٧].

وهذا الذي ذكرته في معنىٰ هذه الآية هو ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معناها، وهو الذي دل عليه القرآن، وهو قول أهل السنة والجماعة، خلافًا لأهل البدع من الخوارج والمعتزلة ونحوهم.

■ قوله: «**من شهد**»: لا ريب أن الشهادة لا تكون شهادةً إلا إذا كانت عن علم ويقين وصدق، وأما مع الجهل والشك فلا تعتبر ولا تنفع، فيكون الشاهدُ ـ والحالة هذه ـ كاذبًا؛ لجهله بمعنىٰ الذي شهد به.

وقد تضمنت هذه الكلمةُ العظيمة نفيًا وإثباتًا:

ـ فنفت الإلٰهية عن كل ما سوىٰ اللَّه بقولك: «لا إلٰه».

ـ وأثبتت الإلٰهية للَّه وحده بقولك: «إلا اللَّه».

قال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران].

فكم ضل بسبب الجهل بمعناها مَن ضل ـ وهم الأكثرون ـ! فقلبوا حقيقة المعنىٰ؛ فأثبتوا الإلٰهية المنفية لمن نُفيت عنه من المخلوقين أرباب القبور والمشاهد، والطواغيت والأشجار والأحجار، والجن وغير ذلك. واتخذوا ذلك دينًا، وشبهوا وزخرفوا، واتخذوا التوحيد بدعةً، وأنكروه علىٰ من دعاهم إليه، فلم يعرفوا منها ما عَرف أهلُ الجاهلية من كفار قريش ونحوهم؛ فإنهم عرفوا معناها، وأنكروا ما دلت عليه من الإخلاص، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦﴾ [الصافات].

والمشركون من أواخر هذه الأمة أنكروا ما أنكره أولئك علىٰ مَن دعاهم إلىٰ ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون اللَّه من القبور والمشاهد والطواغيت ونحوها، فأولئك عرفوا هذا المعنىٰ وأنكروه، وهؤلاء جهلوا هذا المعنىٰ وأنكروه؛ فلهذا تجده يقول: «لا إلٰه إلا اللَّه»، وهو يدعو مع اللَّه غيره!

▫ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «الإلٰه هو الذي تألهه القلوب محبةً وإجلالًا، وإنابةً وإكرامًا وتعظيمًا، وذلًّا وخضوعًا، وخوفًا ورجاءً وتوكلًا».

▫ وقال الوزير أبو المظفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «الإفصاح»: «قوله: «شهادة أن لا إلٰه إلا اللَّه»: يقتضي أن يكون الشاهد عالمًا بألَّا إلٰه إلا اللَّه، كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]».

▫ قال: «واسم «اللَّه» مرتفع بعد «إلا» من حيث إنه الواجب له الإلٰهية، فلا يستحقها غيره سبحانه».

▫ قال: «وجملة الفائدة في ذلك: أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة علىٰ الكفر بالطاغوت، وعلىٰ الإيمان باللَّه؛ فإنك لما نفيت الإلٰهية وأثبت الإيجاب للَّه= كنت ممن كفر بالطاغوت، وآمن باللَّه».

▫ وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «الإلٰه هو الذي يطاع فلا يعصىٰ هيبةً له وإجلالًا، ومحبةً وخوفًا ورجاءً، وتوكلًا عليه، وسؤالًا منه، ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كله إلا للَّه عَزَّ وَجَلَّ، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور ـ التي هي من خصائص الإلٰهية ـ كان قدحًا في إخلاصه في قول «لا إلٰه إلا اللَّه»، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك.



▫ وقال البقاعي: «(لا إلٰه إلا اللَّه): أي انتفىٰ نفيًا عظيمًا أن يكون معبودٌ بحق غير الملك الأعظم».

▫ قال: «وهذا العلم هو من أعظم الذِّكرىٰ المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون عِلمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهلٌ صرف».

قلت: وهؤلاء المتأخرون جهلوا معنىٰ «الإلٰه»، وقلبوا حقيقة المعنىٰ إلىٰ معنىٰ «توحيد الربوبية»؛ وهو القدرة علىٰ الاختراع؛ فأثبتوا ما نفته «لا إلٰه إلا اللَّه» من الشرك، وأنكروا ما أثبتته من إخلاص العبادة للَّه جهلًا منهم، وقد قال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر].

▫ قال محيي الدين النووي: «اعلم أن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد ضُيِّع من أزمان متطاولة، ولم يبق في هذه الأزمان إلا رسومٌ قليلةٌ جدًّا، وهو بابٌ عظيم به قوامُ الأمر ومِلاكُه، وإذا كثر الخبث عم العقابُ الصالحَ والطالح».

قوله: «في هذه الأزمان» يعني القرن الخامس والسادس، وإذا كان كذلك فما الظن بالقرن العاشر وما بعده، وقد استحكمت فيها الغربة! ولشيخنا محمد بن عبدالوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسير هذه الكلمة كلامٌ بديع واضح لم يُسبق إلىٰ مثله، فليراجع لمسيس الحاجة إليه.

▪ قوله في الحديث: «**وحده لا شريك له**»: تأكيد لمعنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه» الذي دلت عليه ووُضعت له؛ من باب اللفِّ والنشر المقدم والمؤخر، وهو بيانٌ لمعنىٰ هذه الكلمة؛ لأنها دلت بجملتها علىٰ التوحيد، فـ«**لا إلٰه**» تنفي الشرك في العبادة قليله وكثيره، وبيَّنه

بقوله: «**لا شريك له**» في إلهيته وهي العبادة، وقوله: «**وحده**» هو معنىٰ «إلا اللَّه»؛ فهو الإلٰه الحق وحده دون كل ما سواه من أهل السماوات والأرض، كما دلت علىٰ ذلك الآياتُ المحكمات ومتواتر الأحاديث، فتدبر هذا البيانَ يُطلِعْك علىٰ بطلان قول من يقول بجواز دعوة غير اللَّه، واللَّه تعالىٰ يقول لنبيه: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء]؛ وغيرها من الآيات الآتي ذكرها - إن شاء اللَّه تعالىٰ -.

فقوله: «**وحده**» تأكيد للإثبات.

وقوله: «**لا شريك له**» تأكيد للنفي.

■ وقوله: «**وأن محمدًا عبده ورسوله**»: أي وشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أي: بصدق ويقين، وذلك يقتضي اتباعَه، وتعظيم أمره ونهيه، ولزوم سنته ﷺ، وألَّا تُعارَضَ بقول أحد؛ لأن غيره ﷺ يجوز عليه الخطأ، والنبي ﷺ قد عصمه اللَّه تعالىٰ، وأمرنا بطاعته والتأسي به، وتوعَّد[1] علىٰ ترك طاعته بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] الآية.

وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

▫ قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيَهلِك».

---

(١) في المطبوع: «والوعيد»، ولعل الأصح ما أثبتُّه.

وقد وقع التفريط في المتابعة[(١)] وتقديم أقوال من يجوز عليهم الخطأ علىٰ قوله ﷺ؛ لا سيما من العلماء كما لا يخفىٰ[(٢)].

■ قوله: «**وأن عيسىٰ عبد اللَّه ورسوله**»: فيه بيان الحق الذي يجب اعتقاده ـ كما في الآيات المحكمات ـ، وما فيه من الرد علىٰ كفار النصارىٰ؛ وهم ثلاث طوائف:

ـ طائفة قالوا: إن عيسىٰ هو اللَّه.

ـ وطائفة قالوا: ابن اللَّه.

ـ وطائفة قالوا: ثالث ثلاثة ـ يعنون عيسىٰ وأمه ـ.

فبين تعالىٰ في كتابه الحق، وأبطل الباطل؛ فقال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء]، والآيات بعدها.

وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢] في مواضع من سورة المائدة.

وأخبر تعالىٰ عما قاله المسيح ﷺ وهو في المهد؛ فقال تعالىٰ: ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي

---

(١) بعدها في المطبوع كلمة «وتركها»! ولعلها سبق قلم.

(٢) انظر تفاصيل هذا في «القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد» مع «الإقليد في أدلة الاجتهاد والتقليد»، للعلامة الشوكاني بعنايتي.

ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ[(١)] ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [مريم].

فبين تعالىٰ الصراط المستقيم الذي من سلكه نجا، ومن خرج عنه هلك.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [آل عمران]؛ فبين تعالىٰ الصراطَ المستقيم بيانًا شافيًا ووافيًا، وأقام حججه علىٰ توحيده؛ فأحقَّ الحقَّ، وأبطل الباطل ولو كره المشركون.

■ قوله: «**وكلمته ألقاها إلىٰ مريم**»: أي قوله: «كن»، فخلقه بـ«كن» فكان، ففيه إثبات صفة الكلام للَّه تعالىٰ خلافًا للجهمية ـ أيضًا ـ.

■ قوله: «**وروحٌ منه**»: أي من الأرواح التي استخرجها من صلب آدم عليه السلام، وأخذ عليها العهدَ علىٰ أنه تعالىٰ ربهم وإلٰهُهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ...﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآيات. وروح عيسىٰ من تلك الأرواح التي خلقها اللَّه تعالىٰ.

□ وذكر ابن جرير عن وهب بن منبه قال: «نفخ جبريلُ في جيب

---

(١) تأمل كيف بدأ عيسىٰ عليه السلام بتوحيد الألوهية قبل حتىٰ تبرئه أمه الطاهرة رضي الله عنها مما رُميت به من الفاحشة!

درع مريم[١]، حتىٰ وصلت النفخة إلىٰ الرحم فاشتملت[٢]».

- وعن السدي: «أن النفخة دخلت في صدرها فحملت».
- وقال ابن جريج: «يقولون: إنما نفخ في جيب درعها وكمِّها».

انتهىٰ مختصرًا.

فجبريل نفخ، واللَّه خلق بقول: «كن» فكان؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩]، فسبحان من لا يخلق غيرُه، ولا يُعبد سواه!

وقد أورد بعض النصارىٰ علىٰ بعض علماء المسلمين قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾؛ فقال في الجواب: هذا ليس خاصًّا بعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ بل المخلوقات كذلك كلها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]؛ أي خلقًا وإيجادًا، وعيسىٰ كذلك خلقه وأوجده كسائر مخلوقاته[٣].

وفي هذا الحديث الردُّ علىٰ اليهود ـ أعداء اللَّه وأعداء أنبيائه ورسله ـ؛ فإنهم كانوا هم والنصارىٰ في طرفَيْ نقيض، فنسبوه[٤] إلىٰ أنه ولدُ بغيٍّ ـ قاتلهم اللَّه ـ؛ فأكذبهم اللَّه تعالىٰ في كتابه، وأبطل قولهم؛ كما أبطل قول الغلاة من النصارىٰ فيما تقدم من الآيات ونحوها.

---

(١) **الدرع**: الخمار.
(٢) **اشتملت**: حملت به.
(٣) وإنما اشتُهر عن غيره عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه «كلمة اللَّه»؛ لميلاده المعجز من أمٍّ دون أب.
(٤) يعني اليهود خاصةً ـ كما لا يخفىٰ ـ.

فالنصارىٰ غَلَوْا في عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ أعظم الغلو والكفر والضلال، واليهود جَفَوا في حقه غاية الجفاء، وكلاهما قد ضل ضلالًا بعيدًا، نبَّه اللَّه تعالىٰ عليه في مواضع كثيرة من كتابه، وبين تعالىٰ الحق والصدق، ورَفَع قدر المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجعله من أُولي العزم الخمسة المذكورين في سورة الأحزاب والشورىٰ، وأمر نبيه ﷺ أن يصبر كما صبروا؛ فقال: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]؛ فهم أفضل الرسل علىٰ التحقيق، والنبي ﷺ أفضلهم - صلوات اللَّه وسلامه عليه، وعلىٰ جميع الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين -.

■ قوله: «**وأن الجنة حق**»: أعدها اللَّه للمؤمنين يوم القيامة[(١)]، وما فيها من القصور والثمار والفواكه والنعيم المقيم والنظر إلىٰ وجه اللَّه الكريم، كما قال تعالىٰ: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ[(٢)] ١٠٨﴾ [هود]، وقال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة].

■ قوله: «**والنار حق**»: أعدها اللَّه تعالىٰ لمن كفر به وأشرك في إلٰهيته وربوبيته، وألحد في أسمائه وصفاته. ومن لم يؤمن بالجنة والنار فقد كفر بالقرآن والرسل؛ فإن اللَّه تعالىٰ بيَّن الجنة وما أعد فيها من النعيم المقيم، وذكر أنها دار المتقين، وذكر النار وما فيها من العذاب، وأنه أعدها لمن كفر به وأشرك.

---

(١) أي: أعد دخولها بأجسادهم وأرواحهم، وإن كانت الجنة معدَّةٌ مخلوقة من قديم - كما دلَّ علىٰ ذلك الآيات البينات والأحاديث الصحيحات.

(٢) ﴿مَجْذُوذٍ﴾: مقطوع.

■ قوله: «**أدخله اللَّه الجنة علىٰ ما كان من العمل**»: جواب «مَن» الشرطية؛ أي: من شهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه... إلىٰ آخره أدخله اللَّه الجنة، أي: بإخلاصه وصدقه والإيمان برسوله وما أُرسل به، وخالف النصارىٰ واليهودَ في الغلو والجفاء في حق عيسىٰ، وعلم يقينًا أنه عبدُ اللَّه ورسوله، وآمن بالجنة والنار= فمن كان كذلك أدخله اللَّه الجنة ـ وإن كان مقصرًا وله ذنوب ـ؛ فهذه الحسنة العظيمة تَرجَحُ بجميع السيئات.

فتدبر هذا الحديث؛ فإنه عظيم. واللَّه أعلم.



ولهما في حديث عِتْبان رضي الله عنه: «**فإنَّ اللَّه حرَّم علىٰ النار من قال: لا إلٰه إلا اللَّه، يبتغي بذلك وجه اللَّه**»(١).



الشرح

■ قوله: «ولهما»: أي البخاري ومسلم، وهذا حديث طويل اختصره المصنف، وذكر منه ما يناسب الترجمة، وهو قوله: «**من قال: لا إلٰه إلا اللَّه يبتغي بذلك وجه اللَّه**»، وهذا هو حقيقة معناها الذي دلت عليه هذه الكلمة من الإخلاص ونفي الشرك. والصدقُ والإخلاص متلازمان؛ لا يوجد أحدهما بدون الآخر، فإن من لم يكن مخلصًا فهو مشرك، ومن لم يكن صادقًا فهو منافق، والمخلص أن يقولها مخلصًا الإلٰهية لمن لا يستحقها غيره ـ وهو اللَّه تعالىٰ ـ، وهذا التوحيد هو أساس الإسلام الذي قال [فيه] الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقالت بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: ٤٤]، وقال الخليل عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام].

والحنيف هو الذي ترك الشرك رأسًا، وتبرأ منه، وفارق أهله وعاداهم، وأخلص أعماله الباطنة والظاهرة للَّه وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]؛ فإسلام الوجه هو إخلاص العبادة المنافي للشرك والنفاق، وهو معنىٰ الآية ونحوها إجماعًا؛ فهذا هو الذي ينفعه قول: «لا إلٰه إلا اللَّه»؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

[البقرة: ٢٥٥]، وهذا بخلاف من يقولها وهو يدعو غير اللَّه ويستغيث به من ميتٍ أو غائب لا ينفع ولا يضر ـ كما ترىٰ عليه أكثرَ الخلق ـ؛ فهؤلاء وإن قالوها، فقد تلبَّسوا بما يناقضها؛ فلا تنفع قائلها إلا بالعلم بمدلولها نفيًا وإثباتًا، والجاهل بمعناها وإن قالها لا تنفعه لجهله بما وُضعت له الوضعَ العربي الذي أريد منها من نفي الشرك، وكذلك إذا عرف معناها بغير تيقُّنٍ له، فإذا انتفىٰ اليقينُ وقع الشك.

▪ ومما قُيدت به في الحديث: قوله ﷺ: «**غير شاك**»؛ فلا تنفع إلا من قالها بعلم ويقين؛ لقوله: «**صدقًا من قلبه**»، «**خالصًا من قلبه**»، وكذلك من قالها غير صادق في قوله؛ فإنها لا تنفعه لمخالفة القلب اللسان؛ كحال المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وكذلك حال المشرك؛ فلا تُقبل من مشركٍ لمنافاة الشرك للإخلاص، ولما دلت عليه هذه الكلمةُ مطابقةً؛ فإنها دلت علىٰ نفي الشرك والبراءة منه، والإخلاص للَّه وحده لا شريك له مطابقةً[1]، ومن لم يكن كذلك لم ينفعه قوله: «لا إلٰه إلا اللَّه»، كما هو حال كثير من عَبَدة الأوثان؛ يقولون: «لا إلٰه إلا اللَّه»، وينكرون ما دلت عليه من الإخلاص، ويعادون أهله، وينصرون الشرك وأهله.

وقد قال الخليل عليه السلام لأبيه وقومه: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف]. وهي «لا إلٰه إلا اللَّه»، وقد عبر عنها الخليل بمعناها الذي وُضعت له ودلت عليه، وهو البراءة من الشرك وإخلاص العبادة للَّه وحده لا شريك له، كما تقدم تقريره.

---

(١) انظر دلالة المطابقة وغيرها في (٢/٦٠٢).

وكذلك من قالها ولم يَقبل ما دلت عليه من الإخلاص، كان قوله لهذه الكلمة كذبًا منه؛ بل قد عكس مدلولها؛ فأثبت ما نفته من الشرك، ونفىٰ ما أثبتته من الإخلاص.

فهذا الذي ذكرناه هو حال الأكثرين من هذه الأمة بعد القرون الثلاثة، وسبب ذلك الجهلُ بمعناها، واتباع الهوىٰ، فيصرفه عن اتباع الحق وما بعث اللَّه به رسله من توحيده الذي شرعه لعباده ورضيه لهم.





وعن أبي سعيد الخُدْري ﷺ، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**قال موسىٰ: يا رب، علِّمْني شيئًا أذكرُك وأدعوك به. قال: قل - يا موسىٰ -: لا إلٰه إلا اللَّه. قال: يا رب، كلُّ عبادك يقولون هذا. قال: يا موسىٰ، لو أن السماواتِ السبعَ وعامِرَهُنَّ غيري، والأرَضين السبع في كِفةٍ، و«لا إلٰه إلا اللَّه» في كِفة= مالت بهن لا إلٰه إلا اللَّه**». رواه ابن حبان والحاكم وصححه[(١)].

وللترمذي - وحسَّنه - عن أنس ﷺ: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**قال اللَّه تعالىٰ: يا ابن آدم، لو أتيتني بقُرابِ الأرض خطايا، ثم لقيتَني لا تشركُ بي شيئًا، لأتيتُك بقُرابها مغفرةً**»[(٢)].



الشرح

■ قوله: «وعن أبي سعيد الخدري عن رسول اللَّه ﷺ قال: (**قال موسىٰ** ﷺ: **يا رب، علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسىٰ: لا إلٰه إلا اللَّه. قال: يا رب، كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسىٰ، لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إلٰه إلا اللَّه في كفة، مالت بهن لا إلٰه إلا اللَّه**)»: فـ«لا» نافية للجنس نفيًا عامًّا إلا ما استثني، وخبرُها محذوف تقديره: «لا إلٰه حقٌّ إلا اللَّه»؛ قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج]؛ فإلٰهيته تعالىٰ هي الحق، وكل ما سواه من الآلهة فإلٰهيته باطلة، كما في هذه الآية ونظائرها.

(١) **ضعيف**: وقد تقدم.
(٢) **حسن**: وقد تقدم.

فهذه كلمة عظيمة؛ هي العروة الوثقىٰ، وكلمة التقوىٰ، وكلمة الإخلاص، وهي التي قامت بها السماوات والأرض، وشُرعت لتكميلها السُّنة والفرض، ولأجلها جُردت سيوف الجهاد، وبها ظهر الفرق بين المطيع والعاصي من العباد؛ فمن قالها وعمل بها صدقًا وإخلاصًا، وقبولًا ومحبةً وانقيادًا، أدخله اللَّه الجنة علىٰ ما كان من العمل، وفي الحديث الصحيح: «**أفضلُ الدعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلتُ أنا والنبيُّون من قبلي: لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير**»[(١)].

وفي حديث عبداللَّه بن عمرٍو مرفوعًا: «**يُصاح برجلٍ من أمتي علىٰ رؤوس الخلائق يوم القيامة، فيُنشر له تسعةٌ وتسعون سِجِّلًا؛ كلُّ سجل منها مدَّ البصر. ثم يقال: أتنكر من هذا شيئًا؟. فيقول: لا ـ يا رب ـ! فيقال: ألك عذرٌ أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا، فيقال: بلىٰ؛ إن لك عندنا حسنةً، وإنه لا ظلم عليك. فيُخرَجُ له بطاقةٌ فيها: «أشهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه وأن محمدًا عبده ورسوله»، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقال: إنك لا تُظلم، فتُوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة**». رواه الترمذي وحسنه[(٢)].

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (٢/٢١٠)، والتِّرمذي (٣٥٨٥) ـ واللفظ له ـ، والبيهقي في «الشُّعَب» (٣٤٨٩)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٧/١٠٣)، والبيهقي في «فضائل الأوقات» (١٩٢)، والمحاملي في «الدعاء» (٦٠)، من حديث عبداللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال التِّرمذي: «**حسن غريب**»، وحسَّنه الشيخ الألباني عنده، والشيخ شعيب الأرنؤوط ثَمَّ ـ أيضًا ـ (٦/١٨١).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/٢١٣)، وابن المبارك في «زوائد الزهد» (٣٧١)، =

■ قوله: «**لو أن السماواتِ السبعَ وعامِرَهن غيري**»: أي: كل من في السماوات والأرض. وقوله: «**غيري**» استَثنىٰ ممن في السماوات نفسه؛ لأنه العليُّ الأعلىٰ ـ تعالىٰ وتقدس ـ، كما قال تعالىٰ ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ [الشورى] علوَّ القهر وعلوَّ القدرة وعلو الذات، فالثلاثة كلها صفته، ودلت علىٰ كماله، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩] في سبعة مواضع من كتابه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وأمثال هذه الآيات[1].

فمن سلب علوَّ اللَّه تعالىٰ علىٰ خلقه فقد خالف صريحَ الكتاب والسنة، وألحد في أسمائه وصفاته.

ومعنىٰ هذه الكلمة: نفي الإلٰهية عن كل شيء سوىٰ ما استُثني بها

= والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وابن حبان (٢٢٥)، والحاكم (٦/١)، والبيهقي في «الشعب» (٢٨٣)، وفي «الأسماء والصفات» (١٨٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٢١)، والآجري في «الشريعة» (٩٠٢)، والطبراني في «الكبير» (١٩/١٣)، وفي «الأوسط» (٤٧٢٥)، و«الدعاء» (١٤٨٢)، وقال التِّرمذي: «**حسن غريب**»، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠٩٥)، **وقوَّاه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٥٧١/١١)، **وصحَّحه** عند ابن ماجه (٥٣٦/٣).

(١) راجع «العلو للعلي العظيم»، للحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ـ وهو اللَّه تعالىٰ ـ، وفيه النص علىٰ أن الأرضين سبع كالسماوات، لكنَّ هذه الكلمةَ العظيمة لا يحصل رجحانُها إلا في حق من أتىٰ بقيودها التي قُيِّدت بها في الكتاب والسنة(١)، وقد ذكر سبحانه في سورة «براءة» وغيرها كثيرًا ممن يقولها ولم ينفعهم قولها، كحال أهل الكتاب والمنافقين ـ علىٰ كثرتهم وتنوعهم في نفاقهم ـ، فلم تنفعهم مع ما قام بهم من ترك تلك القيود:

- فمنهم من يقولها جاهلًا بما وضعت له، وبما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه، والصدق والإخلاص وغيرها؛ كعدم القبول ممن دعا إليها علمًا وعملًا، وترك الانقياد بالعمل بما تقتضيه؛ كحال أكثر من يقولها قديمًا وحديثًا، ولكن في أواخر هذه الأمة أكثر.

- ومنهم من يمنعه من محبتها والعمل بها ما قام بقلبه من كِبْرٍ أو هوًىٰ، أو غير ذلك من الأسباب؛ وهي كثيرة منها قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة].

وأما أهل الايمان الخُلَّص فهم الذين أَتَوا بهذه الكلمة، واجتمعت لهم قيودها التي قُيِّدت بها علمًا ويقينًا، وصدقًا وإخلاصًا، ومحبةً وقبولًا وانقيادًا، وعادَوا فيه، ووالَوْا فيه، وأحبُّوا فيه وأبغضوا فيه، وقد ذكرهم تعالىٰ في مواضع من سورة «براءة» وغيرها، وخصَّهم بالثناء عليهم، والعفو عنهم، وأعد لهم جنته، وأنجاهم من النار؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ

---

(١) وهو قيدٌ هامٌّ جدًّا، وكم اغترَّ بمجرد قولها المغترُّون!

أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ [التوبة]، وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة].

فهؤلاء ومن اتبعهم بإحسان هم أهل «لا إلٰه إلا اللَّه»، وغير هذه من الآيات في الثناء عليهم وما أعد لهم في الدار الآخرة.

فمن تدبر القرآن، وعرف تفاوت الخلق في محبة ربهم وتوحيده، والعمل بطاعته، والهرب من معصيته، وإيثار ما يحبه تعالىٰ رغبةً وعملًا، وترك ما يكرهه خشيةً ورجاءً، واعتبر الناس بأحوالهم وأقوالهم، وأعمالهم ونياتهم وإراداتهم، وما هم عليه من التفاوت البعيد= تبين له خطأ المغرورين؛ كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**الكيِّسُ**[1] **من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجزُ مَن أتبع نفسه هواها، وتمنَّىٰ علىٰ اللَّه الأماني**»[2].

---

(١) **الكيِّس**: العاقل.

(٢) **ضعيف**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٧١)، وأحمد (١٢٤/٤)، وأبو داود الطيالسي (١١١٢)، والترمذي (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٤٢٦٠)، والطبراني في «الكبير» (٧١٤٣)، وفي «الشاميين» (١٤٨٥)، والحاكم (٥٧/١) و(٢٥١/٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٦٧/١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٨٥)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٣٦٩/٣)، وفي «الشعب» (١٠٥٤٦)، والخطيب في «التاريخ» (٥٠/١٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٤١١٦)، وفي «التفسير» (٣٠٥/٢)، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه. وقال الإمام الترمذي: «**حسن**»، **وصححه** الحاكم في الموضعين، **فتعقبه** الذهبي في الموضع الأول بقوله: «لا واللَّه، أبو بكر [وهو ابن أبي مريم =

■ قوله: «وللترمذي ـ وحسنه ـ عن أنس: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: (**قال اللَّه تعالىٰ: يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة**)»: في هذا الحديث ما يبين معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه» التي رَجَحت بجميع المخلوقات وجميع السيئات، وأن ذلك هو تركُ الشرك قليلِه وكثيره، وذلك يقتضي كمال التوحيد، فلا يَسلم من الشرك إلا من حقق توحيده، وأتىٰ بما تقتضيه كلمة الإخلاص من العلم واليقين، والصدق والإخلاص، والمحبة والقبول والانقياد، وغير ذلك مما تقتضيه تلك الكلمة العظيمة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشعراء].



= الغساني] واهٍ»، **ولم يتعقبه** في الموضع الثاني. **وأقر** الحافظُ العراقي الترمذيَّ علىٰ التحسين في «تخريج الإحياء» (٢/٢٥٠)، بينما **ضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٣٠٥)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٨/٣٥٠).

فيه مسائل:

الأولى: سعة فضل اللَّه.

الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند اللَّه.

الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب.

الرابعة: تفسير الآية التي في سورة الأنعام.

الخامسة: تأمُّل الخمس اللواتي في حديث عبادة.

السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده، تَبيَّن لك معنىٰ قول «لا إلٰه إلا اللَّه»، وتَبيَّن لك خطأُ المغرورين.

السابعة: التنبيهُ للشرط الذي في حديث عتبان.

الثامنة: كون الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يحتاجون للتنبيه علىٰ فضل «لا إلٰه إلا اللَّه».

التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيرًا ممن يقولها يخفُّ ميزانُه.

العاشرة: النصُّ علىٰ أن الأرَضين سبعٌ كالسماوات.

الحادية عشرة: أن لهن عُمَّارًا.

الثانية عشرة: إثباتُ الصفات، خلافًا للمعطِّلة.

الثالثة عشرة: أنك إذا عرفتَ حديث أنس، عرفت أن قولَه في حديث عتبان: «**فإن اللَّه حرَّم علىٰ النار من قال: لا إلٰه إلا اللَّه، يبتغي بذلك وجه اللَّه**»: أنه تركُ الشرك، ليس قولَها باللسان.

الرابعة عشرة: تأمُّلُ الجمع بين كون عيسىٰ ومحمد عَلَيْهِمَا ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عبدَيِ اللَّه ورسولَيه.

الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بكونه كلمةَ اللَّه[١].

السادسة عشرة: معرفة كونه رُوحًا منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معرفة [معنىٰ] قوله: «**علىٰ ما كان من العمل**».

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كِفتان.

العشرون: معرفة ذِكرِ الوجه.

---

(١) راجع التعليق ص(٢/٣٠).

[٣] باب: مَن حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقولِ اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المؤمنون].


الشرح

■ قوله: «باب: من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب»: أي: ولا عذاب، و«تحقيقه»: تصفيته وتخليصه من شوائب الشرك والبدع والإصرار علىٰ الذنوب، فمن كان كذلك فقد حقق توحيده.

وتحقيقُ التوحيد عزيز في الأمة؛ لا يوجد إلا في أهل الإيمان الخُلَّص الذين أخلصهم اللَّه واصطفاهم من خلقه؛ كما قال تعالىٰ في يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف]، وفي قراءة: ﴿المُخلِصِينَ﴾ وهم في صدر الأمة كثيرون، وفي آخرها هم الغرباء، وقد قلوا، وهم الأعظمون قدرًا عند اللَّه.

وقال تعالىٰ عن خليله عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام]. أي: أخلصت ديني، وأفردت عبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، أي: خلقهما وابتدعهما علىٰ غير مثال سبق. ﴿حَنِيفًا﴾: أي في حال كوني حنيفًا ـ أي مائلًا ـ عن الشرك إلىٰ

التوحيد؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٧٩﴾ [الأنعام]، ونظائر هذه الآية في القرآن كثير كقوله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ۝١٢٥﴾ [النساء]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

▫ قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في الآية: «يقول تعالىٰ مخبرًا عمن ﴿أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾: أي أخلص له العمل، وانقاد لأوامره، واتبع شرعه، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾: أي في عمله واتباع ما به أَمر، وترك ما عنه زَجر».

فدلت هذه الآية العظيمة علىٰ أن كمال الإخلاص إنما يوجد بترك الشرك، والبراءة منه، وممن فعله، كما تقدم في الباب قبل هذا.

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٢٠﴾ [النحل]»:

▫ قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «يمدح اللَّه تعالىٰ عبده ورسوله وخليله إبراهيم ـ إمام الحنفاء ـ بتبرئته من المشركين، ومن اليهودية والنصرانية والمجوسية. و«الأمة»: هو الإمام الذي يُقتدىٰ به. و«القانت»: هو الخاشع المطيع. و«الحنيف»: المنحرف قصدًا عن الشرك إلىٰ التوحيد؛ ولهذا قال: ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾، وقال مجاهد: كان إبراهيم ﴿أُمَّةٗ﴾ أي: مؤمنًا وحده، والناس كلهم إذ ذاك كفار».

قلت: وكلا القولين حقٌّ؛ فقد كان الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كذلك، وقول مجاهد ـ واللَّه أعلم ـ لما كان الخليل كذلك في ابتداء دعوته



ونبوته ورسالته عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فمدحه اللَّه تعالىٰ بتبرئته من المشركين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢﴾ [مريم] الآيات، وقوله: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤﴾ [الصافات]؛ فهذا ـ واللَّه أعلم ـ كان في ابتداء دعوته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولم يكن ـ إذ ذاك ـ علىٰ وجه الأرض مسلمٌ غيره، وبذلك جاء الحديث[1].

وقوله: ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: فقد فارق المشركين بالقلب واللسان والأركان، وأنكر ما كانوا عليه من الشرك باللَّه في عبادته، وكسر الأصنام، وصبر علىٰ ما أصابه في ذات اللَّه، وهذا هو تحقيق التوحيد، وهو أساس الدين ورأسه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١﴾ [البقرة]، وأنت تجد أكثر من يقول: «لا إله إلا اللَّه»، ويدعي الإسلام، يفعل الشرك باللَّه في عبادته؛ بدعوة من لا يضر ولا ينفع من الأموات والغائبين والطواغيت والجن وغيرهم، ويحبهم ويواليهم ويخافهم ويرجوهم، وينكر علىٰ مَن دعا إلىٰ عبادة اللَّه وحده وترك عبادة ما سواه، ويزعم أن ذلك بدعةٌ وضلالة، ويعادي من عمل به وأحبه، وأنكر الشرك وأبغضه، وبعضهم لا يَعُدُّ التوحيد علمًا، ولا يلتفت إليه لجهله به وعدم محبته، فاللَّه المستعان.

■ وقوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩﴾ [المؤمنون]»:

---

(١) رواه البخاري (٢٢١٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

▫ قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «أي: من إحسانهم وعملهم الصالح مشفقون من اللَّه، خائفون وجلون من مكره بهم؛ كما قال الحسن البصري: «المؤمن من جمع إحسانًا وشفقةً، والمنافق من جمع إساءةً وأمنًا».

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾: أي يؤمنون بآيات اللَّه الكونية والشرعية؛ لقوله تعالىٰ عن مريم: ﴿وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم]: أي أيقنت أن ما كان فهو من قَدَر اللَّه وقضائه وما شرعه اللَّه، وإن كان أمرًا فهو ما يحبه اللَّه ويرضاه، وإن كان نهيًا فهو ما يكرهه اللَّه ويأباه، وإن كان خبرًا فهو حق كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾: أي لا يعبدون معه غيره؛ بل يوحدونه، ويعلمون أنه لا إلٰه إلا اللَّه الأحد الصمد، الذي لا يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأنه لا نظير له» انتهىٰ.

قلت: فتَركُ الشرك يتضمن كمال التوحيد، ومعرفته علىٰ الحقيقة، ومحبته وقبوله، والدعوة إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرعد]، وتضمنت هذه الآية كمال التوحيد وتحقيقه. وباللَّه التوفيق.





وعن حُصين بن عبدالرَّحمٰن قال: كنت عند سعيد بن جُبير؛ فقال: أيُّكم رأىٰ الكوكبَ الذي انقضَّ البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أمَا إني لم أكُن في صلاةٍ، ولكني لُدغت. قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيتُ. قال: فما حَمَلك علىٰ ذلك؟ قلت: حديثٌ حدَّثَناه الشعبي. قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بُريدة بن الحُصيب أنه قال: «لا رُقيةَ إلا من عينٍ أو حُمَةٍ». فقال: قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع. ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**عُرضت عليَّ الأُمم، فرأيت النبيَّ ومعه الرَّهْط، والنبيَّ ومعه الرجل والرجلان، والنبيَّ وليس معه أحدٌ؛ إذ رُفع لي سوادٌ عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسىٰ وقومه. فنظرت، فإذا سوادٌ عظيم، فقيل لي: هذه أُمَّتُك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب**».

ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناسُ في أولئك؛ فقال بعضهم: فلعلهم الذين صَحِبوا رسول اللَّه ﷺ. وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلدوا في الإسلام فلم يشركوا باللَّه شيئًا. وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول اللَّه ﷺ، فأخبروه، فقال: «**هم الذين لا يَسْتَرقون، ولا يكتوون، ولا يتطيَّرون، وعلىٰ ربهم يتوكلون**». فقام عكَّاشة بن مِحصَن؛ فقال: ادع اللَّه أن يجعلني منهم. قال: «**أنت منهم**». ثم قام رجل آخر؛ فقال: ادع اللَّه أن يجعلني منهم. فقال: «**سبقك بها عكَّاشة**»[(١)].


الشرح

■ قوله: «عن حصين بن عبدالرَّحمٰن»: هو الحارثي من تابعي، التابعين، [روىٰ] عن الشعبي.

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

■ «قال: كنت عند سعيد بن جبير»: هو الوالبي مولاهم الفقيه، [روىٰ] عن ابن عباس وخلق، قال اللالكائي: ثقة إمام حجة. قتله الحجاج بن يوسف؛ فما أمهله اللَّه بعده.

■ قوله: «فقال: أيكم رأىٰ الكوكب الذي انقض البارحة»: يعني كوكبًا رُجم به تلك الليلة، يقال: «البارحة»: لليلة الماضية إذا زالت الشمس، وأما قبل الزوال فيقال: «الليلة».

■ قوله: «فقلت: أنا»: أي أنا رأيته. «ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة»: قال ذلك حذرًا من الشرك[(١)]؛ لئلا يظن الحاضرون أنه قام من الليل للعبادة؛ فيكون قد ادعىٰ لنفسه ما لم يفعله، فما أشدَّ حذر التابعين ومن قبلهم من الشرك دقيقِه وجليله، والحذر من أن يُحمد بما لم يفعله! فما أعزَّ من سلم من الشرك ـ كما سيأتي ـ!

■ قوله: «ولكن حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حُمَة»: هذا الحديث قد روي مرفوعًا[(٢)].

والشعبي: اسمه عامر بن شَرَاحيل الحميري الشعبي الإمام، روىٰ عن عمر وعلي وابن مسعود، ولم يسمع منهم. وعن أبي هريرة

(١) يعني الرياء.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٤/٤٣٦)، وأبو داود (٣٨٨٤)، والتِّرمذي (٢٠٥٧)، والبزار (٣٥٩٧)، الحميدي (٨٣٦)، والطبراني في «الكبير» (١٨/٥٨٧)، وفي «الأوسط» (١٤٧٢)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٩/٣٤٨)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٠٦٨)، والمحاملي في «أماليه» (٣٨٨)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٣/١٣٩).

وعائشة وجرير وابن عباس وخلق.

▫ قال الشعبي: «ما كتبت سوداء في بيضاء»[(١)].

تُوفِّي سنة ثلاث ومئة.

وبريدة: هو ابن الحُصيب بن عبداللَّه بن الحارثي الأسلمي، أسلم قبل بدر، وعمل علىٰ اليمن في أيام النبي ﷺ، صحابي مشهور.

قوله: «لا رقية إلا من عين أو حمة»: هذا ـ واللَّه أعلم ـ في أول الأمر، ثم رُخص في الرقىٰ إذا كانت بحق، واللَّه أعلم.

▪ قوله: «قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع»: فيه حسن الأدب مع العلم وأهله، وأن من فعل شيئًا سُئل عن مستنده في فعله: هل كان مقتديًا أم لا، ومن لم يكن معه حجةٌ شرعية فلا عذر له بما فعله؛ ولهذا ذكر ابن عبدالبر الإجماع علىٰ أن المقلد ليس من أهل العلم؛ فتفطن لهذا[(٢)].

▪ قوله: «ولكن حدثنا ابن عباس»: هو عبداللَّه بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم، ابن عم النبي ﷺ، حبر الأمة، وترجمان القرآن، دعا له النبي ﷺ فقال: «**اللهم فقِّهه في الدين، وعلِّمْه التأويل**»[(٣)]، وصار آيةً في العلم والفهم وكثرة ما روىٰ من

---

(١) أي: كان ما يسمعه يحفظه مباشرةً.

(٢) **والمقلِّد**: هو الذي يأخذ بقول العالم دون معرفة دليله.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢٦٦/١)، وابن حِبَّان (٥٠٧٧)، والحاكم (٦١٥/٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٦٣/١٠)، و«الأوسط» (١٢٢/٢)، و«الصغير» (٣٢٧/١)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. **وقوَّاه** علىٰ شرط مسلم الشيخ شعيب الأرنؤوط، **وصحَّحه** ـ أيضًا ـ الشيخ الألباني في «الصحيحة» =

الأحاديث؛ علىٰ أنه من صغار الصحابة، لكن طَلب الحديثَ من كبار الصحابة؛ فحفظ الأكثر مما كان عندهم، رضي اللَّه عنهم أجمعين.

■ قوله: «أن النبي ﷺ قال: (عُرضت عليَّ الأمم)»: قلت: فاللَّه أعلمُ متىٰ عُرضت، وعَرْضُها أن اللَّه ﷻ أراه مثالها إذا جاءت الأنبياء ومن تبعهم؛ فمن نجا بالإيمان باللَّه وما بعث به أنبياءه ورسله من دينه الذي شرعه لهم ـ وهو عبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه ـ، والأخذ بما أمرهم به، وترك ما نهاهم عنه؛ كما قال تعالىٰ عن قوم نوح: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ [نوح]= فعبادته: توحيده وطاعته بامتثال ما أمرهم به، وترك ما نهاهم عنه وطاعة رسوله؛ هذا هو الدين ألَّا يُعبدَ إلا اللَّه، وألَّا يُعبد إلا بما شرع فعلًا وتركًا، وأن يقدِّم طاعة رسوله علىٰ ما يحبه ويهواه.

■ قوله: «**فرأيت النبي ومعه الرهط**»: الرهط: العشرة فما دون. «**والنبي ومعه الرجل والرجلان**»: أي أتباعه، «**والنبي وليس معه أحد**»: أي يُبعث في قومه، فلا يتبعه منهم أحد؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١١﴾ [الحجر]، وفيه دليل علىٰ أن الناجي من الأمم هم القليل، والأكثر غلبت عليهم الطباعُ البشرية، فعَصَوُا الرسل فهلكوا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾

= (٢٥٨٩).

وهو في «صحيح البخاري» (١٣٤)، و«صحيح مسلم» (٢٤٧٧) مختصرًا.



[الأنعام: ١١٦]، وقال: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف]، وقال: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الروم] وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير.

والناجون ـ وإن كانوا أقلَّ القليل ـ فهم السواد الأعظم؛ فإنهم الأعظمون قدْرًا عند اللَّه ـ وإن قلُّوا ـ. فليحذر المسلم أن يغترَّ بالكثرة، وقد اغترَّ بهم كثيرون، حتىٰ بعضُ من يدعي العلم اعتقدوا في دينهم ما يعتقده الجُهال الضُّلال، ولم يلتفتوا إلىٰ ما قاله اللَّه ورسوله.

■ قوله: «**إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسىٰ وقومه**»: فيه فضيلة أتباع موسىٰ من بني إسرائيل ممن آمن منهم بالرسل والكتب التي أنزلها اللَّه ـ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وغيرها ـ. وكانت بنو إسرائيل قبل التفرق كثيرين وفيهم الأنبياء، ثم بعد ذلك حدث ما حدث من اليهود.

وهذا الحديث يدلُّ علىٰ أن التابع لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كثيرون جدًّا، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الجاثية] أي: في زمانهم وذلك أن في زمانهم وقبله ـ ممن كفر باللَّه ـ خلقًا لا يُحصَون، كحزب جالوت وبُخْتُنَصَّر ـ وأمثالهم ـ، ففضَّل اللَّه بني إسرائيل بالإيمان، فصاروا أفضلَ أهل زمانهم، وحدث فيهم ما ذكر اللَّه في سورة البقرة وغيرها من معصيتهم لأنبيائهم واختلافهم في دينهم، وقد ذكره اللَّه تعالىٰ محتجًّا به علىٰ اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ، فتدبَّر ما ذكره اللَّه تعالىٰ من أحوالهم بعد الاختلاف.

■ قوله: «**ثم نظرت فإذا سواد عظيم**»: وفي رواية: «**قد سد الأفق**»، «**فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**»: فيه فضيلة هذه الأمة، وأنهم أكثر الأمم تابعًا لنبيهم ﷺ، وقد كثروا في عهد الصحابة رضي الله عنهم، وفي وقت الخلفاء الراشدين ومن بعدهم؛ فملؤوا القرىٰ والأمصار والقفار، وكثر فيهم العلم، واجتمعت لهم الفنون في العلوم النافعة، فما زالت هذه الأمة علىٰ السُّنة في القرون الثلاثة المفضلة، وقد قلوا في آخر الزمان.

□ قال شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في مسائله: «وفيه فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية».

فالكمية: الكثرة والعدد، والكيفية: فضيلتهم في صفاتهم، كما في هذا الحديث بقوله: «**ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**».

■ قوله: «ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك»: أي الحاضرون في ذكر هذا الحديث.

وفيه - أيضًا - فضل الصحابة رضي الله عنهم في مذاكرتهم العلم، وحرصهم علىٰ فهم ما حدَّثهم به نبيهم ﷺ حرصًا علىٰ العمل به.

وفيه جواز الاجتهاد فيما لم يكن فيه دليل؛ لأنهم قالوا ما قالوا باجتهادهم، ولم ينكر ﷺ ذلك عليهم؛ لكن المجتهد إذا لم يكن معه دليل لا يجوز له أن يجزم بصواب نفسه؛ بل يقال: «لعل الحكم كذا وكذا»؛ كقول الصحابة رضي الله عنهم في هذا الحديث.

■ قوله: «فخرج عليهم رسول اللَّه ﷺ فأخبروه، فقال: (**هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلىٰ ربهم يتوكلون**)»: أي

لا يطلبون الرقية من أحد، ولا يكتوون إذا كان فيهم ما يُستشفىٰ بالكي منه، ولا يتطيرون، والطيرة شرك؛ فتركوا الشرك رأسًا، ولم يُنزلوا حوائجهم بأحد فيسألونه الرقية فما فوقها، وتركوا الكي - وإن كان يراد للشفاء -. والحامل لهم علىٰ ذلك قوة توكلهم علىٰ اللَّه، وتفويضهم أمورهم إليه. وألَّا تتعلق قلوبهم بشيء سواه في ضمن ما دبَّره وقضاه؛ فلا يرغبون إلا إلىٰ ربهم، ولا يرهبون إلا منه، ويعتقدون أن ما أصابهم بقدره واختياره لهم، فلا يَفزعون إلا إليه وحده في كشف ضرهم، قال تعالىٰ عن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

▪ قوله: «فقام عكَّاشة بن مِحصن»: صحابي مشهور، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع النبي ﷺ، وهو من بني أسد بن خزيمة، قتله طليحة بن خويلد شهيدًا، وكان قد سار مع خالد بن الوليد لقتال أهل الردة، فقاتل بني أسد لردتهم عن الإسلام، وكان فيهم طليحة - وقد ادعىٰ النبوة وصدقوه -، فأكرم اللَّه عكاشة علىٰ يده - لما كان كافرًا -، ثم بعد ذلك هداه اللَّه إلىٰ الإسلام[(١)]، وجاهد الفُرس مع سعد بن أبي وقاص، وصار له في الفرس وقائعُ معروفة في السير، وكان ممن استشهد في قتالهم في وقعة الحِيرة المشهورة.

▪ قوله: «فقال: يا رسول اللَّه، ادع اللَّه أن يجعلني منهم»: فيه أن شفاعة الحي لمن سأله الدعاء إنما كانت بدعائه، وبعد الموت قد تعذَّر ذلك بأمورٍ لا تخفىٰ علىٰ من له بصيرة. فمن سأل ميتًا أو غائبًا فقد سأل ما لا يَقدر عليه. وكلُّ مَن سأل أحدًا ما لا يقدر

---

(١) يعني: طليحة بن خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عليه إلا اللَّه فقد جعله ندًّا للَّه؛ كما كان المشركون كذلك، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة] أنه ربكم وخالقكم ومَن قبلكم، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنة؛ فلا ترغبوا عنه إلىٰ غيره؛ بل أخلِصوا له العبادة بجميع أنواعها فيما تطلبونه من قليلٍ أو كثير.

■ قوله: «**أنت منهم**»: لِمَا كان يعلمه ﷺ من إيمانه وفضله وجهاده؛ كما في الحديث: «**لعل اللَّهَ اطلع علىٰ أهل بدر؛ فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم**»[(١)].

■ قوله: «ثم قام رجل آخر فقال: ادع اللَّه أن يجعلني منهم فقال: (**سبقك بها عكاشة**)»: والظاهر أنه أراد ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ سد الذريعة؛ لئلا يتتابع الناس بسؤال ذلك؛ فيسأله من ليس أهلًا له؛ وذلك منه ﷺ تعريضٌ كما لا يخفىٰ.



(١) رواه البخاري (٢٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)، من حديث عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

✍ فيه مسائل:

الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد.

الثانية: ما معنىٰ تحقيقه؟

الثالثة: ثناؤه سبحانه علىٰ إبراهيم بكونه لم يكُ من المشركين.

الرابعة: ثناؤه علىٰ سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

الخامسة: كونُ ترك الرقية والكيِّ من تحقيق التوحيد.

السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

السابعة: عمقُ فهم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

الثامنة: حرصهم علىٰ الخير.

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكَميَّة والكيفيَّة.

العاشرة: فضيلة أصحاب موسىٰ عليه السلام.

الحادية عشرة: عرضُ الأمم عليه ﷺ.

الثانية عشرة: أن كل أمة تُحشر وحدها مع نبيها.

الثالثة عشرة: قلةُ من استجاب للأنبياء.

الرابعة عشرة: أن من لم يُجبه أحدٌ يأتي وحده.

الخامسة عشرة: ثمرةُ هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلَّة.

السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحُمَة.

السابعة عشرة: عمقُ علم السلف؛ لقوله: «قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع، ولكن كذا وكذا»؛ فعُلم أن الحديثَ الأول لا يخالف الثاني.

الثامنة عشرة: بُعدُ السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه.

التاسعة عشرة: قوله ﷺ: «**أنت منهم**» عَلَمٌ من أعلام النبوة.

العشرون: فضيلة عكّاشة.

الحادية والعشرون: استعمال المعاريض.

الثانية والعشرون: حُسن خلقه ﷺ.



[٤] باب: الخوف من الشرك

وقولِ اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء].

وقال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم].

وفي الحديث: «**أخوفُ ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر**». فسئل عنه، فقال: «**الرياء**». رواه أحمد والطبراني والبيهقي(١).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن مات وهو يدعو من دون اللَّه ندًّا دخل النار**». رواه البخاري(٢).

ولمسلم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن لقي اللَّهَ لا يُشرك به شيئًا دخل الجنة، ومَن لقيه يشركُ به شيئًا دخل النار**»(٣).



الشرح

■ قوله: «باب الخوف من الشرك، وقول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]»:

□ قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «أما دخول المشرك النار فهو علىٰ عمومه؛ فيدخلها ويخلَّد فيها. ولا فرق بين الكتابيِّ اليهودي والنصراني وبين عَبَدةِ الأوثان وسائر الكفرة. ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره. ولا بين من خالف ملةَ الإسلام وبين

(١) حسن: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

من انتسب إليها، ثم حُكم بكفره بجحده وغير ذلك.

وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع به، لكن إن لم يكن صاحب كبيرةٍ مصرًّا عليها، ومات علىٰ ذلك فهو تحت المشيئة، فإن عفي عنه دخل الجنة أولًا، وإلا عُذِّب في النار، ثم أُخرج منها وأدخل الجنة» انتهىٰ.

قلت: هذا قول أهل السنة والجماعة، لا اختلاف بينهم في ذلك.

وهذه الآية من أعظم ما يوجب الخوف من الشرك؛ لأن اللَّه تعالىٰ قطع المغفرة عن المشرك، وأوجب له الخلود في النار وأطلق ولم يقيِّد، ثم قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ فخصص وقيَّد فيما دون الشرك؛ فهذا الذنب الذي هذا شأنه لا يأمن أن يقع فيه، فلا يُرجىٰ له معه نجاة ـ إن لم يتب منه قبل الوفاة ـ.

■ قوله: «وقال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم]»: أي: إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ خليل الرَّحمٰن. و«الخُلَّة» أخص من «المحبة»؛ ولهذا اختُص بها الخليلان إبراهيم ومحمد ﷺ.

﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾: وهذا ـ أيضًا ـ يُخيف العبد، فإذا كان الخليل ـ إمامُ الحنفاء الذي جعله اللَّه أمةً وحده وابتلاه بكلمات فأتمهن، وقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم]، وأُمر بذبح ولده فامتثل أمر ربه، وكسر الأصنام، واشتد نكيره علىٰ أهل الشرك ـ: ومع ذلك يخاف أن يقع في الشرك الذي هو عبادة الأصنام؛ لعلمه أنه لا يصرفه عنه إلا اللَّه بهدايته وتوفيقه لا بحوله هو وقوته.

□ وما أحسن ما قال إبراهيم التيمي: «ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟!».

فهذا أمرٌ لا يؤمن الوقوع فيه، وقد وقع فيه الأذكياء من هذه الأمة بعد القرون المفضلة؛ فاتُّخذت الأوثان وعُبدت؛ فالذي خافه الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ نفسه وبنيه وقع فيه أكثرُ الأمة بعد القرون المفضلة، فبُنيت المساجد والمَشاهد علىٰ القبور، وصُرفت لها العبادات بأنواعها، واتُّخذ ذلك دينًا، وهي أوثان وأصنام كأصنام قوم نوح واللات والعزىٰ ومناة وأصنام العرب وغيرهم؛ فما أشبه ما وقع في آخر هذه الأمة بحال أهلِ الجاهلية من مشركي العرب وغيرهم! بل وقع ما هو أعظم من الشرك في الربوبية مما يطول عدُّه.

فذكر عَلَيْهِ السَّلَامُ السبب الذي أوجب له الخوف عليه وعلىٰ ذريته بقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]؛ وقد ضلت الأمم بعبادة الأصنام في زمن الخليل وقبله وبعده، فمن تدبَّر القرآن عرف أحوال الخلق وما وقعوا فيه من الشرك العظيم؛ الذي بعث اللَّه أنبياءه ورسله بالنهي عنه، والوعيد علىٰ فعله، والثواب علىٰ تركه، وقد هلك من هلك بإعراضه عن القرآن، وجهلِه بما أمر اللَّه به ونهىٰ عنه، نسأل اللَّه الثبات علىٰ الإسلام، والاستقامة علىٰ ذلك إلىٰ أن نلقىٰ اللَّه علىٰ التوحيد، إنه ولي ذلك والقادر عليه. ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

وقال تعالىٰ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة] ردَّ أمرهم إلىٰ اللَّه كما رد عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد بين اللَّه تعالىٰ فيما أنزله علىٰ نبيه محمد ﷺ حُكمه في أهل الشرك بأنه لا يغفره لهم؛ فلا معارضة، وقد بيَّن حكمه فيهم في هذا الكتاب العزيز ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت].

■ وقوله: «وفي الحديث»: لأصحابه ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، فسئل عنه فقال: «**الرياء**»: وهذا الحديث رواه الإمام أحمد والطبراني والبيهقي عن محمود بن لبيد، فإذا كان يخافه ﷺ علىٰ أصحابه الذين وحَّدوا اللَّه بالعبادة، ورغبوا إليه وإلىٰ ما أمرهم به من طاعته، فهاجروا وجاهدوا مَن كفر به، وعرفوا ما دعاهم إليه نبيُّهم، وما أنزله اللَّه في كتابه من الإخلاص والبراءة من الشرك= فكيف لا يَخاف مَن لا نسبة له إليهم في علمٍ ولا عمل مما هو أكبر من ذلك؟!

وقد أخبر ﷺ عن أمته بوقوع الشرك الأكبر فيهم بقوله في حديث ثوبان الآتي ذكره: «**حتىٰ يلحقَ قبائل من أمتي بالمشركين، وحتىٰ تَعبد فئامٌ من أمتي الأوثان**»[(١)]، وقد جرىٰ ما أخبر به ﷺ، وعمت به البلوىٰ في أكثر الأقطار؛ حتىٰ اتخذوه دينًا مع ظهور الآيات المحكمات، والأحاديث الصحيحة في النهي عنه والتخويف منه، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ...﴾ [الحج]، وهذا هو تحقيق التوحيد ـ كما تقدم في الباب قبله ـ.

ثم قال تعالىٰ محذرًا عباده من الشرك ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج]، ومن لم تخوفه هذه الآيات، وتزجرُه عن الشرك في العبادة إذا تدبرها= فلا حيلة فيه.

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

■ قوله: «وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من مات وهو يدعو من دون اللَّه ندًّا دخل النار**» رواه البخاري»: وهذا الحديث فيه التحذير من الشرك ـ أيضًا ـ، والتخويف منه.

و«النِّد»: المِثل والشبيه، فمن دعا ميتًا أو غائبًا وأقبل إليه بوجهه وقلبه رغبةً إليه ورهبة منه ـ سواءٌ سأله أم لم يسأله ـ؛ فهذا هو الشرك الذي لا يغفره اللَّه؛ ولهذا حرم اللَّه تعالىٰ اتخاذ الشفعاء، وأنكر علىٰ من فعل ذلك أشد الإنكار، لكونه ينافي الإخلاص الذي هو إقبالُ القلب والوجه علىٰ اللَّه في كل ما يخافه العبد ويرجوه، ويتقرب به ويدين به. ومن المعلوم أنه إذا التفت للشفيع يسأله فقد أعرض بوجهه وقلبه عن اللَّه تعالىٰ؛ وذلك ينافي الإخلاص، ويأتي بيان ذلك في باب «الشفاعة» ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ.

■ قوله: «ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: (**من لقي اللَّه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار**)»:
قوله: «**من لقي اللَّه لا يشرك به شيئًا**»: هذا هو الإخلاص كما تقدم.
وقوله: «**ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار**»: هذا هو الشرك؛ فمن لقي اللَّه بالشرك دخل النار قل أو كثر.

أما الشرك الأكبر فلا عمل [ينفعُ] معه، ويوجب الخلود في النار ـ كما تقدم في معنىٰ الآيات ـ.

وأما الأصغر ـ كيسير الرياء، وقول الرجل: «ما شاء اللَّه وشئت»، وقوله: «ما لي إلا اللَّه وأنت»، ونحو ذلك ـ: فهذا لا يكفر إلا برجحان السيئات بالحسنات.

❑ قال بعض العلماء: «اقتصر علىٰ نفي الشرك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء، واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم؛ إذ من كذَّب رسل اللَّه فقد كذَّب اللَّه، ومن كذب اللَّه فهو مشرك. فالمراد: من مات حال كونه مؤمنًا بجميع ما يجب الإيمان به إجمالًا في الإجمالي، وتفصيلًا في التفصيلي» اهـ.



✍ فيه مسائل:

الأولى: الخوف من الشرك.

الثانية: أن الرياء من الشرك.

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوف ما يُخاف منه علىٰ الصالحين.

الخامسة: قربُ الجنة والنار.

السادسة: الجمعُ بين قربهما في حديثٍ واحدٍ علىٰ عملٍ متقاربٍ في الصورة.

السابعة: أنه مَن لقيه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار، ولو كان من أعبدِ الناس.

الثامنة: المسألة العظيمة: سؤالُ الخليل له ولبنيه وقايةَ عبادة الأصنام.

التاسعة: اعتباره بحال الأكثر؛ لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

العاشرة: فيه تفسير «لا إلٰه إلا اللَّه»، كما ذكره البخاري.

الحادية عشرة: فضيلة مَن سَلِم من الشرك.



[٥] باب: الدعاء إلى شهادة ألَّا إلٰه إلا الله

وقول اللَّهِ تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول اللَّه ﷺ لما بَعَث معاذًا إلىٰ اليمن قال له: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكنْ أولَ ما تدعوهم إليه شهادةُ ألَّا إلٰه إلا اللَّه - وفي رواية: إلىٰ أن يوحِّدوا اللَّه -؛ فإن هم أطاعوك لذلك فأعلِمْهم أن اللَّه افترض عليهم خمسَ صلواتٍ في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلِمْهم أن اللَّه افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم، فتُردُّ علىٰ فقرائهم. فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائمَ أموالهم. واتق دعوةَ المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين اللَّه حجاب». أخرجاه[(١)].

الشرح

■ قوله: باب الدعاء إلىٰ شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه، وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف]:

▫ قال أبو جعفر بن جرير: «يقول - تعالىٰ ذكره - لنبيه محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَٰذِهِۦ﴾ الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلىٰ توحيد اللَّه وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلىٰ طاعته وترك معصيته ﴿سَبِيلِيٓ﴾

(١) صحيح: وقد تقدم.

طريقتي ودعوتي ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وحده لا شريك له، ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بذلك ويقينِ عِلمٍ مني به ﴿أَنَا۠ وَمَنِ﴾ يدعو إليه علىٰ بصيرة ـ أيضًا ـ ﴿ٱتَّبَعَنِي﴾ وصدقني وآمن بي ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ يقول ـ تعالىٰ ذكره ـ: وقل تنزيهًا للَّه وتعظيمًا له من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ يقول: وأنا بريء من أهل الشرك به، لستُ منهم، ولا هم مني» اهـ.

وهذه الآية تدل علىٰ أن أتباعه هم أهل البصائر الداعون إلىٰ اللَّه تعالىٰ، ومن ليس منهم فليس من أتباعه علىٰ الحقيقة والموافقة، وإن كان من أتباعه علىٰ الانتساب والدعوىٰ، قاله العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ٣٦﴾ [الرعد]، وما زال النبي ﷺ وأصحابه يدْعون إلىٰ ما أمر اللَّه به من الدعوة إلىٰ توحيده في العبادة، والنهي عن الشرك به، ويجاهدون علىٰ ذلك. والآيات في الأمر بذلك كثيرة جدًّا.

■ قوله: «وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أن رسول اللَّه ﷺ لما بعث معاذًا إلىٰ اليمن قال له: (**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب؛ فليكن أولَ ما تدعوهم إليه شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه**...)» الحديث. وأهل الكتاب المذكورون في هذا الحديث: من كان في اليمن من اليهود والنصارىٰ إذ ذاك.

■ قوله: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه**»، وكانوا يقولونها، لكنهم جهلوا معناها الذي دلت عليه من إخلاص العبادة للَّه وحده، وترك عبادة ما سواه؛ فكان قولهم «لا إلٰه إلا اللَّه» لا ينفعهم لجهلهم بمعنىٰ هذه الكلمة؛ كحال أكثر المتأخرين من هذه

الأمة؛ فإنهم كانوا يقولونها، مع ما كانوا يفعلونه من الشرك بعبادة الأموات والغائبين والطواغيت والمشاهد، فيأتون بما ينافيها؛ فيثبتون ما نفته من الشرك باعتقادهم وقولهم وفعلهم، وينفُون ما أثبتته من الإخلاص كذلك، وظنوا أن معناها القدرة علىٰ الاختراع تقليدًا للمتكلمين من الأشاعرة وغيرهم، وهذا هو توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون فلم يدخلهم في الإسلام؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون] وقوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ...﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس]، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير.

وهذا التوحيد قد أقر به مشركو الأمم، وأقر به أهل الجاهلية الذين بُعث فيهم محمد ﷺ فلم يدخلهم في الإسلام؛ لأنهم قد جحدوا ما دلت عليه هذه الكلمة من توحيد الإلٰهية، وهو إخلاص العبادة ونفي الشرك والبراءة منه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران]، فهذا التوحيد هو أصل الإسلام.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف]، وقال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٤٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر]، وأمثال هذه الآيات في بيان التوحيد الذي دعت

إليه الرسل ونزلت به الكتب في القرآن كثير. وسنذكر بعض ذلك ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ في هذا التعليق.

■ قوله: «**فليكن أولَ**»: منصوب علىٰ أنه خبر «**يكن**» مقدم، و«**شهادةُ**» اسمها مؤخر، ويجوز العكس.

وفيه دليل أن توحيد العبادة هو أول واجب؛ لأنه أساس الملة وأصل دين الإسلام. وأما قول المتكلمين ومن تبعهم: «إن أول واجب معرفة اللَّه بالنظر والاستدلال»؛ فذلك أمر فطريٌّ فطر اللَّه عليه عباده؛ ولهذا كان مفتتحَ دعوة الرسل أممَهم إلىٰ توحيد العبادة: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢]، أي لا تعبدوا إلا اللَّه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء]، وقال تعالىٰ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

□ قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: هذا يحتمل شيئين:

أحدهما: أفي وجوده شك؟ فإن الفِطَر شاهدةٌ بوجوده، ومجبولة علىٰ الإقرار به؛ فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة.

والمعنى الثاني: أفي إلٰهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك؛ وهو الخالق لجميع الموجودات؟ فلا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له؛ فإن غالب الأمم كانت مقرَّةً بالصانع، ولكن تعبُدُ معه غيره من الوسائط التي يظنون أنها تنفعهم أو تقربهم من اللَّه زلفىٰ» اهـ.

قلت: وهذا الاحتمال الثاني يتضمن الأول.

□ وروىٰ أبو جعفر بن جرير بسنده عن عكرمة ومجاهد وعامر

أنهم قالوا: «ليس أحدٌ إلا وهو يعلم أن اللَّه خلقه وخلق السماوات والأرض؛ فهذا إيمانهم».

▫ وعن عكرمة ـ أيضًا ـ: «تسألهم: من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: اللَّه، فذلك إيمانهم، وهم يعبدون غيره».

وتقدم أنَّ «لا إلٰه إلا اللَّه» قد قُيِّدت بالكتاب والسنة بقيود ثقال، منها: العلم واليقين، والإخلاص والصدق، والمحبة والقبول والانقياد، والكفر بما يعبد من دون اللَّه. فإذا اجتمعت هذه القيود لمن قالها نفعته هذه الكلمة، وإن لم تجتمع هذه لم تنفعه. والناسُ متفاوتون في العلم بها والعمل، فمنهم من ينفعه قولها، ومنهم من لا ينفعه كما لا يخفىٰ.

■ قوله: «**فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن اللَّه افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة**»: فيه دليل علىٰ أن المشرك لا يطالَب بفعل الصلاة إلا إذا أسلم بتركه الشرك باطنًا وظاهرًا؛ لأن الإسلام شرطٌ لصحة العبادة.

▫ كما قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ ما معناه: «إنه يدل علىٰ أن المطالبة بالفرائض في الدنيا لا تكون إلا بعد الإسلام، ولا يلزم من ذلك ألَّا يكونوا مخاطبين بها، ويُزاد في عذابهم في الآخرة، والصحيح أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه، وهذا قول الأكثرين».

■ قوله: «**فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن اللَّه افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فترد علىٰ فقرائهم**»: فيه أن الزكاة لا تنفع إلا من وحَّد اللَّه، وصلىٰ الصلوات الخمس بشروطها وأركانها

وواجباتها. والزكاة قرينةُ الصلوات في كتاب اللَّه تعالىٰ، ويدل علىٰ هذه الجملة قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة]؛ فمن أتىٰ بهذه الأمور أتىٰ ببقيةِ الأركان لقوة الداعي إلىٰ ذلك؛ لأن ذلك يقتضي الإتيان بها لزومًا؛ قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ﴾ [التوبة: ٥].

▫ قال أنس في الآية: «توبتهم: خلع الأوثان، وعبادتهم ربهم، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة».

وعن ابن مسعود مرفوعًا: «**أُمرت بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ومن لم يزكِّ فلا صلاة له**»(١).

▫ وقال ابن زيد: «أبىٰ اللَّه أن تُقبل الصلاةُ إلا بالزكاة».

وفيه بيان مصرف الزكاة.

■ قوله: «**فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم**»: تحذيرًا له من أن يتجاوز ما شرعه اللَّه ورسوله في الزكاة، وهو أخذُها من أوساط المال؛ لأن ذلك سببٌ لإخراجها بطيب نفس ونيةٍ صحيحة، وكلُّ ما زاد علىٰ المشروع فلا خير فيه، وهذا أصلٌ ينبغي التفطن له.

---

(١) **صحيح ـ موقوفًا ـ**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٠/١٠٢)، **وصحَّحه** الإمام المنذري في «الترغيب» (١١٣٥)، والإمام الهيثمي في «المجمع» (٢/١٩٨)، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٧/١١)، بينما **ضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (٤٦٥). ولم أقف عليه مرفوعًا. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.
تنبيه: علىٰ الموقوف فالرواية: «أُمرنا»، وفي لفظ: «أُمرتم».

■ قوله: «**وكرائمَ أموالهم**»: الكرائم جمع «كريمة».

▫ قال صاحب «المطالع»: «هي جامعة الكمال الممكن في حقها، من غزارة لبن، وجمال صورة، أو كثرة لحم أو صوف».

■ قوله: «**واتق دعوة المظلوم**»: يدل علىٰ أن العامل إذا زاد علىٰ المشروع صار ظالمًا لمن أخذ ذلك منه، ودعوةُ المظلوم مقبولة ليس بينها وبين اللَّه حجاب يمنع قبولها.

■ قوله: «**فإنه ليس بينها وبين اللَّه حجاب**»: أي أنها مسموعة لا تُرد، وفيه التحذير من الظلم مطلقًا.

فعلىٰ العامل أن يتحرىٰ العدل فيما استُعمل فيه، فلا يَظلم بأخذ زيادةٍ علىٰ الحق، ولا يحابي بترك شيء منه، فعليه أن يقصد العدل من الطرفين. واللَّه أعلم.



ولهما عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال يوم خيبر: «**لأُعطينَّ الرايةَ غدًا رجلًا يحبُّ اللَّهَ ورسولَه، ويحبُّه اللَّهُ ورسولُه، يَفتح اللَّهُ علىٰ يديه**». فبات الناس يدُوكُون ليلتهم: أيهم يُعطاها؟ فلما أصبحوا غدَوْا علىٰ رسول اللَّه ﷺ كلُّهم يرجو أن يُعطاها؛ فقال: «**أين عليُّ بن أبي طالب؟**»، فقيل: هو يشتكي عينيه. [قال]: «**فأرسِلُوا إليه**»، فأُتي به، فبَصَق في عينيه؛ ودعا له، فبَرَأَ كأنْ لم يكنْ به وجعٌ. فأعطاه الراية؛ فقال: «**انفُذْ علىٰ رِسْلِكَ حتىٰ تنزلَ بساحتهم، ثم ادعُهم إلىٰ الإسلام، وأخبِرْهم بما يجبُ عليهم من حق اللَّه تعالىٰ فيه؛ فواللَّه لَأَنْ يَهدِيَ اللَّهُ بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَم**»[(١)].

يدوكون: أي: يخوضون.

الشرح

■ قوله: «عن سهل بن سعد»: أي ابن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي الساعدي، أبو العباس، صحابي شهير، أبوه صحابي ـ أيضًا ـ، مات سنة ثمان وثمانين وقد جاوز المئة.

■ قوله: «أن رسول اللَّه ﷺ قال يوم خيبر: (**لأُعطِينَّ الراية غدًا رجلًا يحب اللَّهَ ورسوله، ويحبُّه اللَّه ورسولُه، يفتح اللَّه علىٰ يديه**)» الحديث: فيه البشارة بالفتح، وهو علمٌ من أعلام النبوة، وقد وقع كما أخبر رسول اللَّه ﷺ.

■ قوله: «**يحبه اللَّه ورسوله**»:

▫ قال شيخ الإسلام: «ليس هذا الوصف مختصًّا بعليٍّ ولا بالأئمة؛

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

فإن اللَّه ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب اللَّه ورسوله، لكن هذا الحديث من أحسن ما يُحتج به علىٰ النواصب الذين لا يتولَّونه، أو يكفِّرونه أو يفسقونه كالخوارج، لكن هذا الاحتجاج لا يتم علىٰ قول الرافضة الذين يجعلون النصوصَ الدالة علىٰ فضائل الصحابة كانت قبل رِدَّتهم؛ فإن الخوارج تقول في عليٍّ مثل ذلك، لكن هذا باطل؛ فإن اللَّه ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح علىٰ من يَعلم اللَّه أنه يموت كافرًا».

وفيه إثبات صفة المحبة للَّه خلافًا للجهمية ومن أخذ عنهم، وفيه فضيلة أخرىٰ لعليٍّ رضي الله عنه بما خصه به من إعطاء الراية، ودعوته أهل خيبر إلىٰ الإسلام، وقتالهم إذا لم يقبلوا، وقد جرىٰ له رضي الله عنه في قتالهم كراماتٌ مذكورة في السير والمغازي.

وفيه مشروعية الدعوة إلىٰ الإسلام الذي أساسه شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] الآية.

■ قوله: «فقال: «**أين عليُّ بن أبي طالب؟**» فقيل: هو يشتكي عينيه»: قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «فيه الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يَسْعَ، ومنعها عمن سعىٰ».

■ قوله: «**حُمْرِ النَّعَم**»: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه.

■ قوله: «فأرسل إليه» أي: النبي ﷺ أرسل إليه من يأتيه به، وفي «صحيح مسلم» أن الذي جاء به سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وعن إياس بن سلمة عن أبيه أن الذي جاء به سلمة رضي الله عنه.

■ قوله: «فبصق في عينيه»: أي: تفل.

■ قوله: «ودعا له فبَرَأَ». هو بفتح الراء والهمزة، أي عوفي في الحال عافيةً كاملة، وذلك بدعوة النبي ﷺ كما في الحديث؛ فدعا فاستجيب له عليه السلام، وفيه عَلَمٌ من أعلام النبوة ـ أيضًا ـ، وذلك كله باللَّه ومن اللَّه وحده، وهو الذي يملك الضرَّ والنفع، والعطاء والمنع، لا إلٰه غيره ولا رب سواه.

■ قوله: «**انفُذْ**» هو بضم الفاء والهمزة.

■ قوله: «**علىٰ رِسْلك**»: أمره أن يسير إليهم بأدب وأناة.

■ «**حتىٰ تنزل بساحتهم**»: الساحة هي ما قرب من حصونهم.

■ قوله: «**ثم ادعهم إلىٰ الإسلام**»: هذا هو شاهد الترجمة، وهكذا ينبغي لأهل الإسلام؛ أن يكون قصدُهم بجهادهم هدايةَ الخلق إلىٰ الإسلام والدخول فيه، وينبغي لولاة الأمر أن يكون هذا هو معتمَدُهم ومرادهم ونيتهم.

□ قال شيخ الإسلام: «دين الإسلام الذي ارتضاه اللَّه وبعث به رسله: هو الاستسلام للَّه وحده؛ فأصله في القلب، والخضوع للَّه وحده بعبادته دون ما سواه، فمن عبده وحده وعبد معه إلٰهًا آخر لم يكن مسلمًا، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلمًا، وأما الإيمان فأصله تصديق القلب، وإقراره ومعرفته».

■ وقوله: «**وأخبرهم بما يجب عليهم من حق اللَّه تعالىٰ فيه**»: مما أمر به وشرعه من حقوق «لا إلٰه إلا اللَّه»، وهذا يدلُّ علىٰ أن الأعمال من الإيمان؛ خلافًا للأشاعرة والمرجئة في قولهم: «إنه القول»! وزعموا أن الإيمان هو مجرد التصديق، وتركوا ما دل عليه

الكتاب والسنة؛ لأن الدين ما أمر اللَّه به فعلًا، وما نهىٰ عنه ترْكًا.

وفيه الرد علىٰ المشركين المستدلين علىٰ الشرك بكرامات الأولياء لدلالتها علىٰ فضلهم، وأمير المؤمنين عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقع له من الكرامات ما لم يقع لغيره، وقد خَدَّ الأخاديد وأضرمها بالنار، وقذف فيها من غلا فيه، أو اعتقد فيه بعض ما كان يعتقده هؤلاء المشركون مع أهل البيت وغيرهم، فصار من أشد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بُعدًا عن الشرك ،وشدةً علىٰ من أشرك حتىٰ أحرقهم بالنار.

وكذلك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع ما أُعطي من الكرامات صار من أبعد الصحابة عن الشرك وذرائعه. وهؤلاء أفضل أهل الكرامات، فما زادهم ذلك إلا قوةً في التوحيد، وشدةً علىٰ أهل الشرك والتنديد، كما جرىٰ لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الاستسقاء بالعباس، وتعمية قبر دانيال، لما وجده الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في بيت مال الهرمزان، كما أن المعجزات إنما زادت الرسلَ قوةً في الدعوة إلىٰ التوحيد، وشدةً علىٰ أهل الشرك، والإنكارَ عليهم وجهادهم، لكن قد يقع من الأحوال الشيطانية لمن استحوذ عليه الشيطانُ فأنساه ذكر ربِّه ما قد يلتبس علىٰ الجهال الذين تلبَّسوا بالشرك، ويظنون أن ذلك كرامات، وهي من مكر الشيطان وإغوائه لمن لم يعرف الحق من الباطل، وقد قال تعالىٰ لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف]؛ فكذلك يجب علىٰ كل أحد أن يطلب الحق من القرآن بتدبُّره؛ فإنه الصراط المستقيم، ولا يلتفت إلىٰ ما زخرفته الشياطين، كما اغترَ به من اغترَ في هذه الأمة ومن قبلهم.

■ قوله: «**وأخبِرْهم بما يجب عليهم من حق اللَّه تعالىٰ فيه**»: من

أداء الفرائض علىٰ الوجه الشرعي، والنهي عن تعدي الحدود التي حدها اللَّه بين الحلال والحرام؛ وذلك من الإيمان، فالحلال ما أحله اللَّه، والحرام ما حرمه اللَّه، والدين ما شرعه اللَّه، فإذا أخذ بالإسلام ـ الذي هو التوحيد والإخلاص ـ، وأحل ما أحله اللَّه تعالىٰ، وحرم ما حرمه اللَّه تعالىٰ، وأمر بذلك وجاهد عليه= فقد قام بما وجب. وباللَّه التوفيق.

■ قوله: «**فواللَّهِ**»: فيه جواز الحلف علىٰ ما يُفتىٰ به.

■ قوله: «**لأن يهديَ اللَّه بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمْر النعم**»: حُمْرُ ـ بسكون الميم ـ: الإبل الحُمر، وهي أنفس الأموال عند العرب، وفيه الترغيب في الدعوة إلىٰ اللَّه، وطلب الهداية لمن أراد اللَّه هدايته؛ ليحصل للداعي إلىٰ الحق هذه الفضيلة العظيمة بهداية من اهتدىٰ، فلا ينبغي التفريطُ في هذه المطالب العالية. وباللَّه التوفيق.

■ قوله: «يدوكون»: أي يخوضون. بيَّن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ معنىٰ هذه اللفظة بأن المراد خوضُ السامعين في هذا الخير وتمني حصوله.



✍ فيه مسائل:

الأولى: أن الدعوة إلىٰ اللَّه طريقُ مَن اتَّبع رسول اللَّه ﷺ.

الثانية: التنبيه علىٰ الإخلاص؛ لأن كثيرًا لو دعا إلىٰ الحق، فهو يدعو إلىٰ نفسه.

الثالثة: أن البصيرة من الفرائض.

الرابعة: من دلائل حسن التوحيد: أنه تنزيهٌ للَّه تعالىٰ عن المَسبَّة.

الخامسة: أن من قبح الشرك كونَه مسبةً للَّه.

السادسة ـ وهي من أهمها ـ: إبعادُ المسلم عن المشركين؛ لئلا يصير منهم، ولو لم يُشرك.

السابعة: كون التوحيد أولَ واجب.

الثامنة: أنه يُبدأ به قبل كل شيء، حتىٰ الصلاة.

التاسعة: أن معنىٰ: «أن يوحِّدوا اللَّه» معنىٰ شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه.

العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفُها، أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيهُ علىٰ التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البداءة بالأهمِّ فالأهم.

الثالثة عشرة: مَصرِفُ الزكاة.

الرابعة عشرة: كشفُ العالِم الشبهةَ عن المتعلم.

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة: اتقاءُ دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الإخبارُ بأنها لا تُحجب.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرىٰ علىٰ سيد المرسلين ﷺ وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

التاسعة عشرة: قوله: «**لأُعطين الراية...**» إلخ عَلَمٌ من أعلام النبوة.

العشرون: تَفْلُه في عينيه عَلَمٌ من أعلامها - أيضًا -.

الحادية والعشرون: فضيلة عليٍّ رضي الله عنه.

الثانية والعشرون: فضلُ الصحابة في دَوْكِهم تلك الليلة، وشُغلِهم عن بشارة الفتح.

الثالثة والعشرون: الإيمانُ بالقَدَر، لحصولها لمن لم يَسْعَ لها، ومنعها عمن سعىٰ.

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: «**علىٰ رسلك**».

الخامسة والعشرون: الدعوة إلىٰ اللَّه وإلىٰ الإسلام قبل القتال.

السادسة والعشرون: أنه مشروعٌ لمن دُعوا قبل ذلك وقوتلوا.

السابعة والعشرون: الدعوةُ بالحكمة؛ لقوله: «**أخبرهم بما يجب عليهم**».

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق اللَّه في الإسلام.

التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدىٰ علىٰ يديه رجلٌ واحد.

الثلاثون: الحلف علىٰ الفتيا.



[٦] باب: تفسير التوحيد وشهادة ألَّا إلهَ إلَّا الله

وقولِ اللَّه تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف].

وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف].

وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

الشرح

■ قوله: باب تفسير التوحيد وشهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه»: من عطف الدال علىٰ المدلول؛ لأن التوحيد هو معنىٰ هذه الكلمة العظيمة؛ وذلك يتبين بما ساقه من الآيات والحديث؛ لما فيها من زيادة البيان، وكشف ما أشكل من ذلك، وإقامة الحجة علىٰ من غالَط في معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه» من أهل الجهل والإلحاد.

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾»: أي أولئك الذين يدعوهم أهلُ الشرك ـ ممن لا يملك كشف الضر ولا تحويله من الملائكة والأنبياء والصالحين كالمسيح وأمه والعُزَير ـ، فهؤلاء دينهم التوحيد، وهو بخلاف من دعاهم من دون اللَّه. ووصفهم بقوله: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ فيطلبون القُرب من اللَّه بالإخلاص له وطاعته فيما أمر، وترك ما نهاهم عنه. وأعظم القُرَب التوحيد الذي بعث اللَّه به أنبياءه ورسله، وأوجب عليهم العمل به والدعوة إليه، وهذا الذي يقرِّبهم إلىٰ اللَّه، أي: إلىٰ عفوه ورضاه، ووصف ذلك بقوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾؛ فلا يرجون أحدًا سواه، ولا يخافون غيره، وذلك هو توحيده؛ لأن ذلك يمنعهم من الشرك، ويوجب لهم الطمع في رحمة اللَّه، والهرب من عقابه، والداعي لهم ـ والحالة هذه ـ قد عكس الأمر، وطلب منهم ما كانوا ينكرون من الشرك باللَّه في دعائهم لمن كانوا يدعونه من دون اللَّه، ففيه معنىٰ قوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، وقوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف]، وفيه الرد علىٰ من ادعىٰ أن شرك المشركين إنما هو بعبادة الأصنام، وتبيَّن بهذه الآية أن اللَّه تعالىٰ أنكر علىٰ مَن دعا معه غيره من الأنبياء والصالحين والملائكة ومن دونهم، وأن دعاء الأموات والغائبين لجلب نفع أو دفع ضر من الشرك الأكبر الذي لا يغفره اللَّه، وأن ذلك ينافي ما دلت عليه كلمةُ الإخلاص.

فتدبَّرْ هذه الآية العظيمة يتبين لك التوحيد، وما ينافيه من الشرك والتنديد؛ فإنها نزلت فيمن يَعبُدُ الملائكة والمسيح وأمَّه والعُزَير؛ فهم المعنيُّون بقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا

يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ [الإسراء]، ثم بين تعالىٰ أن هؤلاء المشركين قد خالفوا من كانوا يدْعونه في دينه؛ فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقدَّم المعمول[(١)] لأنه يفيد الحصر، يعني: يبتغون إلىٰ ربهم الوسيلة لا إلىٰ غيره، وأعظم الوسائل إلىٰ اللَّه تعالىٰ التوحيد الذي بعث اللَّه به أنبياءه ورسله وخلق الخلق لأجله.

ومن التوسل إليه: التوسل بأسمائه وصفاته؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٠٨]، وكما ورد في الأذكار المأثورة من التوسل بها في الدعوات؛ كقوله: «**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إلٰه إلا أنت، المنانُ، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام**»[(٢)]، وقوله: «**اللهم إني أسألك بأنك أنت اللَّه لا إلٰه إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد**»[(٣)].

---

(١) يعني قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ﴾.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٥/٣٥٠)، وأبو داود (١٤٩٣)، والتِّرمذي (٣٤٧٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٦٦٦)، وابن حبان (٨٩١)، والحاكم (١/٥٠٤)، وأبو عوانة (٣٨٩٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢٥٧)، وفي «تاريخ أصبهان» (٢/١٠)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (١٩٥)، وفي «الشعب» (٢٦٠٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/٤٤٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٥٩)، وابن عساكر في «التاريخ» (٣٢/٤٢)، والمقدسي في «الترغيب في الدعاء» (٥٣)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٨٠)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١٧٣)، والطبراني في «الدعاء» (١١٤)، والإسماعيلي في «معجمه» (٢/٥٧٧)، والخطابي في «غريب الحديث» (١/٣١٨)، والسهمي في «تاريخ جرجان» ص(١٤٥)، والذهبي في «سير =

وغير ذلك من الأعمال الصالحة الخالصة التي لم يشُبْها شرك.

فالتوسل إلىٰ اللَّه هو بما يحبُّه ويرضاه، لا بما يكرهه ويأباه من الشرك الذي نزَّه نفسه عنه بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٣﴾ [الطور]، وقوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [يوسف]، وقوله في الإنكار علىٰ من اتخذ الشفعاء: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٨﴾ [يونس] وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير، يأمر عباده بإخلاص العبادة له، وينهاهم عن عبادة ما سواه، ويُعظِّمُ عقوبته؛ كما جرىٰ علىٰ الأمم المكذِّبة للرسل فيما جاؤوهم به من التوحيد، والنهي عن الشرك، فأوقع اللَّهُ تعالىٰ بهم ما أوقع؛ كقوم نوح وعاد وثمود ونحوهم؛ فإنهم عصَوُا الرسل فيما أمروهم به من التوحيد، وتمسكوا بالشرك، وقالوا لنوح: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود: ٢٧]، وقالوا لهود: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝٥٣﴾ [هود] الآيات، وقالوا لصالح: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [هود: ٦٢]، وقالوا لشعيب: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ [هود: ٨٧].

فتدبر ما قصَّ اللَّه تعالىٰ في كتابه مما دعت إليه الرسل، وما أوقع بمن عصاهم؛ فإن اللَّه تعالىٰ أقام به الحجة علىٰ كل مشرك إلىٰ يوم القيامة.

= أعلام النبلاء» (٢/٣٨٦)، من حديث بريدة رضي الله عنه، وقال التِّرمذي: «**حسن غريب**». **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، وكذا **صحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٨/٤٥)، والشيخ الألباني في «السنن».

▫ وأما ما ورد في معنىٰ الآية عن ابن مسعود قال: «كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن؛ فأسلم الجنُّ، وتمسك هؤلاء بدينهم».

قلت: وهذا لا يخالف ما تقدم؛ لأن هذه الآية حجةٌ علىٰ كل من دعا مع اللَّه وليًّا من الأولين والآخرين؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذه الآية، وهذه الأقوال كلها حق؛ فإن الآية تعم من كان معبودُه عابدًا للَّه؛ سواء كان من الملائكة، أو من الجن، أو من البشر.

▪ وقوله: «﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف] الآيات»: «الكلمة» هي: «لا إلٰه إلا اللَّه» بإجماع أهل العلم، وقد عبر عنها الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمعناها الذي أريد به؛ فعبر عن المنفي بها بقوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، وعبر عما أثبتته بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾؛ فقصر العبادة علىٰ اللَّه وحده، ونفاها عن كل ما سواه ببراءته من ذلك، فما أحسن التفسير لهذه الكلمة وما أعظمه!

▫ قال العماد ابن كثير في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨]: «أي: هذه الكلمة ـ وهي عبادة اللَّه وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان، وهي لا إلٰه إلا اللَّه ـ جعلها في ذريته يَقتدي به فيها من هداه اللَّه من ذرية إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: إليها. قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾: يعني: «لا إلٰه إلا اللَّه»؛ لا يزال في ذريته من يقولها».

■ وقوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ [التوبة: ٣١] الآية»: الأحبار: هم العلماء. والرهبان: هم العُبَّاد. وهذه الآية قد فسرها رسول اللَّه ﷺ لعدي بن حاتم، وذلك أنه لما جاء مسلمًا دخل علىٰ رسول اللَّه ﷺ فقرأ عليه هذه الآية. قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم! قال: «**بلىٰ؛ إنهم حرَّموا عليهم الحلال، وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم؛ فذلك عبادتهم إياهم**»، رواه أحمد والترمذي وحسنه، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني من طرق[(١)].

▫ قال السدي: «استنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب اللَّه وراء ظهورهم».

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [التوبة]، فصار ذلك عبادةً لهم، وصاروا به لهم أربابًا من دون اللَّه. وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ٨٠﴾ [آل عمران].

قوله: ﴿وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ أي: اتخذوه ربًّا بعبادتهم له من دون اللَّه، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ...﴾، إلىٰ قوله: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧﴾ [المائدة].

---

(١) حسن: وقد تقدم.

فمن تدبر هذه الآيات تبين له معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه»، وتبين له التوحيدُ الذي جحده أكثر من يدَّعي العلم في هذه القرون وما قبلها من متأخري هذه الأمة، وقد عمت البلوىٰ بالجهل به بعد القرون الثلاثة؛ لمَّا وقع الغلو في قبور أهل البيت وغيرهم، وبنيت عليها المساجد، وبنيت لهم المشاهد، فاتسع الأمر وعظمت الفتنة في الشرك المنافي للتوحيد؛ لما حدث الغلو في الأموات وتعظيمهم بالعبادة، فبهذه الأمور التي وقع فيها الأكثر عاد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والبدعة سنةً، والسنة بدعة، نشأ علىٰ هذا الصغير، وهرم عليه الكبير، وقد قال ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ؛ فطوبىٰ للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس**»[(١)]. وفي رواية: «**يصلحون ما أفسد الناس [مِن بعدي مِن سُنَّتي]**»[(٢)].

---

(١) **ضعيف جدًّا**: رواه أحمد (٤/٧٣)، وابن وضاح في «البدع» (١٧٢)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٨٥٤)، وابن قانع في «معجمه» (٢/ ١٧١)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/٤٥٧)، من حديث عبدالرَّحمٰن ابن سَنَّة رضي الله عنه. **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٧/٢٧٨)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٧/٢٣٦)، والشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (١٥/٢٨٩).

(٢) **ضعيف**: رواه التِّرمذي (٢٦٣٠)، وابن عدي في «الكامل» (٦/٢٠٨٠)، والبزار (٣٢٨٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٥٢)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (٢٣)، والهروي في «ذم الكلام» (١٤٧٩)، والقاضي عياض في «الإلماع» (١٨)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢٠١ ـ تهذيبي)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١٥٨٥ ـ تهذيبي)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٨٩)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٢/١٠)، وفي «المعرفة» (٥٠٥١)، والطبراني في «الكبير» (١٧/١١)، =

■ قوله: «﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] الآية»: الأنداد: الأمثال والنظراء ـ كما قال العماد بن كثير وغيره من المفسرين ـ؛ فكل من صرف من العبادة شيئًا لغير اللَّه رغبةً إليه أو رهبةً منه؛ فقد اتخذه ندًّا للَّه؛ لأنه أشرك مع اللَّه فيما لا يستحقه غيره.

▫ قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «فتوحيد المحبوب ألَّا يتعدَّد محبوبه ـ أي مع اللَّه ـ بعبادته له، وتوحيد الحب لا يُبقي في قلبه بقيةَ حب حتىٰ يبذلها له، فهذا الحب وإن سمي عشقًا فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما، وألَّا تكون محبته لغير اللَّه؛ فلا يحب إلا اللَّه، كما في الحديث الصحيح: «**ثلاثٌ من كن فيه...**» الحديث[(١)].

ومحبة رسوله هي من محبته، ومحبةُ المرء إن كانت للَّه فهي من محبته، وإن كانت لغير اللَّه فهي مُنقِصةٌ لمحبة اللَّه، مُضعِفةٌ لها، ويصدق هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض الأشياء إلىٰ محبوبه

= من حديث عمرو بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. **وضعَّفه جدًّا** الشيخ مشهور حسن في تحقيق «إعلام الموقِّعين» (٣/٤٦٨)، والشيخ الألباني عند التِّرمذي، وكذا الشيخ عامر ياسين في تحقيقه لـ«مدارج السالكين» (٣/١٧٠)، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عند التِّرمذي (٤/٥٧٦).

ومع ضعف الحديثين السابقين؛ إلا أن معناهما صحيحٌ بلا ريب.

وجملة «**بدأ الإسلام غريبًا**» صحيحةٌ، وقد رواها مسلم من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وقد تقدم.

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

ـ وهو الكفر ـ بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد، ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة؛ فإن الإنسان لا يُقدِّمُ علىٰ محبة نفسه شيئًا، فإذا قدَّم محبة الإيمان باللَّه علىٰ نفسه ـ بحيث لو خُيِّر بين الكفر وإلقائه في النار؛ لاختار أن يلقىٰ في النار ولا يكفر ـ كان أحب إليه من نفسه، وهذه المحبة هي فوق ما يجده العشاق من محبةِ محبوبهم؛ بل لا نظير لهذه المحبة، كما لا مثل لمن تعلقت به، وهي محبةٌ تقتضي تقديم المحبوب فيها علىٰ النفس والمال والولد، وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة الانقياد ظاهرًا وباطنًا، وهذا لا نظير له في محبة المخلوق ـ ولو كان المخلوق من كان ـ؛ ولهذا من أشرك بين اللَّه وبين غيره في المحبة الخاصة كان شركًا لا يغفره اللَّه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] الآية. والصحيح أن معنىٰ الآية: أن الذين آمنوا أشد حبًّا للَّه من أصحاب الأنداد لأندادهم، كما تقدم أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبةُ مخلوقٍ أصلًا؛ كما لا يماثل محبوبُهم غيرَه، وكل أذًىٰ في محبة غيره فهو نعيم في محبته، وكل مكروه في محبة غيره فهو قرةُ عين في محبته» انتهىٰ.

قلت: وهو قول مجاهد.

□ قال في «الكافية الشافية»:

وحياةُ قلب العبد في شيئين من	يـرزقهما يحـيا مـدىٰ الأزمـانِ
ذِكرُ الإلٰه وحبُّه من غير إشـ	ـراكٍ بـه وهمـا فمـمتنـعـانِ
من صاحب التعطيل حقًّا كامتنا	ع الطائر المقصوصِ من طيرانِ

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما معناه: «فمن رغب إلىٰ غير اللَّه في قضاء حاجةٍ أو تفريج كربة= لزم أن يكون محبًّا له، ومحبته هي الأصل في ذلك» انتهىٰ.

قلت: فمن أحبَّ مع اللَّه غيره لم ينفِ ما نفته «لا إلٰه إلا اللَّه» من الشرك، ولم يُثبت ما أثبتته من التوحيد؛ بل قد جعل مع اللَّه شريكًا في إلٰهيته، وقد تبين أن الإلٰهية هي العبادة؛ فنفيها عما سوىٰ اللَّه، وإثباتها للَّه وحده بجميع أنواعها هو معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه» ـ كما تقدم بيانه ـ.



وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال: لا إلٰه إلا اللَّه، وكفر بما يُعبد من دون اللَّه، حرُم مالُه ودمه، وحسابُه علىٰ اللَّه**»[(١)].

وشرح هذه الترجمة: ما بعدَها من الأبواب.

الشرح

■ قوله «في الصحيح»: أي «صحيح مسلم»: «عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه عن النبي ﷺ...»، فذكره، وأبو مالك اسمه سعد ابن طارق، كوفي ثقة مات في حدود الأربعين.

■ قوله: «**من قال: لا إلٰه إلا اللَّه، وكفر بما يُعبد من دون اللَّه**»: اعلم أن النبي ﷺ علق عصمة المال والدم بأمرين في هذا الحديث:

الأول: قول «لا إلٰه إلا اللَّه» عن علمٍ ويقين، كما هو قيدٌ في قولها في غير ما حديث.

والثاني: الكفر بما يُعبد من دون اللَّه، لكن ذَكر في هذا الحديث «**وكَفَر**» تأكيدًا لما دلت عليه؛ لأن المقام عظيم يقتضي التأكيد.

■ قوله: «**حرم ماله ودمه، وحسابه علىٰ اللَّه** ﷻ»: فيه دليل علىٰ أنه لا يحرم ماله ودمه، إلا إذا قال: «لا إلٰه إلا اللَّه»، وكفر بما يعبد من دون اللَّه، فإن قالها ولم يكفر بما يعبد من دون اللَّه، فدمُه وماله حلال؛ لكونه لم يُنكر الشرك ويكفر به، ولم يَنْفِهِ كما نفته «لا إلٰه إلا اللَّه»؛ فتأمل هذا الموضع؛ فإنه عظيم النفع.

□ قال شيخنا: «وهذا من أعظم ما يبين معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه»؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال؛ بل ولا معرفة معناها

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

مع لفظها؛ بل ولا الإقرار بذلك؛ بل ولا كونه لا يدعو إلا اللَّه وحده لا شريك له؛ بل لا يحرم دمه وماله حتىٰ يضيف إلىٰ ذلك الكفرَ بما يُعبد من دون اللَّه؛ فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه، فيا لها من مسألةٍ ما أجلها! ويا له من بيان ما أوضحه! وحجةٍ ما أقطعها للمُنازع!» انتهىٰ.

■ قوله: «**وحسابه علىٰ اللَّه** ﷻ»: أي اللَّه تعالىٰ هو الذي يتولَّىٰ حسابه؛ فإن كان صادقًا جازاه بجنات النعيم، وإن كان منافقًا عذبه العذاب الأليم، وأما في الدنيا فالحكم علىٰ الظاهر.

■ قوله: «وشرح هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب»: فقد ذكر فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ما يبين التوحيد وما ينافيه، وما يقرب منه، وما يوصل إليه من الوسائل، وبيان ما كان عليه السلف من بُعدهم عن الشرك في العبادة، وشدة إنكارهم له، وجهادهم علىٰ ذلك، وقد جمع هذا الكتاب ـ علىٰ اختصاره ـ من بيان التوحيد ما لا يعذر عن معرفته وطلبه بإقبال وتدبر، وكذلك الرد علىٰ أهل الأهواء جميعهم، فمن حفظه واستحضره وجد ذلك، واستغنىٰ به عن غيره في الرد علىٰ كل مبتدع؛ فتدبره تجد ذلك بينًا، وسيأتي التنبيه علىٰ ذلك ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ.



✍ فيه أكبر المسائل وأهمها:

وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة؛ وبيَّنها بأمورٍ واضحة:

منها: آية الإسراء؛ بَيَّن فيها الرد علىٰ المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيانُ أن هذا هو الشرك الأكبر.

ومنها: آية براءة، بَيَّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللَّه، وبَيَّن أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلٰهًا واحدًا، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعُبَّاد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم.

ومنها: قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف]؛ فاستثنىٰ من المعبودين اللَّهَ ربه.

وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي: تفسير شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه؛ فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٢٨﴾ [الزخرف].

ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال اللَّهُ فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧﴾ [البقرة]. ذكر أنهم يحبُّون أندادهم كحب اللَّه؛ فدل علىٰ أنهم يحبُّون اللَّه حبًّا عظيمًا، ولم يُدخلهم [هذا] في الإسلام. فكيف بمن أحب النِّدَّ أكبر من حب اللَّه؟ فكيف بمن لم يحبَّ إلا النِّدَّ وحده ولم يحب اللَّه؟

ومنها: قوله ﷺ: «**من قال: لا إلٰهَ إلا اللَّه، وكفر بما يُعبد من دون اللَّه، حرم ماله ودمه**». وهذا من أعظم ما يبيِّن معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه»؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال؛ بل ولا معرفةَ معناها مع لفظها، بل ولا الإقرارَ بذلك؛ بل ولا كونه لا يدعو إلا اللَّه وحده

لا شريك له؛ بل لا يحرم ماله ودمه = حتىٰ يضيفَ إلىٰ ذلك الكفرَ بما يُعبد من دون اللَّه؛ فإن شك أو توقف لم يحرُم ماله ودمه.

فيا لها من مسألةٍ ما أعظمَها وأجلَّها! ويا له من بيانٍ ما أوضحَه! وحجةٍ ما أقطعها للمُنازِع!



[٧] باب: من الشرك لُبسُ الحَلْقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دَفْعه

وقولِ اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٣٨﴾ [الزمر].

وعن عمران بن حُصين ﵁: أن النبي ﷺ رأىٰ رجلًا في يده حلْقةٌ من صُفر، فقال: «ما هذه؟»، قال: من الواهنة. فقال: «انزعها؛ فإنها لا تزيدُك إلا وهْنًا؛ فإنك لو مِتَّ وهي عليك ما أفلحتَ أبدًا». رواه أحمد بسندٍ لا بأس به[١].

وله عن عقبةَ بن عامر ﵁ مرفوعًا: «من تعلَّق تميمةً فلا أتمَّ اللَّهُ له، ومن تعلَّق وَدَعةً فلا وَدَّعَ اللَّهُ له»[٢].

وفي رواية: «من تعلَّق تميمةً فقد أشرك»[٣].

▫ ولابن أبي حاتم عن حذيفة ﵁: «أنه رأىٰ رجلًا في يده خيطٌ من الحُمَّىٰ، فقطعه، وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف]».



الشرح

■ قوله: «باب: من الشرك لبسُ الحلقة والخيط ونحوهما لرفع

(١) ضعيف: وقد تقدم.
(٢) حسن: وقد تقدم.
(٣) صحيح: وقد تقدم.

البلاء ودفعه»: أي لرفعه إذا نزل، ودفعه قبل أن ينزل، يعني إذا كان هذا هو القصدَ فتعلَّق قلبه به في دفع ضر مما قد نزل ومما لم ينزل= قد صرحت الأحاديث بأن هذا من الشرك باللَّه.

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾»: قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ فسكتوا؛ لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها.

قلت: فإذا كانت آلهتهم التي يدعون من دون اللَّه لا قدرة لها علىٰ كشف ضرٍّ أراده اللَّه بعبده، أو تُمسِكُ رحمةً أنزلها علىٰ عبده؛ فيلزمهم بذلك أن يكون اللَّه تعالىٰ هو معبودَهم وحده لزومًا لا محيد لهم عنه.

وذكر تعالىٰ مثل هذا السؤال عن خليله إبراهيم لمن حاجَّه في اللَّه؛ فقال: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة]، فأقام تعالىٰ الحجةَ علىٰ المشركين بما يُبطل شركَهم باللَّه وتسويتهم غيره به في العبادة بضرب الأمثال وغير ذلك، وهذا في القرآن كثير؛ كقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج]، وقال تعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ

مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل].

ذكر العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذه الآية ما رواه ابن أبي حاتم، عن قيس بن الحجاج، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس مرفوعًا: «**احفظ اللَّه يحفظْك، احفظ اللَّه تجده تُجاهَك، تعرَّفْ إلىٰ اللَّه في الرخاء يعرفْك في الشدة، إذا سألت فاسأل اللَّه، وإذا استعنت فاستعن باللَّه، واعلمْ أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن يضرُّوك بشيء لم يكتبه اللَّه عليك لم يضروك، ولو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيءٍ لم يكتبه اللَّه لك لم ينفعوك، جفَّتِ الصحف، ورُفعت الأقلام، واعمل للَّه بالشكر في اليقين، واعلم أن في الصبر علىٰ ما تكره خيرًا كثيرًا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا**»[(١)].

■ قوله: «عمران بن حصين»: أي: ابن عبيد بن خلف الخزاعي، أبو نُجَيد ـ بنون وجيم مصغَّر ـ، صاحبي ابن صاحبي، أسلم عام خيبر، ومات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة.

■ قوله: «رأىٰ رجلًا»: في رواية الحاكم: دخلت علىٰ رسول اللَّه ﷺ وفي عضدي حلقةُ صُفر؛ فقال: «**ما هذه؟**» الحديث، فالمبهم في رواية أحمد هو عمران راوي الحديث.

■ قوله: «**ما هذه؟**»: الظاهر أنه للإنكار عليه.

■ قوله: «من الواهنة»: قال أبو السعادات: الواهنة عرقٌ يأخذ في المنكب وفي اليد كلها، فيُرقىٰ منها. وقيل: هو مرض يأخذ في العضد، وهي تأخذ الرجال دون النساء، وإنما نهاه عنها لكونه يظن

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

أنها تمنع عنه هذا الداء أو ترفعه، فأمره ﷺ بنزعها لذلك وأخبر أنها لا تزيده إلا وهنًا، فإن المشرك يعامَل بنقيض قصده؛ لأنه علَّق قلبه بما لا ينفعه، ولا يدفع عنه، فإذا كان هذا بحلقةِ صُفر؛ فما الظن بما هو أطمُّ وأعظم؟ كما وقع من عبادة القبور والمشاهد والطواغيت وغيرها، كما لا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ مُسكةٍ من عقل.

▫ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «فيه شاهدٌ لكلام بعض الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر، وأنه لم يعذر بالجهالة»؛ لقوله: «**فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا**»، والفلاح هو الفوز والظفر والسعادة.

▪ قوله: «رواه أحمد بسندٍ لا بأس به»: هو الإمام أحمد بن محمد ابن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبداللَّه المروزي ثم البغدادي، إمام أهل عصره، وأعلمهم بالفقه والحديث، وأشدهم ورعًا.

▫ وهو الذي يقول فيه بعض أهل السنة: «عن الدنيا ما كان أصبرَه! وبالماضين ما كان أشبهَه! أتته الدنيا فأباها، والشُّبهُ فنفاها».

روىٰ عن الشافعي، ويزيد بن هارون، وعبدالرَّحمٰن بن مهدي، ويحيىٰ القطان، وابن عيينة، وعبدالرزاق، وخلقٍ لا يحصون، مات سنة إحدىٰ وأربعين ومِئتين، وله سبع وسبعون سنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ[1].

▪ قوله: «وله عن عقبة بن عامر مرفوعًا: «**من علق تميمةً فلا أتم**

(١) راجع خلاصة سيرته العطرة في «مهذب مناقب الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ» تهذيبي.

اللَّه له، ومن علق ودعةً فلا ودَّع اللَّه له». وفي رواية: «**من علق تميمة فقد أشرك**»: عقبة بن عامر صحابي مشهور، فقيهٌ فاضل، ولي إمارة مصر لمعاوية ثلاث سنين، ومات قريبًا من الستين.

وهذا الحديث فيه التصريحُ بأن تعليق التمائم شركٌ؛ لِمَا يَقصِدُه مَن علقها لدفع ما يضره، أو جلب ما ينفعه، وهذا ـ أيضًا ـ ينافي كمال الإخلاص الذي هو معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه»؛ لأن المخلص لا يلتفتُ قلبُه لطلب نفع أو دفع ضر من سوىٰ اللَّه، كما تقدم في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، فكمال التوحيد لا يحصُلُ إلا بترك ذلك، وإن كان من الشرك الأصغر فهو عظيم، فإذا كان هذا قد خفي علىٰ بعض الصحابة رضي الله عنهم في عهد النبوة؛ فكيف لا يخفىٰ علىٰ من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب بعدما حدث من البدع والشرك، كما في الأحاديث الصحيحة، وتقدمت الإشارة إلىٰ ذلك؟!

وهذا مما يبين معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه» ـ أيضًا ـ، فإنها نفت كل الشرك ـ قليله وكثيره ـ، كما قال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران].

▪ قوله: «**فلا أتم اللَّه له**»: دعاء عليه، وكذلك قوله: «**فلا وَدَّع اللَّه له**»: أي لا جعله في دعةٍ وسكون.

▪ قوله: «ولابن أبي حاتم، عن حذيفة رضي الله عنه»: ابن أبي حاتم هو الإمام أبو محمد عبدالرَّحمٰن بن أبي حاتم محمد بن إدريس المرادي التميمي الحنظلي، صاحب «الجرح والتعديل» و«التفسير» وغيرها، مات سنة سبع وعشرين وثلاثمئة.

و«حذيفة»: هو ابن اليمان، واسم اليمان «حُسَيل» - بمهملتين مصغر -، ويقال: «حِسْل» - بكسر ثم سكون -، العَبْسي - بالموحدة -، حليف الأنصار، صحابيٌّ جليل، من السابقين، ويقال له: صاحب السر، وأبوه صحابي - أيضًا -. مات حذيفة في أول خلافة عليٍّ سنة ست وثلاثين.

■ قوله: «رأىٰ رجلًا في يده خيطٌ من الحمىٰ، فقطعه، وتلا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾»: فيه دليل علىٰ أن هذا شرك، وأن الصحابة ﷺ يستدلون بالآيات التي نزلت في الشرك الأكبر علىٰ الأصغر؛ لدخوله في الشرك المنهي عنه في الآيات والأحاديث عمومًا وخصوصًا؛ لما قد عرفت أنه ينافي كمال الإخلاص إذا كان مثل هذا، وقد خافه ﷺ علىٰ الصحابة، كما تقدم في قوله: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»(١)، فإذا كان يقع مثلُ هذا في تلك القرون المفضلة، فكيف يؤمن أن يقع ما هو أعظم منه؟ لكن لغلبة الجهل به وقع منهم أعظمُ مما وقع من مشركي العرب وغيرهم في الجاهلية - مما قد تقدم التنبيه عليه -؛ حتىٰ إن كثيرًا من العلماء في هذه القرون اشتد نكيرهم علىٰ ما أنكر الشرك الأكبر، فصاروا هم والصحابة ﷺ في طرفَيْ نقيض، فالصحابة ينكرون القليل من الشرك، وهؤلاء ينكرون علىٰ من أنكر الشرك الأكبر، ويجعلون النهيَ عن هذا الشرك بدعةً وضلالة! وكذلك كانت حالَ الأمم مع الأنبياء والرسل جميعهم فيما بُعثوا به من توحيد اللَّه تعالىٰ، وإخلاص العبادة له وحده، والنهي عن الشرك به، وقد بعث

---

(١) حسن: وقد تقدم.

اللَّه تعالىٰ خاتم رسله محمدًا ﷺ بذلك كما بَعث به مَن قبله، فعكس هؤلاء المتأخِّرون ما دعا إليه رسول اللَّه ﷺ مشركي العرب وغيرهم، فنصر هؤلاء ما نهىٰ عنه من الشرك غايةَ النصرة، وأنكروا التوحيد ـ الذي بُعث به ـ غاية الإنكار، فإنه ﷺ لما قال لقريش: «**قولوا: لا إلٰه إلا اللَّه تفلحوا**». عرفوا معناها الذي وُضعت له وأريد منها؛ فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص] الآيات[(١)]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥﴾ [الصافات].

وفي «صحيح البخاري» وغيره في سؤال هرقل لأبي سفيان عن النبي ﷺ قال له: فماذا يأمركم؟ قلت: يقول: «**اعبدوا اللَّه وحده لا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم**». ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة[(٢)].



(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ في لُبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح. [و]فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبرُ من الكبائر.

الثالثة: أنه لم يُعذر بالجهالة.

الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة، بل تضر؛ لقوله: «**لا تزيدك إلا وهنًا**».

الخامسة: الإنكار بالتغليظ علىٰ من فعل مثل ذلك.

السادسة: التصريح بأن من تعلَّق شيئًا وُكل إليه.

السابعة: التصريح بأن من تعلَّق تميمةً فقد أشرك.

الثامنة: أن تعليق الخيط من الحُمَّىٰ من ذلك.

التاسعة: تلاوة حذيفة الآيةَ دليلٌ علىٰ أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر علىٰ الأصغر، كما ذكر ابنُ عباس رضي الله عنهما في آية البقرة.

العاشرة: أن تعليق الودَع عن العين من ذلك.

الحادية عشرة: الدعاء علىٰ من تعلق تميمةً أن اللَّه لا يُتمُّ له، ومن تعلق ودعةً فلا وَدَّع اللَّه له، أي: [فلا] تَرَك اللَّه له.



[٨] باب: ما جاء في الرُّقى والتمائم

في «الصحيح» عن أبي بَشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول اللَّه ﷺ في بعض أسفاره؛ فأرسل رسولًا: «**أَلَّا يَبقَيَنَّ في رقبةِ بعيرٍ قلادةٌ من وَتَر، أو قلادةٌ إلا قُطعت**»[(١)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن الرُّقىٰ والتمائمَ والتِّوَلَةَ شركٌ**». رواه أحمد وأبو داود[(٢)].

وعن عبداللَّه بن عُكيم مرفوعًا: «**مَن تعلَّق شيئًا وُكل إليه**». رواه أحمد والترمذي[(٣)].

«**التمائم**»: شيء يعلَّق علىٰ الأولاد يتقون به العين؛ لكن إذا كان المعلَّق من القرآن فرَخَّص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخِّص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

و«**الرقىٰ**»: هي التي تسمىٰ العزائم، وخَصَّ منها الدليلُ ما خلا من الشرك[(٤)]؛ فقد رخص فيه رسولُ اللَّه ﷺ من العين والحُمَة.

و«**التِّوَلة**»: شيء يصنعونه؛ يزعمون أنه يحبِّب المرأة إلىٰ زوجها، والرجل إلىٰ امرأته.

ورویٰ أحمد عن رُويفع قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**يا رُويفع، لعل الحياةَ ستطولُ بك، فأخبِرِ الناسَ أن من عَقَد لحيتَه، أو تقلَّدَ وَتَرًا،**

---

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) صحيح: وقد تقدم.
(٣) حسن: وقد تقدم.
(٤) صحيح: وقد تقدم.

أو استنجىٰ برجيع دابةٍ أو عَظْمٍ= فإن محمدًا بريءٌ منه»[(١)].

▫ وعن سعيد بن جُبير قال: «من قطع تميمةً من إنسانٍ كان كعَدلِ رقبة». رواه وكيع.

▫ وله عن إبراهيم [النَّخَعي] قال: «كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن».



الشرح

■ قوله: «باب ما جاء في الرقىٰ والتمائم»: أي من النهي عما لا يجوز من ذلك.

■ قوله: «في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري ﵁ أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا: (**ألَّا يبقين في رقبة بعيرٍ قلادةٌ من وَتَر، أو قلادةٌ إلا قطعت**)»: هذا الحديث في «الصحيحين»، واسم أبي بشير: قيس بن عبيد. قاله ابن سعد. وقال ابن عبدالبر: لا يوقف له علىٰ اسم صحيح، وهو صحابي شهد الخندق، ومات بعد الستين، ويقال: إنه جاوز المئة.

■ قوله: «فأرسل رسولًا»: هو زيد بن حارثة، روىٰ ذلك الحارث ابن أبي أسامة في «مسنده»، قاله الحافظ.

■ قوله: «**ألَّا يبقَيَن**»: بفتح الياء والقاف، ويحتمل أن يكون بضم الياء المثناة وكسر القاف.

والوَتَر ـ بفتحتين ـ: واحد أوتار القوس، وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق[(٢)] الوتر أبدلوه بغيره، وقلدوا به الدواب اعتقادًا منهم

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **اخلولق**: ضعُف وبَلِيَ.

بهذا أنه يدفع عن الدابة العين؛ ولهذا أمر ﷺ بقطع الأوتار التي علقت علىٰ الإبل، لمَّا كان أهل الجاهلية يعتقدون ذلك فيها.

■ قوله: «**أو قلادة إلا قطعت**»: يُحتمل أن ذلك شكٌّ من الراوي، ولأبي داود «**ولا قلادة**» بغير شك، فعلىٰ هذه الرواية تكون «أو» بمعنىٰ «الواو».

▫ قال البغوي في «شرح السنة»: «تأول مالكٌ أمره عَلَيْهِ السَّلَامُ بقطع القلائد علىٰ أنه من أجل العين؛ وذلك أنهم كانوا يشُدُّون تلك الأوتار والتمائم والقلائد، ويعلقون عليها العِوَذ؛ يظنون أنها تعصمهم من الآفات، فنهاهم النبي ﷺ عنها، وأعلمهم أن الأوتار لا تردُّ من أمر اللَّه شيئًا».

▫ وقال أبو عبيد: «كانوا يقلدون الإبل أوتارًا لئلا تصيبها العين، فأمرهم النبي ﷺ بإزالتها؛ إعلامًا لهم بأن الأوتار لا ترد شيئًا».

■ قوله: «وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن الرقىٰ والتمائم والتِّوَلة شرك**»: رواه أحمد وأبو داود»: ولفظ أبي داود: عن زينب امرأة عبداللَّه بن مسعود: أن عبداللَّه رأىٰ في عنقي خيطًا؛ فقال: ما هذا؟ قلت: خيطٌ رُقي لي فيه، قالت: فأخذه فقطعه، ثم قال: أنتم ـ آلَ عبد اللَّه ـ الأغنياء عن الشرك، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن الرقىٰ والتمائم والتِّولةَ شرك**».

▫ قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «لكن إذا كان المعلَّقُ من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخِّص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

والمقصود: بيان أن هذه الأمور الشركية ـ وإن خفيت ـ فقد

نهىٰ عنها رسول اللَّه ﷺ وأصحابه؛ لكمال علمهم بما دلت عليه «لا إلٰه إلا اللَّه» من نفي الشرك قليله وكثيره؛ لتعلق القلب بغير اللَّه في دفع ضرٍّ أو جلب نفع، وقد عمت البلوىٰ بما هو أعظم من ذلك بأضعافٍ مضاعفة، فمن عرف هذه الأمورَ الشركية المذكورة في هذين البابين عَرف ما وقع مما هو أعظمُ من ذلك ـ كما تقدم بيانه ـ.

وفيه: ما كان عليه رسول اللَّه ﷺ من التحذير من الشرك والتغليظ في إنكاره، وإن كان من الشرك الأصغر؛ فهو أكبر من الكبائر، وقد تقدم دليله في الباب قبل هذا.

■ وقوله: «وعن عبداللَّه بن عكيم مرفوعًا: «**من تعلق شيئًا وكل إليه**»: رواه أحمد والترمذي»: وعبداللَّه بن عُكيم ـ بضم المهملة مصغرًا ـ، ويكنىٰ: أبا معبد الجهني الكوفي.

قال الخطيب: سكن الكوفة وقدم المدائن في حياة حذيفة وكان ثقة.

■ قوله: «**من تعلق شيئًا وكل إليه**»: التعلق يكون بالقلب، وينشأ عنه القول والفعل، وهو التفاتُ القلب عن اللَّه إلىٰ شيء يعتقد أنه ينفعُه أو يدفع عنه؛ كما تقدم بيانه في الأحاديث في هذا الباب والذي قبله، وهو ينافي قوله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١١٢﴾ [البقرة]، فإن كان من الشرك الأصغر فهو ينافي كمال التوحيد، وإن كان من الشرك الأكبر ـ كعبادة أرباب القبور والمشاهد والطواغيت ونحو ذلك ـ فهو كفر باللَّه، وخروج من دين الإسلام، ولا يصح معه قولٌ ولا عمل.

■ قوله: «**وُكل إليه**»: أي وكله اللَّه إليه، إلىٰ ما علَّق قلبه به من دون اللَّه، ومن وكله اللَّه إلىٰ غيره ضل وهلك.

▫ قال الإمام أحمد[(١)]: حدثنا هشام بن قاسم: حدثنا أبو سعيد المؤدب: حدثنا من سمع عطاء الخراساني قال: «لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت؛ فقلت: حدِّثْني بحديث أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجِزْ، قال: نعم، أوحىٰ اللَّه إلىٰ داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا داود، أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم بي عبدٌ من عبيدي دون خلقي ـ أعرفُ ذلك من نيته ـ؛ فتكِيدُه السماوات السبع ومن فيهن، والأرَضُون السبعُ ومن فيهن= إلا جعلتُ له من بينهن فرجًا ومخرجًا. أما وعزتي وعظمتي ما يعتصم عبدٌ من عبيدي بمخلوق دوني ـ أعرفُ ذلك من نيته ـ إلا قطعتُ أسباب السماء من يده، وأسختُ[(٢)] الأرض من تحت قدميه، ثم لا أُبالي بأي وادٍ هلك»، وشاهد هذا في القرآن فتدبر.

■ قوله: «وروىٰ أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: **(يا رويفع، لعل الحياة تطول بك؛ فأخبر الناس أن مَن عقد لحيته، أو تقلَّد وترًا، أو استنجىٰ برجيع دابةٍ أو عظمٍ= فإن محمدًا بريءٌ منه)**»: رويفع هو ابن ثابت بن السكن بن عدي بن الحارث الأنصاري، نزل مصر ووَلِيَ بَرْقة، له ثمانية أحاديث.

قال عبدالغني: ولي طرابلس، فافتتح أفريقية سنة سبع وأربعين.

وقال ابن يونس: توفي ببرقة سنة ست وخمسين.

---

(١) هذا الإطلاق يوحي أنه في «المسند»، وليس كذلك.

(٢) **أسخت**: خسفت.



■ قوله: «**لعل الحياة تطول بك**»: فقد طالت حياته ﵁ كما أخبر النبي ﷺ.

■ قوله: «**فأخبِرِ الناس أن من عقد لحيته**»:

▫ قال الخطابي: «أما نهيه عن عقد اللحية فيُفسَّر علىٰ وجهين:

أحدهما: ما كانوا يفعلونه في الحرب، كانوا يعقدون لحاهم، وذلك من زيِّ بعض الأعاجم؛ يفتلونها ويعقدونها، قال أبو السعادات: تكبرًا أو عجبًا.

ثانيهما: أن معناه: معالجةُ الشَّعر ليتعقد ويتجعد» انتهىٰ.

قلت: ويشبه هذا ما يفعله كثيرٌ من فتل أطراف الشارب؛ فيترك أطرافه لذلك، وهي بعضه، وفي حديث زيد بن أرقم قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من لم يأخذْ من شاربه فليس منا**»، رواه أحمد والنسائي والترمذي، وقال: «صحيح»[(١)].

وفي الصحيح: «**خالفوا المشركين، أحفُوا الشوارب، وأعفُوا**

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/٣٦٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/٥٦٤)، والترمذي (٢٧٦١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٤)، و«المجتبىٰ» (١٣)، وعبد بن حميد (٢٦٤)، وابن عدي في «الكامل» (٦/٢٣٦١)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/٢٣٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/١٩٥)، وابن حبان (٥٤٧٧)، والطبراني في «الكبير» (٥٠٣٣)، وفي «الأوسط» (٣٠٢٧)، وفي «الصغير» (٢٧٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٥٦)، والبيهقي في «الآداب» (٦٩٢)، وفي «الشعب» (٦٠٢٤)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٨٦٤)، وقال الإمام التِّرمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند التِّرمذي، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٢/٧).

اللحىٰ»[(١)]؛ وذلك يدل علىٰ الوجوب، وذكر ابن حزم الإجماع علىٰ أنه فرضٌ؛ فيتعين النهي عن ذلك.

■ قوله: «**أو تقلد وترًا**»: فيه ـ مع ما تقدم ـ أنه شرك؛ لما كانوا يقصدونه بتعليقه علىٰ الدواب وغيرها.

■ قوله: «**أو استنجىٰ برجيع دابةٍ أو عظم= فإن محمدًا بريءٌ منه**»: هذا دليل علىٰ أن هذا والذي قبله من الكبائر؛ لأن قوله: «**أن محمدًا بريء منه**» يدل علىٰ ذلك.

وقول النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «أي: بريء من فعله»: فهذا التأويل بعيد؛ لعود الضمير إلىٰ «من»، وقد ورد النهي عن الاستنجاء بالروث والعظام في أحاديث صحيحة كما لا يخفىٰ:

منها ما رواه مسلم في «صحيحه» عن ابن مسعود مرفوعًا: «**لا تستنجوا بالرَّوث، ولا العظام؛ فإنه زادُ إخوانكم من الجن**»[(٢)].

ولما روىٰ ابن خزيمة والدارقطني عن أبي هريرة: نهىٰ أن يُستنجىٰ بعظمٍ أو روث، وقال: «**إنهما لا يُطهِّران**»[(٣)].

وعنه: لا يجزي الاستنجاء بهما، كما هو ظاهر مذهب أحمد.

■ قوله: «وعن سعيد بن جبير قال: «من قطع تميمةً من إنسان كان كعدل رقبة»: رواه وكيع»: هذا عند أهل العلم له حكمُ الرفع؛ لأن مثل ذلك لا يقال بالرأي؛ فيكون هذا مرسلًا؛ لأن سعيدًا تابعي،

---

(١) رواه البخاري (٥٨٩٢)، ومسلم (٢٥٩)، من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه مسلم (٤٥٠).

(٣) **صحيح**: رواه الدَّارَقُطْني (١٥٢)، وابن عدي في «الكامل» (١١٧٩/٣)، وصحَّحه الإمام الدارقطني عقب تخريجه.



فعلىٰ هذا يجب النهيُ عن تعليق التمائم، والترغيب في قطعها، وأن ذلك مما يجب، وفيه ـ مع ما تقدم ـ أنه شرك، وبيان حال السلف رضي الله عنهم من تعظيم الشرك قليله وكثيره، والنهي عنه، فلما اشتدت غربة الإسلام في أواخر هذه الأمة صار إنكارُ هذا وما هو أعظم منه أعظمَ المنكرات حتىٰ عند من ينتسب إلىٰ العلم ـ كما لا يخفىٰ ـ.

ووكيع هو ابن الجراح بن وكيع الكوفي، ثقة إمام، صاحب تصانيف؛ منها «الجامع» وغيره، روىٰ عنه الإمام أحمد وطبقته، مات سنة سبع وتسعين ومئة.

▪ قوله: «وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن»: إبراهيم هو الإمام إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي؛ يكنىٰ: أبا عمران، ثقة من كبار الفقهاء، مات سنة ست وتسعين، وله خمسون سنة أو نحوها.

▪ قوله: «كانوا يكرهون»: أراد أصحاب عبداللَّه بن مسعود؛ كعلقمة، والأسود، وأبي وائل، والحارث بن سويد، وعَبيدة السلماني، ومسروق، والربيع بن خُثيم، وسويد بن غفلة، وغيرهم، وهم من سادات التابعين، وفي زمانهم كانوا يطلقون الكراهة علىٰ المحرم، وهذا [هو] القول الصحيح؛ لأن ما كان من غير القرآن قد تقدم النهي عنه بلا ريب، وأما إذا كان من القرآن فيتعين النهي عنه لأمور ثلاثة:

منها: دخوله في عموم المنهي عنه.

ومنها: كونه ذريعةً إلىٰ تعليق ما ليس من القرآن؛ فيفضي إلىٰ عدم إنكارها.

الثالث: أن تعليق القرآن يكون سببًا في امتهانه؛ فلابد أن يدخل به الخلاء ونحوه.

▫ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «والرقىٰ هي التي تسمىٰ: العزائم، وخص منه الدليلُ ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول اللَّه ﷺ من العين والحُمَة. والتِّوَلة شيءٌ يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلىٰ زوجها والرجل إلىٰ امرأته».

▫ قال الحافظ [ابن حجر]: «التِّولة ـ بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففًا ـ: شيءٌ كانت المرأة تَجلبُ به محبةَ زوجها، وهو ضربٌ من السحر». واللَّه أعلم.



فيه مسائل:

الأولى: تفسير الرقىٰ والتمائم.

الثانية: تفسير التِّولة.

الثالثة: أن هذه الثلاثَ كلَّها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحُمَة ليس من ذلك.

الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء: هل هي من ذلك أم لا؟

السادسة: أن تعليق الأوتار علىٰ الدواب من العين من ذلك.

السابعة: الوعيد الشديد علىٰ من تعلق وترًا.

الثامنة: فضلُ ثواب من قطع تميمةً من إنسان.

التاسعة: أن كلام إبراهيم [النَّخَعي] لا يخالف ما تقدم من الاختلاف؛ لأن مراده أصحابُ عبداللَّه بن مسعود.



[٩] باب: من تبرَّك بشجرٍ أوحَجَرٍ ونحوهما

وقولِ اللَّه تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم].

عن أبي واقدٍ الليثي قال: خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ إلىٰ حُنين ـ ونحن حُدَثاءُ عهدٍ بكفر ـ، وللمشركين سِدْرةٌ يَعكُفون عندها، ويَنُوطون بها أسلحتهم ـ يقال لها: ذاتُ أنواط ـ، فمررنا بسِدرةٍ؛ فقلنا: يا رسول اللَّه، اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**اللَّه أكبر، إنها السُّنن؛ قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف]**! لتَركبُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم**». رواه الترمذي وصححه(١).



■ قوله: «باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما»: كبقعةٍ وقبرٍ ومَشهدٍ ونحو ذلك، و«مَن» اسم شرط، والجواب محذوف تقديره: فقد أشرك باللَّه.

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾» الآيات: هذه الأوثان الثلاثة هي أعظم أوثان أهل الجاهلية من أهل الحجاز، فاللات لأهل الطائف ومَن حولهم مِن العرب، والعُزَّىٰ لقريش وبني كنانة، ومناة لبني هلال. وقال ابن هشام:

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

كانت لهذيل وخزاعة.

و«اللات» بتخفيف التاء في قراءة الجمهور، وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وحميد وأبو صالح ورويس عن يعقوب: بتشديد التاء.

فعلىٰ الأولىٰ: قال الأعمش: سمَّوا «اللات» من «الإلٰه»، و«العزىٰ» من «العزيز».

- وقال ابن كثير: «اللات كانت صخرةً بيضاء منقوشة، عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة[(١)]، وحوله فناءٌ معظَّمٌ عند أهل الطائف ـ وهم ثقيف ومن تبعها ـ، يفتخرون بها علىٰ من عداهم من أحياء العرب بعد قريش. قاله ابن هشام».

وعلىٰ الثانية: قال ابن عباس: «كان رجلًا يلُتُّ السويقَ للحاج؛ فمات فعكفوا علىٰ قبره». ذكره البخاري.

قلت: ولا منافاة بين ما ذكره البخاري وغيره من عبادتهم الصخرة التي كان يُلتُّ السويق عليها باسمه، وعبادة قبره لمَّا مات.

وأما العزَّىٰ:

- فقال ابن جرير: «كانت صخرةً[(٢)] عليها بناءٌ وأستارٌ بنخلة بين مكة والطائف، كانت قريشٌ يعظمونها، كما قال أبو سفيان يوم أُحُد: لنا العزىٰ، ولا عزىٰ لكم. قال رسول اللَّه ﷺ: «**قولوا: اللَّه مولانا، ولا مولىٰ لكم**»[(٣)]».

---

(١) **سدنة:** حرَّاس.

(٢) في طبعة الأوقاف: «شجرة».

(٣) رواه البخاري (٣٠٣٩)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما.

ومناسبة هذه الآية للترجمة: أن عبادة المشركين للعزىٰ إنما كانت بالتفات القلوب رغبةً إليها في حصول ما يرجونه ببركتها من نفع أو دفع ضر، فصارت أوثانًا تُعبد من دون اللَّه؛ وذلك من شدة ضلال أهل الشرك وفساد عقولهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، فصار عبادةُ القبور وعبادةُ الشجر والحجر هو شركَ المشركين، وقد جرىٰ ذلك وما هو أعظمُ منه في أواخر هذه الأمة.

■ قوله: «عن أبي واقد»: هو صحابي مشهور، مات سنة ثمان وستين، وله خمس وثمانون سنة.

■ قوله: «خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ»: يشير إلىٰ أهل مكة ممن إسلامه قريب إذ ذاك.

■ قوله: «إلىٰ حنين»: هو اسم وادٍ بشرقي مكة معروف، قاتَلَ فيه رسول اللَّه ﷺ هوازن؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٢٥]. والوقعة مشهورة عند أهل المغازي والسير وغيرهم، وما جرىٰ فيها من النصر، وأخذ أموالهم، وسبي ذراريِّهم ونسائهم؛ كما في الآية الكريمة: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٢٥].

■ قوله: «ونحن حُدثاءُ عهد بكفر»: يشير إلىٰ أهل مكة الذين أسلموا قريبًا، فلذلك خَفِيَ عليهم هذا الشرك المذكور في الحديث بخلاف من تقدم إسلامه.

■ قوله: «وللمشركين سدرةٌ يعكفون عندها»: عبادةً لها، وتعظيمًا وتبركًا؛ لِمَا كانوا يعتقدونه فيها من البركة.



▪ قوله: «يقال لها: ذاتُ أنواط»: هو برفع التاء كما لا يخفىٰ.

▪ قوله: «ينوطون بها أسلحتهم»: أي يعلقونها.

▪ قوله: «فمررنا بسدرة؛ فقلنا: يا رسول اللَّه، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم»: أي للمشركين «ذات أنواط»؛ ظنوا أن النبي ﷺ لو جعل لهم ذلك لجاز اتخاذُها؛ لحصول البركة لمن اعتقدها فيها. و«أنواط» جمع نَوط، وهو مصدر سُمي به المَنُوط.

▪ قوله: «فقال النبي ﷺ: **(اللَّه أكبر)**»: تعظيمًا للَّه تعالىٰ عن أن يُجعل له شريك في عبادته التي هي حقه علىٰ عباده؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يونس]، وقال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣]، وهو الإخلاص، والشركُ ينافي ذلك، وتقدم معنىٰ «الحنيف».

وتضمنت هاتان الآيتان ـ وما في معناهما ـ التوحيد الذي دلت عليه «لا إلٰه إلا اللَّه» نفيًا وإثباتًا ـ كما تقدم بيانه ـ، فمن التفت قلبه إلىٰ غير اللَّه لطلب نفع أو دفع ضر فقد أشرك، والقرآنُ كله في تقرير هذا الأصل العظيم الذي هو أصلُ دين الإسلام؛ الذي لا يقبل اللَّه من أحد دينًا سواه.

▪ قوله: «**السُّنن**» ـ بضم السين ـ: أي الطرق. يشير إلىٰ الطرق التي تخالف دينه الذي شرعه تعالىٰ لعباده.

▪ قوله: «**قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ**»: حلف ﷺ علىٰ ذلك تأكيدًا لهذا الخبر وتعظيمًا له، «**كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ**: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾»، وإن لم يسموها آلهةً، أخبر أن التبرك بالأشجار يجعلها آلهةً ـ وإن لم يسموها آلهة ـ؛ ولذلك شبَّه قولهم هذا بقول

بني إسرائيل لموسىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾؛ فظهر بهذا الحديث أن التعلق علىٰ الأشجار والأحجار وغيرها لطلب البركة بها شركٌ في العبادة كشرك عباد الأصنام.

■ قوله: «**لتركبن سنن من كان قبلكم**»: أي اليهود والنصارىٰ، وقد وقع كما أخبر به ﷺ في هذه الأمة؛ فركبوا طريق من كان قبلهم ممن ذكرنا، كما هو في الأحاديث الصحيحة؛ كحديث: «**لتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم حذو القُذَّةِ بالقذة؛ حتىٰ لو دخلوا جُحرَ ضبٍّ لدخلتموه**». قالوا: يا رسول اللَّه، اليهود والنصارىٰ؟ قال: «**فمن؟**»، وهو في «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفي رواية: «**ومن الناس إلا أولئك؟**»[1].



(١) **صحيح**: وقد تقدم.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النجم.

الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طَلبوا.

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلىٰ اللَّه بذلك، لظنهم أنه يحبُّه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرُهم أولىٰ بالجهل.

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبي ﷺ لم يعذرهم في الأمر؛ بل رد عليهم بقوله: «**اللَّه أكبر، إنها السُّنن؛ لَتتَّبعُنَّ سَننَ مَن كان قبلكم**». فغلَّظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير، وهو المقصود: أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾.

التاسعة: أن نفي هذا من معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه»، مع دقَّته وخفائه علىٰ أولئك.

العاشرة: أنه حلف علىٰ الفتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر، لأنهم لم يرتدُّوا بهذا.

الثانية عشرة: قولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر»، فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك.

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب، خلافًا لمن كرهه.

الرابعة عشرة: سد الذرائع.

الخامسة عشرة: النهي عن التشبُّه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم.

السابعة عشرة: القاعدة الكلية لقوله: «**إنها السُّنن**».

الثامنة عشرة: أن هذا عَلَمٌ من أعلام النبوة، لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أن كلَّ ما ذمَّ اللَّهُ به اليهودَ والنصارىٰ في القرآن أنه لنا.

العشرون: أنه متقرِّرٌ عندهم أن العبادات مبناها علىٰ الأمر، فصار فيه التنبيهُ علىٰ مسائل القبر. أما «**من ربُّك؟**» فواضح، وأما «**من نبيُّك؟**» فمن إخباره بأنباء الغيب. وأما «**ما دينُك؟**» فمن قولهم: «اجعل لنا» إلىٰ آخره.

الحادية والعشرون: أن سُنةَ أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه، لا يؤمَنُ أن يكون في قلبه بقيةٌ من تلك العادة، لقولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر».





[١٠] باب: ما جاء في الذبح لغير الله

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر].

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: حدثني رسول اللَّه ﷺ بأربع كلمات: «**لَعن اللَّهُ مَن ذبح لغير اللَّه. لعن اللَّهُ مَن لعن والدَيهِ. لعن اللَّهُ مَن آوىٰ مُحدِثًا؛ لَعن اللَّه من غيَّر منارَ الأرض**». رواه مسلم[(١)].

وعن طارق بن شهاب: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**دخل الجنةَ رجلٌ في ذباب، ودخل النارَ رجلٌ في ذباب**». قالوا: وكيف ذلك - يا رسول اللَّه -؟ قال: «**مرَّ رجلانِ علىٰ قومٍ لهم صنمٌ، لا يَجُوزُه أحدٌ حتىٰ يقرِّبَ له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرِّبْ. قال: ليس عندي شيءٌ أُقرِّب. قالوا له: قرِّبْ ولو ذبابًا. فقرَّبَ ذُبابًا، فخلَّوْا سبيله؛ فدخل النار. وقالوا للآخر: قرِّب. فقال: ما كنتُ لأقرِّبَ لأحدٍ شيئًا دون اللَّه عز وجل، فضربوا عنقه؛ فدخل الجنة**». رواه أحمد[(٢)].

الشرح

■ قوله: «باب: ما جاء في الذبح لغير اللَّه. وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ...﴾ الآية»:

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح موقوفًا، ولم أجده مرفوعًا**: وقد تقدم.

▫ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «يأمره تعالىٰ أن يخبر المشركين ـ الذين يعبدون غير اللَّه، ويذبحون له ـ: أنه أخلص للَّه صلاته وذبيحته؛ لأن المشركين يعبدون الأصنام، ويذبحون لها، فأمره تعالىٰ بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم علىٰ الإخلاص للَّه تعالىٰ» انتهىٰ.

فالصلوات الخمس هي أعظم فرائض الإسلام بعد الشهادتين.

▪ قوله: ﴿صَلَاتِي﴾: يشمل الفرائض والنوافل، والصلوات كلها عبادة. وقد اشتملت علىٰ نوعي الدعاء: دعاء المسألة، ودعاء العبادة:

ـ فما كان فيها من السؤال والطلب فهو دعاء مسألة.

ـ وما كان فيها من الحمد والثناء، والتسبيح والركوع والسجود، وغير ذلك من الأركان والواجبات= هو دعاء عبادة.

وهذا هو التحقيق في تسميتها «صلاة»؛ لأنها اشتملت علىٰ نوعي الدعاء الذي هو صلاة لغةً وشرعًا. قرره شيخ الإسلام وابن القيم رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

▪ قوله: ﴿وَنُسُكِي﴾: قال الثوري عن السدي عن سعيد بن جبير «﴿وَنُسُكِي﴾: ذبحي»، وكذلك قال الضحاك.

▪ قوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾: أي ما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح.

▪ قوله: ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: خالصًا لوجهه.

▪ قوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: أي: من هذه

الأمة، وهذا قول أئمة التفسير[(١)].

والمقصود: أن هذه الآية دلت علىٰ أن أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة لا يجوز أن يُصرف منها شيءٌ لغير اللَّه ـ كائنًا من كان ـ، فمن صرف منها شيئًا لغير اللَّه فقد وقع فيما نفاه تعالىٰ من الشرك بقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٧٩﴾ [الأنعام]. والقرآن كله في تقريره هذا التوحيد في عبادته، وبيانه، ونفي الشرك والبراءة منه.

■ قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ٢﴾ [الكوثر]:

▫ قال شيخ الإسلام: «أمره أن يجمع بين هاتين العبادتين ـ وهما الصلاة والنسك ـ الدالتان علىٰ القرب والتواضع، والافتقار وحسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلىٰ اللَّه، وإلىٰ عِدَتِه[(٢)]، عكس أهل الكبر والنفرة وأهل الغنىٰ عن اللَّه؛ الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلىٰ ربهم، والذين لا ينحرون له خوفًا من الفقر؛ ولهذا جمع بينهما في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي...﴾ الآية» اهـ.

وقد قال تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣] الآية.

■ قوله: «عن عليٍّ رضي الله عنه»: وعلي بن أبي طالب هو الإمام أبو الحسن الهاشمي، ابن عم النبي ﷺ، وزوج ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها، كان من أسبق السابقين الأولين، ومن أهل بدر وبيعة الرضوان، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين،

(١) وقال بعضهم: المراد: وأنا أول العاملين بأوامره تبارك وتعالى.
(٢) **العِدَة**: الوعد.

ومناقبه مشهورة رضي الله عنه؛ قتله ابنُ ملجم الخارجي في رمضان سنة أربعين.

▫ قال أبو السعادات: «أصل اللعن: الطرد والإبعاد من اللَّه».

▪ قوله: «**من ذبح لغير اللَّه**»:

▫ قال شيخ الإسلام: «قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] ظاهره أنه ما ذبح لغير اللَّه؛ مثل أن يقال: هذا ذبيحة لكذا، وإذا كان هذا هو المقصود فسواءٌ لُفظ به أو لم يُلفظ، وتحريمُ هذا أظهر من تحريم ما ذُبح للحم، وقال فيه: «باسم المسيح» ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلىٰ اللَّه كان أزكىٰ وأعظمَ مما ذبحناه للحم وقلنا عليه: «باسم اللَّه»، فإذا حَرُم ما قيل فيه: «باسم المسيح والزهرة»؛ فلأن يَحرُم ما قيل فيه: «لأجل المسيح أو الزهرة»، أو قُصد به ذلك= أولىٰ، فإن العبادة لغير اللَّه أعظمُ كفرًا من الاستعانة بغير اللَّه، فعلىٰ هذا لو ذبَح لغير اللَّه متقربًا إليه يحرُم، وإن قال فيه: «بسم اللَّه»، كما قد يفعله طائفةٌ من منافقي هذه الأمة الذين يتقربون إلىٰ الكواكب بالذَّبح والبخور ونحو ذلك، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تُباح ذبيحتهم بحال...» إلخ، ومن ذلك الذبح للجن.

▪ قوله: «**لعن اللَّه من لعن والديه**»: يعني أباه وأمه وإن عَلَوْا. وفي «الصحيح» أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «**من الكبائر شتمُ الرجل والديه**». قالوا: يا رسول اللَّه، وهل يشتمُ الرجلُ والديه؟ قال: «**نعم؛ يسبُّ أبا الرجل؛ فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمَّه؛ فيسبُّ أمه**»(١).

▪ قوله: «**لعن اللَّه من آوىٰ محدِثًا**»: وهو بفتح الهمزة ممدودة،

(١) رواه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠)، من حديث عبداللَّه بن عمرو رضي الله عنهما.

أي: ضمَّه إليه وحماه.

وأما «مُحدثًا»: فقال أبو السعادات: «يروىٰ بكسر الدال وفتحها علىٰ الفاعل والمفعول».

فمعنىٰ الكسر: من نصر جانيًا وآواه، وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يُقتص منه.

والفتح: هو الأمر المبتدَع نفسه.

ويكون معنىٰ الإيواء فيه: الرضىٰ به والنصر؛ فإنه إذا ارتضىٰ بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه= فقد آواه.

▫ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدَث في نفسه؛ فكلما كان الحدثُ في نفسه أكبر كانت الكبيرةُ أعظم».

■ قوله: «**لعن اللَّه من غيَّر منار الأرض**» - بفتح الميم -: علامات حدودها، وهي التي توضع لتمييز حق الشركاء إذا اقتسموا ما بينهم في الأرض والدُّور.

▫ قال في «النهاية»: «أي: معالمها وحدودها».

قلت: وذلك بأن يَرفع ما جُعل علامةً علىٰ تمييز حقه من حق شريكه؛ فيأخذ من حق شريكه بعضه؛ فهذا ظلمٌ عظيم، وفي الحديث: «**مَن ظلم شبرًا من الأرض طُوِّقَه من سبع أَرَضينَ يوم القيامة**»(١)، فما أجهلَ أكثر الخلق حتىٰ وقعوا بجهلهم وظلمهم فيما يضرُّهم في دنياهم وأخراهم! وذلك لضعف الإيمان بالمعاد والحساب علىٰ الأعمال والجنة والنار. نسأل اللَّه العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه البخاري (٣١٨٩)، ومسلم (١٦١٠)، من حديث سعيد بن زيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

■ قوله: «عن طارق بن شهاب»: البَجَلي الأَحْمسي، أبو عبداللَّه. قال أبو داود: «رأىٰ النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئًا».

▫ قال الحافظ: «إذا ثبت أنه لقي النبي ﷺ فهو صحابي، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه؛ فروايته عنه مرسل صحابي، وهو مقبول علىٰ الراجح».

وكانت وفاته ـ علىٰ ما جزم به ابن حبان ـ سنة ثلاث وثمانين.

▫ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: حدثنا أبو معاوية: [حدثنا] الأعمش، عن سليمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب يرفعه قال: «**دخل الجنة رجل في ذباب**...» الحديث».

■ قوله: «**في ذباب**»: أي من أجله.

■ قوله: «قالوا: وكيف ذلك ـ يا رسول اللَّه ـ؟»: كأنهم ـ واللَّه أعلم ـ تقالُّوا هذا العمل، وهو تقريبُ الذباب للصنم، فبين لهم النبيُّ ﷺ أن من فعل هذا وما هو أعظم منه وجبت له النار.

■ قوله: «**مر رجلان علىٰ قوم لهم صنمٌ لا يجُوزُه أحدٌ حتىٰ يقرِّبَ له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرِّبْ، فقال: ليس عندي شيءٌ أقرِّب، قالوا له: قرِّب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا، فخلَّوا سبيله، فدخل النار**»؛ لأنه قصد غير اللَّه بقلبه، أو انقاد بعمله؛ فوجبت له النار، ففيه معنىٰ حديث مسلم الذي تقدم في «باب الخوف من الشرك» عن جابر مرفوعًا: «**من لقي اللَّه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار**»[١]، فإذا كان هذا فيمن قرب للصنم ذبابًا؛ فكيف بمن يستسمنُ الإبل والبقر والغنم؛ ليتقرب بنحرها وذبحها لمن كان

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

يعبدُه من دون اللَّه من ميتٍ أو غائبٍ، أو طاغوتٍ أو مشهدٍ، أو شجرٍ أو حجرٍ، أو غير ذلك؟ وكان هؤلاء المشركون في أواخر هذه الأمة يَعُدُّون ذلك أفضل من الأضحية في وقتها الذي شُرعت فيه، وربما اكتفىٰ بعضهم بذلك عن أن يضحِّي لشدة رغبته وتعظيمه ورجائه لمن كان يعبده من دون اللَّه، وقد عمت البلوىٰ بهذا وما هو أعظم منه.

■ قوله: «**وقالوا للآخر: قرب، قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون اللَّه** ﷻ. **فضربوا عنقه، فدخل الجنة**»: ففيه معرفةُ قدر الشرك في قلوب أهل الإيمان ونُفرتهم عنه، وصلابتهم في الإخلاص؛ كما في حديث أنس الذي في البخاري وغيره الآتي ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ: «**ثلاثٌ من كن فيه وجد حلاوة الإيمان**»، وفيه: «**وأن يَكره أن يعود في الكفر ـ بعد إذ أنقذه اللَّه منه ـ كما يكره أن يُقذف في النار**»(١).

وفيه تفاوت الناس في الإيمان؛ لأن هذا الرجل الذي قرَّب الذباب لم يكن له عملٌ يستحق به دخول النار قبل ما فعله مع هذا الصنم ـ كما هو ظاهر الحديث ـ، واللَّه أعلم.



(١) **صحيح**: وقد تقدم.

✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾.

الثانية: تفسير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾.

الثالثة: البداءة بلعنةِ مَن ذبح لغير اللَّه.

الرابعة: لَعنُ من لعن والديه، ومنه: أن تلعنَ والدَيِ الرجل؛ فيلعن والدَيك.

الخامسة: لعنُ من آوىٰ مُحدِثًا؛ وهو الرجل يُحدِثُ شيئًا يجب فيه حق اللَّه، فيلتجئُ إلىٰ من يُجيره من ذلك.

السادسة: لعن من غيَّر منار الأرض، وهي المراسيم التي تُفرق بين حقِّك وحق جارك، فتغيِّرُها بتقديم أو تأخير.

السابعة: الفرق بين لعن المعيَّن ولعن أهل المعاصي علىٰ سبيل العموم.

الثامنة: هذه القصةُ العظيمة، وهي قصة الذباب.

التاسعة: كونه دخلَ النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده؛ بل فعله تخلُّصًا من شرهم.

العاشرة: معرفةُ قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك علىٰ القتل ولم يوافقهم علىٰ طِلْبتهم، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر.

الحادية عشرة: أن الذي دخل النار مسلم؛ لأنه لو كان كافرًا لم يقل: «دخل النار في ذباب».

الثانية عشرة: فيه شاهدٌ للحديث الصحيح: «**الجنة أقربُ إلىٰ أحدكم**

من شِراك نعله، والنارُ مثل ذلك»[١].

الثالثة عشرة: معرفةُ أن عمل القلب هو المقصود الأعظم، حتىٰ عند عَبَدةِ الأوثان.

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

[١١] باب: لا يُذبح لله بمكانٍ يُذبح فيه لغير الله

وقولِ اللَّه تعالىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾ [التوبة].

وعن ثابتِ بن الضحَّاك رضي الله عنه قال: نذر رجلٌ أن ينحر إبلًا ببُوانةَ، فسأل النبيَّ ﷺ، فقال: «**هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يُعبد؟**»، قالوا: لا. قال: «**فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟**»، قالوا: لا. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أوفِ بنَذرك؛ فإنه لا وفاءَ لنذرٍ في معصيةِ اللَّه، ولا فيما لا يَملِكُ ابنُ آدم**». رواه أبو داود، وإسناده علىٰ شرطهما[١].

الشرح

■ قوله: «باب: لا يذبح للَّه بمكانٍ يُذبح فيه لغير اللَّه»: أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إلىٰ ما كان الناس يفعلونه في نجدٍ وغيرها قبل دعوتهم إلىٰ التوحيد؛ من ذبحهم للجن لطلب الشفاء منهم لمرضاهم، ويتخذون للذبح لهم مكانًا مخصوصًا في دُورهم، فنفىٰ اللَّه سبحانه الشرك بهذه الدعوة الإسلامية، فللَّه الحمد علىٰ زوال الشرك والبدع والفساد؛ بطلعة الداعي إلىٰ توحيد رب العالمين.

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا...﴾» الآية: أي: مسجد الضرار المذكور في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا

(١) صحيح: وقد تقدم.



وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة]، وهو مسجد قباء، فقد أسس على التقوىٰ من أول يوم قدم فيه ﷺ المدينة مهاجرًا، وكان أهلُ مسجد الضرار قد بنَوه قبل خروج النبي ﷺ إلىٰ غزوة تبوك، فأتَوه فسألوه أن يصليَ فيه، وذكروا له أنهم بنَوه للضعفاء وأهل العلة في الليلة الشاتية؛ فقال: «**إنَّا علىٰ سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء اللَّه**»، فلما قفل عليه السلام راجعًا إلىٰ المدينة، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعضه، نزل الوحي بخبر المسجد، فبعث إليه وهدمه قبل قدومه إلىٰ المدينة ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ، وأنزل اللَّه فيه هذه الآيات[1].

ووجه مطابقة الآية للترجمة: أن هذا المسجد لما أُسس علىٰ معصية اللَّه والكفر به صار محلَّ غضب، فنهىٰ اللَّه نبيه ﷺ أن يقوم فيه لوجود العلة المانعة، وخرج مخرج الخصوص، والنهي عام، وما كان مثله من الأمكنة فإنه يُعطَىٰ حكمه؛ لأن المعصية صيَّرته محلًّا خبيثًا، وأثَّرت فيه بالنهي عن العبادة فيه، ويقابل ذلك المساجد، وهي أشرف بقاع الأرض، قال تعالىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ﴾ [النور] الآية. فما أحسن هذا القياس! ويأتي تقريره في الحديث في الباب ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ.

■ قوله: «عن ثابت بن الضحاك»: أي ابن خليفة الأشهلي، صحابي

(١) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/٢١١).

مشهور، روىٰ عنه أبو قلابة وغيره، مات سنة أربع وستين.

■ قوله: «ببُوانة» ـ بضم الباء، وقيل بفتحها ـ: قال البغوي: موضع في أسفل مكة دون يَلَمْلم. قال أبو السعادات: هضبة من وراء ينبع.

■ قوله: «**فهل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد؟**»: فيه المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن ـ ولو بعد زواله ـ. قاله المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وهو شاهد الترجمة.

■ قوله: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**»:

▫ قال شيخ الإسلام: «العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام علىٰ وجهٍ معتاد؛ عائد إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر ونحوه، والمراد به هنا: الاجتماع المعتاد من اجتماع أهل الجاهلية، فالعيد يجمع أمورًا:

منها: يوم عائد؛ كيوم الفطر ويوم الجمعة.

ومنها: اجتماع فيه.

ومنها: أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات.

وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقًا، وكل من هذه الأمور قد يسمىٰ عيدًا:

ـ في الزمان كقول النبي ﷺ في يوم الجمعة: «**إن هذا يومٌ جعله اللَّه للمسلمين عيدًا**»(١).

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٠٩٨)، والدَّارَقُطْني في «العلل» (٢/٤٥)، من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. **وضعَّفه** الإمام البوصيري، **وحسَّنه** الشيخ الألباني عند ابن ماجه، **وصحَّحه لغيره** الشيخ شعيب الأرنؤوط عنده =

ـ وللاجتماع والأعمال؛ كقول ابن عباس رضي الله عنه: «شهدت العيد مع رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم»[(١)].

ـ والمكان؛ كقول النبي صلى الله عليه وسلم «**لا تتخذوا قبري عيدًا**»[(٢)].

وقد يكون لفظ «العيد» اسمًا لمجموع اليوم والعمل فيه ـ وهو الغالب ـ؛ كقول النبي صلى الله عليه وسلم «**دعهما ـ يا أبا بكر ـ؛ فإن لكل قوم عيدًا**»[(٣)]» انتهىٰ.

وقد أحدث هؤلاء المشركون أعيادًا عند القبور التي تُعبد من دون اللَّه، ويسمونها عيدًا، كمولد البدوي بمصر وغيره؛ بل هي أعظم لما يوجد فيها من الشرك والمعاصي العظيمة.

❑ قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «وفيه استفصال المفتي، والمنع من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية ولو بعد زواله».

قلت: وفيه المنع من اتخاذ آثار المشركين محلًّا للعبادة؛ لكونها صارت محلًّا لما حرم اللَّه من الشرك والمعاصي، والحديث وإن كان في النذر فيشمل كلَّ ما كان عبادةً للَّه، فلا تُفعل في هذه الأماكن الخبيثة التي اتُّخذت محلًّا لما يُسخط اللَّه تعالىٰ، فبهذا صار الحديث شاهدًا للترجمة.

= ـ أيضًا ـ (٢/١٩٧).
ورواه مالك (٥٩)، والشافعي (٢٦٨)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٥٧٥٢)، من حديث ابن السباق رحمه الله ـ مرسلًا ـ، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٥٨).

(١) رواه البخاري (٩٦٢) ـ واللفظ له ـ، ومسلم (٨٨٤).

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) رواه البخاري (٣٩٣١)، ومسلم (٨٩٢)، من حديث أمنا عائشة رضي الله عنها.

والمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لم يُرِد التخصيص بالذبح، وإنما ذكر الذبح كالمثال.

وقد استُشكل جعل محلِّ اللات بالطائف مسجدًا.

والجواب ـ واللَّه أعلم ـ: أنه لو تُرك هذا المحل في هذه البلدة لكان يخشىٰ أن تُفتتن به قلوبُ الجهال؛ فيرجع إلىٰ جعله وثنًا كما كان يُفعل فيه أولًا، فجَعلُه مسجدًا ـ والحالة هذه ـ يُنسي ما كان يُفعل فيه، ويَذهب به أثرُ الشرك بالكلية، فاختص هذا المحل لهذه العلة، وهي قوة المعارض. واللَّه أعلم.

■ قوله: «**فأوفِ بنذرك**»: وذلك لعدم المانع.

■ قوله: «**فإنه لا وفاء لنذر في معصية اللَّه**»: فالحديث دلَّ علىٰ أن اتخاذ أماكن الشرك والمعاصي لا يجوز أن يُعبد اللَّه فيها، ونذرُ ذلك معصيةٌ لا يجوز الوفاء به.

■ قوله: «**ولا فيما لا يملك ابن آدم**»:

❑ قال في شرح «المصابيح»: «يعني إذا أضاف النذر إلىٰ معين لا يملكه، بأن قال: إن شفىٰ اللَّه مريضي فللَّه عليَّ أن أُعتق العبد الفلاني(١) ونحو ذلك، فأما إذا التزم في الذمة بأن قال: إن شفىٰ اللَّه مريضي فللَّه عليَّ أن أعتق رقبةً ـ وهو في تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها ـ، فإذا شفىٰ اللَّه مريضه ثبت ذلك في ذمته».

■ قوله: «رواه أبو داود وإسناده علىٰ شرطهما»: أي البخاري ومسلم. وأبو داود اسمه سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السِّجستاني، صاحب الإمام أحمد بن حنبل، ومصنف

---

(١) في المطبوع: «عبدي فلان»! والصحيح ـ إن شاء اللَّه ـ ما أثبتُّه.

«السنن» و«المراسيل» وغيرها، ثقة إمام حافظ من كبار العلماء، مات سنة خمس وسبعين ومِئتين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.



فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾.

الثانية: أن المعصية قد تؤثِّر في الأرض، وكذلك الطاعة.

الثالثة: رد المسألة المشكلة إلىٰ المسألة البيِّنة؛ ليزول الإشكال.

الرابعة: استفصال المفتي إذا احتاج إلىٰ ذلك.

الخامسة: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به، إذا خلا من الموانع.

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثنٌ من أوثان الجاهلية، ولو بعد زواله.

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيدٌ من أعيادهم، ولو بعد زواله.

الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نُذر في تلك البقعة؛ لأنه نذر معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم، ولو لم يقصده.

العاشرة: لا نذر في معصية.

الحادية عشرة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.





[١٢] باب: من الشرك النذرُ لغير الله

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان].

وقوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وفي «الصحيح» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**مَن نذر أن يطيع اللَّه فليُطِعْه؛ ومَن نذر أن يعصيَ اللَّه فلا يَعصِهِ**»[١].



الشرح

■ قوله: «باب: من الشرك النذر لغير اللَّه، وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ...﴾ الآية»:

▫ قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «أي يتعبدون للَّه تعالىٰ فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبوه علىٰ أنفسهم بطريق النذر».

■ قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾:

▫ قال ابن كثير: «يخبر اللَّه تعالىٰ بأنه عالِمٌ بجميع ما يعمله العاملون من النفقات والمنذورات، وتضمن ذلك مجازاتَهم علىٰ ذلك أوفرَ الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه».

▫ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «وأما النذر لغير اللَّه؛ كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك= فهو شرك».

▫ وقال ـ فيمن نذر للقبور ونحوها دهنًا لتُنوَّر به، ويقول: إنها

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

تَقبل النذر كما يقوله بعض المشركين ـ: «فهذا النذر معصيةٌ باتفاق المسلمين؛ لا يجوز الوفاء به، وكذلك إذا نذر مالًا للسدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة؛ فإن فيهم شبهًا من السدنة التي كانت عند العزىٰ ومناة؛ يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل اللَّه، والمجاورون هناك فيهم شبهٌ من الذين قال فيهم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢﴾ [الأنبياء]، فالنذر لأولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع نذرُ معصية، وفيه شبهٌ من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندها» انتهىٰ.

وذلك لأن الناذر للَّه وحده علَّق رغبته به وحده؛ لعلمه بأنه تعالىٰ ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع، فتوحيد القصد هو توحيد العبادة، ولهذا ترتب عليه وجوبُ الوفاء فيما نذره طاعةً للَّه، والعبادة إذا صُرفت لغير اللَّه صار ذلك شركًا باللَّه؛ لالتفاته إلىٰ غيره تعالىٰ فيما يُرغب فيه أو يُرهب؛ فقد جعله شريكًا للَّه في العبادة، فيكون قد أثبت ما نفته «لا إلٰه إلا اللَّه» من إلٰهية غير اللَّه. ولم يُثبت ما أثبتته من الإخلاص.

وكل هذه الأبواب التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تدل علىٰ أن من أشرك مع اللَّه غيره بالقصد والطلب فقد خالف ما نفته «لا إلٰه إلا اللَّه»، فعكس مدلولها؛ فأثبت ما نفته، ونفىٰ ما أثبتته من التوحيد.

▫ وهذا معنىٰ قول شيخنا: «وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب».

فكل شرك وقع ـ أو قد يقع ـ فهو ينافي كلمة الإخلاص وما تضمنته من التوحيد.

▫ قال الرافعي في «شرح المنهاج»: «وأما النذر للمَشاهد التي علىٰ قبر وليٍّ أو شيخ، أو علىٰ اسمِ مَن حلَّها من الأولياء، أو تردد في تلك البقعة أو المشهد أو الزاوية، أو تعظيمُ من دُفن بها، أو نُسبت إليه، أو بُنيت علىٰ اسمه = فهذا النذر باطلٌ غير منعقد؛ فإن معتقَدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات، ويرَون أنها مما يُدفع به البلاء، ويُستجلب به النعماء، ويُستشفىٰ بالنذر لهما من الأدواء، حتىٰ إنهم لينذرون لبعض الأحجار لمَّا قيل لهم: إنه استند إليها عبدٌ صالح، وينذرون لبعض القبور السُّرُج والشمع والزيت، ويقولون: «القبر الفلاني أو المكان الفلاني يقبل النذر»، يعنون بذلك أنه يحصل به الغرضُ المأمول من شفاء مريض، أو قدوم غائب، وسلامة مال، وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة، فهذا النذرُ علىٰ هذا الوجه باطلٌ لا شك فيه؛ بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقًا، ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر إبراهيم الخليل عليه السلام، ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء؛ فإن الناذر لا يقصد بذلك إلا الإيقادَ علىٰ القبر تبركًا وتعظيمًا؛ ظانًّا أن ذلك قربةٌ؛ فهذا مما لا ريب في بطلانه، والإيقاد المذكور محرم؛ سواء انتفع به منتفِعٌ أم لا».

▫ وقال الشيخ قاسم الحنفي في شرح «درر البحار»: «النذر الذي ينذره أكثرُ العوام علىٰ ما هو مشاهَد؛ كأن يكون لإنسان غائبٌ أو مريض، أو له حاجة؛ فيأتي إلىٰ بعض الصلحاء، ويجعل علىٰ رأسه سترة، ويقول: «يا سيدي فلان، إن رد اللَّه غائبي أو قُضيت حاجتي

فلك من الذهب كذا، أو من الفضة كذا، أو من الطعام كذا، أو من الماء كذا، أو من الشمع والزيت كذا»= فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه:

منها: أنه نذر لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة، والعبادة لا تكون لمخلوق.

ومنها: أن المنذور له ميت، والميت لا يملك شيئًا.

ومنها: أنه ظن أن الميت يتصرفُ في الأمور دون اللَّه تعالىٰ، واعتقاد ذلك كفر».

▫ إلىٰ أن قال: «إذا علمت هذا، فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ويَنتقل إلىٰ ضرائح الأولياء تقربًا إليهم= فحرام بإجماع المسلمين». نقله عنه ابن نجيم في «البحر الرائق»، ونقله المرشدي في «تذكرته» وغيرهما عنه، وزاد: «وقد ابتُلي الناس بهذا؛ لا سيما في مولد البدوي».

▫ وقال الشيخ صنع اللَّه الحلبي الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد علىٰ من أجاز الذبح والنذر للأولياء: «فهذا الذبح والنذر إن كان علىٰ اسم فلان؛ فهو لغير اللَّه تعالىٰ؛ فيكون باطلًا، وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام]، والنذر لغير اللَّه إشراك مع اللَّه كالذبح لغيره» انتهىٰ.

■ قوله: «وفي الصحيح»: أي صحيح البخاري.

■ قوله: «عن عائشة»: هي أم المؤمنين، زوج النبي ﷺ، وابنة الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأعلم النساء بحديث رسول اللَّه ﷺ، تزوجها النبي

ﷺ وهي بنت سبع، ودخل بها وهي ابنة تسع، وأفضل أزواج النبي ﷺ إلا خديجة؛ ففيها خلاف؛ بل لا يقال: خديجة أفضل، ولا عائشة أفضل.

والتحقيق: أن لخديجة من الفضائل في بَدْء الوحي ما ليس لعائشة مِن سَبْقها إلىٰ الإيمان بالنبي ﷺ، وتأييده في تلك الحال التي بُدئ بالوحي فيها؛ كما في «صحيح البخاري» وغيره[1]، فما زالت كذلك حتىٰ تُوفيت رضي الله عنها قبل الهجرة، ولعائشة من العلم بالأحاديث والأحكام ما ليس لخديجة؛ لعلمها بأحوال النبي ﷺ، ونزول القرآن، وبيان الحلال والحرام، وكان الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاته ﷺ يرجعون إليها فيما أُشكل عليهم من أحوال النبي وحديثه ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ، ورضي عن أصحابه وأزواجه، توفيت سنة سبع وخمسين رضي الله عنها.

■ قوله: «**من نذر أن يطيع اللَّه فليطعه**»: لأنه نَذَرَه للَّه خالصًا؛ فوجب عليه الوفاء به؛ فصار عبادة، وقد أجمع العلماء علىٰ أن من نذر طاعةً لشرط يرجوه كـ«إن شفىٰ اللَّه مريضي فعليَّ أن أتصدق بكذا»، ونحو ذلك، وجب عليه ـ إن حصل له ما علق نذره علىٰ حصوله ـ، إلا أن أبا حنيفة قال: «لا يلزمه الوفاء إلا بما جنسه واجب بأصل الشرع كالصوم، وأما ما ليس كذلك فلا يجب عليه الوفاء به».

■ قوله: «**ومن نذر أن يعصيَ اللَّه فلا يعصه**»: زاد الطحاوي: «**وليكفِّرْ عن يمينه**»[2]. وقد أجمع العلماء أنه لا يجوز الوفاء بنذر

(١) رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)، من حديث أمنا عائشة رضي الله عنها.
(٢) **صحيح**: رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢١٤٤)، **وصحَّحه** =

المعصية، واختلفوا: هل تجب فيه كفارة يمين؟ علىٰ قولين هما روايتان عن أحمد: أحدهما: تجب، وهو المذهب، وروي عن ابن مسعود وابن عباس، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه.



= الشيخ شعيب الأرنؤوط، لكنه نقل عن الحافظ ابن حجر في «التلخيص» (١٧٥/٤) أن الإمام ابن القطان شكك في هذه الزيادة.

فيه مسائل:

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية: إذا ثبت كونه عبادةً للَّه، فصَرْفُه إلىٰ غيره شرك.

الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوزُ الوفاء به.

[١٣] باب: مِن الشرك الاستعاذةُ بغير الله

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن].

وعن خَولةَ بنتِ حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**مَن نزل مَنزلًا فقال: أعوذُ بكلمات اللَّه التاماتِ من شرِّ ما خلق، لم يضرَّه شيءٌ حتىٰ يرحلَ من منزله ذلك**». رواه مسلم(١).



الشرح

■ قوله: «باب: من الشرك الاستعاذة بغير اللَّه»: الاستعاذة: الالتجاء والاعتصام، فالعائذ قد هرب إلىٰ ربه والتجأ إليه مما يخافه عمومًا وخصوصًا.

□ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «وما يقوم بالقلب من الالتجاء والاعتصام به، والانطراح بين يدي الرب، والافتقار إليه، والتذلل له = أمرٌ لا تحيط به العبارة» انتهىٰ.

وقد أمر اللَّه عباده في كتابه بالاستعاذة به في مواضع كقوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ [الأعراف]، وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل]، وفي المعوذتين وغير ذلك، فهو عبادة لا يجوز أن تصرف لغير اللَّه كغيرها من أنواع العبادة.

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ [الجن]»:

▫ قال أبو جعفر بن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسير هذه الآية: «عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رجالٌ من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية؛ فيقول: «أعوذ بعزيز هذا الوادي»؛ فزادهم ذلك إثمًا، وقال بعضهم: فزاد الإنسُ الجنَّ باستعاذتهم بعزيزهم جرأةً عليهم، وازدادوا هم بذلك إثمًا.

وقال مجاهد: فازداد الكفارُ طغيانًا.

وقال ابن زيد: وزادهم الجن خوفًا.

وقد أجمع العلماء علىٰ أنه لا تجوز الاستعاذة بغير اللَّه».

▫ وقال ملا علي قاري الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تجوز الاستعاذة بالجن؛ فقد ذم اللَّه الكافرين علىٰ ذلك» ـ وذكر الآية ـ، «وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ [الأنعام: ١٢٨] الآية. فاستمتاع الإنسي بالجني: في قضاء حوائجه، وامتثال أوامره، وإخباره بشيء من المغيبات، واستمتاع الجني بالإنسي تعظيمه إياه، واستعاذته به، وخضوعه له» انتهىٰ ملخصًا.

▫ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «وفيه أن كون الشيء يحصل به منفعةٌ دنيويةٌ من كف شر أو جلب نفع = لا يدل علىٰ أنه ليس من الشرك».

■ قوله: «خولة بنت حكيم»: ابن أمية السلمية؛ يقال لها: أم شَريك، ويقال: إنها هي الواهبة[1]، وكانت قبلُ تحت عثمان بن

(١) أي: التي وهبت نفسها للحبيب ﷺ، كما ذكر اللَّه تعالىٰ في الآية (٥٠) من سورة «الأحزاب».

مظعون. قال ابن عبدالبر: «وكانت صالحة فاضلة».

■ قوله: «**أعوذ بكلمات اللَّه التامات**»: شرع اللَّه لأهل الإسلام أن يستعيذوا به؛ لا كما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن، فشرع اللَّه تعالىٰ للمسلمين أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته.

▫ قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «قيل: معناه: الكاملات التي لا يلحقها نقصٌ ولا عيب كما يلحق كلامَ البشر. وقيل: معناه: الكافية الشافية. وقيل: الكلمات هنا هي القرآن، فإن اللَّه أخبر عنه أنه هدًىٰ وشفاء. وهذا الأمر علىٰ جهة الإرشاد إلىٰ ما يُدفع به الأذىٰ، وعلىٰ هذا فحق المستعيذ باللَّه تعالىٰ وبأسمائه وصفاته أن يَصدُقَ اللَّه في التجائه إليه، ويتوكل في ذلك عليه، ويُحضِر ذلك في قلبه، فمن فعل ذلك وصل إلىٰ منتهىٰ طلبه ومغفرة ذنبه».

▫ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «وقد نص الأئمة ـ كأحمد وغيره ـ علىٰ أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق، وهذا مما استدلوا به علىٰ أن كلام اللَّه ليس بمخلوق، قالوا: لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات اللَّه، وأمر بذلك، ولهذا نهىٰ العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يُعرف معناها؛ خشية أن يكون فيها شرك».

▫ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «ومن ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب إليه بما يحب = فقد عبده ـ إن لم يسمِّ ذلك عبادة ـ، ويسميه: «استخدامًا»، وصدق، هو استخدام من الشيطان له؛ فيصير مِن خَدَم الشيطان وعابديه، ولذلك يخدمُه الشيطان، لكن خدمة الشيطان له ليست خدمةَ عبادة، فإن الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما يفعل هو به».

■ قوله: «**من شر ما خلق**»:

▫ قال ابن القيم: «من شرِّ كل ذي شرٍّ في أي مخلوق قام به الشر؛ من حيوان أو غيره، إنسيًّا أو جنيًّا، أو هامةً أو دابةً، أو ريحًا أو صاعقةً، أي نوع كان من أنواع البلاء في الدنيا والآخرة.

و«ما» ـ هاهنا ـ موصولة ليس إلا، وليس المراد بها العموم الإطلاقي؛ بل المراد التقييدي الوصفي، والمعنىٰ: من شر كل مخلوق فيه شر، لا من شر كلِّ ما خلقه اللَّه؛ فإن الجنة والأنبياء والملائكة ليس فيهم شر، والشر يقال علىٰ شيئين: علىٰ الألم، وعلىٰ ما يفضي إليه[(١)]».



(١) قال الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طبعته ص(٤٦٨): «لابد أن يريد بالألم الحسي والمعنوي. ولو قال: الضرر؛ لكان أعم» اهـ.

✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه من الشرك.

الثالثة: الاستدلال علىٰ ذلك بالحديث؛ لأن العلماء استدلُّوا به علىٰ أن كلماتِ اللَّه غيرُ مخلوقة. قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلةُ هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعةٌ دنيويةٌ ـ من كف شرٍّ أو جلب نفع ـ لا يدلُّ علىٰ أنه ليس من الشرك.



[١٤] باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله، أو يدعو غيره

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس].

وقوله: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف].

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وروىٰ الطبراني بإسناده: أنه كان في زمن النبي ﷺ منافقٌ يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيثُ برسول اللَّه ﷺ من هذا المنافق؛ فقال النبي ﷺ: «**إنه لا يُستغاثُ بي؛ إنما يستغاثُ باللَّه**»(١).

الشرح

■ قوله: «باب: من الشرك أن يستغيث بغير اللَّه تعالىٰ، أو يدعو غيره».

□ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «الاستغاثة: هي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة؛ كالاستنصار طلب النصر، والاستعانة طلب العون» اهـ.

---

(١) **ضعيف**: وقد تقدم.

قلت: فبين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص مطلق؛ يجتمعان في مادة، وهو دعاء المستغيث، وينفرد الدعاء الذي هو مطلق الطلب أو السؤال من غير المستغيث، وقد نهىٰ تعالىٰ عن دعاء غيره الأخص والأعم في كتابه ـ كما يأتي بيانه ـ؛ فكل ما قُصد به غير اللَّه مما لا يقدر عليه إلا اللَّه ـ كدعوة الأموات والغائبين ـ فهو من الشرك الذي لا يغفره اللَّه، والأدلة علىٰ ذلك من القرآن والسنة أكثرُ من أن تحصر.

■ وقوله: «﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾»: ففي هذه الآية النهي عن أن يدعىٰ أحد من دونه تعالىٰ، وأخبر تعالىٰ أن غيره لا يضر ولا ينفع.

■ قوله: «﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾»: والظلم في هذه الآية هو الشرك؛ كما قال تعالىٰ عن لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

■ وقوله: «﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾»: هذا في حق المستغيث، أخبر اللَّه تعالىٰ أنه هو الذي يتفضل علىٰ من سأله، ولا يقدر أحدٌ أن يمنعه شيئًا من فضل اللَّه عليه، فهو المعطي والمانع، لا مانع لما أعطىٰ، ولا معطيَ لما منع، وفي هذا المعنىٰ ما في حديث ابن عباس، وفيه: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كَتَبه اللَّه لك**»[(١)].

فمن تدبر هذه الآية وما في معناها، علم أن ما وقع فيه الأكثر من دعوة غير اللَّه هو الظلم العظيم، والشرك الذي لا يغفر، وأنهم

---

(١) **صحيح:** وقد تقدم.

قد أثبتوا ما نفته «لا إلٰه إلا اللَّه» من الشرك في الإلٰهية، ونفَوا ما أثبتته من الإخلاص؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر]، و«الدين» هو طاعة اللَّه فيما أمر به وشرعه، ونهىٰ عنه وحرمه، وأعظمُ ما أَمر به التوحيد والإخلاص، وألَّا يَقصد العبدُ بشيء من عمله سوىٰ اللَّه تعالىٰ الذي خلقه لعبادته، وأرسل بذلك رسله، وأنزل به كتبه ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥]. وأعظم ما نهىٰ عنه الشرك به في ربوبيته وإلٰهيته.

■ قوله: «﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف]»: فهذه الآية تبين وتوضح ما تقرَّر في الآية قبلها، فأخبر تعالىٰ أنه لا أضل ممن يدعو أحدًا من دونه كائنًا من كان، وأخبر أن المدعوَّ لا يستجيب لما طُلب منه من ميتٍ أو غائب، أو ممن لا يقدر علىٰ الاستجابة مطلقًا من طاغوتٍ ووثن، فليس لمن دعا غير اللَّه إلا الخيبةُ والخسران.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾، كما قال في آية يونس: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡ...﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ ۝٢٩﴾ [يونس].

ثم قال: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف]: فلا يحصل للمشرك يوم القيامة إلا نقيضُ قصده، فيتبرأ [المدعوُّ] منه ومن عبادته، ويُنكر ذلك عليه أشد الإنكار، وقد صار المدعوُّ للداعي عدوًّا.

ثم أخبر تعالىٰ أن ذلك الدعاء عبادة بقوله: ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾؛ فدلت ـ أيضًا ـ علىٰ أن دعاء غير اللَّه عبادة له، وأن الداعي له في غاية الضلال، وقد وقع مِن هذا الشرك في هذه الأمة ما عمَّ وطمَّ، حتىٰ أظهر اللَّه من يُبينه بعد أن كان مجهولًا عند الخاصة والعامة ـ إلا من شاء اللَّه تعالىٰ ـ، وهو في الكتاب والسنة في غاية البيان، لكن القلوب انصرفت إلىٰ ما زين لها الشيطان، كما جرىٰ للأمم مع الأنبياء والمرسلين لمَّا دَعَوْهم إلىٰ توحيد اللَّه، جرىٰ لهم من شدة العداوة ما ذكره اللَّه تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات]. ويشبه هذه الآية في المعنىٰ [قوله جَلَّ وَعَلَا]: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر]؛ أخبر تعالىٰ أن ذلك الدعاء شرك باللَّه، وأنه لا يغفره لمن لقيه به.

فتدبر هذه الآيات وما في معناها؛ كقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الجن]، وهو في القرآن أكثر من أن يستقصىٰ.

■ قوله: «﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢]»: وهذا مما أقر به مشركو العرب وغيرهم في جاهليتهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت]؛ أخبر تعالىٰ أنهم يخلصون الدعاء له إذا وقعوا في شدة.

▫ قال أبو جعفر بن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «يقول تعالىٰ: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يفعل هذه الأشياء بكم وينعم عليكم؟ وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ يقول: تذكُّرًا قليلًا من عظمة اللَّه وأياديه عندكم تذكرون وتعتبرون حجج اللَّه عليكم يسيرًا؛ فلذلك أشركتم باللَّه غيره في عبادته».

■ قوله: «وروىٰ الطبراني»: هو الإمام الحافظ سليمان بن أحمد ابن أيوب اللخمي الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة وغيرها، روىٰ عن النسائي وإسحاق بن إبراهيم الديري وخلق كثير، مات سنة ستين وثلاثمئة، روىٰ هذا الحديث عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

■ قوله: «فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول اللَّه ﷺ من هذا المنافق...» الحديث:

▫ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «إن النبي ﷺ كان يقدر أن يغيثَهم منه»[(١)].

قلت: فلعله أراد أن النبي ﷺ كان يَقدر أن يتركَ المنافقين أن يُفعَلُ بهم ما يستحقُّونه، ولكنه لم يفعل مخافة أن يفتتن بعض المؤمنين من قبيلة المنافق، وفي السنة ما يدل علىٰ ذلك كما فعل مع ابن أُبيٍّ وغيره[(٢)].

وقيل: إن النبي ﷺ كان يقدر أن يغيثهم من ذلك المنافق؛ فيكون نهيه ﷺ عن الاستغاثة به حمايةً لجناب التوحيد، وسدًّا

(١) هذا وما يأتي علىٰ افتراض صحة الحديث، ولم يصح كما سلف.
(٢) رواه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤)، من حديث جابر بن عبداللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

لذرائع الشرك؛ كنظائره مما للمستغاث به قدرةٌ عليه مما كان يستعمل لغةً وشرعًا، مخافةَ أن يقع من أمته الاستغاثةُ بمن لا يضر ولا ينفع، ولا يسمع ولا يستجيب من الأموات والغائبين والطواغيت والشياطين والأصنام وغير ذلك، وقد وقع من هذا الشرك العظيم ما عمَّت به البلوىٰ ـ كما تقدم ذكره ـ؛ حتىٰ إنهم أشركوهم مع اللَّه في ربوبيته وتدبير أمر خلقه، كما أشركوهم معه في إلٰهيته وعبوديته، والوسائل لها حكم الغايات في النهي عنها. واللَّه أعلم.



فيه مسائل:

الأولى: أن عطف الدعاء علىٰ الاستغاثة من عطف العام علىٰ الخاص.

الثانية: تفسير قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾.

الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة: أن أصلح الناس لو فعله إرضاءً لغيره صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها.

السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا، مع كونه كفرًا.

السابعة: تفسير الآية الثالثة.

الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من اللَّه، كما أن الجنة لا تُطلب إلا منه.

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

العاشرة: أنه لا أضلَّ ممن دعا غير اللَّه.

الحادية عشرة: أنه غافلٌ عن دعاء الداعي، لا يدري عنه.

الثانية عشرة: أن تلك الدعوةَ سببٌ لبغض المدعوِّ للداعي، وعداوته له.

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادةً للمدعو.

الرابعة عشرة: كفر المدعوِّ بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: هي سبب كونه أضلَّ الناس.

السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة.

السابعة عشرة: الأمر العجيب، وهو إقرارُ عَبَدَةِ الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلَّا اللَّه؛ ولأجل هذا يدْعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفىٰ ﷺ حمىٰ التوحيد، والتأدب مع اللَّه عَزَّ وَجَلَّ.



[١٥] باب: قول اللَّه تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف]

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر].

وفي «الصحيح» عن أنس ﵁ قال: شُجَّ النبي ﷺ يوم أُحُد، وكُسرت رَبَاعِيَتُه، فقال: «**كيف يُفلح قومٌ شجُّوا نبيَّهم؟**»، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]»[(١)].

وفيه: عن ابن عمر ﵄ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول ـ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر ـ: «**اللهم العنْ فلانًا وفلانًا**» ـ بعدما يقول: «**سمع اللَّه لمن حمده، ربَّنا ولك الحمد**» ـ، فأنزل اللَّه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ...﴾ الآية[(٢)].

وفي رواية: «يدعو علىٰ صفوانَ بن أمية، وسهل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾»[(٣)].

وفيه عن أبي هريرة ﵁ قال: قام رسول اللَّه ﷺ حين أُنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]؛ فقال: «**يا معشرَ قريش** ـ أو كلمةً نحوها ـ، **اشترُوا أنفسكم، لا أُغني عنكم من اللَّه شيئًا. يا عباسُ بنَ عبدِالمطلب، لا أُغني عنك من اللَّه شيئًا. يا صفيةُ** ـ عمةَ

---

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) صحيح: وقد تقدم.
(٣) صحيح: وقد تقدم.

رسول اللَّه ﷺ -، لا أغني عنكِ من اللَّه شيئًا. ويا فاطمةُ بنتَ محمد، سليني من مالي ما شئتِ، لا أُغني عنكِ من اللَّه شيئًا»[(١)].



الشرح

■ قوله: «باب: قول اللَّه تعالىٰ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف]»: وهذا مما احتج به تعالىٰ علىٰ المشركين لِمَا وقع منهم من اتخاذ الشفعاء والشركاء في العبادة؛ لأنهم مخلوقون؛ فلا يصلح أن يكونوا هم شركاء لمن هم خَلْقُه وعبيده، وأخبر أنهم مع ذلك ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ أي: لمن سألهم النصرة ﴿وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾، فإذا كان المدعوُّ لا يقدر أن ينصر نفسه؛ فلأن لا ينصر غيره من باب الأولىٰ، فبَطَل تعلق المشرك بغير اللَّه بهذين الدليلين العظيمين؛ وهو:

[الدليل الأول]: كونهم عبيدًا لمن خلقهم لعبادته، والعبد لا يكون معبودًا.

الدليل الثاني: أنه لا قدرة لهم علىٰ نفع أنفسهم؛ فكيف يرجىٰ منهم أن ينفعوا غيرهم؟!

فتدبر هذه الآية وأمثالها في القرآن العظيم.

■ وقوله: «﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ...﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر]»: ابتدأ تعالىٰ هذه الآيات بقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾؛ يخبر الخبير أن المُلك له وحده، والملوك

(١) **صحيح:** وقد تقدم.



وجميع الخلق تحت تصرفه وتدبيره؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ [فاطر: ١٣]، فإن من كانت هذه صفته فلا يجوز أن يُرغب في طلب نفع أو دفع ضر إلىٰ أحد سوىٰ اللَّه تعالىٰ وتقدس؛ بل يجب إخلاصُ الدعاء له ـ الذي هو من أعظم أنواع العبادة ـ، وأخبر تعالىٰ أن ما يدعوه أهل الشرك لا يملك شيئًا، وأنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولو فُرض أنهم يسمعون فلا يستجيبون لداعيهم، وأنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم، أي: ينكرونه ويتبرؤون ممن فعله معهم، فهذا الذي أخبر به الخبير: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥﴾ [آل عمران]، وأخبر أن ذلك الدعاء شركٌ به، وأنه لا يغفره لمن لقيه به، فأهل الشرك ما صدقوا الخبير، ولا أطاعوه فيما حكم به وشرع؛ بل قالوا: إن الميت يسمع، ومع سماعه ينفع، فتركوا الإسلام والإيمان رأسًا؛ كما ترىٰ عليه الأكثرين من جهلة هذه الأمة.

■ قوله: «في الصحيح عن أنس قال: شُج النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته؛ فقال: «**كيف يُفلح قومٌ شجوا نبيهم؟**»، فنزلت ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] الآية. وفيه عن ابن عمر رضي الله عنه أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول ـ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر ـ: «**اللهم العن فلانًا وفلانًا**» ـ بعدما يقول: «**سمع اللَّه لمن حمده، ربَّنا ولك الحمد**» ـ، فأنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ الآية. وفي رواية: «يدعو علىٰ صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ وأسلم هؤلاء وحسن إسلامهم»:

■ قوله: «في الصحيح»: أي الصحيحين، علقه البخاري عن حميد

عن ثابت عن أنس، ووصله أحمد والترمذي والشافعي عن حميد عن أنس، وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف]. والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

والمقصود: أن الذي له الأمر كله والمُلك كله لا يستحق غيره شيئًا من العبادة؛ ولهذا المعنىٰ قال لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص]، فالذي ليس له من الأمر شيء هو خيرةُ اللَّه من خلقه؛ ما زال يدعو الناس أن يخلصوا العبادة للذي له الأمر كله ـ وهو اللَّه تعالىٰ ـ، فهذا دينه ﷺ الذي بُعث به، وأُمر أن يبلغه أمته ويدعوهم إليه، كما تقدم في باب «الدعاء إلىٰ شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه»، فإياك أن تتبع سبيلًا غير سبيل المؤمنين الذي شرعه اللَّه ورسوله لهم وخصهم به.

■ قوله: «وفيه عن أبي هريرة»: أي في صحيح البخاري، واختلف في اسم أبي هريرة، وصحح النووي أن اسمه عبدالرَّحمٰن بن صخر، وهو دَوْسي، من حفاظ الصحابة، حفظ من الحديث ما لم يحفظه غيره، كما في صحيح البخاري عن وهب بن منبه عن أخيه: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: «ما من أحد من أصحاب رسول اللَّه ﷺ أكثرُ حديثًا عنه مني، إلا ما كان من عبداللَّه بن عمرو؛ فإنه كان يكتب ولا أكتب»[1]، مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة. وهذا الحديث له طرق كثيرة في الصحيحين والمسند والسنن وغيرها.

---

(١) رواه البخاري (١١٣).



■ قوله «**يا معشر قريش**» ـ أو كلمة نحوها ـ «**اشتروا أنفسكم**»: أي: بالإيمان باللَّه ورسوله، واتباعه فيما جاءكم به، مما أنزل عليه من توحيد اللَّه تعالىٰ في العبادة، وترك ما كنتم تعبدونه من دونه من الأوثان والأصنام؛ فإنهم بعد ذلك الشرك صاروا عبيدًا لمن لا يضرُّ ولا ينفع، ولا يستجيب ولا يسمع إلا هو، وهم قد عرفوا أن ما كانوا يفعلونه من عبادة غير اللَّه شركٌ باللَّه؛ فإنهم كانوا يقولون في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك»[1]. فسبحان اللَّه! كيف جاز في عقولهم أن المملوك يكون شريكًا لمالكه؟ وقد قال تعالىٰ: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الروم].

■ قوله: «**لا أغني عنكم من اللَّه شيئًا**»: هذا هو معنىٰ ما تقدم من أنه تعالىٰ هو المتصرِّفُ في خلقه بما شاء؛ مما اقتضته حكمته في خلقه وعلمه بهم، والعبدُ لا يعلم إلا ما علَّمه اللَّه، ولا ينجو أحد من عذابه وعقابه إلا بإخلاص العبادة له وحده، والبراءة من عبادة ما سواه، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة].

والنبي ﷺ في هذا الحديث أنذر الأقربين نِذارةً خاصةً، وأخبر أنه لا يُغني عنهم من اللَّه شيئًا، وبلَّغهم وأعذر إليهم، فأنذر قريشًا ببطونها، وقبائل العرب في مواسمها، وأنذر عمه وعمته وابنته

---

(١) أي: إلا شريكًا هو ملكٌ لك، وأنت تملكه، ولا يملك هو شيئًا!

ـ وهم أقرب الناس إليه ـ، وأخبر أنه لا يغني عنهم من اللَّه شيئًا، إذا لم يؤمنوا به ويَقبلوا ما جاء به من التوحيد وترك الشرك به.

■ قوله: «**سليني من مالي ما شئت**»: لأن هذا هو الذي يقدرُ عليه ﷺ، وما كان أمره إلىٰ اللَّه سبحانه فلا قدرة لأحد عليه ـ كما في هذا الحديث ـ. ولما مات أبو طالب، وكان يحوط رسول اللَّه ﷺ ويحميه، ولم ينكر ملةَ عبد المطلب من الشرك باللَّه، وقال ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنك**»[(١)] = فأنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة]، فأخبر أن أبا طالب من أصحاب النار لمَّا مات علىٰ غير شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه، فلم ينفعه حمايته النبيَّ ﷺ من أن يكون من المشركين، ولا الاعتراف بأن النبي ﷺ علىٰ الحق بدون البراءة من الشرك؛ لأنه لم يبرأ من ملةِ أبيه، فكل تعلُّق علىٰ غير اللَّه من طلب شفاعة أو غيرها شركٌ باللَّه، يكون عليه وبالًا في الدنيا والآخرة، والشفاعة لا تكون إلا لأهل الإخلاص خاصةً؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ...﴾ [الأنعام: ٥١]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة، وكذلك الأحاديث. واللَّه أعلم.

وسيأتي في «باب الشفاعة» ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ.



---

(١) صحيح: وقد تقدم.

✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أُحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين، وخلفَه ساداتُ الأولياء يؤمِّنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعوَّ عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالبُ الكفار، منها: شجُّهم نبيَّهم، وحرصُهم علىٰ قتله. ومنها: التمثيل بالقتلىٰ، مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل اللَّه عليه في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾.

السابعة: قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾، فتاب عليهم فآمنوا.

الثامنة: القنوت في النوازل.

التاسعة: تسمية المدعوِّ عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعن المعيَّن في القنوت.

الحادية عشرة: قصته ﷺ لما أُنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

الثانية عشرة: جِدُّه ﷺ؛ بحيث فَعل ما نُسب بسببه إلىٰ الجنون، وكذلك لو يفعله مسلمٌ الآن.

الثالثة عشرة: قوله ﷺ للأبعد والأقرب: «**لا أُغني عنكم من اللَّه شيئًا**»، حتىٰ قال: «**يا فاطمةُ بنتَ محمد، لا أغني عنكِ من اللَّه شيئًا**». فإذا صرح ـ وهو سيد المرسلين ـ بأنه لا يُغني شيئًا عن سيدة نساء العالمين، وآمَنَ الإنسان أنه ﷺ لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع

في قلوب خواص الناس اليوم= تبين له التوحيدُ وغربة الدين.

[١٦] باب: قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ]

في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا قضىٰ اللَّه الأمرَ في السماء ضَربت الملائكة بأجنحتها خَضَعانًا لقوله، كأنه سلسلةٌ علىٰ صفوان، يَنفذُهم ذلك، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾، فيسمعها مسترِقُ السمع، ومسترقُ السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ وصفه سفيانُ بكفِّه، فحَرَفها وبدَّد بين أصابعه ـ، فيَسمع الكلمةَ، فيُلقيها إلىٰ من تحته، ثم يُلقيها الآخَرُ إلىٰ مَن تحته، حتىٰ يلقيَها علىٰ لسانِ الساحر أو الكاهن. فربما أدركه الشهابُ قبل أن يُلقيَها، وربما ألقاها قبلَ أن يدركه، فيكذبَ معها مِئةَ كِذبةٍ، فيقال: أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدَّقُ بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء»(١).

وعن النوَّاس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا أراد اللَّهُ تعالىٰ أن يوحيَ بالأمر تكلَّم بالوحي، فأخذت السماواتِ منه رجفةٌ ـ أو قال: رِعدةٌ ـ شديدةٌ خوفًا من اللَّه عز وجل؛ فإذا سَمع ذلك أهلُ السماوات صَعِقوا، وخرُّوا للَّه سُجَّدًا. فيكون أولُ مَن يرفع رأسه جبريل عليه السلام، فيكلِّمُه اللَّهُ من وحيه بما أراد. ثم يمرُّ جبريلُ علىٰ الملائكة، كلما مر بسماءٍ سأله ملائكتُها: ماذا قال ربُّنا ـ يا جبريل ـ؟ فيقول جبريل: قال الحقَّ، وهو العليُّ الكبير، فيقولون كلُّهم مثلَما قال جبريل، فينتهي جبريلُ بالوحي إلىٰ حيث أمره اللَّه عز وجل»(٢).

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) ضعيف: وقد تقدم.

الشرح

■ قوله: «﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾»: أي زال عنها الفزع. قاله ابن عباس وغيره؛ ذكر تعالىٰ هذه الآية في سياق قوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ: ٢٢].

▫ وقال ابن جرير: «قال بعضهم: الذين فُزِّع عن قلوبهم الملائكة، قالوا: وإنما فُزِّع عن قلوبهم من غشيةٍ تصيبهم عند سماع كلام اللَّه ﷻ بالوحي».

▫ قال ابن كثير: «وهو الحق الذي لا مرية فيه لصحة الأحاديث فيه والآثار».

▫ وقال أبو حيان: «تظاهرت الأحاديث عن رسول اللَّه ﷺ أن قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ إنما هي في الملائكة إذا سمعت الوحي إلىٰ جبريل، وأمر اللَّه تعالىٰ به؛ سَمِعَتْ كجَرِّ السلسلة الحديد علىٰ الصفوان، فتفزع عند ذلك تعظيمًا وهيبةً».

قال: «وبهذا المعنىٰ مِن ذِكر الملائكة في صدر الآيات تتسق هذه الآية علىٰ الأولىٰ، ومن لم يشعر أن الملائكة مشارٌ إليهم من أول قوله: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ لم تتصل هذه الآية بما قبلها».

وهذه الآيات تقطع عروق الشرك بأمور أربعة:

الأول: أنهم لا يملكون مثقال ذرةٍ مع اللَّه، والذي لا يملك مثقال ذرةٍ في السماوات والأرض لا ينفع ولا يضر؛ فهو تعالىٰ هو الذي يملكُهم ويدبِّرُهم ويتصرفُ فيهم وحده.

الثاني: قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾: أي في السماوات والأرض، أي: وما لهم شركُ مثقالِ ذرةٍ من السماوات والأرض.

الثالث: قوله: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾: والظهير: المُعين؛ فليس للَّه معين من خلقه؛ بل هو الذي يعينهم علىٰ ما ينفعهم لكمال غناه عنهم، وضرورتهم إلىٰ ربهم ﷻ فيما قلَّ وكثر من أمور دنياهم وأخراهم.

الرابع: قوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾: فلا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه.

وأخبر تعالىٰ أن من اتخذ شفيعًا من دونه حُرِم شفاعة الشفعاء، قال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس]؛ لأن اتخاذ الشفعاء شركٌ؛ لقوله تعالىٰ في حقهم: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس]، والمشركُ منفيةٌ عنه الشفاعة في حقه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر]، وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام]؛ وذلك أن متخِذَ الشفيع لابد أن يرغب إليه ويدعوه، ويرجوه ويخافه ويحبه؛ لما يؤمله منه، وهذه من أنواع العبادة التي لا يُصرف منها شيء لغير اللَّه؛ وذلك هو الشرك الذي ينافي الإخلاص.

■ قوله: «في الصحيح»: أي صحيح البخاري.

ففي هذا الحديث أن مَن عرف اللَّه تعالىٰ ذلَّ له تعظيمًا ومهابةً

وخوفًا؛ لا سيما عند سماع كلامه تعالىٰ؛ لأن قوله: «**إذا قضىٰ اللَّه الأمر**»: أي بكلامه ووحيه إلىٰ جبريل.

■ وقوله: «**في السماء**»: يدل علىٰ العلو؛ ففيه إثبات كلام اللَّه، وعلوِّه علىٰ خلقه علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

وهذا الحديث ونحوه مما احتج به أهل السنة علىٰ الجهمية والأشاعرة والكُلَّابية وغيرهم من أهل البدع ممن ألحد بالتعطيل في أسماء اللَّه وصفاته.

■ قوله: «**خَضَعانًا**»: مصدر خضع.

■ قوله: «**لقوله**»: صريح في أنهم سمعوا قوله، وأنه بصوت، وأن ذلك يَنفُذُ جميع الملائكة ـ أي يسمعونه كلهم ـ.

■ قوله: «﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾»: أي: زال عنها الفزع.

■ قوله: «**فيسمعها مسترق السمع**»، أي: الكلمة التي سمعتها الملائكةُ وتحدثوا بها.

■ قوله: «(**ومسترق السمع بعضه فوق بعض هكذا**) ووصفه سفيان»: راوي الحديث، وهو ابن عيينة «بكفه».

■ قوله: «**فيسمع الكلمة**»: يعني مسترق السمع، «**فيلقيها إلىٰ من تحته من الشياطين، ثم يلقيها الآخر إلىٰ من تحته؛ حتىٰ يلقيها علىٰ لسان الساحر أو الكاهن**» الحديث.

■ قوله: «**فيكذب معها**»: أي الساحر أو الكاهن «**مئة كذبة، فيصدَّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء**»: لقبول الناس للباطل.



■ قوله: «وعن النواس بن سِمْعان»: وسمعان بكسر السين ابن خالد الكِلابي، ويقال له: الأنصاري، صحابي، ويقال: إن أباه صحابي ـ أيضًا ـ.

■ وقوله: «**إذا أراد اللَّه تعالىٰ**»: فالإرادة صفةٌ من صفات اللَّه ﷻ، وهي نوعان: شرعية، وقدرية، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] الآية، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس]، ونحو هذه الآيات.

■ قوله: «**أن يوحي بالأمر**»: فيه بيان معنىٰ ما تقدم في الحديث قبله من قوله: «**إذا قضىٰ اللَّه الأمر**».

■ قوله: «**تكلم بالوحي**»: فيه التصريح بأنه يتكلم بالوحي، فيوحيه إلىٰ جبريل عليه السلام، ففيه الردُّ علىٰ الأشاعرة في قولهم: إن القرآن عبارةٌ عن كلام اللَّه.

■ قوله: «**أخذت السماواتِ منه رجفةٌ ـ أو قال: رعدةٌ ـ شديدةٌ خوفًا من اللَّه ﷻ**»: في هذه معرفة عظمة اللَّه، ويوجب للعبد شدةَ الخوف منه تعالىٰ، وفيه إثبات العلو.

■ قوله: «**فإذا سمع ذلك أهل السماوات صَعِقوا وخرُّوا للَّه سجدًا**»: هيبةً وتعظيمًا لربهم، وخشيةً لما سمعوا من كلامه تعالىٰ وتقدس.

■ قوله: «**فيكون أول من يرفع رأسه جبريل**»: لأنه ملَك الوحي عليه السلام.

■ قوله: «**فيكلمه اللَّه من وحيه بما أراد**»: فيه التصريح بأنه تعالىٰ يوحي إلىٰ جبريل بما أراده من أمره ـ كما تقدم في أول الحديث ـ.

■ قوله: «**ثم يمرُّ جبريل علىٰ الملائكة؛ كلما مر بسماء سأله ملائكتها**»: وهذا ـ أيضًا ـ من أدلة علو الرب تعالىٰ وتقدس.

■ قوله: «**ماذا قال ربنا ـ يا جبريل ـ؟ فيقول: قال الحق، فيقولون كلهم مثلما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلىٰ حيث أمره اللَّه** ﷻ»: وهذا دليل بأنه تعالىٰ قال ويقول.

وأهل البدع من الجهمية ومن تلقىٰ عنهم كالأشاعرة جحدوا ما أثبته اللَّه تعالىٰ في كتابه، وأثبته رسوله ﷺ في سنته من علوه وكلامه وغير ذلك من صفات كماله التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله والمؤمنون من الصحابة والتابعين وتابعيهم من أهل السنة والجماعة علىٰ ما يليق بجلال اللَّه وعظمته؛ تشبيهات اختلقوها ما أنزل اللَّه بها من سلطان.





فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما فيها من الحُجة علىٰ إبطال الشرك، خصوصًا من تعلق علىٰ الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة: تفسير قوله: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبرائيل يجيبهم بعد ذلك بقوله: «قال: كذا وكذا».

السادسة: ذِكرُ أن أول من يرفع رأسه جبرائيل.

السابعة: أنه يقول [هذا] لأهل السماوات كلهم؛ لأنهم يسألونه.

الثامنة: أن الغَشْيَ يعمُّ أهل السماوات كلَّهم.

التاسعة: ارتجاف السماوات لكلام اللَّه.

العاشرة: أن جبرائيل هو الذي ينتهي بالوحي إلىٰ حيث أمره اللَّه.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضًا.

الثالثة عشرة: سبب إرسال الشُّهب.

الرابعة عشرة: أنه تارةً يدركه الشهاب قبل أن يلقيَها، وتارةً يُلقيها في أُذُن وليّه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كونُ الكاهن يَصدُق بعض الأحيان.

السادسة عشرة: كونه يَكذِبُ معها مئةَ كذبة.

السابعة عشرة: أنه لم يُصدَّقْ كَذِبُه إلا بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء.

الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة، ولا يعتبرون بمئة كِذْبة؟!

التاسعة عشرة: كونهم يتلقىٰ بعضُهم من بعضٍ تلك الكلمة، ويحفظونها، ويستدلُّون بها.

العشرون: إثبات الصفات، خلافًا للمعطلة.

الحادية والعشرون: أن تلك الرجفةَ والغَشْيَ خوفٌ من اللَّه عَزَّ وَجَلَّ.

الثانية والعشرون: أنهم يخرون للَّه سُجَّدًا.

[١٧] باب: الشفاعة

وقولِ اللَّه ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١].

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ].

▫ قال أبو العباس: «نفىٰ اللَّهُ عما سواه كلَّ ما يتعلق به المشركون، فنفىٰ أن يكون لغيره مُلكٌ، أو قسط منه، أو يكون عونًا للَّه. ولم يبق إلا الشفاعة؛ فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الربُّ، كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]؛ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفيةٌ يوم القيامة ـ كما نفاها القرآن ـ، وأخبر النبي ﷺ: «**أنه يأتي فيسجدُ لربه ويحمده**» ـ لا يبدأ بالشفاعة أولًا ـ. ثم يقال له: «**ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفَّع**»(١).

وقال له أبو هريرة: مَن أسعدُ الناس بشفاعتك؟ قال: «**مَن قال:**

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

لا إلٰه إلا اللَّه خالصًا من قلبه»[١].

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن اللَّه، ولا تكون لمن أشرك باللَّه. وحقيقته: أن اللَّه سبحانه هو الذي يتفضَّل علىٰ أهل الإخلاص؛ فيغفر لهم بواسطة دعاء من أَذِنَ له أن يشفع، ليُكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك؛ ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع.

وقد بيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص». اهـ كلامه.



الشرح

■ قوله: «باب الشفاعة»: الشفاعة نوعان:

النوع الأول: شفاعةٌ منفية في القرآن، وهي الشفاعة للكافر والمشرك.

قال تعالىٰ: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر].

وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ [البقرة]، ونحو هذه الآيات:

كقوله: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ

---

(١) **صحيح:** وقد تقدم.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ١٨].

يخبر تعالىٰ أن من اتخذ هؤلاء شفعاء عند اللَّه، أنه لا يعلم أنهم يشفعون له بذلك، وما لا يعلمه لا وجود له، فنفىٰ وقوع هذه الشفاعة، وأخبر أنها شركٌ بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾، إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣﴾ [الزمر]. فأبطل شفاعة من اتخذ شفيعًا يزعم أنه يقربه إلىٰ اللَّه، وهو يبعده عنه وعن رحمته ومغفرته؛ لأنه جعل للَّه شريكًا يرغب إليه ويرجوه، ويتوكل عليه ويحبه، كما يحب اللَّهَ تعالىٰ أو أعظم.

النوع الثاني: الشفاعة التي أثبتها القرآن، وهي خالصةٌ لأهل الإخلاص، وقيدها تعالىٰ بأمرين:

الأمر الأول: إذنه للشافع أن يشفع، كما قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وإذنه تعالىٰ لا يصدر إلا إذا رحم عبدَه الموحِّد المذنب، فإذا رحمه تعالىٰ أذن للشافع أن يشفع له.

الأمر الثاني: رضاه عمن أذن للشافع أن يشفع فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فالإذن بالشفاعة له بعد الرضا كما في هذه الآية، وهو سبحانه لا يرضىٰ إلا التوحيد.

■ قوله: «﴿وَأَنذِرۡ﴾»: الإنذار هو الإعلام بأسباب المخالفة والتحذير منها.

■ قوله: «﴿بِهِ﴾»: أي القرآن، «﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾»،

وهم أهل الإخلاص الذين لم يتخذوا لهم شفيعًا، بل أخلصوا قصدهم وطلبهم وجميع أعمالهم للَّه وحده، ولم يلتفتوا إلىٰ أحد سواه فيما يرجون نفعه ويخافون ضره.

▫ قال الفضيل بن عياض: «ليس كل خلقه عاتَب، إنما عاتب الذين يعقلون».

▪ قوله: «﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾»:

▫ قال الزجاج: «موضع «ليس» نصب علىٰ الحال؛ كأنه قال: متخلِّين من ولي وشفيع، والعامل فيه ﴿يَخَافُونَ﴾».

▪ قوله: «﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾»: أي فيعملون في هذه الدار عملًا ينجيهم اللَّه به من عذاب يوم القيامة، وتركوا التعلق علىٰ الشفعاء وغيرهم؛ لأنه ينافي الإخلاص الذي لا يَقبل اللَّه من أحد عملًا بدونه.

▪ قوله: «﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾»: دلت الآية أن الشفاعة له سبحانه، لأنها لا تقع إلا لأهل التوحيد بإذنه ﷻ، كما قال تعالىٰ في الآية السابقة. وقال تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [يونس: ٣] الآية، فلا شفاعة إلا لمن هي له سبحانه؛ ولا تقع إلا ممن أَذِن له فيها، فتدبر هذه الآيات العظيمة في اتخاذ الشفعاء.

▪ وقوله: «﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾»: يُبطل التعلق علىٰ غيره سبحانه؛ لأنه الذي انفرد بمُلك كل شيء؛ فليس لأحد في ملكه مثقالُ ذرةٍ دونه سبحانه وبحمده. والإسلام هو أن تُسلم قلبك وجوارحك للَّه بالإخلاص، كما في «المسند» عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال لرسول اللَّه ﷺ: فبالذي بعثك بالحق؛ ما

بعثك به؟ قال: «**الإسلام**». قال: وما الإسلام؟ قال: «**أن تُسلم قلبك، وأن توجِّه وجهك إلىٰ اللَّه، وأن تصليَ الصلاةَ المكتوبة، وتؤديَ الزكاة المفروضة**»(١)، والآيات في بيان الإخلاص كثيرة، وهو ألَّا يلتفت القلب ولا الوجه في جميع الأعمال كلها إلا للَّه وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، فأمره تعالىٰ بإخلاص الدعاء له وحده، وأخبر أنه الدينُ الذي تصحُّ معه الأعمال وتقبل.

▫ قال شيخ الإسلام: «الإخلاص محبة اللَّه وإرادة وجهه».

■ قوله: «﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾»: تقدم معنىٰ هذه الآية.

■ قوله: «﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾»: فإذا كان هذا في حق الملائكة الذين وصفهم اللَّه تعالىٰ بقوله: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [الأنبياء]، فظهر من هذه الآيات المحكمات ما يبين حقيقةَ الشفاعة المثبتة في القرآن التي هي مِلكٌ للَّه لا يملكها غيره، وقيَّد حصولها بقيدين كما في هذه الآية وغيرها،

(١) حسن: رواه أحمد (٥/٣)، وابن أبي شيبة (١٤/١٤٢)، وأبو داود (٢١٤٢)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٤٠٣)، والطبراني في «الكبير» (١٩/١٠٣٤)، وفي «الأوسط» (٦٣٩٨)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٧/٣٠٥)، وابن حبان (١٦٠)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٣/ ٢٢٥)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٦٩)، وفي «الإرواء» (٥/٣٢).

كما تقدم قريبًا إذنه للشافع أن يَشفع، كما قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ورضاه عمن أراد رحمته ممن أذنب من الموحدين، فاختُصَّت الشفاعة بأهل الإخلاص خاصةً، وأن اتخاذ الشفعاء من دين المشركين قد أنكره اللَّه عليهم فيما تقدم من الآيات.

■ قوله: «﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾» الآيتين:

▫ وقال أبو العباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نفىٰ اللَّه عما سواه كلَّ ما يتعلق به المشركون، فنفىٰ أن يكون لغيره مُلكٌ أو قسط منه، أو يكون عونًا للَّه، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]؛ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفيةٌ يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ «**أنه يأتي فيسجدُ لربه ويحمده**»، لا يبدأ بالشفاعة أولًا؛ ثم يقال له: «**ارفع رأسك، وقُلْ تُسمع، وسل تعط، واشفع تشفع**»[(١)].

وقال له أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: من أسعد الناس بشفاعتك ـ يا رسول اللَّه ـ؟ قال: «**من قال: «لا إلٰه إلا اللَّه» خالصًا من قلبه**»[(٢)]، فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن اللَّه، ولا تكون لمن أشرك باللَّه.

وحقيقته: أن اللَّه سبحانه هو الذي يتفضَّلُ علىٰ أهل الإخلاص؛ فيغفر لهم بواسطة دعاء مَن أَذِن له أن يشفع؛ ليكرمه وينال المقام

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

المحمود، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك؛ ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص». انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وفيه تحقيق لأمر الشفاعة، وجمعٌ للأدلة. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.



✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبَتة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرىٰ؛ وهي المقام المحمود.

الخامسة: صفة ما يفعله ﷺ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولًا، بل يسجد؛ فإذا أُذن له شَفَع.

السادسة: من أسعد الناس بها؟

السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك باللَّه.

الثامنة: بيان حقيقتها.



[١٨] باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص]

وفي «الصحيح» عن ابن المسيَّب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالبٍ الوفاةُ جاءه رسولُ اللَّه ﷺ وعنده عبدُاللَّه بن أبي أُميَّة وأبو جهل، فقال له: «**يا عم، قل: لا إلٰه إلا اللَّه، كلمةٌ أُحاجُّ لك بها عند اللَّه**». فقالا له: أترغب عن ملةِ عبدالمطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا. فكان آخرُ ما قال: هو على ملةِ عبدالمطلب، وأبىٰ أن يقول: لا إلٰه إلا اللَّه. فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك**». فأنزل اللَّه ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة]. وأنزل اللَّه في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(١).

الشرح

■ قوله: «باب: قول اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾»:

▫ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «يقول تعالىٰ لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، أي: ليس إليك ذلك إنما عليك البلاغ، ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف]».

قلت: والمنفي هاهنا هداية التوفيق والقبول؛ فإن أمر ذلك إلىٰ اللَّه وحده، وهو القادر عليه. وأما الهداية المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورىٰ]؛ فإنها هداية الدلالة والبيان، فهو المبيِّن عن اللَّه والدال علىٰ دينه وشرعه.

■ قوله: «وفي الصحيح عن ابن المسيب»: أي في الصحيحين. وابن المسيب هو سعيد بن المسيب بن حَزْن بن أبي وهب بن عمرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أحد العلماء والفقهاء الكبار السبعة من التابعين، اتفق أهل الحديث أن مراسيله أصح المراسيل، وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علمًا منه، مات في التسعين وقد ناهز الثمانين، وأبوه المسيَّب صحابيٌّ بقي إلىٰ خلافة عثمان رضي الله عنه، وكذلك جده حَزْن صحابي استُشهد باليمامة.

■ قوله: «لما حضرت أبا طالب الوفاة»: أي علاماتها ومقدماتها.

■ قوله: «جاءه رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم»: يحتمل أن يكون المسيَّب حضر مع الاثنين؛ فإنهما من بني مخزوم وهو - أيضًا - مخزومي، وكان الثلاثة إذ ذاك كفارًا، فقُتل أبو جهل علىٰ كفره وأسلم الآخران.

■ قوله: «**يا عم، قل: لا إلٰه إلا اللَّه**»: أمره بقولها لعلم أبي طالب بأنها دلت علىٰ نفي الشرك باللَّه، وإخلاص العبادة له وحده، فإن من قالها عن علم ويقين وقبول، فقد أنكر الشرك وتبرأ منه، وكذلك الحاضرون يعلمون بما دلَّت عليه من نفي الشرك والبراءة منه،

ولهذا عارضوا قول النبي ﷺ بقولهم: «أترغب عن ملة عبد المطلب؟»، لأن ملة عبد المطلب الشرك بعبادة الأوثان، كما كانت قريش وغيرهم في جاهليتهم كذلك.

■ قوله: «**كلمةً**»: قال القرطبي بالنصب علىٰ أنه بدل من «لا إلٰه إلا اللَّه»، ويجوز الرفع علىٰ أنه خبرُ مبتدأ محذوف.

■ قوله: «**أحاج لك بها عند اللَّه**»: لأنه لو قالها في تلك الحال لقُبلت منه ودخل بها في الإسلام.

■ قوله: «فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟»: ذكَّراه الحجة الملعونة التي يحتجُّ بها المشركون علىٰ المرسلين، كقول فرعون لموسىٰ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ [طه]، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۝٢٣﴾ [الزخرف].

■ قوله: «فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا»: فيه مضرة أصحاب السوء والحذر من قربهم والاستماع لهم، ففيه معنىٰ قول الناظم:

إذا ما صحبت القومَ فاصحب خيارهم

ولا تصحب الأردىٰ فتردىٰ مع الردي

■ قوله: «فكان آخر ما قال: هو علىٰ ملة عبد المطلب، وأبىٰ أن يقول: لا إلٰه إلا اللَّه»:

▫ قال الحافظ: «هو تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب».

▫ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «وفيه الرد علىٰ من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه».

■ قوله: «فقال النبي ﷺ: **(لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنك)**»: اللام لام القسم.

▫ قال النووي: «فيه جواز الحلف من غير استحلاف».

▫ قال ابن فارس: «مات أبو طالب ولرسول اللَّه ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يومًا، وتوفيت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها بعد موت أبي طالب بثمانية أيام».

■ قوله: «فأنزل اللَّه: عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾»: والظاهر أن هذه الآية نزلت في أبي طالب؛ فإن الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب في قوله: «فأنزل اللَّه» بعد قوله: «**لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك**» يفيد ذلك، وقد ذكر العلماء لسبب نزول هذه الآية أسبابًا أخر فلا منافاة؛ [فإن] الآية الواحدة قد يتعدد نزولها(١)، وفيه تحريم الاستغفار للمشركين وموالاتهم ومحبتهم.



(١) لكن الأصل عدم التعدد.



فيه مسائل:

الأولى: تفسير ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

الثانية: تفسير قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

الثالثة ـ وهي المسألة الكبرىٰ ـ: تفسير قوله ﷺ: «**قل: لا إلٰه إلا اللَّه**»، بخلاف ما عليه من يدعي العلم.

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل: «**قل: لا إلٰه إلا اللَّه**»؛ فقبَّح اللَّه مَن أبو جهل أعلمُ منه بأصل الإسلام.

الخامسة: جِدُّه ﷺ ومبالغته في إسلام عمه.

السادسة: الرد علىٰ من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يُغفر له، بل نُهي عن ذلك.

الثامنة: مضرةُ أصحاب السوء علىٰ الإنسان.

التاسعة: مضرةُ تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة: الشبهة للمبطلين في ذلك؛ لاستدلال الجاهلية بذلك.

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأمُّل في كِبَر هذه الشبهة في قلوب الضالين؛ لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته ﷺ وتكريره؛ فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.



[١٩] باب: ما جاء في أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينَهم هو الغلوُّ في الصالحين

وقول اللَّه ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١].

▫ وفي «الصحيح» عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾ [نوح]؛ قال: «هذه أسماءُ رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم أنِ انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا. ولم تُعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت».

▫ وقال ابن القيم: «قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم».



■ قوله: «باب: ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين»: قد أنذر ﷺ أمَّته من الغلو، وأبلغ في الإنذار تحذيرًا عما وقع من جهلة هذه الأمة ـ كما سيأتي ذكره ـ.

■ قوله: «﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ...﴾» الآية: الغلو هو الإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد، أي: لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله اللَّه. والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فهو تحذيرٌ لهذه الأمة أن يفعلوا مع نبيهم ﷺ كما فعلت النصارىٰ مع المسيح وأمه، واليهودُ مع العُزير، وقد وقع ذلك الشرك في العبادة في هذه الأمة نظمًا ونثرًا؛ كما في كلام البوصيري والبرعي

وغيرهما، وفيما فعلوه من الغلو والشرك محادةٌ للَّه ولكتابه ولرسول اللَّه ﷺ، فأين ما وقع فيه هؤلاء الجهلةُ من قول من قال للنبي ﷺ: «أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا»[(١)]. فكره ذلك ﷺ أشد الكراهة ـ كما سيأتي في الكلام علىٰ هذا الحديث إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ، وقولِ القائل: ما شاء اللَّه وشئت؛ فقال: «**أجعلتني للَّه ندًّا؟ بل ما شاء اللَّه وحده**»[(٢)].

▫ قال شيخ الإسلام: «ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارىٰ وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط فقد شابههم».

▫ قال: «وعليٌّ رضي الله عنه حرَّق الغالية من الرافضة، فأمر بأخاديد خُدَّت لهم عند باب كِنْدة فقذفهم فيها. واتفق الصحابة علىٰ قتلهم، لكن ابن عباس مذهبه أن يُقتلوا بالسيف من غير تحريق، وهو قول أكثر العلماء».

▪ قوله: «في الصحيح»: أي صحيح البخاري، وهذا الأثر اختصره المصنف رحمه الله، والذي في البخاري عن ابن عباس: «صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعدُ:

- أما «وَد»: فكانت لكلب بدُومةِ الجندل.
- وأما «سواع»: فكانت لهذيل.
- وأما «يغوث» فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ.
- وأما «يعوق» فكانت لهمدان.
- وأما «نسر» فكانت لحمير لآل ذي الكلاع.

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

أسماء رجال صالحين في قوم نوح...» إلىٰ آخره.

■ قوله: «أن انصِبوا» بكسر المهملة.

■ قوله: «أنصابًا»: جمع نُصُب، وهي الأصنام التي صوروها علىٰ صور الصالحين.

■ قوله: «ففعلوا ولم تعبد؛ حتىٰ إذا هلك أولئك ونُسي العلم عبدت»: الذي في البخاري: «ونُسخ العلم»؛ فلعل الذي هنا رواية، فصارت هذه الأصنامُ بهذا التصوير علىٰ صور الصالحين سُلَّمًا إلىٰ عبادتها، وكلُّ ما عُبد من دون اللَّه ـ من قبر أو مَشهد أو صنم أو طاغوت ـ فالأصل في عبادته هو الغلو كما لا يخفىٰ علىٰ ذوي البصائر، كما جرىٰ لأهل مصر وغيرهم؛ فإن أعظم آلهتهم أحمدُ البدوي، وهو لا يُعرف له أصل ولا فضل ولا علم ولا عبادة، ومع هذا فصار أعظمَ آلهتهم، مع أنه لا يُعرف إلا أنه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم خرج ولم يصلِّ، ذكره السخاوي عن أبي حيان! فزيَّن لهم الشيطان عبادته؛ فاعتقدوا أنه يتصرف في الكون، ويطفئ الحريق، ويُنجي الغريق، وصرفوا له الإلٰهية والربوبية وعلم الغيب، وكانوا يعتقدون أنه يَسمعُهم ويستجيب لهم من الديار البعيدة، وفيهم من يسجد علىٰ عتبة حَضْرته، وكان أهلُ العراق ومن حولهم ـ كأهل عمان ـ يعتقدون في عبدالقادر الجَيْلاني كما يعتقد أهل مصر في البدوي، وعبدُالقادر من متأخري الحنابلة وله كتابه «الغُنية»، وغيره ممن قبله وبعده من الحنابلة مَن هو أفضل منه في العلم والزهد، لكن فيه زهدٌ وعبادة، وفُتنوا به أعظم فتنةٍ كما جرىٰ من الرافضة مع أهل البيت، وسببُ ذلك الغلو دعوىٰ أن له كرامات، وقد جرت الكرامات لمن هو خيرٌ منه وأفضل؛ كبعض الصحابة والتابعين،

وهكذا حال أهل الشرك مع من فُتنوا به.

وأعظمُ من هذا عبادة أهل الشام لابن عربي، وهو إمام أهل الوحدة ـ الذين هم أكفر أهل الأرض ـ، وأكثر من أن يعتقد فيه هؤلاء، لا فضل له ولا دين كأناس بمصر وغيرها، وجرىٰ في نجد قبل هذه الدعوة مثل هذا، وفي الحجاز واليمن وغيرهما من عبادة الطواغيت والأشجار والأحجار والقبور ما عمَّت به البلوىٰ؛ كعبادتهم للجن، وطلبهم الشفاعة منهم. والأصلُ في ذلك الغلوِّ تزيين الشيطان.

وذكر أهل السِّير أن التلبية من عهد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك»، حتىٰ كان عمرو بن لُحيٍّ الخزاعي، فبينما هو يلبِّي تَمَثَّل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه؛ فقال: «لبيك لا شريك لك»، فقال الشيخ: «إلا شريكًا هو لك»؛ فأنكر ذلك عمرو وقال: «ما هذا؟ فقال الشيخ: تملكه وما ملك؛ فإنه لا بأس بهذا»، فقالها عمرو؛ فدانت بها العرب.



وعن عمر رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تُطرُوني كما أطرتِ النصارىٰ ابنَ مريم؛ إنما أنا عبدٌ؛ فقولوا: عبدُ اللَّه ورسولُه**». أخرجاه(١).

و[عن ابن عباس رضي الله عنهما] قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إياكم والغلوَّ؛ فإنما أهلك مَن كان قبلَكم الغلوُّ**»(٢).

ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**هلك المتنطِّعون**». قالها ثلاثًا(٣).


الشرح

■ قوله: «عن عمر»: هو ابن الخطاب بن نُفيل ـ بنون وفاء مصغر ـ العدوي أمير المؤمنين، وأفضل الصحابة بعد الصديق رضي الله عنه، ولي الخلافة عشر سنين ونصفًا، فامتلأت الدنيا عدلًا، وفتحت في أيامه ممالك كسرىٰ وقيصر، واستشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة.

■ قوله: «**لا تطروني**»: الإطراء هو الغلو، «**كما أطرت النصارىٰ ابن مريم**»، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ [النساء: ١٧١].

■ قوله: «**إنما أنا عبد فقولوا: عبد اللَّه ورسوله**»: أمرهم ﷺ ألَّا يتجاوزوا هذا القول، وقد أمر اللَّه عباده بالصلاة والسلام عليه؛

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.



لأن أشرفَ مقامات الأنبياء العبوديةُ الخاصة والرسالة.

■ قوله: «وقال: قال رسول اللَّه ﷺ: (**إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**)»: هذا الحديث ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بدون ذكر راويه، وقد رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس، وهذا اللفظ رواية أحمد عن ابن عباس.

◻ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال».

■ قوله: «ولمسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**هلك المتنطعون**» ـ قالها ثلاثًا»:

◻ قال الخطابي: «المتنطِّع: المتعمق في الشيء، المتكلف في البحث عنه علىٰ مذهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم».

◻ وقال أبو السعادات: «هم المتعمقون الغالون في الكلام، المتكلمون بأقصىٰ حلوقهم».

◻ وقال النووي: «فيه كراهة التقعر في الكلام بالتشدق، وتكلف الفصاحة، واستعمال وحشي اللغة، ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم».

■ قوله: «قالها ثلاثًا»: أي قال هذه الكلمة ثلاث مرات؛ مبالغةً في التعليم والإبلاغ، فقد بلَّغ البلاغ المبين ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين ـ.

ووجه مناسبة هذا الحديث للترجمة: أن الغلو من التنطع والزيادة؛ لما فيه من الخروج إلىٰ ما يوصِّل إلىٰ الشرك باللَّه.



✍ فيه مسائل:

الأولى: أن من فهم هذا البابَ وبابين بعده= تبين له غربةُ الإسلام، ورأىٰ مِن قُدرة اللَّه وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أول شرك حدث في الأرض: أنه بشبهة الصالحين.

الثالثة: أول شيءٍ غُيِّر به دين الأنبياء، وما سبب ذلك؟ مع معرفة أن اللَّه أرسلهم.

الرابعة: قبول البدع، مع كون الشرائع والفِطَر تردُّها.

الخامسة: أن سبب ذلك كلِّه مَزْجُ الحق بالباطل، فالأول: محبة الصالحين. والثاني: فِعلُ أُناسٍ من أهل العلم والدين شيئًا أرادوا به خيرًا، فظن مَن بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: جِبلَّةُ الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد.

الثامنة: فيه شاهدٌ لما نُقل عن السلف أن البدع سبب الكفر.

التاسعة: معرفةُ الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حسُن قصدُ الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفةُ ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مضرةُ العكوف علىٰ القبر لأجل عملٍ صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة عظم شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة ـ وهي أعجب وأعجب ـ: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنىٰ الكلام، وكون اللَّه حال بينهم وبين قلوبهم، حتىٰ اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضلُ العبادات، واعتقدوا أن ما نهىٰ اللَّه ورسوله عنه هو الكفر المبيح للدم والمال [فقط].

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوَّروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: «**لا تُطرُوني كما أطرتِ النصارىٰ ابن مريم**». فصلوات اللَّه وسلامه علىٰ من بلَّغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريحُ بأنها لم تُعبد حتىٰ نُسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرة فَقْدِه.

العشرون: أن سبب فَقْدِ العلم موتُ العلماء.



[٢٠] باب: ما جاء من التغليظ فيمن عَبَدَ اللهَ عند قبر رجلٍ صالح، فكيف إذا عَبَده؟!

في «الصحيح» عن عائشة ﵂: أن أم سلمةَ ذكرت لرسول اللَّه ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور؛ فقال: «**أولئكِ إذا مات فيهم الرجلُ الصالح أو العبد الصالح بنَوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرارُ الخلق عند اللَّه**»[١].

فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما عنها قالت: لما نَزَل برسول اللَّه ﷺ، طَفِق يطرحُ خميصةً له علىٰ وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفها؛ فقال ـ وهو كذلك ـ: «**لعنةُ اللَّه علىٰ اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد**». يُحذِّرُ ما صنعوا، ولولا ذلك أُبرز قبرُه، غيرَ أنه خَشي أن يُتَّخذَ مسجدًا. أخرجاه[٢].

ولمسلم عن جُندُب بن عبدِاللَّه ﵁ قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «**إني أبرأُ إلىٰ اللَّه أن يكون لي منكم خليل؛ فإن اللَّه قد اتخذني خليلًا ـ كما اتخذ إبراهيم خليلًا ـ. ولو كنتُ متخِذًا من أمَّتي خليلًا لاتخذتُ أبا بكر خليلًا. أَلَا وإنَّ مَن كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد؛ أَلَا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك**»[٣].

فقد نهىٰ عنه في آخر حياته. ثم إنه لعن ـ وهو في السياق ـ

---

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) صحيح: وقد تقدم.
(٣) صحيح: وقد تقدم.

مَن فَعَله. والصلاةُ عندها من ذلك - وإن لم يُبنَ مسجد -، وهو معنىٰ قولها: «خشي أن يتخذ مسجدًا»؛ فإن الصحابة لم يكونوا ليَبنُوا حول قبره مسجدًا، وكلُّ موضع قُصدت الصلاة فيه فقد اتُّخذ مسجدًا؛ بل كل موضع يصلَّىٰ فيه يسمىٰ «مسجدًا»، كما قال ﷺ: «**جُعلت لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا**»(١).

ولأحمد - بسندٍ جيد - عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «**إنَّ من شرار الناس مَن تُدرِكُهم الساعةُ وهم أحياء، والذين يتَّخذون القبورَ مساجد**». ورواه أبو حاتم في «صحيحه»(٢).


الشرح

■ قوله: «باب: ما جاء من التغليظ فيمن عبد اللَّه عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟»: فكل ما كان وسيلةً إلىٰ الشرك فهو حرام؛ لكونه يُوقِعُ في الشرك باللَّه وعبادة ما سواه، كما في الأحاديث.

■ قوله: «في الصحيح»: أي الصحيحين.

■ قوله: «أن أم سلمة»: هي هند بنت أبي أُمية بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية، تزوجها النبي ﷺ بعد أبي سلمة سنة أربع، وقيل ثلاث، وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة إلىٰ الحبشة، تُوفيت سنة اثنتين وستين.

■ قوله: «ذكرت لرسول اللَّه ﷺ»: وفي «الصحيحين»: أن أم حبيبة وأم سلمة، ذكرتا ذلك لرسول اللَّه ﷺ.

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

و«الكَنيسة» ـ بفتح الكاف والنون ـ: متعبَّد النصارىٰ.

■ قوله: «رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور»: لأن أم سلمة هاجرت مع زوجها أبي سلمة إلىٰ الحبشة، ثم رجعا إلىٰ مكة؛ فهاجرا منها إلىٰ المدينة، والحبشة دينُهم النصرانية وفيهم من أسلم.

■ قوله: «فقال: (**أولئكِ**)»: بكسر الكاف خطاب للمرأة.

■ قوله: «**إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح**»: هذا ـ واللَّه أعلم ـ شك من الراوي.

■ قوله: «**أولئك شرار الخلق عند اللَّه**»: ولم يذكر غير بناء المساجد والتصوير؛ لكونه ذريعةً إلىٰ عبادة من بَنَوا عليه المسجد، وصوروا صورته، فبذلك صاروا أشرارَ الخلق، فانظر إلىٰ ما وقع في هذه الأمة من ذرائع الشرك والوقوع فيه، مما هو أعظم من هذا، كالبناء علىٰ القبور، وتعظيمها وعبادتها، ومع ذلك يعتقدونه دينًا، وهو الشركُ الذي حرَّمه اللَّه، وأرسل الرسل وأنزل الكتب بالنهي عنه.

■ قوله: «فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل»: هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، لم يذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ؛ لأن ذلك معلوم عند من يقرأ هذا الكتاب.

■ قوله: «الخميصة»: كساء له أعلام، والشاهد للترجمة.

■ قوله ﷺ: «**لعنة اللَّه علىٰ اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»: فلَعَنهم ﷺ علىٰ تحري الصلاة عندها، وإن كان المصلي إنما يصلي للَّه، فمن كان يصلي عند القبور ويتخذها مساجد فهو ملعون؛ لأنه ذريعةٌ إلىٰ عبادتها؛ فكيف إذا عَبَد أهل القبور

والغائبين بأنواع العبادة، وسألهم ما لا قدرة لهم عليه؟ وهذا هو الغايةُ التي يكون اتخاذُ القبور مساجد ذريعةً إليها، واللعنةُ ليست مختصةً باليهود والنصارىٰ؛ بل تعمُّ مَن فَعَل فِعلَهم وما هو أعظم منه، وهذا هو الذي أراده ﷺ من لعنةِ اليهود والنصارىٰ علىٰ هذا الفعل تحذيرًا لأمته أن يفعلوا ما فعلته اليهود والنصارىٰ، فيقع بهم من اللعنة ما وقع بهم.

■ قوله: «ولولا ذلك»: أي: ما كان يحذِّر من اتخاذ قبر النبي ﷺ مسجدًا، «لأبرز قبره» مع قبور أصحابه بالبقيع.

■ قوله: «غير أنه خَشي أن يتخذ مسجدًا»: رُوي بفتح الخاء وضمها، فعلىٰ الفتح يكون هو الذي خشي ﷺ، وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه. وعلىٰ رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة فلم يُبرزوا قبره خشية أن يقع ذلك من بعض الأمة غلوًّا وتعظيمًا؛ لما أبدىٰ وأعاد من النهي والتحذير ولعن فاعله.

❑ قال القرطبي: «ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ؛ فأعلوا حيطان تربته، وسدوا المداخل إليها، وجعلوها مُحدِقةً بقبره ﷺ، خافوا أن يُتخذ موضع قبره قبلةً إذا كان مستقبل المصلين، فتُصوَّرُ الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من رُكني القبر الشماليين، وحَرَفُوهما حتىٰ التقيا علىٰ زاويةٍ مثلثة من ناحية الشمال؛ حتىٰ لا يتمكن أحد من استقبال قبره» اهـ.

قلت: فبذلك صان اللَّه قبره وقبل دعوته بقوله: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب اللَّه علىٰ قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم**

مساجد»[١].

■ قوله: «عن جُندب بن عبداللَّه»: أي ابن سفيان البجلي، وينسب إلىٰ جده، صحابي مشهور، مات بعد الستين.

▫ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «أما بناء المساجد علىٰ القبور فقد نَهىٰ عنه في آخر حياته، ثم إنه لَعَن - وهو في السياق - من فعله، والصلاة عندها من ذلك - وإن لم يُبنَ مسجد -، وهو معنىٰ قولها: «خشي أن يتخذ مسجدًا»؛ فإن الصحابة لم يكونوا ليبنُوا حول قبره مسجدًا. وكل موضع قُصد الصلاة فيه فقد اتُّخذ مسجدًا؛ بل كل موضع يُصلَّىٰ فيه يسمىٰ مسجدًا، كما قال: ﷺ «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»[٢].

فقد صرح عامةُ الطوائف بالنهي عنه للأحاديث الصحيحة، وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه».

▫ قال: «ولا ريب في القطع بتحريمه».

ثم ذكر الأحاديث في ذلك.

▫ إلىٰ أن قال: «وهذه المساجد المبنية علىٰ قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم تتعينُ إزالتُها بهدمٍ أو غيره، وهذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعروفين».

وقوله: «فقد نهىٰ عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن - وهو في السياق - من فعله. والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد. وهو معنىٰ قولها: «خشي أن يتخذ مسجدًا؛ فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

مسجدًا؛ بل كل موضع يصلىٰ فيه يسمىٰ مسجدًا كما قال ﷺ: (**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**)»: هذا ذكره شيخنا وهو من تقرير شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ تَعَالَىٰ علىٰ هذه الأحاديث.

■ قوله: «ولأحمد ـ بسندٍ جيد ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «**إن من شرار الناس من تُدركهم الساعةُ وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**». ورواه أبو حاتم في صحيحه»:

قلت: وقد وقع هذا في الأمة كثيرًا كما وقع في أهل الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ ـ كما لا يخفىٰ علىٰ ذَوِي البصائر ـ، وقد زاد هؤلاء المتأخرون من هذه الأمة علىٰ ما وقع من أهل الجاهلية من هذا الشرك بأمور:

منها: أنهم يخلصون عند الاضطرار لغير اللَّه، وينسون اللَّه.

ومنها: أنهم يعتقدون أن آلهتهم من الأموات يتصرفون في الكون دون اللَّه، وجمعوا بين نوعَي الشرك في الإلٰهية والربوبية، وقد سمعنا ذلك منهم مشافهةً، ومن ذلك قول ابن كمال ـ من أهل عمان وأمثاله ـ: «إن عبدالقادر الجَيْلاني يسمع من دعاه، ومع سماعه ينفع»! فزعم أنه يعلم الغيب وهو ميت؛ فلقد ذهب عقل هذا وضل، فكفر بما أنزله اللَّه في كتاب كقوله: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [فاطر]؛ فما صدَّقوا الخبير فيما أخبر به عن آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون اللَّه، ولا آمنوا بما أنزله اللَّه في كتابه؛ بل بالغوا وعاندوا في رده، وكذَّبوا وألحدوا، وكابروا المعقول والمنقول؛ فاللَّه المستعان.



فيه مسائل:

الأولى: ما ذَكَر الرسول ﷺ فيمن بنىٰ مسجدًا يُعبد اللَّه فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نيةُ الفاعل.

الثانية: النهيُ عن التماثيل، فإذا اجتمع الأمران تغلَّظ الأمر.

الثالثة: العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك؛ كيف بيَّن لهم هذا أولًا، ثم قبل موته بخمسٍ قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتفِ بما تقدم.

الرابعة: نهيُه عن فعله عند قبره قبلَ أن يوجد القبر.

الخامسة: أنه من سُنن اليهود والنصارىٰ في قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنُه إياهم علىٰ ذلك.

السابعة: أن مراده ﷺ تحذيرُه إيانا عن قبره.

الثامنة: العلَّة في عدم إبراز قبره.

التاسعة: في معنىٰ اتخاذها مسجدًا.

العاشرة: أنه قَرَن بين من اتخذها مساجد، وبين من تقوم عليه الساعة؛ فذكر الذريعة إلىٰ الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة: ذكر في خطبته قبل موته بخمس: الرد علىٰ الطائفتين اللتين هما شرار أهل البدع؛ بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقةً، وهم الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور؛ وهم أول من بنىٰ عليها المساجد.

الثانية عشرة: ما بُلي به ﷺ من شدة النَّزع.

الثالثة عشرة: ما أُكرم به ﷺ من الخُلَّة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلىٰ من المحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصِّدِّيق رضي الله عنه أفضل الصحابة رضي الله عنهم.

السادسة عشرة: الإشارة إلىٰ خلافته رضي الله عنه.

[٢١] باب: ما جاء أن الغلوَّ في قبور الصالحين يصيِّرُها أوثانًا تُعبد من دون الله

روىٰ مالك في «الموطأ»: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**اللهم لا تجعلْ قبري وثنًا يُعبد. اشتدَّ غضبُ اللَّه علىٰ قومٍ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد**»(١).

▫ ولابن جرير بسنده عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم]، قال: «كان يَلُتُّ لهم السَّويقَ، فمات، فعكفوا علىٰ قبره».

▫ وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس ﭭ: «كان يلُتُّ السَّويق للحاج».

▫ وعن ابن عباس ﭭ قال: «لعن رسولُ اللَّه ﷺ زائراتِ القبور، والمتخذينَ عليها المساجدَ والسُّرُج». رواه أهل السنن(٢).

الشرح

■ قوله: «باب: ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون اللَّه. روىٰ مالك في «الموطأ» أن رسول اللَّه ﷺ قال: (**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب اللَّه علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**)»: وذلك أنه ﷺ خاف أن يقع من أمته في حقه كما وقع من اليهود والنصارىٰ في حق أنبيائهم من عبادتهم من دون اللَّه، وسبب ذلك الغلوُّ فيهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) حسن: وقد تقدم.



لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ [المائدة]، وكذلك رَغِب ﷺ إلىٰ ربه ألَّا يجعل قبره وثنًا يعبد، وقد عُبدت القبور بأنواع العبادة ـ كما لا يخفىٰ ـ، وتقدم في حديث عائشة رضي الله عنها: «ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا»[1]، وقد استجاب اللَّه دعوة نبيه ﷺ، وصان قبره، وأحاطه بثلاثة جدران؛ كما قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

فأجاب ربُّ العالمين دعاءَه وأحاطه بثلاثةِ الجدرانِ

■ قوله: «ولابن جرير»: هو أبو جعفر بن جرير صاحب التفسير الكبير، وهو أجلُّ التفاسير وأحسنها، وهو من أئمة المسلمين المجتهدين، وله كتاب «الأحكام» رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

■ قوله: «كان يَلُتُّ لهم السويق، فمات فعكفوا علىٰ قبره»: فيه شاهد للترجمة؛ فإنهم غَلَوا فيه لأجل صلاحه، واتخذوه وثنًا بتعظيمه وعبادته، وصار من أكبر أوثان أهل الجاهلية.

■ قوله: «وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول اللَّه ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»: رواه أهل السنن»: هذا الحديث صحيح؛ صححه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، ويكفيك في الاحتجاج به رواية أهل السنن له، ولم يذكر أحد منهم له علة[2]، ولا معارض له.



(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) فيه نظرٌ، فطائفةٌ من أهل العلم ضعفوه.

✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير الأوثان.

الثانية: تفسير العبادة.

الثالثة: أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يَخاف وقوعه.

الرابعة: قرْنُه بهذا اتخاذَ قبور الأنبياء مساجد.

الخامسة: ذكر شدة الغضب من اللَّه.

السادسة ـ وهي من أهمها ـ: معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان.

السابعة: معرفة أنه قبرُ رجل صالح.

الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنىٰ التسمية.

التاسعة: لعنه زوَّارات القبور.

العاشرة: لعنه من أسرجها.



[٢٢] باب: ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جَنَابَ التوحيد، وسدِّه كلَّ طريق يوصِّل إلى الشرك

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتَكم قُبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغُني حيث كنتم**». رواه أبو داود بإسنادٍ حسن، ورواته ثقات[(١)].

وعن علي بن الحسين ﵄: أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فُرجةٍ كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها، فيدعو، فنهاه، وقال: أَلَا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي، عن جدي، عن رسول اللَّه ﷺ؟ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلُّوا عليَّ؛ فإن تسليمَكم يبلغُني أين كنتم**». رواه في «المختارة»[(٢)].

الشرح

■ قوله: «باب: ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلىٰ الشرك»: قد تقدم فيما سلف من الأبواب قبل هذا.

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾»: ووجه الدلالة بالآية أنه ﷺ يعزُّ عليه كلُّ ما يؤثِّم الأمة ويشق عليهم، وأعظم ما يؤثم الأمة ويشق عليهم الشركُ باللَّه قليلُه وكثيره، ووسائله، وما يقرُبُ منه من كبائر الذنوب، وقد بالغ ﷺ في النهي عن الشرك وأسبابه أعظم مبالغةٍ ـ كما لا يخفىٰ ـ، وقد كانت هذه حال أصحابه ﭫ في قطعهم الخيوطَ التي رُقي للمريض فيها ونحو ذلك من تعليق التمائم.

■ قوله: «عن أبي هريرة ﭬ قال: قال رسول اللَّه: ﷺ «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»: رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات»: قال الحافظ محمد بن عبدالهادي: «هو حديث حسن جيد الإسناد، وله شواهد يرتقي بها إلىٰ درجة الصحة».

نهاهم ﷺ أن يهجروا بيوتهم عن الصلاة فيها كما تُهجر القبور عن الصلاة إليها؛ مخافة الفتنة بها وما يفضي إلىٰ عبادتها من دون اللَّه؛ لأن النهي عن ذلك قد تقرر عندهم؛ فنهاهم أن يجعلوا بيوتهم كذلك.

قوله: «**ولا تجعلوا قبري عيدًا**»: فيه شاهد للترجمة.

▫ قال شيخ الإسلام: «العيد: اسم لما يعود من الاجتماع العام علىٰ وجهٍ معتاد، عائدًا إما بعَوْد السَّنة، أو بعَود الأسبوع، أو الشهر، أو نحو ذلك».

▫ وقال ابن القيم ﭭ: «العيد ما يُعتاد مجيئه وقصدُه من زمانٍ ومكان، مأخوذ من المعاودة والاعتياد، فإذا كان اسمًا للمكان

فهو الذي يُقصد فيه الاجتماع، وانتيابه للعبادة أو لغيرها، كما أن المسجد الحرام ومِنًىٰ ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها اللَّه عيدًا للحنفاء ومثابةً[1]، كما جعل أيام العيد فيها عيدًا. وكان للمشركين أعيادٌ زمانية ومكانية، فلما جاء اللَّه بالإسلام أبطلها، وعوَّض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منًىٰ، كما عوَّضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنًىٰ ومزدلفة وعرفة والمشاعر».

■ قوله: «وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما: أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجةٍ كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه...»: الحديث؛ هذا الحديث رواه أبو يعلىٰ والقاضي إسماعيل والحافظ الضياء في «المختارة».

▫ قال شيخ الإسلام: «فانظر هذه السُّنة؛ كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت الذين لهم من رسول اللَّه ﷺ قربُ النسب وقرب الدار؛ لأنهم إلىٰ ذلك أحوجُ من غيرهم فكانوا له أضبط». انتهىٰ.

■ قوله: «عن علي بن الحسين»: أي ابن علي بن أبي طالب المعروف بـ«زين العابدين» رضي الله عنهم، أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم. قال الزهري: «ما رأيت قرشيًّا أفضل منه»، مات سنة ثلاث وتسعين علىٰ الصحيح.

■ قوله: «أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة» ـ بضم الفاء وسكون الراء ـ: وهي الكُوَّة في الجدار، والخَوْخة ونحوهما.

■ قوله: «فيدخل فيها فيدعو فنهاه»: وهذا يدل علىٰ النهي عن

(١) **مثابةً**: يعودون إليها بين حينٍ وحين.

قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها.

▫ قال شيخ الإسلام: «ما علمت أحدًا رخص فيه؛ لأن ذلك نوعٌ من اتخاذه عيدًا، ويدل - أيضًا - علىٰ أن قَصْدَ القبر للسلام - إذا دخل ليصلِّي - منهيٌّ عنه؛ لأن ذلك لم يُشرع، وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل إنسانٌ المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ؛ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك. قال: «ولن يُصلِحَ آخرَ هذه الأمة إلا ما أصلح أولها». وكان الصحابة والتابعون ﭫ يأتون إلىٰ مسجد النبي ﷺ فيصلون، فإذا قضَوا الصلاة قعدوا أو خرجوا، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام؛ لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه عند دخول المسجد هو السنة، وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك، أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم؛ بل نهاهم عنه في قوله: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغني**»، فبين أن الصلاة تصلُ إليه من بُعدٍ، وكذلك السلام، ولَعَن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد، وكانت الحجرةُ في زمانهم يُدخل إليها من الباب لمَّا كانت عائشة ﭬ فيها، وبعد ذلك إلىٰ أن بُني الحائط الآخر، وهم مع ذلك التمكُّن من الوصول إلىٰ قبره لا يدخلون إليه لا لسلامٍ ولا لصلاة ولا لدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا لسؤال عن حديثٍ أو علم، ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتىٰ يُسمعهم كلامًا أو سلامًا؛ فيظنون أنه هو كلَّمهم وأفتاهم وبيَّن لهم الأحاديث، وأنه قد ردَّ عليهم السلام بصوتٍ يُسمع من خارج؛ كما طمع الشيطان في غيرهم فأضلهم عند قبره وقبر غيره؛ حتىٰ ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويحدثهم في الظاهر، وأنه يخرج من القبر، ويرونه خارجًا من القبر، ويظنون أن نفس أبدان الموتىٰ خرجت تكلمهم، وأن

أرواح الموتىٰ تجسدت لهم فرأوها.

والمقصود أن الصحابة رِضْوَانُ ٱللَّهِ عَلَيْهِمْ لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يَفعل مَن بعدهم مِن الخلوف.

قال سعيد بن منصور في «سننه»: حدثنا عبدالعزيز بن محمد: أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال: رآني الحسن بن علي بن الحسن ابن علي بن أبي طالب عند قبر النبي ﷺ؛ فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشىٰ، فقال: هلمَّ إلىٰ العشاء. قلت: لا أريده. قال: ما لي رأيتُك عند القبر؟ فقلت: سلمت علىٰ النبي ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجد فسلِّمْ، ثم قال لي: إن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا تتخذوا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم. لعن اللَّه اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء[1].

قلت: وهو ـ أيضًا ـ له قربُ النسب وقرب الدار؛ فنهىٰ عن المجيء إلىٰ القبر للدعاء عنده، فالمجيءُ إلىٰ القبر للسلام عليه وتحرِّي إجابة الدعاء ليس مما شرعه اللَّه ورسوله لهذه الأمة، ولو كان مشروعًا لما تركه الخلفاء والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان من سادات أهل البيت وأئمة التابعين، ولَمَا أنكروا علىٰ من فعله، وقولهم هو الحجة، وهو الذي

(١) **المرفوع صحيح**: رواه إسماعيل القاضي في «فضل الصلاة والسلام علىٰ النبي ﷺ» (٣٠) ـ بنحوه مع اختلاف ـ، ويشهد للمرفوع الحديث السابق، وانظر ـ لزامًا ـ: تحقيق «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٣٣٩ ـ تحقيق العلامة ناصر العقل).

دلت عليه الأحاديث ـ كحديث عائشة وحديث الباب وغيرهما ـ؛ لعلم السلف بما أراده النبي ﷺ بنهيه عن الغلوِّ، وخوفه مما وقع ممن غلا في الدين، واتبع غير سبيل المؤمنين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء].

ولمَّا حدث الشرك بأرباب القبور في هذه الأمة، وتعظيمها وعبادتها= صارت تشد الرحال إليها لقصد دعائها، والاستغاثة بها، وبذل نفيس المال تقربًا إليها وتعظيم سدنتها. فيا لها مصيبةً ما أعظمَها! نسأل اللَّه السلامة من هذا الشرك وما يقرِّب منه أو يوصل إليه.



فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده [ﷺ] أمته عن هذا الحمىٰ غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره علىٰ وجهٍ مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثُّه علىٰ النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقرَّرٌ عندهم أنه لا يصلَّىٰ في المقبرة.

الثامنة: تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بَعُد، فلا حاجة إلىٰ ما يتوهَّمُه من أراد القُرب.

التاسعة: كونه ﷺ في البرزخ تُعرض أعمال أمَّته في الصلاة والسلام عليه.



[٢٣] باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يَعبُد الأوثان

وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف].

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَتتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم، حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، حتىٰ لو دخلوا جُحرَ ضبٍّ لدخلتموه». قالوا: يا رسول اللَّه، اليهود والنصارىٰ؟ قال: «فمن؟». أخرجاه[(١)].

ولمسلم عن ثوبانَ رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن اللَّه زَوىٰ لي الأرض، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغُ مُلكُها ما زُوي لي منها. وأُعطِيتُ الكَنزينِ الأحمرَ والأبيض. وإني سألتُ ربي لأمتي ألَّا يُهلِكَها بسَنةٍ بعامةٍ، وألَّا يُسلِّطَ عليهم عدوًّا من سوىٰ أنفسهم؛ فيستبيحَ بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُردُّ، وإني أعطيتُك لأمتك ألَّا أُهلِكَهم بسَنةٍ عامة، وألَّا أُسلِّطَ عليهم عدوًّا من سوىٰ أنفسهم فيستبيحَ بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها، حتىٰ يكون بعضُهم يُهلِكُ بعضًا، ويَسبي بعضهم بعضًا»[(٢)].

ورواه البَرْقاني في «صحيحه»، وزاد: «وإنما أخافُ علىٰ أمتي

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.



الأئمةَ المضلين، وإذا وقع عليهم السيفُ لم يُرفع إلىٰ يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتىٰ يَلحقَ حيٌّ من أمتي بالمشركين، وحتىٰ تَعبد فئامٌ من أمتي الأوثان. وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون؛ كلُّهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتمُ النبيين ـ لا نبي بعدي ـ. ولا تزال طائفةٌ من أمتي علىٰ الحق منصورةً؛ لا يضرُّهم مَن خذلهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتيَ أمر اللَّه تبارك وتعالىٰ»[1].



الشرح

■ قوله: «باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان»: الوثن يطلق علىٰ كل من قُصد بنوع من أنواع العبادة من دون اللَّه؛ من صنم، أو قبر، أو غيره؛ لقول الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، مع قوله: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١﴾ [الشعراء].

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾»:

□ روىٰ ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: «جاء حُيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلىٰ أهل مكة؛ فقالوا: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم؛ فأخبرونا عنا وعن محمد، فقالوا: ما أنتم ومحمد؟ فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكَوْماء[2]، ونسقي الماء علىٰ اللبن، ونفك العُناة[3]، ونسقي الحجيج، ومحمد صُنْبُور[4] قطع أرحامنا،

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **الكوماء**: الناقة عظيمة السنام.

(٣) **العُناة**: الأسرىٰ.

(٤) **صنبور**: منقطع لا عقب له.

واتبعه سُرَّاقُ الحجيج من غفار، فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خيرٌ وأهدىٰ سبيلًا، فأنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ...﴾ إلىٰ قوله: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء](١).

■ وقوله: «﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠]» الآية:

▫ قال البغوي في «تفسيره»: «﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾، يعني قولهم: لم نر أهل دين أقل حظًّا في الدنيا والآخرة منكم، ولا دينًا شرًّا من دينكم، فذكر الجواب بلفظ الابتداء كقوله: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الحج: ٧٢].

وقوله: ﴿مَثُوبَةً﴾: ثوابًا وجزاءً؛ نصب علىٰ التفسير، ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾؛ فالقردة: أصحاب السبت، والخنازير: كفار مائدة عيسىٰ.

وعن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: «أن المسخين كلاهما من أصحاب السبت، فشبابهم مُسخوا قردة، ومشايخهم مُسخوا خنازير»، ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ أي: وجعل منهم مَن عبد الطاغوت، أي أطاع الشيطان فيما سَوَّل له».

▫ وفي «تفسير الطبري»: «قرأ حمزة: «وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ»؛ بضم الباء وجر التاء، وقرأ ابن عباس وابن مسعود وإبراهيم النخعي

---

(١) **ضعيف جدًّا**: رواه الطبري في «تفسيره» (٥/٨٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٧)، وعبد بن حُميد ـ كما في «العُجاب» (٢/٨٨٧) ـ، **وضعَّفه جدًّا** صاحبا «الاستيعاب في بيان الأسباب» (١/٤٠٩).

والأعمش وأبان بن تغلب: «وَعُبُدَ الطَّاغُوتِ»؛ بضم العين والباء وفتح الدال وخفض التاء».

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ مما تظنون بنا ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشارِك؛ كقوله: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٌ مُّسۡتَقَرًّا وَأَحۡسَنُ مَقِيلًا ٢٤﴾ [الفرقان]. قاله ابن كثير.

■ قوله: «عن أبي سعيد أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لتتبعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم؛ حذوَ القُذَّة بالقذة؛ حتىٰ لو دخلوا جُحرَ ضبٍّ لدخلتموه**»: قالوا: يا رسول اللَّه، اليهود والنصارىٰ؟ قال: «**فمن؟**» أخرجاه»: وهذا سياق مسلم، فبين ﷺ في هذا أن كل ما وقع من أهل الكتاب ـ مما ذمهم اللَّه به في هذه الآيات وغيرها ـ لابد أن يقع جميعه في هذه الأمة، وهو الشاهد للترجمة.

■ قوله: «**سَنن**» ـ بفتح المهملة ـ: أي طريق من كان قبلكم.

■ قوله: «**حذو القذة**»: بنصب «حذوَ» علىٰ المصدر، و«القذة» ـ بضم القاف ـ: واحدة القُذَذ، وهو ريش السهم، أي: لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوه، وتُشْبِهُوهم في ذلك كما تُشبِهُ قذةُ السهم القذةَ الأخرىٰ كما أخبر ﷺ.

▫ قال سفيان بن عيينة: «مَن فسد من علمائنا ففيه شبهٌ من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا ففيه شبه من النصارىٰ» انتهىٰ.

■ قوله: «عن ثوبان»: وهو مولىٰ النبي ﷺ، ولازمه، ونزل بعده الشام، ومات بحمص سنة أربع وخمسين.

■ قوله: «**زوىٰ لي الأرض**»:

▫ قال التوربشتي: «زويتُ الشيء: جمعتُه وقبضته، يريد تقريب البعيد منها حتىٰ اطلع عليه اطلاعه علىٰ القريب ﷺ. وحاصله أنه طَوَىٰ له الأرض، وجعلها مجموعةً كهيئة كفٍّ في مرآةٍ ينظره. قال الطيبي: جمعها لي حتىٰ أبصرت ما تَملكُه أمتي من أقصىٰ المشارق والمغارب منها».

■ قوله: «**وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها**»:

▫ قال القرطبي: «هذا الخبر وُجد مخبره كما قال، وكان ذلك من دلائل نبوته ﷺ؛ وذلك أن مُلكَ أمته اتسع إلىٰ أن بلغ أقصىٰ طنجة ـ بالنون والجيم ـ، الذي هو منتهىٰ عمارة المغرب، إلىٰ أقصىٰ المشرق مما وراء خراسان والنهر، وكثيرٌ من بلاد الهند والسند والصين، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال ولذلك لم يذكر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه أُرِيَه، ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه».

■ قوله: «**زوي لي منها**»: يحتمل أن يكون مبنيًّا للفاعل[1]، وأن يكون مبنيًّا للمفعول[2].

■ قوله: «**وأُعطيت الكنزين الأحمر والأبيض**»:

▫ قال القرطبي: «يعني به كنز كسرىٰ ـ وهو ملك الفرس ـ، وقيصر ـ وهو ملك الروم ـ، وقصورهما وبلادهما، وقد قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتُنفَقَنَّ كنوزهما في سبيل اللَّه**»[3]، وعبر بالأحمر عن كنز قيصر؛ لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز

(١) أي: بلفظ: «زَوَىٰ».
(٢) أي: بلفظ: «زُوِيَ».
(٣) رواه البخاري (٣١٢١)، ومسلم (٢٩١٩)، من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كسرىٰ؛ لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة، ووُجد ذلك في خلافة عمر».

■ قوله: «**وإني سألت ربي لأمتي ألَّا يُهلِكَها بسَنةٍ بعامة**»: هكذا ثبت في أصل المصنف بالباء، وهي رواية صحيحة في «صحيح مسلم»، وفي بعضها بحذفها.

▫ قال القرطبي: وكأنها زائدة؛ لأن «عامة» صفة «السنة».

والسَّنة: الجدب الذي يكون به الهلاك العام.

■ قوله: «**من سوىٰ أنفسهم**»: أي من غيرهم من الكفار من إهلاك بعضهم بعضًا، وسبي بعضهم بعضًا، كما هو مبسوط في التاريخ.

■ قوله: «**فيستبيح بيضتهم**»:

▫ قال الجوهري: «بيضة كل شيء: حوزته، وبيضة القوم: ساحتهم».

وعلىٰ هذا فيكون معنىٰ الحديث: أن اللَّه لا يسلط العدو علىٰ كافة المسلمين حتىٰ يستبيح جميعَ ما جازوه من البلاد والأرض، ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض وهي جوانبها.

وقيل: بيضتهم: معظمهم وجماعتهم وإن قلُّوا.

■ قوله: «**حتىٰ يكون بعضهم يُهلك بعضًا، ويَسبي بعضهم بعضًا**»: الظاهر أن «حتىٰ» هنا لانتهاء الغاية، أي أن أَمْرَ أمته ينتهي إلىٰ أن يكون بعضُهم يُهلك بعضًا.

■ قوله: «**وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُردُّ**»: هذا كما في الحديث: «**ولا رادَّ لما قضيت**»[(١)].

---

(١) صحيح: رواه عبدالرزاق (١٠/٤٤٠)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٤٦٢٧)، =

■ قوله: «ورواه البَرْقاني في صحيحه»: هو الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخُوارزمي الشافعي، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمئة، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمئة.

▫ قال الخطيب: «كان ثبتًا ورعًا، ولم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفًا بالفقه، كثير التصانيف، صنَّف مسندًا ضمَّنه ما اشتمل عليه الصحيحان، وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة».

■ قوله: «**وإنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين**»: أي الأمراء والعلماء والعُبَّاد؛ فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ١١٩﴾ [الأنعام]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٧١﴾ [الصافات]، وأمثال هذه الآيات كثير.

▫ وعن زياد بن حُدير قال: «قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدمه زلةُ العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين». رواه الدارمي.

■ قوله: «**وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلىٰ يوم القيامة**»: وقد وقع ذلك، وما زالت الأمة كذلك، نسأل اللَّه العافية في الدنيا والآخرة، وفيه ما هو حقٌّ؛ كقتال أهل التوحيد لأهل الشرك باللَّه، وجهادهم علىٰ تركهم الشرك(١)، وقد منَّ اللَّه بذلك علىٰ من أقامهم

= وعبد بن حميد (٣٩١)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/٣٨٦)، وفي «الدعاء» (٦٨٦)، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. **وصحَّحه** الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/٣١٣). وكذا محقق «الشعب» (٧/٤٩).

(١) أي: كي يتركوا الشرك. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

في آخر هذا الزمان بالدعوة إلىٰ توحيده، لكنَّ أهل الشرك بدؤوهم بالقتال، وأظهرهم اللَّه عليهم؛ كما لا يخفىٰ علىٰ من تدبر آيات هذا الدين في هذه الأزمنة.

▪ قوله: «**ولا تقوم الساعة حتىٰ يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين**»: الحي: واحد الأحياء، وهي القبائل، وفي رواية أبي داود: «**حتىٰ يلحق قبائلُ من أمتي بالمشركين**»(١).

▪ قوله: «**وحتىٰ تعبد فئام من أمتي الأوثان**»: والفئام مهموز: الجماعاتُ الكثيرة، قاله أبو السعادات. وهذا هو شاهد الترجمة.

وقد استحكمت الفتنةُ بعبادة الأوثان؛ حتىٰ إنه لا يُعرف أحد في هذه القرون المتأخرة أنكر ما وقع من ذلك، حتىٰ أقام اللَّه شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ الذي أنكره ونهىٰ عنه، ودعا الناس إلىٰ تَرْكه، وإلىٰ أن يعبدوا اللَّه تعالىٰ وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فرماه الملوكُ وأتباعهم بقَوس العداوة، فأظهره اللَّه بالحجة، وأعز أنصاره علىٰ من ناوأهم، وبلغتْ دعوتُه مشارق الأرض ومغاربها، ولكن من الناس مَن عَرف، ومنهم من أنكر، فانتفع بدعوته الكثير من أهل نجد والحجاز وعمان وغيرها، فللَّه الحمد علىٰ هذه النعمة العظيمة؛ جعلنا اللَّه [لها] شاكرين.

▪ قوله: «**وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون؛ كلهم يزعم أنه نبي**»:

▫ قال القرطبي: «قد جاء عددهم معينًا في حديث حذيفة قال:

---

(١) ورد بعدها في المطبوع كلمتا: «وكم؟! وكم؟!». ولم أتبينها.

قال رسول اللَّه ﷺ «**يكون في أمتي كذابون دجالون سبع وعشرون؛ منهم أربع نسوة**»: أخرجه أبو نعيم، وقال: هذا حديث غريب[(١)]، وحديث ثوبان أصح من هذا».

▫ قال القاضي عياض: «عُدَّ من تنبأ من زمن رسول اللَّه ﷺ إلىٰ الآن ـ ممن اشتهر بذلك وعُرف، واتبعه جماعة علىٰ ضلالته ـ؛ فوجد هذا العدد فيهم، ومن طالع كتب الأخبار والتاريخ عرف صحة هذا، وآخرهم الدجال الأكبر»[(٢)].

■ قوله: «**وأنا خاتم النبيين**»: قال الحسن: «الخاتم الذي خُتم به»، يعني أنه آخر النبيين، كما قال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وإنما ينزل عيسىٰ عليه السلام في آخر الزمان حاكمًا بشريعة محمد ﷺ، مصليًا إلىٰ قبلته؛ فهو كآحاد أمته؛ بل هو أفضل هذه الأمة.

■ قوله: «**ولا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق منصورة؛ لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم**»:

▫ قال النووي: «يجوز أن تكون الطائفة جماعةً متعددةً من أنواع المؤمنين؛ ما بين شجاع، وبصير بالحرب، وفقيه، ومحدِّث، ومفسر،

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣٩٦/٥)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (١٧٩/٤)، والبزار (٢٨٨٨)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٢٩٥٣)، والطبراني في «الكبير» (٣٠٢٦)، وفي «الأوسط» (٥٤٤٦)، **وجوَّده** الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨٧/١٣)، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٨٠/٣٨).

(٢) وقد جمع الشيخ سيد بن حسين العفاني الكثير من المتنبئين في كتابه الطيب: «وا محمداه»؛ فراجعه ـ مشكورًا ـ.

وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد، وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد؛ بل يجوز اجتماعهم في قُطر واحد، وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في بلدٍ واحد، وأن يكونوا في بعضٍ دون بعض منه، ويجوز إخلاء الأرض منهم أولًا فأولًا، إلىٰ ألَّا يبقىٰ إلا فرقةٌ واحدةٌ ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر اللَّه». انتهىٰ ملخصًا مع زيادة فيه. قاله الحافظ.

▫ قال المصنف: «وفيه الآية العظيمة: أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، والبشارة بأن الحق لا يزول بالكلية».

■ قوله: «**حتىٰ يأتي أمر اللَّه**»: الظاهر أن المراد به ما رُوي من قبض من بقي من المؤمنين بالريح الطيبة، ووقوع الآيات العظام، ثم لا يبقىٰ إلا شرار الناس.

■ وقوله: «تبارك وتعالىٰ»:

▫ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البركة هي فَعلة، والفعل منها «بارك»، ويتعدىٰ بنفسه تارةً، وبأداة «علىٰ» تارة، وبأداة «في» تارة. والمفعول منها «مبارك»، وهو ما جُعل منها كذلك؛ فكان مباركًا بجعله تعالىٰ.

والنوع الثاني: بركة تضاف إليه إضافةَ الرحمة والعزة، والفعل منها «تبارك»، ولهذا لا يقال لغيره ذلك، ولا يصح إلا له عَزَّ وَجَلَّ؛ فهو سبحانه المتبارك، وعبده ورسوله المبارك.

وأما صفته «تبارك» فمختصةٌ به؛ كما أطلقها علىٰ نفسه في قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك]؛ أفلا تراها كيف اطردت في القرآن، جاريةً

عليه، مختصةً به؛ لا تطلق علىٰ غيره، وجاءت علىٰ بناء السعة والمبالغة كـ«تعالىٰ وتعاظم» ونحوه! فجاء بناء «تبارك» علىٰ بناء «تعالىٰ»؛ الذي هو دال علىٰ كمال العلو ونهايته، فكذلك «تبارك» دال علىٰ كمال بركته وعظمتها وسعتها، وهذا معنىٰ قول من قال من السلف: (تبارك: تعاظم). وقال ابن عباس: (جاء بكل بركة)».



✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

الرابعة ـ وهي من أهمها ـ: ما معنىٰ الإيمان بالجبت والطاغوت؟ هل هو اعتقاد قلبٍ، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟

الخامسة: قولهم: إن الكفار ـ الذين يعرفون كفرهم ـ أهدىٰ سبيلًا من المؤمنين.

السادسة ـ وهي المقصودة بالترجمة ـ: أن هذا لابد أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد.

السابعة: التصريح بوقوعها ـ أعني عبادة الأوثان ـ في هذه الأمة في جموعٍ كثيرة.

الثامنة: العجب العجاب: خروج من يدعي النبوة، مثل المختار، مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحه أنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق. وفيه: أن محمدًا خاتم النبيين، ومع هذا يُصدَّق في هذا كله مع التضاد الواضح! وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة، وتبعه فئامٌ كثيرة.

التاسعة: البشارة بأن الحقَّ لا يزول بالكلية كما زال فيما مضىٰ؛ بل لا تزال عليه طائفة.

العاشرة: الآية العظمىٰ: أنهم مع قلَّتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أن ذلك الشَّرطَ إلىٰ قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيهن من الآيات العظيمة:

- منها: إخباره بأن اللَّه زوىٰ له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنىٰ ذلك، فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال.
- وإخباره بأنه أُعطي الكَنْزين.
- وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين.
- وإخباره بأنه مُنع الثالثة.
- وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يُرفع إذا وقع.
- وإخباره بإهلاك بعضهم بعضًا، وسَبْي بعضهم بعضًا.
- وخوفه علىٰ أمته من الأئمة المضلين.
- وإخباره بظهور المتنبِّئين في هذه الأمة.
- وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة.

وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدةٍ منها من أبعد ما يكون في العقول.

الثالثة عشرة: حصرُ الخوف علىٰ أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة: التنبيه علىٰ معنىٰ عبادة الأوثان.



[٢٤] باب: ما جاء في السِّحر

وقولِ اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

- قال عمر: «الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان».
- وقال جابر: «الطواغيت كهانٌ كان يَنزل عليهم الشيطانُ، في كل حيٍّ واحد».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**». قالوا: يا رسول اللَّه، وما هن؟ قال: **الشركُ باللَّه، والسحرُ، وقتلُ النفس التي حرَّم اللَّه إلا بالحق، وأكلُ الربا، وأكلُ مال اليتيم، والتولِّي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[(١)].

وعن جُندب مرفوعًا: «**حدُّ الساحر ضربُه بالسيف**». رواه الترمذي، وقال: «الصحيح أنه موقوف»[(٢)].

- وفي «صحيح البخاري» عن بَجَالةَ بنِ عَبْدةَ قال: «كتب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر».
- وصحَّ عن حفصة رضي الله عنها: «أنها أَمرت بقتل جاريةٍ لها سحرتها، فقُتلت».
- وكذلك صح عن جندب رضي الله عنه.

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **ضعيف**: وقد تقدم.

▫ قال أحمد: «عن ثلاثةٍ من أصحاب النبي ﷺ».



■ قوله: «باب: ما جاء في السحر»: أي والكهانة.

السحر في اللغة: عبارة عما خفي ولطُف سببه، ولهذا جاء في الحديث: «**إن من البيان لسحرًا**»[1]، وهذا من التشبيه البليغ؛ شبَّهه بالسحر لكونه بالبيان يحصل منه ما يحصل من السحر.

▫ قال أبو محمد المقدسي في «الكافي»: «السحر عزائم ورقًىٰ، ومنه ما يؤثر في القلوب والأبدان، فيُمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، قال تعالىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق]: يعني السواحر اللاتي ينفثن في سحرهن».

ولولا أن للسحر حقيقةً لم يأمر بالاستعاذة منه، واختلفوا هل يكفر الساحر أو لا؟ فذهب طائفةٌ من السلف إلىٰ أنه يكفر، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد، قال أصحابه: إلا أن يكون سحرُه بأدويةٍ وتدخين وسقيِ شيءٍ يضر فلا يكفر.

ومما يدل علىٰ أنه كفر: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

■ وقوله: «﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾: قال عمر: الجبت: السحر. والطاغوت: الشيطان»: وتقدم كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في حد «الطاغوت»، وأن له أفرادًا؛ منها عبادة غير اللَّه، فالمعبود طاغوت

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

ـ كما دلت عليه الآيات ـ، ومنهم الكهان، ومن يحكم بغير الحق، أو يأمر بما يخالف الحق، أو يرضىٰ به، وغير ذلك.

■ قوله: «الطواغيت كهان»: أراد أن الكهان من الطواغيت.

■ قوله: «كان ينزل عليهم الشيطان»: أراد الجنس لا الشيطان الذي هو إبليس خاصةً؛ بل تنزل عليهم الشياطين، ويخاطبونهم، ويخبرونهم بما يستَرِقُونه من السمع؛ فيَصدُقون مرةً، ويكذبون مئةً.

■ قوله: «وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **(اجتنبوا السبع الموبقات)**. قالوا: يا رسول اللَّه، وما هن؟ قال: **(الشرك باللَّه، والسحر، وقتل النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات)**»: كذا أورده المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ غير معزو، وقد رواه البخاري ومسلم.

«**اجتنبوا**»: أي: ابعدوا، وهو أبلغ من قوله: دعوا أو اتركوا؛ لأن النهي عن القربان أبلغ؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

■ قوله: «**الموبقات**» ـ بموحدة وقاف ـ: أي المهلكات، وسميت هذه موبقات لأنها تُهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب.

وفي حديث ابن عمر عند البخاري في «الأدب المفرد» مرفوعًا قال: «**الكبائر تسع...**»، وذكر السبعة المذكورة: «**والإلحاد في**

الحرم، وعقوق الوالدين»[(١)].

■ قوله: «**الشرك بالله**»: هو أن يجعل لله ندًّا يدعوه أو يرجوه كما يرجو الله.

▫ قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

والشرك فاحذره فشركٌ ظاهر	**ذا القِسمُ ليس بقابلِ الغُفرانِ**
وهو اتخاذُ الند للرحمٰن أيًّا	**كان من حجرٍ ومن إنسانِ**
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه	**ويحبه كمحبة الديانِ**

وبدأ به لأنه أعظم ذنب عُصي الله به؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان] «والسحر» تقدم تعريفه.

■ قوله: «**وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق**»: أي نفس المسلم المعصوم، وقتل المعاهَد كما في الحديث: «**من قتل معاهدًا لم يَرَحْ رائحة الجنة**»[(٢)].

وذهب ابن عباس وأبو هريرة إلىٰ أنه لا توبة لمن قتل مؤمنًا متعمدًا.

وذهب جمهور الأمة ـ سلفًا وخلفًا ـ إلىٰ أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله، فإن تاب وأناب وعمل صالحًا بدَّل الله سيئاته حسنات؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ

---

(١) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٨)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٩٢٥)، وابن الجعد (٣٣٠٣)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٥٧٣/٣)، والطبري في «تهذيب الآثار» (٣١٤)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الأدب المفرد»، وفي «الصحيحة» (٢٨٩٨).

(٢) رواه البخاري (٣١٦٦)، من حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۝٦٨﴾، إلىٰ قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٧٠﴾ [الفرقان].

■ قوله: «**وأكل الربا**»: أي: تناوله بأي وجه، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] الآيات.

□ قال ابن دقيق العيد: «وهو يجر لسوء الخاتمة نعوذ باللَّه من ذلك».

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٣٠﴾ [آل عمران].

وفي الحديث: «**الربا نيِّف وسبعون حُوبًا**(١)؛ **أيسرها مثل أن ينكح الرجلُ أمَّه**»(٢).

■ قوله: «**وأكل مال اليتيم**»: يعني التعدي فيه، وعبَّر بالأكل لأنه أعم وجوه الانتفاع؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ۝١٠﴾ [النساء].

■ قوله: «**والتولِّي يوم الزحف**»: أي الإدبار عن الكفار وقت التحام

---

(١) **الحُوب**: الذنب.

(٢) **ضعيف**: رواه البيهقي في «الشُّعَب» (٦٤٨٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وعزاه الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/٥٠٣) لابن أبي الدنيا والطبراني ـ أيضًا ـ، **وضعَّفه** ـ مصدِّرًا إياه بصيغة التمريض ـ، **وضعَّفه** ـ كذلك ـ الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (١٦٧٨)، **وحسَّنه** محقق «شعب الإيمان» (٩/٨٢) لشواهده، فاللَّه أعلم.

القتال؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال].

■ قوله: «**وقذف المحصَنات الغافلات المؤمنات**» ـ وهو بفتح الصاد ـ: المحفوظات من الزنا، وبكسرها: الحافظات فروجهن منه، والمراد الحرائر العفيفات. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ...﴾ [النور: ٢٣] الآية.

■ قوله: «عن جندب»: رواه الطبراني في ترجمة جندب بن عبداللَّه البجلي.

□ قال الحافظ: «والصواب أنه غيره، وقد رواه ابن قانع والحسن ابن سفيان من وجهين، عن الحسن، عن جندب الخير: «أنه جاء إلىٰ ساحر فضربه بالسيف حتىٰ مات»، وقال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: ... فذكره».

■ قوله: «حد الساحر ضربه بالسيف»: روي بالهاء وبالتاء، وكلاهما صحيح.

وبهذا الحديث أخذ أحمد ومالك وأبو حنيفة؛ فقالوا: يقتل الساحر. وروي ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب ابن عبداللَّه، وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبدالعزيز.

ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر إلا إن عَمِل في سحر ما يبلغ الكفر به. قال ابن المنذر: وهو رواية عن أحمد.

والأول أولىٰ للحديث والأثر عن عمر، وعمل به الناس في

خلافته من غير نكير.

■ قوله: «وفي صحيح البخاري عن بَجَالة بن عبدة قال: كتب عمر: «أن اقتلوا كل ساحرٍ وساحرة». فقتلنا ثلاث سواحر»: هذا الأثر رواه البخاري ـ كما قال المصنف ـ، لكن لم يذكر قتل السواحر.

■ قوله: «عن بَجَالة» ـ بفتح الموحدة بعدها جيم ـ «ابن عَبَدة» ـ بفتحتين ـ التميمي العنبري بصري ثقة.

■ قوله: «كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة»: وظاهره أنه يقتل من غير استتابة، وهو كذلك علىٰ المشهور عن أحمد، وبه قال مالك؛ لأن علم السحر لا يزول بالتوبة.

وعن أحمد: يستتاب، فإن تاب قبلت توبته؛ وبه قال الشافعي؛ لأن ذنبه لا يزيد علىٰ الشرك، والمشرك يستتاب وتقبل توبته، ولذلك صح إيمانُ سحرةِ فرعون وتوبتهم.

■ قوله: «وصح عن حفصة رضي الله عنها: أنها أَمرت بقتل جاريةٍ لها سحرتها فقتلت»: هذا الأثر رواه مالك في «الموطأ»، وحفصة هي أم المؤمنين بنت عمر بن الخطاب، تزوجها النبي ﷺ بعد خنيس بن حذافة، وماتت سنة خمس وأربعين.

■ وقوله: «وكذا صح عن جندب»: أشار المصنف بهذا إلىٰ قتل الساحر، كما رواه البخاري في «تاريخه» عن أبي عثمان النهدي قال: «كان عند الوليد رجل يلعب، فذبح إنسانًا، وأبان رأسه، فعجبنا، فأعاد رأسه، فجاء جندبٌ الأزدي فقتله».

ورواه البيهقي في «الدلائل» مطولًا، وفيه: «فأمر به الوليد

فسجن...» فذكر القصة بتمامها، ولها طرق كثيرة.

■ قوله: «قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ»: أحمد هو الإمام أحمد بن حنبل، أي: صح قَتلُ الساحرِ عن ثلاثةٍ.



فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء.

الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما.

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

السادسة: أن الساحر يَكفُر.

السابعة: أنه يُقتل ولا يستتاب.

الثامنة: وجود هذا في المسلمين علىٰ عهد عمر، فكيف بعده؟



[٢٥] باب: بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قَطَنُ بن قَبيصة، عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال: «**إن العيافةَ والطَّرْقَ والطِّيَرةَ من الجِبْت**»[١].

▫ قال عوف: «العيافة: زجر الطير. والطَّرْق: الخط يُخَطُّ بالأرض».

والجبت:

▫ قال الحسن: «رنة الشيطان». إسناده جيد.

ولأبي داود والنسائي وابن حبان في «صحيحه» المسندُ منه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَن اقتبس شعبةً من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السِّحر، زاد ما زاد**». رواه أبو داود، وإسناده صحيح[٢].

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**مَن عَقَد عقدةً ثم نفث فيها فقد سَحَر، ومَن سحر فقد أشرك. ومن تعلَّق شيئًا وُكل إليه**»[٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أَلَا هل أنبِّئُكم ما العَضْهُ؟ هي النميمةُ، القالةُ بين الناس**». رواه مسلم[٤].

---

(١) حسن ـ إن شاء اللَّه ـ: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) ضعيف: وقد تقدم.

(٤) صحيح: وقد تقدم.

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن من البيان لَسِحرًا»(١).



■ قوله: «قال أحمد»: هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل.

■ و«محمد»: هو ابن جعفر المشهور بـ«غُندَر» الهذلي البصري، ثقة مشهور، مات سنة ست ومئتين.

■ و«عوف»: هو ابن أبي جَميلة ـ بفتح الجيم ـ العبدي البصري المعروف بـ«عوف الأعرابي»؛ ثقة، مات سنة ست أو سبع وأربعين، وله ست وثمانون سنة.

■ و«حيان بن العلاء»: ـ بالتحتية ـ، ويقال: حيان بن مخارق، أبو العلاء البصري مقبول.

■ و«قَطَن» ـ بفتحتين ـ: أبو سهلة البصري صدوق.

■ قوله: «عن أبيه»: هو قَبيصة ـ بفتح أوله ـ ابن مُخارق ـ بضم الميم ـ، أبو عبداللَّه الهلالي صحابي نزل البصرة.

■ قوله: «(**إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت**). قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض»: والطيرة: التفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وهو من عادة العرب، وكثير في أشعارهم؛ يقال: عاف يعيف: إذا زجر وحدس وظن.

■ قوله: «والطرق: الخط يخط بالأرض»: هكذا فسره عوف وهو كذلك.

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

▫ قال أبو السعادات: «هو الضرب بالحصىٰ الذي يفعله النساء».

■ قوله: «والجبت»: أي السحر.

■ قوله: «قال الحسن: رنة الشيطان».

▫ قلت: ذكر إبراهيم بن محمد بن مفلح: أن في «تفسير بقي بن مخلد»: «أن إبليس رن أربع رنات[1]: رنة حين لُعن، ورنة حين أُهبط، ورنة حين ولد رسول اللَّه ﷺ، ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب».

▫ وروىٰ الحافظ الضياء في «المختارة»: «الرنين: الصوت».

وقد رن يرن رنينًا، وبهذا يظهر معنىٰ قول الحسن رضي الله عنه.

■ قوله: «وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من اقتبس شعبةً من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السحر؛ زاد ما زاد**». رواه أبو داود بإسناد صحيح»: ولذا صححه النووي والذهبي، ورواه أحمد وابن ماجه.

■ قوله: «**من اقتبس**»: قال أبو السعادات: قبست العلم وأقبست إذا علمته. انتهىٰ.

■ قوله: «شعبة»: أي: طائفة. ومنه الحديث: «**الحياء شعبةٌ من الإيمان**»[2]، أي جزء منه.

■ قوله: «**فقد اقتبس شعبةً من السحر**»: المحرم تعلُّمه.

▫ قال شيخ الإسلام: «فقد صرح رسول اللَّه ﷺ بأن علم النجوم

---

(١) **الرنَّة**: الصرخة.

(٢) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من السحر، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [طه]».

■ قوله: «**زاد ما زاد**»: أي كلما زاد من تعلم النجوم زاد في السحر، وفي الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شُعَبه؛ فإن ما يعتقدونه في النجوم من التأثير باطل، كما أن تأثير السحر باطل. واللَّه أعلم.

■ قوله: «وللنسائي من حديث أبي هريرة: (**من عقد عقدةً ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئًا وكل إليه**)»: هذا الحديث ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من حديث أبي هريرة، وعزاه للنسائي، وقد رواه النسائي مرفوعًا، وحسنه ابن مفلح.

■ قوله: «وللنسائي»: هو الإمام الحافظ أحمد بن شعيب بن علي ابن سِنان بن بحر بن دينار، أبو عبدالرَّحمٰن، صاحب «السنن الكبرىٰ» و«المجتبىٰ»[1] وغيرهما، روىٰ عن محمد بن المثنىٰ، وابن بشار، وقتيبة، وخلق، وكان إليه المنتهىٰ في العلم بعلل الحديث، مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمئة، وله ثمانون سنة.

■ قوله: «**من عقد عقدةً ثم نفث فيها فقد سحر**»: قال تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق]؛ يعني السواحر اللاتي يفعلن ذلك، والنفثُ هو دون التَّفْل.

■ وقوله: «**ومن تعلق شيئًا وُكل إليه**»: أي من علَّق قلبه بشيء - بحيث يرجوه ويخافه - وكله اللَّه إلىٰ ذلك الشيء، ومن قصر تعلقه علىٰ اللَّه وحده كفاه ووقاه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى

---

(١) «المجتبىٰ» جمعه الإمام ابن السني تلميذ النسائي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، واختصره من كتاب شيخه «السنن الكبرىٰ».

ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة]، ومن تعلق قلبه بغير اللَّه في رجاءِ نفع أو دفع ضر فقد أشرك.

■ قوله: «**ألا أنبئكم ما العَضْهُ؟**»: بفتح المهملة وسكون المعجمة. ثم فسرها بقوله: «**هي النميمة، القالة بين الناس**»، فأطلق عليها العضه؛ لأن النمام يعمل عملَ الساحر.

▫ وذكر ابن عبدالبر عن يحيىٰ بن أبي كثير قال: «يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يُفسد الساحر في سنة».

▫ وقال أبو الخطاب في «عيون المسائل»: «ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس».

▫ قال ابن حزم: «واتفقوا علىٰ تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة. وفيه دليل علىٰ أنها من الكبائر».

■ قوله: «**القالة بين الناس**»، ومنه الحديث: «ففشت القالة بين الناس». أي: كثرة القول وإيقاع الخصومة.

■ قوله: «ولهما عن ابن عمر أن رسول اللَّه ﷺ قال: (**إن من البيان لسحرًا**)»: البيان: الفصاحة والبلاغة.

▫ قال ابن عبدالبر: «تأوله طائفة علىٰ الذم؛ لأن السحر مذموم. وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب إلىٰ أنه علىٰ المدح؛ لأن اللَّه تعالىٰ مدح البيان».

▫ قال: «وقال عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ـ لرجل سأله عن حاجةٍ، فأحسن المسألة، فأعجبه قوله ـ: هذا واللَّهِ السحر الحلال» انتهىٰ.

والأول أصح، والمراد به البيان الذي فيه تمويهٌ علىٰ السامع وتلبيس؛ كما قال بعضهم:

في زخرف القول تزيينٌ لباطله والحقُّ قد يعتريه سوءُ تعبيرِ

مأخوذ من قول الآخر:

تقول هذا مُجاجُ النحلِ تمدحُه وإن تشا قلتَ: ذا قَيءُ الزنابيرِ[(١)]

مدحًا وذمًّا وما جاوزتَ وصفهما والحقُّ يعتريه سوءُ تعبيرِ

■ قوله: «**إن من البيان لسحرًا**»: هذا من التشبيه البليغ؛ لكون ذلك يعمل عمل السحر؛ فيجعل الحق في قالب الباطل، والباطلَ في قالب الحق؛ فيستميل به قلوب الجهال حتىٰ يَقبل الباطل وينكر الحق.

وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره، ويبطل الباطل ويبينه = فهذا هو الممدوح، وهكذا حال الرسل وأتباعهم؛ ولهذا علت مراتبهم في الفضائل، وعظمت حسناتهم.



(١) **المُجاج**: ما يُطرد من الفم. **الزنابير**: حشرة تُشبه النحل.

فيه مسائل:

الأولى: أن العيافة والطَّرْق والطيرة من الجبت.

الثانية: تفسير العيافة والطرق.

الثالثة: أن علم النجوم من أنواع السحر.

الرابعة: أن العَقْد مع النفث من ذلك.

الخامسة: أن النميمة من ذلك.

السادسة: أن من ذلك بعضَ الفصاحة.

[٢٦] باب: ما جاء في الكهان ونحوهم

روىٰ مسلم في «صحيحه» عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **«مَن أتىٰ عرَّافًا، فسأله عن شيءٍ فصدَّقه، لم تُقبل له صلاةٌ أربعين يومًا»**[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«مَن أتىٰ كاهنًا؛ فصدَّقه بما يقول، فقد كَفر بما أُنزل علىٰ محمد ﷺ»**. رواه أبو داود[(٢)].

وللأربعة والحاكم ـ وقال: صحيح علىٰ شرطهما ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه: **«من أتىٰ عرافًا أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كَفر بما أُنزل علىٰ محمد ﷺ»**[(٣)].

ولأبي يعلىٰ ـ بسندٍ جيدٍ ـ عن ابن مسعود مثله موقوفًا.

وعن عِمران بن حُصين رضي الله عنه مرفوعًا: **«ليس منَّا مَن تَطيَّر أو تُطيِّر له، أو تَكهَّن أو تُكهِّن له، أو سَحر أو سُحر له. ومن أتىٰ كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمد ﷺ»**. رواه البزار بإسناد جيد[(٤)].

ورواه الطبراني في «الأوسط» بإسنادٍ حسن من حديث ابن عباس دون قوله: **«ومن أتىٰ...»** إلىٰ آخره[(٥)].

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

(٥) **صحيح**: وقد تقدم.

▫ قال البغوي: «العرَّاف: الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدماتٍ يَستدلُّ بها علىٰ المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك. وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيَّبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عما في الضمير».

▫ وقال أبو العباس بن تيمية: «العراف: اسم للكاهن والمنجِّم والرمَّال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرُق».

▫ وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ في قوم يكتبون أبا جاد، وينظرون في النجوم ـ: «ما أُرَىٰ مَن فَعل ذلك له عند اللَّه من خلاق».

الشرح

■ قوله: «باب: ما جاء في الكهان ونحوهم»: الكاهن هو الذي يأخذ عن مسترِقِ السمع، وكانوا قبلَ المبعث كثيرًا، وأما بعد المبعث فإنهم قلُّوا؛ لأن اللَّه حرس السماء بالشهب، وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجنُّ مواليَهم من الإنس عن الأشياء الغائبة مما يقع في الأرض من الأخبار، فيظنه الجاهلُ كشفًا وكرامةً، وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون ذلك المخبِرَ لهم عن الجن وليًّا للَّه، وهو من أولياء الشيطان؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨] الآية.

■ قوله: «عن بعض أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: هي حفصة، ذكره أبو مسعود الثقفي؛ لأنه ذكر هذا الحديث في «الأطراف» في مسندها.

▫ قال البغوي: «العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها علىٰ المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير».

▫ وقال شيخ الإسلام: «العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمَّال ونحوهم».

▫ وقال ـ أيضًا ـ: «والمنجم يدخل في اسم العرَّاف».

▫ وقال ابن القيم: «من اشتُهر بإحسان الزجر عندهم سمَّوه عائفًا وعرافًا».

▪ قوله: «**لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**»:

▫ قال النووي وغيره ما معناه: «إنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجزئةً بسقوط الفرض عنه. ولابد من هذا التأويل في هذا الحديث؛ فإن العلماء متفقون علىٰ أنه لا يلزم من أتىٰ العراف إعادةُ صلاة أربعين ليلةً». انتهىٰ ملخصًا.

▪ قوله: «وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من أتىٰ كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ**»: رواه أبو داود»: وفي رواية أبي داود: «**أو امرأة** ـ قال مسدد: **امرأته** ـ **حائضًا، أو أتىٰ امرأة** ـ قال مسدد: **امرأته** ـ **في دبرها= فقد برئ مما أنزل علىٰ محمد ﷺ**».

▪ قوله: «وللأربعة والحاكم ـ وقال: صحيح علىٰ شرطهما ـ عن ...: «**من أتىٰ عرافًا أو كاهنًا، فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ**»: هكذا بيَّض المصنف لاسم الراوي، وقد رواه أحمد

والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعًا.

■ قوله: «**من أتىٰ كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ**»:

▫ قال القرطبي: «المراد بـ«المُنزَّل»: الكتاب والسنة».

■ قوله: «ولأبي يعلي بسندٍ جيد عن ابن مسعود مثله مرفوعًا»: أبو يعلىٰ اسمه: أحمد بن علي بن المثنىٰ الموصلي، الإمام صاحب التصانيف كالمسند وغيره. روىٰ عن يحيىٰ بن معين، وأبي خيثمة، وأبي بكر بن أبي شيبة وخلق، وكان من الأئمة الحفاظ، مات سنة سبع وثلاثمئة.

وهذا الأثر رواه البزار ـ أيضًا ـ، ولفظه: «**من أتىٰ كاهنًا أو ساحرًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ**».

وفي هذه الأحاديث التصريح بكفره.

■ قوله: «**ليس منا**»: دليل علىٰ نفي الإيمان الواجب، وهو لا ينافي ما تقدم من أن الطيرة شرك والكهانة كفر.

■ قوله: «رواه البزار»: هو أحمد بن عمرو بن عبدالخالق أبو بكر البزار البصري، صاحب «المسند الكبير»، روىٰ عن ابن بشار، وابن المثنىٰ، وخلق. مات سنة اثنتين وتسعين ومئتين.

■ قوله: «قال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: ما أرىٰ من فعل ذلك له عند اللَّه من خلاق»: هذا الأثر رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعًا، وإسناده ضعيف[(١)].

---

(١) موضوع: رواه الطبراني في «الكبير» (١١/٤٨)، وابن الأعرابي في =

■ قوله: «ما أَرىٰ»: يجوز فتح الهمزة بمعنىٰ: لا أعلم، ويجوز ضمها بمعنىٰ: لا أظن. وكتابة أبي جاد وتعلُّمُها لمن يدعي بها علم الغيب هو الذي يسمىٰ علم الحروف، وهو الذي فيه الوعيد، وأما تعلمها للتهجي وحساب الجمَّل فلا بأس به.

■ قوله: «وينظرون في النجوم»: أي ويعتقدون أن لها تأثيرًا في باب التنجيم. وفيه الحذر من كل علم لا تُعلم صحته من كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، وقد ورد النهي عنها، والتحذير من قرب أهلها وسؤالهم وتصديقهم فيما أخبروا به من باطلهم، فما أكثر من يغتر بهذه الأمور!



= «معجمه» (١٧٢٨)، وأفاد الإمام الهيثمي في «المجمع» (١١٦/٥) أن في إسناده كذابًا، وبنحوه أفاد الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٣٦٣/١١).

ولفظه: «رُبَّ معلِّم حروف أبي جاد دارسٍ في النجوم ليس له عند اللَّه خلاقٌ يوم القيامة».

فيه مسائل:

الأولى: أنه لا يجتمع تصديقُ الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

الثانية: التصريح بأنه كفر.

الثالثة: ذكر من تُكهِّن له.

الرابعة: ذكر من تُطيِّر له.

الخامسة: ذكر من سُحر له.

السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد.

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.



[٢٧] باب: ما جاء في النُّشْرة

عن جابر رضي الله عنه: أن رسول اللَّه ﷺ سُئل عن النُّشرة؟ فقال: «**هي من عمل الشيطان**». رواه أحمد بسندٍ جيد، وأبو داود[(١)].

- وقال: «سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كلَّه».

- وفي البخاري عن قتادة: «قلت لابن المسيَّب: رجلٌ به طِبٌّ، أو يؤخَّذُ عن امرأته؛ أيُحَلُّ عنه أو ينشَّر؟ قال: لا بأس به؛ إنما يريدون به الإصلاح، أما ما ينفع فلم يُنهَ عنه» اهـ.

- وروي عن الحسن أنه قال: «لا يَحُلُّ السحرَ إلا ساحر».

- قال ابن القيم: «النشرة: حلُّ السحر عن المسحور، وهي نوعان:

أحدهما: حلٌّ بسحرٍ مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يُحمل قول الحسن، فيتقرب الناشرُ والمنتشر إلىٰ الشيطان بما يُحب، فيُبطِلُ عمله عن المسحور.

والثاني: النُّشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة؛ فهذا جائز».


الشرح

- قوله: «باب: ما جاء في النشرة»: بضم النون ـ كما في القاموس ـ.

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

▫ قال أبو السعادات: «النشرة: ضرب من العلاج والرقية يعالج به مَن كان يُظن أن به مسًّا من الجن، سُميت نشرة؛ لأنه يُنشر بها عنه ما خامره من الداء، أي: يكشف ويزال».

▫ قال ابن الجوزي: «النشرة: حل السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر».

■ قوله: «عن جابر أن رسول اللَّه ﷺ سئل عن النشرة فقال: «**هي من عمل الشيطان**»، رواه أحمد بسند جيد وأبو داود، وقال سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله»: هذا الحديث رواه أحمد، ورواه عنه أبو داود في «سننه»، وحسن الحافظ إسناده.

■ قوله: «سئل عن النشرة»: الألف واللام في النشرة للعهد، أي النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها، «**هي من عمل الشيطان**».

■ قوله: «عن قتادة»: هو ابن دِعامة ـ بكسر الدال ـ، ثقة فقيه حافظ، من أحفظ التابعين وأئمة التفسير. قالوا: إنه ولد أكمه، مات سنة بضع عشرة ومئة.

■ قوله: «رجل به طِبٌّ» ـ بكسر الطاء ـ: أي سحر، يقال: طُب الرجل بالضم إذا سُحر.

■ قوله: «يؤَخَّذ» ـ بفتح الواو مهموزًا، وتشديد الخاء المعجمة، وبعدها ذال معجمة ـ، أي: يحبس عن امرأته، لا يصل إلىٰ جماعها، والأُخذة ـ بضم الهمزة ـ: الكلام الذي قاله الساحر.

■ قوله: «أيُحَلُّ» ـ بضم الياء وفتح الحاء ـ: مبني للمفعول.

■ قوله: «أو ينشَّر» ـ بتشديد المعجمة ـ.

■ قوله: «لا بأس به»: يعني أن النشرة لا بأس بها؛ لأنهم يريدون بها الإصلاح، وهذا من ابن المسيب يُحمل علىٰ نوع من النشرة لا يعلم أنه سحر.

■ قوله: «وروي عن الحسن أنه قال: (لا يَحُلُّ السحرَ إلا ساحر)»: هذا الأثر ذكره ابن الجوزي في «جامع المسانيد». والحسن هو ابن أبي الحسن ـ واسمه يَسَار بالتحتية والمهملة ـ البصري الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه إمام، من خيار التابعين، مات سنة عشر ومئة وقد قارب التسعين.

ومما جاء في صفة النشرة الجائزة:

▫ ما روىٰ ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن أبي سليم قال: «بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر ـ بإذن اللَّه تعالىٰ ـ، تقرأ في إناءٍ فيه ماء، ثم يُصب علىٰ رأس المسحور: الآية التي في سورة يونس: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس]، وقوله: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [الأعراف] إلىٰ آخر الآيات الأربع، وقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه]».

▫ وقال ابن بطال: «في كتاب وهب بن منبه: أن يأخذ سبع ورقات من سدرٍ أخضر، فيَدُقُّه بين حجرين، ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل[(١)]، ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به = يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حبس عن

(١) **القواقل**: ما يبدأ بـ«قل»، مثل سورتي الإخلاص، والمعوِّذتين، ونحو ذلك.

أهله »[١].

(١) هذا والذي قبله لا يعدُّ حجةً شرعية.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن النشرة.

الثانية: الفرق بين المنهيِّ عنه والمرخَّص فيه مما يزيل الإشكال.



[٢٨] باب: ما جاء في التطيُّر

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ [الأعراف].

وقوله: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾ [يس].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «**لا عدوىٰ ولا طِيَرة، ولا هامَةَ ولا صَفَر**». أخرجاه.

زاد مسلم: «**ولا نَوءٌ ولا غَوْل**»(١).

ولهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**لا عدوىٰ ولا طِيَرة، ويُعجبني الفألُ**». قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الطيبة**»(٢).

ولأبي داود ـ بسندٍ صحيح ـ عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: ذُكرت الطيرةُ عند رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم؛ فقال: «**أحسنُها الفأل، ولا تَرُدُّ مسلمًا؛ فإذا رأىٰ أحدُكم ما يَكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسناتِ إلا أنت، ولا يدفع السيئاتِ إلا أنت، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بك**»(٣).

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه مرفوعًا: «**الطيرةُ شركٌ، الطيرة شرك، وما منا إلَّا، ولكنَّ اللَّه يُذهبُه بالتوكل**». رواه أبو داود والترمذي ـ وصحَّحه ـ، وجعل آخره من قول ابن مسعود(٤).

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **حسن**: وقد تقدم.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.



الشرح

■ قوله: «باب: ما جاء في التطير»: أي من النهي عنه والوعيد.

و«الطيرة» ـ بكسر الطاء، وفتح الياء وقد تسكن ـ: اسم مصدر من تطير طِيَرةً، وأصله التطير بالسوانح والبوارح[(١)] من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك التطير يصدُّهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع ودفع ضر.

▫ قال المدائني: «سألت رؤبة بن العجاج قلت: ما السانح؟ قال: ما ولَّاك ميامنه[(٢)]، قلت: فما البارح؟ قال: ما ولَّاك مياسره، والذي يجيء من أمامك هو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك هو القاعدة والقعيد».

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٣١﴾ [الأعراف]»: وذكر تعالىٰ هذه الآية في سياق قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٣١]: أي نحن الجديرون والحقيقون به، ونحن أهله، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: أي بلاء وقحط ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾؛ فيقولون: هذا بسبب موسىٰ وأصحابه أصابنا بشؤمهم؛ فقال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

▫ قال ابن عباس: «﴿طَٰٓئِرُهُمْ﴾: ما قُضي عليهم وقُدِّر لهم».

▫ وفي رواية: «شؤمهم عند اللَّه ومِن قِبَله».

أي: إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله.

---

(١) يأتي معناهما قريبًا.

(٢) أي: طار ناحية اليمين.

قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي أن أكثرهم جهال لا يدرون، ولو فهموا وعقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسىٰ عليه السلام إلا الخير والبركة والسعادة والفلاح لمن آمن به واتبع قوله.

■ وقوله: «﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ...﴾ [يس: ١٩]»: الآية، المعنىٰ: حظكم وما نالكم من شرٍّ معكم بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا؛ بل ببغيكم وعدوانكم، فطائر الباغي الظالم معه، فما وقع به من الشرور فهو سببه الجالب له، وذلك بقضاء اللَّه وقَدَره وحكمته وعدله.

■ قوله: «﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾»: أي من أجل أنَّا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد اللَّه قابلتمونا بهذا الكلام؟ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يس].

■ قوله: «**لا عدوىٰ**»:

▫ قال أبو السعادات: «العدوىٰ اسم من الإعداء، كالدعوىٰ يقال: أعداه الداء يعديه إعداءً: إذا أصابه مثل ما بصاحب الداء».

■ قوله: «**ولا طيرة**»:

▫ قال ابن القيم: «يحتمل أن يكون نفيًا أو نهيًا، أي: لا تطَّيَّروا، ولكن قوله في الحديث: «**ولا عدوىٰ ولا صفر ولا هامة**»: يدل علىٰ أن المراد النفي، وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها، والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل علىٰ بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل علىٰ المنع منه.

قال عكرمة: (كنا جلوسًا عند ابن عباس، فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير، خير، فقال له ابن عباس: لا خير ولا شر)، فبادره بالإنكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر. وخرج

طاووس مع صاحب له في سفر، فصاح غراب فقال الرجل: خير، فقال طاووس: (وأي خير عند هذا، لا تصحبني)». انتهىٰ ملخصًا.

■ قوله: «**ولا هامَة**»: بتخفيف الميم علىٰ الصحيح.

▫ قال الفراء: «الهامة: طيرٌ من طير الليل». كأنه يعني البومة.

▫ قال ابن الأعرابي: «كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت علىٰ بيت أحدهم يقول: نعت إليَّ نفسي، أو أحدًا من أهل داري، فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله».

■ وقوله: «**ولا صَفَر**» ـ بفتح الفاء ـ.

▫ روىٰ أبو عبيدة في «غريب الحديث» عن رؤبة أنه قال: «هي حيةٌ تكون في البطن، تصيب الماشية والناس، وهي أعدىٰ من الجَرَب عند العرب».

وعلىٰ هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوىٰ، وممن قال بهذا سفيان بن عيينة، والإمام أحمد، والبخاري، وابن جرير.

وقيل: المراد به شهر صَفَر. والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه. وهذا قول مالك.

▫ وروىٰ أبو داود عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول: «إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر ويقولون: إنه شهر مشؤوم، فأبطل ذلك النبي ﷺ».

▫ قال ابن رجب: «ولعل هذا أشبه الأقوال، والتشاؤم بصفر كتشاؤم أهل الجاهلية بشوَّال بالنكاح فيه خاصةً».

■ قوله: «**ولا نوء**»: سيأتي الكلام عليه في بابه.

■ قوله: «**ولا غُول**» ـ هو بالضم ـ: اسم وجمعه: أغوال وغيلان، وهو المراد هنا، والمعنيُّ بقوله: «**لا غول**» أنها لا تستطيع أن تضل أحدًا مع ذكر اللَّه والتوكل عليه. ومنه الحديث: «**إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان**»[(١)]، أي ادفعوا شرَّها بذكر اللَّه تعالىٰ.

■ قوله: «ولهما عن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: (**لا عدوىٰ ولا طيرة ويعجبني الفأل**). قالوا: وما الفأل؟ قال: (**الكلمة الطيبة**)».

▫ قال أبو السعادات: الفأل ـ مهموز ـ: فيما يَسُرُّ ويسوء، والطيرة: لا تستعمل إلا فيما يسوء، وربما استُعملت فيما يسر».

■ قوله: «قالوا: وما الفأل؟ قال: (**الكلمة الطيبة**)»: بيَّن ﷺ أن الفأل يعجبه، فدل علىٰ أنه ليس من الطيرة المنهي عنها.

▫ قال ابن القيم: «ليس الإعجاب بالفأل ومحبته بشيء من الشرك؛ بل ذلك إبانة عن مقتضىٰ الطبيعة، وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلىٰ ما يوافقها ويلائمها، واللَّه تعالىٰ جعل في غرائز الناس من الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرىٰ والفوز والظفر ونحو ذلك. فإذا سمعتِ

---

(١) ضعيف: رواه أحمد (٣/٣٠٥)، وعبدالرزاق (٩٢٤٧)، وأبو داود (٢٥٧٠)، وابن ماجه (٣٢٩)، وابن خزيمة (٢٥٤٩)، وأبو يعلىٰ (٢٢١٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٢٣)، من حديث جابر بن عبداللَّه رضي الله عنهما. وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٢/٤٨٧): «رواه أبو يعلىٰ، ورجاله رجال الصحيح»، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٢/١٧٩)، والشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٤٠)، والشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٨/٣٨).

الأسماءُ أضدادها أوجب لها ضدَّ هذه الحال فأحزنتها، وأثار ذلك لها خوفًا وتطيرًا وانكماشًا وانقباضًا عما قصدتْه وعزمت عليه، فأورث لها ضررًا في الدنيا، ونقصًا في الإيمان، ومقارفةً للشرك».

■ قوله: «عن عقبة بن عامر»: هكذا وقع في نسخ «التوحيد»، وصوابه: عن عروة بن عامر القرشي، كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما. وهو مكي اختلف في نسبه؛ فقال أحمد: عن عروة بن عامر القرشي، وقال غيره: الجهني، واختلف في صحبته، فقال الماوردي: له صحبة، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين، وقال المِزِّي: لا صحبةَ له تصح.

□ قال ابن القيم: «أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة، وهو خيرها، فأبطل الطيرة، وأخبر أن الفأل منها؛ ففضل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد، ونفع أحدهما ومضرة الآخر».

■ قوله: «**ولا تَرُدُّ مسلمًا**»: قال الطيبي: تعريضٌ بأن الكافر بخلافه.

■ قوله: «**اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**»: أي لا تأتي الطيرة بالحسنات، ولا تدفع المكروهات؛ بل أنت ـ وحدك لا شريك لك ـ الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات.

والحسنات هنا: النِّعم، والسيئات: المصائب، ففيه نفي تعلق القلب بغير اللَّه في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد، وهو دعاءٌ مناسب لمن وقع في قلبه شيءٌ من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعًا، ولا تدفع ضرًّا، ويُعدُّ من اعتقدها سفيهًا مشركًا.

■ قوله: «**ولا حول ولا قوة إلا بك**»: والحول: التحول والانتقال

من حالٍ إلىٰ حال، والقوة علىٰ ذلك باللَّه وحده، ففيه التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول اللَّه وقوَّته ومشيئته، وهذا هو التوحيد في الربوبية، وهو الدليل علىٰ توحيد الإلٰهية الذي هو إفرادُ اللَّه تعالىٰ بجميع أنواع العبادة، وهو توحيد القصد والإرادة، وقد تقدم بيان ذلك بحمد اللَّه.

قوله: «وعن ابن مسعود مرفوعًا: «**الطيرة شرك. الطيرة شرك وما منا إلا... ولكن اللَّه يذهبه بالتوكل**»، رواه أبو داود والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود»: ولفظ أبي داود: «**الطيرة شرك**» ـ ثلاثًا ـ، وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من تعلق القلب بغير اللَّه.

▫ قال ابن مفلح: «الأولىٰ القطع بتحريمها؛ لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروهًا الكراهة الاصطلاحية؟!».

▪ قوله: «**وما منَّا إلا**»:

▫ قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري: «في الحديث إضمار التقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيءٌ من ذلك». انتهىٰ.

▪ قوله: «**ولكنَّ اللَّهُ يُذهبه بالتوكُّل**»: لكن إذا توكلنا علىٰ اللَّه في جلب النفع ودفع الضر = أذهبه اللَّه تعالىٰ عنا بتوكلنا عليه وحده.

▪ قوله: «وجعل آخره من قول ابن مسعود»:

▫ قال ابن القيم: «وهو الصواب؛ فإن الطيرة نوع من الشرك».

ولأحمد من حديث ابن عمرو: «**مَن ردَّته الطيرةُ عن حاجته فقد أشرك**». قالوا: فما كفارةُ ذلك؟ قال: «**أن تقول: اللهم لا خيرَ إلا خيرُك، ولا طَيرَ إلا طيرُك، ولا إلٰه غيرك**»(١).

وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنه: «**إنما الطيرةُ ما أمضاك أو ردَّك**»(٢).



الشرح

■ قوله: «ولأحمد من حديث ابن عمرو: «**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**). قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن يقول: (**اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إلٰه غيرك**)»: هذا الحديث رواه أحمد، والطبراني عن عبداللَّه بن عمرو بن العاص، وفي إسناده ابن لهيعة، وبقية رجاله ثقات.

■ قوله: «من حديث ابن عمرو»: هو عبداللَّه بن عمرو بن العاص ابن وائل السهمي، أبو محمد، وقيل: أبو عبدالرَّحمٰن، أحد السابقين المكثرين من الصحابة. وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحرَّة علىٰ الصحيح بالطائف.

■ قوله: «**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**»: وذلك أن الطيرة هي التشاؤم بالمرئي والمسموع، فإذا ردته عن سفر أو عمل أو حاجة = فقد أشرك بما يخامر قلبه من الخوف من ذلك؛ فيكون شركًا بهذا الاعتبار.

■ قوله: «قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «**أن يقول: اللهم لا خير**

---

(١) حسن: وقد تقدم. (٢) ضعيف: وقد تقدم.

إلا خيرك...» إلخ»: فيه تفويض الأمور إلىٰ اللَّه تقديرًا وتدبيرًا وخلقًا، والبراءة مما فيه تعلقٌ بغير اللَّه تعالىٰ كائنًا من كان.

■ قوله: «**ولا إلٰه غيرك**»: أي: لا معبود مستحق سواك. فإذا قال ذلك، وأعرض عما وقع في قلبه، ولم يلتفت إليه، واستمر علىٰ فعل ما عزم عليه توكلًا علىٰ اللَّه وتفويضًا إليه= كفَّر اللَّه عنه ما وقع في قلبه من ذلك.

■ قوله: «وله من حديث الفضل بن العباس ﵄: (**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك)**»: هذا الحديث عند الإمام أحمد من حديث الفضل ابن العباس؛ قال: خرجت مع رسول اللَّه ﷺ... فساقه إلىٰ أن قال: «**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**».

والفضل: هو ابن العباس بن عبدالمطلب، ابن عم النبي ﷺ.

قال ابن معين: قُتل يوم اليرموك.

وقال غيره: قتل يوم مَرْج الصُّفَّر سنة ثلاث عشرة، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة.

وقال أبو داود: قُتل بدمشق، وكان عليه درع النبي ﷺ.

■ قوله: «**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**»: هذا حد الطيرة المنهي عنها؛ أنها ما يَحمل الإنسان علىٰ المضيِّ فيما أراد، أو يمنعه من المضي فيه كذلك، وأما الفأل الذي كان يحبُّه ﷺ ففيه نوع بشارة فيُسرُّ به العبد، ولا يعتمد عليه، بخلاف الطيرة، فافهم الفرق.



فيه مسائل:

الأولى: التنبيه علىٰ قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾، مع قوله: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾.

الثانية: نفيُ العدوىٰ.

الثالثة: نفي الطيرة.

الرابعة: نفي الهامة.

الخامسة: نفي الصَّفَر.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك؛ بل مستحب.

السابعة: تفسير الفأل.

الثامنة: أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر؛ بل يُذهبه اللَّه بالتوكل.

التاسعة: ذكر ما يقول مَن وَجَده.

العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.



[٢٩] باب: ما جاء في التنجيم

▫ قال البخاري في «صحيحه»: «قال قتادة: خلق اللَّه هذه النجومَ لثلاثٍ: زينةً للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهتدىٰ بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علمَ له به» انتهىٰ.

▫ «وكره قتادةُ تعلُّمَ منازلِ القمر، ولم يرخِّص ابن عيينة فيه». ذكره حرب عنهما.

▫ ورخَّص في تعلُّم المنازل أحمدُ وإسحاق.

وعن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: مدمنُ الخمر، ومصدِّقٌ بالسِّحر، وقاطعُ الرحم**». رواه أحمد وابن حبان في «صحيحه»[(١)].



▪ قوله: «باب: ما جاء في التنجيم»:

▫ قال شيخ الإسلام: «هو الاستدلال بالأحوال الفلكية علىٰ الحوادث الأرضية».

▫ وقال الخطابي: «علم النجوم المنهي عنه: هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان، كأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وتغيُّر الأسعار، وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تدرَكُ معرفتها بمسير الكواكب

---

(١) حسن: وقد تقدم.



في مجاريها واجتماعها وافتراقها؛ يدَّعون أن لها تأثيرًا في السفليات، وهذا منهم تحكمٌ علىٰ الغيب، وتعاطٍ لعلمٍ قد استأثر اللَّه به؛ فلا يَعلم الغيب سواه».

■ قوله: «قال البخاري في «صحيحه»: قال قتادة: خلق اللَّه هذه النجوم لثلاث: زينةً للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدىٰ بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به» انتهىٰ: هذا الأثر علقه البخاري في «صحيحه»، وأخرجه عبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وغيرهم، وأخرجه الخطيب في كتاب «النجوم» عن قتادة بلفظ أطول من هذا.

وقول قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدل علىٰ أن علم التنجيم هذا قد حَدَث في عصره؛ فأوجب له إنكاره علىٰ من اعتقده وتعلق به، وهذا العلم مما ينافي التوحيد، ويوقع في الشرك؛ لأنه ينسب الحوادث إلىٰ غير من أحدثها ـ وهو اللَّه سبحانه ـ بمشيئته وإرادته؛ كما قال تعالىٰ: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر: ٣]، وقال: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾ [النمل].

■ قوله: «خلق اللَّه هذه النجوم لثلاث»: قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]. وفيه إشارة إلىٰ أن النجوم في السماء الدنيا؛ كما روىٰ ابن مردويه عن ابن مسعود قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أما السماء الدنيا فإن اللَّه خلقها من دخان، ثم رفعها، وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا، وزيَّنها بمصابيح النجوم، وجعلها رجومًا للشياطين، وحفظها من كل شيطان رجيم**»[1].

---

(١) **ضعيف**: رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٨/٧٢)، **ولا يصح**.

■ قوله: «وعلامات»: أي دلالات علىٰ الجهات.

■ «يُهتدىٰ بها»: أي يهتدي بها الناس في ذلك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧]: أي ليعرفوا بها جهة قصدهم.

فإن قيل: المنجِّم قد يصدق.

قيل: صِدقُه كصدق الكاهن، يصدق في كلمة، ويكذب في مئة، وصدقه ليس عن علم؛ بل قد يوافق قدرًا فيكون فتنةً في حق من صدقه.

■ قوله: «وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص فيه ابن عيينة، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق»:

▫ قال الخطابي: «أما علم النجوم الذي يُدرَك من طريق المشاهدة، والخبر الذي يُعرف به الزوال، وتُعلم به جهة القبلة، فإنه غيرُ داخل فيما نُهي عنه؛ وذلك أن معرفة هذا العلم يصح علمُه بالمشاهدة. وأما ما يُستدل به من النجوم علىٰ جهة القبلة فإنها من الكواكب، رَصَدها أهل الخبرة بها، الذين لا شك في عنايتهم بأمر الدين، ومعرفتهم بها، وصِدْقِهم فيما أخبروا به، مثل أن يشاهدها بحضرة الكعبة، ويشاهدها علىٰ حال الغيبة عنها؛ فكان إدراكهم الدلالة منها بالمعاينة، وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم إذ كانوا عندنا غير متهمين في دينهم، ولا مقصرين في معرفتهم» انتهىٰ.

▫ وروىٰ ابن المنذر عن مجاهد: «أنه لا يرىٰ بأسًا أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به».

▫ قال ابن رجب: «والمأذون في تعلمه: علم التسيير، لا علم



التأثير؛ فإنه باطلٌ محرم قليله وكثيره. أما علم التسيير فيتعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء، ومعرفة القبلة والطرق، [وهو] جائز عند الجمهور».

■ قوله: «ذكره حرب عنهما»: هو الإمام الحافظ حرب بن إسماعيل، أبو محمد الكِرماني الفقيه، من أجِلَّة أصحاب الإمام أحمد، روىٰ عن أحمد، وإسحاق، وابن المديني، وابن معين، وغيرهم، وله كتاب «المسائل» التي سأل عنها الإمام أحمد وغيره، مات سنة ثمانين ومِئتين.

وأما إسحاق: فهو ابن إبراهيم بن مَخْلد بن يعقوب الحنظلي النيسابوري، الإمام المعروف بابن راهويه، روىٰ عن ابن المبارك وأبي أسامة وابن عيينة وطبقتهم، قال أحمد: إسحاق عندنا من أئمة المسلمين، وروىٰ عنه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم، وروىٰ هو ـ أيضًا ـ عن أحمد، مات سنة تسع وثلاثين ومئتين.

■ قوله: «وعن أبي موسىٰ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: (**ثلاثة لا يدخلون الجنة...**)»: الحديث: هذا الحديث رواه ـ أيضًا ـ الطبراني والحاكم، وقال: صحيح، وأقره الذهبي.

■ قوله: «عن أبي موسىٰ»: هو عبداللَّه بن قيس بن سليم بن حَضَّار ـ بفتح المهملة، وتشديد الضاد ـ، أبو موسىٰ الأشعري، صحابي جليل، مات سنة خمسين.

■ قوله: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة**»: الشاهد للترجمة: «**ومُصدِّقٌ بالسحر**»، وفي هذا الحديث كما تقدم في نظائره؛ كقوله: «**من أتىٰ كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد** ﷺ».

واختار الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن مثل هذه الأحاديث تَمُرُّ كما جاءت من غير تأويل.

▫ قال الذهبي في «الكبائر»: «ويدخل فيه تعلم السيمياء وعِلمُها، وعَقدُ المرء من زوجته، ومحبة الزوج لامرأته، وبغضها وبغضه، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة». انتهىٰ باختصار.

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الرد علىٰ من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذِكرُ الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدَّق بشيءٍ من السحر، ولو عرف أنه باطل.



[٣٠] باب: ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة].

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أربعٌ في أمتي من أمرِ الجاهلية لا يتركونهنَّ: الفخرُ بالأحساب، والطعنُ في الأنساب، والاستسقاءُ بالنجوم، والنياحة**».

وقال: «**النائحة إذا لم تتُبْ قبل موتها تُقام يوم القيامة، وعليها سربالٌ من قَطِران، ودِرْعٌ من جَرَب**». رواه مسلم[(١)].

ولهما عن زيدِ بن خالد ﷺ قال: صلىٰ لنا رسول اللَّه ﷺ صلاة الصبح بالحديبية علىٰ إثرِ سماءٍ كانت من الليل، فلما انصرف أقبل علىٰ الناس، فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربُّكم؟**»، قالوا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر، فأما مَن قال: مُطِرْنا بفضل اللَّه ورحمته؛ فذلك مؤمنٌ بي، كافر بالكوكب. وأما من قال: مُطرنا بنَوءِ كذا وكذا؛ فذلك كافرٌ بي، مؤمنٌ بالكوكب**»[(٢)].

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه، وفيه: «**قال بعضهم: لقد صَدَق نَوءُ كذا وكذا**». فأنزل اللَّه هذه الآيات: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة]»[(٣)].

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

الشرح

■ قوله: «باب: ما جاء في الاستسقاء بالأنواء، وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾»: أي من الوعيد، والمراد نسبة السقي ومجيء المطر إلىٰ الأنواء، جمع نَوْء، وهي منازل القمر.

▫ قال أبو السعادات: «وهي ثمان وعشرون منزلةً؛ ينزل القمر كل ليلة منزلةً منها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩] يسقط في المغرب كلَّ ثلاث عشرة ليلةً منزلةً له مع طلوع الفجر، وتطلع أخرىٰ مقابلتها ذلك الوقت من المشرق، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر، وينسبونه إلىٰ النجم الساقط، ويقولون: مُطرنا بنوء كذا وكذا، وإنما سمي نوءً؛ لأنه إذا سقط منها الساقط ناء الطالعُ بالمشرق، أي نهض وطلع».

■ قوله تعالىٰ: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾: روىٰ الإمام أحمد والترمذي ـ وحسنه ـ، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والضياء في «المختارة» عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ﴾: **يقول: شُكرَكم: ﴿أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾: تقولون: مُطرنا بنوء كذا وكذا**»[(١)].

وروي ذلك عن علي، وابن عباس، وقتادة، والضحاك، وعطاء الخراساني وغيرهم، وهو قول جمهور المفسرين، وبه يظهر وجه

(١) حسن: رواه أحمد (٨٩/١)، والتِّرمذي (٣٢٩٥)، والطبري (٢٠٧/٢٧)، والبزار (٥٩٣)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٧٨٤)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥٢١٥)، وقال الإمام التِّرمذي: «**حسن غريب**»، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٨٧/٢)، وعند التِّرمذي (٤٨٨/٥)، بينما **ضعَّفه** الشيخ الألباني عند التِّرمذي.

استدلال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بالآية.

▫ وقال ابن القيم: «أي: تجعلون حظكم من هذا الرزق ـ الذي به حياتكم ـ التكذيب به ـ يعني القرآن ـ؟ قال الحسن: تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون، قال: وخسر عبدٌ لا يكون حظه من القرآن إلا التكذيب».

■ قوله: «عن أبي مالك الأشعري»: أبو مالك اسمه الحارث الشامي، صحابي تفرد عنه بالرواية أبو سلام، وفي الصحابة أبو مالك الأشعري اثنان غير هذا.

■ قوله: «**أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن**»: ستفعلها هذه الأمة إما مع العلم بتحريمها، أو مع الجهل بذلك؛ مع كونها من أعمال الجاهلية؛ [وهو] يدل علىٰ أنه يجب علىٰ كل مسلم أن يجتنبَها.

والمراد بالجاهلية هنا: ما قبل المبعث، وفاعلها آثمٌ يجب أن ينهىٰ عنها، ومتىٰ وُجد الشرك وجدت هذه الأمور المنكرة وغيرها من المنكرات.

▫ قال شيخ الإسلام: «أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلُّهم ذمًّا لمن لم يتركه، وهذا يقتضي أن كلَّ ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذمومٌ في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافةِ هذه المنكرات إلىٰ الجاهلية ذمٌّ لها، ومعلوم أن إضافتها إلىٰ الجاهلية خرج مخرجَ الذم، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]؛ فإن في ذلك ذمًّا للتبرج، وذمًّا لحال أهل الجاهلية الأولىٰ؛ وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة».

■ قوله: «**والفخر بالأحساب**»: أي التعاظم علىٰ الناس بالآباء ومآثرهم؛ وذلك جهل عظيم؛ إذ لا كرم إلا بالتقوىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ولأبي داود عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إن اللَّه قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية وفخرَها بالآباء، إنما هو مؤمنٌ تقي، أو فاجرٌ شقي، الناس بنو آدم، وآدم خُلق من تراب. لَيَدَعَنَّ رجالٌ فخرَهم بأقوام إنما هم فحمُ جهنم، أو ليكونُنَّ أهون علىٰ اللَّه من الجُعْلان**[1]...»، الحديث[2].

■ قوله: «**والطعن في الأنساب**»: أي الوقوع فيها بالعيب والنقص. ولما عيَّر أبو ذر رجلًا بأمه قال النبي ﷺ: «**أعيَّرتَه بأمه؟ إنك امرؤٌ فيك جاهلية**» متفق عليه[3].

❑ «فدل علىٰ أن الطعن في الأنساب من عمل أهل الجاهلية، وأن المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسماة بـ«جاهلية» ويهودية ونصرانية، ولا يوجب ذلك كفرَه ولا فسقه». قاله شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

■ قوله: «**واستسقاء بالنجوم**»: تقدم معناه.

---

(١) **الجُعلان**: حشرات تشبه الخنافس.

(٢) حسن: رواه أحمد (٢/٣٦١)، وأبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٦)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/٦٠)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٢٧)، وفي «السنن» (١٠/٢٣٢)، وفي «الآداب» (٤٢٢)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٤٥٨)، والخطيب البغدادي في «تاريخه» (٦/١٨٨)، وقال الإمام الترمذي: «**حسن غريب**»، **وحسنه** ـ أيضًا ـ الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٤/٣٤٩).

(٣) صحيح: وقد تقدم.

فإذا قال قائلهم: «مطرنا بنجم كذا وبنوء كذا» فلا يخلو:

- إما أن يعتقد أن له تأثيرًا في نزول المطر؛ فهذا شرك وكفر؛ لنسبة المطر لغير من أنزله وهو اللَّه وحده.

- وإما مع إطلاق هذا اللفظ، فقد صرح ابن مفلح في «الفروع» بتحريمه، وكذلك صاحب «الإنصاف»، ولم يذكرا خلافًا.

■ قوله: «**والنياحة**»: أي رفع الصوت بالندب علىٰ الميت، وضرب الخدود، وشق الجيوب ونحو ذلك، وهي من الكبائر؛ لشدة الوعيد والعقوبة كما في هذا الحديث.

■ قوله: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها**»: فيه تنبيه علىٰ أن التوبة تكفِّر الذنب.

■ قوله: «**تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**»: السربال واحد السرابيل، وهي الثياب والقمص، هذه سرابيل أهل النار؛ يعني: يلطَّخْن بالقَطِران حتىٰ يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم، ورائحتهن أنتن.

□ وروي عن ابن عباس: «أن القطران هو النحاس المذاب».

■ قوله: «وعن زيد بن خالد الجهني»: صحابي مشهور، مات سنة ثمان وستين، وقيل غير ذلك، وله خمس وثمانون سنة.

■ قوله: «صلىٰ لنا»: أي بنا، قال الحافظ: «وفيه إطلاق ذلك مجازًا».

■ قوله: «بالحديبية»: بتخفيف يائها وقد تثقل.

■ قوله: «علىٰ إثر» ـ بكسر الهمزة، وسكون الثاء المثلثة علىٰ المشهور ـ: وهو ما يَعقُبُ الشيء.

■ قوله: «سماء»: أي مطر.

■ قوله: «فلما انصرف من صلاته»: أي: إلىٰ المأمومين.

■ قوله: «**هل تدرون؟**»: لفظ استفهام، ومعناه التنبيه. وفي النسائي: «**ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة؟**»، وفيه إلقاء العالم المسألةَ علىٰ أصحابه ليختبرهم.

■ قوله: «قالوا: اللَّه ورسوله أعلم»: فيه حسن الأدب للمسؤول إذا سئل عما لا يعلم؛ أن يَكِلَ العلم إلىٰ عالمه، وذلك يجب.

■ قوله: «**أصبح من عبادي مؤمن بي**»: لأنه نسب الفعل إلىٰ فاعله الذي لا يقدر عليه غيره.

■ قوله: «**وكافر**»: إذا اعتقد أن للنوء تأثيرًا في إنزال المطر، فهذا كفرٌ؛ لأنه شرك في الربوبية والمشرك كافر.

■ قوله: «**فأما من قال: مُطرنا بفضل اللَّه ورحمته**»: فالفضل والرحمة صفتان للَّه تعالىٰ.

■ قوله: «ولهما من حديث ابن عباس معناه»، وفيه: قال بعضهم: لقد صَدَق نوء كذا وكذا، فأنزل اللَّه تعالىٰ هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾، إلىٰ قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقعة]. تقدم معناه قريبًا.



✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الواقعة.

الثانية: ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية.

الثالثة: ذكر الكفر في بعضها.

الرابعة: أن من الكفر ما لا يُخرج من الملَّة.

الخامسة: قوله: «**أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر**». بسبب نزول النِّعمة.

السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع.

السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع.

الثامنة: التفطن لقوله: «**لقد صدق نوءُ كذا وكذا**».

التاسعة: إخراج العالِم للمتعلم المسألةَ بالاستفهام عنها؛ لقوله: «**أتدرون ماذا قال ربكم؟**».

العاشرة: وعيدُ النائحة.



[٣١] باب: قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة]

وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

عن أنس رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يؤمنُ أحدُكم حتىٰ أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناسِ أجمعين**». أخرجاه[١].

ولهما عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاثٌ مَن كنَّ فيه وجد بهن حلاوةَ الإيمان: أن يكون اللَّهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا للَّه، وأن يكرهَ أن يعود في الكفر - بعد إذ أنقذه اللَّه منه - كما يَكرهُ أن يُقذفَ في النار**».

وفي رواية: «**لا يجد أحدٌ حلاوةَ الإيمان حتىٰ...**» إلىٰ آخره[٢].

▫ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مَن أحب في اللَّه، وأبغض في اللَّه، ووالىٰ في اللَّه، وعادىٰ في اللَّه، فإنما تنال ولاية اللَّه بذلك. ولن يجد عبدٌ طعمَ الإيمان - وإن كثرت صلاته وصومه - حتىٰ يكون كذلك؛ وقد صارت عامة مؤاخاة الناس علىٰ أمر الدنيا؛ وذلك لا يُجدي علىٰ أهله شيئًا». رواه ابن جرير.

▫ وقال ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة]، قال: «المودة».

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

الشرح

■ قوله: «باب: قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]»:

▫ قال في «شرح المنازل»: «أخبر تعالىٰ أن من أحب شيئًا من دون اللَّه كما يحب اللَّه فهو ممن اتخذ من دون اللَّه أندادًا، فهذا ندٌّ في المحبة لا في الخلق والربوبية، فإن أحدًا من أهل الأرض لا يُثبت هذا الند بخلاف ند المحبة؛ فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون اللَّه أندادًا في المحبة والتعظيم» اهـ.

قلت: وقد وقع الشرك في الربوبية ـ أيضًا ـ في كثير من الخاصة والعامة في آخر هذه الأمة؛ فاعتقدوا أن لهؤلاء الأموات تصرفًا في الكون ونحو ذلك.

■ قوله: «﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية»:

▫ قال ابن كثير: «إن كانت هذه الأشياء أحبَّ إليكم من اللَّه ورسوله وجهاد في سبيله؛ ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾: أي انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه».

■ قوله: «**لا يؤمن**»: أي الإيمان الواجب، والمراد كماله، حتىٰ يكون الرسول ﷺ أحب إلىٰ العبد من ولده ووالده والناس أجمعين؛ وذلك يقتضي تعظيم أمره ونهيه، واتباعه في ذلك دون مَن سواه، ومن كان كذلك فقد أحبَّ اللَّه كما في آية المحبة.

■ قوله: «أخرجاه»: أي البخاري ومسلم.

■ قوله: «ولهما عنه»: أي البخاري ومسلم «عن أنس ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ ...» الحديث.

■ قوله: «ثلاث» أي خصال.

▫ قال شيخ الإسلام: «أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاثَ من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبةَ له، فمن أحب شيئًا واشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجدُ الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذة أمرٌ يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهىٰ».

▫ قال: «فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العبد للَّه؛ وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة، وتفريغها، ودفع ضدها، فتكميلها: أن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ فإن محبة اللَّه ورسوله لا يكتفىٰ فيها بأصل الحب؛ بل لابد أن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما».

قلت: ومن لازم محبة اللَّه محبةُ أنبيائه ورسله وملائكته وكتبه والصالحين من عباده، وكراهةُ ما يكرهه سبحانه، ومعاداة أعدائه، وموالاة أوليائه، فلا يحصل كمال محبة اللَّه الواجبة إلا بكمال ذلك، وإيثاره علىٰ ما تهواه النفوس مما يخالف ذلك.

■ قوله: «**أحب إليه مما سواهما**»: ثنىٰ الضمير هنا لتلازم المحبتين. واللَّه أعلم.

■ قوله: «**كما يكره أن يقذف في النار**»: أي يستوي عنده الأمران.

■ قوله: «وفي رواية: **(لا يجد)**»: هي عند البخاري في «الأدب المفرد»، ولفظه: «**لا يجد أحدٌ حلاوة الإيمان حتىٰ يحب المرء لا يحبه**

إلا للَّه، وحتىٰ أن يُقذف في النار أحبُّ إليه من أن يرجع إلىٰ الكفر بعد إذ أنقذه اللَّه منه. وحتىٰ يكون اللَّه ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما».

■ قوله: «من أحب في اللَّه»: أي أحب أهل الإيمان باللَّه وطاعته من أجل ذلك.

■ قوله: «وأبغض في اللَّه»: أي أبغض من كفر باللَّه وأشرك به وعصاه لارتكابه ما يسخط اللَّه، وإن كان أقرب الناس إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾ [المجادلة: ٢٢].

■ قوله: «ووالىٰ في اللَّه»: بالمحبة والنصرة بحسب القدرة.

■ قوله: «وعادىٰ في اللَّه»: من كان عدوًّا للَّه ممن أشرك وكفر وظاهر بالمعاصي، فتجب عداوته بما يقدر عليه.

■ قوله: «فإنما تنال وَلاية اللَّه بذلك»: أي توليه لعبده، ووَلاية بفتح الواو.

وفي الحديث: «**أوثق عرىٰ الإيمان الحب في اللَّه، والبغض في اللَّه** عَزَّ وَجَلَّ» رواه الطبراني[(١)].

■ قوله: «**ولن يجد عبدٌ طعمَ الإيمان...**» إلىٰ آخره، أي: لا يحصل له ذوقُ الإيمان وبهجته ولذته وسروره والفرح به، وإن كثرت صلاته وصومه، حتىٰ يكون كذلك. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس].

(١) حسن: وقد تقدم.

■ قوله: «وقد صارت عامة مؤاخاة الناس علىٰ أمر الدنيا؛ وذلك لا يجدي علىٰ أهله شيئًا»: يعني أنه إذا ضعف داعي الإيمان أحب دنياه، وأحب لها، وواخىٰ لأجلها، وهذا هو الغالب علىٰ أكثر الخلق؛ محبةُ دنياهم، وإيثار ما يَهْوَوْنه علىٰ ما يحبه اللَّه ورسوله؛ وذلك لا يجدي علىٰ أهله شيئًا؛ بل يضر في العاجل والآجل، فاللَّه المستعان.

■ قوله: «وقال ابن عباس في قوله ﷻ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] قال: المودة»، أي التي كانت بينهم؛ خانتهم أحوج ما كانوا إليها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥].



✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: وجوب محبته ﷺ، وتقديمها علىٰ النفس والأهل والمال.

الرابعة: أن نفي الإيمان لا يدل علىٰ الخروج من الإسلام.

الخامسة: أن للإيمان حلاوةً قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.

السادسة: أعمال القلب الأربع التي لا تُنال ولاية اللَّه إلا بها، ولا يجد أحدٌ طعمَ الإيمان إلا بها.

السابعة: فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة علىٰ أمر الدنيا.

الثامنة: تفسير ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.

التاسعة: أن من المشركين من يحب اللَّه حبًّا شديدًا.

العاشرة: الوعيد علىٰ من كانت الثمانيةُ أحبَّ إليه من دينه.

الحادية عشرة: أن من اتخذ نِدًّا تساوي محبتُه محبةَ اللَّه فهو الشرك الأكبر.



[٣٢] باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران]

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨].

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

وعن أبي سعيدٍ رضي الله عنه مرفوعًا: «**إن مِن ضعفِ اليقين أن تُرضيَ الناس بسخط اللَّه، وأن تَحمَدَهم علىٰ رزق اللَّه، وأن تذمَّهم علىٰ ما لم يؤتِك اللَّه. إن رزقَ اللَّه لا يجرُّه حِرصُ حريص، ولا يردُّه كراهيةُ كاره**»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «**مَن التمس رضىٰ اللَّه بسخط الناس، رضي اللَّهُ عنه، وأرضىٰ عنه الناس. ومن التمس رضىٰ الناس بسخط اللَّه، سَخِط اللَّه عليه، وأسخط عليه الناس**». رواه ابن حبان في «صحيحه»[٢].

الشرح

■ قوله: «باب: قول اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾»:

▫ قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «ومن كيد عدوِّ اللَّه أنه يخوِّف المؤمنين جندَه وأولياءه لئلا يجاهدوهم، ولا يأمروهم

---

(١) موضوع: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

بمعروف، ولا ينهَوْهُم عن منكر، وأخبر تعالىٰ أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه، ونهانا أن نخافهم».

▫ قال: «والمعنىٰ عند جميع المفسرين: يخوفهم بأوليائه. قال قتادة: يُعظِّمهم في صدوركم، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم، فدلت هذه الآية علىٰ أن الخلاص من الخوف من كمال شروط الإيمان. وسبب نزول الآية مذكور في التفاسير والسير».

▪ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾»: أخبر تعالىٰ أن مساجد اللَّه لا يعمرها إلا أهل الإيمان باللَّه واليوم الآخر، الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا بجوارحهم، وأخلصوا له الخشية دون من سواه، فلا تكون المساجد عامرةً إلا بالإيمان الذي معظمُه التوحيد، مع العمل الصالح الخالص من شوائب الشرك والبدع، وذلك كله داخل في مسمىٰ الإيمان المطلق عند أهل السنة والجماعة.

▪ قوله: «﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾»:

▫ قال ابن عطية: «يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة، ولا محالة أن الإنسان يخشىٰ المحاذير الدنيوية، وينبغي أن يخشىٰ في ذلك كله قضاء اللَّه وتصريفه».

قلت: لأن النفع والضر إنما يكون بمشيئته وإرادته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

▫ وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «والخوف عبودية القلب، فلا يصلح إلا للَّه؛ كالذل، والمحبة، والتوكل، والرجاء... وغيرها من عبودية القلب».

■ قوله: «﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾»:

▫ قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: «يقول: إن أولئك هم المهتدون، وكل «عسىٰ» في القرآن فهي واجبة».

■ قوله: «﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾» الآية:

▫ قال ابن القيم: «الناس إذا أُرسل إليهم الرسل بين أمرين: إما أن يقول أحدهم: آمنَّا، وإما ألَّا يقول ذلك؛ بل يستمر علىٰ السيئات والكفر، فمن قال: «آمنَّا» امتحنه ربه وابتلاه. و«الفتنة»: الابتلاء والاختبار، ومن لم يقل: «آمنَّا»، فلا يَحسب أنه يُعجِزُ اللَّه ويفوته ويسبقه، فلابد من حصول الألم لكل نفسٍ آمنت، أو رغبت عن الإيمان، لكنَّ المؤمن يحصل له الألمُ في الدنيا ابتداءً، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، والمُعرِضُ عن الإيمان تحصل له اللذة ابتداءً، ثم يصير له الألم الدائم. والإنسان لابد أن يعيش مع الناس، والناس لهم تصوراتٌ وإرادات، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، وإن لم يوافقهم آذَوْه وعذبوه، وإن وافقهم حصل له العذاب تارةً منهم، وتارةً من غيرهم».

▫ إلىٰ أن قال: «فالحزم كل الحزم في الأخذ بما قالت أم المؤمنين لمعاوية: «من أرضىٰ اللَّه بسخط الناس كفاه اللَّه مؤونة الناس، ومن أرضىٰ الناس بسخط اللَّه لم يغنوا عنه من اللَّه شيئًا». فمن هداه اللَّه، وألهمه رشده، ووقاه شر نفسه = امتنع من الموافقة علىٰ فعل المحرم، وصبر علىٰ عداوتهم، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، كما كانت للرسل وأتباعهم.

ثم أخبر تعالىٰ عن حال الداخل في الإيمان، وأنه إذا أُوذي في اللَّه جعل فتنةَ الناس له هي أذاهم، ونَيْلَهم إياه بالمكروه ـ وهو الألم الذي لابد أن ينال الرسل وأتباعهم ممن خالفهم ـ؛ جعل ذلك في فراره منه، وتركه السببَ الذي يناله به= كعذاب اللَّه الذي فر منه المؤمنون بالإيمان، فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فروا من ألم عذاب اللَّه إلىٰ الإيمان، وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قريب، وهذا من ضعف بصيرته فرَّ من ألم أعداء الرسل إلىٰ موافقتهم ومتابعتهم، ففر من ألم عذابهم إلىٰ ألم عذاب اللَّه، فجعل ألمَ فتنة عذاب الناس في الفرار منه بمنزلة عذاب اللَّه، وغُبن كل الغبن؛ إذ استجار من الرمضاء بالنار، وفر من ألم ساعة إلىٰ ألم الأبد، وإذا نصر اللَّه جندَه وأولياءه، قال: إني كنت معكم، واللَّه عليم بما انطوىٰ عليه صدره من النفاق» اهـ.

■ قوله: «وعن أبي سعيد مرفوعًا: **(إن من ضعف اليقين أن تُرضيَ الناس بسخط اللَّه، وأن تحمدَهم علىٰ رزق اللَّه، وأن تذمَّهم علىٰ ما لم يؤتِكَ اللَّه، إن رزق اللَّه لا يجرُّه حرصُ حريص، ولا تردُّه كراهية كاره)**»: هذا الحديث رواه أبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي، وأعله بمحمد بن مروان السدِّي، وقال: ضعيف، وتمام هذا الحديث: «**وأنه بحكمته جعل الرَّوح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهمَّ والحَزَن في الشك والسخط**».

■ قوله: «**إن من ضَعْف اليقين**»: الضَّعْف ـ بفتح وسكون، وتضم ضاده مع سكون العين[١]، وتحرك عينه مع فتح الضاد[٢]ـ: ضد القوة.

(١) أي: ضُعْف.
(٢) أي: ضَعَف.

▫ قال ابن مسعود: «اليقين الإيمان كله، والصبر نصف الإيمان».

■ قوله: «**أن ترضي الناس بسخط اللَّه**»: أي أن تؤثر رضاهم علىٰ ما يُرضي اللَّه، وذلك إذا لم يقُمْ بقلبه من إعظام اللَّه وإجلاله وهيبته ما يمنعه من إيثار رضىٰ المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربِّه ومليكه الذي يتصرف في القلب. وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك؛ لأنه آثر رضىٰ المخلوق علىٰ رضىٰ اللَّه، وتقرب إليه بما يُسخط اللَّه، ولا يَسلم من هذا إلا مَن سلَّمه اللَّه تعالىٰ.

■ قوله: «**وأن تحمدهم علىٰ رزق اللَّه**»: أي علىٰ ما وصل إليك من أيديهم؛ بأن تضيفه إليهم، وتحمدهم عليه، واللَّه تعالىٰ هو الذي كتبه لك وسيَّره لك، فإذا أراد أمرًا قيَّض له أسبابًا، ولا ينافي هذا حديث: «**مَن لا يَشكر الناس لا يشكر اللَّه**»[(١)]؛ لكون اللَّه ساقه علىٰ أيديهم؛ فتدعو لهم أو تكافئهم؛ لحديث: «**مَن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه، فادعوا له حتىٰ تَرَوا أنكم قد كافأتموه**»[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/٢٩٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٨)، والطيالسي (٢٦١٣)، وأبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤)، وابن حِبَّان (٣٤٠٧)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٤٩٩)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٨٦٩٦)، وفي «الكبرىٰ» (٣٠٢/١)، وفي «الآداب» (١٩٤)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١٦٥/٧)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (١١٠)، وابن بشران في «الأمالي» (٢٦٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨٢٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الإمام الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عنده، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٣٢٢/١٣).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

■ قوله: «**وأن تذمهم علىٰ ما لم يؤتك اللَّه**»: لأنه لم يقدِّر لك ما طلبته علىٰ أيديهم؛ فلو قُدِّر ساقه إليك. فمن علم أن اللَّه وحده هو المتفرد بالعطاء والمنع بمشيئته وإرادته، وأنه الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب، ومن حيث لا يحتسب= لم يسأل حاجته إلا من اللَّه وحده، ولعل ما منع من ذلك يكون خيرًا له، ويُحسِنُ الظن باللَّه سبحانه، ولا يرغب إلا إليه، ولا يخاف إلا من ذنبه، وقد قرر هذا المعنىٰ في الحديث بقوله: «**إن رزق اللَّه لا يجرُّه حرصُ حريص، ولا تردُّه كراهية كاره**».

▫ وقال شيخ الإسلام: «اليقين يتضمن القيام بأمر اللَّه تعالىٰ، وما وعد اللَّه به أهل طاعته، ويتضمن اليقينَ بقَدَر اللَّه وخَلْقِه وتدبيره. فإذا أرضيتهم بسخط اللَّه، ولم تكن موقنًا لا بوعده ولا برزقه؛ فإنه إنما يحمل الإنسان علىٰ ذلك إما ميلٌ إلىٰ ما في أيديهم؛ فيترك القيام فيهم بأمر اللَّه لما يرجوه منهم. وإما ضعفُ تصديقه بما وعد اللَّه أهلَ طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة، فإنك إذا أرضيتَ اللَّه نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم. وإرضاؤهم بما يُسخطه إنما يكون خوفًا منهم، ورجاءً لهم، وذلك من ضعف اليقين.

وأما إذا لم يقدَّر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك؛ فالأمر في ذلك إلىٰ اللَّه لا لهم؛ فإنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فإذا ذممتهم علىٰ ما لم يقدَّر لك كان ذلك من ضعف يقينك، فلا تَخَفْهم ولا تَرْجُهم، ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك، ولكن مَن حمده اللَّه ورسوله منهم فهو المحمود، ومن ذمه اللَّه ورسوله منهم فهو المذموم، ودل الحديث علىٰ أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأعمال من مسمىٰ الإيمان».

■ قوله: «**من التمس**»: أي طلب.

▫ قال شيخ الإسلام: «وكتبت عائشة إلىٰ معاوية، ويروىٰ أنها رفعته: «**من أرضىٰ اللَّه بسخط الناس كفاه اللَّه مؤنة الناس، ومن أرضىٰ الناس بسخط اللَّه لم يُغنوا عنه من اللَّه شيئًا**»، هذا لفظ المرفوع، ولفظ الموقوف: «من أرضىٰ اللَّه بسخط الناس رضي اللَّه عنه وأرضىٰ عنه الناس، ومن أرضىٰ الناس بسخط اللَّه عاد حامده من الناس ذامًّا»، وهذا من أعظم الفقه في الدين، فإن من أرضىٰ اللَّه بسخطهم كان قد اتقاه، وكان عبدَه الصالح، واللَّه يتولىٰ الصالحين، واللَّه كافٍ عبده، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق]، واللَّه يكفيه مؤنةَ الناس بلا ريب، ومن أرضىٰ الناس بسخط اللَّه لم يُغنوا عنه من اللَّه شيئًا؛ كالظالم الذي يَعَضُّ علىٰ يديه، وأما كون حامده ينقلب ذامًّا فهذا يقع كثيرًا، ويحصل في العاقبة؛ فإن العاقبة للتقوىٰ؛ لا تحصل ابتداءً عند أهوائهم» انتهىٰ.



فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

الرابعة: أن اليقين يَضعُف ويَقوَىٰ.

الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث.

السادسة: أن إخلاص الخوف للَّه من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.



[٣٣] باب: قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة]

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٤﴾ [الأنفال].

وقوله: ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

▫ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبنا اللَّه ونعم الوكيل؛ قالها إبراهيم ﷺ حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ [آل عمران]» رواه البخاري[(١)].

الشرح

■ قوله: «باب: قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾»:

▫ قال أبو السعادات: «يقال: توكل بالأمر: إذا ضمن القيام به».

وأراد المصنف بهذه الترجمة بالآية: بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه للَّه؛ لأنه مِن أجمع أنواع العبادة الباطنة؛ فإن تقديم المعمول يفيد الحصر، فلا يحصل كمالُ التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل علىٰ اللَّه كما في هذه الآية.

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

▫ قال الإمام أحمد: «التوكل عمل القلب».

▫ قال ابن القيم في الآية المترجَم بها: «فجعل التوكل علىٰ اللَّه شرطًا في الإيمان، فدل علىٰ انتفاء الإيمان عند انتفائه».

▫ قال شيخ الإسلام: «وما رجا أحدٌ مخلوقًا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه؛ فإنه شرك ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾ [الحج]» اهـ.

والتوكل قسمان:

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا اللَّه؛ كالتوكل علىٰ الأموات والغائبين ونحوهم من الطواغيت= فهذا شركٌ أكبر لا يغفره اللَّه إلا بالتوبة منه.

وأما التوكل علىٰ الأحياء الحاضرين والسلطان ونحوهم ـ فيما أقدرهم اللَّه عليه من رزق أو دفع أذىٰ ونحو ذلك ـ، فهو نوع شرك أصغر، والمباح أن يوكِّل شخصًا بالنيابة عنه في التصرف فيما له التصرفُ فيه من أمور دنياه، كالبيع والشراء، والإجارة والطلاق والعتاق وغير ذلك؛ فهذا جائز بالإجماع، لكن لا يقول: توكلت عليه؛ بل يقول: وكَّلتُه؛ فإنه لو وكله فلابد أن يتوكل في ذلك علىٰ اللَّه سبحانه».

▪ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾» الآية:

▫ قال ابن عباس في الآية: «المنافقون لا يدخل في قلوبهم شيء من ذِكر اللَّه عند أداء فرائضه. ولا يؤمنون بشيء من آيات اللَّه، ولا يتوكلون علىٰ اللَّه، ولا يصلُّون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة



أموالهم، فأخبر تعالىٰ أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين؛ فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ فأدوا فرائضه». رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

▫ وقال السُّدِّي في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: «هو الرجل يريد أن يَظلم ـ أو قال: يَهِمُّ بمعصية ـ؛ فيقال له: اتق اللَّه فيَوجَلُ قلبه». رواه ابن أبي شيبة وابن جرير.

■ قوله: «﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾»: استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الآية ونظائرها علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه.

■ قوله: «﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾»: أي يعتمدون عليه، ويفوِّضون إليه أمورهم، فلا يَرجُون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، وهو من أعظم الأسباب في حصول المطالب الدنيوية والأخروية.

وفي الآية وصف المؤمنين حقًّا بثلاث مقامات من مقامات الإحسان؛ تستلزم حصول أعمال الإيمان الواجبة والمستحبة.

■ قوله: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾»:

▫ قال ابن القيم: «أي: اللَّه وحده كافيك وكافي أتباعك؛ فلا تحتاجون معه إلىٰ أحد». وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾»:

▫ قال ابن القيم وغيره: «أي كافيه، ومن كان اللَّه كافيَه وواقيَه فلا مطمع فيه لعدو، ولا يضره إلا أذىٰ لابد منه كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ به مرادَه فلا يكون أبدًا. قال بعض السلف: جعل اللَّه لكل عمل جزاءً من نفسه، وجعل جزاء

التوكل عليه نفس كفايته؛ فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي كافيه، فلم يقل: فله كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال؛ بل جعل اللَّه سبحانه نفسه كافيَ عبده المتوكِّل عليه وحسبَه وواقيه، فلو توكل العبد علىٰ اللَّه حق توكله، وكادته السماوات والأرض ومن فيهن= لجعل له مخرجًا، وكفاه ونصره» انتهىٰ.

■ قوله: «حسبُنا اللَّه»: تقدم معناه.

■ قوله: «ونِعمَ الوكيلُ»: أي نعم مَن توكَّل عليه المتوكِّلون، ومخصوص «نعم» محذوف؛ تقديره: نعم الوكيلُ اللَّهُ.

■ قوله: «قالها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ألقي في النار»: قال تعالىٰ: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء] الآية.

■ قوله: «وقالها محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قالوا له: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾»: وذلك بعد منصرف قريش والأحزاب من أُحُد، فمر بهم ركبٌ من عبد القيس؛ فقالوا: «أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قالوا: هل أنتم مبلِّغون عنا محمدًا رسالةً؟ قالوا: نعم، قالوا: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السيرَ إليه وإلىٰ أصحابه؛ لنستأصل بقيتهم. فمرَّ الركب برسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان؛ فقال: «**حسبنا اللَّه ونِعم الوكيل**»[(١)].

---

(١) **ضعيف**: رواه ابن إسحاق في «المغازي» (٣/٤٥، ٤٧ ـ ابن هشام)، والطبري في «تفسيره» (٤/١١٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/٣١٥)، وضعَّفه صاحبا «الاستيعاب في بيان الأسباب» (١/٣٣٣).

وفي الحديث: «إذا وقعتم في الأمر العظيم؛ فقولوا: حسبنا اللَّهُ ونِعمَ الوكيل»[(١)].



(١) ضعيف: رواه ابن مردويه في «تفسيره»، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - كما في «كنز العمال» (١٧٤٢) -، وضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (١٧٤٢).

✍ فيه مسائل:

الأولى: أن التوكل من الفرائض.

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

الثالثة: تفسير آية الأنفال.

الرابعة: تفسير الآية في آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق.

السادسة: عظم شأن هذه الكلمة.

السابعة: أنها قول إبراهيم ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ في الشدائد.

[٣٤] باب: قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف]

وقوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ سُئل عن الكبائر؟ فقال: «**الشرك باللَّه، واليأسُ من رَوح اللَّه، والأمنُ من مكر اللَّه**»(١).

▫ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أكبر الكبائر: الإشراكُ باللَّه، والأمنُ من مكر اللَّه، والقنوطُ من رحمة اللَّه، واليأسُ من رَوح اللَّه». رواه عبدالرازق.

الشرح

▪ قوله: «باب: قوله تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾»: أراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن الأمن من مكر اللَّه يدل علىٰ ضعف الإيمان، فلا يبالي صاحبُه بما ترك من الواجبات، وفَعَل من المحرمات، لعدم خوفه من اللَّه بما فعل أو ترك، وهذا من أعظم الذنوب، وأجمعها للعيوب.

ومعنىٰ الآية: أن اللَّه تبارك وتعالى لما ذكر حال أهل القرىٰ المكذبين للرسل، بيَّن أن الذي حملهم علىٰ ذلك هو الأمنُ من مكر اللَّه، وعدم الخوف منه؛ وذلك أنهم أَمِنوا مكر اللَّه لمَّا استدرجهم بالسراء والنِّعم؛ فاستبعدوا أن يكون ذلك مكرًا.

▫ قال الحسن: «من وُسع عليه فلم ير أنه يُمكَرُ به فلا رأي له».

---

(١) حسن: وقد تقدم.

▫ وقال قتادة: «بَغت القومَ أمرُ اللَّه، وما أُخذ قوم قط إلا عند سلوتهم وغربتهم؛ فلا تغتروا باللَّه».

▫ وقال إسماعيل بن رافع: «مِن الأمن من مكر اللَّه إقامةُ العبد علىٰ الذنب يتمنىٰ علىٰ اللَّه المغفرة». رواه ابن أبي حاتم.

■ قوله: «﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾»: القنوط: استبعاد الفرج واليأس منه، وهو يقابل الأمن من مكر اللَّه، وكلا الأمرين ذنب عظيم، لما في القنوط من سوء الظن باللَّه.

■ قوله: «﴿إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾»: أي عن الهدىٰ.

■ قوله: «وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول اللَّه ﷺ سئل عن الكبائر فقال: «**الشرك باللَّه، واليأس من رَوح اللَّه، والأمن من مكر اللَّه**»: هذا الحديث رواه البزار وابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر. قال ابن معين: ثقة، وليَّنه ابن أبي حاتم. وقال ابن كثير: في إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفًا.

■ قوله: «**الشرك باللَّه**»: وهو أكبر الكبائر؛ ولهذا بدأ به.

▫ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «الشرك هضمٌ للربوبية، وتنقُّصٌ للإلٰهية، وسوء ظن برب العالمين» انتهىٰ.

■ قوله: «**واليأس من روح اللَّه**»: أي قطع الرجاء والأمل من اللَّه تعالىٰ فيما يخافه ويرجوه؛ وذلك إساءةُ ظن باللَّه، وجهلٌ به وبسعة رحمته وجُودِه ومغفرته.

■ قوله: «**والأمن من مكر اللَّه**»: أي من استدراجه للعبد، وسلبه ما أعطاه من الإيمان، نعوذ باللَّه من ذلك؛ وذلك جهلٌ باللَّه وبقدرته، وثقة بالنفس وعُجبٌ بها. وهذه الثلاث من أكبر الكبائر؛ فهي كبيرة

جدًّا، نسأل اللَّه اجتنابها.

وذكر هذه الثلاث لجمعها للشر كله، وبُعدِها عن الخير، وقد وقع فيها الكثيرُ قديمًا وحديثًا، نسأل اللَّه العافية في الدنيا والآخرة.

■ قوله: «**والقنوط من رحمة اللَّه**»:

□ قال أبو السعادات: «هو أشد اليأس».

وينبغي للقلب أن يكون الغالبُ عليه الخوف، فإذا غلب الرجاء في حال الصحة فسد القلب؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك]، وقال: ﴿يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾ [النور].



✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الأعراف.

الثانية: تفسير آية الحِجْر.

الثالثة: شدة الوعيد فيمن أَمِن مكر اللَّه.

الرابعة: شدة الوعيد في القنوط.

[٣٥] باب: من الإيمان بالله الصبرُ على أقدار الله

وقوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن].

- قال علقمة: «هو الرجل تصيبُه المصيبة، فيعلم أنها من عند اللَّه، فيرضىٰ ويسلِّم».

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «اثنتانِ في الناس هما بهم كفرٌ: الطعنُ في النسب، والنياحةُ علىٰ الميت»[(١)].

ولهما عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «ليس منَّا مَن ضرب الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوىٰ الجاهلية»[(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إذا أراد اللَّهُ بعبده الخير عجَّلَ له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشرَّ أمسك عنه بذَنْبه حتىٰ يوافيَ به يومَ القيامة»[(٣)].

وقال ﷺ: «إنَّ عِظمَ الجزاء مع عظم البلاء، وإن اللَّه تعالىٰ إذا أحب قومًا ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضىٰ، ومن سخط فله السُّخط». حسنه الترمذي[(٤)].

---

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) صحيح: وقد تقدم.
(٣) صحيح: وقد تقدم.
(٤) حسن: وقد تقدم.

الشرح

■ قوله: «باب: من الإيمان باللَّه الصبر علىٰ أقدار اللَّه»:

▫ قال الإمام أحمد: «ذَكَر اللَّه الصبر في تسعين موضعًا من كتابه».

وفي الحديث الصحيح: «**الصبر ضياء**». رواه أحمد ومسلم[(١)].

▫ قال عمر رضي الله عنه: «وجدنا خير عيشنا بالصبر» رواه البخاري.

▫ قال علي رضي الله عنه: «إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ثم رفع صوته فقال: إنه لا إيمان لمن لا صبر له».

واعلم أن الصبر علىٰ ثلاثة أقسام:

- صبر علىٰ ما أمر اللَّه به.
- وصبر عما[(٢)] نهىٰ اللَّه عنه.
- وصبر علىٰ ما قدَّره اللَّه من المصائب.
- زاد شيخ الإسلام: والصبر عن الأهواء المخالفة للشرع.

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾»: وأول الآية: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: أي بمشيئته وإرادته كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد].

■ قوله: «قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة؛ فيعلم أنها من عند اللَّه فيرضىٰ ويسلم»: هذا الأثر رواه ابن جرير، وابن أبي

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في المطبوع: «علىٰ ما»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

حاتم، وروي عن ابن مسعود.

و«علقمة»: هو ابن قيس بن عبداللَّه النخعي الكوفي، ولد في حياة النبي ﷺ، وسمع من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعائشة وغيرهم، وهو من كبار التابعين وعلمائهم وثقاتهم، مات بعد الستين.

وفي هذا الأثر دليل علىٰ أن الأعمال من مسمىٰ الإيمان.

وفي الآية بيان أن من ثواب الصبر هدايةَ القلب.

■ قوله: «وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: **(اثنتان في الناس هما بهم كفرٌ: الطعن في النسب، والنياحة علىٰ الميت)**»: أي هما بالناس كفرٌ حيث كانتا من أعمال الجاهلية، وهما قائمتان بالناس، ولا يَسلَمُ منهما إلا من سلَّمه اللَّه، فأطلق الكفر علىٰ من قامت به خصلةٌ من هاتين الخصلتين، لكن ليس من قام به شعبةٌ من شعب الكفر يصير كافرًا الكفرَ المطلق، كما أنه ليس من قام به شعبةٌ من شعب الإيمان يصير مؤمنًا الإيمان المطلق، ففرقٌ بين الكفر المعرَّف باللام ـ كما في قوله: «**ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا تركُ الصلاة**»[(١)] ـ، وبين كُفرٍ مُنكَّرٍ في الإثبات.

■ قوله: «**الطعن في النسب**»: أي عيبه، ويدخل فيه أن يقال: هذا ليس ابن فلان، مع ثبوت نسبه[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (٨٢)، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) قال الشيخ رشيد رضا رحمه الله في طبعته ص(٥٦٠): «يريد بثبوته عدم وجود دلائل ظاهرة، أو حكم شرعي ينفيه، فلا يجوز الطعن بمستور النسب ومجهوله، بل الناس مأمونون علىٰ أنسابهم» اهـ.

■ قوله: «**والنياحة علىٰ الميت**»: أي رفع الصوت بالندب، وتعداد فضائله؛ لما فيه من السخط علىٰ قدر اللَّه المنافي للصبر.

■ قوله: «**من ضرب الخدود**»:

▫ قال الحافظ: «خص الخد لكونه الغالب، وإلا فضرب بقية الوجه مثله».

■ قوله: «**ودعا بدعوىٰ الجاهلية**»:

▫ قال شيخ الإسلام: «هو ندب الميت».

▫ وقال ابن القيم: «الدعاء بدعوىٰ الجاهلية كالدعاء إلىٰ القبائل والعصبية، ومثله التعصب إلىٰ المذاهب والطوائف والمشايخ وتفضيل بعض علىٰ بعض، يدعو إلىٰ ذلك، ويوالي عليه ويعادي عليه، فكل هذا من دعوىٰ الجاهلية، وقد يعفىٰ عن الشيء اليسير من ذلك إذا كان صدقًا، كما يعفىٰ عن البكاء إذا كان علىٰ غير وجه النوح والتسخط. نص عليه أحمد».

■ قوله: «**إذا أراد اللَّه بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا**»:

▫ قال شيخ الإسلام: «المصائب نعمة؛ لأنها مكفراتٌ للذنوب، وتدعو إلىٰ الصبر؛ فيثاب عليها، وتقتضي الإنابةَ إلىٰ اللَّه تعالىٰ، والذل له، والإعراض عن الخلق... إلىٰ غير ذلك من المصالح، فنفسُ البلاء يكفِّرُ اللَّه به الخطايا، وهذا من أعظم النعم، فالمصائب رحمةٌ ونعمة في حق عموم الخلق، إلا أن يدخل صاحبها بسببها في معاصٍ أعظم مما كان قبل ذلك، فتكون شرًّا عليه من جهة ما أصابه في دينه؛ فإن مِن الناس مَن إذا ابتُلي بفقر أو مرض أو جوع حصل له من الجزع والنفاق، ومرض القلب، والكفر الظاهر، وترك بعض

الواجبات، وفِعلِ بعض المحرمات= ما يوجب له ضررًا في دينه. فهذا كانت العافيةُ خيرًا له من جهة ما أورثته المصيبة، لا من جهة نفس المصيبة، كما أن من أوجبت له المصيبةُ صبرًا وطاعةً كانت في حقه نعمةً دينية؛ فهي بعينها فِعلُ الرب ﷻ رحمةً للخلق، واللَّه ﷻ محمودٌ عليها، فمن ابتُلي فرُزق الصبر كان الصبر عليه نعمةً في دينه، وحصل له ـ مع ما كُفِّر من خطاياه ـ رحمة، وحصل له بثنائه علىٰ ربه صلاةُ ربه عليه؛ قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ [البقرة: ١٥٧]، وحصل له غفران السيئات ورفع الدرجات؛ فمن قام بالصبر الواجب حصل له ذلك» اهـ ملخصًا.

■ قوله: «قال النبي ﷺ: (إن عِظَم الجزاء)»: بكسر العين وفتح الظاء فيهما، ويحتمل ضمها مع سكون الظاء[(١)].

▫ قال ابن القيم: «(إن عظم الجزاء مع عظم البلاء) إذا صبر واحتسب، فإنه حينئذ يثاب علىٰ ما تولد منها، وهو ظاهر».

■ قوله: «وإن اللَّه تعالىٰ إذا أحب قومًا ابتلاهم»: وفي الحديث: سئل النبي ﷺ: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل؛ يُبتلىٰ الرجل علىٰ حسب دينه، فإن كان في دينه صلابةٌ اشتد بلاؤه. وإن كان في دينه رقةٌ ابتُلي علىٰ قدر دينه، فما يَبرح البلاءُ بالعبد حتىٰ يتركه يمشي علىٰ الأرض وما عليه خطيئة**». رواه الدارمي وابن ماجه والترمذي وصححه[(٢)].

---

(١) أي: عُظْم.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١/١٧٢)، وفي «الزهد» (٢٩٤)، وعبد بن حميد (١٤٦)، والدارمي (٢٧٨٣)، وابن أبي شيبة (٣/٢٣٣)، والطيالسي (٢١٥)، =

■ قوله: «**من رضي فله الرضا**»: أي من اللَّه، «**ومن سخط فله السخط**» كذلك.



= والتِّرمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وابن حِبَّان (٢٩٠٠)، والحاكم (٤١/١)، والبزار (١١٥٥)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٣٦٨/١)، وبحشل في «تاريخ واسط» ص(٢٥٣)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٣٧٢/٣)، وفي «الشعب» (٩٧٧٥)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٢٢٠٢)، والشاشي في «مسنده» (٦٧)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٣)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وقال الإمام الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عنده، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٧٨/٣).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية التغابن.

الثانية: أن هذا من الإيمان باللَّه.

الثالثة: الطعن في النسب.

الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوىٰ الجاهلية.

الخامسة: علامة إرادة اللَّه بعبده الخير.

السادسة: علامة إرادة اللَّه به الشر.

السابعة: علامة حب اللَّه للعبد.

الثامنة: تحريم السخط.

التاسعة: ثواب الرضىٰ بالبلاء.



[٣٦] باب: ما جاء في الرياء

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**قال تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاءِ عن الشرك؛ من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري، تركتُه وشِرْكَه**». رواه مسلم[(١)].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا: «**ألا أُخبرُكم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيح الدجال؟**». قالوا: بلىٰ - يا رسول اللَّه -. قال: «**الشركُ الخفي؛ يقومُ الرجلُ فيصلي، فيزيِّنُ صلاتَه لما يرىٰ مِن نظر رجل**». رواه أحمد[(٢)].


الشرح

■ قوله: «باب: ما جاء في الرياء»: أي من النهي عنه والتحذير.

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾»: أي ليس لي من الربوبية ولا من الإلٰهية شيء، بل ذلك كله للَّه وحده لا شريك له أوحاه إليَّ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ ويخافه ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

▫ قال شيخ الإسلام: «أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة، وقالوا: لقاء اللَّه يتضمن رؤيته سبحانه وتعالىٰ يوم القيامة»، وذكر الأدلة علىٰ ذلك.

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **حسن**: وقد تقدم.

▫ قال ابن القيم في الآية: «أي كما أنه إلٰهٌ واحد لا إلٰه إلا هو، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له، فكما تفرد بالإلٰهية يجب أن ينفرد بالعبودية، فالعمل الصالح هو الخالص من الرياء المقيد بالسنة» اهـ.

فتضمنت الآية النهي عن الشرك كله قليله وكثيره.

■ قوله: «**من عمل عملًا أشرك فيه غيري**»: أي قصد بعمله غيري من المخلوقين.

■ «**تركته وشِرْكه**»:

▫ قال الطيبي: «الضمير المنصوب في قوله: «**تركتُه**» يجوز أن يرجع إلىٰ العمل».

▫ قال ابن رجب: «واعلم أن العمل لغير اللَّه أقسام:

ـ فتارةً يكون رياءً محضًا؛ كحال المنافقين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء]، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في فرض الصدقة الواجبة أو الحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدىٰ نفعها؛ فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابطٌ، وأن صاحبه يستحق المقت من اللَّه والعقوبة.

ـ وتارة يكون العمل للَّه، ويشاركه الرياء؛ فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل علىٰ بطلانه».

وذكر أحاديث تدل علىٰ ذلك؛ منها هذا الحديث، وحديث شداد ابن أوس مرفوعًا: «**من صلىٰ يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، وإن اللَّه ﷻ يقول: أنا خيرُ قسيم لمن أشرك بي، فمن أشرك**

بي شيئًا فإن حَشْدَه[١] عملَه وقليلَه وكثيره لشريكه الذي أشرك به؛ أنا عنه غني». رواه أحمد[٢].

▫ قال الإمام أحمد ـ فيمن يأخذ جُعْلًا علىٰ الجهاد ـ: «إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس؛ كأنه خرج لدينه، فإن أعطي شيئًا أخذه».

▫ ثم قال[٣]: وأما إذا كان أصل العمل للَّه، ثم طرأ عليه نية الرياء، فإن كان خاطرًا ثم دفعه، فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه فهل يَحبط عملُه أم لا، ويجازىٰ علىٰ أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف، قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير، ورجحا أن عمله لا يَبطل بذلك، وأنه يجازىٰ بنيته الأولىٰ وهو مروي عن الحسن وغيره».

■ قوله: «عن أبي سعيد»: هو الخدري وتقدم.

---

(١) في المطبوع: «جدة»، والمثبت من جُلِّ مصادر التخريج، وورد في بعضها ـ أيضًا ـ: «جسده»، وفي أخرىٰ: «خيره».
وعلىٰ ما أثبتُّه فمعنىٰ: «حَشْده»: جميع عمله.

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (٤/١٢٥)، وأبو داود الطيالسي (١١٢٠)، والطبراني في «الكبير» (٧١٣٩)، والحاكم (٤/٣٢٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢٦٨)، والبيهقي في «الشعب» (٦٨٤٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٦/١٧٨)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/٢٢٠)، وقال: «رواه أحمد، وفيه شهر بن حوشب، وثقه أحمد وغير واحد، وبقية رجاله ثقات». **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٨/٣٦٤)، والشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (١٧٤٩)، والشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢١/١٤٦).

(٣) أي: ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

■ قوله: «**الشرك الخفي**»: سماه خفيًّا لأنه عملُ قلب، لا يعلمه إلا اللَّه، ولأن صاحبه يُظهر أن عمله للَّه، وقد قصد غيره أو شركه فيه بتزيين صلاته لأجله. ولا خلاف أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله، وكذلك المتابعة.

❑ قال ابن القيم: «وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير اللَّه، وقول الرجل للرجل: «ما شاء اللَّه وشئت، وهذا من اللَّه ومنك، وأنا باللَّه وبك، وما لي إلا اللَّه وأنت، وأنا متوكل علىٰ اللَّه وعليك، ولولا اللَّه وأنت لم يكن كذا وكذا». وقد يكون هذا أكبر بحسب حال قائله ومقصده». اهـ.



✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الكهف.

الثانية: الأمر العظيم في ردِّ العمل الصالح إذا دخله شيءٌ لغير اللَّه.

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك؛ وهو كمال الغنىٰ.

الرابعة: أن من الأسباب: أنه تعالىٰ خيرُ الشركاء.

الخامسة: خوف النبي ﷺ علىٰ أصحابه من الرياء.

السادسة: أنه فسَّر ذلك بأن يصلي المرء للَّه، لكن يزينها لما يرىٰ من نظر رجل إليه.



[٣٧] باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقوله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**تَعِس عبدُ الدينار، تَعِس عبدُ الدرهم، تَعِس عبدُ الخميصة، تَعِس عبدُ الخميلة، إن أُعطي رضيَ، وإن لم يُعطَ سخط؛ تَعِس وانتكس، وإذا شِيك فلا انتُقش. طوبىٰ لعبدٍ آخذٍ بعِنان فرسه في سبيل اللَّه، أشعثَ رأسُه، مغبرَّةٌ قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذَن له، وإن شَفَع لم يُشفَّع**»[(١)].



■ قوله: «باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا»: أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة وما بعدها أن العمل لأجل الدنيا كالرياء في بطلان العمل إن استرسل معه، كمن يطلب العلم لتحصيل وظيفةِ التعليم، كحال أهل المدارس وأئمة المساجد والمجاهدين ونحوهم؛ ممن يقصد بعمله الصالح أمرَ دنيا، وقد وقع ذلك كثيرًا؛ حتىٰ إن منهم من يحرص علىٰ سفر الجهاد لما يحصل له فيه من جهةِ أمير الجيش واجتماعه به، وأمره له ونهيه وقربه منه، ونحو ذلك.

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

■ قوله: «﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا...﴾» الآيتين:

▫ قال ابن عباس: «﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي ثوابها ﴿وَزِينَتَهَا﴾ أي مالها، ﴿نُوَفِّ﴾ نوفر ﴿إِلَيْهِمْ﴾ ثواب ﴿أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ بالصحة والسرور في المال والأهل والولد ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ لا ينقصون، ثم نسختها ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ...﴾ [الإسراء: ١٨] الآية». رواه البخاري في ناسخه.

وأخرج ابن جرير بسنده المتصل عن شُفيٍّ بن ماتع، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه** ﷻ **إذا كان يوم القيامة نزل ليقضيَ بينهم، وكلُّ أمة جاثية، فأول من يدعو به رجلٌ قد جمع القرآن، ورجلٌ قُتل في سبيل اللَّه، ورجلٌ كثير المال، فيقول اللَّه تعالىٰ للقارئ: ألم أعلِّمْك ما أنزلتُ علىٰ رسولي؟ قال: بلىٰ - يا رب -. قال: فماذا عملتَ فيما علمت؟ قال: كنت أقومُ آناء الليل وآناء النهار، فيقول اللَّه: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول اللَّه تعالىٰ: بل أردت أن يقال: فلان قارئ؛ فقد قيل. ويؤتىٰ بصاحب المال فيقول اللَّه له: ألم أوسِّع عليك حتىٰ لم أدَعْك تحتاج إلىٰ أحد؟ قال: بلىٰ - يا رب -. قال: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصلُ الرحم وأتصدق. فيقول اللَّه له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول اللَّه: بل أردتَ أن يقال: فلان جواد؛ فقد قيل ذلك. ويؤتىٰ بالذي قُتل في سبيل اللَّه فيقال له: فبماذا قُتلت؟ فيقول: أُمِرتُ بالجهاد في سبيلك؛ فقاتلتُ حتىٰ قتلت، فيقول اللَّه له: كذبت. وتقول الملائكة: كذبت. ويقول اللَّه: بل أردت أن يقال: فلان جريء، وقد قيل ذلك**»، ثم ضرب رسول اللَّه ﷺ علىٰ ركبتي فقال: «**يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق اللَّه تُسعَّر بهم**

النار يوم القيامة»[١].

■ قوله: «في الصحيح»: أي صحيح البخاري.

■ قوله: «تَعِس»: بكسر العين ويجوز الفتح ـ: أي سقط، والمراد هنا: هلك. قاله الحافظ.

▫ وقال أبو السعادات: «يقال: تعس يتعس: إذا عثر وانكب لوجهه، وهو دعاء عليه بالهلاك».

■ قوله: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم**»: سماه عبدًا له لكونه هو المقصود بعمله؛ فصار عبدًا له؛ لأنه عَبَده بذلك العمل.

■ قوله: «**تعس عبد الخميصة**»:

▫ قال أبو السعادات: «هي ثوب خزٍّ أو صوف معلم».

■ و«**الخميلة**» ـ بفتح الخاء المعجمة ـ.

▫ قال أبو السعادات: «ذات الخَمل: ثياب لها خَملٌ من أي شيء كان».

والمراد كل ما كان من الدنيا نقدًا أو عَرَضًا؛ لأنه ذكر النوعين.

■ قوله: «**وانتكس**»:

▫ قال أبو السعادات: «أي انقلب علىٰ رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة».

■ قوله: «**وإذا شيك فلا انتقش**»: أي إذا أصابته شوكة فلا يقدر علىٰ إخراجها بالمناقيش[٢]. قاله أبو السعادات.

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **المنقاش**: الملقاط.

▫ قال شيخ الإسلام: «فسماه النبي ﷺ عبد الدينار والدرهم، وعبد القطيفة، وعبد الخميصة، وذكر ما فيه، وهو دعاء عليه بلفظ الخبر، وهو قوله: «**تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**»، وهذه حال من إذا أصابه شرٌّ لم يخرج منه ولم يفلح؛ لكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه. وهذه حال من عبد المال، وقد وَصَف ذلك بأنه إن أُعطي رضي، وإن مُنع سخط، فرضاه لغير اللَّه، وسَخطَه لغير اللَّه. وهكذا حال من كان متعلقًا برياسة أو صورة ونحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبدُ ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له؛ إذ الرِّق والعبودية في الحقيقة رق القلب وعبوديته، فما استرق القلبَ واستعبده فهو عبده».

▫ إلىٰ أن قال: «وهكذا ـ أيضًا ـ حال من طلب المال؛ فإن ذلك يستعبده ويسترقُّه، وهذه الأمور نوعان:

فمنها: ما يحتاج إليه العبد، كما يحتاج إلىٰ طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك، فهذا يطلبه من اللَّه، ويرغب إليه فيه، فيكون المال عنده يستعمله في حاجته؛ بمنزلة حماره الذي يركبه، وبساطه الذي يجلس عليه؛ من غير أن يستعبده فيكون هلوعًا.

ومنها: ما لا يحتاج إليه العبد؛ فهذا ينبغي ألَّا يعلق قلبه به، فإذا تعلق قلبه صار مستعبدًا، ومعتمدًا علىٰ غير اللَّه؛ فلا يبقىٰ معه حقيقة العبودية للَّه، ولا حقيقة التوكل علىٰ اللَّه؛ بل فيه شعبةٌ من العبادة لغير اللَّه، وشعبة من التوكل علىٰ غيره، وهذا أحق الناس بقوله ﷺ: «**تعس عبدُ الدرهم، تعس عبدُ الدينار، تعس عبدُ الخميصة، تعس عبدُ الخميلة**»، وهذا هو عبدٌ لهذه الأمور، ولو طلبها

من اللَّه فإن اللَّه إذا أعطاه إياه رضي، وإن منعه إياها سخط، وإنما عَبْدُ اللَّه من يُرضيه ما يُرضي اللَّه، ويُسخطه ما يسخط اللَّه، ويُحب ما أحب اللَّه ورسوله، ويبغض ما أبغض اللَّه ورسوله، ويوالي أولياء اللَّه، ويعادي أعداء اللَّه، فهذا الذي استكمل الإيمان» اهـ. ملخصًا.

■ قوله: «**طوبىٰ لعبد**»: روىٰ الإمام أحمد عن حسن بن موسىٰ قال: سمعت عبداللَّه بن لهيعة: حدثنا درَّاج أبو السمح: أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري عن رسول اللَّه ﷺ أن رجلًا قال: يا رسول اللَّه، طوبىٰ لمن رآك وآمن بك. قال: «**طوبىٰ لمن رآني وآمن بي، ثم طوبىٰ ثم طوبىٰ لمن آمن بي ولم يرني**». قال له رجل: وما طوبىٰ؟ قال: «**شجرةٌ في الجنة مسيرةُ مئة عام، ثيابُ أهل الجنة تخرج من أكمامها**[(١)]». له شواهد في الصحيحين[(٢)].

وقد روىٰ ابن جرير عن وهب بن منبه هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا:

▫ قال وهب: «إن في الجنة شجرةً يقال لها طوبىٰ؛ يسير الراكب في ظلها مِئة عام لا يقطعها، زهرُها رياط[(٣)]، وورقها برود[(٤)]،

---

(١) **الأكمام**: الأوعية.

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (٣/٧١)، وأبو يعلىٰ (١٣٧٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/٩١)، والطبري في «تفسيره» (١٣/١٤٩)، وابن حِبَّان (٧٢٣٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٨٧)، والآجري في «الشريعة» (٦٢٤)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (١٤٣)، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٨/٢١٢).
ولبعض فقراته شواهد ـ كما قال المصنف ـ.

(٣) **الرياط**: الملاءة الرقيقة.

(٤) **البُرود**: الأكسية الثخينة.

وقضبانها عنبر[(١)]، وبطحاؤها ياقوت[(٢)]، وترابها كافور، ووَحْلُها مسك، يخرج من أصلها أنهارُ الخمر واللبن والعسل، وهي مجلسٌ لأهل الجنة؛ فبينا هم في مجلسهم إذ أتتهم الملائكة من ربهم يقودون نُجُبًا مزمومةً[(٣)] بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصابيح من حسنها، ووبرُها كخزِّ المرعزي[(٤)] من لينه، عليها رحالٌ ألواحها من ياقوت، ودفوفها[(٥)] من ذهب، وثيابها من سندس وإستبرق؛ فيُنِيخُونها[(٦)]، ويقولون: إن ربنا أرسَلَنا إليكم لتزوروه وتسلِّموا عليه، قال: فيركبونها، قال: فهي أسرع من الطائر، وأوطأ[(٧)] من الفراش؛ خبًّا من غير مهنة[(٨)]؛ يسير الرجل إلىٰ جنب أخيه، وهو يكلمه ويناجيه، لا تصيب أذنُ راحلة منها أذنَ صاحبتها، ولا بَرْكُ راحلةٍ برك الأخرىٰ[(٩)]؛ حتىٰ إن الشجرة لتتنحَّىٰ عن طريقهم لئلا تفرِّق بين الرجل وأخيه.

قال: فيأتون إلىٰ الرَّحمٰن الرحيم؛ فيُسفِرُ لهم عن وجهه الكريم

---

(١) لعل المراد رائحة أعوادها جميلة كالعنبر. ويطلق العنبر ـ أيضًا ـ علىٰ مادةٍ صلبة.

(٢) **البطحاء**: الحجارة الصغيرة.

(٣) **نُجُبًا مزمومة**: إبلًا مشدودة معدَّة للركوب.

(٤) **خز المرعزي**: أنفس أنواع الحرير.

(٥) **الدفوف**: الأطراف.

(٦) **يُنيخونها**: ينزلونها علىٰ الأرض.

(٧) **أوطأ**: ألين وأنعم.

(٨) أي: تجري بهم جريًا رفيقًا وقورًا.

(٩) **البرك**: الجانب.

حتىٰ ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، وحُقَّ لك الجلال والإكرام. قال: فيقول ﷻ عند ذلك: أنا السلام، ومني السلام، وعليكم حَقَّت رحمتي ومحبتي، مرحبًا بعبادي الذين خَشَوني بالغيب، وأطاعوا أمري. قال: فيقولون: ربنا، إنا لم نعبدك حق عبادتك، ولم نقدُرْك حق قدرك؛ فأْذَنْ لنا بالسجود قدامك، قال: فيقول اللَّه: إنها ليست دار عبادةٍ ولا نصب، ولكنها دارُ مُلكٍ ونعيم، وإني قد رفعتُ عنكم نَصَبَ العبادة؛ فسلوني ما شئتم؛ فإن لكل رجل منكم أمنيته. فيسألونه حتىٰ إن أقصرهم أمنيةً ليقول: رب، تنافَسَ أهلُ الدنيا في دنياهم فتضايقوا. رب، فآتني مثل كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتَها إلىٰ أن انتهت الدنيا، فيقول اللَّه تعالىٰ: «لقد قصُرتْ بك أمنيتُك، ولقد سألتَ دون منزلتك، هذا لك مني؛ لأنه ليس في عطائي نكد، ولا قِصَرُ يد. قال: ثم يقول: اعرضوا علىٰ عبادي ما لم تبلغ أمانيُّهم التي في أنفسهم. فيكون فيما يعرضون عليهم براذينُ مقرَنة[(١)]، علىٰ كل أربعة منها سرير من ياقوتةٍ واحدة، علىٰ كل سرير منها قبةٌ من ذهب مفرغة، في كل قبة منها فُرشٌ من فرش الجنة مظاهرة[(٢)]، في كل قبة منها جاريتان من الحور العين، علىٰ كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة، وليس في الجنة لونٌ إلا وهو فيهما، ولا طِيبٌ إلا قد عَبِق بهما، ينفذُ ضوء وجوههما غِلظَ القبة[(٣)]؛ حتىٰ يظن من يراهما أنهما دون القبة، يُرىٰ

(١) **البراذين**: نوعٌ فاره من الخيول. **المُقرَنة**: الملتصقة ببعضها.
(٢) **مظاهرة**: مرصوصة فوق بعضها. أو ظاهرٌ جمالها جميعًا.
(٣) أي: يرىٰ جمال وجوههما من خلف القبَّة.

مخهما[(١)] من فوق كالسلك الأبيض في ياقوتة حمراء، يَريانِ له من الفضل علىٰ صحابته كفضل الشمس علىٰ الحجارة أو أفضل، ويرىٰ لهما مثل ذلك[(٢)]، ثم يدخل إليهما، فيحييانه ويقبِّلانه ويعانقانه، ويقولان له: ما ظننا أن اللَّه يخلق مثلك. ثم يأمر اللَّه الملائكة فيسيرون بهم صفًا في الجنة، حتىٰ ينتهي كلُّ رجل منهم إلىٰ منزلته التي أُعدت له» اهـ.

■ قوله: «**أشعث**»: مجرورة بالفتحة؛ لأنه اسم لا ينصرف للوصف ووزن الفعل.

■ و«**رأسُه**»: مرفوع علىٰ الفاعلية، وهو طائرُ الشعر[(٣)]؛ أشغله الجهاد في سبيل اللَّه عن التنعم بالأدهان وتسريح الشعر.

■ قوله: «**مغبرَّةٍ قدماه**»: هو بالجر صفةٌ ثانية لـ«**عبدٍ**».

■ قوله: «**إن كان في الحراسة**»: أي حامية الجيش عن أن يهجم العدو عليهم.

■ قوله: «**كان في الحراسة**»: أي غير مقصِّرٍ فيها ولا غافل.

■ قوله: «**وإن كان في الساقة كان في الساقة**»: أي في مُؤخِّرة الجيش، يقلِّبُ نفسه في مصالح الجهاد، وبما فيه حفظ المجاهدين من عدوهم.

▫ قال الخلخالي: «المعنىٰ ائتماره لما أُمر، وإقامته حيث أقيم، لا يفقد مكانه، وإنما ذكر الحراسة والساقة لأنهما أشدُّ مشقةً».

---

(١) **المُخ**: لُبُّ الساق.
(٢) أي: يُرىٰ كلٌّ منهما الآخر أجمل شيءٍ في خلق اللَّه.
(٣) هذا معنىٰ «الشَّعَث»، والمقصود: ثائر الشعر، غير منظَّم.



■ قوله: «**إن استأذن لم يؤذن له**»: أي استأذن علىٰ الأمراء ونحوهم لم يأذنوا له؛ لأنه لا جاه له عندهم ولا منزلة، لأنه ليس من طلابها، وإنما يطلب ما عند اللَّه.

■ قوله: «**وإن شفع لم يُشفَّع**»: يعني لو ألجأته الحالُ إلىٰ أن يشفعَ له في أمر يحبه اللَّه ورسوله، لم تُقبل له شفاعة عند الأمراء ونحوهم.

وعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**حرسُ ليلةٍ في سبيل اللَّه أفضلُ من ألف ليلةٍ يُصام نهارها ويُقام ليلها**»[(١)].

▫ وروىٰ الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبداللَّه بن المبارك: قال عبداللَّه بن محمد ـ قاضي نَصِيبين ـ: حدثني محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة: أنه أملىٰ عليه عبداللَّه بن المبارك هذه الأبيات بطَرَسوس، وواعده الخروج، وأنفذها معه إلىٰ الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومئة:

يا عابدَ الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب

من كان يخضبُ خدَّه بدموعه ... فنُحورنا بدمائنا تتخضَّبُ

---

(١) حسن: رواه أحمد (١/٦١)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» ـ كما في «النكت الظراف» (٧/٢٦٠) ـ، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (١٥٠)، والبزار (٣٥٠)، والطبراني (١٤٥)، والحاكم (٢/٨١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/٢١٤)، وفي «معرفة الصحابة» (٢٨٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٣٤)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١/٤٨٨)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٧٠٤).

أو كان يُتعِبُ خَيلَه في باطلٍ   فخيولُنا يوم الصبيحة تتعبُ
ريحُ العبير لكم ونحن عبيرُنا   رَهَجُ السنابك والغبارُ الأطيبُ[(١)]
ولقد أتانا من مقالِ نبينا   قولٌ صحيحٌ صادقٌ لا يَكذِبُ
لا يستوي غبارُ خيل اللَّه في   أنفِ امرئٍ ودخانُ نارٍ تَلْهَبُ
هذا كتابُ اللَّه ينطق بيننا   ليس الشهيدُ بميتٍ لا يُكذَبُ

قال: فلقيت الفضيل بكتابه في المسجد الحرام، فلما قرأه ذرفت عيناه. فقال: صدق أبو عبدالرَّحمٰن، ونصحني، ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قلت: نعم. قال لي: اكتب هذا الحديث. وأملىٰ عليَّ الفضيلُ بن عياض:

حدثنا منصور بن المعتمر، عن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رجلًا قال: يا رسول، علِّمْني عملًا أنال به ثواب المجاهدين في سبيل اللَّه، فقال: «**هل تستطيع أن تصليَ فلا تَفتُر، وتصومَ فلا تُفطر؟**»، فقال: يا رسول اللَّه، أنا أضعف من أن أستطيع ذلك، ثم قال النبي ﷺ: «**فوالذي نفسي بيده لو طُوِّقتَ ذلك ما بلغتَ فضل المجاهدين في سبيل اللَّه، أما علمتَ أن فرس المجاهدِ لَيَسْتَنُّ في طِوَلِه[(٢)]؛ فيُكتب له بذلك حسنات**»[(٣)].



(١) **رهج السنابك**: غبار الحوافر.
(٢) **يستن**: يتحرك. **الطِّوَل** ـ بكسر الطاء وفتح الواو ـ: الحبل. أي: كلما تحرك في حبله كُتبت لصاحبه الحسنات.
(٣) رواه البخاري (٢٧٨٥)، ومسلم (١٨٧٨).

فيه مسائل:

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبدَ الدينار والدرهم والخميصة.

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أُعطي رضي، وإن لم يُعطَ سخط.

الخامسة: قوله: «**تعس وانتكس**».

السادسة: قوله: «**وإذا شيك فلا انتقش**».

السابعة: الثناء علىٰ المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

[٣٨] باب: من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله؛ فقد اتخذهم أربابًا من دون الله

▫ وقال ابن عباس: «يوشك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء، أقول: قال رسول اللَّه ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!».

▫ وقال الإمام أحمد: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته؛ يذهبون إلىٰ رأي سفيان! واللَّه تعالىٰ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك؛ لعله إذا ردَّ بعض قوله [ﷺ] أن يقع في قلبه شيءٌ من الزَّيْغ فيَهلِك».

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة]، فقلت له: إنا لسنا نعبدُهم. قال: «**أليس يُحرِّمون ما أحلَّ اللَّهُ فتحرِّمونه؟ ويُحلُّون ما حرَّم اللَّه فتحلُّونه؟**»، فقلت: بلىٰ. قال: «**فتلك عبادتُهم**». رواه أحمد والترمذي وحسَّنه[(١)].

الشرح

■ قوله: «باب: من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم اللَّه أو تحريم ما أحل اللَّه فقد اتخذهم أربابًا من دون اللَّه»: فيه

---

(١) حسن: وقد تقدم.

إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب].

■ قوله: «وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول اللَّه ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر»:

▫ قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «أجمع العلماء علىٰ أن من استبانت له سنة رسول اللَّه ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد».

▫ وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «ما منَّا إلا رادٌّ ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر ﷺ».

▫ وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويُدَع غير النبي ﷺ».

■ قوله: «وقال الإمام أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلىٰ رأي سفيان، واللَّه تعالىٰ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ فيهلك»:

▫ قال الإمام أحمد: «نظرت في المصحف، فوجدت طاعة الرسول في ثلاثةٍ وثلاثين موضعًا». ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

و«سفيان»: هو الثوري، الإمام الزاهد العابد، الثقة الفقيه، وكان له أصحاب يأخذون عنه، ومذهبه مشهور.

وقد عمت البلوىٰ بهذا المنكر[1] الذي أنكره الإمام أحمد؛

---

(١) يعني التعصب للآراء في مقابلة السُّنة الغرَّاء.

خصوصًا فيمن ينتسب إلىٰ العلم والإفتاء والتدريس، وزعموا أنه لا يأخذ بأدلة الكتاب والسنة إلا المجتهد، والاجتهاد قد انقطع! وقد أخطئوا في ذلك.

وقد استدل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ من أمتي علىٰ الحق منصورةً، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتىٰ يأتي أمر اللَّه وهم علىٰ ذلك**»(١) = أن الاجتهاد لا ينقطع.

وحكىٰ ابن عبدالبر الإجماع علىٰ أن المقلد لا يكون من أهل العلم(٢).

والأئمة لم يقصِّروا في البيان؛ بل نَهَوا عن تقليدهم إذا استبانت السنة.

- قال أبو حنيفة: «إذا جاء الحديث عن رسول اللَّه ﷺ فعلىٰ الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم فعلىٰ الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال».
- وقال: «إذا قلتُ قولًا، وكتابُ اللَّه يخالفه؛ فاتركوا قولي لكتاب اللَّه تعالىٰ، قيل: إذا كان قول رسول اللَّه ﷺ يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لخبر رسول اللَّه ﷺ. قيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لقول الصحابة».

وتقدم قول الإمامين مالك والشافعي.

فعلىٰ من اشتغل بمصنفات أهل مذهبه أن ينظر في أقوال

---

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) انظر: «القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد» مع «الإقليد في أدلة الاجتهاد والتقليد»، للعلامة الشوكاني بعنايتي.

المخالفين، وما استدلوا به؛ فيكون متبعًا للدليل مع من كان معه، وباللَّه التوفيق.

■ قوله: «عن عدي بن حاتم»: أي الطائي المشهور بالسخاء[١] والكرم، قدم عديٌّ علىٰ رسول اللَّه ﷺ في شعبان سنة تسع من الهجرة، فأسلم وعاش مئة وعشرين سنة.

وقد أشار المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بترجمة الباب إلىٰ هذا الحديث وما في معناه.

وفيه دليل علىٰ أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية اللَّه عبادة لهم من دون اللَّه.

▫ قال شيخنا في «المسائل»: «فتغيرت الأحوال، وآلت إلىٰ هذه الغاية؛ فصار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، ويسمونها الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه! ثم تغيرت الحال إلىٰ أنْ عُبِد من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنىٰ الثاني مَن هو من الجاهلين».

▫ وعن زياد بن حُدير قال: «قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا. قال: يهدمه زلةُ العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين». رواه الدارمي.

جعلنا اللَّه وإياكم من الذين يَهدون بالحق وبه يعدلون. فكم ضلَّ مَن ضل، وزلَّ مَن زل!



(١) والمشهور المقصود هنا هو حاتم، وليس عديًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النور.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: التنبيه علىٰ معنىٰ «العبادة» التي أنكرها عديٌّ.

الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تغيُّر الأحوال إلىٰ هذه الغاية؛ حتىٰ صار عند الأكثر عبادةُ الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمىٰ «الولاية»، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الحال إلىٰ أن عُبد من دون اللَّه من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنىٰ الثاني مَن هو من الجاهلين.





[٣٩] باب: قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء]

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة].

وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة].

عن عبداللَّه بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يؤمِنُ أحدُكم حتىٰ يكون هواه تَبَعًا لما جئتُ به**». قال النووي: «حديث صحيح، رُوِّيناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح»(١).

▫ وقال الشعبي: «كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلىٰ محمد ـ لأنه عَرَف أنه لا يأخذ الرشوة ـ. وقال المنافق: نتحاكم إلىٰ اليهود ـ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ـ. فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جُهينة فيتحاكما إليه، فنَزلت:

(١) حسن ـ إن شاء اللَّه ـ: وقد تقدم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ...﴾ الآية»[(١)].

▫ وقيل: «نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلىٰ النبي ﷺ، وقال الآخر: إلىٰ كعب بن الأشرف. ثم ترافعا إلىٰ عمر رضي الله عنه، فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرضَ برسول اللَّه ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله»[(٢)].

الشرح

■ قوله: «باب: قول اللَّه تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠]» الآية.

▫ قال العماد ابن كثير: «والآية ذامةٌ لمن عَدَل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلىٰ ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا، وكل من عبد شيئًا دون اللَّه بأي نوع كان من أنواع العبادة كالدعاء والاستغاثة = فإنما عبد الطاغوت».

- فإن كان المعبود صالحًا كانت عبادةُ العابد له واقعةً علىٰ الشيطان الذي أمره بعبادته وزيَّنها له؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝٢٨ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ۝٢٩﴾ [يونس]، والآية بعدها.

---

(١) ضعيف: وقد تقدم.

(٢) موضوع: وقد تقدم.

- وإن كان ممن يدعو إلىٰ عبادة نفسه كالطواغيت، أو كان شجرًا أو حجرًا أو قبرًا - كاللات والعزىٰ ومناة وغير ذلك مما كان يتخذه المشركون لهم أصنامًا علىٰ صور الصالحين والملائكة أو غير ذلك - فهي من الطاغوت الذي أمر اللَّه عباده أن يكفروا بعبادته ويتبرؤوا منه، ومن عبادة كل معبودٍ سوىٰ اللَّه كائنًا من كان.

فالتوحيد هو الكفر بكل ما عُبد من دون اللَّه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف] الآية، فلم يستثن من كل معبودٍ إلا الذي فَطَره ﷻ، هذا معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه» كما تقدم في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ﴾ [الممتحنة: ٤]، إلىٰ قوله: ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، وكذلك من خالف حكم اللَّه ورسوله بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل اللَّه، أو مع الجهل بذلك، أو طلب ذلك أن يُتَّبع عليه، أو أطاعه فيما لا يعلم أنه حق؛ إذا كان المطيع له لا يبالي أكان أمره حقًّا أم لا= فهو طاغوت بلا ريب، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾؛ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد - كما في آية البقرة -؛ فإذا لم يحصل هذا الركنُ لم يكن قد نفىٰ ما نفته «لا إلٰه إلا اللَّه».

■ قوله: «﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾»: أي بعيدًا عن الهدىٰ؛ ففي هذه الآية أربعةُ أمور:

الأول: أنه من إرادة الشيطان.

الثاني: أنه ضلال.

الثالث: تأكيده بالمصدر.

الرابع: وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدىٰ.

فسبحان اللَّه! ما أعظم القرآن! وما أنفعه لمن تدبره! وما أبلغه! وما أدلَّه علىٰ أنه كلام رب العالمين؛ أوحاه إلىٰ رسوله الكريم، وبلَّغه عبده الصادق الأمين ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ.

■ قوله: «﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾»: فإن المنافق يكره الحق وأهله، ويهوىٰ ما يخالفه من الباطل، وهذه حال أهل النفاق.

▫ قال العلامة ابن القيم: «هذا دليلٌ علىٰ أن من دُعي إلىٰ تحكيم الكتاب والسنة فأبىٰ = أنه من المنافقين».

قلت: فما أكثرهم ـ لا كثَّرهم اللَّه ـ.

▫ قال: «﴿يَصُدُّونَ﴾ لازم، وهو بمعنىٰ يُعرضون؛ لأن مصدره ﴿صُدُودًا﴾».

فما أكثر من اتصف بهذا الوصف؛ خصوصًا من يدعي العلم! فإنهم صدوا عما توجبه الأدلة من كتاب اللَّه وسنة رسوله إلىٰ أقوال من يخطئ كثيرًا ممن ينتسب إلىٰ مذهبٍ من مذاهب الأربعة في تقليدهم مَن لا يجوز تقليده فيما يخالف الدليل، فصار المتبع للرسول ﷺ من أولئك غريبًا، وقد عمت البلوىٰ بهذا.

■ قوله: «﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾»:

▫ قال أبو العالية في الآية: «يعني: لا تعصوا في الأرض؛ لأن من عصىٰ اللَّه في الأرض أو أمر بمعصية اللَّه فقد أفسد في الأرض؛

لأن صلاح الأرض والسماء إنما هو بطاعة اللَّه ورسوله».

ومناسبة الآية للترجمة: أن التحاكم إلىٰ غير اللَّه ورسوله من أعمال المنافقين، وهو من الفساد في الأرض، وفي الآية التنبيه علىٰ عدم الاغترار بأقوال أهل الأهواء وإن زخرفوها بالدعوىٰ.

■ قوله: «﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾»:

▫ قال أبو بكر بن عياش في الآية: «إن اللَّه بعث محمدًا ﷺ إلىٰ أهل الأرض وهم في فساد، فأصلحهم اللَّه بمحمد ﷺ؛ فمن دعا إلىٰ خلاف ما جاء به محمد ﷺ فهو من المفسدين في الأرض».

▫ قال ابن القيم: «قال أكثر المفسرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلىٰ غير طاعة اللَّه؛ بعد إصلاح اللَّه إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلىٰ طاعة اللَّه، فإن عبادة غير اللَّه والدعوة إلىٰ غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض؛ بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك، والدعوة إلىٰ غير اللَّه، وإقامة معبود غيره ومطاع ومتبَع غير رسول اللَّه ﷺ هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون اللَّهُ وحده هو المعبود المطاع، والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع ولا طاعة، ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيدُ اللَّه وعبادته وطاعة رسوله، وكل فتنة في العالم وبلاء وشر وقحط وتسليط عدو وغير ذلك= فسببه مخالفة رسوله، والدعوة إلىٰ غير اللَّه ورسوله». انتهىٰ.

وبما ذكرنا يتبين مطابقة الآية للترجمة.

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ...﴾ الآية»:

□ قال ابن كثير: «ينكر تعالىٰ علىٰ من خرج عن حكم اللَّه المشتمل علىٰ كل خير والنهي عن كل شر، وعَدَل إلىٰ ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة اللَّه؛ كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات؛ وكما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيزخان الذي وضع لهم كتابًا مجموعًا من أحكام اقتبسه من شرائع شتىٰ، وفيها كثيرٌ من الأحكام أخذها عن مجرد نظره، وصار في بنيه شرعًا يقدمونه علىٰ الحكم بالكتاب والسنة، ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله؛ حتىٰ يرجع إلىٰ حكم اللَّه ورسوله، فلا يحكم بسواه في قليلٍ ولا كثير».

■ قوله: «﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾»: استفهام إنكار؛ أي: لا حكم أحسن من حكمه، وهذا من باب استعمال «أفعل التفضيل» فيما ليس له في الطرف الآخر مشارك، أي: ومَن أعدلُ من اللَّه حكمًا لمن عقل عن اللَّه شرعه، وآمن وأيقن أنه تعالىٰ أحكم الحاكمين، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، العليم بمصالح عباده، القادر علىٰ كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

■ قوله: «عن عبداللَّه بن عمرو أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جئت به**»: قال النووي: حديث صحيح رويناه في كتاب «الحجة» بإسناده صحيح»: هذا الحديث رواه الشيخ أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي في كتاب «الحجة علىٰ تارك المحجة» بإسناد صحيح ـ كما قال المصنف عن النووي ـ.

ورواه الطبراني، وأبو بكر بن عاصم، والحافظ أبو نعيم في «الأربعين» التي شَرَط لها أن تكون في صحاح الأخبار.

وشاهده في القرآن: قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠]، ونحو هذه الآيات.

■ قوله: «**حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جئتُ به**»: الهوىٰ ـ بالقصر ـ أي: ما تهواه وتحبه نفسه، فإن كان الذي يحبه وتميل إليه نفسه ويعمل به تابعًا لما جاء به الرسول ﷺ لا يخرج عنه إلىٰ ما يخالفه = فهذه صفة أهل الإيمان المطلق؛ الذي يوجب لصاحبه الجنةَ والنجاةَ من النار، وإن كان بخلاف ذلك، أو في بعض أحواله أو أكثرها؛ انتفىٰ عنه من الإيمان كمالُه الواجب؛ فيطلق عليه «مؤمن» بقيد، لنقص إيمانه بالمعصية؛ كما في حديث أبي هريرة: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»[1]؛ فيكون مسلمًا، ومعه مطلق الإيمان الذي لا يصح إسلامه إلا به.

وهذا التوحيد الذي لا يشوبه شرك ولا كفر، هذا هو الذي يذهب إليه أهل السنة والجماعة خلافًا للخوارج والمعتزلة؛ فإن الخوارج يكفِّرون بالذنوب، والمعتزلة لا يطلقون عليه الإيمان، ويقولون بتخليده في النار، وكلا الطائفتين ابتدع في الدين، وترك ما دل عليه الكتاب والسنة، وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ

(١) رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]؛ فقيَّد مغفرةَ ما دون الشرك بالمشيئة، وتواترت الأحاديث بما يحقق ما ذهب إليه أهلُ السنة:

فقد أخرج البخاري وغيره، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من قال: «لا إلٰه إلا اللَّه»، وفي قلبه وزن شعيرةٍ من خير، ويخرج من النار من قال: «لا إلٰه إلا اللَّه»، وفي قلبه وزن بُرَّةٍ من خير. ويخرج من النار من قال: «لا إلٰه إلا اللَّه»، وفي قلبه وزن ذرةٍ من خير**»[(١)].

■ قوله: «وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلىٰ محمد؛ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلىٰ اليهود...» إلخ: في قصة عمر وقتله المنافق الذي طلب التحاكم إلىٰ كعب بن الأشرف دليلٌ علىٰ قتل من أظهر الكفر والنفاق، وكان كعب بن الأشرف هذا شديدَ العداوة للنبي ﷺ والأذىٰ له، والإظهار لعداوته؛ فانتَقض به عهده، وحلَّ به قتلُه، وقصة قتله مذكورة في كتب الأحاديث والسير وغيرها[(٢)].



---

(١) رواه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣).

(٢) رواه البخاري (٤٠٣٧)، ومسلم (١٨٠١)، من حديث جابر بن عبداللَّه رضي الله عنهما.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء، وما فيها من الإعانة علىٰ معرفة فهم الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ الآية.

الثالثة: تفسير آية الأعراف: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا...﴾.

الرابعة: تفسير ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ...﴾.

الخامسة: ما قال الشعبي في سبب نزول الآية الأولىٰ.

السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

السابعة: قصة عمر مع المنافق.

الثامنة: كونُ الإيمان لا يحصل لأحدٍ حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ.



[٤٠] باب: من جحد شيئًا من الأسماء والصفات

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ۝٣٠﴾ [الرعد].

▫ وفي «صحيح البخاري»: «قال عليٌّ: حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّب اللَّهُ ورسولهُ؟»[1].

▫ وروىٰ عبدالرزاق، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه: عن ابن عباس ﭬ: «أنه رأىٰ رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات ـ استنكارًا لذلك ـ، فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟! يجدون رِقةً عند مُحكَمِه، ويَهلِكون عند متشابهه؟!» انتهىٰ.

ولما سمعت قريش رسول اللَّه ﷺ يذكر «الرَّحمٰن» أنكروا ذلك، فأنزل اللَّه فيهم: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾.



الشرح

■ قوله «باب: من جحد شيئًا من الأسماء والصفات. وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾» الآية: سبب نزول الآية معلوم، وهو أن قريشًا جحدوا اسم «الرَّحمٰن» عنادًا؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] فـ«الرَّحمٰن» اسمه وصفته، فـ«الرحمة» وصفه القائم به، فإذا كان المشركون جحدوا اسمًا من أسمائه الذي دل علىٰ كماله تعالىٰ؛ فجحدوا معناه كجحود لفظه = فإن الجهمية يزعمون أنها لا تدل علىٰ صفةٍ قائمة

(١) صحيح: وقد تقدم.



باللَّه تعالىٰ، وتبعهم علىٰ ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة، فلهذا كفَّرهم كثيرٌ من أهل السنة.

▫ قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

ولقد تقلد كفرَهم خمسون في عشرٍ من العلماء في البلدانِ
واللالكائيُّ الإمامُ حكاه عنهمُ بل حكاه قبله الطبراني

فإن هؤلاء الجهمية ومن وافقهم من أهل الكلام علىٰ التعطيل= جحدوا ما وصف اللَّه به نفسه، ووصفه به رسول اللَّه ﷺ من صفات كماله ونعوت جلاله، وبنَوا هذا التعطيل علىٰ أصلٍ فاسدٍ أصَّلوه من عند أنفسهم، ولم يفهموا من صفات اللَّه إلا ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين، فشبَّهوا اللَّه في ابتداء آرائهم الفاسدة بخلقه، ثم عطَّلوه من صفات كماله، وشبَّهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات، فشبهوا أولًا، وعطلوا ثانيًا، وشبهوا ثالثًا بكل ناقص أو معدوم، فتركوا ما دل عليه صريح الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة من إثبات ما وصف اللَّه به نفسه، ووصفه به رسوله علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ⑪﴾ [الشورىٰ].

وقد صنف أئمة السنة ـ لما حدثت بدعة الجهمية ـ مصنفاتٍ كثيرةً في الرد عليهم؛ كالإمام أحمد، وابنه عبداللَّه، والخلال، وأبي بكر الأثرم، وعثمان بن سعيد الدارمي، وإمام الأئمة محمد بن خزيمة، وأبي عثمان الصابوني، وخلق من أئمة السنة لا يمكن حصرهم، وكذلك من بعدهم كأبي محمد موفق الدين، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، ومن في طبقتهم كالعماد ابن كثير،

والحافظ ابن الهادي، وابن رجب، والذهبي، وغيرهم من أهل السنة والجماعة، وكتبهم مشهورة موجودة بين أهل السنة والجماعة.

فللَّه الحمد علىٰ ظهور الحق ونشره، والدعوة إليه، والمحافظة عليه.

■ قوله: «قال عليٌّ: (حدِّثوا الناس بما يعرفون؛ أتريدون أن يكذب اللَّه ورسوله؟)»: وهذا ـ واللَّه أعلم ـ، قاله حين كثر القُصَّاصُ في خلافته، وصاروا يذكرون أحاديث ليست من الأحاديث المعروفة، ولهذا كثر الوضعُ بهذا السبب، وغير المعروف يَحتمل أن يكون فيه ما يصح وفيه ما لا يصح؛ فإذا سمعه من لم يعرفه أنكره وربما كان حقًّا؛ فلا ينبغي التحديثُ إلا بما صح وثبت واشتهر عند المحدثين والفقهاء، وما ليس كذلك فلا ينبغي أن يحدَّث به؛ لاحتمال أن يكون غير صحيح، وقد كان أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ينهىٰ عن القصص؛ لما فيه من التساهل في النقل، ويقول: «لا يقصُّ إلا أمير أو مأمور».

■ قوله: «روىٰ عبدالرزاق»: هو ابن همَّام الصنعاني المحدث، محدث اليمن، صاحب التصانيف، أكثر الرواية عن معمر بن راشد صاحب الزهري، وهو شيخ عبدالرزاق، يروي عنه كثيرًا.

■ و«مَعْمر» ـ بفتح الميمين وسكون العين ـ: أبو عروة بن أبي عمرو بن راشد، الأزدي الحراني ثم اليماني، من أصحاب محمد بن شهاب الزهري، ويروي عنه كثيرًا.

■ قوله: «عن ابن طاووس»: هو عبداللَّه بن طاووس اليماني. قال معمر: كان من أعلم الناس بالعربية. وقال ابن عيينة: مات سنة اثنتين وثلاثين ومئة.

■ قوله: «عن أبيه»: هو طاوس بن كَيسان الجَنَدي ـ بفتح الجيم والنون ـ، الإمام العالم، قيل: اسمه ذكوان. قاله ابن الجوزي.

قلت: وهو من أئمة التفسير، ومن أوعية العلم.

▫ قال في «تهذيب الكمال»: «عن الوليد الموقري، عن الزهري قال: قدمت علىٰ عبدالملك بن مروان؛ فقال: من أين قدمت ـ يا زهري ـ؟ قلت: من مكة، قال: من خلَّفتَ يسودها وأهلَها؟ قلت: عطاء بن أبي رباح، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فبم سادهم؟ قلت: بالديانة والرواية. قال: إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا. قال: فمن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاووس بن كيسان، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فبم سادهم؟ قلت: بما ساد به عطاء، قال: إنه لينبغي ذلك، قال: فمن يسود أهل مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب. قال: فمن العرب أم من الموالي، قلت: من الموالي، قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي؛ عبدٌ نوبي أعتقته امرأة من هذيل. قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مِهران. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فمن يسود أهل خراسان؟ قلت: الضحاك بن مزاحم، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قلت: الحسن البصري، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: ويلك! ومن يسود أهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النخعي، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من العرب، قال: ويلك ـ يا زهري ـ، فرجت عني واللَّهِ؛ لتسودَن الموالي علىٰ العرب حتىٰ يُخطب لها علىٰ

المنابر، والعرب تحتها، قلت: يا أمير المؤمنين، إنما هو دين؛ من حفظه ساد، ومن ضيعه سقط».

■ قوله: «ما فَرَقُ هؤلاء؟»: يستفهم من أصحابه، يشير إلىٰ أناس ممن يحضرون مجلسه، فإذا سمعوا شيئًا من محكم القرآن حصل منهم فرَقٌ ـ أي خوف ـ، فإذا سمعوا شيئًا من أحاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين للمعنىٰ، ولا يتم الإيمان إلا بقبول اللفظ بمعناه الذي دل عليه ظاهرًا، فإن لم يُقبل معناه، أو رده، أو شك فيه لم يكن مؤمنًا به؛ فيكون هلاكًا.

وقد ظهر من البدع في زمن ابن عباس بدعةُ القدرية كما في «صحيح مسلم» وغيره، فقُتل من دعاتهم غَيلان؛ قتله هشام بن عبدالملك لما أصر علىٰ قوله بنفي القدر، ثم بعد ذلك أظهر الجعد ابن درهم بدعةَ الجهمية فقُتل، قتله خالد بن عبداللَّه القسري يوم الأضحىٰ بعد صلاة العيد.

▫ قال الذهبي: «حدثنا وكيع عن إسرائيل بحديث: «إذا جلس الرب علىٰ الكرسي»[(١)]؛ فاقشعر رجل عند وكيع، فغضب وكيع، وقال: أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث، ولا ينكرونها». أخرجه عبداللَّه في «الرد علىٰ الجهمية».

والواقع من أهل البدع وتحريفهم لمعنىٰ الآيات يبين معنىٰ قول ابن عباس. وسببُ هذه البدع جهلُ أهلها وقصورُهم في الفهم، وعدم

---

(١) هذا مرويٌّ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: «كتاب العرش» للإمام الذهبي (٢/١٥٤ ـ ١٥٥). والأثر رواه عبداللَّه بن أحمد في كتاب «السنة» (٥٨٥، ٥٨٧)، **وصحَّحه** الحافظ الذهبي رحمه الله.

أخذ العلوم الشرعية علىٰ وجهها، وتلقيها من أهلها العارفين لمعناها؛ الذين وفقهم اللَّه تعالىٰ لمعرفة المراد، والتوفيق بين النصوص، والقطع بأن بعضها لا يخالف بعضًا، ورد المتشابه إلىٰ المحكم، وهذه طريقةُ أهل السنة والجماعة في كل زمانٍ ومكان، فلله الحمدُ؛ لا نُحصي ثناءً عليه.

■ قوله: «ولما سمعت قريش رسول اللَّه ﷺ يذكر الرَّحمٰن أنكروا ذلك؛ فأنزل اللَّه فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الآية»:

□ روىٰ ابن جرير عن ابن عباس قال: «كان النبي ﷺ يدعو ساجدًا: «**يا رحمٰن، يا رحيم**»، فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحدًا، وهو يدعو مثنىٰ مثنىٰ. فأنزل اللَّه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]»[(١)].



---

(١) **ضعيف**: رواه الطبري (١٥/١٢٣)، **وإسناده ضعيف**؛ كما أفادني فضيلة الشيخ أبو عمر الذهبي ـ حفظه اللَّه ـ.

فيه مسائل:

الأولى: عدم الإيمان بجحد[(١)] شيء من الأسماء والصفات.

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع.

الرابعة: ذكر العلة: أنه يُفضي إلىٰ تكذيب اللَّه ورسوله، ولو لم يتعمد المُنكِر.

الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئًا من ذلك، وأنه أهلكه.

(١) أي: مع جحد.

[٤١] باب: قول الله تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨٣﴾ [النحل]

- قال مجاهد ما معناه: «هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي».
- وقال عون بن عبداللَّه: «يقولون: لولا فلان لم يكن كذا».
- وقال قتيبة: «يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا».
- وقال أبو العباس ـ بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: «**إن اللَّه تعالىٰ قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر...**» الحديث وقد تقدم[1] ـ: «وهذا كثيرٌ في الكتاب والسنة، يذمُّ سبحانه من يضيف إنعامه إلىٰ غيره ويشرك به. قال بعض السلف: «هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملَّاح حاذقًا»، ونحو ذلك مما هو جارٍ علىٰ ألسنةِ كثير».

الشرح

■ قوله: «باب: قول اللَّه تعالىٰ: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ الآية»:

- قال ابن جرير: «فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيِّ بالنعمة؛ فذكر عن سفيان عن السدي: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ قال: محمد ﷺ. وقال آخرون: بل معنىٰ ذلك: أنهم يعرفون أن ما عدَّد اللَّه ـ تعالىٰ ذِكرُه ـ في هذه السورة من النِّعم من عند اللَّه، وأن اللَّه

(١) صحيح: وقد تقدم.

هو المنعِم عليهم بذلك، ولكنهم ينكرون ذلك؛ فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم».

▫ وأخرج عن مجاهد: «﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ قال: هي المساكن، والأنعام، وما يرزقون منها، والسرابيل من الحديد والثياب، يعرف هذا كفارُ قريش، ثم ينكرونه بأن يقولوا: هذا كان لآبائنا فورَّثونا إياه».

▪ قوله: «وقال عون بن عبداللَّه: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا»: عون بن عبداللَّه بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبداللَّه، الكوفي الزاهد، عن أبيه، وعائشة، وابن عباس، وعنه قتادة وأبو الزبير والزهري، وثقه أحمد وابن معين. قال البخاري: مات بعد العشرين ومئة.

واختار ابن جرير القول الأول، واختار غيره أن الآية تعمُّ ما ذكره العلماء في معناها، وهو الصواب.

▪ قوله: «وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلىٰ غيره ويشرك به. قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملَّاح حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جار علىٰ ألسنة كثير» اهـ.

وكلام شيخ الإسلام يدل علىٰ أن حكم هذه الآية عام فيمن نسب النِّعم إلىٰ غير اللَّه، وأسند أسبابها إلىٰ غيره مما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا، وذلك من أنواع الشرك كما لا يخفىٰ.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

الثانية: معرفة أن هذا جارٍ علىٰ ألسنة كثير.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة.

الرابعة: اجتماع الضدين في القلب.

[٤٢] باب: قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة]

▫ قال ابن عباس في الآية: «الأنداد: هو الشرك، أخفىٰ من دبيب النمل علىٰ صفاةٍ سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن يقول: واللَّه وحياتِك يا فلان، وحياتي. ويقول: لولا كلبةُ هذا لأتانا اللصوص. ولولا البطُّ في الدار لأتانا اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء اللَّه وشئت. وقول الرجل: لولا اللَّه وفلان. لا تجعل فيها فلانًا؛ هذا كلُّه به شرك». رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب ﵁ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**مَن حَلَف بغير اللَّه فقد كفر أو أشرك**». رواه الترمذي، وحسنه، وصححه الحاكم[1].

▫ وقال ابن مسعود ﵁: «لَأَنْ أحلف باللَّه كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا».

وعن حذيفة ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**لا تقولوا: ما شاء اللَّهُ وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء اللَّهُ ثم شاء فلان**». رواه أبو داود بسندٍ صحيح[2].

▫ وجاء عن إبراهيم النَّخَعي: «أنه يكره أن يقول الرجل: أعوذ باللَّه وبك. ويجوِّز أن يقول: باللَّه ثم بك. قال: ويقول: لولا اللَّه ثم فلان؛ ولا تقولوا: لولا اللَّه وفلان».

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.



الشرح

■ قوله: «باب: قول اللَّه تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾»: الند: المِثل والنظير، وجعلُ الند للَّه هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير اللَّه؛ كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعَوه ورجَوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم، ويشفع لهم، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

▫ قال العماد ابن كثير في «تفسيره»: «قال أبو العالية: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: عدلاء شركاء، وهكذا قال الربيع ابن أنس، وقتادة، والسدي، وأبو مالك، وإسماعيل بن أبي خالد.

وقال ابن عباس: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي لا تشركوا باللَّه شيئًا من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه ربكم لا يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم الرسول إليه من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه.

وقال مجاهد: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: تعلمون أنه إلٰه واحد في التوراة والإنجيل».

■ قوله: «وعن ابن عباس في الآية: (الأنداد: هو الشرك أخفىٰ من دبيب النمل علىٰ صفاةٍ سوداء في ظلمة الليل...)» إلخ: وهذا من ابن عباس تنبيه بالأدنىٰ من الشرك علىٰ الأعلىٰ.

■ قوله: «وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: (مَن **حلف بغير اللَّه فقد كفر أو أشرك**)»: يحتمل أن يكون شكًّا من الراوي، ويحتمل أن تكون «أو» بمعنىٰ الواو؛ فيكون قد كفر وأشرك، ويكون من باب «كفر دون كفر».

■ قوله: «وقال ابن مسعود: (لأن أحلف باللَّه كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا)»: ومن المعلوم أن الحلف باللَّه كاذبًا من الكبائر، لكن الشرك أكبر من الكبائر وإن كان أصغر ـ كما تقدم ـ.

■ قوله: «وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (**لا تقولوا: ما شاء اللَّه وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء اللَّه ثم شاء فلان**)»: وذلك لأن العطف بالواو يقتضي المساواة؛ لأنها في وضعها لمطلق الجمع، بخلاف «الفاء» و«ثم»، وتسوية المخلوق بالخالق بكل نوع من العبادة شرك، وهذا ونحوه من الشرك الأصغر.

■ قوله: «وعن إبراهيم النخعي: (أنه يكره أن يقول: أعوذ باللَّه وبك، ويجوِّز أن يقول: باللَّه ثم بك. قال: ويقول: لولا اللَّه ثم فلان، ولا تقولوا: لولا اللَّه وفلان)»: إبراهيم هو النخعي، وهذا فيما يقدر عليه الحي الحاضر؛ بخلاف من ليس كذلك ممن لا يسمع كلامًا ولا يرد جوابًا كالأموات والغائبين.



فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية: أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعمُّ الأصغر.

الثالثة: أن الحَلِف بغير اللَّه شرك.

الرابعة: أنه إذا حلف بغير اللَّه صادقًا؛ فهو أكبر من اليمين الغموس.

الخامسة: الفرق بين «الواو» و«ثم» في اللفظ.



[٤٣] باب: ما جاء فيمن لم يَقنَع بالحلف بالله

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تَحلِفوا بآبائكم. مَن حَلَف باللَّه فلْيَصدُقْ؛ ومن حُلِف له باللَّه فلْيَرْضَ؛ ومن لم يرضَ فليس من اللَّه**» رواه ابن ماجه بسند حسن(١).



الشرح

■ قوله: «**لا تحلفوا بآبائكم**»: تقدم أنه لا يجوز الحلف بغير اللَّه في حق كل أحد.

■ قوله: «**من حلف باللَّه فليَصدُقْ**»: وهذا مما أوجبه اللَّه علىٰ عباده قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٥].

■ قوله: «(**ومن حُلف له باللَّه فليرض، ومن لم يرض فليس من اللَّه**)»: هذا من حق المسلم علىٰ المسلم؛ أن يقبل منه إذا حلف له متعذرًا. والحديث يدل علىٰ الوجوب، ومن حقه عليه أن يُحسن به الظن إذا لم يتبين كذبه؛ كما في الأثر عن عمر: «ولا تظننَّ بكلمة خرجت من أخيك شرًّا وأنت تجد لها في الخير محملًا»، وهو من حسن الخلق ومكارم الأخلاق، وكمال العقل وقوة الدين.



---

(١) صحيح: وقد تقدم.

فيه مسائل:

الأولى: النهيُ عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له باللَّه أن يرضىٰ.

الثالثة: وعيدُ من لم يَرضَ.

[٤٤] باب: قول: «ما شاء الله وشئت»

عن قُتيلة [رضي الله عنها]: أن يهوديًّا أتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: إنكم تشركون؛ تقولون: ما شاء اللَّه وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «**وربِّ الكعبة**»، وأن يقولوا: «**ما شاء اللَّه ثم شئت**». رواه النسائي وصححه(١).

وله ـ أيضًا ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء اللَّه وشئت. فقال: «**أجعلتني للَّه ندًّا؟! [بل] ما شاء اللَّهُ وحده**»(٢).

ولابن ماجه عن الطفيل ـ أخي عائشةَ لأمها ـ قال: رأيتُ كأني أَتيتُ علىٰ نفرٍ من اليهود، قلتُ: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزيرٌ ابن اللَّه. قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء اللَّه وشاء محمد. ثم مررتُ بنفرٍ من النصارىٰ، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيحُ ابن اللَّه. قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء اللَّه وشاء محمد. فلما أصبحتُ أخبرتُ بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: «**هل أخبرتَ بها أحدًا؟**»، قلت: نعم. قال: فحمد اللَّه، وأثنىٰ عليه، ثم قال: «**أما بعد، فإن طفيلًا رأىٰ رؤيا أَخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعُني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء اللَّه وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء اللَّه وحده**»(٣).

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

الشرح

■ قوله: «قُتيلة» ـ بمثناة، مصغرة ـ بنت صيفي الأنصارية، صحابية مهاجرة، لها حديث في «سنن النسائي»، وهو المذكور في الباب، ورواه عنها عبداللَّه بن يسار الجُعْفي.

وفيه قبول الحق ممن جاء به، وفيه بيان النهي عن الحلف بالكعبة وغيرها؛ مع أنها بيت اللَّه التي حَجُّها وقصدُها بالحج والعمرة فريضة، وأنت ترىٰ ما وقع مما يخالف ذلك من الحلف بالكعبة ودعائها، وكذا مقام إبراهيم، وقلَّ مَن يسلم من هذا ممن يَحُجُّ من أهل الآفاق وأهل مكة، كما كان يفعل بغيرها، والكعبة عظَّمها اللَّه بأن جعل حجها ركنًا علىٰ من استطاع، وشرع العبادة عندها، وخصها بالفضل، فالمشروع إنما هو الطوافُ بها والصلاة إليها؛ لا الحلف بها ونحوه من الشرك في العبادة؛ ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩].

■ قوله: «**(إنكم تشركون، تقولون: ما شاء اللَّه وشئت)**»: والعبد وإن كانت له مشيئة؛ فمشيئتُه تابعةٌ لمشيئة اللَّه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير].

وفي هذه الآية والحديث الرد علىٰ القدرية والمعتزلة نفاة القدر؛ الذين يثبتون للعبد مشيئةً تخالف ما أراده اللَّه من العبد وما شاءه، وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]، وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان].

وفي الحديث: «**أول ما خلق اللَّه القلم؛ فقال له: اكتب، فجرىٰ بما**

هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامة». وهو في «الصحيحين» وغيرهما[(١)].

■ قوله: «وله ـ أيضًا ـ عن ابن عباس: أن رجلًا قال للنبي ﷺ ما شاء اللَّه وشئت فقال: (**أجعلتني للَّه ندًّا؟ بل ما شاء اللَّه وحده**)»: هذا يبين ما تقدم من أن هذا شرك؛ لأن المعطوف بالواو يساوي المعطوف بالمعطوف عليه؛ لأن الواو وُضعت لمطلق الجمع، فلا يجوز أن يُجعل المخلوق مثل الخالق في شيء من الإلٰهية والربوبية ـ ولو في أقل شيء ـ، كما تقدم في الرجلين اللذين قرب أحدهما ذبابًا للصنم فدخل النار[(٢)].

وفيه: أن النبي ﷺ حَمَىٰ حِمَىٰ التوحيد وسد طرق الشرك في الأقوال والأعمال.

■ قوله: «عن الطفيل»: هو الطفيل بن عبداللَّه بن سخبرة، أخو عائشة لأمها؛ له حديث عند ابن ماجه، وهو ما ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في الباب.

وهذه الرؤيا حقٌّ أقرها رسول اللَّه ﷺ، وعمل بمقتضاها؛ فنهاهم أن يقولوا: «ما شاء اللَّه وشاء محمد»، وأمرهم أن يقولوا: «ما شاء اللَّه وحده». وقد بلَّغ ﷺ البلاغ المبين، وأنذر عن الشرك، وحذر عن قليله وكثيره، فانظر إلىٰ ما وقع من الشرك العظيم في هذه الأمة؛ ينادون الميت من مسافة شهر أو شهرين أو أكثر، ويعتقدون فيه أنه ينفع ويضر، ويسمع ويستجيب من تلك المسافة، وجعلوا الأموات شركاءَ للَّه في الملك والتدبير وعلم الغيب، وغير

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **ضعيف مرفوعًا**: وقد تقدم.

ذلك من خصائص الربوبية، وتركوا نبيهم وما جاء به، وما قاله وما نهىٰ عنه؛ كأنهم لم يسمعوا كتابًا ولا سنةً، وقد بعثه اللَّه بالنهي عن الشرك كما ترىٰ، فما زال يدعو الناس إلىٰ توحيد اللَّه وإخلاص العبادة له، حتىٰ أكمل اللَّه لهم به الدين وأتم عليهم النعمة، لكن رجعوا من الكمال إلىٰ الضلال، ومن سبيل النجاة إلىٰ سبيل الهلاك.

وهذه وإن كانت رؤيا منام فقد أقرها رسول اللَّه ﷺ، وأخبر أنها حق.



✍ فيه مسائل:

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوًى.

الثالثة: قوله ﷺ: «**أجعلتني للَّه ندًّا؟**»، فكيف بمن قال:

يا أكرمَ الخلقِ مَن لي ألُوذُ بهِ سواكَ عند حلولِ الحادث العممِ

والبيتين بعده؟!

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله: «يمنعني كذا وكذا».

الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

السادسة: أنها قد تكون سببًا لشرع بعض الأحكام.



[٤٥] باب: من سَبَّ الدهر فقد آذى الله

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية].

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**قال تعالىٰ: يؤذيني ابنُ آدم؛ يَسُبُّ الدهر، وأنا الدهر؛ أقلِّبُ الليل والنهار**».

وفي رواية: «**لا تسبُّوا الدهر؛ فإن اللَّه هو الدهر**»(١).



■ قوله: «باب: من سب الدهر فقد آذىٰ اللَّه. وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾»:

▫ قال العماد ابن كثير في «تفسيره»: «يخبر اللَّه تعالىٰ عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد، وقالوا: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: أي ما ثَم إلا هذه الدار؛ يموت قوم، ويعيش آخرون، ولا ثَمَّ معادٌ ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلٰهيون منهم، وهم ينكرون البَداءةَ والرَّجعة، ولهذا قال عنهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾. قال سبحانه: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية]؛ أي: يتوهمون ويتخيلون».

■ قوله: «عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **(قال اللَّه تعالىٰ: يؤذيني ابن آدم؛ يسب الدهر، وأنا الدهر؛ أقلب الليل والنهار**».

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

وفي رواية: (لا تسبوا الدهر؛ فإن اللَّه هو الدهر)»:

▫ قال في «شرح السنة»: «حديث متفق علىٰ صحته، أخرجاه من طريق معمر من أوجه عن أبي هريرة».

▫ قال: «ومعناه: أن العرب كانت من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل؛ لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره؛ فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، فإذا أضافوا إلىٰ الدهر ما نالهم من الشدائد سبُّوا فاعلها، فكان مَرجعُ سبِّها إلىٰ اللَّه ﷻ، إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها؛ فنُهوا عن سب الدهر». انتهىٰ باختصار.

ونسبة الفعل إلىٰ الدهر ومسبته كثيرة في أشعار المولَّدين كابن المعتز والمتنبي وغيرهما، وليس منه وصفُ السنين بالشدة لقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ [يوسف: ٤٨] الآية.

▫ قال بعض الشعراء:

إن الليالي من الزمان مهولةٌ ... تُطوىٰ وتُنشر بينها الأعمارُ
فقصارُهن مع الهموم طويلةٌ ... وطوالهن مع السرور قصارُ

وقال أبو تمام:

أعوامُ وصلٍ كاد يُنسِي طيبَها ... ذِكرُ النوىٰ فكأنها أيامُ
ثم انبرت أيامُ هجرٍ أعقبت ... نحوي أسًىٰ فكأنها أعوامُ
ثم انقضت تلك السنونَ وأهلُها ... فكأنها وكأنهم أحلامُ

❁ ❁ ❁

✍ فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سبِّ الدهر.

الثانية: تسميته: أذًى للَّه.

الثالثة: التأمل في قوله: «**فإن اللَّه هو الدهر**».

الرابعة: أنه قد يكون سابًّا، ولو لم يقصده بقلبه.

[٤٦] باب: التسمي بـ«قاضي القضاة» ونحوه

في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن أخنعَ اسمٍ عند اللَّه رجلٌ تسمَّىٰ: «مَلِكَ الأملاك». لا مالك إلا اللَّه**».

قال سفيان: مثل «شاهان شاه».

وفي رواية: «**أغيظُ رجلٍ علىٰ اللَّه يوم القيامة وأخبثُه**»(١).

قوله: «**أخنع**»: يعني: أوضع.


الشرح

■ قوله: «في الصحيح عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: (**إن أخنع اسم عند اللَّه رجلٌ تَسَمَّىٰ: ملك الأملاك. لا مالك إلا اللَّه**)»؛ لأن هذا اللفظ إنما يصدق علىٰ اللَّه؛ فهو ملك الأملاك؛ لأنه هو الملك في الحقيقة، له الملك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، يتصرف في الملوك وغيرهم بمشيئته وإرادته؛ كما قال تعالىٰ: ﴿**قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ**﴾ [آل عمران: ٢٦] الآية، فلا ينبغي أن يعظَّم المخلوق بما يشبه ما يُعظَّمُ به الخالق جَلَّ وَعَلَا، وما كان مثل ذلك فيُنهىٰ عنه كالذي ترجم به المصنف؛ لأنه لا يَصدُق هذا المعنىٰ إلا علىٰ اللَّه، فلا يصلح أن يسمىٰ به المخلوق؛ لأن كل لفظ يقتضي التعظيم والكمال لا يكون إلا له ـ تعالىٰ وتقدس ـ دون غيره.

■ قوله: «قال سفيان: مثل شاهان شاه»: عند العجم عبارة عن

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

«ملك الأملاك»؛ ولهذا مثل به سفيان.

■ قوله: «وفي رواية: (**أغيظ رجل علىٰ اللَّه**)»: أغيظ من الغَيظ، وهو مثل الغضب والبغض؛ فيكون بغيضًا إلىٰ اللَّه مغضوبًا عليه، وهذا من الصفات التي تُمَرُّ كما جاءت من غير تحريف، ولا تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل، واللَّه أعلم.

■ قوله: «**وأخبثه**»: وهو يدل ـ أيضًا ـ علىٰ أن هذا خبيثٌ عند اللَّه إذا رضي بذلك لتعظيم الناس له بما لا يستحقه، وعدم إنكاره وكراهته لذلك.

■ قوله: «أخنع: يعني أوضع»: وهذا المذكور ينافي كمال التوحيد الذي دلت عليه كلمة الإخلاص، فيكون فيه شائبةٌ من الشرك ـ وإن لم يكن أكبر ـ.



✍ فيه مسائل:

الأولى: النهي عن التسمي بـ«مَلِك الأملاك».

الثانية: أن ما في معناه مثله، كما قال سفيان.

الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة: التفطن أن هذا لإجلال اللَّه سبحانه.



[٤٧] باب: احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شُريح أنه كان يُكنىٰ أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «**إن اللَّه هو الحَكَم، وإليه الحُكم**». فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيءٍ أتَوني، فحكمتُ بينهم، فرضي كِلا الفريقين. فقال: «**ما أحسنَ هذا! فما لك من الولد؟**». قال: شريحٌ، ومسلم، وعبدُاللَّه. قال: «**فمن أكبرهم؟**»، قلت: شريح. قال: «**فأنت أبو شريح**». رواه أبو داود وغيره[(١)].



الشرح

■ قوله: «عن أبي شريح»: هو الخزاعي؛ اسمه خويلد بن عمرو، وأسلم يوم الفتح، له عشرون حديثًا؛ اتفقا علىٰ حديثين، وانفرد البخاري بحديث. وعنه أبو سعيد المقبُري، ونافع بن جبير، وطائفة، قال ابن سعد: مات بالمدينة سنة ثمان وستين.

■ قوله: «يكنىٰ»: الكنية: ما صُدِّر بـ«أب» أو «أم» ونحو ذلك؛ كـ«أبي محمد»، واللقب: ما ليس كذلك كـ«زين العابدين».

■ وقوله ﷺ: «(**إن اللَّه هو الحكم وإليه الحكم**)»: أي هو سبحانه الحكم في الدنيا والآخرة، يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزله علىٰ أنبيائه ورسله، وما من قضيةٍ إلا وله فيها حكمٌ مما أنزله علىٰ نبيه من الكتاب والحكمة، لكن قد يخفىٰ علىٰ المجتهد؛

(١) صحيح: وقد تقدم.

فإن المجتهدين - وإن اختلفوا في بعض الأحكام - فلابد أن يكون المصيب فيهم واحدًا، فمن رزقه اللَّه قوةَ الفهم، وأعطاه ملكةً يقتدر بها علىٰ فهم الصواب من أقوال العلماء = أدرك ما هو الصواب من ذلك.

■ وقوله: «(**إليه الحكم**)»: في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ١٠]. وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] الآية. فالحكم إلىٰ اللَّه هو الحكم إلىٰ كتابه، والحكم إلىٰ رسوله هو الحكم إليه في حياته، وإلىٰ سنته بعد وفاته.

■ قوله: «فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم؛ فرضي كلا الفريقين»: والمعنىٰ - واللَّه أعلم - أن أبا شريح كان مرضيًّا عندهم؛ يتحرىٰ ما يصلحهم إذا اختلفوا، فيرضون صلحه؛ فسمَّوه: «حكمًا»، وأما ما يحكم به الجهلة من الأعراب ونحوهم من سوالف آبائهم وأهوائهم فليس من هذا الباب؛ لما فيه من النهي الشديد، والخروج عن حكم اللَّه ورسوله إلىٰ ما يخالفه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]، وهذا كثير، فمن الناس من يحكم بين الخصمين برأيه وهواه، ومنهم من يتَّبع في ذلك سلفه، ويحكم بما كانوا يحكمون به، وهذا كفرٌ إذا استقر وغلب علىٰ من تصدىٰ لذلك ممن يرجع الناس إليه إذا اختلفوا.

■ قوله ﷺ: «(**فما لك من الولد؟**): قال: شريح ومسلم وعبداللَّه. قال: (**فمن أكبرهم؟**)، قلت: شريح. قال: (**فأنت أبو شريح**)»: فكناه

بالكبير، وهو السنة، وغيَّر كنيته بـ«أبي الحكم»؛ لأن اللَّه هو الحكم علىٰ الإطلاق، ومنه تسمية الأئمة بـ«الحكام»، فينبغي ترك ذلك، والنهي عنه لهذا الحديث، وهذا قد حدث في الناس قريبًا.



✍ فيه مسائل:

الأولى: احترام أسماء اللَّه وصفاته، ولو كلامًا لم يقصد معناه.

الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية.



[٤٨] باب: من هَزَل بشيء فيه ذِكرُ الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة].

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ أنه قال رجلٌ في غزوة تبوك: «ما رأينا مثلَ قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسُنًا، ولا أجبنَ عند اللقاء ـ يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء ـ. فقال له عوف ابن مالك: كذبتَ، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فذهب عوفٌ إلىٰ رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآنَ قد سبقه. فجاء ذلك الرجلُ إلىٰ رسول الله ﷺ ـ وقد ارتحل وركب ناقته ـ، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوضُ، ونتحدث حديث الرَّكْب نقطع به عنا الطريق.

قال ابن عمر رضي الله عنه: كأني أنظر إليه متعلقًا بنِسعةِ ناقةِ رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكُبُ رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله ﷺ: «﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة]»، ما يلتفتُ إليه وما يزيده عليه»[(١)].



■ قوله: «باب: من هزل بشيء فيه ذكر الله، أو القرآن، أو

(١) حسن: وقد تقدم.

الرسول»: أي فقد كفر. «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ الآية»:

▫ قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «تفسيره»: «قال أبو معشر المدني: عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا: قال: رجل من المنافقين: ما أرىٰ قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا، وأكذبنا ألسنةً، وأجبننا عند اللقاء. فرُفع ذلك لرسول اللَّه ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته؛ فقال: يا رسول اللَّه ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، فقال: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة]، وإن رجليه لينسفان الحجارة، وما يلتفت إليه رسول اللَّه ﷺ، وهو متعلق بنسعة ناقة رسول اللَّه ﷺ».

قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾: أي بهذا المقال الذي استهزأتم به، ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ﴾: أي لا يعفىٰ عن جميعكم، ولابد من عذاب بعضكم ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة» انتهىٰ.

▫ وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «وقد أمره اللَّه تعالىٰ أن يقول: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾، وقول من يقول: إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولًا بقلوبهم = لا يصح؛ لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر، فلا يقال: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾؛ فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر، وإن أريد: إنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان، فهم لم يظهروا للناس إلا لخواصهم، وهم مع خواصهم ما زالوا كذلك، ولا يدل اللفظ علىٰ أنهم ما زالوا منافقين» اهـ.

وفيه بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمةٍ يتكلم بها، أو عمل يعمل به، وأشدها خطرًا إرادات القلوب، فهي كالبحر الذي لا ساحل له، ومن هذا الباب الاستهزاء بالعلم وأهله، وعدم احترامهم لأجله.



فيه مسائل:

الأولى ـ وهي العظيمة ـ: أن من هزل بهذا أنه كافر.

الثانية: أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنًا من كان.

الثالثة: الفرق بين النميمة، وبين النصيحة للَّه ولرسوله.

الرابعة: الفرق بين العفو الذي يحبُّه اللَّه، وبين الغلظة علىٰ أعداء اللَّه.

الخامسة: أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يُقبل.



[٤٩] باب: باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ [فصلت]

- قال مجاهد: «هذا بعملي، وأنا محقوقٌ به».
- وقال ابن عباس: «يريد: من عندي».

وقوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨].

- قال قتادة: «علىٰ علمٍ مني بوجوهِ المكاسب».
- وقال آخرون: «علىٰ علمٍ من اللَّه أني له أهل».
- وهذا معنىٰ قول مجاهد: «أوتيته علىٰ شرف».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول: «إن ثلاثةً من بني إسرائيل أبرصَ وأقرعَ وأعمىٰ؛ أراد اللَّه أن يبتليَهم، فبعث إليهم ملَكًا، فأتىٰ الأبرص، فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسن، وجلدٌ حسن، ويَذهب عني الذي قد قَذِرني الناسُ به». قال: «فمسحه، فذهب عنه قَذَرُه، فأُعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا. قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل أو البقر ـ شك إسحاق ـ، فأُعطي ناقةً عُشَراء، وقال: بارك اللَّه لك فيها».

قال: «فأتىٰ الأقرع، فقال: أي شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: شعرٌ حسن، ويذهبُ عني الذي قد قَذِرني الناس به. فمسحه، فذهب عنه، وأُعطي شعرًا حسنًا، فقال: أي المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر أو الإبل. فأُعطي بقرةً حاملًا، وقال: بارك اللَّه لك فيها.

فأتىٰ الأعمىٰ، فقال: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: أن يَرُدَّ اللَّه إليَّ بصري فأُبصرَ به الناس. فمسحه، فردَّ اللَّهُ إليه بصره، قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنم، فأُعطي شاةً والدًا.

فأنتج هذانِ، وولَّد هذا؛ فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم».

قال: «ثم إنه أتىٰ الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجلٌ مسكين؛ قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا باللَّه ثم بك. أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيرًا أتبلغُ به في سفري. فقال: الحقوقُ كثيرة. فقال: كأني أعرفُك، ألم تكن أبرص يقذركُ الناس فقيرًا، فأعطاك اللَّه ﷻ المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المالَ كابرًا عن كابر. فقال: إن كنتَ كاذبًا فصيَّرك اللَّهُ إلىٰ ما كنتَ.

وأتىٰ الأقرع في صورته، فقال له مثلَما قال لهذا، ورد عليه مثلَما رد عليه هذا. فقال: إن كنتَ كاذبًا فصيرك اللَّه إلىٰ ما كنت».

قال: «وأتىٰ الأعمىٰ في صورته، فقال: رجلٌ مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا باللَّه ثم بك. أسألُك بالذي ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنتُ أعمىٰ فردَّ اللَّه إليَّ بصري، فخُذ ما شئت، ودع ما شئت، فواللَّهِ لا أَجهَدُك اليوم بشيءٍ أخذتَه للَّه. فقال: أمسِك مالَك؛ فإنما ابتُليتم؛ فقد رضي اللَّه عنك، وسخط علىٰ صاحبيك». أخرجاه[(١)].



■ قوله: «باب ما جاء في قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا

---

(١) صحيح: وقد تقدم.



﴿مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾» الآية: ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عن ابن عباس وغيره من المفسرين في هذه الآية ما يكفي ويشفي في المعنىٰ:

■ قال: «قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به، وقال ابن عباس: يريد: من عندي».

■ وقوله: «﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ قال قتادة:...» إلخ وليس ما ذكروه اختلافًا، وإنما هو أفراد المعنىٰ.

■ قوله: «وعن أبي هريرة أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «(**إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمىٰ، أراد اللَّه أن يبتليهم؛ فبعث إليهم مَلَكًا...**)» الحديث. وهذا حديث عظيم؛ يبين حال من كفر النعم، وحال من شكرها.

▫ قال ابن القيم: «أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم علىٰ وجه الخضوع له والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة؛ بل كان جاهلًا بها لم يشكرها، ومن عرفها، ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها - أيضًا -، ومن عرف النعمة والمنعم، لكن جحدها كما يجحد المنكِر لنعمة المنعم فقد كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم وأقر بها ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له، ويحبه ويرضىٰ به وعنه لم يشكرها - أيضًا -، ومن عرفها وعرف المنعِم بها، وأقر بها، وخضع للمنعم بها، وأحبه، ورضي عنه، واستعملها في محابه وطاعته = فهذا هو الشاكر لها، فلابد في الشكر من علم القلب، وعملٌ يتبع العلم، وهو الميل إلىٰ المنعم ومحبته والخضوع له» اهـ.

■ قوله: «**قذرني الناس به**»: أي بكراهة رؤيته وقربه منهم.



فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما معنىٰ: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾؟

الثالثة: ما معنىٰ قوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾؟

الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة.

[٥٠] باب: قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾ [الأعراف]

▫ قال ابن حزم: «اتفقوا علىٰ تحريم كل اسم معبَّدٍ لغير اللَّه؛ كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك؛ حاشا عبد المطلب».

▫ وعن ابن عباس في الآية قال: «لما تغشاها آدمُ حملت، فأتاهما إبليس، فقال: إني صاحبُكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعانِّي، أو لأجعلن له قَرْنَيْ أَيِّلٍ، فيَخرج من بطنكِ فيَشُقَّه، ولأفعلن ولأفعلن ـ يخوفهما ـ، سمِّياه: عبد الحارث. فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا. ثم حملت فأتاهما، فذكر لهما، فأدركهما حبُّ الولد، فسَمَّياه: عبد الحارث؛ فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]». رواه ابن أبي حاتم(١).

▫ وله ـ بسندٍ صحيح ـ عن قتادة قال: «شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته».

▫ وله ـ بسندٍ صحيح ـ عن مجاهدٍ في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾، قال: «أشفقا ألَّا يكون إنسانًا».

وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.


الشرح

■ قوله: «باب: قول اللَّه تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ

(١) اللَّه أعلم بصحة السند. وإن صح فهو من الإسرائيليات.

فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ [الأعراف]»:

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في معنىٰ هذه الآية: حدثنا عمر بن إبراهيم: حدثنا قتادة، عن الحسن، عن سمرة، عن النبي ﷺ قال: «**لما ولدت حواءُ طاف بها إبليس ـ وكان لا يعيش لها ولد ـ، فقال: سمِّيه عبد الحارث فإنه يعيش. فسمته عبدَ الحارث، فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره**»(١).

▫ وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع: حدثنا سهل بن يوسف، عن عمر، وعن الحسن: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]؛ قال: «كان هذا في بعض الملل، ولم يكن بآدم».

▫ وعن ابن عباس قال: «كانت حواء تلد لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أولادًا؛ فتعبِّدهم للَّه، وتسميه: عبداللَّه، وعبيداللَّه، ونحو ذلك؛ فيصيبهم الموت، فأتاها إبليس وآدم فقال: أما إنكما لو تسمِّيانه به لعاش. فولدت رجلًا، فسمَّياه عبدالحارث؛ ففيه أنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ...﴾ إلىٰ آخر الآية».

■ قوله: «قال ابن حزم»: هو عالم الأندلس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعد بن حزم القرطبي الظاهري، صاحب التصانيف؛ تُوفِّي سنة ست وخمسين وأربعمئة؛ له اثنتان وسبعون سنة.

---

(١) **ضعيف**: رواه أحمد (٥/١١)، والترمذي (٣٠٧٧)، والطبري في «تفسيره» (٩/١٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٦٣١)، والحاكم (٢/٥٤٥)، والطبراني في «الكبير» (٦٨٩٥)، والرُّوياني (٨١٦)، وابن بشران في «الأمالي» (٧٧٨)، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٣٣/٣٠٥).

■ قوله: «اتفقوا علىٰ تحريم كل اسم معبَّد لغير اللَّه؛ كعبد عمرو، وعبدالكعبة، وما أشبه ذلك؛ حاشا عبدالمطلب»:

قلت: وعبدالمطلب هذا جد رسول اللَّه ﷺ، وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نِزار بن مَعَدِّ بن عدنان، وما فوق عدنان مختلف فيه. ولا ريب أنهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

حكىٰ رحمه الله اتفاق العلماء علىٰ تحريم كل ما عُبِّد لغير اللَّه؛ لأنه شركٌ في الربوبية والإلٰهيَّة؛ لأن الخلق كلهم ملكٌ للَّه وعبيد له، استعبدهم بعبادته وحده، وتوحيده في ربوبيته وإلٰهيته، فمنهم من عَبَدَ اللَّه وحده في ربوبيته وإلٰهيته، ومنهم من أشرك به في إلٰهيته، وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته، وأحكامُه القدرية جارية عليهم ولابد؛ كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم]؛ فهذه العبودية العامة، وأما العبودية الخاصة فإنها تختص بأهل الإخلاص والطاعة، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦] ونحوها.

■ قوله: «حاشا عبد المطلب»: هذا استثناء من العموم؛ لأنه ليس المقصود منه عبودية الرِّق، وإنما هو اسمٌ عَلِقَ به لما أتىٰ به عمُّه المطلبُ من عند أخواله بني النجار من المدينة وهو صبي، فرأته قريش حين جاء به، وقد تغيَّر لونُه من السفر؛ فقالوا: عبدالمطلب، ثم تبين لهم أنه ابن أخيه هاشم؛ فصارت العبودية في هذا الاسم لا حقيقة لها ولا قصد، لكن غلب عليه؛ فصار لا يسمىٰ إلا به، وإلا فاسمه في الأصل شَيْبة، وقد صار عبد المطلب معظَّمًا في قريش

والعرب؛ فهو سيد قريش، وأشرفهم في جاهليته، وهو الذي حفر زمزم، وما جرىٰ له في حفرها مذكور في السير وكتب الحديث، وصارت السقاية له وفي ذريته.

▫ قال شيخنا في معنىٰ قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]: «إن هذا الشرك بمجرد تسميته لم يقصدا حقيقته التي أرادها إبليس، وهذا يزيل الإشكال، وهذا معنىٰ قول قتادة: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته».



فيه مسائل:

الأولى: تحريم كل اسم معبَّد لغير اللَّه.

الثانية: تفسير الآية.

الثالثة: أن هذا الشرك في مجرد تسميةٍ لم تُقصد حقيقتها.

الرابعة: أن هبة اللَّه للرجل البنتَ السوية من النِّعم.

الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة.



[٥١] باب: قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾

- ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾: «يشركون».
- وعنه: «سمَّوُا اللات من الإلٰه، والعُزَّىٰ من العزيز».
- وعن الأعمش: «يُدخلون فيها ما ليس منها».


الشرح

■ قوله: «باب: قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾...» الآية: أراد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بهذه الترجمة الردَّ علىٰ من يتوسل بذوات الأموات، وأن المشروع هو التوسل بالأسماء والصفات والأعمال الصالحة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن للَّه تسعةً وتسعين اسمًا؛ من أحصاها دخل الجنة. وهو وترٌ يحب الوتر**»(١).

أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان.

وأخرجه الجرجاني عن صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم، عن شعيب بسنده مثله، وزاد بعد قوله: «**يحب الوتر**»: «**هو اللَّه الذي لا إلٰه إلا هو الرَّحمٰن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض،**

(١) رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).



الرافع، المُعِز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواحد، الأحد، الماجد، الفرد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المعطي، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور»[(١)].

- ثم قال الترمذي: «ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء الحسنىٰ إلا في هذا الحديث، والذي عند بعض الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج».

- هذا ما ذكره العماد ابن كثير في «تفسيره»، ثم قال: «ليعلم أن الأسماء ليست منحصرةً في تسعة وتسعين؛ بدليل ما رواه أحمد، عن يزيد بن هارون، عن فضيل بن مرزوق، عن أبي سلمة الجهني، عن القاسم بن عبدالرَّحمٰن، عن أبيه، عن عبداللَّه بن مسعود: أن

---

(١) **ضعيف**: رواه التِّرمذي (٣٥٠٧)، وابن حِبَّان (٨٠٨)، والحاكم (٦٢/١)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٠١)، وفي «الكبرىٰ» (٢٧/١٠)، وفي «الاعتقاد» (١٩)، والطبراني في «الدعاء» (١١١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣٩/٢٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الإمام التِّرمذي: «**ليس له إسنادٌ صحيح**»، **وضعَّفه** الشيخ الألباني عند التِّرمذي، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط ثَمَّ (١١٥/٦).

النبي ﷺ قال: «**ما أصاب أحدًا قطُّ همٌّ ولا حَزَن؛ فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أَمَتِك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وذهاب حزني، وجَلاء همي وغمي= إلا أذهب اللَّه همَّه وحزنه، وأبدله مكانه فرحًا**». فقيل: يا رسول اللَّه، ألا نتعلمها؟ فقال: «**بلىٰ، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها**»، وقد أخرجه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه[(١)].

▫ وقال قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦ﴾

---

(١) حسن: رواه أحمد (٣٩١/١)، وابن أبي شيبة (٢٥٣/١٠)، وأبو يعلىٰ (٥٢٩٧)، والشاشي (٢٨٢)، وابن حبان (٩٧٢)، والحاكم (٥٠٩/١)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٥٢)، وفي «الدعاء» (١٠٣٥)، والبزار (٣١٢٢ ـ زوائد)، وابن السني في «عمل اليوم» (٣٤٢)، والدينوري في «المجالسة» (١٨٠٩ ـ تهذيبي)، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم، إن سلم من إرسال عبدالرَّحمٰن بن عبداللَّه، عن أبيه؛ فإنه مختلف في سماعه من أبيه»، فتعقبه الذهبي بقوله: «أبو سلمة لا يُدرىٰ من هو، ولا رواية له في الكتب الستة». وذكره الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٣٦/١٠)، وقال: «رواه أحمد وأبو يعلىٰ والطبراني والبزار، ورجال أحمد وأبي يعلىٰ رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان». **وصحَّحه** الشيخ أحمد شاكر في تحقيق «المسند» (٢٦٧/٥)، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٩٨)، والشيخ مشهور في «المجالسة» (١٤/٤)، بينما **ضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٤٧/٦)، والشيخ حسين الداراني في تحقيق «مجمع الزوائد» (٢٩٠/٢٠).

[الأعراف: ١٨٠] قال: «يشركون».

▫ وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: «الإلحاد: التكذيب».

قلت: والشرك تكذيب من المشرك لما أنزله اللَّه في كتابه وبعث به رسوله، كما جرىٰ من قريش وغيرهم مع النبي ﷺ وأصحابه، وكما جرىٰ من المشركين من هذه الأمة؛ فلم يأخذوا بالآيات المحكمات في تحريم الشرك والنهي عنه؛ بل كذَّبوا بالصدق، واعتمدوا علىٰ الكذب علىٰ اللَّه وعلىٰ كتابه ورسوله.

وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد والميل.

▫ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وحقيقة الإلحاد فيها الميلُ بالإشـ ـــراك والتعطيل والنكران

وأسماء الرب تعالىٰ كلها أسماءٌ وأوصافٌ دلت علىٰ كماله جَلَّ وَعَلَا، والذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبةً - متقدمهم ومتأخرهم - إثباتُ الصفات التي وصف اللَّه بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ علىٰ ما يليق بجلال اللَّه وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ]، وأن الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات يُحتذىٰ حذوه، فكما أنه يجب العلم بأن للَّه ذاتًا حقيقةً لا تشبه شيئًا من ذوات المخلوقين، فله صفاتٌ حقيقةً لا تشبه شيئًا من صفات المخلوقين، فمن جَحد شيئًا مما وصف اللَّه به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو تأوله علىٰ غير ما ظهر من معناه= فهو جهمي قد اتبع غير سبيل المؤمنين.

▫ قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «فائدة جليلة: ما يجري صفةً

أو خبرًا علىٰ الرب تعالىٰ أقسام:

أحدها: ما يرجع إلىٰ نفس الذات كقولك: ذات وموجود.

الثاني: ما يرجع إلىٰ صفاتٍ منعوتة؛ كالعليم والقدير، والسميع والبصير.

الثالث: ما يرجع إلىٰ أفعاله؛ كالخالق والرازق.

الرابع: التنزيه المحض، ولابد من تضمُّنه ثبوتًا؛ إذ لا كمال في العدم المحض، كالقدوس والسلام.

الخامس: ولم يذكره أكثر الناس، وهو الاسم الدال علىٰ جملة أوصاف عديدة، لا يختص بصفة معينة؛ بل دال علىٰ معان؛ نحو: المجيد، العظيم، الصمد؛ فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل علىٰ هذا، فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة، فمنه: استمجد المَرْخُ والعَفَار[1]، وأمجد الناقة: علفها. ومنه: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥﴾ [البروج] صفة للعرش؛ لسعته وعظمته وشرفه.

وتأمل كيف جاء هذا الاسم[2] مقترنًا بطلب الصلاة من اللَّه علىٰ رسوله كما عَلَّمَنا ﷺ[3]؛ لأنه في مقام طلب المزيد، والتعرض لسعة العطاء وكثرته ودوامه، فأتىٰ في هذا المطلوب باسم يقتضيه؛ كما تقول: «اغفر لي وارحمني؛ إنك أنت الغفور الرحيم»، فهو

---

(١) هذا من أمثال العرب، والمراد منه: الإكثار من العطاء طلبًا للمجد. انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (رقم: ٢٧٥٢).

(٢) يعني: المجيد.

(٣) يقصد: في تشهد الصلاة.



راجع إلىٰ التوسل بأسمائه وصفاته، وهو من أقرب الوسائل وأحبِّها إليه، ومنه الحديث الذي في المسند والترمذي: «**أَلِظُّوا بـ: يا ذا الجلال والإكرام**»[1]، ومنه: «**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد؛ لا إلٰه إلا أنت، المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام**»[2]، فهذا سؤالٌ له وتوسلٌ إليه بأسمائه وصفاته، فما أحقَّ ذلك بالإجابة، وأعظمه موقعًا عند المسؤول، وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد.

السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدْرٌ زائد علىٰ مفرديهما؛ نحو: الغني الحميد، الغفور القدير، الحميد المجيد. وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن؛ فإن الغِنىٰ صفة كمال، والحمد كذلك، واجتماع الغنىٰ مع الحمد كمال آخر، فله ثناءٌ من غنائه، وثناءٌ من حمده، وثناء

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد (١٧٧/٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢٨٠/٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٤٩٩)، والطبراني في «الكبير» (٤٥٩٤)، وفي «الدعاء» (٩٢)، والحاكم (٤٩٨/١)، والبيهقي في «الدعوات» (١٩٦)، وابن منده في «التوحيد» (٣٥٤)، والقضاعي (٦٩٣)، والروياني (١٤٧٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٧٦٠)، من حديث ربيعة بن عامر رضي الله عنه. **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٣٨/٢٩)، والشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٥٣٦).
ورواه التِّرمذي (٣٥٢٥)، وأبو يعلىٰ (٣٨٨٣)، والطبراني في «الدعاء» (٩٣)، وابن عدي في «الكامل» (٢٥٦١)، وابن أبي شيبة في «مسنده» ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣٩٥/٣) ـ، من حديث أنس رضي الله عنه، **وضعَّفه** الإمام التِّرمذي، بينما **صحَّحه** الشيخ الألباني عنده، والشيخ شعيب الأرنؤوط ثم ـ أيضًا ـ (١٢٨/٦).

(٢) **صحيح:** وقد تقدم.

من اجتماعهما، وكذلك الغفور القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم؛ فتأمله؛ فإنه من أشرف المعارف».



فيه مسائل:

الأولى: إثبات الأسماء.

الثانية: كونها حسنىٰ.

الثالثة: الأمر بدعائه بها.

الرابعة: ترك من عارَضَ من الجاهلين الملحدين.

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها.

السادسة: وعيد من ألحد.



[٥٢] باب: لا يقال: «السلام على الله»

في «الصحيح» عن ابن مسعود ﵁ قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام علىٰ اللَّه من عباده، السلام علىٰ فلان وفلان؛ فقال النبي ﷺ: «**لا تقولوا: السلام علىٰ اللَّه؛ فإن اللَّه هو السلام**»(١).



الشرح

■ قوله: «في الصحيح عن ابن مسعود ﵁ قال: «كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام علىٰ اللَّه من عباده...» الحديث: هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم عن ابن مسعود، وفي هذا الحديث النهيُ عن ذلك، وقد كان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة المكتوبة استغفر ثلاثًا وقال: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام؛ تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»(٢). وفي الحديث أن هذا هو تحية أهل الجنة لربهم ﷻ(٣).

■ قوله: «**فإن اللَّه هو السلام**»: أي: هو تعالىٰ سالمٌ من كل نقص، ومن كل تمثيل، فهو الموصوف بكل كمال، المنزَّه عن كل عيب ونقص.

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) رواه مسلم (٥٩١)، من حديث ثوبان ﵁.

(٣) **ضعيف**: وورد في عدة أحاديث، فانظر: «مسند الإمام أحمد» (٢٣/ ١٤٩)، و«ضعيف الجامع» (٩٤٨، ١٥٥٨)، و«الضعيفة» (١٥١٦).

▫ قال في «البدائع»: «السلام اسم مصدر، وهو من ألفاظ الدعاء، يتضمن الإنشاء والإخبار، فجهة الخبرية فيه لا تُناقِضُ الجهةَ الإنشائية، وهو معنىٰ السلام المطلوب عند التحية، وفيه قولان مشهوران:

الأول: أن السلام هنا هو اللَّه ﷻ، ومعنىٰ السلام: نزلت بركتُه عليكم ونحو هذا، فاختير في هذا المعنىٰ من أسمائه ﷻ اسم السلام دون غيره من الأسماء.

الثاني: أن السلام مصدر بمعنىٰ السلامة، وهو المطلوب المدعو به عند التحية، ومن حجة أصحاب هذا القول أنه يأتي منكَّرًا فيقول المسلم: «سلام عليكم»، ولو كان اسمًا من أسماء اللَّه لم يستعمل كذا. ومن حجتهم أنه ليس المقصود من السلام هذا المعنىٰ، وإنما المقصود منه الإيذان بالسلامة خبرًا أو دعاء».

▫ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «وفصل الخطاب أن يقال: الحق في مجموع القولين، فكلٌّ منهما معه بعضُ الحق، والصواب في مجموعهما، وإنما يتبين ذلك بقاعدة؛ وهي أن حقَّ مَن دعا اللَّه بأسمائه الحسنىٰ أن يتوسل في كل مطلب، ويسأل بالاسم المقتضي لذلك المطلوب المناسِب لحصوله، حتىٰ إن الداعيَ متشفعٌ إلىٰ اللَّه تعالىٰ، متوسل به إليه، فإذا قال: «رب اغفر لي وتب عليَّ؛ إنك التواب الغفور»، فقد سأله بأمرين، وتوسل إليه باسمين من أسمائه مقتضيين لحصول مطلوبه، فالمقام لمَّا كان مقام طلب السلامة التي هي أهم عند الرجل، أتىٰ في لفظها بصيغة اسمٍ من أسماء اللَّه، وهو «السلام» الذي تُطلب منه السلامة، وهو مقصودُ المسلِّم، فقد تضمن «سلام عليكم» اسمًا من أسماء اللَّه تعالىٰ، وطلب السلامة منه، فتأمل هذه الفائدة.

وحقيقته: البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب، وعلىٰ هذا المعنىٰ تدور تصاريفه، فمن ذلك قولك: «سلمك اللَّه»، ومن دعاء المؤمنين علىٰ الصراط: «اللهم سلِّمْ سلم». ومنه: سَلِم الشيء لفلان، أي: خَلَص له وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩]، أي خالصًا له وحده لا يملكه معه غيره، ومنه السِّلم ضد الحرب؛ لأن كل واحد من المتحاربين يَخلُص ويَسلَم من أذىٰ الآخر، ولهذا بُني فيه علىٰ المفاعلة؛ فيقال: «المسالمة» مثل «المشاركة»، ومنه القلب السليم وهو النقي من الدغل والعيب، وحقيقته الذي قد سَلِم للَّه وحده؛ فخلص من دغل الشرك وغُله[(١)] ودغل الذنوب والمخالفات، بل هو المستقيم علىٰ صدق حبِّه وحسن معاملته، وهذا هو الذي ضُمن له النجاة من عذابه والفوز بكرامته، ومنه أخذ «الإسلام» فإنه من هذه المادة؛ لأنه الاستسلام والانقياد له، والتخلص من شوائب الشرك، فسَلِم لربه، وخلص له، كالعبد الذي سلم لمولاه ليس له فيه شركاء متشاكسون، ولهذا ضرب سبحانه هذين المثلين للمسلم الخالص لربه، وللمشرك به».



(١) **الدغل**: الفساد. **الغُلُّ**: القيد.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير السلام.

الثانية: أنه تحية.

الثالثة: أنها لا تصلح للَّه.

الرابعة: العلة في ذلك.

الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح للَّه.

[٥٣] باب: قول: «اللهم اغفر لي إن شئت»

في «الصحيح» عن أبي هريرة ﵁: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يقُلْ أحدكم: اللهم اغفرْ لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، لِيعزِمِ المسألةَ؛ فإن اللَّه لا مُكرِهَ له**».

ولمسلم: «**ولْيُعظِمِ الرغبةَ؛ فإن اللَّه لا يتعاظمُه شيءٌ أعطاه**»(١).



■ قوله: «(**لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت...**)» الحديث: بخلاف العبد؛ فإنه قد يعطي السائلَ مسألته لحاجته إليه، أو لخوفه، أو رجائه؛ فيعطيه مسألته وهو كاره، فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلِّق حصول مسألته علىٰ مشيئة المسؤول؛ مخافة أن يعطيَه وهو كاره، بخلاف رب العالمين؛ فإنه يعطي عبده ما أراده بفضله وكرمه وإحسانه، فالأدب مع اللَّه ألَّا يعلق مسألته لربه بشيءٍ لسعة فضله وإحسانه وجُوده وكرمه، وفي الحديث: «**ليعزم المسألة**».

■ قوله: «ولمسلم: (**ولْيُعظِمِ الرغبة**)»: في سؤاله ربه حاجته؛ فإنه يعطي العظائم كرمًا وجودًا وإحسانًا.

■ «**فإن اللَّه لا يتعاظمه شيء أعطاه**»: أي ليس ما أعطىٰ عبده مما سأله بعظيم عنده؛ لكمال فضله وجوده.

❑ وقد قال بعض الشعراء في مخلوق يمدحه:

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

وتَعظُمُ في عينِ الصغير صغارُها

وتصغُر في عينِ العظيم العظائمُ

واللَّه تعالىٰ أحق بكل مدحة وثناء.



✍ فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء.

الثانية: بيان العلة في ذلك.

الثالثة: قوله: «**ليعزم المسألة**».

الرابعة: إعظام الرغبة.

الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

[٥٤] باب: لا يقول: «عَبْدي، وأَمَتي»

في «الصحيح» عن أبي هريرة ﵁ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا يقلْ أحدُكم: أطعِمْ ربَّك، وضِّئْ ربَّك؛ وليقل: سيدي ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي وأَمَتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي»(١).



الشرح

▪ قوله: «في «الصحيح» عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: (لا يقل أحدكم: أطعم ربك...)» الحديث، هذه الألفاظُ المنهيُّ عنها - وإن كانت تطلق لغةً - فالنبي ﷺ نهىٰ عنها تحقيقًا للتوحيد، وسدًّا لذرائع الشرك؛ لما فيها من التشريك في اللفظ؛ لأن اللَّه هو رب العباد جميعِهم، فإذا أُطلق علىٰ غيره ما يطلق عليه تعالىٰ وقع الشبهُ في اللفظ، فينبغي أن يُجتنب هذا اللفظ في حق المخلوق من ذلك؛ فأرشدهم ﷺ إلىٰ ما يقوم مقام هذا اللفظ؛ وهو قوله: «سيدي ومولاي».

▪ وكذلك قوله: «لا يقل أحدكم: عبدي وأمتي»؛ لأن العبيد عبيد اللَّه، والإماء إماء اللَّه. قال تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ٩٣﴾ [مريم] الآية.



(١) صحيح: وقد تقدم.

✍ فيه مسائل:

الأولى: النهي عن قول: «عبدي، وأمتي».

الثانية: لا يقول العبد: «ربي»، ولا يقال له: «أطعم ربك».

الثالثة: تعليم الأول قول: «فتاي، وفتاتي، وغلامي».

الرابعة: تعليم الثاني قول: «سيدي، ومولاي».

الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتىٰ في الألفاظ.



[٥٥] باب: لا يُردُّ من سأل بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَن سأل باللَّه فأعطُوه، ومن استعاذ باللَّه فأعيذوه، ومَن دعاكم فأجيبوه، ومَن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعُوا له حتىٰ ترَوْا أنكم قد كافأتموه**». رواه أبو داود والنسائي بسندٍ صحيح[(١)].



الشرح

ظاهر الحديث النهيُ عن رد السائل إذا سأل باللَّه، ويحتمل أن يكون المراد: فيما لا مشقة فيه علىٰ المسؤول ولا ضرر، فيكون من باب مكارم الأخلاق ومعالي الشيم، وربما كان السائلُ محتاجًا أو مضطرًّا فيجب أن يعطَىٰ ما سأله، ويأثم المسؤول في منعه، فيؤخذ من ماله أضعافُ ما مَنع علىٰ وجهٍ يكرهه.

فباعتبار هذه الأمور ينبغي لمن أعطاه اللَّه نعمة أن يؤدي حق اللَّه فيها، ويعطي من سأله من فضول نعمة اللَّه عليه؛ خصوصًا إذا سأل باللَّه تعالىٰ؛ فيكون إعطاؤه تعظيمًا لمن سأل به؛ وهو اللَّه تعالىٰ.

■ قوله: «**من استعاذ باللَّه فأعيذوه**»: تعظيمًا للَّه تعالىٰ، وتقربًا إليه بذلك.

■ قوله: «**ومن دعاكم فأجيبوه**»: هذا من حقوق المسلم علىٰ المسلم، ومن أسباب الألفة وسلامة الصدر وإكرام الداعي.

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

■ قوله: «**ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه**»: أي ينبغي المكافأة علىٰ المعروف، وهو من مكارم الأخلاق، وفيه السلامة من البخل وما يُذمُّ به.

■ قوله: «**فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له**»: فيه أن الدعاء يقوم مقام المكافأة في حق من لم يجد ما يكافئ به.

■ قوله: «**حتىٰ تُرَوا**» ـ بضم التاء ـ: أي تظنوا، وفي رواية أبي نَهِيك عن ابن عباس: «**من سألكم بوجه اللَّه فأعطوه**».



فيه مسائل:

الأولى: إعاذة من استعاذ باللَّه.

الثانية: إعطاء من سأل باللَّه.

الثالثة: إجابة الدعوة.

الرابعة: المكافأة علىٰ الصنيعة.

الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه.

السادسة: قوله: «**حتىٰ تروا أنكم قد كافأتموه**».



[٥٦] باب: لا يُسأل بوجه الله إلَّا الجنة

عن جابر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يُسأل بوجه اللَّه إلا الجنة**». رواه أبو داود[(١)].



▪ قوله: «باب: لا يسأل بوجه اللَّه إلا الجنة»: ذكر فيه حديث جابر رواه أبو داود قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**لا يسأل بوجه اللَّه إلا الجنة**».

وهنا سؤال، وهو أنه قد ورد في دعاء النبي ﷺ عند منصرفه من الطائف - حين كذبته ثقيف - دعا بالدعاء المأثور: «**اللهم أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني علىٰ الناس، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي؛ إلىٰ من تَكِلُني؟ إلىٰ بعيدٍ يتجهَّمُني، أو إلىٰ عدوٍّ ملَّكتَه أمري، إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذُ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصَلَح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحلَّ عليَّ غضبك، أو ينزلَ بي سخطُك، لك العقبىٰ حتىٰ ترضىٰ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه**»[(٢)].

---

(١) **ضعيف**: وقد تقدم.

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٣/٧٣)، وفي «الدعاء» (١٠٣٦)، والضياء في «المختارة» (٩/١٨١)، وابن عساكر في «التاريخ» (٤٩/١٥١)، والرافعي في «أخبار قزوين» (٢/٨٣)، وقوام السنة في «الحجة» (٥٤٢)، وابن عدي في «الكامل» (٦/١١١)، من حديث عبداللَّه بن جعفر رضي الله عنهما.
وصحَّحه الضياء - بإيراده في «المختارة» -، وقال الإمام الهيثمي في =

والحديث المروي في الأذكار: «**اللهم أنت أحقُّ مَن ذُكِر، وأحق من عُبد**»، وفي آخره: «**أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض**»[(١)]، ونحوه في الأحاديث المرفوعة.

فيحتمل أن هذا فيما يكرهه العبد، لا فيما يحبه ويتمناه، ويحتمل غير هذا، واللَّه أعلم.



= «المجمع» (٦/٣٧): «رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق ـ وهو مدلس ثقة ـ، وبقية رجاله ثقات»، **وحسَّنه** الشيخ عبدالرَّحمٰن قائد في تحقيقه لكتاب «الفوائد» للإمام ابن القيم (ص١١٥ ـ ط: عالم الفوائد)، وكذا **حسَّنه** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (١٣/٥٥)، بينما **ضعَّفه** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٩٣٣)، و«ضعيف الجامع» (١١٨٢).

(١) **ضعيف**: رواه الطبراني في «الكبير» (٨/٢٦٤)، وفي «الدعاء» (٣١٨)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٥٨)، والشيخ حسين الداراني في تحقيقه (٢٠/٢٠٤).

✍ فيه مسائل:

الأولى: النهي عن أن يُسأل بوجه اللَّه إلا غايةُ المطالب.

الثانية: إثبات صفة الوجه.



[٥٧] باب: ما جاء في «اللو»

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«احرصْ علىٰ ما ينفعُك، واستعِنْ باللَّه ولا تَعجِزنَّ، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أنني فعلتُ لكان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ اللَّه، وما شاء فعل؛ فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»**[(١)].

الشرح

■ قوله: «باب: في ما جاء في اللو»: أي من الوعيد والنهي عنه عند الأمور المكروهة؛ كالمصائب إذا جرىٰ بها القدر ونحوها.

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾»: قاله بعض المنافقين يوم أحد لخوفهم وجزعهم وخورهم.

قال ابن إسحاق: فحدثني يحيىٰ بن عباد بن عبداللَّه بن الزبير قال: قال الزبير: «لقد رأيتني مع رسول اللَّه ﷺ حين اشتد علينا الخوف، أرسل اللَّه علينا النوم، فما منا رجلٌ إلا ذقنه في صدره قال: فواللَّه إني لأسمع قول معتِّب بن قشير ـ ما أسمعه إلا كالحُلُم ـ: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]؛ فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل اللَّه ﷻ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾

(١) صحيح: وقد تقدم.

[آل عمران: ١٥٤] لقول معتب». رواه ابن أبي حاتم[(١)].

▫ وقال مجاهد عن جابر بن عبداللَّه: «نزلت هذه الآية في عبداللَّه بن أُبيٍّ». يعني أنه هو الذي قال ذلك.

■ قوله: «في الصحيح عن أبي هريرة ﵁ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن باللَّه ولا تعجز**». الحديث: اختصر المصنف هذا الحديث وتمامه: «**المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلىٰ اللَّه من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير**...» إلىٰ آخره.

■ قوله: «**احرص علىٰ ما ينفعك**»: أي في دنياك وأخراك، وخص ما ينفع دون ما ليس كذلك مما فيه ضرر أو عدم نفع، وذلك لا يخرج عن الواجب والمستحب والمباح ـ إذا كان نافعًا ـ.

■ قوله: «**واستعن باللَّه**»؛ لأنه لا يحصل له ذلك[(٢)]، إلا إذا كان مستعينًا باللَّه.

■ قوله: «**ولا تعجز**»: نهاه عن العجز؛ لأنه مما يُذم به عقلًا وشرعًا، فما أكثر ذلك في الناس! فكم فوت الإنسان علىٰ نفسه من الخير وهو يقدر عليه إذا رغب فيه واستعان باللَّه، ولا حول ولا قوة

---

(١) حسن: رواه ابن إسحاق في «المغازي» ـ كما في «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٣١٦/١) ـ، والطبري في «تفسيره» (٩٤/٤)، والبزار في «مسنده» (٩٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٢٠/٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٧٣/٣)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٤٢١)، وإسحاق ابن راهويه في «مسنده» ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢٣٣/١) ـ، والضياء في «الأحاديث المختارة» (٦١/٣)، **وحسَّنه** صاحبا «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٣١٦/١).

(٢) أي: منافع الدنيا والآخرة.



إلا باللَّه.

■ قوله: «**وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا! ولكن قل: قَدَرُ اللَّه**»: لأن ما قُدِّر يكون، فيجب الإيمان بالقدر والتسليم، وأرشده إلىٰ أن يقول: «قَدَرُ اللَّه» أي: هذا قدر اللَّه، والمبتدأ محذوف وتقديره «هذا قدر اللَّه».

■ «**وما شاء فعل**»: لأن أفعاله تعالىٰ إنما تصدر عن حكمةٍ وعلم وفضل وعدل، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف].

■ قوله: «**فإن «لو» تفتح عمل الشيطان**»: أي لما فيها من التأسف علىٰ ما فات والحزن؛ فيأثم في ذلك؛ وذلك من عمل الشيطان.



✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران.

الثانية: النهي الصريح عن قول: «لو» إذا أصابك شيء.

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يَفتح عمل الشيطان.

الرابعة: الإرشاد إلىٰ الكلام الحسن.

الخامسة: الأمر بالحرص علىٰ ما ينفع، مع الاستعانة باللَّه.

السادسة: النهي عن ضد ذلك، وهو العجز.



[٥٨] باب: النهي عن سب الريح

عن أُبيٍّ بن كعبٍ رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تسبُّوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألُك من خير هذه الريح، وخيرِ ما فيها، وخيرِ ما أُمِرَتْ به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمرَتْ به**». صححه الترمذي[(١)].



الشرح

▪ قوله: «عن أبيٍّ بن كعب أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تسبوا الريح**»...» الحديث: لأن الريح خلقٌ من خلق اللَّه مدبَّر، وإنما تَهُبُّ بمشيئة اللَّه وقدرته، فيرجع السبُّ إلىٰ مَن خلقها وسخَّرها، وأرشد النبي ﷺ أمته إلىٰ أن يقولوا ما ذُكر في الحديث، وهو سؤالُه تعالىٰ خيرَها وخير ما فيها، والاستعاذة به من شرها وشر ما فيها، وقد شرع اللَّه لعباده أن يسألوه ما ينفعهم، ويستعيذوا به من شرِّ ما يضرهم، وأن يكون ذلك منهم عبوديةً للَّه وحده، وطاعةً له وإيمانًا به، وهذه حالُ أهل التوحيد والإيمان؛ خلافًا لحال أهل الشرك والبدع.



---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

✍ فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الريح.

الثانية: الإرشاد إلىٰ الكلام النافع إذا رأىٰ الإنسان ما يكره.

الثالثة: الإرشاد إلىٰ أنها مأمورة.

الرابعة: أنها قد تؤمر بخير، وقد تؤمر بشر.





[٥٩] باب: قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ [آل عمران]

وقولِه: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ [الفتح: ٦].

▫ قال ابن القيم في الآية الأولىٰ: فُسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل. وفُسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر اللَّه وحكمته؛ ففُسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يَتمَّ أمرُ رسوله، وأن يظهره اللَّه علىٰ الدين كله؛ وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح. وإنما كان هذا ظنَّ السوء؛ لأنه ظنٌّ غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يُديل الباطلَ علىٰ الحق إدالةً مستقرةً يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرىٰ بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدَّرَه لحكمةٍ بالغةٍ يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئةٍ مجردة= فذلك ظن الذين كفروا، ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾ [ص].

وأكثر الناس يظنون باللَّه ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يَسلَمُ من ذلك إلا من عرف اللَّه وأسماءه وصفاته، وموجَبَ حكمته وحمده.

فليعتنِ اللبيبُ الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلىٰ اللَّه، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء. ولو فتشتَ مَن فتشتَ لرأيت عنده تعنتًا علىٰ القَدَر وملامةً له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا؛ فمستقلٌّ

ومستكثر. وفتِّش نفسك: هل أنت سالم؟

فإن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمةٍ   وإلا فإني لا إخالُك ناجيا


الشرح

■ قوله: «باب: قول اللَّه تعالىٰ: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾، وهذه الآية ذكرها اللَّه تعالىٰ في سياق قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ﴾»: يعني: أهل الإيمان والثبات والتوكل الصادق، وهم الجازمون بأن اللَّه تعالىٰ ينصر رسوله ﷺ وينجز مأموله، ولهذا قال: ﴿وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾؛ يعني لا يغشاهم النعاسُ من القلق والجزع والخوف، ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا﴾ [الفتح: ١٢]، وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة ظنوا أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهلَه، وهذا شأن أهل الريب والشك؛ إذا حَصَل أمر من الأمور تَحصُل لهم هذه الأمور الشنيعة.

▫ قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد فُسر هذا الظن الذي لا يليق باللَّه سبحانه: بأنه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل. وفُسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر اللَّه وحكمته، ففُسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمرُ رسوله، وأن يُظهره علىٰ الدين كله؛ هذا هو ظن السوء، ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ٦﴾ [الفتح]».



■ قوله: «﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾»:

▫ قال ابن جرير في «تفسيره»: «﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾: أي الظانين باللَّه أن لن ينصرك وأهلَ الإيمان بك علىٰ أعدائك، وأن يُظهر كلمته فيجعلها العليا علىٰ كلمة الكافرين به؛ وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها اللَّه في هذا الموضع».

▫ وقال ابن كثير: «﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: يَتهمون اللَّه ﷻ في حكمه، ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أن يُقتلوا ويذهبوا بالكلية؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾».

■ «وهذا الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظنٌّ غيرِ ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمه وحمده ووعده الصادق. فمن ظن أنه يديل الباطل علىٰ الحق إدالةً مستقرةً يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرىٰ بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدرُه لحكمةٍ بالغة يستحق عليها الحمد؛ بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة = فذلك ظن الذين كفروا ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص]».



✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية الفتح.

الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواعٌ لا تُحصر.

الرابعة: أنه لا يَسلَمُ من ذلك إلا من عَرف الأسماء والصفات، وعرف نفسه.

[٦٠] باب: ما جاء في منكري القَدَر

▫ وقال ابن عمر: «والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثلُ أُحُد ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل اللَّه، ما قَبِله اللَّه منه حتىٰ يؤمن بالقدر».

ثم استدل بقول النبي ﷺ: «**الإيمانُ أن تؤمن باللَّه وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليوم الآخر، وتؤمنَ بالقَدَر خيرِه وشره**». رواه مسلم(١).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: يا بني، إنك لن تجدَ طعمَ الإيمان حتىٰ تعلمَ أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبَك. سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنَّ أول ما خلق اللَّه القلمُ، فقال له: اكتب. فقال: ربِّ، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقاديرَ كل شيءٍ حتىٰ تقوم الساعة**». يا بني، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**مَن مات علىٰ غير هذا فليس مني**».

وفي روايةٍ لأحمد: «**إن أول ما خلق اللَّه تعالىٰ القلم، فقال له: اكتبْ. فجرىٰ في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامة**»(٢).

وفي رواية لابن وهب قال رسول اللَّه ﷺ: «**فمن لم يؤمنْ بالقَدَر خيرِه وشرِّه، أَحرَقَه اللَّه بالنار**»(٣).

وفي «المسند» و«السنن» عن ابن الديلمي قال: أتيت أُبيَّ بن كعب، فقلت: في نفسي شيءٌ من القدر، فحدِّثْني بشيءٍ؛ لعلَّ اللَّهَ

---

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) صحيح: وقد تقدم.
(٣) حسن: وقد تقدم.

يُذهبُه من قلبي. فقال: «**لو أنفقتَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ما قَبِله اللَّهُ منك حتىٰ تؤمنَ بالقَدَر، وتعلمَ أن ما أصابك لم يكن ليخطئَك، وما أخطأك لم يكن ليصيبَك، ولو متَّ علىٰ غير هذا لكنت من أهل النار**».

قال: فأتيت عبدَاللَّه بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت؛ فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ». حديث صحيح. رواه الحاكم في «صحيحه»[(١)].



الشرح

■ قوله: «باب: ما جاء في منكري القدر»: أي من الوعيد.

■ قوله: «قال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده...»: حديث ابن عمر هذا أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. عن يحيىٰ بن يعمر قال: «كان أولَ من تكلم في القدر بالبصرة معبدٌ الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرَّحمٰن الحِميَري حاجين أو معتمرين؛ فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر! فوُفق اللَّه لنا عبداللَّه بن عمر داخلًا المسجد، فاكتنفته[(٢)] أنا وصاحبي، فظننت أن صاحبي سيَكِلُ الكلام إليَّ، فقلت: أبا عبدالرَّحمٰن، إنه ظهر قِبَلَنا أناس يقرؤون القرآن، ويتقفَّرون[(٣)] العلم؛ يزعمون ألَّا قدر، وأن الأمر أُنُف[(٤)]، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني،

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **اكتنفته**: أحاطتُ به.

(٣) **يتقفرون**: ينقِّبون عنه.

(٤) أي: لم يسبق به قَدَر.

والذي يحلفُ به عبداللَّه بن عمر لو أن لأحدهم مثلَ أُحُدٍ ذهبًا فأنفقه ما قَبِلَه اللَّه منه حتىٰ يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثني عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا جلوسًا عند رسول اللَّه ﷺ؛ إذ طلع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب، شديدُ سواد الشعر، لا يُرىٰ عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحدٌ؛ حتىٰ جلس إلىٰ النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه، ووضع كفَّيه علىٰ فخذيه، ثم قال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام، قال: «**الإسلام أن تشهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**». قال: صدقت. فعجبنا له؛ يسأله ويصدقه! قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدَرِ خيره وشره**». قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «**أن تعبد اللَّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**». قال: فأخبِرْني عن أماراتها؟ قال: «**أن تلد الأمةُ ربَّتَها، وأن ترىٰ الحفاةَ العراة العالة رعاءَ الشاء يتطاولون في البنيان**». قال: فانطلق، فلبثنا مليًّا، ثم قال: «**يا عمر، أتدري من السائل؟**»، قلت: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**إنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم**».

■ قوله: «عن عبادة بن الصامت...»: حديثه هذا رواه أبو داود، ورواه الإمام أحمد بكماله؛ قال: حدثنا الحسن بن سَوَّار، حدثنا ليث، عن معاوية، عن أيوب بن زياد، حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة، حدثني أبي قال: دخلتُ علىٰ عبادة وهو مريض أتخايلُ فيه الموت، فقلت: يا أبتاه، أوصني واجتهد لي، قال: أجلسوني. ثم

قال: يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم حتىٰ تؤمن بالقدر خيره وشره، قلت: يا أبتاه، وكيف أعلم ما خيرُ القدر وشرُّه؟ قال: أن تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبَك، وما أصابك لم يكن ليخطئك. يا بني، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق اللَّه القلم، فقال له: اكتب. فجرىٰ في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامة**». يا بني، إن متَّ ولست علىٰ ذلك دخلت النار. ورواه الترمذي بسنده المتصل إلىٰ عطاء بن أبي رباح.

وفي هذا الحديث بيان شمول علم اللَّه، وإحاطته بما كان ويكون، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] الآية، والآيات في إثبات القدر كثيرة، وقد استدل العلماء علىٰ ثبات القدر بشمول القدرة والعلم كما في الآية.

- قال الإمام أحمد: «القدر: قُدرة الرَّحمٰن».
- وقال بعض الأئمة في نفاة القدر: «ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خُصموا، وإن جحدوه كفروا».

■ قوله: «وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي»: أبو بُسْر - بالسين المهملة والباء المضمومة -، ويقال: أبو بِشْر «بالشين المعجمة وكسر الباء -، وبعضهم صحح الأول، واسمه عبداللَّه بن أبي فيروز، ولفظ أبي داود قال: «**لو أن اللَّه عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غيرُ ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمتُه خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله اللَّه منك حتىٰ تؤمن بالقدر، وتعلمَ أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن**

ليصيبَك، ولو متَّ علىٰ غير هذا لكنت من أهل النار». فأتيت عبداللَّه ابن مسعود، فقال مثل ذلك، ثم أتيت حذيفة بن اليمان، فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت، قال: فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك. وأخرجه ابن ماجه.

وهذه الأحاديث ـ وما في معناها ـ حجةٌ علىٰ نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم، ومن مذهبهم تخليد أهل المعاصي في النار، وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر وأعظم البدع، وكثيرٌ منهم وافقوا الجهمية في نفي صفات الرب ـ تعالىٰ وتقدس ـ.



✍ فيه مسائل:

الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر.

الثانية: بيان كيفية الإيمان به.

الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به.

الرابعة: الإخبار أن أحدًا لا يجد طعم الإيمان حتىٰ يؤمن به.

الخامسة: ذِكرُ أول ما خلق اللَّه.

السادسة: أنه جرىٰ بالمقادير في تلك الساعة إلىٰ قيام الساعة.

السابعة: براءته ﷺ ممن لم يؤمن به.

الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.

التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يُزيل شبهته؛ وذلك أنهم نسبوا الكلام إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فقط.



[٦١] باب: ما جاء في المصوِّرين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «قال اللَّه تعالىٰ: ومَن أظلم ممن ذهب يَخلُقُ كخلقي! فلْيَخلقوا ذرَّةً، أو لِيخلقوا حبةً، أو ليخلقوا شعيرةً». أخرجاه(١).

ولهما عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخَلقِ اللَّه»(٢).

ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «كلُّ مصوِّرٍ في النار، يُجعل له بكل صورةٍ صوَّرَها نفسٌ يُعذَّبُ بها في جهنم»(٣).

ولهما عنه مرفوعًا: «مَن صوَّر صورةً في الدنيا، كُلِّف أن يَنفخَ فيها الروح، وليس بنافخ»(٤).

ولمسلم عن أبي الهيَّاج قال: قال لي عليٌّ: أَلَا أبعثُك علىٰ ما بعثني عليه رسول اللَّه ﷺ؟ «ألَّا تَدَعَ صورةً إلا طمستَها، ولا قبرًا مشرِفًا إلا سوَّيتَه»(٥).


الشرح

■ قوله: «باب: ما جاء في المصورين»: أي من الوعيد، وقد

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) صحيح: وقد تقدم.
(٣) صحيح: وقد تقدم.
(٤) صحيح: وقد تقدم.
(٥) صحيح: وقد تقدم.

ذكر النبي ﷺ العلة، وهي المضاهاة بخلق اللَّه؛ لأن اللَّه تعالىٰ له الخلق والأمر، فلا يجوز أن يشبَّه بشيءٍ من خلقه سبحانه لما فيه من المضاهاة بخلق اللَّه.

■ قوله: «ولمسلم عن أبي الهياج»: أبو الهياج هو الأسدي حيانُ ابن حصين. و«علي» هو أمير المؤمنين.

■ قوله: «ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول اللَّه ﷺ؟ **(ألَّا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته)**»: فهذا ما صح عن النبي ﷺ من إنكار هذه الأمور وإزالتها: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٢]؛ فأكثروا التصوير واستعملوه، وأكثروا البناء علىٰ القبور وزخرفوها، وجعلوها أوثانًا، وزعموه دينًا، وهو أعظم المنكرات، وأكبر السيئات، تعظيمًا للأموات وغُلوًّا، وعبادةً لغير اللَّه بأنواع العبادة التي هي حق اللَّه علىٰ عباده.

□ قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «ومن جمع بين سنة رسول اللَّه ﷺ في القبور وما نهىٰ عنه، وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم= رأىٰ أحدهم مضادًّا للآخر مناقضًا له؛ بحيث لا يجتمعان أبدًا».





فيه مسائل:

الأولى: التغليظ الشديد في المصوِّرين.

الثانية: التنبيه علىٰ العلة، وهو ترك الأدب مع اللَّه، لقوله: «**ومَن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي!**».

الثالثة: التنبيه علىٰ قدرته وعجزهم؛ لقوله: «**فلْيَخلقوا ذرةً أو حبةً أو شعيرة**».

الرابعة: التصريح بأنهم أشد الناس عذابًا.

الخامسة: أن اللَّه يخلق بعدد كل صورة نفسًا يعذَّب بها المصوِّرُ في جهنم.

السادسة: أنه يكلَّف أن ينفخ فيها الروح.

السابعة: الأمر بطمسها إذا وجدت.



[٦٢] باب: ما جاء في كثرة الحَلِف

وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩].

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**الحلفُ مَنفَقَةٌ للسِّلعة، مَمْحَقَةٌ للكسب**». أخرجاه[(١)].

وعن سلمان ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم اللَّه، ولا يزكِّيهم، ولهم عذابٌ أليم: أُشيمِطُ زانٍ، وعائلٌ مستكبِر، ورجلٌ جعل اللَّهَ بضاعتَه: لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**». رواه الطبراني بسندٍ صحيح[(٢)].

وفي «الصحيح» عن عِمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**خيرُ أمتي قرني، ثم الذين يلُونهم، ثم الذين يلونهم** - قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا؟ -، **ثم إن بعدكم قومًا يَشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويَنذِرُون ولا يُوفُّون، ويَظهرُ فيهم السِّمَن**»[(٣)].

وفيه عن ابن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يجيءُ قومٌ تَسبقُ شهادةُ أحدِهم يمينَه، ويمينُه شهادتَه**»[(٤)].

▫ وقال إبراهيم: «كانوا يضربوننا علىٰ الشهادة والعهد ونحن صغار».

---

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) صحيح: وقد تقدم.
(٣) صحيح: وقد تقدم.
(٤) صحيح: وقد تقدم.



الشرح

■ قوله: «باب: ما جاء في كثرة الحلف»: أي من النهي عنه والوعيد.

■ قوله: «وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾»:

▫ قال ابن جرير: «أي: لا تتركوها بغير تكفير».

▫ وذكر غيره عن ابن عباس: «يريد: لا تحلفوا».

▫ وقال آخرون: «﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ عن الحنث، فلا تحنثوا».

والمعنىٰ يعم القولين.

■ قوله: «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**الحلف مَنفَقةٌ للسلعة، مَمحقةٌ للكسب**». أخرجاه»: أي: البخاري ومسلم. وخرجه أبو داود، والنسائي.

والمعنىٰ: أنه قد يحلف علىٰ ثمن السلعة بزيادةٍ علىٰ ما اشتُريت به، أو سُميت به، فيأخذها المشتري لظنه أنه صدق. وهذا وإن كان فيه زيادةٌ فهو يمحق البركة، كما جاء في الحديث، والواقع يشهد بصحته؛ فإن ما عند اللَّه لا ينال إلا بطاعته، وإن تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلال وذهاب.

■ قوله: «وعن سلمان»: وسلمان لعله سلمان الفارسي أبو عبداللَّه، أسلم مَقدَمَ النبي ﷺ المدينة، وشهد الخندق، روىٰ عنه أبو عثمان النهدي، وشرحبيل بن السِّمْط وغيرهما، قال النبي ﷺ: «**سلمان منَّا أهل البيت**»[(١)]، «**إن اللَّه يحبُّ من أصحابي أربعة: عليًّا، وأبا**

(١) ضعيف جدًّا: رواه الطبراني في «الكبير» (٢١٣/٦)، والحاكم (٦٩١/٣)، =

ذر، وسلمان، والمقداد»[(١)]. أخرجه الترمذي. تُوفِّي سلمان في خلافة عثمان، ويحتمل أنه سلمان بن عامر بن أوس الضبي.

■ قوله: «**لا يكلمهم اللَّه**»: هذا وعيد شديد في حقهم؛ لأنه قد تواتر أنه يكلم أهل الإيمان ويكلمونه في عرصات القيامة، والأدلة علىٰ ذلك في الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه، وفيه الرد علىٰ الجهمية والأشاعرة نفاة الكلام.

■ قوله: «**ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليم**»: هذا من تمام العقوبة عليهم، وفي هذا الوعيد الشديد ما يزجر مَن له عقل عن هذه الأعمال السيئة ونحوها.

= والبيهقي في «الدلائل» (٣/٤١٨)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/٨٠)، وفي «المعرفة» (٣٣٤٧)، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين» (١/٢٠٥)، من حديث عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه. **وسكت عليه** الحاكم، **وضعَّفه** الذهبي، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٦/١٨٩)، والشيخ حسين الداراني في تحقيقه (١٣/٢٩١)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣٧٠٤)، وفي «ضعيف الجامع» (٣٢٧٢).

(١) **ضعيف**: رواه أحمد (٥/٣٥١)، وفي «الفضائل» (١١٨١)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٩/٣١)، والترمذي (٣٧١٨)، وابن ماجه (١٤٩)، والطبري في «تاريخ الأمم والملوك» (١١/٥٥١)، والحاكم (٣/١٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/١٧٢)، وابن عساكر (٧/٤٠٩)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٥/٢٥٣)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٣٣/٣٠٦)، من حديث بريدة رضي الله عنه. **وصحَّحه** الحاكم علىٰ شرط مسلم، فتعقبه الذهبي بأن أحد رواته لم يرو له مسلم **وضعَّفه** الشيخ الألباني عند التِّرمذي، وفي «ضعيف الجامع» (١٧٢٤)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٨/٦٨).

■ قوله: «**أُشيمط زانٍ**»: صغَّره تحقيرًا له؛ وذلك لأن داعي المعصية ضَعُف في حقه، فدل علىٰ أن الحامل له علىٰ الزنا محبته المعصية والفجور، وعدم خشيته للَّه. وكذلك العائل المستكبر ليس له ما يحمله علىٰ الكِبْر، فدل علىٰ أنه خُلُقٌ له؛ فعظمت العقوبة في حقه لعدم الداعي إلىٰ هذا الخلق الذميم الذي هو من أكبر المعاصي.

■ قوله: «**ورجل جعل اللَّهَ بضاعته**»: بنصب الاسم الشريف يعني: اليمين باللَّه ﷻ جعله بضاعةً له لكثرة استعماله.

■ قوله: «وفي الصحيح»: أي صحيح مسلم. وخرجه أبو داود، والترمذي. ورواه البخاري بلفظ: «**خيركم**».

■ قوله: «**خير أمتي قرني**»: لكثرة الخير فيهم وقلة الشر، وشدة الإنكار علىٰ من خالف الحق وابتدع؛ كالخوارج والقدرية والجهمية ونحوهم.

■ «**ثم الذين يلونهم**»: فُضِّلوا علىٰ من بعدهم لظهور الإسلام فيهم، وكثرة العلم والعلماء، وأما القرن الثالث فظهرت فيهم البدع؛ لكن أنكرها العلماء، وتصدىٰ كثيرٌ منهم لإنكارها والرد علىٰ من قالها، وهم كثيرون.

■ قوله: «فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا»: هذا شك من راوي الحديث عمران بن حصين، ثم ذكر ما وقع بعد الثلاثة من الجفاء في الدين وكثرة الأهواء:

■ فقال: «**ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون**»: لاستخفافهم بأمر الشهادة، وعدم تحريهم الصدق، وكذلك لقلة دينهم وضعف إسلامهم.

■ قوله: «**ويخونون ولا يؤتمنون**»: يدل علىٰ أن الخيانة قد غلبت علىٰ كثير منهم أو أكثرهم.

■ قوله: «**وينذرون ولا يُوَفُّون**»: أي: لا يؤدُّون ما وجب عليهم، فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل علىٰ ضعف إسلامهم، وعدم إيمانهم.

■ قوله: «**ويظهر فيهم السِّمَن**»: لرغبتهم في الدنيا وشهواتها، وقلة الإيمان باليوم الآخر.

وفي حديث أنس: «**لا يأتي علىٰ الناس زمانٌ إلا والذي بعده شر منه حتىٰ تلقَوا ربكم**». قال أنس: سمعته من نبيكم ﷺ[(١)].

فما زال الشر يزيد في الأمة حتىٰ ظهر الشرك والبدع في كثير منهم، حتىٰ فيمن انتسب إلىٰ العلم، ويتصدر للتعليم والتصنيف، فحدث التفرُّقُ والاختلاف في الدين، وحدث الغلوُّ في أهل البيت من بني بُوَيه[(٢)] في المشرق لما كان لهم دولة، وبنَوُا المساجد علىٰ القبور، وغَلَوْا في أربابها، وظهرت دولة القرامطة، وظهر فيهم الكفر والإلحاد في شرائع الدين، ومذهبهم معروف، وظهر فيهم من البدع ما يطول عَدُّه، وكثر الاختلاف والخوض في أصول الدين، وما زال أهل السنة علىٰ الحق، ولكن كثُرت البدع والأهواء حتىٰ عاد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، نشأ علىٰ هذا الصغير، وهَرِمَ عليه الكبير.

■ قوله: «وفيه عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني**

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) وهم روافض.

ثم الذين يلونهم»...» الحديث: في هذا الحديث أن خير القرون ثلاثة من غير شك.

■ قوله: «**ثم يجيء قوم**...»: إلخ؛ وذلك لضعف الإيمان، والرغبة في الدنيا، وأخذها بالقلوب، وكثرة المعاصي والذنوب.

■ قوله: «وقال إبراهيم: كانوا يضربوننا علىٰ الشهادة والعهد ونحن صغار»: هكذا حال السلف الصالح؛ محافظةً منهم علىٰ الدين الذي أكرمهم اللَّه به، فلا يتركون شيئًا مما يُكره إلا أنكروه، وفيه تمرينُ الصغار علىٰ دينهم بالتعليم.



✍ فيه مسائل:

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان.

الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقةٌ للسلعة، ممحقةٌ للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه علىٰ أن الذنب يعظُم مع قلَّة الداعي.

الخامسة: ذم الذين يحلفون ولا يُستحلفون.

السادسة: ثناؤه ﷺ علىٰ القرون الثلاثة ـ أو الأربعة ـ، وذكر ما يحدث بعدهم.

السابعة: ذمُّ الذين يشهدون ولا يستشهدون.

الثامنة: كون السلف يضربون الصغار علىٰ الشهادة والعهد.



[٦٣] باب: ما جاء في ذِمةِ الله وذمة نبيِّه [ﷺ]

وقوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل].

وعن بُريدة رضي الله عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ إذا أمَّر أميرًا علىٰ جيشٍ أو سريةٍ أوصاه بتقوىٰ اللَّه، ومَن معه من المسلمين خيرًا؛ فقال: «اغزوا بسم اللَّه في سبيل اللَّه. قاتِلوا مَن كَفَر باللَّه. اغزُوا، ولا تَغُلُّوا، ولا تغدِروا، ولا تُمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدًا. وإذا لقيتَ عدوَّك من المشركين فادعُهم إلىٰ ثلاث خصال ـ أو خلال ـ، فأيَّتَهُنَّ ما أجابوك فاقبلْ منهم، وكُفَّ عنهم. ثم ادعُهم إلىٰ الإسلام، فإن أجابوك فاقبلْ منهم. ثم ادعُهم إلىٰ التحوُّل من دارهم إلىٰ دار المهاجرين، وأخبِرْهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما علىٰ المهاجرين. فإن أبَوا أن يتحوَّلوا منها، فأخبِرْهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين؛ يَجري عليهم حكمُ اللَّه تعالىٰ، ولا يكون لهم في الغنيمةِ والفيء شيءٌ؛ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبَوا فاسألهم الجزية. فإن هم أجابوك فاقبلْ منهم وكُفَّ عنهم. فإن هم أبَوا فاستعِنْ باللَّه وقاتِلْهم.

وإذا حاصرتَ أهلَ حصن، فأرادوك أن تجعل لهم ذمةَ اللَّه وذمةَ نبيِّه، فلا تجعلْ لهم ذمةَ اللَّه وذمةَ نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمةَ أصحابك؛ فإنكم أن تُخفِرُوا ذممَكم وذمة أصحابكم أهونُ من أن تُخفروا ذمةَ اللَّه وذمةَ نبيه.

وإذا حاصرتَ أهل حصن، فأرادوك أن تُنزِلَهم علىٰ حكم اللَّه فلا تنْزلهم، ولكن أَنزِلهم علىٰ حُكمك؛ فإنك لا تدري أتُصيبُ فيهم حكمَ

اللَّه أم لا؟». رواه مسلم[(١)].

الشرح

■ قوله: «باب: ما جاء في ذمة اللَّه وذمة نبيه. وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾» الآية:

□ قال العماد ابن كثير: «وهذا مما يأمر اللَّه تعالىٰ به، وهو الوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة علىٰ الأيمان، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾».

■ قوله: «﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾»: هذه الأيمان المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق، لا الأيمان الواردة علىٰ حثٍّ أو منع.

■ قوله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾»: تهديد ووعيد.

■ قوله: عن «بريدة»: هو ابن الحُصَيب الأسلمي، وهذا الحديث من رواية ابنه سلمان عنه.

■ قوله: «كان رسول اللَّه ﷺ إذا أمَّر أميرًا علىٰ جيش أو سرية أوصاه بتقوىٰ اللَّه تعالىٰ»: فيه من الفقه تأميرُ الأمراء ووصيتهم.

□ قال الحربي: «السرية: الخيل تبلغ أربعمئة ونحوها، والجيش: ما كان أكثر من ذلك».

و«تقوىٰ اللَّه»: التحرز من عقوبته بطاعته.

■ قوله: «ومن معه من المسلمين خيرًا»: أي ووصاه بمن معه أن يفعل معهم خيرًا من الرفق بهم، والإحسان إليهم، وخفض الجناح

---

(١) صحيح: وقد تقدم.



لهم، وترك التعاظم عليهم.

■ قوله: «**اغزوا باسم اللَّه**»: أي اشرعوا في الغزو مستعينين باللَّه مخلصين له، فتكون الباء في «بسم اللَّه» للاستعانة باللَّه والتوكل عليه هنا.

■ قوله: «**قاتلوا من كفر باللَّه**»: هذا العموم يشمل جميع أهل الكفر المحاربين من أهل الكتاب وغيرهم، واستُثني منهم من له عهد، وكذلك الذراري والأولاد والنساء والرهبان فلا يُقتلون.

■ قوله: «**ولا تَغُلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا**»:

«الغلول»: الأخذ من الغنيمة من غير قسمتها. قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

و«الغدر»: نقض العهد.

و«التمثيل» هنا: التشويه بالقتل، كقطع أنفه وأُذُنه والعبث به.

■ قوله: «**وإذا لقيت عدوك من المشركين؛ فادعهم إلىٰ ثلاثِ خلال ـ أو خصال ـ**»: الرواية بـ«أو» التي هي للشك، والمعنىٰ واحد.

■ قوله: «**فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم**»: منصوب بـ«أجابوا».

■ قوله: «**ثم ادعهم إلىٰ الإسلام**»: كذا وقعت الرواية في جميع نسخ كتاب مسلم: «**ثم ادعهم**»، بزيادة «ثم».

■ قوله: «**ثم ادعهم إلىٰ التحول من دارهم إلىٰ دار المهاجرين**»: يعني المدينة إذ ذاك، وهذا يدل علىٰ أن الهجرة واجبة علىٰ كل من آمن وهو في بلد الشرك، وكذلك إذا ظهرت المعاصي في بلده، نص عليه الفقهاءُ في كتبهم.

■ قوله: «**فإن هم أبَوا أن يتحولوا منها**»: يعني أن من أسلم ولم يجاهد ولم يهاجر من البداوة = لم يُعطَ من الخمس ولا من الفيء شيء.

■ قوله: «**فإن هم أبَوا فاسألهم الجزية**»: فيه حجةٌ لمالك وأصحابه والأوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر عربيًّا كان أو غيره، كتابيًّا كان أو غيره.

وقد اختُلف في القدر المفروض من الجزية:

- فقال مالك: أربعة دنانير علىٰ أهل الذهب، وأربعون درهمًا علىٰ أهل الوَرِق.

- وقال الشافعي: دينار علىٰ الغني والفقير.

- وقال أبو حنيفة: علىٰ الغني ثمانية وأربعون درهمًا، والوسط أربعة وعشرون درهمًا، والفقير اثنا عشر درهمًا، وهو قول أحمد ابن حنبل.

وعند مالك وكافة العلماء: علىٰ الرجال الأحرار البالغين دون غيرهم، وإنما تؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين؛ لا ممن نأىٰ بداره، ويجب تحويل النائي إلىٰ بلاد المسلمين أو حربهم.

■ قوله: «**وإذا حاصرت أهل حصن...**» إلىٰ آخره: فيه حجة لمن يقول من الفقهاء وأهل الأصول: إن المصيب في مسائل الاجتهاد واحد، وهو المعروف من مذهب مالك وغيره.

■ قوله: «**وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة اللَّه وذمة نبيه**»: الذمة: العهد.

و«**تُخفر**»: تنقض، يقال: أخفرت الرجل: نقضت عهده، وخفرته:

أَجَرْتُه؛ لأنه لا يؤمن علىٰ من أعطىٰ ذمةً أن يُخفرها، فخَفْرُ ذمته أهون من أن يُخفر ذمةَ اللَّه تعالىٰ.



✍ فيه مسائل:

الأولى: الفرق بين ذمة اللَّه وذمة نبيِّه وبين ذمة المسلمين.

الثانية: الإرشاد إلىٰ أقل الأمرين خطرًا.

الثالثة: قوله: «**اغزوا بسم اللَّه في سبيل اللَّه**».

الرابعة: قوله: «**قاتلوا من كفر باللَّه**».

الخامسة: قوله: «**استعن باللَّه وقاتلهم**».

السادسة: الفرق بين حكم اللَّه وحكم العلماء.

السابعة: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكمٍ لا يدري أيوافق حكم اللَّه أم لا؟





[٦٤] باب: ما جاء في الإقسام على الله

عن جندُب بن عبداللَّه ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «قال رجلٌ: واللَّهِ لا يغفرُ اللَّهُ لفلان، فقال اللَّه ﷻ: من ذا الذي يتألَّىٰ عليَّ ألَّا أغفرَ لفلان؟ إني قد غفرتُ له، وأحبطتُ عملك». رواه مسلم[١].

وفي حديث أبي هريرة: أن القائل رجلٌ عابد.

قال أبو هريرة: «تكلم بكلمةٍ أوبقتْ دنياه وآخرته»[٢].



الشرح

■ قوله: «باب: ما جاء في الإقسام علىٰ اللَّه»: ذكر المصنف فيه حديث جندب بن عبداللَّه ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ... الحديث.

■ قوله: «يتألىٰ»: أي: يحلف، والأَلِيَّة ـ بالتشديد ـ: الحلف، وصح من حديث أبي هريرة.

ورواه أبو داود عن أبي هريرة قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين؛ فكان أحدهما يُذنب، والآخر مجتهدٌ في العبادة، فكان لا يزال المجتهدُ يرىٰ الآخر علىٰ الذنب؛ فيقول: أقصر، فوجده يومًا علىٰ ذنب؛ فقال له: أقصِرْ، فقال: خلِّني وربي؛ أبُعثت عليَّ رقيبًا؟ فقال: واللَّهِ لا يغفر اللَّه لك، ولا يُدخلك الجنة. فقَبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين؛ فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا؟ أو علىٰ ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلىٰ النار».

■ قوله: «وفي حديث أبي هريرة: أن القائل رجل عابد»: يشير إلىٰ قوله في هذا الحديث: «**إن أحدهما مجتهد في العبادة**»، وفيه معنىٰ قوله ﷺ: «**إن الرجل ليتكلمُ بالكلمة ما يظنُّ أن تبلغ ما بلغت يكتب اللَّه له بها سَخَطه إلىٰ يوم يلقاه**»(١).



---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

فيه مسائل:

الأولى: التحذير من التألِّي علىٰ اللَّه.

الثانية: كون النار أقرب إلىٰ أحدنا من شراك نعله.

الثالثة: أن الجنة مثل ذلك.

الرابعة: فيه شاهد لقوله: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة...**» إلخ.

الخامسة: أن الرجل قد يُغفر له بسبب هو مِن أكره الأمور إليه.



[٦٥] باب: لا يُستشفع بالله على خلقه

عن جُبير بن مُطعِم رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: جاء أعرابيٌّ إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه، نُهِكَتِ الأنفسُ، وجاع العيال، وهلكتِ الأموال، فاستسقِ لنا ربَّك؛ فإنا نستشفع باللَّه عليك، وبك علىٰ اللَّه. فقال النبي ﷺ: «**سبحان اللَّه! سبحان اللَّه!**»، فما زال يسبِّح حتىٰ عُرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: «**ويحك! أتدري ما اللَّه؟ إنَّ شأن اللَّه أعظمُ من ذلك، إنه لا يُستشفع باللَّه علىٰ أحد...**» وذكر الحديث، رواه أبو داود[(١)].



■ قوله: «باب: لا يستشفع باللَّه علىٰ خلقه»، وذكر الحديث، وسياق أبي داود أتم مما ذكره المصنف ولفظه:

عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده قال: أتىٰ النبيَّ ﷺ أعرابيٌّ؛ فقال: يا رسول اللَّه، جَهِدت الأنفُس، وضاع العيال، ونُهكت الأموال، فاستسق لنا، فإنا نستشفع بك علىٰ اللَّه، ونستشفع باللَّه عليك، فقال النبي ﷺ: «**ويحك! أتدري ما تقول؟**»، وسبح رسول اللَّه ﷺ؛ فما زال يسبح حتىٰ عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «**ويحك! إنه لا يُستشفع باللَّه علىٰ أحدٍ من خلقه، شأنُ اللَّه أعظم من ذلك، ويحك! أتدري ما اللَّه؟ إن عرشه علىٰ سماواته كهكذا** - وقال بإصبعه مثل القبة -، **وإنه لَيَئِطُّ به أطيط الرحل**

---

(١) محتملٌ للتحسين: وقد تقدم.



بالراكب». قال ابن يسار في حديثه: «**واللَّه فوق عرشه، وعرشه فوق سماواته**»[(١)].

■ قوله: «**ويحك**»: كلمة تقال للزجر.

■ قوله: «**أتدري ما اللَّه؟**»: فيه إشارة إلىٰ قلة علمه بعظمة اللَّه وجلاله.

■ قوله: «**إنه لا يُستشفع باللَّه علىٰ أحد من خلقه**»: لأن الأمر كلَّه بيده تعالىٰ؛ ليس في يد المخلوق منه شيء، لا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع ـ تعالىٰ وتقدس ـ.

وفي هذا الحديث الرد علىٰ الجهمية، وإثبات العلو، وهذا الحديث رواه أبو داود ورضيه علىٰ عادته فيما كان عنده صحيحًا أو حسنًا وسكت عليه، وأما الاستشفاع بالرسول في حياته، فإنما هو بدعائه ﷺ، ودعاؤه مستجاب، وأما بعد وفاته فلا يجوز الاستشفاعُ به كما تقدم تقريره في باب الشفاعة وما قبله، واللَّه تعالىٰ نهىٰ عن اتخاذ الشفعاء في مواضع كثيرةٍ من القرآن، ونفاها في حق من سألها من غير اللَّه.



(١) علىٰ هذه الرواية إن ثبت لفظ «الأطيط»، فهو من أحاديث الصفات التي نُمِرُّها ولا نكِّيفُها. وإن لم يثبت هذا اللفظ لم نثبته لربِّنا ﷻ.

✍ فيه مسائل:

الأولى: إنكاره علىٰ من قال: «نستشفع باللَّه عليك».

الثانية: تغيُّره تغيُّرًا عُرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

الثالثة: أنه لم يُنكِر عليه قوله: «نستشفع بك علىٰ اللَّه».

الرابعة: التنبيه علىٰ تفسير «سبحان اللَّه».

الخامسة: أن المسلمين يسألونه ﷺ الاستسقاء.





[٦٦] باب: ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، وسدِّه طُرقَ الشرك

عن عبداللَّه بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: انطلقتُ في وفد بني عامر إلىٰ رسول اللَّه ﷺ؛ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «**السيدُ اللَّه** تبارك وتعالى». قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طَوْلًا. فقال: «**قولوا بقولكم ـ أو بعض قولكم ـ، ولا يَستجرينَّكم الشيطان**». رواه أبو داود بسندٍ جيد[1].

وعن أنسٍ رضي الله عنه: أن ناسًا قالوا: يا رسول اللَّه، يا خيرَنا، وابن خيرنا، وسيدَنا، وابن سيدنا. فقال: «**يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان. أنا محمدٌ عبدُ اللَّه ورسوله. ما أُحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني اللَّه** عز وجل». رواه النسائي بسندٍ جيد[2].



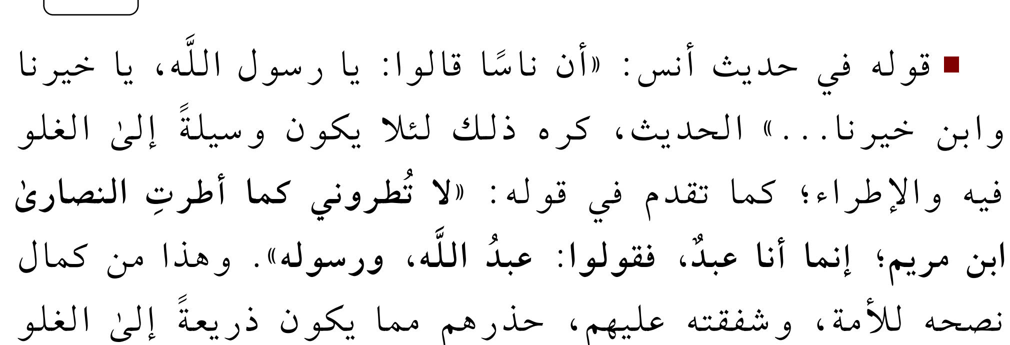
الشرح

■ قوله: «باب: ما جاء في حماية النبي ﷺ حمىٰ التوحيد وسدِّه طرق الشرك»: حمايته ﷺ حمىٰ التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحلُّ معها التوحيد أو ينقص.

وقد اشتمل هذا الكتاب ـ علىٰ اختصاره ـ علىٰ أكثر ذلك، والنهي عما ينافي التوحيد، أو يضعفه، يَعرف ذلك من تدبره، وعَرَف ما تضمنه بابًا بابًا.

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.



■ قوله في حديث أنس: «أن ناسًا قالوا: يا رسول اللَّه، يا خيرنا وابن خيرنا...» الحديث، كره ذلك لئلا يكون وسيلةً إلىٰ الغلو فيه والإطراء؛ كما تقدم في قوله: «**لا تُطروني كما أطرتِ النصارىٰ ابن مريم؛ إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ اللَّه، ورسوله**». وهذا من كمال نصحه للأمة، وشفقته عليهم، حذرهم مما يكون ذريعةً إلىٰ الغلو فيه.

■ وقوله: «**أنا محمد عبد اللَّه ورسوله**»: فأعلىٰ مراتب العبد هاتان الصفتان: العبودية الخاصة، والرسالة، وللنبي ﷺ أكملهما، وقد أخبر تعالىٰ أنه وملائكتَه يصلون عليه، وأمر أمته أن يصلوا عليه، وأثنىٰ عليه بأحسن ثناءٍ وأبلغه، وشرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، فلا يُذكر في الأذان والتشهد والخطب، إلا ذُكر معه - صلوات اللَّه وسلامه عليه -.

وأما إطلاق «السيد»:

▫ فقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «بدائع الفوائد» ما نصه: «اختلف العلماء في جواز إطلاق «السيد» علىٰ البشر؛ فمنعه قوم، ونقل عن مالك، واحتجوا بقول النبي ﷺ لما قيل له: أنت سيدنا، فقال: «**السيدُ اللَّه**».

وجوَّزه قوم، واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار: «**قوموا إلىٰ سيدكم**»[1]؛ وهذا أصح من الحديث الأول.

قال هؤلاء: السيد أحدُ ما يضاف إليه، فلا يقال لتميمي: سيد

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨)، من حديث أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه.

كِندة. ولا يقال للمَلَك: سيد البشر، قال: وعلىٰ هذا فلا يجوز أن يطلق علىٰ اللَّه هذا الاسم.

وفي هذا نظر، فإن السيد إذا أطلق عليه تعالىٰ فهو في منزلة المَلِك والمولىٰ والرب؛ لا بمعنىٰ الذي يطلق علىٰ المخلوق»، انتهىٰ.

- قلت: فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنىٰ قول اللَّه تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص]: «إنه السيد الذي كَمَل فيه جميع أنواع السؤدد».
- وقال أبو وائل: «هو السيد الذي انتهىٰ سؤدده».



✍ فيه مسائل:

الأولى: تحذيره [ﷺ] الناس من الغلو.

الثانية: ما ينبغي أن يقول: من قيل له: «أنت سيدنا».

الثالثة: قوله: «**لا يستجرينَّكم الشيطان**»، مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: «**ما أُحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي**».




[٦٧] باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر]

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «جاء حَبرٌ من الأحبار إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن اللَّه يجعل السماوات علىٰ إصبع، والأَرَضِين علىٰ إصبع، والشجر علىٰ إصبع، والماء علىٰ إصبع، والثرىٰ علىٰ إصبع، وسائرَ الخلق علىٰ إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتىٰ بدت نواجذُه تصديقًا لقول الحبر. ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾».

وفي رواية لمسلم: «والجبالَ والشجر علىٰ إصبع، ثم يَهُزُّهنَّ فيقول: أنا الملك، أنا اللَّه».

وفي رواية للبخاري: «يجعل السماوات علىٰ إصبع، والماء والثرىٰ علىٰ إصبع، وسائر الخلق علىٰ إصبع». أخرجاه[١].

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا: «**يَطوي اللَّهُ السماوات يوم القيامة، ثم يأخذُهن بيده اليمنىٰ، ثم يقول: أنا المَلِك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأَرَضين السبعَ، ثم يأخذُهنَّ بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**»[٢].

▫ وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما السماواتُ السبعُ والأَرَضون السبع في كف الرَّحمٰن إلا كخردلةٍ في يد أحدكم».

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

وقال ابن جرير: حدثني يونس: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما السماوات السبعُ في الكرسيِّ إلا كدراهمَ سبعةٍ أُلقيت في تُرْس**»[(١)].

وقال: قال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ما الكرسيُّ في العرش إلا كحلْقةٍ من حديدٍ أُلقيت بين ظهرَيْ فلاةٍ من الأرض**»[(٢)].

▫ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خَمْسُمِئة عام، وبين كل سماءٍ وسماء خَمْسُمئة عام، وبين السماء السابعة والكرسيِّ خَمْسُمئة عام، وبين الكرسي والماء خَمْسُمئة عام، والعرش فوق الماء، واللَّه فوق العرش لا يخفىٰ عليه شيء من أعمالكم».

أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبداللَّه. ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبداللَّه.

قاله الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ. قال: «وله طرق».

وعن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**هل تدْرُون كم بين السماء والأرض؟**»، قلنا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**بينهما مسيرةُ خَمْسِمِئة سنة، ومن كل سماءٍ إلىٰ سماء مسيرةُ خَمْسِمِئة سنة، وكِثَفُ كل سماء مسيرة خَمْسِمِئة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحرٌ بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. واللَّهُ تعالىٰ فوق ذلك، وليس يخفىٰ عليه شيءٌ من أعمال بني آدم**». أخرجه أبو داود وغيره[(٣)].

---

(١) **ضعيف**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **ضعيف**: وقد تقدم.

الشرح

■ قوله: «باب: ما جاء في قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ...﴾ [الزمر: ٦٧] الآية»: أي من الأحاديث والآثار في معنىٰ هذه الآية.

▫ قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «ما قدر المشركون اللَّه حق قدره حتىٰ عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر علىٰ كل شيء، المالك لكل شيء، وكلُّ شيء تحت قهره وقدرته. قال السدي: ما عظموه حق عظمته. وقال محمد بن كعب: لو قَدَروه حق قدره ما كذَّبوه».

وقد وردت أحاديثُ كثيرة تتعلق بهذه الآية؛ الطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف.

■ قوله: «عن ابن مسعود قال: «جاء حبر من الأحبار إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن اللَّه يجعل السماوات علىٰ إصبع...» الحديث: وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الأعمش به.

وقال البخاري: حدثنا سعيد بن عُفير قال: حدثنا الليث: حدثني عبدالرَّحمٰن بن مسافر، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبدالرَّحمٰن، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يقبض اللَّه الأرض ويطوي السماء بيمينه؛ فيقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟**» تفرد به من هذا الوجه[1].

---

(١) رواه البخاري (٦٥١٩).

قوله: «ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا: (**يَطوي اللَّه ﷻ السماوات، ثم يأخذهن بيده اليمنىٰ، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرض بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**)»: كذا في رواية مسلم قال الحميدي: وهي أتم.

قلت: وهذه الأحاديث وما في معناها ـ وهي كثيرة جدًّا ـ تدل علىٰ عظمة اللَّه وكماله، وعظيم قدرته، وفيها الرد علىٰ الجهمية والأشاعرة ونحوهم ـ أيضًا ـ، وكلُّ ما وصف اللَّه به نفسه ووصفه به رسوله يدلُّ علىٰ كماله وعظمته وجلاله، وأن العبادة لا تصلح إلا له سبحانه وبحمده، لا يصلح منها شيءٌ لملَكٍ مقرَّب، ولا نبي مرسل، ولا لمن دونهما.

- قال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «وهذا كتاب اللَّه من أوله إلىٰ آخره، وسنة رسوله ﷺ، وكلام الصحابة والتابعين، وكلام سائر الأئمة = مملوء بما هو إما نصٌّ أو ظاهر أن اللَّه تعالىٰ فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السماوات، مستو علىٰ عرشه».

وذَكَر ما يدل علىٰ ذلك من الكتاب والسنة.

- وقال الأوزاعي: «كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول: إن اللَّه ـ تعالىٰ ذِكرُه ـ فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة».

- وقال أبو عمر الطلمنكي في كتاب «الأصول»: «أجمع المسلمون من أهل السنة علىٰ أن اللَّه مستوٍ علىٰ عرشه بذاته». ذكره الذهبي في كتاب «العلو».

- وقال أبو عمر الطلمنكي في هذا الكتاب ـ أيضًا ـ: «أجمع أهل السنة علىٰ أن اللَّه تعالىٰ استوىٰ علىٰ عرشه بالحقيقة، لا علىٰ

المجاز».

▫ ثم قال في هذا الكتاب: «أجمع المسلمون من أهل السنة أن معنىٰ قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن= أن ذلك علمه، وأن اللَّه فوق السماوات بذاته، مستوٍ علىٰ عرشه كيف شاء». هذا لفظه في كتابه.

▫ وقال الحافظ الذهبي: «وأول مقالةٍ سُمعت مقالة من أنكر أن اللَّه تعالىٰ فوق العرش وهو الجعد بن درهم، وكذلك أنكر جميع الصفات، فقتله خالد بن عبداللَّه القسري، وقصته مشهورة، وأخذ هذه المقالة عنه الجهم بن صفوان إمام الجهمية، فأظهرها واحتج لها بالشبهات، وكان ذلك في آخر عصر التابعين، فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر؛ مثل الأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والليث بن سعد، والثوري، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، ومن بعدهم من أئمة الهدىٰ؛ كالإمام أحمد، وخلقٍ من أهل السنة».

▫ قال الإمام الشافعي: «للَّه أسماء وصفات لا يسع أحدًا ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يُعذر بالجهل، ونثبت هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه كما نفىٰ عن نفسه؛ فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ⑪﴾ [الشورىٰ]» اهـ من فتح الباري.

▪ قوله: «وعن العباس بن عبدالمطلب»: ساقه المصنف مختصرًا. والذي في سنن أبي داود عن العباس بن عبدالمطلب قال: كنت في البطحاء في عصابةٍ[١] فيهم رسول اللَّه ﷺ؛ فمرت بهم سحابة فنظر

---

(١) **العِصابة**: الجماعة.

إليها فقال: «**ما تسمُّون هذه؟**»، قالوا: السحاب. قال: «**والمُزْن؟**»، قالوا: والمزن. قال: «**والعنان؟**»، قالوا: والعنان ـ قال أبو داود: لم أتقن العنان جيدًا ـ. قال: «**هل تدرون ما بُعدُ ما بين السماء والأرض؟**»، قالوا: لا ندري. قال: «**إن بُعد ما بينهما إما واحدةٌ أو ثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك** ـ حتىٰ عدد سبع سماوات ـ، **ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلىٰ سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلىٰ سماء، ثم علىٰ ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلىٰ سماء، ثم اللَّه** ﷻ **فوق ذلك**».

▫ قال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن، وروىٰ الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة وفيه: «**بُعدُ ما بين سماء إلىٰ سماء خمسمئة عام**». قال: ولا منافاة بينهما؛ لأن تقدير ذلك بخمسمئة عام هو علىٰ سَير القافلة ـ مثلًا ـ، ونيف وسبعون سنة علىٰ سير البريد».

قلت: وهذا الحديث له شواهد في «الصحيحين» وغيرهما، مع ما يدل عليه صريح القرآن، فلا عبرة بقول من ضعفه[(١)].

وقد ابتدأ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هذا المصنَّف العظيم ببيان توحيد الإلٰهيَّة؛ لأن أكثر الأمة ممن تأخر قد جَهِلوا هذا التوحيد، وأتَوا بما ينافيه من الشرك والتنديد، فقام ببيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونَهَوْهم عما كانوا عليه من الشرك المنافي لهذا التوحيد. فالدعوة إلىٰ ذلك هي أهم الأمور وأوجبُها لمن وفَّقه اللَّه لفهمه،

---

(١) فيه نظر لا يخفىٰ.



وأعطاه القدرة علىٰ الدعوة إليه، والجهادِ لمن خالفه ممن أشرك باللَّه في عبادته، فقرر هذا التوحيد - كما ترىٰ - في هذه الأبواب، ثم ختم كتابه بتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن أكثر العامة لم يكن لهم التفاتٌ إلىٰ هذا العلم الذي خاض فيه من ينتسب إلىٰ العلم، وأما من ينتسب إلىٰ العلم فهم أخذوا عمن خاض في هذه العلوم، وأحسنوا الظنَّ بأهل الكلام، وظنوا أنهم علىٰ شيء، فقبلوا ما وجدوه عنهم، فقرروا مذهب الجهمية، وألحدوا في توحيد الأسماء والصفات، وخالفوا ما دلت عليه نصوصُ الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة، وأئمة الحديث والتفسير من المتقدمين.

وما زال أهلُ السنة متمسكين بذلك، لكنهم قلوا؛ فهدىٰ اللَّه هذا الإمامَ إلىٰ معرفة أنواع التوحيد، فقررها بأدلتها، فلله الحمد علىٰ توفيقه وهدايته إلىٰ الحق حين اشتدت غربة الإسلام، فضلَّ عنه من ضل من أهل القرىٰ والأمصار وغيرهم، وباللَّه التوفيق.

فقد اجتمع في هذا المصنف أنواع التوحيد الثلاثة التي أشار إليها العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بقوله:

والعلمُ أقسامٌ ثلاثةٌ ما لها ... من رابعٍ والحقُّ ذو تبيانِ

علمٌ بأوصاف الإلٰه وفعله ... كذلك الأسماء للرحمٰنِ

والأمرُ والنهي الذي هو دينُه ... وجزاؤه يوم المعادِ الثاني

وصلىٰ اللَّه علىٰ سيد المرسلين وإمام المتقين، محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

❁ ❁ ❁

✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَـتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقيةٌ عند اليهود الذين في زمنه ﷺ، لم ينكروها، ولم يتأولوها.

الثالثة: أن الحَبْرَ لما ذكرها للنبي ﷺ صدَّقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك.

الرابعة: وقوع الضحك من رسول اللَّه ﷺ؛ لما ذكر الحَبرُ هذا العلم العظيم.

الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأن السماوات في اليد اليمنىٰ، والأَرَضين في الأخرىٰ.

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبِّرين عند ذلك.

الثامنة: قوله: «كخردلةٍ في كفِّ أحدكم».

التاسعة: عظم الكرسيِّ بالنسبة إلىٰ السماء.

العاشرة: عظم العرش بالنسبة إلىٰ الكرسي.

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء.

الثانية عشرة: كم بين كل سماءٍ إلىٰ سماء.

الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي.

الرابعة عشرة: كم بين الكرسي والماء.

الخامسة عشرة: أن العرش فوق الماء.

السادسة عشرة: أن اللَّه فوق العرش.



السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض.

الثامنة عشرة: كِثفُ كل سماء خَمْسُمئة سنة.

التاسعة عشرة: أن البحر الذي فوق السماوات أسفله وأعلاه مسيرةُ خمسمئة سنة.

والله أعلم.

والحمد للَّه رب العالمين، وصلىٰ اللَّه علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا.



[٣٠]

أسباب نجاة السؤول من السيف المسلول

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

وبه نستعين

ما قولُكم - علماء المسلمين - في:

[المسألة الأولى]: رجلٌ يقول: نحن نقول: «لا إلٰه إلا اللَّه»، ولا تكفُّون عنَّا، والكفار الأوَّلون إذا قالوها كُفَّ عنهم. وأنتم تقولون: إنكم تقولونها وتشركون. فما نقول حتىٰ تكفوا عنا؟ أفتونا مأجورين.

---

(١) أفاد الشيخ صالح بن حميد - حفظه اللَّه - في أول شرحه لهذه الرسالة: أنه لم يعثر علىٰ اسم مؤلفها، وكذا حاولت أنا الوصول إليه فلم أُوفَّق، فلعل الأمر يتبين في طبعاتٍ قادمةٍ - إن شاء اللَّه تعالىٰ -. والذي يكفينا في أي بابٍ من أبواب العلم هو صحة ما يتضمنه الكلام، وهل هو موافقٌ للكتاب والسنة علىٰ منهج سلف الأمة أم لا. وقد مال الشيخ صالح بن حميد إلىٰ أن هذا الكلام أشبه بطريقة الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاباته؛ لا سيما وأنه وَجد في أول «زاد المعاد» - حسبما قال - ما يشبه الفقرات الأُوَل، لكنه أفاد - أيضًا - أنه لم يجد ما يؤيد بقية الكلام. أما بالنسبة لي أنا فطريقته أشبه بطريقة علماء الدعوة النجدية - كما في الرسائل السابقة -، وإن كانوا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ينهلون من معين الأكابر قبلهم، فالكل علىٰ خيرٍ ونهجٍ سديد. وسوف يتضح ما رجَّحتُه من خلال بعض فقرات الرسالة. وكذا رأيتُ - كما لاحظ الشيخ صالح بن حميد - أن الرسالة فيها مواضع عديدة من السقط، لذلك أضفتُ زياداتي بين معقوفتين - كما هو المنهج المتَّبع -، وفقنا اللَّه تعالىٰ وإياكم لاتباع نهج الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.



المسألة الثانية: هل يلزم للرجل أن يتمذهب بمذهبٍ واحد من المذاهب الأربعة أم لا؟ وما يجب عليه في ذلك؟

بيِّنوا لنا الجواب ـ رحمكم اللَّه ـ.

الحمد للَّه الذي جبل عباده علىٰ طبائعَ شتىٰ؛ فمنهم شاكرٌ ومنهم كفور، وجعلهم فريقين: فريق منهم يتقربون إليه بالذبح لغير اللَّه، والنذر للطواغيت، وبالدفِّ والطبل والزمور، وفريق منهم يتقربون إليه بتوحيده، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، وبالحج المبرور.

وأشهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له شهادةَ عبدٍ مخلصٍ في توحيده غير شاكٍّ ولا كفور، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه الذي أحيا به الملَّةَ الحنيفية، حتىٰ أضاء الحقُّ وتمزق الديجور[1]، صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ صلاةً دائمةً إلىٰ يوم البعث والنشور، وسلَّم تسليمًا.

أما بعد:

فالجواب عن المسألة الأولى: وهي قول السائل: ما تقولون في «لا إلٰه إلَّا اللَّه»:

فنقول: لا إلٰه إلا اللَّه هي كلمة الإسلام، وهي مفتاحُ دار السلام، وهي كلمةُ التقوىٰ، وهي العروة الوثقىٰ، وهي التي قامت بها الأرضُ والسماوات، وفَطَر اللَّه عليها جميع المخلوقات، ولأجلها جُرِّدت سيوف الجهاد، وهي محضُ حق اللَّه علىٰ العباد، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإيمان، وتميَّزت دارُ النعيم من دار الشقاء والهوان،

(١) **الدَّيجور**: الظلام الدامس.

وهي العمودُ الحاملُ للفرض والسُّنة، ومن كان آخر كلامه «لا إلٰه إلا اللَّه» دخل الجنة[(١)]، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال، والمنجيةُ من عذاب القبر وعذاب النار، وهي المنشور[(٢)] الذي لا يدخل الجنةَ أحدٌ إلا به، والحبلُ الذي لا يصل إلىٰ اللَّه إلا من تعلَّق بسببه، وبها انقسم الناس إلىٰ شقيٍّ وسعيد، ومقبولٍ وطريد، فهي وإن كانت كلمةً؛ [فقد] قُيِّدت بالقيود الثقال، [كما قال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]][(٣)].

فإذا كان إمامُ الحنفاء لم يحصل[(٤)] له قول «لا إلٰه إلا اللَّه»، ولم تتمَّ له المحبةُ والموالاة ـ وهو إمام المحبين ـ إلا بالمعاداة، [فما الظن بمن سواه؟].

كما قال تعالىٰ مخبرًا عنه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء]؛ فإنه لا وليَّ إلا يبرأ [من أعداء مولاه][(٥)]، ولا ولاء للَّه إلا بالبراء من كل معبودٍ سواه.

---

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) المنشور: الصَّك.
(٣) ما بين الحاصرتين ليس في المطبوعات، وهو ما رجحته من خلال كلام الشيخ القادم، والعلمُ عند اللَّه تعالىٰ.
(٤) في المطبوعات: «تحصل». ولعل الأصح ما أثبتُّه.
(٥) زيادة مني للإيضاح. ومعلومٌ مع غير اللَّه ﷻ أنك لا تبرأ من أعداء من تحبُّ إلا إذا كان أعداء حبيبك علىٰ غير الطريق المستقيم.

وهذا معنىٰ قول «لا إلٰه إلا اللَّه»؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف]، فأورثها إمامُ الحنفاء عليه السلام لأتباعه يتوارثونها، [و]الأنبياءُ بعضهم لبعض.

فلما بُعث بها محمد ﷺ ودعا إليها، أمره اللَّه أن يبيِّن هذين الركنين، كما ذكر اللَّه ذلك في سورة الإخلاص(١)، أمره أن يقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون].

وعَرَف المشركون ذلك حين دعاهم إلىٰ قول «لا إلٰه إلا اللَّه»، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص](٢).

وكذلك ما جرىٰ له ﷺ مع عمه عند وفاته؛ لما قال له: «**يا عم، قل: لا إلٰه إلا اللَّه**»، وعنده أبو جهل وعبداللَّه بن أبي أُمية، فقالا له: أترغب عن ملة عبدالمطلب(٣)؟! عرفوا معناها، [و]أن فيها التولي والتبري.

وكذلك ﷺ أمره اللَّه أن يدعو أهل الكتاب إليها وهم يقولونها: قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ الآية [آل عمران: ٦٤].

---

(١) وسورة الكافرون الآتية هي إحدىٰ سورتي «الإخلاص».
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.
(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

وفي «صحيح مسلم» عنه ﷺ أنه قال: «**من قال: لا إلٰه إلا اللَّه، وكفر بما يُعبد من دون اللَّه، حرُم ماله ودمُه، وحسابُه علىٰ اللَّه عز وجل**»[(١)].

فتبيَّن بذلك خطأ المغرورين، وبطلان حجة المُبطِلين؛ فإن لا إلٰه إلا اللَّه معناها - كما تقدم - النفيُ والإثبات، وحقيقتها الموالاة والمعاداة. ثم لابد - مع ذلك - من البغض والاعتزال للداعي والمدعو، والعابد والمعبود [من دون اللَّه]، مع الكفر بهم؛ كما ذكر اللَّه ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وكذلك ما جرىٰ للنبي ﷺ وأصحابه مع قومهم من الاعتزال والعداوة العظيمة، وما جرىٰ لسعد مع أمه رضي الله عنه[(٢)].

وكما ذكر اللَّه ذلك - أيضًا - عن الخليل عليه السلام مخبرًا؛ قال تعالىٰ: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية [مريم: ٤٨].

وقال تعالىٰ مخبرًا عن أهل الكهف: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦].

فذكر اللَّهُ تعالىٰ عنهم في هذه الآيات المحكمات أنهم بدؤوا بالمشركين؛ فاعتزلوهم قبل المعبودين[(٣)].

فأين هذا من الواقع من أهل هذا الزمان؛ إذا كان علماؤهم لا

---

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) راجع حاشية (٢) في (١/٣٢٥).
(٣) أي: قبل اعتزال آلهتهم المعبودة من دون اللَّه.

يعرفون معناها كما عرف جهالُ الكفار؟ ولا يعملون بمقتضاها ولا حقيقتها[(١)]؟ وهي كلمةٌ عليها أُسِّست الملة، ونُصبت القبلة، ونبَّه اللَّه علىٰ فضلها، وعظَّم شأنها أنبياؤُه ورسلُه.

قال تعالىٰ في حق نبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، أُنزلت عليه ﷺ هذه الآيةُ الكريمة في السنة الثامنة من الهجرة بالمدينة.

وكذلك في الحديث المشهور عنه ﷺ: «**أن موسىٰ قال: يا رب، علِّمني شيئًا أذكرُك وأدعوك به، قال: يا موسىٰ، قل: لا إلٰه إلا اللَّه، قال: يا رب، كل عبادك يقولون هذا! قال: يا موسىٰ، لو أن السماوات السبع وعامِرَهُنَّ غيري[(٢)]، والأَرَضينَ السبع في كِفَّة، ولا إلٰه إلا اللَّه في كفَّة، لمالت بهن لا إلٰه إلا اللَّه**»[(٣)].

فليتامل الناصحُ لنفسه عِظَم شأن هذه الكلمة، وعظم أركانها في المبتدَىٰ، وفضلها وعِظمَ شأنها في المنتهَىٰ، فإذا كان لابد من هذه الشروط المتقدمة في البداية، والتنبيه علىٰ فضلها وعظم شأنها في النهاية مع سيد المرسلين وموسىٰ الكليم عليهما السلام، فما الظن بغيرهما؟!

والآيات والأخبار في ذلك كثيرةٌ معلومة، وإنما ذكرنا إشارةً

---

(١) ورد في طبعة «دار البيان» بعد هذه الجملة عبارة: «عندهم لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له في ملكه»، وهي محذوفة من الطبعة القديمة. ومع ثبوتها، فالمراد أن معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه» عند الكفار الأولين: أنه منفردٌ بالمُلك، والذي هو توحيد الربوبية غير الكافي في النجاة من عذاب السعير. والعلمُ عند الحكيم الخبير.

(٢) أي: وجميع سكانهن وعُمَّارِهنَّ.

(٣) **ضعيف**: وقد تقدم.

علىٰ ما قُيِّدت به من القيود.

وأما الكلام عليها: فأكثَرَ العلماءُ والشراح في ذلك، ولكن ما[١] تسعه هذه الأوراق.

ومعناها الجامع: «لا إلٰه» أي: لا معبود في الوجود بحقٍّ «إلا اللَّه»، ولأجل هذا المعنىٰ قال تعالىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ [هود]، فأخبر الحكيمُ الخبير أنه أنزل كتابًا محكمًا مفصَّلًا ألَّا يعبدوا إلا هو.

وقوله: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ أراد[٢]: مِن أجل ألَّا تعبدوا إلا اللَّه، فأخبر الحكيمُ الخبير أنه[٣] أنزل كتابه من أجل ذلك.

وهذا ـ أيضًا ـ هو معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه».

وأما «الإلٰه» فأصله في اللغة من: «الوَلَه»؛ يقال: وَلَه الفصيل[٤] وأَلَه الفصيل: إذا اشتد حبُّه إلىٰ أمه. فقُلبت الواو همزةً؛ فالإلٰه مَن تألهُه القلوبُ بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء والدعاء، وتوابع ذلك من التوكل والإنابة، والذبح والنذر، والرغبة والرهبة، والخشية والتوبة؛ فجميعُ التعظيم هو مستحقٌّ له حتىٰ لا يُحلَفَ إلا به.

---

(١) **ما**: نافية بمعنىٰ «لا».

(٢) في بعض المطبوعات وقعت الجملة هكذا: «من: ارادة» ـ كذا ـ! وفي بعضها: «من أداة»، والظاهر أن في الجملة اضطرابًا، ولعل الأقرب ما أثبتُّه. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٣) وقعت الجملة الأخيرة في المطبوعات: «فأخبر أن الحكيم الخبير أنزل..»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

(٤) **الفصيل**: ولد الناقة.

وسرُّ «لا إلٰه إلا اللَّه»: إفراد اللَّه بذلك كلِّه وتوابعِه.

و«الإلٰه» صفةٌ تدور مع القصد؛ فمن قُصد بشيءٍ من أنواع العبادة والتعظيم والتبرُّك فهو إلٰه.

كما في حديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ إلىٰ حُنين ـ ونحن حُدثاءُ عهدٍ بكفر ـ، وللمشركين سِدرةٌ يعكفون عندها، ويَنُوطون بها أسلحتَهم، يقال لها: «ذاتُ أنواط»، فمررنا بسدرةٍ أخرىٰ، فقلنا: يا رسول اللَّه، اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال ﷺ: **«اللَّه أكبر»** ـ ثلاثًا ـ؛ **«إنها السُّنن**[1]**؛ قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾** [الأعراف: ١٣٨]». قال: **«لتَركَبُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم»**. رواه الترمذي وصححه[2].

ومن لوازم الإلٰه: ألا يُلتجَأَ إلا إليه، ولا يُطاعَ إلا أمرُه؛ فهذا هو تحقيق شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه؛ فإن المحقِّق هو المتيقِّنُ بقلبه، القائمُ بها قولًا وفعلًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [المعارج]؛ فلم يكن قائمًا بشهادته في ظاهره وباطنه، وفي قلبه وقالبه، إلا من كانت شهادته علىٰ الأوصاف المذكورة؛ فحياةُ الروح بهذه الكلمة، كما أن حياة البدن بوجود الروح فيه. فلا أنفع للعبد من إقباله علىٰ اللَّه، واشتغاله بذِكره، وتنعُّمِه بتوحيده ومحبته، وإيثاره لمرضاته. ويتفاوت في ذلك الخلقُ تفاوتًا عظيمًا؛ حتىٰ إن منهم من يدخل

---

(١) أي: عادة اللَّه تعالىٰ في السابقين.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب؛ كما في حديث السبعين الألف، ووصفهم ﷺ بأنهم: «**الذين لا يَستَرْقُون**[١]**، ولا يكْتوون**[٢]**، ولا يتطيَّرون**[٣]**، وعلىٰ ربهم يتوكلون**»[٤].

فأهل لا إلٰه إلا اللَّه المحقِّقون لها في نعيم الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة في الجنة، وحَرَّمهم اللَّه علىٰ النار، وبقدر ما يَنقص العبد في معرفتها والعمل بها والثبات عليها وتحقيق العمل بمقتضاها= يضعف يقينُه وسَيرُه وصبره، فلا يثبت علىٰ الصراط في الدنيا إلا من حقَّق هذه الكلمة، ومرورُهم علىٰ الصراط في الآخرة بقَدْر سيرهم واستقامتهم؛ فمعطًىٰ ومحروم، والفضل بيد اللَّه.

نسأل اللَّه الثبات عليها، وأن يجعل الخاتمة لنا وللمسلمين عند الوفاة عليها برحمته؛ إنه أرحم الراحمين.



---

(١) **يسترقون**: يطلبون الرقية من غيرهم.

(٢) **يكتوون**: يستخدمون الكي في العلاج.

(٣) **يتطيرون**: يتشاءمون.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

فصل



وهنا المقصود بالجواب عن ما سأل عنه السائل؛ فجوابه من ثلاثة أوجُه:

الوجه الأول: أن اللَّه شرع الجهاد، وأمر بالقتال، وبيَّن لنا الحكمة في ذلك، وموجَبَه[١]، وما يحصل به الكفُّ[٢].

قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾، قال المفسرون: أي شِركٌ، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

و«الدين» اسم عام؛ وهو ما بعث اللَّه به محمدًا ﷺ، كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقال ﷺ في الحديث الصحيح: «**بُعثتُ بالسيف بين يدي الساعة حتىٰ يُعبدَ اللَّهُ لا يُشرَكُ به شيءٌ...**» الحديث[٣].

---

(١) **الموجب** ـ بفتح الجيم ـ: الغاية. وبكسرها: السبب.

(٢) أي: وما الذي يحصل به الكف عن جهاد الكفار، ويقصد التوحيد وإقامة أعلام الإسلام الظاهرة ـ كما سيأتي قريبًا ـ.

(٣) **حسن**: رواه أحمد (٢/٥٠)، وابن أبي شيبة (٥/٣١٣)، وعبد بن حميد (٨٤٨)، وأبو داود (٤٠٣١)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢١٦)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١١٣٧)، وعلَّقه البخاري (٦/٩٨ ـ مع «الفتح») **بصيغة التمريض**، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٣١)، والبيهقي في «الشعب» (١١٩٩)، والدينوري في «المجالسة» (١٢٨ ـ =

الوجه الثاني: أن اللَّه أمر بقتال المشركين كافةً، وبيَّن لنا ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ(١) فَإِن تَابُوا۟﴾، أي: عن الشرك، ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ

= تهذيبي)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٥/٥٠٩)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٣/٤٤٥)، وقال الإمام الذهبي: «**إسناده صالح**»، **وصححه** الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٢/٧٦)، والشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٣١)، **وحسَّنه** الشيخ مشهور في «المجالسة» (١/٤٦٠). بينما قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «**إسناده ضعيف علىٰ نكارةٍ في بعض ألفاظه**»، وبيَّن أن في الإسناد علةً، فراجع ـ لزامًا ـ تحقيق «المسند» (٩/١٢٣ ـ ط: الرسالة)، وتحقيق «سنن أبي داود» (٦/١٤٤ ـ ط: الرسالة).

وجاء في حاشية المصدر الأخير (٦/١٤٥) ـ بعد تضعيف الحديث ـ: «وكيف يبعث ﷺ بالسيف، واللَّهُ يقول في وصفه في محكم كتابه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]؟» اهـ.

قلت: وفي هذا التعقيب نظرٌ عندي؛ إذ لا يلزمُ من كونه ﷺ رحمةً للعالمين ألَّا يُبعث بالسيف لمن عاند وطغىٰ وأبىٰ الانضواء تحت رحمة الدين العظيم، ولفظُ الحديث عامٌّ يراد به الخصوص، فهو ﷺ مبعوثٌ بالسيف لطائفةٍ معينة ـ وهم الكفرة الفجرة الرافضون للحلول الشرعية: الإسلام أو الجزية ـ، وليس لجميع الناس ـ كما هو ظاهر ـ. ومعلومٌ أن الحق لابد له من قوةٍ تحميه. وعليه فالعبرة ـ أولًا وأخيرًا ـ في هذا الحديث هو بثبوت صحةِ سنده. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

تنبيه: هذا الحديث كنتُ خرَّجتُه في بعض المواطن ـ مثل «تهذيب المجالسة» ـ، ولم أعقِّب هذا التعقيب الأخير؛ إذ تبدَّىٰ لي أخيرًا. والعلمُ عند اللَّه تعالىٰ.

(١) **المَرْصد**: الطريق. وأصله: الموضع الذي يُراقَب منه العدو.



فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]؛ فبيَّن ﷻ أنه لا يُكفُّ عنهم حتىٰ يقيموا أعلام الإسلام الظاهرة، وهي هذه الثلاثةُ الأركان؛ كما ذكر اللَّه في الآية المتقدمة في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ[1] ۝٥﴾ [البينة].

وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ قال: «**أُمرتُ أن أقاتلَ الناس حتىٰ يشهدوا ألَّا إلٰه إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقها. وحسابُهم علىٰ اللَّه ﷿**»[2].

وهذه الثلاثةُ الأركان - أيضًا - أَمَر ﷺ معاذًا لما بَعَثه إلىٰ اليمن أن يدعوَ إليها، ونبَّهه علىٰ الأهم فالأهم؛ كما في حديثه[3]، وأخذ بذلك الخلفاء ﭫ؛ فأبو بكر قاتَلَ مانعي الزكاة وهم يقولون: لا إلٰه إلا اللَّه محمد رسول اللَّه[4]، وقاتلوا[5] طوائفَ أهل الردة وهم يقولونها، وهذا الذي ذكرنا هو الذي يجبُ به الكفُّ عن قتال العامة إذا أقاموه - كما تقدم -.

الوجه الثالث: ما يجب به الكفُّ عن الخاصة في مثل هذا الزمان وغيره: فهي الكلمة التي تفيد الفعل والتَّرك؛ كما في حديث أبي مَعْبد المقداد بن الأسود قال: قلت: يا رسول اللَّه: أرأيت إن لَقِيتُ رجلًا من المشركين فاقتتلنا، فضرب إحدىٰ يديَّ بالسيف، ثم لاذ

---

(١) أي: دين الملَّة المستقيمة.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) رواه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩)، من حديث ابن عباس ﭭ.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

(٥) أي: الصحابة ﭫ.

بشجرة؛ فقال: أسلمتُ للَّه؛ أأقتله؟ قال: «**لا؛ فإنك إن قتلتَه كان بمنزلتك، وكنتَ بمنزلته قبل ذلك**». متفق عليه[(١)].

والمعنىٰ: «**أنه بمنزلتك**»: [أي] معصوم الدم والمال، «**وأنت بمنزلته**»: أي مباحُ الدم بالقِصاص لورثته، لا بمنزلته في الدِّين[(٢)]. واللَّه أعلم[(٣)].

فإذن [قد] عَرف المسلمُ عِظمَ شأن هذه الكلمة، وما قُيِّدت به من القيود، ولابد مع ذلك أن يكون اعتقادًا بالجِنان، ونطقًا باللسان، وعملًا بالأركان، فإذا اختلَّ نوعٌ من هذه الأنواع لم يكن الرجل مسلمًا؛ كما ذكر اللَّه ذلك وبيَّنه في كتابه، فإذا كان الرجل مسلمًا وعاملًا بالأركان، ثم حَدَث منه قولٌ أو فعلٌ أو اعتقاد يناقض ذلك= لم ينفعه ذلك؛ كما قال اللَّه تعالىٰ للذين تكلموا بالكلام [القبيح] في غزوة تبوك[(٤)]: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، وقال تعالىٰ في حق الآخرين: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤].

فأين هذا من الواقع مِن أهل هذا الزمان، [الذين] جعلوا التلفظ بها عادةً وهذيانًا، و[لم يفهموا منها إلا] القعقعة بحروفها؛ فهي عندهم الإسلام والإيمان، مع ما هدموه من التوحيد ـ الذي هو حق اللَّه ـ، وأكبُّوا وأقبلوا علىٰ عبادة المَشاهد والأوثان، وضيعوا

---

(١) رواه البخاري (٤٠١٩)، ومسلم (٩٥).
(٢) لأن السابقين لا يساويهم أحد.
(٣) انظر ـ لزامًا ـ: «فتح الباري» (١٢/١٨٩ ـ عند شرح الحديث السابق).
(٤) تقدم الحديث بذلك في الجزء الأول.



الفرائض وسائر الأركان، وزُيِّن لهم ما ارتكبوه من التبدُّع والتنطُّع والعصيان، إلا أنهم يقولون: لا إلٰه إلا اللَّه؟!

▫ فما أحسن ما قاله شيخ الإسلام[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «لا إلٰه إلا اللَّه سماها اللَّه كلمة التقوىٰ[(٢)]؛ فجعلوها كلمة الفجور» اهـ.

وذكرنا عليها إشارةً علىٰ طريق الإيجاز والاختصار خشية الإطالة، واللَّه المستعان.

وأما الذي يجب به الكفُّ عن القتال فهو: لابد من إقامة أعلام الإسلام الظاهرة المتقدِّمة في الآيات المحكمات؛ [والتي] ذكرها اللَّه بعد الأمر بالقتال، وكذلك في الأحاديث الصحيحة الصريحة؛ فبدأ بالتوحيد وتَرْكِ الشرك، ثم ذكر بعده: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، ثم ذكر بعد ذلك ﴿فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

والنبي ﷺ قال ـ بعد ذكره الثلاثةَ ـ: «**فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقِّ الإسلام**»[(٣)].

وفي بعض الآيات: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وهذا الذي يجب به الكفُّ ـ كما دل عليه الكتابُ والسنةُ وفِعلُ سلف الأمة ـ، وهذا الذي عليه الأئمة ـ رضوان اللَّه عليهم أجمعين ـ.

وأما الخاصة: فهو ـ كما قدمنا ـ: يجب الكف إذا أظهر [شيئًا] ـ بقولٍ أو فعلٍ ما ـ يدلُّ علىٰ تركه دينَه ودخولِه في الإسلام ـ كما تقدم في الحديث ـ، وليس المراد بالجواب الخاصة؛ إنما يراد به

---

(١) الظاهر أنه يقصد الإمام محمد بن عبدالوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) والتقوىٰ مستلزمة بدورها: فعل أوامر اللَّه تبارك وتعالىٰ، والانتهاء عن نواهيه.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

العامة، فإذا وُجدتْ طائفةٌ ممتنعةٌ عن إحدىٰ الثلاثة المذكورة قوتلوا:

- إما التوحيد الذي هو محضُ حق اللَّه علىٰ العبيد.
- أو الصلاة التي هي الفارقة بين الكفر والإسلام.
- أو الزكاة التي أجمع الصحابة رضي الله عنهم علىٰ قتال مانعيها، وكذلك أجمع العلماء - أيضًا - علىٰ ذلك.

وتتبُّع ما ورد في ذلك يطول؛ إذ كلُّ مصنِّفٍ ذكر ذلك، وكذلك الشراح والفقهاء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وهذا مصرَّحٌ به في كُتبهم.

ولو قالوا: «لا إلٰه إلا اللَّه» [فقط] لم يُكفَّ عنهم، أو عملوا ببعض الشرائع وتركوا بعضًا، ولكن: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف].



فصل



وأما المسألة الثانية: هل يلزمُ الرجلَ أن يتَّبع مذهبًا من المذاهب الأربعة أم لا؟

فالجواب: أن اللَّه أوجب علىٰ عباده أن يتبعوا ما أُنزل إليهم من ربهم ـ كما ذكر اللَّه ذلك في آيِ القرآن ـ، و[أن يتَّبعوا] ما جاءهم به نبيُّهم ﷺ ـ كما أمر اللَّه بذلك، ودلَّت عليه السُّنة ـ؛ وعلَّق اللَّه النجاةَ والفلاح باتباعه ﷺ، وذكر اللَّه ذلك في كم موضع(١)، ولا يجبُ علىٰ الخلق أن يتبعوا رجلًا بعينه غيره ﷺ. و[قد] انقسم في ذلك الناس أقسامًا، وتحزَّبوا أحزابًا، وصار ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ [المؤمنون].

والاتباع والاقتداء أنواع:

[النوع الأول]: منه ما هو محرم: كما ذكر اللَّه عن الكفار: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝١٧٠﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۝٢٣﴾ [الزخرف].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ...﴾ الآية [المائدة: ١٠٤].

---

(١) أي: في عدةِ مواضع.

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ الآية [الأحزاب].

النوع الثاني: ما ذكره اللَّه تعالىٰ عن أهل الكتاب في تقليدهم واتخاذِهم أحبارَهم ورهبانَهم أربابًا من دون اللَّه. وهذا ـ أيضًا ـ يحرُم علىٰ كل مسلمٍ مشابهتُهم [فيه].

- قال أبو بكر في «الجامع»(١): «باب: فساد التقليد، ونفيه، والفرق بينه وبين الاتباع».
- وقال أبو عمر(٢): «قد ذم اللَّه ﷻ التقليد في غير موضع من كتابه؛ فقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

ورُوي عن حذيفة رضي الله عنه وغيره قال: «لم يعبدوهم من دون اللَّه، ولكنهم أحلُّوا وحرموا عليهم؛ فاتبعوهم».

وقال عديُّ بن حاتم: أتيتُ رسول اللَّه ﷺ وفي عنقي صليب، فقال: «**يا عدي، ألقِ هذا الوثنَ من عنقك**». وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة «براءة»؛ حتىٰ أتىٰ علىٰ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال: فقلت: يا رسول اللَّه، إنَّا لم نتخذهم أربابًا، قال: «**بلىٰ؛ أليس يحلُّون لكم ما حُرِّم عليكم فتُحلُّونه، ويحرِّمون عليكم ما أُحلَّ لكم فتحرمونه؟**». فقلت: بلىٰ، قال: «**فتلك عبادتهم**». والحديث في «المسند» والترمذي مطولًا(٣).

---

(١) يقصد الخطيب البغدادي رحمه الله.

(٢) يقصد ابن عبدالبر رحمه الله.

(٣) **حسن**: وقد تقدم.

وقال أبو البَختريِّ في قوله ﷻ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ قال: «أَمَا إنهم لو أمروهم أن يعبدوهم من دون اللَّه ما أطاعوهم، ولكنهم أمروهم؛ فجعلوا حلال اللَّه حرامه، وحرامه حلاله فأطاعوهم؛ فكانت تلك الربوبية»(١)».

فمن عرف هذه المقدمة، عرف أنه ليس بيننا وبين الناس اختلافٌ في [أصحاب] المذاهب الأربعة ـ رضوان اللَّه عليهم ـ؛ بل وقع بيننا وبينهم النزاعُ عند معارضتهم للحق ودَفْعِه بهذين النوعين(٢)؛ كما كان هذا الواقع من أهل هذا الزمان، وليس لهم حجةٌ إلا ذلك، وارتكابهم المحرمات، واتباعهم الأهواء والشهوات، ومع ذلك يزعمون بأنهم ينتسبون إلىٰ المذاهب؛ وليسوا كذلك؛ فإن من انتسب إلىٰ شيء وليس عليه حقيقةً لم ينفعه ذلك؛ فإن النصارىٰ لم ينفعهم انتسابهم إلىٰ عيسىٰ، وكذلك اليهود لم ينفعهم انتسابهم إلىٰ موسىٰ.

وقد قال اللَّه تعالىٰ لنبيه: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨﴾، إلىٰ قوله: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١]. ثم ذكر بعد ذلك: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾ إلىٰ قوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾ [الجاثية]، ولأن اللَّه تعالىٰ قال: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [القصص: ٥٠].

▫ قال الشيخ ابن القيم رحمه الله: «جمع اللَّه الطرق في طريقين: إما

---

(١) حتىٰ هنا انتهىٰ كلام الحافظ ابن عبدالبر في «جامع العلم».
(٢) وهما ـ كما رأينا ـ في حقيقتهما نوعٌ واحد، وهو التقليد المخالف للدليل.

هدًىٰ، وإما هوًىٰ، وكذلك في الآية المتقدمة: إما متبعٌ لشريعته ﷺ التي جعله اللَّه عليها، ورضيها لعباده، وإما متخذٌ إلٰهه هواه؛ أعاذنا اللَّه من الآراء المحدَثة والأهواء المضلة».

وأما الأئمة رضي الله عنهم فهم أئمة الهدىٰ، إجماعهم حُجة، واختلافهم رحمة[1]، والدين وسط.

[الخلاف في تقليد أهل العلم][2]:

---

(١) ليس هذا علىٰ إطلاقه؛ فإن الاختلاف لم يكن ـ ولن يكون ـ رحمةً في يوم من الأيام، وأما الحديث المروي عنه ﷺ: «**اختلاف أمتي رحمة**»: فهو حديث **باطلٌ لا أصل له**، كما أفاد الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٥٧)، وقال: «ولقد جهد المحدِّثون في أن يقفوا له علىٰ سند، فلم يوفَّقوا» اهـ.

■ يقول العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: «الاختلاف ليس رحمة؛ بل إنه شقاقٌ وبلاء؛ وبه نعرفُ أن ما يروىٰ عن النبي ﷺ أنه قال: «**اختلاف أمتي رحمة**» لا صحة له؛ وليس الاختلاف برحمة؛ بل قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود]، أي فإنهم ليسوا مختلفين. نعم؛ الاختلاف رحمةٌ بمعنىٰ: أن من خالف الحق لاجتهادٍ فإنه مرحومٌ بعفو اللَّه عنه؛ فالمجتهدُ من هذه الأمة إن أصاب فله أجران؛ وإن أخطأ فله أجرٌ واحد؛ والخطأ معفوٌّ عنه. وأما أن يقال هكذا علىٰ الإطلاق: «إن الاختلاف رحمة»؛ فهذا مقتضاه أن نسعىٰ إلىٰ الاختلاف؛ لأنه هو سبب الرحمة علىٰ مقتضىٰ زعم هذا المروي!! فالصواب أن الاختلاف شر» اهـ. «تفسير سورة البقرة» (٢/٢٧٣).

وللعلماء كلام كثيرٌ حول هذه المسألة، ويكفينا هنا هذه الإشارة، وفي كتابي: «لطائف الفوائد ونفائس الفرائد» مزيدُ نقول.

(٢) من أحسن ما كتب في هذا الباب وأكثره تفصيلًا وتدقيقًا كتاب العلامة =

واختلف العلماء في تقليدهم:

١ ـ فطائفة نَفَوا التقليد وأنكروه، وقالوا: الناس أحد رجلين:

[**الرجل الأول**]: إما عامي؛ فيجب عليه أن يتعلم ما يقوم به دينه. ولا فائدة له في لزوم مذهب معين؛ فإنه كالأميِّ الذي يدَّعي أنه يقرأ وليس بقارئ، أو يدعي أنه يكتب وليس بكاتب؛ فيدَّعي أنه علىٰ مذهب وهو لا يعرفه، ولا يعرف الصحيح منه والضعيف.

والرجل الثاني: فقيه؛ فلا يصح له أن يُقدِمَ علىٰ شيءٍ بغير حجةٍ ولا دليل.

والتقليدُ أمر ضروري؛ يباح عند الضرورة.

٢ ـ وطائفة ـ وهم أكثر الفقهاء ـ: توسطوا في ذلك، لم يخرجوا عمَّا قاله الأئمة رضي الله عنهم، وهم عندهم أَكْفاءُ في موارد النزاع، وهم عندهم معذورون فيما لم يبلغ أحدَهم من السنة؛ كما بيَّن ذلك شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، ودار أولئك مع[1] النصوص حيث دارت، وتمسكوا بالسنة حيث بانت واستنارت، وهم أتباعُ الأئمة، وهم أهلُ النجاة من هذه الأمة؛ فإن الأئمة رضي الله عنهم نَهَوا عن تقليدهم ـ وهو الواجب عليهم ـ إلا فيما وافق السنة، وهذا التقليد والاتباع هو **النوع الثالث** الممدوح ـ لا ما تقدم ـ.

ولنذكر طرفًا من مقالة الأئمة:

= الشوكاني رحمه الله: «القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد»، وهو ثابتٌ في «الفتح الرباني من فتاوىٰ الشوكاني» (١٢٦١/٥)، وقد ضممتُه مع رسالةٍ أخرىٰ له ـ أيضًا ـ، فلا يفوتنَّك؛ فإنه في غاية النفاسة.

(١) في المطبوعات: «وداروا مع أولئك»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

▫ قال ابن القاسم: عن مالك قال: «ليس كلَّما قال رجل قولًا ـ وإن كان له فضل ـ يُتبع عليه؛ لقول اللَّه ﷻ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر]».

▫ وقال بشربن الوليد: «قال أبو يوسف ـ صاحب أبي حنيفة ـ: لا يحلُّ لأحدٍ أن يقول مقالتنا حتىٰ يعلم من أين قلنا».

▫ وقال أبو حنيفة رضي الله عنه[1]: «هذا رأيٌ، فمن جاءنا برأيٍ خيرٍ منه قبلناه».

▫ وقال: «أوَ لأحدٍ قولٌ مع قول النبي ﷺ؟!».

▫ وقال مالك رضي الله عنه: «كلٌّ يؤخذ من قوله ويُردُّ، إلا صاحب هذا القبر ﷺ».

وقد صرَّح مالكٌ رضي الله عنه بأن من ترك قول عمر بن الخطاب لقول إبراهيم النخعي أنه يُستتاب؛ فكيف مَن ترك قول رسول اللَّه ﷺ لمن هو دون إبراهيم أو مثله؟!

▫ وذكر البيهقي عن الشافعي رضي الله عنه: «مَثَلُ الذي يطلب العلمَ بلا حُجة؛ كمثل حاطب ليل؛ يَحمل حُزمةَ حطبٍ وفيه أفعىٰ تلدغُه، وهو لا يدري».

▫ وقال رضي الله عنه: «إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي».

إلىٰ غير ذلك عنه.

▫ وقال أبو داود: «قلت لأحمد: الأوزاعي هو أهلٌ أن يقلَّد أم مالك؟ فقال: لا تقلِّد دينك أحدًا من هؤلاء، إلا ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذه». وفي لفظٍ: «وخذ من حيث أخذوا».

---

(١) أي: في مسألة اجتهادية.

▫ وقال ﷺ: «مِن قلةِ فِقهِ الرجل أن يقلِّدَ في دينه الرجال».

وتتبُّعُ ذلك يطول.

النوع الرابع من التقليد مذموم، وهو الغلو فيه: وتعلَّق به طائفة؛ إذا التزموا مذهبًا من المذاهب الأربعة قالوا: «لا يجوز مخالفته، ولابد من اتباعه علىٰ كل حال»! وجعلوا كلَّ إمام في اتباعه بمنزلة النبي في أمته. وهذا تبديلٌ للدين.

▫ قال أحمد ﷺ: «عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحته؛ يذهبون إلىٰ رأي سفيان! واللَّه تعالىٰ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور]».

▫ وقال ابن عباس ﷺ: «يوشك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء؛ أقول: قال رسول اللَّه ﷺ. وتقولون: قال أبو بكر وعمر!».

▫ وقال سفيان بن عُيينة: «اضطجع ربيعةُ مقنِّعًا رأسه وبكىٰ؛ فقيل: ما يبكيك؟ قال: رياءٌ ظاهر، وشهوةٌ خفية، والناس عند علمائهم كالصبيان عند أمهاتهم، ما نَهوهم عنه انتهَوا، وما أمروهم به ائتمروا».

▫ وقال عبداللَّه بن المعتز[1]: «لا فرق بين بهيمةٍ تنقاد وإنسانٍ يقلِّد».

▫ وقال ابن مسعود: «لا يقلِّدن أحدُكم رجلًا؛ إن آمن آمن وإن كفر كفر؛ فإنه لا أسوةَ في الشر».

▫ وقال ـ أيضًا ـ ﷺ: «اغد عالمًا أو متعلمًا، ولا تغدُ إمَّعةً[2] فيما بين ذلك».

---

(١) في المطبوعات: «المعتمر»، والصواب ما أثبتُّه.

(٢) **الإمَّعة**: التابعُ الأعمىٰ الذي لا رأي ولا عقل له.

وروي عن علي رضي الله عنه مثل ذلك.

والكلام علىٰ هاتين المسألتين يطول، وإنما ذكرنا عليهما ما تيسر مع التقصير؛ لأنهما يُسأل عنهما الأوَّلون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

فالمسألة الأولىٰ: فيها تحقيق العبادة.

والمسألة الثانية: فيها تحقيق المتابعة.

آخِرُه. والحمد للَّه رب العالمين، وصلىٰ اللَّه علىٰ سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين.



[٣١]

سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين والأتراك

لفضيلة الشيخ

حمد بن علي بن عتيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب قيِّمًا بلا اعوجاج، وجعله عصمةً لمن تمسَّك به واعتمد عليه في الاحتجاج، وأوجب فيه مقاطعةَ أهل الشرك بإيضاح الشِّرعة والمنهاج.

والصلاةُ والسلام علىٰ محمدٍ الذي مزَّق اللَّهُ ظلامَ الشرك بما معه من السراج، وعلىٰ آله وأصحابه الذي جاهدوا أهل الكفر وباينوهم(١) من غير امتزاج.

أما بعد:

فإني قد تكلَّمتُ وشدَّدتُ في النهي عن مولاة المشركين، ودعوتُ مَن حولي من المسلمين إلىٰ عداوة الكافرين، ثم كتبت في ذلك بعض الآيات الدالة عليه، مع كلماتٍ قليلةٍ من كلام بعض المحققين من أهل العلم والدين، وما كنت أظن أن من قرأ القرآن وآمن أنه كلام اللَّه، وأن اللَّه تعبَّدَنا بالعمل به والقيام= إلَّا إذا سمع ذلك أذعن له وانقاد، وبادر إلىٰ السمع والطاعة لحكمه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ(٢) قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ

(١) باينوهم: فارقوهم.
(٢) راجع المعنىٰ في (١/٢١٦).

ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا[(١)] ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه].

فحصل من بعض الجاهلين والمعاندين إنكارٌ لذلك، وجحدٌ لما أوجب اللَّه القيامَ والإقرارَ به، فصار المنتسبون إلىٰ العلم المدَّعون أنهم من طلبته في ذلك أقسام:

١ ـ طائفة منهم استحسنت المعارضةَ الجاهلة الضالة ورضيتها ـ وإن لم تصرِّح بذلك ـ؛ فإنه ظاهرٌ علىٰ وجوهها.

٢ ـ وطائفةٌ كرهت المعارَضة، واستجهلت صاحبَها[(٢)]، لكنها لم تفعل ما أوجب اللَّهُ عليها من رد ذلك، والإنكار علىٰ سالكه[(٣)].

ولولا ما وقع لهؤلاء لَمَا كان المعارِضُ مساويًا لمن يجاوبُه؛ فلأجل ذلك كتب شيخُنا عبدالرَّحمٰن بن حسن رسالةً مفيدةً في الرد علىٰ هذا المعارض نَقَض فيها أقواله نقضًا بديعًا، وهي كافيةٌ في الرد عليه، فصار شيخنا هو إمامَ الطائفةِ الرادةِ لأقوال أهل الباطل

---

(١) فاللَّه ﷻ شَرَطَ في صحة الإيمان أن يتحاكم المختلفون إلىٰ كتابه وسنة رسوله ﷺ، وليس فقط؛ بل لابد للمتحاكمين جميعًا أن يَرضَوا بحكم الشريعة سواءٌ كان لهم أو عليهم؛ لأن البعض قد يأتي الحكم عليهم فيسلمون، لكنهم لا يرضون بقلوبهم، فنفىٰ اللَّه تعالىٰ الإيمان عمن لم يرضَ بقلبه.

(٢) أي: علموا جهالة من عارض الشيخ رحمه الله.

(٣) يقصد سالك الضلال، كما هو بيِّنٌ من السياق.

المنكرةِ لها، واللَّه ناصرٌ دينه، ومظهرُه علىٰ الدين كله ولو كَرِه الكافرون.

ثم إني كاتبٌ ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ كلماتٍ فيها بيانٌ لأشياء وقع الغلط فيها ممن ينتسب إلىٰ الإسلام؛ بل من كثير ممن ينتسب إلىٰ العلم؛ لقول اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧﴾ [آل عمران].

منها: وجوبُ معاداة الكفار والمشركين ومقاطعتهم.

ومنها: شيءٌ مما يصير الرجل به مرتدًا.

ومنها: ما يُعذر الرجل به علىٰ موافقة المشركين ويُظهر الطاعة لهم.

ومنها: مسألة إظهار الدين.

ومنها: مسألة الاستضعاف.

ومنها: وجوب الهجرة، وأنها باقية.

وسمَّيت هذا الكتاب:

«سبيل النجاة والفِكاك من موالاة المرتدين والأتراك[1]»

---

(١) هكذا في الطبعة المحققة. والمشهور عند الكثيرين: «وأهل الإشراك». لكنني رأيتُ المثبتَ بعيني علىٰ مخطوط الكتاب، فهي أولىٰ ـ بلا شك ـ من عبارة: «أهل الإشراك»، وإن كان الظاهر أن من غيَّر العنوان جعل الأمر عامًّا لكل من سقط في أوحال الشرك، لكن ما سطَّره المؤلف أولىٰ =



وأسأل اللَّه تعالىٰ أن يجعله مبنيًّا علىٰ الإخلاص، وأن ينفع به من قرأه وسمعه طلبًا للنجاة والخلاص.



= قطعًا. ومعلومٌ أن العلماء إذا بيَّنوا حال أهل بلدٍ أو طائفةٍ، فليس المقصود من ذلك حصر الأمر فيهم؛ إذ «الحكمُ يدورُ مع علَّته أينما دارت»، فمن تحقق فيه وصفٌ ما شمله الحكم الشرعي في أيِّ زمانٍ ومكان.

وهذا معناه ـ كما اتضح ـ أن المقصود من «الأتراك» المشركون منهم علىٰ الأخص، وقد قال المصنف في غضون الكتاب ـ كما سيأتينا ـ: «إن المنتسِبين إلىٰ الإسلام لمَّا سلكوا كثيرًا من هدي اليهود والنصارىٰ وأهل الجاهلية المشركين والأعاجم أعداء اللَّه، وتشبَّهوا بهم في كثيرٍ من الأمور= سُلط عليهم الترك الكافرون الخارجون عن شرائع الإسلام» اهـ. واللَّهُ تعالىٰ الموفق للخيرات.

فصل

اعلم أن اللَّه ﷻ بعث محمدًا ﷺ بالهدىٰ ودين الحق، فبيَّن للناس ما نُزِّل إليهم، فما من خيرٍ إلا دلهم عليه، وعرَّفهم الطريق الموصلة إليه، وما من شرٍّ إلا حذرهم منه، وسد عليهم أبوابَه المُفضيةَ إليه.

ومن أعظم ذلك أنه أخبرهم «**أن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ**»[(١)]، وأخبرهم بظهور الفتن التي «**كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي كافرًا ويصبح مؤمنًا، يبيع دينه بعَرَض من الدنيا**»[(٢)]. فكان وقوع هذا ـ لمَّا وَقَع هو وأمثاله ـ من الأدلة علىٰ أنه رسول اللَّه ﷺ.

ومما أخبر به: أن أمَّته تقاتل الترك، ووصفهم بأنهم «**صغارُ العيون، ذُلْفُ الأنوف، كأنَّ وجوههم المَجَانُّ المُطرَقة**»[(٣)].

ومعنىٰ «ذلف الأنوف»: أنها قِصارٌ منبطحة.

و«المجانُّ»: جمع مِجَنٍّ، وهو التُّرْس.

أراد أن وجوههم مستديرة ناتئةٌ وجناتُها. هذا معنىٰ كلام البغوي في «شرح السنة».

فكان من حكمة اللَّه وعدلِه أنْ سلَّطهم في المئة الثالثة عشرة؛

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) رواه مسلم (١١٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٢٩٢٧)، من حديث عمرو بن تغلب رضي الله عنه.



فسلَّطهم علىٰ أهل الديار النجدية لمَّا ظهرت فيهم الملة الحنيفية، ودَعَوا إلىٰ الطريقة المحمدية، ولكن حصل من بعضهم ذنوبٌ بها تسلطت هذه الدولةُ الكفرية، فجرىٰ ما هو ثابتٌ في الأقدار الأزليَّة، وإن كانت لا تجيزه الأحكامُ الشرعية، واللَّهُ تعالىٰ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء]، وامتُحن أهل الإسلام بأمورٍ تشبه ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في حادثة ظهور التتار في زمنه ـ وهم باديةُ التُّرك[1] ـ، فناسب أن نذكر بعض كلامه.

▫ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «فإن هذه الفتنة التي ابتُلي بها المسلمون مع هذا العدوِّ المفسِدِ الخارج عن شريعة الإسلام، قد جرىٰ فيها شبهٌ بما جرىٰ للمسلمين مع عدوِّهم علىٰ عهد رسول اللَّه ﷺ في المغازي التي أنزل اللَّهُ فيها كتابه، وابتَلىٰ بها نبيَّه والمؤمنين، مما هو أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو اللَّه واليوم الآخر، وذكر اللَّه كثيرًا إلىٰ يوم القيامة؛ فإن نصوص الكتاب والسنة ـ اللذين هما دعوة محمد ﷺ ـ تتناول عموم الخلق بالعموم اللفظي[2]، وبالعموم المعنوي.

وعهودُ اللَّه في كتابه وسنته تتناول آخرَ هذه الأمة كما نالت أوَّلَها، وإنما قصَّ اللَّه علينا قَصصَ مَن قبلنا من الأمم، ليكون عبرةً لنا؛ فنشبِّه حالنا بحالهم، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المستأخِرين شبهٌ بما كان للمؤمن من المستقدِمين، ويكون للكافر والمنافق من المستأخرين شبهٌ بما كان للكافر والمنافق من المستقدمين:

(١) **البادية**: الصحراء.

(٢) في بعض النسخ: «اللفظي والمعنوي».

كما قال تعالىٰ ـ لما قص قصة يوسفَ مفصَّلةً، وأجمل ذكر قصص الأنبياء ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

وقال لما ذكر قصة فرعون: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النازعات].

وقال في محاصرة بني النضير: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر].

فأَمَرَنا أن نعتبر بأحوال المستقدمين علينا من هذه الأمة وممن قبلها.

وذكر في غير موضع أن سنته في ذلك سنةٌ مطردة وعادةٌ مستمرة؛ فقال تعالىٰ: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ(١) فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ(٢) ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفتح].

وأخبر سبحانه أن دأْبَ الكافرين من المستأخِرين كدأب الكافرين من المستقدمين؛ فينبغي للعقلاء أن يعتبروا سنة اللَّه وأيامه في عباده، ودأبَ الأمم وعاداتهم، لا سيَّما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طبَّق الخافقَينِ خبرُها، واستطار في جميع الديار شررُها، وأطلع

---

(١) **المرجفون**: مشيعو الأكاذيب بين الناس.
(٢) أي: لنسلِّطنَّك عليهم.

فيها النفاقُ ناصيةَ راسه، وكشَّر فيها الكفرُ عن أنيابه وأضراسه، وكاد فيها عمودُ الكتاب أن يُجتث ويُخترم[(١)]، وحبلُ الإيمان أن ينقطع ويُصطلم[(٢)]، وعقرُ دار المؤمنين أن يحل بها البوار، وأن يزول هذا الدينُ باستيلاء الفجرة التتار، وظن المنافقون والذين في قلوبهم مرض أنْ ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ١٢﴾ [الأحزاب]، وأن لن ينقلب حزبُ اللَّه ورسوله إلىٰ أهليهم أبدًا، وزُيِّن ذلك في قلوبهم، وظنوا ظن السوء وكانوا قوما بورًا.

ونزلت فتنةٌ تركتِ الحليم حيران، وأنزلتِ الرجلَ الصادقَ منزلة السكران، وتركت الرجلَ اللبيب ـ لكثرة الوساوس ـ ليس بالنائم ولا اليقظان، وتناكرت فيها قلوبُ المعارف والإخوان؛ حتىٰ بقي للرجل بنفسه شغلٌ[(٣)] عن أن يُغيث اللهفان، وميَّز اللَّه فيها أهلَ البصائر والإيقان، من الذين في قلوبهم مرضٌ أو نفاقٌ أو ضعفُ إيمان، ورفع بها أقوامًا إلىٰ الدرجات العالية، كما خفض بها أقوامًا إلىٰ المنازلة الهاوية، وكفَّر بها عن آخرين أعمالَهم الخاطئة، وحَدَث من أنواع البلوىٰ ما جعلها مختصرةً من القيامة الكبرىٰ؛ فإن الناس تفرَّقوا فيها ما بين شقيٍّ وسعيد، كما يتفرقون كذلك في اليوم الموعود، ولم ينفع المنفعةَ الخالصةَ من البلوىٰ إلا الإيمانُ والعمل الصالح، والبرُّ والتقوىٰ، وبُليت فيها السرائر، وظهرت الخفايا التي

---

(١) **يجتث**: يُقتلع. **يُخترم**: يزول.
(٢) **يُصطلم**: يُستأصل.
(٣) في المطبوع: «حتىٰ إن في الرجل بنفسه». وما أثبتُّه من «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/٤٧٢).

تُكنُّها الضمائر، وتبين أن البَهْرَجَ[(١)] من الأقوال والأعمال يخون صاحبَه أحوجَ ما كان إليه في المآل، وذم سادتَه وكبراءَه من أطاعهم فأضلوه السبيلا، كما حَمِد ربَّه مَن صَدَق في إيمانه واتخذ مع الرسول سبيلا، وبان صدقُ ما جاءت به الأخبارُ النبوية من الإخبار بما يكون، وواطأتها[(٢)] قلوبُ الذين هم في هذه الأمة محدَّثون ـ أي ملهَمون ـ، كما تواطأت عليها المبشرات التي رآها المؤمنون، وتبيَّن فيها الطائفةُ المنصورة الظاهرة ـ الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلىٰ يوم القيامة[(٣)] ـ، حيث تحزَّب الناس ثلاثة أحزاب:

ـ حزبٌ مجتهدٌ في نُصرة الدين.

ـ وآخرُ خاذلٌ له.

ـ وآخر خارجٌ عن شريعة الإسلام.

وانقسم الناس بين مأجورٍ ومعذور، وآخَرَ قد غرَّه باللَّه الغَرور، وكان هذا الامتحانُ تمييزًا من اللَّه وتقسيمًا: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب]».

قلتُ: وما ذكره من الامتحان والافتتان قد رأينا ما هو نظيره ـ أو أعظم منه ـ في هذه الأزمان، وكذلك انقسم الناس إلىٰ ثلاثة أقسام:

أحدها: ناصر لدين الإسلام، وساعٍ في ذلك بكل جهده، وهم

---

(١) **البهرج**: الزائف.

(٢) **واطأتها**: وافقتها.

(٣) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧)، من حديث معاوية رضي الله عنه.



القليلون عددًا، الأعظمون عند اللَّه أجرًا.

القسم الثاني: خاذلٌ لأهل الإسلام، تاركٌ لمعونتهم.

القسم الثالث: خارجٌ عن شريعة الإسلام بمظاهرة حزب المشركين ومناصحتهم.

وقد روىٰ الطبرانيُّ عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**مَن أعان صاحبَ باطل ليُدحض بباطله حقًّا، فقد بَرِئت منه ذمَّةُ اللَّه وذمةُ رسوله**[1]»[2].

وهذا أوان الشروع في المقصود.



(١) **الذمَّة**: العهد والأمان والحماية.

(٢) **صحيح**: رواه الحاكم (١٠٠/٤)، والطبراني في «الكبير» (١١٤/١١)، وفي «الصغير» (٢٢٤)، وفي مسند «الشاميين» (٦٣)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٥٩٧)، **وصحَّحه** الحاكم، بينما **ضعَّفه** الذهبي، **وضعَّفه** ـ أيضًا ـ الإمام الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢١١/٤)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٠٢٠)، **وحسَّنه** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢٦١/٩).

فصل

[المسألة الأولى]: فأما معاداة الكفار والمشركين:

فاعلم أن اللَّه ﷻ قد أوجب ذلك، وأكَّد إيجابه، وحرَّم موالاتهم، وشدَّد فيها، حتىٰ إنه ليس في كتاب اللَّه تعالىٰ حكمٌ فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم، بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده.

[الدليل الأول]: قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة].

▫ قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم ربَّهم، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه، وتضييعهم فرائضَه، وشكِّهم في دينه الذي لا يقبل من أحد عملًا إلا بالتصديق به، والإيقان بحقيقته، وكَذِبهم المؤمنين[١] بدعواهم[٢] غيرَ ما هم عليه مقيمون من الشك والتكذيب، ومظاهرتهم أهل التكذيب باللَّه وكتبه ورسله علىٰ أولياء اللَّه، إن وجدوا إلىٰ ذلك سبيلًا».

▫ قال ابن كثير: «وهذا الذي قال حسن؛ فإن من الفساد في الأرض اتخاذَ المؤمنين الكافرين أولياء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال]؛ فقطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين، كما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٤].

---

(١) أي: وبكذبهم علىٰ المؤمنين. كما يقال: فلانٌ كَذَبَك: أي كذب عليك.

(٢) أي: بادعائهم، والضمير عائد علىٰ المنافقين.

وقولُه: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾، أي: نريد أن نداريَ الفريقين من المؤمنين والكافرين، ونَصطلحُ[(١)] مع هؤلاء وهؤلاء، يقول اللَّه: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾؛ يقول: ألا إن هذا الذي يعتمدونه، ويزعمون أنه إصلاح هو عين الفساد، ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فسادًا» انتهىٰ.

وهذا الذي ذكره قد - واللَّهِ - سمعناه ورأينا أهله؛ فإنه إذا قيل لهم: «ما الحامل لكم علىٰ مجالسة أهل الشر والفساد؟ قالوا: نريد أن نصلح أحوالنا، ونستخرج دنيانا منهم، ويكون لنا يدٌ عندهم». وبعضهم إذا ظن باللَّه ظنَّ السَّوء من إدالةِ[(٢)] أهل الباطل، ورأىٰ مَن له اتصالٌ بهم وتوصلٌ إليهم اتخذه صديقًا، ورضي به جليسًا، قائلًا بلسان حاله: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٦]، ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة].

[الدليل الثاني]: وقال تعالىٰ: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء]، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا[(٣)] ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء].

▫ قال ابن كثير: «ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يعني أنهم معهم في الحقيقة، يوالونهم، ويُسرُّون إليهم بالمودة، يقولون إذا خلَوا بهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة]، أي بالمؤمنين في إظهارنا لهم الموافقة. قال اللَّه تعالىٰ

---

(١) في المطبوع: «نصلح». والمثبت من «تفسير ابن كثير» (١/١٨٨).

(٢) الإدالة: النصرة.

(٣) أي: حجة ظاهرة في عذابكم؟

منكرًا عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين: ﴿أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ﴾ [النساء: ١٣٩]؟ ثم أخبر أن العزةَ كلَّها له وحده لا شريك له، ولمن جعلها له؛ كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

والمقصود من هذا: التهييجُ علىٰ طلب العزة من جَنَابِ اللَّه تعالىٰ، والالتجاءُ إلىٰ عبوديته، والانتظام في جملة عباده المؤمنين؛ الذين لهم النصرة في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد».

قلت: فإذا كانت موالاةُ الكافرين من أفعال المنافقين، فهذا كافٍ في تحريمها والنهي عنها.

[الدليل الثالث]: وقال تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨].

فنهىٰ سبحانه المؤمنين عن موالاة الكافرين، ثم قال: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾، أي: ومن يوالي الكافرين ﴿فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾، أي فقد برئ من اللَّه، وبرئ اللَّه منه، وهذا تهديدٌ شديد، ووعيد أكيد، حفظًا للإسلام والتوحيد.

[الدليل الرابع]: وقال تعالىٰ: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة].

▫ قال شيخ الإسلام: «فبيَّن ﷻ أن الإيمان باللَّه والنبي وما أُنزل إليه مستلزمٌ لعدم ولايتهم، فثبوتُ ولايتهم يوجب عدم الإيمان؛



لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم».

قلت: رتب اللَّه تعالىٰ علىٰ موالاة الكافرين سَخَطَه والخلودَ في العذاب، وأخبر أن ولايتهم لا تحصُل إلا ممن ليس بمؤمن، وأما أهل الإيمان باللَّه وكتابه ورسوله فإنهم لا يوالونهم؛ بل يعادونهم، كما أخبر اللَّه عن إبراهيم والذين معه من المرسلين ـ كما يأتي بيانه إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ.

[الدليل الخامس]: وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة].

فنهىٰ ﷻ المؤمنين أن يوالوا اليهود والنصارىٰ، وذكر أن من تولَّاهم فهو ﴿مِنْهُمْ﴾، أي: من تولىٰ اليهود فهو يهودي، ومن تولىٰ النصارىٰ فهو نصراني.

▫ وقد روىٰ ابن أبي حاتم، عن محمد بن سيرين، قال: قال عبدُاللَّه بن عتبة [بن مسعود]: «ليتقِ أحدكم أن يكون يهوديًّا أو نصرانيًّا وهو لا يشعر. قال: فظنناه يريد هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾».

وكذلك من تولىٰ التُّركَ فهو تركي[1]، ومن يتولىٰ الأعاجم فهو

---

(١) في نسخٍ أخرىٰ: «من تولىٰ الشرك فهو مشرك»، وهذا تابعٌ للاختلاف حول اسم الرسالة ـ كما ذكرنا سابقًا ـ، وقد قال المحقق هنا ـ أيضًا ـ عن «الشرك... مشرك»: هو تحريف. وحتىٰ علىٰ المثبت، فالمراد: =

أعجمي، فلا فرق بين من تولىٰ أهل الكتابين أو غيرهم من الكفار.

ثم أخبر تعالىٰ أن الذين في قلوبهم مرض - أي شك في الدين وشبهة - يسارعون في الكفار قائلين: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أي: إذا أنكرتَ عليهم موالاة الكافرين، قالوا: «نخشىٰ أن تكون الدولةُ لهم في المستقبل فيتسلطوا علينا، فيأخذوا أموالنا، ويُشرِّدونا من بلدادننا». وهذا هو ظن السوء باللَّه الذي قال اللَّه فيه: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح].

ولهذا قال تعالىٰ في الآية: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾؛ و«عسىٰ» من اللَّه واجب. فالحمد للَّه الذي أتىٰ بالفتح، فأصبح أهل الظنون الفاسدة علىٰ ما أسروا في أنفسهم نادمين.

[الدليل السادس]: وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة].

فنهىٰ سبحانه المؤمنين عن موالاة أهل الكتابَين وغيرهم من الكفار، وبيَّن أن موالاتهم تنافي الإيمان.

[الدليل السابع]: وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى

= التركي المشرك، وليس الصادق الموحِّد.

ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ [التوبة].

فنهىٰ ﷻ المؤمن عن موالاة أبيه وأخيه ـ اللذين هما أقرب الناس إليه ـ إذا كان دينهما علىٰ غير الإيمان، وبيَّن أن الذي يتولىٰ أباه وأخاه ـ إذا كانا كافرين ـ فهو ظالم، فكيف بمن تولَّىٰ الكافرين ـ الذين هم أعداء له ولآبائه ولدينه ـ، أفلا يكون هذا ظالمًا؟! بلىٰ ـ واللَّهِ ـ إنه أظلم الظالمين.

ثم بيَّن تعالىٰ أن هذه الثمانيةَ لا تكونُ عذرًا في موالاة الكافرين، فليس لأحدٍ أن يواليَهم خوفًا علىٰ أبيه أو أخيه أو بلاده أو ماله، أو مشحةً بعشيرته، أو مخافةً علىٰ زوجاته؛ فإن اللَّه قد سدَّ علىٰ الخلق باب الاعتذار بهذه الثمانية؛ وذلك أنه ما من أحدٍ يوالي المشركين إلا وهو يعتذر بها أو ببعضها، وقد بان أن هذا ليس بعذر.

فإن قيل: قد قال كثير من المفسرين: إن هذه الآية نزلت في شأن الجهاد.

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن نقول: إذا كانت هذه الثمانية ليست عذرًا في ترك الجهاد ـ الذي هو فرضٌ علىٰ الكفاية ـ، فكونها لا تكون عذرًا في ترك عداوة المشركين ومقاطعتهم بطريق الأولىٰ.

الوجه الثاني: أن الآية نفسها دلَّت علىٰ ما ذكرنا كما دلت علىٰ الجهاد؛ فإنه قال: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾؛ فإن فمحبة اللَّه ورسوله توجب إيثار عداوة المشركين، ومقارعتهم علىٰ هذه الثمانية، وتقديمها عليها؛ كما أن محبة الجهاد توجب إيثاره عليها، وباللَّه التوفيق.

وهذا إذا سمعه المنصِف يكون عنده ظاهرًا؛ وأما من أعمىٰ اللَّه بصيرته بسبب تعصبه؛ فكما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٩٧﴾ [يونس].

[الدليل الثامن]: وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ [الأنفال: ٧٢]. ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣﴾ [الأنفال].

فأخبر أن الكفار إذا لم يوالِ بعضهم بعضًا ـ بأن ينحازوا عن المسلمين، ويقطع المسلمون أيديَهم منهم ـ، وإلا وقعت الفتنةُ والفساد الكبير، فتبين أن موالاة المؤمن للكافر سببٌ للافتتان في الدين بترك واجباته، وارتكاب محرماته، والخروج عن شرائعه، وسببٌ للفساد في الأديان والأبدان والأموال، فأين هذا من قول أهل الفساد والمجون: إن موالاة المشركين صلاحٌ وعافية وسلامة؟!

[الدليل التاسع]: وقال تعالىٰ: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ٨٩﴾ [النساء].

فأخبر تعالىٰ عن الكفار أنهم يودُّون كفر المسلمين كما كَفَروا[(١)]. ثم نهىٰ أهل الإيمان عن موالاتهم حتىٰ تحصل منهم الهجرة بعد الإسلام.

[الدليل العاشر]: وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ

(١) في نسخة: «كما كفَّروهم»، والمثبت أولىٰ لموافقته لفظ القرآن العظيم.

إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة]، إلىٰ قوله: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الممتحنة].

وقد ثبت في الصحاح: أن هذه السورة نزلت في رجل من الصحابة؛ لمَّا كتب إلىٰ أهل مكة يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم عام الفتح؛ فأنزل اللَّه هذه الآيات بخبر هذا الكتاب، وبعث رسولُ اللَّه ﷺ عليَّ بن أبي طالب في أثر المرأة التي ذهبت بالكتاب، فوجده في عَقيصة رأسها[(١)]، فجاء الرجل إلىٰ النبي ﷺ يعتذر، ويحلف: إنه ما شك [في دينه]، ولكنه ليس له مَن يحمي مَن وراءه من أهله بمكة، وأنه أراد بهذا يدًا عند قريش، واستأذن بعضُ الصحابة في قتله، فقال النبيُّ ﷺ: «**وما يدريك؟ إنَّ**[(٢)] **اللَّه اطَّلع علىٰ أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»[(٣)].

---

(١) **العقيصة**: الشعر المضفور.

(٢) في الروايات المشهورة: «لعل»، والمثبت ـ أيضًا ـ رواية صحيحة في «المسند» وغيره.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

فلولا أن ذلك الرجل كان من أهل بدر لقُتل لأجل هذا الكتاب.

ففي هذه السورة - مع سبب نزولها - من الأدلة علىٰ وجوب عداوة الكفار ومقاطعتهم أدلةٌ كثيرة، فنهىٰ تعالىٰ أهلَ الإيمان عن اتخاذ عدوِّه وعدوِّهم وليًّا، وهذا تهييجٌ علىٰ عداوتهم؛ فإن عداوة المعادي لربك باعثةٌ وداعيةٌ إلىٰ عداوتك له.

ولنضرب لذلك مثلًا - ولِلَّه المثلُ الأعلىٰ -: فقدِّرْ نفسك مملوكًا لإنسان هو سيدُك، والسببُ في حصول مصالحك ومنع مضارك، وسيدُك له عدوٌّ من الناس؛ فهل يصحُّ عندك، ويجوز في عقلك أن تتخذ عدوَّ سيدك وليًّا - ولو لم يَنهك عن ذلك -؟! فكيف إذا نهاك عن ذلك أشد النهي، ورتب علىٰ موالاتك له أن يعذِّبَك، وأن يسخط عليك، وأن يوصِّل إليك ما تكره، ويمنع عنك ما تحب؟! فكيف إذا كان هذا العدوُّ لسيدك عدوًّا لك - أيضًا -؟! فإن واليته - مع ذلك كله - إنك إذن لمن الظالمين الجاهلين.

ثم قال: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾، وهذا كافٍ في إبطال شبهة المشبِّهين؛ فإنه إذا أُنكر عليهم موالاةُ المشركين وموادتهم، قالوا: «لم يصدر منا ذلك»! وهم - مع ذلك - يُعينون أهل الباطل بأموالهم، ويذبُّون عنهم بألسنتهم، ويكاتبونهم بعورات المسلمين، فأين هذا من الكتاب الذي نزلت فيه هذه السورة، وقد سماه اللَّهُ إلقاءً بالمودة؟! وهذا ظاهر جدًّا.

ثم قال: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾؛ فذكر ما يدعو إلىٰ عداوتهم، وهو كفرُهم بالحق الذي جاءنا من عند اللَّه، وإخراجُهم النبيَّ ﷺ وأهلَ الإسلام لأجل الإيمان باللَّه.



ثم حذَّر تعالىٰ من موالاتهم بأنه يعلم السر والعلانية، وهذا تهديدٌ شديد.

ثم قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، أي: من يتولَّىٰ أعداء اللَّه، ويُلقي إليهم بالمودة، ويُسِرُّ إليهم = فقد أخطأ الصراط المستقيم، وخرج عن طريق الصواب.

ثم قال: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً﴾؛ فبيَّن أنهم إن قدَروا علىٰ المسلم واستولَوا عليه، سامُوه(1) سوء العذاب، وبسطوا إليه أيديهم وألسنتهم بالضرب والقتل وبالكلام الغليظ ـ ولو كان يواليهم ويكاتبهم في حال بُعده عنهم ـ؛ فإنهم لا يرضَون عنه ويُسلِّمونه من شرِّهم حتىٰ يكون دينُه دينَهم؛ ولهذا قال: ﴿وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾، وكما قال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ثم قال: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية؛ فبيَّن أن كون الرجل له أرحام وأولاد عند المشركين لا يُبيحُ له موالاتهم، كما اعتذر هذا الرجلُ بأن له في مكة أرحامًا وأولادًا، فلم يعذره اللَّه تعالىٰ؛ فإنه يجب علىٰ الإنسان أن يكون اللَّهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، ولا يحصل الإيمان حتىٰ يكون الرسولُ أحبَّ إلىٰ الإنسان من ولده ووالده والناس أجمعين.

فقوله: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، أي: لن يُنجُوكم من عذاب اللَّه، فكيف تقدِّمونهم علىٰ مراد اللَّه، ولأجلهم توالون أعداء اللَّه؟! واللَّهُ تعالىٰ مطلعٌ عليكم، بصيرٌ بأقوالكم وأعمالكم ونياتكم.

---

(1) ساموه: أذاقوه.

ثم بيَّن أن هذا الذي دلَّهم عليه من موالاة المؤمنين، ونهاهم من موالاة الكافرين، ليس هو أمرًا لهم وحدهم؛ بل هو الصراط المستقيم الذي عليه جميع المرسلين؛ فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾، أي: من المرسلين، ﴿إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾؛ فقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣].

فأمَرنا سبحانه أن نتأسَّىٰ بإبراهيم الخليل ومن معه من المرسلين في قولهم: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلىٰ آخره. وإذا كان واجبًا علىٰ المسلم أن يقول هذا لقومه الذين هو بين أظهرهم، فكونه واجبًا مع الكفار الأبعدين المخالفين له في جميع الأمور أبينُ وأبين.

وهاهنا نكتةٌ بديعة في قوله: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وهي أن اللَّه تعالىٰ قدَّم البراءة من المشركين العابدين غيرَ اللَّه علىٰ البراءة من الأوثان المعبودة من دون اللَّه؛ لأن الأول أهمُّ من الثاني؛ فإنه قد يتبرأ من الأوثان، ولا يتبرأ ممن عَبَدها؛ فلا يكون آتيًا بالواجب عليه. وأما إذا تبرأ من المشركين فإن هذا يستلزم البراءةَ من معبوداتهم.

وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم]؛ فقدم اعتزالهم علىٰ اعتزال معبوداتهم.

وكذا قوله: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٩]، وقوله: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦].

فعليك بهذه النكتة؛ فإنها تفتح لك بابًا إلىٰ عداوة أعداء اللَّه، فكم من إنسانٍ لا يقع منه الشرك، ولكنه لا يعادي أهلَه، فلا يكون مسلمًا بذلك؛ إذ[(١)] تَرَك دينَ جميع المرسلين.

ثم قال: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾؛ فقوله: ﴿وَبَدَا﴾ أي: ظهر وبان[(٢)].

وتأمل تقديم العداوة علىٰ البغضاء؛ لأن الأولىٰ أهمُّ من الثانية، فإن الإنسان قد يُبغض المشركين ولا يعاديهم؛ فلا يكون آتيًا بالواجب عليه حتىٰ تحصلَ منه العداوةُ والبغضاء. ولابد - أيضًا - من أن تكون العداوة والبغضاء بادِيتَينِ، ظاهرتَينِ بيِّنتَين.

واعلم أنه وإن كانت البغضاء متعلقةً بالقلب؛ فإنها لا تنفع حتىٰ تظهر آثارُها وتَبِينَ علاماتُها، ولا تكون كذلك حتىٰ تقترنَ بالعداوة والمقاطعة، فحينئذٍ تكون العداوةُ والبغضاء ظاهرتين. وأما إذا وُجدت الموالاة والمواصلة فإن ذلك يدلُّ علىٰ عدم البغضاء، فعليك بتأمل هذا الموضع فإنه يجلو عنك شبهاتٍ كثيرةً.

---

(١) في المطبوع: «إذا»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه؛ ويكون المقصود أن من لم يعادِ أعداء اللَّه تعالىٰ، فقد ترك دين جميع المرسلين. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

(٢) وهذا فيه إشارةٌ لطيفة، وهو أننا قبلَ إيماننا لم يكن لدينا عداوةٌ لكم ولا بغضاء، ولكنها «ظهرت وبدتْ» في حياتنا عندما استنارت بنور الإيمان وتعظيم الديَّان؛ فلولا أمرُه لنا وإجلالُنا له لَمَا ظهر في حياتنا أيُّ عداوةٍ وبغضاء لكم. وهذا هو أثر الإيمان الصادق في حياة المؤمن، الذي يغيِّر قلبَ وعقل وفكر المرء إلىٰ ما يريده منه إلٰهُه وفاطرُه العظيم ﷻ. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

ثم قال: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ فذكر ﷻ أفعالًا تدعو إلىٰ مقاطعتهم وتركِ موالاتهم[1]؛ وهي أنهم يقاتلون في الدين ـ أي من أجله ـ، يعني أن الذي حَمَلهم علىٰ قتالكم ما أنتم عليه من الدين لعداوتهم له، وأيضًا يُخرجون المؤمنين من ديارهم، ويعاونون علىٰ إخراجهم، فمن تولاهم ـ مع ذلك ـ فهو من أظلم الظالمين.

وفي هذه الآية أعظم الدليل وأوضح البرهان علىٰ أن موالاتهم محرمةٌ منافيةٌ للإيمان؛ وذلك أنه قال: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾ فجمع بين لفظة «إنما» المفيدة للحصر، وبين النهي الصريح، وذكر الخصال الثلاث، وضمير الحصر ـ وهو لفظة «هم» ـ، ثم ذكر «الظلم» المعرَّف بأداة التعريف.

ثم قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾؛ فنهىٰ سبحانه أهلَ الإيمان عن موالاة الذين غضب اللَّه عليهم، فلا يحسُن من المؤمن ولا يجوز منه أن يواليَ مَن فعل ما يُغضب اللَّه تعالىٰ من الكفر؛ فإن موالاته له تُنافي الإيمان باللَّه تعالىٰ.

---

(١) وهذا يعني أن تهييج المؤمنين علىٰ عداوة الكافرين أمرٌ مطلوبٌ شرعًا، وليس إشعالًا للفتن ولا غير ذلك من الشعارات الخدَّاعة.

فصل



وهاهنا أمورٌ يجب التنبيه عليها، ويتعينُ الاعتناء بها؛ ليتمَّ لفاعلها مجانبة دين المشركين:

الأمر الأول: تركُ اتباع أهوائهم، وقد نهىٰ اللَّه تعالىٰ عن اتباعها.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة].

قال شيخ الإسلام: «فانظر كيف قال في الخبر: ﴿مِلَّتَهُمْ﴾، وقال في النهي: ﴿أَهْوَآءَهُم﴾! لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقًا. والزجرُ وقع عن اتباع أهوائهم في قليلٍ أو كثير».

وقال تعالىٰ لموسىٰ وهارون: ﴿فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس].

[وقال تعالىٰ]: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [المائدة: ٤٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ(١) فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية].

▫ قال شيخ الإسلام: «فأخبر ﷻ أنه أنعم علىٰ بني إسرائيل بنِعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيًا من بعضهم علىٰ بعض، ثم جعل محمدًا ﷺ علىٰ شريعةٍ شرعها له، وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون. وقد دخل في ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: كلُّ مَن خالف شريعته، وأهواؤهم: ما يَهْوَوْنه».

قلتُ: فإذا كان اتباع أهواء جميع الكفار وسلوك ما يحبُّونه منهيًّا عنه وممنوعًا منه، فهذا هو المطلوب، وما ذاك إلا خوفًا من اتباعهم في أصل دينهم الباطل.

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد].

فأخبر ﷻ أنه أنزل كتابه حكمًا عربيًّا، ثم توعَّده علىٰ اتباع أهواء الكفار بهذا الوعيد الشديد(٢).

---

(١) يعني العلم بمبعث محمد ﷺ وما بُيّن لهم من أمره.

(٢) وربطُ اللَّه ﷻ بين «كتابه» وبين «الأهواء» في سياقٍ واحد يدلُّ علىٰ أن الناس لا يخرجون في حياتهم عن أحد الأمرين: إما أن يتبعوا ما أُنزل إليهم من ربِّهم، وإما أن يتبعوا أهواءهم الضالة بشتىٰ صنوفها =

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(١) ﴿١٥٠﴾﴾ [الأنعام].

إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ وجوب تركِ أهواء الكافرين، وتحريم اتباعهم، وأنه من أعظم القوادح في الدين.

الأمر الثاني: معصيتهم فيما أَمَروا به؛ فإن اللَّه تعالىٰ نهىٰ عن طاعة الكافرين، وأخبر أن المسلمين إن أطاعوهم ردُّوهم عن الإيمان إلىٰ الكفر والخسارة.

فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ

= ـ من الكفر أو البدعة أو المعاصي وغير ذلك ـ، فهما باختصارٍ طريقانِ ـ لا ثالث لهما ـ؛ فليختر كلُّ عبدٍ لنفسه الطريق الذي يشاء، فأيٍّ طريق سلكه ورد في الآخرة علىٰ أهله.

(١) ﴿يَعْدِلُونَ﴾: يساوون معه غيرَه. تعالىٰ وتقدَّس عن ذلك.

ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا[(١)] ﴿٥٢﴾ [الفرقان].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالىٰ إخبارًا عن من أطاع رؤساء الكفر: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة].

وفسَّر النبيُّ ﷺ اتخاذهم أربابًا: بأنها[(٢)] طاعتهم في تحريم الحلال، وتحليل الحرام[(٣)].

فإذا كان من أطاع الأحبار ـ وهم العلماء ـ، والرهبان ـ وهم العُبَّاد ـ في ذلك فقد اتخذهم أربابًا من دون اللَّه، فمن أطاع الجهَّال والفسَّاق في تحريم ما أحل اللَّه، أو تحليل ما حرَّم اللَّه، فقد اتخذهم أربابًا من دون اللَّه؛ بل ذلك أولىٰ وأحرىٰ.

---

(١) والمراد من «الجهاد» هنا: جهاد العلم والحجة والبيان؛ فإن السورة مكية، ولم يكن جهادُ السيف والسِّنان شُرع بعدُ.

(٢) الجادة: «بأنه»، ليكون عائدًا علىٰ «الاتخاذ»، والمثبت له وجهٌ، وهو عائدٌ علىٰ «الطاعة»، أو علىٰ مفهوم من الكلام، وهو «الخصلة» ـ مثلًا ـ. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

(٣) حسن: وقد تقدم.

الأمر الثالث: ترك الركون إلىٰ الكفرة الظالمين، وقد نهىٰ اللَّه عن ذلك.

فقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ(١) إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾ [هود].

فنهىٰ ﷻ عن الركون إلىٰ الظلمة، وتوعَّد علىٰ ذلك بمسيس النار، وعدم النصر. والشركُ هو أعظم أنواع الظلم، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣﴾ [لقمان]، فمن ركن إلىٰ أهل الشرك ـ أي مال إليهم أو رضي بشيء من أعمالهم ـ؛ فإنه مستحقٌّ لأن يعذِّبه اللَّه بالنار، وأن يخذله في الدنيا والآخرة.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ٧٤ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ٧٥﴾ [الإسراء].

فأخبر ﷻ أنه لولا تثبيتُه لرسوله ﷺ لركن إلىٰ المشركين شيئًا قليلًا، وأنه لو ركن إليهم لأذاقه عذاب الدنيا والآخرة مضاعفًا، ولكنَّ اللَّهَ ثبَّته فلم يركن إليهم؛ بل عاداهم وقطع اليد منهم. ولكن إذا كان الخطاب للنبي ﷺ ـ مع عصمته ـ بهذه الشدة، فغيره أولىٰ بلحوق هذا الوعيد به.

الأمر الرابع: ترك موادَّة أعداء اللَّه.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

---

(١) ﴿تَرْكَنُوٓاْ﴾: تميلوا وتوافقوا.

▫ قال شيخ الإسلام: «فأخبر ﷻ أنه لا يوجد مؤمنٌ يوادُّ من حاد اللَّه ورسوله ولو كانوا آباءهم، ولا يوجد مؤمن يوادُّ كافرًا، فمن وادَّ الكفار فليس بمؤمن».

قلت: فإذا كان اللَّهُ قد نفىٰ الإيمان عمَّن وادَّ أباه وأخاه وعشيرته إذا كانوا محادين للَّه ورسوله، فمن وادَّ الكفار الأبعدين عنه فهو أولىٰ بألَّا يكون مؤمنًا.

الأمر الخامس: تركُ التشبُّه بالكفار في الأفعال الظاهرة.

▫ «لأنها تورِّث نوع مودةٍ ومحبةٍ وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورِّث المشابهة في الظاهر، وهذا أمرٌ يشهدُ به الحسُّ والتجربة، حتىٰ إن الرجلين إذا كانا من بلدٍ واحد، ثم اجتمعا في دار غربةٍ، كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم، وإن كانا في مصرهما لم يكونا متعارِفَين، أو كانا متهاجرين؛ وذلك لأن الاشتراك في [البلد][(١)] نوعُ وصف اختُصَّا به عن بلد الغربة؛ بل لو اجتمع رجلان في سفرٍ أو بلد غربة، فكانت بينهم مشابهةٌ في العمامة أو الثياب أو الشعر أو المركب، ونحو ذلك، لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما. وكذلك تجد أرباب الصناعات الدنيوية يألف بعضهم بعضًا[(٢)] ما لا يألفون غيرهم؛ حتىٰ إن ذلك يكون مع المعاداة والمحاربة؛ إما علىٰ المُلك وإما علىٰ الدِّين. وتجد الملوك من الرؤساء - وإن تباعدت ديارُهم وممالكهم - بينهم

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقطٌ من المطبوعات، واستدركته من «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/٥٤٩).

(٢) في المطبوع: «بعضهم ببعض». والتصويب من المصدر السابق.

مناسبةٌ تورِّثُ مشابهةً ورعايةً[(١)] من بعضهم لبعض، وهذا كلُّه موجَبُ الطباع ومقتضاها، إلَّا أن يمنع من ذلك دينٌ أو غرضٌ خاصٌّ.

فإذا كانت المشابهة في أمورٍ دنيوية تورِّث المحبةَ والموالاة لهم، فكيف بالمشابهة في أمور دينية؟ فإن إفضاءها إلىٰ نوعٍ من الموالاة أكثر وأشد». هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

قلتُ: فإذا كانت مشابهةُ الكفار في الأفعال الظاهرة إنما نُهي عنها لأنها وسيلةٌ وسبب يُفضي إلىٰ موالاتهم ومحبتهم، فالنهي عن هذه الغاية والمحذور أشد، والمنع منه وتحريمه أوكد، وهذا هو المطلوب.

ذكر بعض الدليل[(٢)] على النهي عن مشابهة الكفار والمشركين:

روىٰ أبو داود في «سننه» عن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَن تشبَّه بقومٍ فهو منهم**»[(٣)].

▫ قال شيخ الإسلام: «وإسناده جيد. وأقلُّ أحواله أن يقتضيَ تحريم التشبه بهم - وإن كان ظاهره يقتضي كُفرَ المتشبِّهِ بهم -؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وهو نظير ما سنذكره عن عبداللَّه بن عمرو أنه قال: «من بنىٰ بأرض المشركين، وصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبَّه بهم حتىٰ يموت = حُشر معهم يوم القيامة».

---

(١) في المطبوع: «وحماية»، والمثبت من السابق.
(٢) كذا في المطبوعات، وهو صحيحٌ لغةً، وتكون الألف واللام للجنس، والمراد سائر الأدلة.
(٣) **حسن:** وقد تقدم. وهو جزء من حديث: «**بُعثتُ بالسيف...**».

وقد ثبت عن عائشة أنها كرهت الاختصار في الصلاة[(١)]، وقالت: «لا تَشَبَّهوا باليهود»[(٢)].

وروىٰ البيهقي بإسنادٍ صحيح عن عمرو بن دينار قال: قال عمر ابن الخطاب: «لا تتعلَّموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا علىٰ المشركين في كنائسهم يوم عيدهم؛ فإن السَّخطةَ تنزلُ عليهم».

وروىٰ بإسنادٍ صحيح عن أبي أسامة: حدثنا عوف، عن أبي المغيرة، عن عبدِاللَّه بن عمرو قال: «من بنىٰ ببلاد الأعاجم، فصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبه بهم حتىٰ يموت وهو كذلك= حشر معهم يوم القيامة».

فهذا عمر نهىٰ عن تعلم لسانهم، وعن مجرد دخول الكنيسة عليهم يوم عيدهم، فكيف بفِعل بعض أفعالهم، أو فعل ما هو من مقتضياتِ دينهم، أليست موافقتُهم في العمل أعظم من الموافقة في اللغة؟! أوَ ليس عملُ بعض أعمالهم ـ أي أعمال عيدهم ـ أعظم من مجرد الدخول عليهم في عيدهم؟! وإذا كان السخط ينزل عليهم يوم عيدهم بسبب عملهم، فمن يشركُهم في العمل أو بعضه؛ أليس قد تعرض إلىٰ العقوبة؟!

وأما عبدُاللَّه بن عمرو فصرح أنه: «من بنىٰ ببلادهم وصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبه بهم حتىٰ يموت= حشر معهم»، وهذا يقتضي أنه جعله كافرًا بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور، أو جعل

---

(١) **الاختصار**: وضع اليد في الخاصرة.

(٢) والنهي عن الاختصار في الصلاة ثبت مرفوعًا عنه ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (١٢٢٠)، ومسلم (٥٤٥).

ذلك من الكبائر الموجِبة للنار ـ وإن كان الأولُ ظاهرَ لفظه ـ؛ فتكون المشاركة في بعض ذلك معصية؛ لأنه لو لم يكن مؤثِّرًا في استحقاق العقوبة، لم يجُز جعلُه جزءً من المقتضي؛ إذ المباح لا يعاقَبُ عليه، وليس الذم علىٰ بعض ذلك مشروطًا ببعض؛ لأن أبعاض ما ذكره تقتضي الذم مفردًا.

وعن عَمْرو بن ميمون الأَوْدي قال: قال عمر رضي الله عنه: «كان أهل الجاهلية لا يُفيضون من جَمْع حتىٰ تطلع الشمس، ويقولون: «أشرِقْ ثَبيرْ كيما نُغيرْ»؛ فخالفهم النبيُّ ﷺ، وأفاض قبل طلوع الشمس»[(١)].

وقد روي في هذا الحديث ـ فيما أظنُّه ـ أنه قال: «خالف هديُنا هديَ المشركين»[(٢)].

وكذلك كانوا يُفيضون من عرفات قبل غروب الشمس، فخالفهم النبي ﷺ بالإفاضة بعد الغروب.

وعن عبدالله بن عمرو قال: رأىٰ رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين

---

(١) رواه البخاري (١٦٨٤).

(٢) **صحيح**: رواه الحاكم (٢/٢٧٧)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥/١٢٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/٢٤)، من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي.

ولفظ الحديث: عن المسور رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ، بعرفة فحمد الله، وأثنىٰ عليه، ثم قال: «**أما بعد، فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من هاهنا عند غروب الشمس، حين تكون الشمس علىٰ رؤوس الجبال مثل عمائم الرجال علىٰ رؤوسها؛ فهَديُنا مخالفٌ لهديهم، وكانوا يدفعون من المشعر الحرام عند طلوع الشمس علىٰ رؤوس الجبال، مثل عمائم الرجال علىٰ رؤوسها؛ فهَديُنا مخالفٌ لهديهم**».

مُعصفرين[(١)]، قال: «**إن هذه من ثياب الكفار؛ فلا تلبسها**». رواه مسلم[(٢)].

فعلَّل النهىٰ عن لُبسها بأنها من ثياب الكفار.

وفي كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلىٰ عتبة بن فرقد: «وإياك وزيَّ أهل الشرك». وهو في «الصحيحين»[(٣)].

وروىٰ الخلَّال عن محمد بن سيرين: أن حذيفة أتىٰ بيتًا، فرأىٰ فيه شيئًا من زي العجم[(٤)]، فخرج، وقال: «من تشبَّه بقوم فهو منهم».

وقال عليُّ بن أبي صالح السواق: «كنا في وليمة، فجاء أحمد بن حنبل، فلما دخل نظر إلىٰ كرسيٍّ في الدار عليه فضةٌ، فخرج، فلَحِقه صاحبُ الدار، فنفض يده في وجهه، وقال: زي المجوس، زي المجوس».

وعن قيس بن أبي حازم قال: «دخل أبو بكر رضي الله عنه علىٰ امرأةٍ من أحمُس يقال لها: زينب؛ فرآها لا تتكلم، فقال: ما لها لا تتكلم؟ فقالوا: حجَّتْ مُصمِتةً، فقال لها: تكلمي؛ فإن هذا لا يحلُّ، هذا من عمل الجاهلية، فتكلمت، فقالت: من أنتَ؟ قال: امرؤٌ من المهاجرين. قالت: أي المهاجرين؟ قال: من قريش، قالت: من

---

(١) **معصفرين**: مصبوغين بعُصفر، وهو صبغٌ أصفر اللون.

(٢) برقم (٢٠٧٧).

(٣) رواه البخاري (٥٨٢٥) ـ مختصرًا ـ، ومسلم ـ بلفظه ـ (٢٠٦٩).

(٤) «الزي» كان يطلق علىٰ «الثياب، والفُرش، وأثاث المنزل»، كما هو ظاهرٌ من الآثار المذكورة، وليس مقتصرًا علىٰ «الثياب» فحسب. والعلمُ عند اللَّه تعالىٰ.



أي قريش؟ قال: إنكِ لسؤول، أنا أبو بكر، فقالت: ما بقاؤنا علىٰ هذا الأمر الصالح الذي جاء اللَّهُ به بعد الجاهلية؟ قال: بقاؤكم عليه ما استقامت لكم أئمتُكم، قالت: وما الأئمة؟ قال: أمَا كان لقومك رؤساءُ وأشرافٌ يأمرونهم فيطيعونهم؟ قالت: بلىٰ، قال: فهم أولئك علىٰ الناس». رواه البخاري في «صحيحه»[(١)].

فأخبر أبو بكر رضي الله عنه أن الصمت المطلق لا يحل، وعقَّب ذلك بقوله: «هذا من عمل الجاهلية»؛ قاصدًا بذلك عيبَ هذا العمل وذمَّه، وتعقيبُ الحُكمِ بالوصف دليلٌ علىٰ أن الوصف علة[(٢)]؛ فدل علىٰ أن كونه من عمل الجاهلية وصفٌ يُوجب النهي عنه والمنع منه.

وقد كتب عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه تعالىٰ عنه ـ إلىٰ المسلمين المقيمين ببلاد فارس: «إياكم وزيَّ أهل الشرك».

وهذا نهيٌ منه للمسلمين عن كل ما كان من زي المشركين.

وفي كتابه إلىٰ عتبة بن فَرْقد: «إياكم والتنعُّمَ، وزيَّ أهل الشرك، ولبوسَ الحرير».

وروىٰ أحمد بن حنبل في «المسند»: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بالجابية، فذكر فتح بيت المقدس، قال حماد بن سلمة: فحدثني أبو سنان، عن عبيد بن آدم، قال: سمعت عمر رضي الله عنه يقول لكعب: «أين ترىٰ أن أُصلي، قال: إن أخذتَ عني صليتَ خلف الصخرة، فكانت القدسُ كلها بين يديك، فقال عمر رضي الله عنه: ضاهيتَ اليهود! لا، ولكن أصلي حيث صلىٰ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم. فتقدم إلىٰ القبلة فصلىٰ، ثم

(١) برقم (٣٨٣٤).
(٢) وهذا ما يسمىٰ في الأصول: «مسلك الإيماء والتنبيه».

جاء فبسط رداءه، فكنس الكُناسة في ردائه، وكَنَس الناسُ»[(١)].

فعاب رضي الله عنه علىٰ كعب مضاهاة اليهودية - أي مشابهتها - في مجرد استقبال الصخرة، لما فيه من مشابهة مَن يعتقدها قبلةً باقيةً، وإن كان المسلم لا يقصد أن يصلي إليها.

وقد كان لعمر رضي الله عنه في هذا الباب من السياسات المُحكمة ما هي مناسِبةٌ لسائر سيرته المَرْضية؛ فإنه رضي الله عنه هو الذي استحالت ذَنوبُ الإسلام[(٢)] في يده غَرْبًا[(٣)]، فلم يَفرِ عبقريٌّ فَرْيَه[(٤)]، حتىٰ صدر الناسُ بعَطَن[(٥)]، فأعز الإسلام، وأذل الكفر وأهله، وأقام شعار الدين الحنيف، ومنع من كلِّ أمرٍ فيه تذرُّعٌ[(٦)] إلىٰ نقض عرىٰ الإسلام؛ مطيعًا في ذلك للَّه ولرسوله، وقافًا عند كتاب اللَّه، ممتثلًا لسنة رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم، محتذيًا حذو صاحبيه[(٧)]، مشاورًا في أموره السابقين الأولين، حتىٰ إن العمدة في الشروط علىٰ أهل الكتاب

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (٣٧/١)، وأبو عبيد في «الأموال» (٤٣٠)، وابن زنجويه في «الأموال» (٦٤٠)، **وحسَّنه** الحافظ ابن كثير في «مسند عمر» (١٦٠/١)، وكذا الشيخ أحمد شاكر في تحقيق «المسند»، بينما **ضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه - أيضًا - (٣٧٠/١).

(٢) **الذَّنوب**: الدلو الممتلئ.

(٣) **الغَرْب**: الدلو العظيمة المتخَذة من جلود البقر.

(٤) **العبقري**: الرجل العظيم والسيد الكبير واللبيب. وله معانٍ أُخر. **يفري فريه**: يعمل عمله ويقطع قَطْعَه.

(٥) **صدر الناس بعطن**: رَوَوْا إبلهم، ورجعوا إلىٰ منازلهم. وهو كنايةٌ عن الخير العظيم الذي انتفع به الناس في خلافته رضي الله عنه.

(٦) **تذرُّع**: تسبُّب.

(٧) في المطبوع: «صاحبه»، والتصويب من «الاقتضاء» (٣٧٦/١).

علىٰ شروطه، وحتىٰ مَنَع من استعمال كافرٍ أو ائتمانه علىٰ أمر الأمة[(١)]، وإعزازه بعد إذ أذلَّه اللَّه، وحتىٰ رُوي أنه حرَّق الكتب العجمية، وهو الذي منع أهل البدع أن يَنبُغُوا[(٢)]، وألزمهم ثوب الصَّغار.

وروىٰ الخلال عن عكرمة، عن ابن عباس: أنه سأله رجلٌ: أأحتقن[(٣)]؟ قال: «لا تُبد العورة، ولا تستنَّ بسنة المشركين».

فقوله: «لا تستنَّ بسنة المشركين» عام.

وروىٰ أبو داود عن أنس: «أنه دخل عليه غلام وله قرنان أو قُصَّتان، فقال: احلقوا هذين أو قُصُّوهما؛ فإن هذا زي اليهود».

علل النهي عنهما بأن ذلك زي اليهود، وتعليل النهي بعلةٍ يوجب أن تكون العلةُ مكروهةً، مطلوبًا عدمُها». نقل ذلك شيخ الإسلام.

▫ وقال ـ أيضًا ـ عند قوله ﷺ: «**هل بها عيدٌ من أعياد الجاهلية**»[(٤)]: «وهذا نهيٌ شديدٌ عن أن يُفعل شيءٌ من أعياد الجاهلية علىٰ أيِّ وجهٍ كان، وأعيادُ الكفار من الكتابيين والأميين في دين الإسلام من جنسٍ واحد، كما أن كفر الطائفتين سواءٌ في التحريم ـ وإن كان بعضه أشد تحريمًا من بعض ـ. وإذا كان الشارع قد حسم مادةَ أعياد أهل الأوثان خشيةَ أن يتدنس المسلمُ بشيءٍ من أمر الكفار الذين يئس الشيطانُ أن يقيم أمرَهم في جزيرة العرب= فالخشية من تدنُّسه

---

(١) في المطبوع: «علىٰ الأئمة»! والتصويب من السابق (١/٣٧٧).
(٢) **ينبغوا**: يصيروا نُبغاء لهم مكاناتٌ مرموقةٌ بين الناس.
(٣) **الاحتقان**: دسُّ الدواء في مجرىٰ الذكر. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.
(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

بأوضار[١] الكتابيين الباقين أشد، والنهيُ عنه أوكد».

▫ إلىٰ أن قال: «وقد بالغ ﷺ في أمر أمَّته بمخالفتهم في كثيرٍ من المباحات وصفاتِ الطاعات، لئلا يكون ذريعةً إلىٰ موافقتهم في غير ذلك من أمورهم، ولتكون المخالفةُ في ذلك حاجزًا ومانعًا عن سائر أمورهم، فإنه كلما كثرت المخالفة بينك وبين أهل الجحيم كان أبعدَ عن أعمال أهل الجحيم، فليس بعد حرصه علىٰ أمته ونصحِه لهم غايةٌ ﷺ، وكلُّ ذلك من فضل اللَّه عليه وعلىٰ الناس، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٨٧﴾ [الأعراف]».

قلت: فإذا كانت مبالغتُه ﷺ في أمر أمَّته بمخالفة الكفار، إنما [كانت] خوفًا من أن تكون مشابهتُهم في الهدي الظاهر مؤديةً وجارَّةً إلىٰ الموافقة والموالاة، فما بالُ كثيرٍ ممن يدعي الإسلام قد وقع في المحذور بعينه، وهم مع ذلك يحسبون أنهم يحسنون صنعًا؟!

وروىٰ أبو داود في «سننه» وغيره من حديث هُشيم: أخبرنا أبو بشر، عن أبي عُمير بن أنس، عن عمومةٍ له من الأنصار قال: اهتمَّ النبي ﷺ للصلاة، كيف يجمع الناس لها؟ فذكروا له شبُّور اليهود[٢]، فلم يعجبه ذلك، وقال: «**هو من أمر اليهود**»، قال: فذكروا له الناقوس، فقال: «**هو من أمر النصارىٰ**»[٣]، الحديث».

---

(١) **الأوضار**: القاذورات.

(٢) **الشبُّور**: البوق ـ كما سيأتي ـ.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٨)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١/٣٩٠)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٢١/٢٤)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (١/٣٦٩).

▫ قال في «القاموس»: «شبُّور ـ كتنُّور ـ: البوق الذي يُنفخ فيه ويُزمر» انتهىٰ.

▫ «والغرض[(١)] أنه ﷺ لما كَره بوقَ اليهود المنفوخ بالفم، وناقوس النصارىٰ المضروب باليد، علَّل هذا بأنه من أمر اليهود، وعلَّل هذا بأنه من أمر النصارىٰ؛ لأن ذِكرَ الوصف عقيبَ الحكم يدلُّ علىٰ أنه علةٌ له، وهذا يقتضي نهيَه عن كلِّ ما هو[(٢)] من أمر اليهود والنصارىٰ، [هذا مع أن قرن اليهود يقال: إن أصله مأخوذ عن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ[(٣)]، وأنه كان يُضرب بالبوق في عهده، وأما ناقوس النصارىٰ فمبتدَع؛ إذ عامة شرائع النصارىٰ أحدثها أحبارُهم ورهبانهم][(٤)].

و[هذا] يقتضي كراهةَ هذا النوع من الأصوات مطلقًا في غير الصلاة ـ أيضًا ـ؛ لأنه من أمر اليهود والنصارىٰ؛ فإن النصارىٰ يضربون بالنواقيس في أوقاتٍ متعددة غير أوقات عباداتهم، وإنما شعارُ الدين الحنيف الأذانُ المتضمنُ للإعلان بذكر اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي به تُفتح أبواب السماء، وتهرب الشياطين، وتنزل الرحمة. وقد ابتُلي كثيرٌ من هذه الأمة ـ من الملوك وغيرهم ـ بهذا الشعار اليهودي والنصراني.

وهذه المشابهةُ لليهود والنصارىٰ والأعاجم من أهل الشرك

(١) عودة لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من «الاقتضاء».
(٢) في المطبوع: «عما هو». والمثبت من السابق.
(٣) اللَّه أعلم بثبوت هذا حقيقةً، ولذا قال الإمام: «ويقال».
(٤) ما بين الحاصرتين من «الاقتضاء» ـ أيضًا ـ. وكذا الكلمة القادمة.

والفُرس، لمَّا غلبت علىٰ ملوك المشرق هي وأمثالها مما خالفوا به هدي المسلمين، ودخلوا فيما كرهه اللَّه ورسولُه= سَلَّط اللَّه عليهم التركَ الكافرين(١) الموعود بقتالهم، حتىٰ فعلوا في العباد والبلاد ما لم يَجْرِ في دولة الإسلام مثلُه؛ وذلك تصديق قوله ﷺ: «**لتركَبُن سَنَنَ مَن كان قبلكم**»(٢)». انتهىٰ من «الاقتضاء».

وكما وقع من العقوبة علىٰ مخالفةِ هدي المسلمين بتسليط الترك والكفار ـ علىٰ ما ذكره شيخ الإسلام ـ، وقع نظيرُه في هذه الأزمان؛ فإن المنتسِبين إلىٰ الإسلام لمَّا سلكوا كثيرًا من هدي اليهود والنصارىٰ وأهل الجاهلية المشركين والأعاجم أعداء اللَّه(٣)، وتشبَّهوا بهم في كثيرٍ من الأمور= سُلط عليهم الترك الكافرون الخارجون عن شرائع الإسلام، فجرىٰ علىٰ الإسلام مِحنٌ عظيمة وأمورٌ كبيرة؛ حتىٰ إنهم يُذلُّون الرئيس(٤)، ويمتهنون الشيخ الكبير، ولا يرحمون العاجزَ ولا الضعيف؛ فأفسدوا الأديان، وخرَّبوا البلدان، وأهانوا الأبدان، وذلك بحكمة الديان؛ عقوبةً علىٰ الظلم والعصيان، واللَّهُ المستعان، وعليه التكلان.

ولكنْ من رحمة اللَّه تعالىٰ أن الحقَّ لا يزول، ويأبىٰ اللَّه إلا إظهارَ دين الرسول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة].

---

(١) يقصد التتار ـ كما في تحقيق «الاقتضاء» (١/٣٥٧) ـ.

(٢) **حسن**: وقد تقدم. وهو جزء من حديث «ذات أنواط».

(٣) في نسخة: «أعداء الدين».

(٤) **الرئيس**: كبير القوم ـ بوجهٍ عام ـ.

فإذا محَّص[١] اللَّه أهل الإيمان، وانتهىٰ ما عاقبهم به علىٰ العصيان، وشمخت أنوفُ أهل الفساد والكفران، وظنوا أن الدولة لهم في غابر الأزمان= أظهر اللَّه عليهم شمسَ الإسلام والإيمان؛ فمزَّقهم بها في أقرب أوان، وشرَّدهم إلىٰ أقصىٰ البلدان.

▫ كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واللَّـهُ ناصـرُ ديـنِه وكـتابِـه ورسولِـهِ في سائـر الأزمانِ
لكن بمحنةِ حزبِه من حَربه ذا حُكمُه مذ كانت الفئتانِ

▫ وقال ـ أيضًا ـ:

والحـق منصورٌ وممتحَنٌ فلا تعجب فهذي سنةُ الرَّحمٰنِ
وبذاك يظهرُ حِزبُه من حَرْبه ولأجل ذاك النـاسُ طائفتانِ

▫ وقال شيخ الإسلام ـ في الكلام علىٰ شروط أهل الذمة ـ: «وذلك يقتضي إجماعَ المسلمين علىٰ التمييز عن الكفار ظاهرًا، وتركِ التشبُّه بهم. ولقد كان أمراء الهُدَىٰ ـ مثل العمرين وغيرهم ـ يبالغون في تحقيق ذلك بما يتمُّ به المقصود.

وقد روىٰ أبو الشيخ الأصبهاني: أن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كتب: ألَّا تكاتبوا أهل الذمة؛ فتجريَ بينكم وبينهمُ المودة، ولا تُكَنُّوهم[٢]، وأذلوهم، ولا تظلموهم».

▫ ثم قال: «ومن جُملة الشروط:

ـ ما يعود بإخفاءِ منكرات دينهم، وتركِ إظهارها؛ [كمَنعهم من

(١) محَّص: نقَّىٰ وهذَّب.
(٢) تُكَنُّوهم: تخاطبونهم بالكُنية.

إظهار الخمر والناقوس، والنيران والأعياد، ونحو ذلك][1].

- ومنها ما يعودُ بإخفاء شعارِ دينهم؛ [كأصواتهم بكتابهم][2].

فاتفق عمر رضي الله عنه والمسلمون معه وسائر العلماء بعدهم ومَن وفَّقه اللَّه عز وجل من ولاة الأمور= علىٰ منعهم من أن يُظهروا في الإسلام شيئًا مما يختصُّون به؛ مبالغةً في ألَّا يظهر في دار الإسلام خصائصُ المشركين، فكيف إذا عَمِلها المسلمون وأظهروها؟!

- ومنها ما يعود بترك إكرامهم، وإلزامهم الصَّغار الذي شرعه اللَّه تعالىٰ. ومن المعلوم أن تعظيم أعيادهم ونحوها بالموافقة فيها نوعٌ من إكرامهم؛ فإنهم يفرحون بذلك، ويُسرُّون به، كما يغتمُّون بإهمال أمر دينهم الباطل».

▫ قال شيخ الإسلام ـ أيضًا ـ: «وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]؛ ومعلومٌ أن الكفار فرَّقوا دينهم وكانوا شيعًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقد قال لنبيِّه صلى الله عليه وسلم: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾؛ وذلك يقتضي تبرُّؤَه منهم في جميع الأشياء.

ومَن تابع غيرَه في بعض أموره فهو منه في ذلك الأمر؛ لأن قول القائل: «أنا من هذا، وهذا مني»، أي: أنا من نوعه، وهو من

---

(١) زيادة من «الاقتضاء» (١/٣٦٩)، وكذا الموضع القادم.

(٢) واللَّهِ إن الذي يسمعُ هذا كلَّه لَيعتصرُ الحزنُ والألمُ قلبَه اعتصارًا علىٰ ما وصلت إليه أحوال أهل الكفر مع أمة الإسلام، وعلوُّهم في الأرض علىٰ أهل التوحيد، وتقريب بعض المفتونين وتعظيمهم لهم، لكنْ لا عجب، بذنوبنا، ويعفو اللَّه عن كثير.

نوعي؛ لأن الشخصين لا يتَّحِدانِ إلا بالنوع، كما في قوله: ﴿بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقولِه ﷺ لعليٍّ: «**أنت مني، وأنا منك**»(١). وقولُ القائل: «لستُ من هذا في شيء»، أي: أنا متبرئٌ من جميع أموره.

وإذا كان اللَّهُ قد برَّأ رسولَه من جميع أمورهم، فمن كان متابعًا للرسول ﷺ حقيقةً كان متبرِّئًا كتبرُّئِه، ومن كان موافقًا لهم كان مخالفًا للرسول ﷺ بقدر موافقته لهم؛ فإن الشخصين المختلفين من كل وجهٍ [في دينهما](٢)، كلما شابهتَ أحدَهما خالفتَ الآخر.

وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ [المجادلة: ١٤]؛ يعيب بذلك المنافقين الذين تولَّوا اليهود، إلىٰ قوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢] إلىٰ آخر السورة.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [الأنفال: ٧٢]، إلىٰ آخر السورة.

فعقد ﷻ الموالاة بين المهاجرين والأنصار، وبين مَن آمن مِن بعدهم وهاجر وجاهد إلىٰ يوم القيامة، و«**المهاجرُ مَن هجر ما نهىٰ اللَّهُ عنه**»(٣)، والجهادُ باقٍ إلىٰ يوم القيامة.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٩).
(٢) زيادة من «الاقتضاء» (١/١٧٦).
(٣) رواه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠)، من حديث عبداللَّه بن عَمرو رضي الله عنهما.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

ونظائر هذا في غير موضع من القرآن، يأمرُ سبحانه بموالاة المؤمنين حقًّا ـ الذين هم حزبُه وجندُه ـ، ويخبر أن هؤلاء لا يوالُون الكفار، ولا يوادُّونهم، والموالاة والموادة ـ وإن كانت متعلقةً بالقلب ـ لكنَّ المخالفةَ في الظاهر أعونُ علىٰ مقاطعة الكافرين ومباينتهم.

ومشاركتهم في الظاهر إن لم تكن ذريعةً أو سببًا قريبًا أو بعيدًا إلىٰ نوعٍ ما من الموالاة والموادة= فليس فيها مصلحةُ المقاطعة والمباينةً، مع أنها تدعو إلىٰ نوعٍ ما من المواصلة ـ كما توجبه الطبيعة، وتدل عليه العادة ـ؛ ولهذا كان السلف ﵃ يستدلون بهذه الآيات علىٰ ترك الاستعانة بهم في الولايات.

فروىٰ الإمام أحمد ـ بإسنادٍ صحيح ـ عن أبي موسىٰ ﵁ قال: «قلت لعمر ﵁: إن لي كاتبًا نصرانيًّا؟ قال: ما لك ـ قاتلك اللَّه ـ؟! أما سمعت اللَّه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١]؟! ألا اتخذت حنيفًا؟! قال: قلت: يا أمير المؤمنين، لي كتابتُه، وله دينه، قال: لا أكرمهم إذ أهانهم اللَّه، ولا أُعِزُّهم إذ أذلهم اللَّه، ولا أُدنيهم إذ أقصاهم اللَّه».

ولِما دلَّ عليه معنىٰ الكتاب جاءت سنةُ رسول اللَّه ﷺ وسنة خلفائه الراشدين ـ التي أجمع الفقهاء عليها ـ بمخالفتهم وترك التشبه بهم.

ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اليهود والنصارىٰ لا يَصبِغون؛ فخالفوهم**»[(١)].

فأمر بمخالفتهم؛ وذلك يقتضي أن يكون جنسُ مخالفتهم أمرًا مقصودًا للشارع؛ لأنه إن كان الأمرُ بجنس المخالفة حَصَل المقصود، وإن كان الأمر بالمخالفة في تغيير الشَّعر فقط، فهو لأجل ما فيه من المخالفة.

فالمخالفة: إما علةٌ مفردة، أو علةٌ أخرىٰ، أو بعضُ علة.

وعلىٰ [كلِّ] التقديرات تكون مأمورًا بها، مطلوبةً من الشارع.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال الضحاك: «الزور: عيد المشركين». رواه أبو الشيخ بإسناده.

وبإسناده عنه: «الزور: كلام الشرك».

وبإسناده عن [عمرو][(٢)] بن مُرَّة: «لا يمالئُون أهلَ الشرك علىٰ شركهم، ولا يخالطونهم».

وبإسناده عن عطاء بن يسار قال: قال عمر: «إياكم ورطانةَ الأعاجم، وأن تدخلوا علىٰ المشركين يوم عيدهم في كنائسهم».

وقول هؤلاء التابعين: «إنه أعياد الكفار» ليس مخالفًا لقول بعضهم: «إنه الشرك»، أو «صنم كان في الجاهلية»، ولقولِ بعضهم: «إنه مجالس الخنا[(٣)]». وقولِ بعضهم: «إنه الغِناء»؛ لأن عادة السلف في تفسيرهم هكذا؛ يَذكر الرجلُ نوعًا من أنواع المسمىٰ، لحاجة

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٢)، ومسلم (٢١٠٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) زيادة من «الاقتضاء» (١/٤٨١).
(٣) **الخنا**: الفحش والقُبح.

المستمع إليه، أو لينبِّه به علىٰ الجنس.

ووجهُ تفسير التابعين: أن «الزور» هو المحَسَّن المموَّه، حتىٰ يظهر بخلاف ما هو عليه في الحقيقة؛ ولهذا فسَّره السلفُ تارةً بما يَظهر حُسنُه لشُبهةٍ أو لشهوة؛ فإن الشرك ونحوه يَظهر حسنُه للشبهة، والغناء ونحوه يظهر حسنُه للشهوة.

وأما أعياد المشركين فجمعت الشبهة والشهوة، وهي باطلة؛ إذ لا منفعة فيها في الدين، وما فيها من اللذة العاجلة فعاقبتُها إلىٰ ألم، فصارت زورًا، وشهودها: حضورها.

وإذا كان اللَّه قد مدح ترك شهودها ـ الذي هو مجرد الحضور برؤية أو سماع ـ، فكيف بالموافقة بما يزيد علىٰ ذلك من العمل الذي هو عمل الزور ـ لا مجرد شهوده ـ؟!

واعلم أنَّا لو لم نَرَ موافقتهم قد أفضتْ إلىٰ هذه القبائح[(١)]، لكان عِلمُنا بما وافقت الطباعُ عليه، واستدلالُنا بأصول الشريعة يوجب النهيَ عن هذه الذريعة؛ فكيف وقد رأينا من المنكرات التي أفضت إليها المشابهةُ ما قد يوجب الخروج عن الإسلام بالكلية؟!

وسرُّ هذا: أن المشابهة تُفضي إلىٰ كفرٍ أو معصيةٍ غالبًا، أو تفضي إليهما في الجملة، وما أفضىٰ إلىٰ ذلك كان محرمًا».

فهذا بعض ما جاء من الأدلة في النهي عن مشابهة المشركين والكفار، ولكن رحم اللَّه من تنبَّه للسرِّ الذي سيق الكلام لأجله؛ وهو أن المشابهة في الظاهر إنما نُهي عنها لأنها تورِّث نوعَ مودةٍ

---

(١) وردت الجملة في المطبوع: «واعلم أنَّا لو لم نعلم من موافقتهم إلا ما قد أفضت إلىٰ هذه القبائح». والتصويب من «الاقتضاء» (٥٤١/١).

وموالاةٍ في الباطن، وتُفضي ـ أيضًا ـ إلىٰ كفرٍ أو معصية؛ وهذا هو السبب في تحريمها والنهي عنها.

فإذا علمت ذلك، وتبيَّن لك ما وقع فيه كثيرٌ من الناس ـ أو أكثرهم ـ من موالاة الكفار والمشركين ـ التي إنما نُهي عن هذه الأمور خوفًا من الوقوع فيها ـ، تبيَّن لك أنهم وقعوا في نفس المحذور، وتوسطوا مفازةَ المَهلكة، واللَّه الهادي إلىٰ سواء الصراط.



فصل

في ذكر جوابات عن إيرادات أوردها بعض المسلمين علىٰ أولاد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهَّاب، فأجابوا عنها ـ رحمهم اللَّه وعفا عنهم[(١)] ـ.

١ ـ فمن ذلك: ما قولكم في رجلٍ دخل هذا الدين وأحبَّه، ولكن لا يعادي المشركين، أو عاداهم ولم يكفِّرهم، أو قال: «أنا مسلم، ولكن ما أقدرُ أُكفِّرُ أهل لا إلٰه إلا اللَّه، ولو لم يعرفوا معناها».

٢ ـ ورجلٌ دخل هذا الدين وأحبه، ولكن يقول: «لا أتعرَّض القباب[(٢)]، وأعلم أنها لا تضر ولا تنفع، ولكن لا أتعرضها».

فالجواب: أن الرجل لا يكون مسلمًا إلا إذا عرف التوحيد، ودان به، وعَمِل بموجَبه، وصدَّق الرسول ﷺ فيما أخبر به، وأطاعه فيما نهىٰ عنه وأمر به، وآمن به وبما جاء به؛ فمن قال: «لا أعادي المشركين»، أو عاداهم ولم يكفِّرهم، أو قال: «لا أتعرض أهل لا إلٰه إلا اللَّه، ولو فعلوا الكفر والشرك، وعادَوْا دين اللَّه»، أو قال: «لا أتعرض للقباب»، فهذا لا يكون مسلمًا؛ بل هو ممن قال اللَّه فيهم: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء].

واللَّه ﷻ أوجب معاداةَ المشركين ومنابذتهم وتكفيرهم:

---

(١) وقد تقدمت هذه الأسئلة بإجاباتها.

(٢) أي: لا أتعرض لها.

فقال ﷻ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ الآيات [الممتحنة: ١]. واللَّه أعلم.

نُقل من جواب الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهَّاب وأخيه عبداللَّه.

وفي أجوبة أخرىٰ:

٣ ـ ما قولكم في الموالاة والمعاداة، هل هي من معنىٰ لا إلٰه إلا اللَّه، أو من لوازمها؟

الجواب أن يقال: اللَّهُ أعلم، حسبُ المسلم أن يَعلمَ أن اللَّهَ افترض عليه عداوةَ المشركين، وعدمَ موالاتهم، وأوجب عليه محبة المؤمنين وموالاتَهم، وأخبر أن ذلك من شروط الإيمان، ونفىٰ الإيمان عن من يوادُّ من حاد اللَّه ورسوله ﷺ ـ ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ـ.

وأما كون ذلك من معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه» أو من لوازمها، فلم يكلِّفنا اللَّه بالبحث عن ذلك، وإنما كُلِّفنا بمعرفة أن اللَّه فرض ذلك وأوجبه، وأوجب العمل به؛ فهذا الفرضُ والحتم الذي لا شك فيه.

ومَن عرف أن ذلك من معناها أو من لازمها، فهو حسنٌ وزيادة

خير، ومن لم يَعرف فلم يكلَّف بمعرفته؛ لا سيما إذا كان الجدالُ في ذلك والمنازعة فيه مما يُفضي إلىٰ شرٍّ واختلاف، ووقوع فُرقةٍ بين المؤمنين الذين قاموا بواجبات الإيمان، وجاهدوا في اللَّه، وعادَوُا المشركين، ووالَوُا المسلمين، فالسكوتُ عن ذلك متعيِّن، وهذا ما ظهر لي؛ علىٰ أن الاختلاف قريبٌ من جهة المعنىٰ. واللَّه أعلم.

فهذه[1] بعض الأدلة الدالة علىٰ وجوب مقاطعة الكفار والمشركين، وهي المسألة الأولىٰ.

---

(١) في المطبوع: «فهذا»، ولعل الأدق ما أثبتُّه. وإن كان للأخرىٰ وجهٌ صحيح.

فصل

وأما المسألة الثانية، وهي: الأشياء التي يصير بها المسلم مرتدًّا[(١)]:

■ **فأحدها: الشرك بالله تعالى:**

وهو أن يَجعل للَّه ندًّا من مخلوقاته؛ يدعوه كما يدعو اللَّه، ويخافه كما يخاف اللَّه، أو يتوكل عليه كما يتوكلُ علىٰ اللَّه، أو يصرف له شيئًا من عبادة اللَّه؛ فإذا فعل ذلك كَفَر وخرج من الإسلام، وإن صام النهار وقام الليل.

والدليل علىٰ ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ[(٢)] نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون].

وغير ذلك من الآيات الدالة علىٰ أن من أشرك مع اللَّه تعالىٰ في عبادته مخلوقًا من المخلوقين، فقد كفر وخرج من الإسلام، وحبطت أعماله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام].

■ **الثاني: إظهار الطاعة والموافقة للمشركين على دينهم:**

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ

---

(١) بدأت الأولىٰ ص(٤٨٩).

(٢) ﴿خَوَّلَهُۥ﴾: أعطاه.

لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ[(١)] ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ[(٢)] ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد].

وذكر الفقيه سليمان ابن الشيخ عبداللَّه ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب في هذه المسألة عشرين آيةً من كتاب اللَّه وحديثًا عن رسول اللَّه ﷺ[(٣)]؛ استدلَّ بها علىٰ أن المسلم إذا أظهر الطاعةَ والموافقة للمشركين من غير إكراه= أنه يكون بذلك مرتدًّا خارجًا من الإسلام، وإن كان يشهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه، ويفعل الأركان الخمسة؛ فإن ذلك لا ينفعه.

وقال شيخ الإسلام المذكور ـ إمام هذه الدعوة الحنيفية في كلامه علىٰ آخر سورة الزمر ـ:

الثانية: أن المسلم إذا أطاع من أشار عليه [بالكُفْر] في الظاهر كَفَر ـ ولو كان باطنُه يعتقدُ الإيمان ـ؛ فإنهم لم يريدوا من النبي ﷺ تغييرَ عقيدته، ففيه بيانٌ لما يكثر وقوعه ممن ينتسب إلىٰ الإسلام في إظهار الموافقة للمشركين خوفًا منهم، ويظن أنه لا يكفر إذا كان قلبه كارهًا.

إلىٰ أن قال.

الثالثة: أن الذي يَكفر به المسلم ليس هو عقيدةَ القلب خاصةً؛

---

(١) ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾: زيَّن لهم القبيح. ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾: مدَّ لهم في الأمل.
(٢) ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾: ما يُسرُّونه في قلوبهم.
(٣) راجع رسالة «حكم موالاة أهل الإشراك» في (٤٢١/١).

فإن هؤلاء الذين ذكرهم اللَّه لم يريدوا منه ﷺ تغيير العقيدة ـ كما تقدم ـ؛ بل إذا أطاع المسلمُ مَن أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو بلده أو أهله ـ مع كونه يعرف كفرهم ويُبغضهم ـ؛ فهذا كافرٌ، إلا من أُكره.

إلىٰ أن قال: ولكن رحم اللَّه من تنبَّه لسر الكلام؛ وهو المعنىٰ الذي نزلت فيه هذه الآيات؛ من كون المسلم يوافقهم في شيءٍ من دينهم الظاهر، مع كون القلب بخلاف ذلك؛ فإن هذا هو الذي أرادوا من النبي ﷺ؛ فافهمه فهمًا حسنًا؛ لعلك تعرف شيئًا من دين إبراهيم عليه السلام، وقد بادأ أباه وقومه بالعداوة عنده.

وقال في سورة الكهف:

التاسعة: المسألة العظيمة المشكلة علىٰ أكثر الناس: أنه إذا وافقهم بلسانه مع كونه مؤمنًا حقًّا، كارهًا لموافقتهم= فقد كذب في قوله: «لا إلٰه إلا اللَّه»، واتخذ إلٰهين اثنين. وما أكثر الجهلَ بهذه والتي قبلها!

العاشرة: أنه لو يصدُر منهم ـ أعني موافقة الحاكم فيما أراد من ظاهرهم، مع كراهتهم لذلك ـ، فهو قوله: ﴿شَطَطًا ۝١٤﴾ [الكهف]، والشطط: الكفر[1].

واعلم أن إظهار الموافقة والطاعة للمشركين له أحوال ستأتي في المسألة الثالثة ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ.

■ **الأمر الثالث ـ مما يصير المسلم به مرتدًّا ـ: موالاة المشركين:**

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ

---

(١) وأصل «الشطط» لغةً: البُعد. والكفر هو أعظم صور البُعد عن الحق.

أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة].

وقوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨].

فذكر في الآية الأولىٰ أن من تولىٰ اليهود والنصارىٰ فهو منهم، وظاهرها أن من تولاهم فهو كافرٌ مثلهم. ذكر معناه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

▫ وتقدم قولُ عبداللَّه بن عتبة عند قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾: «ليتق أحدُكم أن يكون يهوديًّا أو نصرانيًّا وهو لا يشعر».

▫ وقال ابن جرير في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾: «يعني: فقد برئ من اللَّه، وبرئ اللَّه منه؛ لارتداده عن دينه».

وأما قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾، فهي كقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]. وسيأتي بيان ذلك ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ.

■ **الأمر الرابع: الجلوس عند المشركين في مجالس شركهم، من غير إنكار:**

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء].

وفي أجوبة آل الشيخ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لما سئلوا عن هذه الآية وعن قوله ﷺ: «**من جامع المُشركَ أو سكن معه فإنه مثلُه**»[(١)]؛ قالوا:

---

(١) **حسن**: وقد تقدم.

الجواب: أن الآية علىٰ ظاهرها؛ وهو أن الرجل إذا سمع آيات اللَّه يُكفر بها ويُستهزأ بها، فجلس عند الكافرين المستهزئين بآيات اللَّه من غير إكراهٍ ولا إنكارٍ ولا قيامٍ عنهم حتىٰ يخوضوا في حديث غيره، فهو كافرٌ مثلهم ـ وإن لم يفعل فِعلَهم ـ؛ لأن ذلك يتضمن الرضا بالكفر، والرضا بالكفر كفر.

وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء علىٰ أن الراضي بالذنب كفاعله، فإنِ ادعىٰ أنه يَكره ذلك بقلبه لم يُقبل منه؛ لأن الحُكم بالظاهر، وهو قد أظهر [قبول] الكفر؛ فيكون كافرًا.

ولهذا لما وقعت الرِّدة، وادَّعىٰ أُناسٌ أنهم كرهوا ذلك= لم يَقبل منهم الصحابةُ ذلك؛ بل جعلوهم كلَّهم مرتدين إلا من أنكر بلسانه.

وكذلك قوله في الحديث: «**من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله**» علىٰ ظاهره؛ وهو أن الذي يدَّعي الإسلام، ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل معهم ـ بحيث يعُدُّه المشركون منهم ـ، فهو كافرٌ مثلهم ـ وإنِ ادعىٰ الإسلام ـ، إلا إن كان يُظهر دينه، ولا يتولَّىٰ المشركين. انتهىٰ.

قلت: ويأتي مخاطبة خالدٍ لمُجَّاعة، وفيه: «يا مجاعة، تركتَ اليوم ما كنت عليه أمس، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب، وسكوتُك عنه إقرارًا له...» إلىٰ آخره.

▫ وتقدم قول عبداللَّه بن عمرو: «من بنىٰ ببلاد المشركين، فصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبَّه بهم حتىٰ يموت= حُشر معهم يوم القيامة».

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝١٠٧﴾ [النحل].

■ **الأمر الخامس: الاستهزاء بالله، أو بكتابه، أو برسوله:**

والدليل علىٰ ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۝٦٦﴾ [التوبة].

[نوعا الاستهزاء]:

واعلم أن الاستهزاء علىٰ نوعين:

أحدهما: الاستهزاء الصريح: كالذي نزلت الآية فيه، وهو قولهم: «ما رأينا مثل قُرائنا هؤلاء؛ أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسُنًا، ولا أجبنَ عند اللقاء»، أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين، كقول بعضهم: «دينكم هذا دينٌ حامض»، وقول الآخر: «دينكم أخرق[(١)]»، وقول الآخر ـ إذا رأىٰ الآمرين بالمعروف أو الناهين عن المنكر ـ: «جاءكم أهل الديك» ـ بالكاف بدل النون[(٢)] ـ، وقول الآخر ـ إذا رأىٰ طلبة العلم ـ: «هؤلاء الطَّلْبة» ـ بسكون اللام[(٣)] ـ، وما أشبه ذلك ـ مما

---

(١) في بعض المطبوعات: «حرق»، ويكون المراد: محترقٌ فاسدٌ لا قيمة له. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) أي: بدل «أهل الدين».

(٣) **الطَّلْبة** ـ بفتح الطاء وسكون اللام ـ: خشبةٌ تتخذها النساء في بعض أغراضهن. انظر: «المُحْكم» لابن سِيْدَهْ (٩/١٧٧). وهذا أقرب ما تبدىٰ لي من مراد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ. فإن لم يكن فلعلها كلمةٌ عاميةٌ تدل علىٰ السخرية. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.



لا يُحصىٰ إلا بكلفةٍ ـ مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية.

النوع الثاني: غير الصريح: وهو البحر الذي لا ساحل له، مثل الرمز بالعين، وإخراج اللسان، ومدِّ الشفة، والغمزة باليد عند تلاوة كتاب اللَّه أو سنة رسوله ﷺ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

■ **الأمر السادس: ظهور الكراهية والغضب عند الدعوة إلى الله، وتلاوة كتابه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

والدليل علىٰ ذلك: قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ [الحج].

فذكر كُفرَ هذا الصنف في أول الآية وآخرها.

■ **الأمر السابع: كراهة ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة:**

والدليل: قول اللَّه تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد].

■ **الأمر الثامن: عدم الإقرار بما دلت عليه آيات القرآن والأحاديث، والمجادلة في ذلك:**

والدليل علىٰ ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾﴾ [غافر].

■ **الأمر التاسع: جَحْدُ الناس شيئًا من كتاب الله ـ ولو آيةً أو بعضها ـ، أو شيئًا مما جاء عن النبي ﷺ:**

والدليل علىٰ ذلك: قول اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ

وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء]. وهذا أخصُّ من الذي قبله.

■ **الأمر العاشر: الإعراض عن تعلم دين الله، والغفلة عن ذلك:**

والدليل: قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف].

■ **الأمر الحادي عشر: كراهة إقامة الدين والاجتماع عليه:**

والدليل علىٰ ذلك: قول اللَّه تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورىٰ].

فذكر أنه لا يكره إقامةَ الدين إلا مشركٌ، وقد تبيَّن أن من أشرك باللَّه فهو كافر.

■ **الأمر الثاني عشر: السحر؛ تعلمه وتعليمه، والعمل بموجبه:**

والدليل: قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٢][(١)].

■ **الأمر الثالث عشر: إنكار البعث:**

والدليل علىٰ ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ

---

(١) التحقيق أن السحر ليس كلُّه كفرًا. وراجع تفسير الحافظ ابن كثير لآيات السحر في سورة «البقرة». وقد سبقت إشارة لهذا في كتاب «التوحيد» لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥﴾ [الرعد].

■ الأمر الرابع عشر: التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

▫ قال ابن كثير: «كما كان أهلُ الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات، وكما يحكم به التتارُ من السياسات المأخوذة عن جَنْكِسْخان الذي وضع لهم كتابًا مجموعًا من أحكام اقتبسها من شرائع شتىٰ؛ فصار في بنيه شرعًا يقدمونه علىٰ الحكم بالكتاب والسنة، ومن فعل ذلك فهو كافرٌ يجب قتاله حتىٰ يرجع إلىٰ حكم اللَّه ورسوله، فلا يحكِّم سواه في قليلٍ ولا كثير. قال تعالىٰ: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة]».

قلت: ومثل هؤلاء ما وقع فيه عامةُ البوادي ومن شابههم؛ من تحكيم عادات آباءهم، وما وضعه أوائلهم من الموضوعات الملعونة التي يسمونها «شرع الرفاقة»، ويقدمونها علىٰ كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، ومن فعل ذلك فهو كافر، يجب قتاله حتىٰ يرجع إلىٰ حكم اللَّه ورسوله[(١)].

▫ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا ريب أن مَن لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل اللَّه علىٰ رسوله فهو كافر، فمن استحلَّ أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلًا ـ من غير اتباع لما أنزل اللَّه ـ فهو كافر؛ فإنه ما من أمةٍ إلا وهي تأمر بالحكمً بالعدل، وقد يكون العدلُ في دينها ما رآه أكابرهم؛ بل كثيرٌ من المنتسبين إلىٰ الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم يُنزلها اللَّه؛ كسوالف البادية، وكأوامر

---

(١) راجع الكتاب القيِّم: «الغُرْم القَبَلي»، للشيخ علي بن محمد آل نومة القحطاني ـ ط: دار ابن الجوزي بالدمام.

المطاعين، ويَرَوْن أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر؛ فإن كثيرًا من الناس أسلموا، ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكمُ إلا بما أنزل اللَّه، فلم يلتزموا ذلك ـ بل استحلُّوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل اللَّه ـ فهم كفار». انتهىٰ من «منهاج السنة النبوية»؛ ذكره عند قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]؛ فرحمه اللَّه وعفا عنه.

فهذه بعض المواضع التي دلَّ القرآن عليها، وإن كان قد يقال: إن بعضها يُغني عن بعض، أو يندرج فيه، فذِكرُها علىٰ هذا الوجه أوضح.

وأما كلام العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ فكثير جدًّا، وقد ذكر صاحب «الإقناع» أشياءَ كثيرةً في باب «حكم المرتد» ـ وهو الذي يكفُر بعد إسلامه ـ، وقد لخَّصتُ منه مواضع يسيرة:

- فمن ذلك قوله: «قال الشيخ[1]: أو كان مبغضًا لرسوله، أو لما جاء به، كَفَر اتفاقًا».
- ومنها قوله: «أو جعل بينه وبين اللَّه وسائط يتوكل عليهم، ويسألهم، كفر إجماعًا».
- ومنه قوله: «أو وُجد منه امتهانٌ للقرآن». أي: فيكفر بذلك.
- ومنها قوله: «أو سخر بوعد اللَّه أو بوعيده». أي: فيكفر بذلك.

---

(١) يعني الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ كما سيأتي ـ.

▫ ومنها قوله: «أو لم يكفِّر مَن دان بغير الإسلام، أو شك في كفرهم». أي: فيكفر بذلك.

▫ ومنها قوله: «قال الشيخ: ومن استحلَّ الحشيشة كفر بلا نزاع».

قلت: ومن استحلَّ موالاةَ المشركين ومظاهرتهم وإعانتهم علىٰ المسلمين، فكفرُه أعظمُ من كفر هذا؛ لأن تحريم ذلك آكدُ وأشد من تحريم الحشيشة.

▫ ومنها قوله: «ومن سبَّ الصحابة أو واحدًا منهم، واقترن بسبِّه دعوىٰ أن عليًّا إلٰه، أو نبيٌّ، أو أن جبرائيل غَلِط...[(١)] = فلا شك في كفر هذا؛ بل لا شك في كفرِ مَن توقف في تكفيره».

▫ ومنها قوله: «أو زعم أن للقرآن تأويلاتٍ باطنةً تُسقط الأعمال المشروعة، ونحو ذلك، فلا خلاف في كفر هؤلاء».

▫ ومنها قوله: «أو زعم أن الصحابة ارتدُّوا بعد رسول اللَّه ﷺ، إلا نفرًا قليلًا لا يبلغون إلا بضعة عشر، أو أنهم فسقوا، فلا ريب ـ أيضًا ـ في كفر قائل ذلك؛ بل من شك في كفره فهو كافر». انتهىٰ ملخصًا، وعزاه لـ«الصارم المسلول».

▫ ومنها قوله: «ومن أنكر أن أبا بكر صاحبُ رسول اللَّه ﷺ فقد كفر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ [التوبة: ٤٠]».

قلتُ: فإذا كان من جحد مدلول آيةٍ كفر، ولم تنفعه الشهادتان، ولا الانتسابُ إلىٰ الإسلام، فما الظن بمن جَحَد مدلول ثلاثين آيةً أو أربعين آيةً؛ أفلا يكون كافرًا لا تنفعه الشهادتان ولا ادعاءُ الإسلام؟!

---

(١) أي: غلط في النزول بالوحي علىٰ محمد ﷺ؛ إذ كان من المفترض أن ينزل به علىٰ عليٍّ رضي الله عنه، وهذا من افتراءات الروافض.

بلىٰ واللَّهِ، بلىٰ واللَّه. ولكن نعوذ باللَّه من رَيْنِ القلوب[(١)]، وهوىٰ نفوس اللَّذين يصدُّون عن معرفة الحق واتباعه.

- ومنها قوله: «أو جحد حِلَّ الخبز واللحم والماء». أي: فيكفر بذلك.

- ومنها قوله: «أو أحلَّ الزنا ونحوه». أي: فيكفر بذلك.

قلتُ: ومن أحل الركون إلىٰ الكافرين، وموادة المشركين، فهو أعظم كفرًا ممن أحل الزنا بأضعافٍ مضاعفة.

وكلام العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في هذا الباب لا يمكن حصره؛ حتىٰ إن بعضهم ذكر أشياءَ أسهل من هذه الأمور، وحكموا علىٰ مرتكبها بالارتداد عن الإسلام، وأنه يُستتاب منها، فإن تاب وإلا قُتل مرتدًا، ولم يغسَّل، ولم يصلَّ عليه، ولم يُدفن مع المسلمين، وهو مع ذلك يقول: «لا إلٰه إلا اللَّه»، ويفعل الأركان الخمسة! ومن له أدنىٰ نظرٍ واطلاعٍ علىٰ كلام أهل العلم، فلابد أن يكون قد بلغه بعضُ ذلك.

وأما هذه الأمور التي تقع في هذه الأزمان من المنتسبين إلىٰ الإسلام - بل من كثيرٍ ممن ينتسب إلىٰ العلم -، فهي من قواصم الظهور، وأكثرُها أعظمُ وأفحش مما ذكره العلماء من المكفِّرات، ولولا ظهورُ الجهل وخفاء العلم وغلبة الأهواء، لَمَا كان أكثرها محتاجًا لمن ينبَّه عليه.

---

(١) الرين: السواد المتراكم.



فصل



وأما المسألة الثالثة: وهي ما يُعذر الرجلُ به على موافقة المشركين، وإظهار الطاعة لهم:

فاعلم أن إظهار الموافقة للمشركين له ثلاث حالات:

الحال الأولى: أن يوافقهم في الظاهر والباطن، فينقادَ لهم بظاهره، ويميلَ إليهم ويوادَّهم بباطنه؛ فهذا كافرٌ خارج عن الإسلام، سواء كان مكرهًا علىٰ ذلك أو لم يكن، وهو ممن قال اللَّه فيه: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٦﴾ [النحل].

الحال الثانية: أن يوافقهم ويميلَ إليهم في الباطن، مع مخالفتهم في الظاهر، فهذا كافرٌ ـ أيضًا ـ، ولكن إذا عَمِل بالإسلام ظاهرًا عُصم ماله ودمه [في الدنيا]، وهو المنافق.

الحال الثالثة: أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن، وهو علىٰ وجهين:

أحدهما: أن يفعل ذلك لكونه في سلطانهم، مع ضربهم أو تقييدهم له، أو يتهددونه بالقتل، فيقولون له: «إما أن توافقنا وتُظهر الانقياد لنا، وإلا قتلناك»، فإنه ـ والحالُ هذه ـ يجوز له موافقتهم في الظاهر، مع كون قلبه مطمئنًا بالإيمان، كما جرىٰ لعمَّار حين أنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦][1]، وكما قال تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟

(١) **حسن:** وقد تقدم.

مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، فالآيتان متفقتانِ، كما نبَّه علىٰ ذلك ابن كثير في تفسير آية «آل عمران».

الوجه الثاني: أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن، وهو ليس في سلطانهم، وإنما حَمَله علىٰ ذلك إما طمعٌ في رئاسة أو مال، أو مشحةٌ بوطنٍ أو عيال، أو خوفٌ مما يحدث في المآل، فإنه في هذه الحال يكون مرتدًّا، ولا تنفعه كراهته في الباطن، وهو ممن قال اللَّه فيهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧﴾ [النحل]؛ فأخبر أنه لم يحملهم علىٰ الكفر الجهلُ بالحق أو بغضه، ولا محبة الباطل، وإنما هو أن لهم حظًّا من حظوظ الدنيا، فآثروه علىٰ الدين.

هذا معنىٰ كلام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه اللَّه تعالىٰ وعفا عنه ـ.

وأما ما يعتقده كثيرٌ من الناس عذرًا فإنه من تزيين الشيطان وتسويله؛ وذلك أن بعضهم إذا خوَّفه أولياءُ الشيطان خوفًا لا حقيقة له، ظن أنه يجوز له بذلك إظهارُ الموافقة للمشركين، والانقيادُ لهم. وآخَرُ منهم إذا زَيَّن له الشيطانُ طمعًا دنيويًّا تخيل أنه يجوز له موافقةُ المشركين لأجل ذلك، وشبَّه علىٰ الجهَّال أنه مُكرَه!

وقد ذكر العلماء صفة الإكراه.

▫ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تأملتُ المذاهب، فوجدت الإكراهَ يختلف باختلاف المكرَه عليه؛ فليس الإكراهُ المعتبَرُ في كلمة الكفر كالإكراه المعتبر في الهبة ونحوها؛ فإن أحمد قد نص في غير موضعٍ علىٰ أن الإكراه علىٰ الكفر لا يكون إلا بالتعذيب



من ضربٍ أو قيد، ولا يكون الكلام إكراهًا[١]. وقد نصَّ علىٰ أن المرأة لو وهبت زوجها صَداقها بمسكنه، فلها أن ترجع؛ بناءً علىٰ أنها لا تهب إلا إذا خافت أن يطلقها، أو يسيءَ عشرتها؛ فجعل خوفَ الطلاق أو سوءَ العشرة إكراهًا. ولفظه في موضع آخر: «لأنه أكرهها». ومثل هذا لا يكون إكراهًا علىٰ الكفر؛ فإن الأسير إن خشي من الكفار ألَّا يزوِّجوه، أو أن يحولوا بينه وبين امرأته، لم يُبَحْ له التكلمُ بكلمة الكفر». انتهىٰ.

والمقصود منه أن الإكراه علىٰ كلمة الكفر لا يكون إلا بالتعذيب من ضرب أو قتل[٢]، وأن الكلام لا يكون إكراهًا، وكذلك الخوف من أن يَحُولَ الكفار بينه وبين زوجته لا يكون إكراهًا.

فإذا علمتَ ذلك، وعرفت ما وقع من كثير من الناس، تبين لك قول النبي ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ**»[٣]، وقد عاد غريبًا، وأغرب منه من يعرفُه علىٰ الحقيقة، وباللَّه التوفيق.

(١) يقصد بالكلام: سبَّ الكفار له وإهانته ونحو ذلك. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) في بعض النسخ: «أو قيد».

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

فصل



وأما المسألة الرابعة: وهي مسألة إظهار الدين:

فإن كثيرًا من الناس قد ظن أنه إذا قَدَر علىٰ أن يتلفظ بالشهادتين، وأن يصليَ الصلوات الخمس، ولا يُرَدَّ عن المساجد= فقد أظهر دينه ـ وإن كان مع ذلك بين المشركين، أو في أماكن المرتدين ـ. وقد غلطوا في ذلك أقبح الغلط، وأخطؤوا أكبر الخطأ.

فاعلم أن الكفر له أنواعٌ وأقسام تتعدد بتعدُّد المكفِّرات، وقد تقدم بعض ذلك، وكلُّ طائفة من طوائف الكفر قد اشتُهر عندها نوعٌ منه، ولا يكون المسلم مظهرًا لدينه حتىٰ يخالف كلَّ طائفةٍ بما اشتُهر عندها، ويصرِّح لها بعداوته، والبراءةِ منه:

- فمن كان كفره بالشرك، فإظهارُ الدين عنده التصريح بالتوحيد، والنهي عن الشرك والتحذير منه.

- ومن كان كفره بجحد الرسالة، فإظهار الدين عنده التصريح بأن محمدًا رسول اللَّه ﷺ، والدعوة إلىٰ اتباعه.

- ومن كان كفره بترك الصلاة، فإظهار الدين عنده فِعلُ الصلاة والأمر بها.

- ومن كان كفره بموالاة المشركين والدخول في طاعتهم، فإظهار الدين عنده التصريحُ بعداوته[1]، والبراءة منه ومن المشركين.

---

(١) أي: عداوة دينهم، وهذا ظاهرُ السياق. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

وبالجملة: فلا يكون مظهرًا لدينه إلا مَن صرَّح لمن ساكَنَه مِن كل كافرٍ ببراءته منه، وأظهر له عداوتَه لهذا الشيء الذي صار به كافرًا، وبراءتِه منه؛ ولهذا قال المشركون للنبي ﷺ: «عاب ديننا، وسفَّه أحلامنا، وشتم آلهتنا».

وقال اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس].

فأمر اللَّه تعالىٰ نبيه ﷺ أن يقول لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ...﴾ إلىٰ آخره، أي: إذا شككتم في الدين الذي أنا عليه، فدينكم الذي أنتم عليه أنا بريءٌ منه، وقد أمرني ربي أن أكون من المؤمنين الذين هم أعداؤكم، ونهاني أن أكون من المشركين الذين هم أولياؤكم.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾ [الكافرون].

فأمر اللَّهُ رسولَه ﷺ أن يقول للكفار: دينكم الذي أنتم عليه أنا بريءٌ منه، وديني الذي أنا عليه أنتم برآء منه. والمراد التصريح لهم بأنهم علىٰ الكفر، وأنه بريءٌ منهم ومن دينهم.

فمن كان متبعًا للنبي ﷺ فعليه أن يقول ذلك، ولا يكون مظهرًا لدينه إلا بذلك؛ ولهذا لما عَلِم الصحابةُ بذلك، وآذاهم المشركون أمرهم النبي ﷺ بالهجرة إلىٰ الحبشة، ولو وَجَد لهم رخصةً في السكوت عن المشركين، لَمَا أمرهم بالهجرة إلىٰ بلد الغربة.

وفي السيرة أن خالد بن الوليد لما وصل إلىٰ العِرْض[١] ـ في مسيره إلىٰ أهل اليمامة لما ارتدُّوا ـ قدَّم مِئتي فارس، وقال: «من أصبتم من الناس فخذوه»، فأخذوا مُجَّاعةَ في ثلاثةٍ وعشرين رجلًا من قومه، فلما وصل إلىٰ خالد، قال له: «يا خالد، لقد علمتَ أني قدمتُ إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، في حياته، فبايعته علىٰ الإسلام، وأنا اليوم علىٰ ما كنتُ عليه أمس، فإن يك كذابٌ[٢] قد خرج فينا؛ فإن اللَّه يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، فقال: يا مجاعة، تركتَ اليوم ما كنتَ عليه أمس، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب، وسكوتك عنه ـ وأنت أعزُّ أهل اليمامة، وقد بلغك مسيري ـ إقرارًا له، ورضاءً بما جاء به، فهلا أبديتَ عذرًا، وتكلمت فيمن تكلم؟ فقد تكلم ثمامة؛ فرد وأنكر، وتكلم اليشكري! فإن قلت: أخافُ قومي، فهلا عمدت إليَّ، أو بعثت إليَّ رسولًا؟! فقال: إن رأيت ـ يا ابن المغيرة[٣] ـ أن تعفو عن هذا كله! فقال: قد عفوتُ عن دمك، ولكن في نفسي حرجٌ من تَرْكك». انتهىٰ.

وسيأتي في ذكر الهجرة قول أولاد الشيخ: «إن الرجل إذا كان في بلد كفر، وكان يقدر علىٰ إظهار دينه عندهم، ويتبرأ منهم ومما هم عليه، ويُظهر لهم كفرهم وعداوته لهم، ولا يفتنونه عن دينه لأجل عشيرته أو ماله، فهذا لا يحكم بكفره...» إلىٰ آخره.

والمقصود منه: أن الرجل لا يكون مُظهرًا لدينه حتىٰ يتبرأ من

---

(١) **العِرْض**: إقليم واسع من أقاليم «نجد».
(٢) يشير إلىٰ مسيلمة ـ لعنه اللَّه ـ.
(٣) الخطاب لخالد رضي الله عنه؛ لأنه خالد بن الوليد بن المغيرة.

أهل الكفر الذين هو بين أظهرهم، ويصرح لهم بأنهم كفار، وأنه عدوٌّ لهم، فإن لم يحصل ذلك لم يكن إظهارُ الدين حاصلًا.



فصل

وأما المسألة الخامسة: وهي مسألة الاستضعاف:

فإن كثيرًا من الناس ـ بل أكثر من ينتسب إلىٰ العلم في هذه الأزمان ـ غَلِطوا في معنىٰ «الاستضعاف»، وما هو المراد به، وقد بيَّن اللَّه ذلك في كتابه بيانًا شافيًا:

فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء].

فبيَّن تعالىٰ مقالتهم الدالةَ علىٰ أنهم لم يُقيموا مختارِينَ للمُقام؛ وذلك أنهم يدْعون اللَّه أن يخرجهم، فدل علىٰ حرصهم علىٰ الخروج، وأنه متعذرٌ عليهم. ويدل علىٰ ذلك وصفُهم أهلَ القرية بالظلم، وسؤالُهم ربَّهم أن يجعل لهم وليًّا يتولاهم ويتولونه، وأن يجعل لهم ناصرًا ينصرهم علىٰ أعدائهم الذين هم بين أظهرهم.

وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ [النساء].

فذكر في هذه الآية حالهم التي هم عليها؛ وهي أنهم لا يستطيعون حيلة.

▫ قال ابن كثير: «ولا يقدرون علىٰ التخلص من أيدي المشركين، ولو قدروا ما عرفوا كيف يسلكون الطريق؛ ولهذا قال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾، قال عكرمة: يعني نهوضًا إلىٰ المدينة، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾،

قال مجاهد وعكرمة: يعني طريقًا». انتهىٰ.

والحاصل: أن المستضعفين هم العاجزون عن الخروج من بين أظهُر المشركين، وهم مع ذلك يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾، وهم - مع ذلك - لا يُدَلُّون الطريق(١)، فمن كانت هذه حاله وذلك مقاله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ٩٩﴾ [النساء].

وأما إذا كان يقدرُ علىٰ الخروج من بلاد المشركين، ولم يمنعه من ذلك إلا المشحَّةُ بوطنه، أو عشيرته أو ماله، أو غير ذلك= فإن اللَّه تعالىٰ لم يعذر من تعذَّر بذلك، وسماه: «ظالمًا لنفسه»؛ فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ٩٧﴾ [النساء].

▫ وفي «تفسير الجلالين»: «قوله: ﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾، أي: بالمقام بين المشركين».

▫ وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «فهذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادرٌ علىٰ الهجرة، وليس متمكنًا من إقامة الدين، فهو مرتكب حرامًا بالإجماع وبنص الآية؛ حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾، أي: بترك الهجرة، ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ﴾، أي: لِمَ مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة؟ ﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، أي: لا نقدر علىٰ الخروج من البلد، ولا الذهاب في الأرض، ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

---

(١) أي: لا يدلُّهم أحدٌ علىٰ طريق الفرار.

وروىٰ أبو داود عن سمُرة بن جُندُب مرفوعًا: «**مَن جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله**»[(١)].

وقال السُّدِّي: لما أُسر العباسُ وعَقيلٌ ونوفل، قال رسول اللَّه ﷺ للعباس: «**أفدِ نفسك وابنَيْ أخيك**»، قال: يا رسول اللَّه، ألم نُصَلِّ قِبلتَك، ونشهد شهادتك؟ قال: «**يا عباس، إنكم خاصمتم فخُصمتم**». ثم تلا هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ﴾ الآية. رواه ابن أبي حاتم[(٢)]» انتهىٰ.

والمقصود منه بيانُ مسألة الاستضعاف، وأن المستضعَف هو الذي لا يستطيع حيلةً ولا يهتدي سبيلًا، وهو مع ذلك يقول: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾، وبيان أن الذي يعتذر بوطنه أو عشيرته أو ماله، ويدَّعي أنه يكون بذلك مستضعفًا= كاذبٌ في دعواه، وعذره غير مقبول عند اللَّه تعالىٰ، ولا عند رسوله، ولا عند أهل العلم بشريعة اللَّه.

---

(١) حسن: وقد تقدم.

(٢) ضعيف جدًّا: رواه ابن جرير (٣٨٤/٧)، وابن أبي حاتم (١٠٤٧/٣)، **وإسناده ضعيف جدًّا**، وكذا فيه إعضال؛ فهو من رواية أسباط بن نصر عن السدي، وكلاهما ضعيف، كما أفادني أخي الحبيب أحمد بن سامي أبو عمر الذهبي، نفع اللَّه به. وكذا قال الشيخان سليم الهلالي ومحمد موسىٰ آل نصر في «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٤٧٩/١). واللَّهُ تعالىٰ أعلم.



فصل



وأما المسألة السادسة: وهي وجوب الهجرة وأنها باقية:

فالدليل عليه: قول النبي ﷺ: «**لا تنقطعُ الهجرةُ حتىٰ تنقطع التوبة، ولا تنقطعُ التوبة حتىٰ تطلعَ الشمسُ من مغربها**». رواه أحمد وأبو داود[(١)].

ورویٰ أبو يعلىٰ عن الأزهر بن راشد قال: حَدَّث أنسٌ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تستضيئوا بنار المشركين**»[(٢)].

▫ قال ابن كثير: «معناه: لا تقاربوهم في المنازل؛ بحيث تكونون معهم في بلادهم، بل تباعَدوا منهم، وهاجِروا من بلادهم؛ ولهذا

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/٩٩)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٩/٨٠)، وأبو داود (٢٤٧٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٧١١)، والدارمي (٢/٢٣٩)، وأبو يعلىٰ (٧٣٧١)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٢٦٣٤)، والطبراني في «الكبير» (١٩/٩٠٧)، وفي «مسند الشاميين» (١٠٦٤)، والبيهقي (٩/١٧)، من حديث معاوية رضي الله عنه. **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٤/١٣٦)، وعند أبي داود (٤/١٣٧)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند الأخير ـ أيضًا ـ.

(٢) ضعيف: رواه أحمد (٣/٩٩)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/٤٥٥)، والنسائي (٥٢٠٩)، وفي «الكبرىٰ» (٩٤٦٤)، الطحاوي في «شرح المعاني» (٤/٢٦٣)، والبيهقي (١٠/١٢٧)، وفي «الشعب» (٩٣٧٥)، والضياء في «المختارة» (١٥٤٦)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني عند النسائي، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٩/١٨).

روىٰ أبو داود: «**لا تتراءىٰ ناراهما**»[(١)]، وفي الحديث الآخر: «**من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله**»[(٢)]».

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء].

▫ وروىٰ ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كان قومٌ من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستَخْفُون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم بفعل بعضٍ، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأُكرهوا؛ فاستغفِروا لهم، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾»[(٣)].

▫ وقال الضحاك: «نزلت في أُناس من المنافقين؛ تخلفوا عن رسول اللَّه ﷺ، وخرجوا مع المشركين يوم بدر فأصيبوا». ذكره ابن كثير[(٤)].

▫ ثم قال: «فهذه الآية عامةٌ في كل من أقام بين ظهراني

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٤٦٥)، والتِّرمذي (١٦٩٦)، وفي «العلل الكبير» (٢/٦٨٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٢٦٤)، وابن حزم في «المحلىٰ» (١٠/٣٦٩)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٨/١٣١)، وفي «الشعب» (٨٩٢٩)، من حديث أنس رضي الله عنه. **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٩/١٩)، والشيخ الألباني عند الترمذي.

(٢) **حسن**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) **ضعيف**: رواه الطبري (٥/١٤٩)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/١٠٤٦)، **وضعَّفه** صاحبا «الاستيعاب في بيان الأسباب» (١/٤٨٠).

المشركين، وهو قادرٌ علىٰ الهجرة، وليس متمكنًا من إقامة الدين؛ فهو مرتكبٌ حرامًا بالإجماع وبنص الآية». إلىٰ آخر كلامه الذي تقدم قريبًا.

[بعض أجوبة آل الشيخ محمد بن عبدالوهَّاب رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ](١):

وفي أجوبة آل الشيخ لما سئلوا:

[المسألة الأولى]: هل يجوز للإنسان أن يسافر إلىٰ بلاد الكفار لأجل التجارة أم لا؟

الجواب: إن كان يقدرُ علىٰ إظهار دينه، ولا يوالي المشركين، جاز له ذلك؛ فقد سافر بعضُ الصحابة ـ كأبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره ـ، فلم يُنكر ذلك النبي ﷺ؛ كما رواه أحمد في «مسنده» وغيره(٢).

وإن كان لا يقدر علىٰ إظهار دينه، ولا علىٰ عدم موالاتهم، لم يجُز السفرُ له إلىٰ ديارهم، كما نص علىٰ ذلك العلماء، وعليه تُحمل الأحاديث التي تدلُّ علىٰ النهي عن ذلك؛ ولأن اللَّه تعالىٰ أوجب علىٰ الإنسان العملَ بالتوحيد، وفَرَض عليه عداوة المشركين، فما كان ذريعةً وسببًا إلىٰ إسقاط ذلك لم يجُز. وأيضًا فقد يجرُّه ذلك إلىٰ موافقتهم وإرضائهم؛ كما هو الواقع لكثير ممن يسافرُ إلىٰ بلدان المشركين من فسَّاق المسلمين.

المسألة الثانية: هل يجوزُ للإنسان أن يجلس في بلدِ الكفار، وشعائرُ الشرك ظاهرة لأجل التجارة أم لا؟

الجواب عن هذه المسألة، والجواب عن التي قبلها سواء، ولا فرق

---

(١) تقدمت هذه المسائل ـ أيضًا ـ.

(٢) راجع التعليق في (١/٤٤٧).

في ذلك بين دار الحرب ودار الصلح، فكل بلد لا يقدر المسلمُ علىٰ إظهار دينه فيها لا يجوز السفر إليها.

المسألة الثالثة: هل يفرَّق بين المدة القريبة ـ مثل شهر أو شهرين ـ، وبين المدة البعيدة؟

الجواب: أنه لا فرق بين المدة القريبة والبعيدة، فكل بلدٍ لا يقدر علىٰ إظهار دينه فيها ولا علىٰ عدم موالاة المشركين، لا يجوزُ له المقام فيها ولا يومًا واحدًا، إذا كان يقدر علىٰ الخروج منها. انتهىٰ.

وفي أجوبةٍ أخرىٰ:

وما قولكم في رجل دخل هذا الدين، وأحبَّه، ويحب من دخل فيه، ويبغض الشرك وأهله، ولكنَّ أهل بلده يصرحون بعداوةِ الإسلام، ويقاتلون أهله، ويعتذر بأنَّ تركَ الوطن يشقُّ عليه، ولم يهاجر عنهم بهذه الأعذار؛ فهل يكون مسلمًا هذا أم كافرًا؟

الجواب: أما الرجل الذي عَرف التوحيد وآمن به، وأحبه وأحب أهله، وعَرف الشرك، وأبغضه وأبغض أهله، ولكن أهل بلده علىٰ الكفر والشرك، ولم يهاجر، فهذا فيه تفصيل:

ـ فإن كان يقدر علىٰ إظهار دينه عندهم، ويتبرأ منهم ومما هم عليه من الدين، ويُظهر لهم كفرَهم وعداوته لهم، ولا يفتنونه عن دينه لأجل عشيرته أو ماله أو غير ذلك= فهذا لا يُحكم بكفره. ولكنه إذا قدر علىٰ الهجرة ولم يهاجر ومات بين أظهر المشركين، فنخاف أن يكون قد دخل في أهل هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ الآيتين [النساء: ٩٧]. فلم يعذر اللَّهُ تعالىٰ إلا من لم يستطع

حيلةً ولا يهتدي سبيلًا. ولكن قلَّ أن يوجد اليوم من هو كذلك؛ بل الغالبُ أن المشركين لا يدَعونه بين أظهرهم؛ بل إما قتلوه، وإما أخرجوه.

- وأما من ليس له عذر في ترك الهجرة، وجلس بين أظهرهم، وأظهر لهم أنه منهم، وأن دينهم حقٌّ، ودين الإسلام باطل؛ فهذا كافرٌ مرتد - ولو عرف الدينَ بقلبه -؛ لأنه يمنعه عن الهجرة محبةُ الدنيا علىٰ الآخرة، وتكلم بكلام الكفر من غير إكراه؛ فدخل في قوله: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦].

هذا من جواب الشيخ حسين والشيخ عبداللَّه بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمهم اللَّه تعالىٰ وعفا عنهم -.

ولمَّا سئلوا عن أهل بلد بلغتهم هذه الدعوة، وبعضهم يقول: «هذا الأمر حق، ولا أُغيِّرُ منكرًا، ولا آمُرُ بمعروف»، وينكر علىٰ الموحدين إذا قالوا: «تبرأنا من دين الآباء والأجداد»، والذي يقول: «هذا أمرٌ زينٌ»؛ لا يمكنه أن يقوله جهارًا؟

أجابوا: بأن أهل هذه القرية المذكورين، إذا كانوا قد قامت عليهم الحجة التي يكفر من خالفها، حُكمُهم حكم الكفار، والمسلم الذي بين أظهرهم، ولا يمكنه إظهار دينه تجب عليه الهجرة، إذا لم يكن ممن عَذَره اللَّه، فإن لم يهاجر فحكمُه حكمهم في القتل وأخذ المال. انتهىٰ.

وفي هذه الأجوبة مسائل:

منها: بيان المستضعَف، وأنه الذي لا يستطيعُ حيلةً ولا يهتدي سبيلًا. وقد تقدم ذلك.

ومنها: أن المسلم إذا لم يَقدر علىٰ إظهار دينه وجبت عليه الهجرة، وقد تقدم ـ أيضًا ـ.

ومنها: صفة إظهار الدين؛ وهو أن يصرِّح للكفار بكفرهم وعداوته لهم، ولما هم عليه من الدين. وقد تقدم ـ أيضًا ـ.

ومنها: بيان أنه إذا فعل ذلك ـ أعني صرَّح لهم بكفرهم وعداوته لهم ـ فإنهم لا يتركونه بين أظهرهم؛ بل إما قتلوه وإما أخرجوه.

قلتُ: وقد أخبر اللَّه بذلك عن جميع الكفار:

فقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ١٤﴾ [إبراهيم].

وقال تعالىٰ ـ إخبارًا عن قوم شعيب ـ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ٨٨﴾ [الأعراف].

وقال تعالىٰ ـ إخبارًا عن أصحاب الكهف ـ: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ٢٠﴾ [الكهف].

وقوله: ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ أي: يقتلوكم بالرجم.

وهذا الذي أخبر اللَّه به وأشار إليه أئمة الإسلام هو الواقع في هذه الأزمان؛ فإن المرتدين بسبب موالاة المشركين والدخول في طاعتهم لا يرضَون إلا بمن وافقهم علىٰ ذلك، وإذا أنكر عليهم منكِرٌ آذَوْه أشد الأذىٰ، وأخرجوه من بين أظهرهم؛ بل سعَوا في قتله إن وجدوا إلىٰ ذلك سبيلًا. واللَّه المستعان.



[٣٢]

بيان المحجَّة في الرد على صاحب اللجَّة

لفضيلة الشيخ

عبدالرَّحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيِّم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض ومن فيهن.

وأشهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان].

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي قال اللَّه خطابًا له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب].

اللهم صلِّ علىٰ محمد، وعلىٰ آل محمد وأصحابه، ومن أذهب اللَّه عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرًا.

أما بعد:

فإني وقفت علىٰ جواب للشيخ عبدِاللَّه بن عبدالرَّحمٰن، وقد سئل عن أبيات من «البردة» وما فيها من الغلو والشرك العظيم المضاهي لشرك النصارىٰ ونحوهم ممن صرف خصائص الربوبية والإلٰهيَّة لغير اللَّه ـ كما هو صريح الأبيات المذكورة في البردة[1] ـ.

---

(١) انظر طائفةً من ردود العلماء علىٰ «البردة» علىٰ الرابط التالي: «http://www.saaid.net/feraq/sufyah/39.htm»

ولا يخفىٰ علىٰ من عرف دين الإسلام أنه الشركُ الأكبرُ الذي لا يُغفر لمن لم يَتُب منه، وأن الجنة عليه حرام، وذكر الشيخ في جوابه أن الأبياتِ المذكورةَ تضمنت الشرك، وصَرْفَ خصائص الربوبية والإلٰهيَّة لغير اللَّه، فاعترض عليه جاهلٌ ضال:

فقال ـ مبرِّئًا لصاحب الأبيات من ذلك الشرك بقوله ـ: حماه اللَّه من ذلك، ويكفيه في نفي هذه الشناعة، قوله أول المنظومة:

دع ما ادعتْه النصارىٰ في نبيِّهم ....

لقول النبي ﷺ: «**لا تُطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم**»[1].

الجواب: أن هذه التبرئة إنما نشأت عن الجهل وفساد التصور، فلو عرف الناظمُ وهذا المعترضُ ومن سلك سبيلهما حقَّ اللَّه علىٰ عباده، وما اختص به من ربوبيته، وألوهيته، وعرفوا معنىٰ كلام اللَّه وكلام رسوله= لما قالوه هم وأمثالهم ممن جهل التوحيد، كما قال تعالىٰ في حق من هذا وصفه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ١١٩﴾ [الأنعام].

فالجهل بما بعث اللَّه به رسله قد عم كثيرًا من هذه الأمة؛ فظهر فيها ما أخبر به النبي ﷺ بقوله: «**لتتَّبِعُن سَنن من كان قبلكم حذوَ القُذَّةِ بالقُذَّة، حتىٰ لو دخلوا جُحرَ ضبٍّ لدخلتموه**»، قالوا: يا رسول اللَّه، اليهود والنصارىٰ؟ قال: «**فمن**»[2]؟ ونحو هذا من الأحاديث.

وقوله: ويكفيه في نفي هذه الشناعة قوله أول المنظومة:

دع ما ادعتْه النصارىٰ في نبيِّهم ....

البيت.

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

الجواب: أن هذا يزيده شناعةً ومقتًا؛ لأن هذا تناقضٌ بيِّن، وبرهانٌ علىٰ أنه لا يعلم ما يقول، فلقد وقع فيما وقعت فيه النصارىٰ من الغلو العظيم الذي نهىٰ اللَّه عنه ورسوله، ولَعَن النبيُّ ﷺ مَن فَعَله، أو فعل ما يوصِّل إليه، كقوله: «**لعنة اللَّهُ علىٰ اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» ـ يحذر ما صنعوا[(١)] ـ.

وقال: «**لا تُطروني كما أطرت النصارىٰ ابنَ مريم، إنما أنا عبدٌ؛ فقولوا: عبدُ اللَّه ورسولُه**»[(٢)].

وقوله لما قال له رجل: ما شاء اللَّه وشئت، قال: «**أجعلتني للَّه ندًّا؟ بل ما شاء اللَّه وحده**»[(٣)].

وقال: «**إنه لا يُستغاث بي؛ وإنما يُستغاثُ باللَّه** ﷻ»[(٤)].

فلقد حذَّر أمته وأنذرهم عن الشرك ووسائله، وما رقَّ منه وجلَّ، ودعا الناس إلىٰ التوحيد، ونهاهم عن الشرك، وجاهدهم علىٰ ذلك، حتىٰ أزال اللَّهُ به الشرك والأوثان من جميع الجزيرة، وما حولها من نواحي الشام واليمن وغير ذلك، وقد بعث السرايا في هدم الأوثان وإزالتها، كما هو مذكورٌ في كتب الحديث والتفسير والسِّير.

وكما في حديث أبي الهَيَّاج الأَسَدي ـ الذي في «الصحيح» ـ قال: قال [لي] عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أَلَا أبعثُك علىٰ ما بعثني عليه رسول اللَّه ﷺ؟ «**أَلَّا تَدَعَ قبرًا مشرفًا إلا سوَّيتَه، ولا تمثالًا إلا طَمَسْتَه**»[(٥)].

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) **ضعيف**: وقد تقدم.

(٥) **صحيح**: وقد تقدم.



وقد بعثه النبي ﷺ يوم الفتح لهدم مناة[(١)].

وبعث خالد بن الوليد يومئذٍ لهدم العزىٰ[(٢)].

وقطع السَّمُرات[(٣)] التي كانت تعبدها قريش وهذيل[(٤)].

وبعث المغيرة بنَ شعبة لهدم اللات فهدمها[(٥)].

وأزال من جزيرة العرب وما حولها جميع الأصنام والأوثان التي كانت تُعبد من دون اللَّه.

والصحابة رضي الله عنهم تعاهدوا هذا الأمر، واعتنَوا بإزالته أعظم الاعتناء بعد وفاة رسول اللَّه ﷺ.

وقد أخبر النبيُّ ﷺ بما يقعُ في أمَّته من الاختلاف، كما في حديث العرباض بن سارية، قال: «**فإنه من يَعِشْ منكم فسيرىٰ اختلافًا**

---

(١) **ضعيف**: ذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» (٧٩/١) **بدون سند**، قائلًا: «بعث رسول اللَّه ﷺ إليها أبا سفيان بن حرب فهدمها، ويقال: علي بن أبي طالب».
قلت: وذكر ابن سعد في «الطبقات» (١٣٦/٢)، أن النبي ﷺ أرسل في هدمها سعد بن زيد الأشهلي.

(٢) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٤٨٣)، وأبو يعلىٰ (٩٠٢)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٤٦٢)، والبيهقي في «الدلائل» ـ أيضًا ـ (٧٧/٥)، **وصحَّحه** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «مسند أبي يعلىٰ».

(٣) **السمرات**: الشجرات.

(٤) **صحيح**: وهو نفس تخريج الحديث السابق.

(٥) **ضعيف**: ذكره ابن هشام في «السيرة» (٥٤١/٢) **دون إسناد**، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٣/٥) **دون إسناد** ـ أيضًا ـ. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

كثيرًا...» الحديث[(١)].

فوقع ما أخبر به ﷺ، وعظُم الاختلاف في أصل الدين بعد القرون المفضَّلة ـ كما هو معلوم عند العلماء ـ، ولو أخذنا نذكر ذلك أو بعضه لخرج بنا عن المقصود من الاختصار؛ فانظر إلىٰ ما وقع اليوم من البناء علىٰ القبور والمَشاهد، وعبادتها، فلقد عمَّت هذه البليةُ في كثيرٍ من البلاد، ووقع ما وقع من الشرك وسوء الاعتقاد في أناسٍ ينتسبون إلىٰ العلم.

▫ قال سليمانُ التيميُّ: «لو أخذتَ بزلَّةِ كلِّ عالِمٍ لاجتمع فيك الشرُّ كله»[(٢)].

فإنا للَّه وإنا إليه راجعون.

وقوله: المطابق لقول النبي ﷺ: **«لا تُطروني كما أَطرتِ النصارىٰ ابنَ مريم»**[(٣)].

أقول: لا ريب أن المطابقة وقعت منه ولابد، لكنها في المنهيِّ عنه

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١٢٦/٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والتِّرمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣)، وابن حِبَّان (٥)، والحاكم (١٧٤/١)، والدارمي (٩٦)، وابن وضاح في «البدع» (٧٣)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٤٥)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٧٥١٥)، وابن عبدالبر في «جامع العلم» (١٤٥٦ ـ تهذيبي). **وصحَّحه** الأئمَّة: التِّرمذي، والحاكم، والذهبي، وكذا الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٩٣٧، ٢٧٣٥)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٦٧/٢٨).

(٢) وهذا هو «الانتقاء بالتشهي» بين الأقوال الذي صار سمةً بارزةً عند البعض، أدىٰ بهم إلىٰ التلاعب المقيت بشريعة الرب المجيد.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

لا النهي، فالذي نهىٰ عنه النبي ﷺ من الإطراء طابقته الأبيات من قوله:

يا أكرمَ الخلق ما لي مَن ألوذُ به ... سواك عند حلولِ الحادثِ العَممِ

فقد تضمنت غايةَ الإطراءِ والغلوِّ الذي وقعت فيه النصارىٰ وأمثالهم، فإنه قَصَر خصائص الإلٰهيَّة والربوبية ـ التي قَصَرها اللَّهُ علىٰ نفسه، وقَصرها عليه رسوله ﷺ ـ، فصرفها لغير اللَّه؛ فإن الدعاء مخُّ العبادة[(١)]، واللياذ من أنواع العبادة، وقد جمع في أبياته الاستعانةَ بغير اللَّه، والالتجاءَ والرغبة إلىٰ غير اللَّه؛ فإن غاية ما يقع من المستغيث والمستعين والراغب إنما هو الدعاءُ واللياذ بالقلب واللسان؛ وهذه هي أنواع العبادة التي ذكرها اللَّه تعالىٰ في مواضع كثيرة من كتابه، وشَكَرَها لمن قَصَرها علىٰ اللَّه، ووعده علىٰ ذلك الإجابة والإثابة.

كقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا[(٢)] ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا[(٣)] ﴿٢٢﴾﴾ [الجن].

فهذا هو الدين الذي بعث اللَّه به نبيَّه محمدًا ﷺ، وأمره أن يقول

---

(١) ضعيف: وقد تقدم.

(٢) ﴿لِبَدًا﴾: يركب بعضهم بعضًا ويزدحمون؛ حرصًا علىٰ استماع القرآن.

(٣) ﴿مُلْتَحَدًا﴾: ملجأً ومهربًا.

لهم: ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾؛ فقَصَر الدعاء علىٰ ربه الذي هو توحيد الإلٰهيَّة.

وقال: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا...﴾ إلىٰ آخر الآيات، وهذا هو توحيد الربوبية؛ فوحَّدَ اللَّه في إلٰهيته وربوبيته، وبيَّن للأمة ذلك كما أمره اللَّه تعالىٰ.

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ[1] ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح]، أمره بقصر الرغبة علىٰ ربه تعالىٰ.

وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء].

ونهىٰ عن الاستعاذة بغيره، بقوله تعالىٰ عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا[2] ۝٦﴾ [الجن].

واحتج الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره علىٰ القائلين بخلق القرآن، بحديث خولة بنت حكيم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا: «**مَن نزل منزلًا، فقال: أعوذ بكلماتِ اللَّه التامات من شر ما خلق**...» الحديث[3] = علىٰ أن القرآن غير مخلوق؛ إذ لو كان مخلوقًا لما جاز أن يُستعاذ بمخلوق؛ لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

وأمثال ذلك في القرآن والحديث كثير يظهر بالتدبر.

وأما قول المعترض: «إن النصارىٰ يقولون: إن المسيح ابن اللَّه».

[فالجواب]: نعم قاله طائفة، وطائفة قالوا: «هو اللَّه»، والطائفة الثالثة قالوا: «هو ثالث ثلاثة»؛ وبهذه الطرق الثلاث عبدوا المسيح

---

(١) انظر (٣/٢٩).

(٢) راجع المعنىٰ في (٢/١٤٢).

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.



عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأنكر اللَّه عليهم تلك الأقوال في المسيح. وأنكر عليهم ما فعلوه من الشرك، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة]؛ فأنكر عليهم عبادتهم للمسيح والأحبار والرهبان.

أما المسيح: فعبادتهم له بالتألُّه، وصرف خصائص الإلٰهيَّة له من دون اللَّه، كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١١٦﴾ [المائدة].

فأخبر أن الإلٰهيَّة ـ وهي العبادة ـ حق اللَّه لا يَشرَكُه فيها أولو العزم ولا غيرهم، يبين ذلك قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

وأما عبادتهم للأحبار والرهبان: فإنهم أطاعوهم فيما حلَّلوه لهم من الحرام، وتحريم ما حرموه عليهم من الحلال.

ولما قدم عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ النبي ﷺ بعد فراره من الشام ـ وكان قبلَ مقدمه علىٰ النبي ﷺ نصرانيًّا ـ، فلما قدم علىٰ النبي ﷺ مسلمًا، تلا عليه هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، قال: يا رسول اللَّه، لسنا نعبدهم؛ فقال النبي ﷺ: «**أليس يُحلُّون لكم ما حرَّم اللَّه فتُحلِّونه، ويحرِّمون عليكم ما أحل اللَّه فتحرِّمونه؟**»، قال: بلىٰ، قال: «**فتلك عبادتُهم**»(١).

---

(١) **حسن**: وقد تقدم.

ففيه بيان أن من أشرك مع اللَّه غيره في عبادته، وأطاع غير اللَّه في معصيته = فقد اتخذه ربًّا معبودًا، وهذا بيِّنٌ ـ بحمد اللَّه ـ.

فلو تأمل هذا الجاهلُ المعترض قول اللَّه تعالىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، لعلم أن اللَّه تعالىٰ قد أنكر علىٰ النصارىٰ قولَهم وفِعلَهم، وعلىٰ كل مَن عَبد مع اللَّه غيره بأي نوع من أنواع العبادة؛ لكن هذا وأمثاله كرهوا التوحيد، وأَلِفوا الشرك، وأحبوه، وأحبوا أهله؛ فترامىٰ بهم هذا الداءُ العُضال[1] إلىٰ ما ترىٰ من التخليط والضلال، والاستغناء بالجهل ووساوس الشيطان؛ فمن وجد خيرًا فليحمد اللَّه، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

ولا شفاء لهذا الداء العظيم إلا بالتجرُّد عن الهوىٰ والعصبية، والإقبال علىٰ تدبر الآيات المحكمات في بيان التوحيد الذي بعث اللَّه به المرسلين.

كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس].

ومثل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [آل عمران: ٦٤].

أمره تعالىٰ أن يدعوَ أهل الكتاب إلىٰ أن يُخلصوا العبادة للَّه وحده، ولا يشركوا فيها أحدًا من خلقه؛ فإنهم كانوا يعبدون أنبياءهم ـ كالمسيح بن مريم ـ، ويعبدون أحبارهم ورهبانهم.

---

(١) **العُضال**: الشديد.

وتأمل قوله: ﴿كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾؛ وهذا هو التوحيد الذي بعث اللَّه به رسوله ﷺ إلىٰ جميع من أُرسل إليه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ٣٦﴾ [الرعد].

وقولُه: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ يعمُّ كلَّ شرك؛ دقَّ أو جلَّ، كثُر أو قل.

▫ قال العماد بن كثير في «تفسيره»: «هذا الخطاب مع أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ ومن جرىٰ مجراهم. وقوله: ﴿سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، لا وثنًا ولا صنمًا، ولا صليبًا ولا طاغوتًا، ولا نارًا، ولا شيئًا؛ بل نفرد العبادة للَّه وحده لا شريك له».

قلتُ: وهذا هو معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه».

▫ ثم قال: «وهذه دعوة جميع الرسل، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]». انتهىٰ المقصود.

▫ وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في تفسير قوله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ الآية [آل عمران: ٧٩] ـ: «قال محمد بن إسحاق: حدثنا محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال أبو رافع القُرَظي ـ حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارىٰ من أهل نجران عند رسول اللَّه ﷺ ودعاهم إلىٰ الإسلام ـ: أتريد

ـ يا محمد ـ أن نعبدك كما عَبدت النصارىٰ عيسىٰ ابنَ مريم؟ فقال رجلٌ من أهل نجران ـ يقال له الرئيس ـ: أوَ ذاك تريدُ منا ـ يا محمد ـ، إليه تدعونا ـ أو كما قال ـ؟! فقال رسول اللَّه ﷺ: «**معاذ اللَّه أن نعبد غير اللَّه، أو نأمر بعبادةِ غير اللَّه، وما بذلك بعثني اللَّه، ولا بذلك أمرني**»، أو كما قال ﷺ، فأنزل اللَّه ﷻ في ذلك: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾، إلىٰ قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران][1].

قوله: ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أي: ما ينبغي لبشر آتاه اللَّه الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس: «اعبدوني من دون اللَّه»، أي ـ مع اللَّه ـ، وإذا كان هذا لا يصح لنبيٍّ ولا لمرسل، فلَأَن لا يصحَّ لأحدٍ من الناس بطريق الأولىٰ والأحرىٰ.

ولهذا قال الحسن البصري: «لا ينبغي هذا للمؤمن أن يأمر الناس بعبادته؛ وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضًا». يعني أهل الكتاب.

وقوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾، أي: لا يأمركم بعبادة أحد غير اللَّه، لا مَلَكٍ مقرَّب، ولا نبيٍّ مرسل، ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، أي: لا يفعل ذلك؛ لأن من دعا إلىٰ عبادة غير اللَّه فقد دعا إلىٰ الكفر، والأنبياء إنما يأمرونكم بالإيمان وعبادة اللَّه وحده لا شريك له، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

---

(١) **ضعيف**: رواه ابن إسحاق في «السيرة» (٢/١٨٠)، وابن جرير في «التفسير» (٣/٢٣٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/٣٨٤)، **وضعَّفه** صاحبا «الاستيعاب في بيان الأسباب» (١/٢٦٨).

رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف]، وقال في حق الملائكة: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء]». انتهىٰ، وهو في غاية الوضوح.

وبيان التوحيد، وخصائص الربوبية والإلٰهية، ونظائر هذه الآيات كثير في القرآن، وفي السنة من الأحاديث كذلك.

فإذا كان من المستحيل ـ عقلًا وشرعًا ـ علىٰ رسول اللَّه ﷺ ـ هو وجميع الأنبياء والمرسلين ـ أن يأمروا أحدًا بعبادتهم، فكيف جاز في عقول هؤلاء الجهلة أن يقبلوا قول صاحب البردة:

يا أكرمَ الخلق ما لي مَن ألوذُ به سواك عند حلولِ الحادثِ العَممِ

وقد أخلص الدعاء ـ الذي هو مخ العبادة ـ، واللياذ ـ الذي هو من أنواع العبادة ـ لغير اللَّه، وتضمَّن إخلاص الرغبة والاستكانة والاستغاثة والالتجاء إلىٰ غير اللَّه؟ وهذه هي معظم أنواع العبادة؛ كما أشير إلىٰ ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤] الآية.

وقوله: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ﴾، إلىٰ قوله: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنعام].

وعن أنس مرفوعًا: «**الدعاء مخُّ العبادة**». رواه الترمذي[(١)].

---

(١) **ضعيف**: وقد تقدم.

وقوله:

إن لم تكن في معادي آخذًا بيدي فضلًا وإلا فقل: يا زلَّةَ القدمِ

هذا القول [هو] المنافي لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار].

وقولِه: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١﴾ [الجن].

وقوله: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا﴾ الآية [الأعراف: ١٨٨].

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال لابنته فاطمةَ وأحبِّ الناس إليه: «**يا فاطمةُ بنتَ محمد، سليني من مالي ما شئتِ، لا أغُني عنكِ من اللَّه شيئًا**»(١).

فتأمَّل ما بين هذا وبين قول الناظم من التضادِّ والتباين، ثم المصادمة منه لما ذكره اللَّه تعالىٰ وذكره رسوله ﷺ! كقوله تعالىٰ لرسوله: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٢٨﴾ [آل عمران].

وتأمل ما ذكره العلماء في سبب نزول هذه الآية.

وأمثالُ هذه الآية كثير لم يُنْسَخ حكمها ولم يُغَيَّر، ومَنِ ادَّعىٰ ذلك فقد افترىٰ علىٰ اللَّه كذبًا، وأضلَّ الناس بغير علم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾ [هود].

وبهذا يُعلم أن الناظم قد زلَّت قدمه، اللهم إلا أن يكون قد تاب

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

قبل الوفاة، واللَّه أعلم.

▫ وأما قوله:

فإنَّ مِن جُودك الدنيا وضرَّتَها ....

فمن المعلوم أن الجواد لا يجودُ إلا بما يملكه، فمقتضىٰ ذلك: أن الدنيا والآخرة ليست للَّه بل لغيره، وأن أهل الجنة من الأولين والآخرين لم يُدخلهم الجنةَ الربُّ الذي خلقهم وخلقها لهم؛ بل أدخلَهُمُوها غيره! ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾ [الصافات].

وفي الحديث الصحيح: «**لن يَدخل أحدٌ منكم الجنةَ بعمله**». قالوا: ولا أنت ـ يا رسول اللَّه ـ؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمَّدَنيَ اللَّهُ برحمته**»[(١)].

وقد قال تعالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ [النساء: ١٣٤].

وقوله ﷻ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك].

وقوله: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢].

وقوله: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْأَخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣﴾ [الليل].

فلا شريك للَّه في ملكه؛ كما لا شريك له في إلٰهيته وربوبيته.

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة جدًّا.

▫ وقوله:

.... **ومن علومك علمُ اللوحِ والقلمِ**

---

(١) رواه البخاري (٦٤٦٧) من حديث أمنا عائشة ﵂.

وهذا ـ أيضًا ـ كالذي قبله، لا يجوز أن يقال إلا في حق اللَّه تعالىٰ الذي أحاط علمه بكل شيء.

كما قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٧٣﴾ [الأنعام].

وقال: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦١﴾ [يونس].

وقوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام].

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرةٌ تفوت الحصر.

وكل هذه الأمور من خصائص الربوبية والإلٰهية التي بعث اللَّه رُسلَه [بها]، وأنزل كتبه لبيانها واختصاصها باللَّه ﷻ دون كل من سواه.

وقال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن]، كقوله في آية الكرسيّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فقد أطلع اللَّه مَنْ شاء من أنبيائه ورسله علىٰ ما شاء من الغيب بوحيه إليهم.

فمن ذلك ما جرىٰ من الأمم السالفة، وما جرىٰ عليهم؛ كما قال



تعالىٰ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود: ٤٩].

وكذلك ما تضمَّنه الكتاب والسنة من أخبار المعاد والجنة والنار ونحو ذلك، أطلع اللَّه عليه رسوله ﷺ، والمؤمنون عرفوه من كتاب اللَّه وسنة رسوله، وآمنوا به.

وأما إحاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها، وما كان منها وما لم يكن، فذاك إلىٰ اللَّه وحده؛ لا يُضاف إلىٰ غيره من خلقه، فمن ادَّعىٰ ذلك لغير اللَّه فقد أعظم الفِريةَ علىٰ اللَّه وعلىٰ رسوله ﷺ.

فما أجرأَ هذا القائلَ علىٰ اللَّه في سلب حقِّه! وما أعداهُ لرسوله ﷺ ولمن تولَّاه من المؤمنين والموحدين!

▫ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ـ وذكر قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنما تُنقض عُرَىٰ الإسلام عروةً عروة، إذا نشأ في الإسلام مَنْ لا يعرف الجاهلية» ـ: «وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما عابه القرآن وذمَّه= وقع فيه وأقرَّه، ودعا إليه، وصوَّبه وحسَّنه، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهلُ الجاهلية ـ أو نظيرُه أو شرٌّ منه أو دونه ـ، فتنتقض بذلك عرىٰ الإسلام، ويعود المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والبدعةُ سنةً، والسنةُ بدعة، ويُكَفَّر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويُبَدَّعُ بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقةِ الأهواء والبدع، ومَن له بصيرةٌ وقلبٌ حيٌّ يرىٰ ذلك عيانًا، واللَّه المستعان». انتهىٰ.

قلت: وقد رأينا ذلك ـ واللَّهِ ـ عيانًا من هؤلاء الجهلة الذين

ابتُلينا بهم في هذه الأزمنة، أُشربت قلوبهم الشركَ والبدع، واستحسنوا ذلك، وأنكروا التوحيد والسنة، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق؛ فضلوا وأضلوا.

▫ وأما قول الناظم:

فإن لي ذمةً منه بتسميتي محمدًا ....

فهذا من جهله؛ إذ من المعلوم ـ عند كل من له أدنىٰ مُسكةٍ من عقل ـ أن الموافقة في الاسم لا تنفع إلا بالموافقة في الدين واتباع السنة، فأولياء الرسول ﷺ أتباعُه علىٰ دينه والعمل بسُنته، كما دلَّ علىٰ ذلك الكتاب والسنة.

قال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

وتأمَّل قصة أبي طالب عم النبي ﷺ ـ وقد كان يحوطه ويحميه وينصره، ويجمع القبائل علىٰ نصرته ﷺ وحمايته من أعدائه ـ، وقد قال في حق النبي ﷺ:

لقد علموا أن ابننا لا مكذَّبٌ ... لدَيْنا ولا يُعنىٰ بقول الأباطلِ
حدبتُ بنفسي دونَه وحميتُه ... ودافعتُ عنه بالذُّرَىٰ والكلاكلِ(١)

(١) **حدبت**: عطفت ومنعت. **والذُّرَىٰ**: جمع ذرْوَة، وهي أعلىٰ ظهر البَعير. **والكلاكل**: جمع كَلْكَل، وهو عظم الصَّدْر. والمراد: دافعت عنه بكل طاقتي.

ولما لم يتبرأ من دين أبيه عبدالمطلب، ومات علىٰ ذلك، وقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنه**»، أنزل اللَّه سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة][1].

فلا وسيلة للعبد إلىٰ نيل شفاعة النبي ﷺ إلا بالإيمان به، وبما جاء به من توحيد اللَّه، وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، ومحبتِه واتباعِه، وتعظيمِ أمره ونهيه، والدعوةِ إلىٰ ما بُعث به من دين اللَّه، والنهي عما نهىٰ عنه من الشرك باللَّه والبدع، وما لا فلا.

فعَكَس الملحدون الأمر، وطَلَبوا الشفاعةَ ـ التي بَعث اللَّه رسوله ﷺ بالنهي عنها وإنكارها، وقتالِ أهلها ـ بالشرك، وإحلال دمائهم وأموالهم، وأضافوا إلىٰ ذلك إنكار التوحيد، وعداوة من قام به، واقتفىٰ أثر النبي ﷺ كما تقدَّم في كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من قوله: «ويكفِّر الرجل بمحض الإيمان، وتجريد التوحيد...» إلىٰ آخر كلامه[2].

▫ وأما قول الناظم:

ولن يضيقَ رسولَ اللَّه جاهُك بي ....

فهذا هو الذي ذكر اللَّه عن المشركين، من اتخاذهم الشفعاء ليشفعوا لهم، ويقربوهم إلىٰ اللَّه زلفىٰ.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر].

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) راجع الأثر الذي علَّقته في (١/٧٠).

فهذا هو دين اللَّه الذي لا يقبل اللَّه من أحدٍ دينًا سواه.

ثم ذكر بعد ذلك دين المشركين؛ فقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر].

فتأمَّل كون اللَّه تعالىٰ كفَّرهم بقولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾!

وقال في آخر هذه السورة: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر].

قلت: وقد وقع من هؤلاء؛ من اتخاذهم شفعاء بدعائهم، وطلبهم ورغبتهم، والالتجاء إليهم، وهم أمواتٌ غافلون عنهم لا يقدرون، ولا يسمعون لما طلبوا منهم وأرادوه.

وقد أخبر تعالىٰ أن الشفاعة ملكُه؛ لا ينالها من أشرك به غيرَه، وهو الذي له ملك السماوات والأرض، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف].

فعاملهم اللَّه بنقيض قصدهم من جميع الوجوه، وسجَّل عليهم [الحكمَ] بالضلال.

ولهذه الآية نظائر كثيرة؛ كقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فاطر].

فبيَّن أن دعوتهم غيرَ اللَّه شركٌ باللَّه، وأن المدعوَّ من غيره لا

يملك شيئًا، وأنه لا يسمع دعاء الداعي، ولا يستجيب له، وأن المدعو ينكر ذلك الشرك، ويتبرَّأ منه ومِن صاحبه يوم القيامة.

فمن تأمَّل هذه الآيات، انزاحت عنه ـ بتوفيق اللَّه وفتحه ـ جميع الشبهات.

ومما يشبه هذه الآية ـ في حرمان من أنزل حوائجه بغير اللَّه، واتخذه شفيعًا من دون اللَّه بتوجيه قلبه وقالبه إليه، واعتماده في حصول الشفاعة عليه، كما قد تضمنه بيت الناظم ـ: قولُ اللَّه تعالىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس].

فانظر كيف حرمهم اللَّه الشفاعة لمَّا طلبوها من غيره، وأخبر أن حصولها مستحيلٌ في حقهم بطلبها في دار العمل من غيره، وهذه هي الشفاعة التي نفاها القرآن.

كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقال: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ [الأنعام: ٥١].

فهذه الشفاعةُ المنفيةُ هي التي فيها شرك، وأما الشفاعة التي أثبتها القرآن فإنما ثبتت بقَيدين عظيمين:

١ ـ إذن الرب تعالىٰ للشفيع.

٢ ـ ورضاه عن المشفوع له.

وهو لا يرضىٰ من الأديان الستة المذكورة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ﴾ الآية [الحج: ١٧]، إلا الإيمان الذي أصلُه وأساسه التوحيد والإخلاص.

كما قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾ [الأنبياء].

وقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ﴾ [يونس].

وفي الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ لما ذكر شفاعته قال: «**وهي نائلةٌ ـ إن شاء اللَّه ـ مَن مات لا يشرك باللَّه شيئًا**»(١).

وقال له أبو هريرة رضي الله عنه: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «**من قال: لا إلٰه إلا اللَّه خالصًا من قلبه**»(٢).

▫ قال شيخ الإسلام ـ في هذا الحديث ـ: «فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن اللَّه، ولا تكون لمن أشرك باللَّه».

وقد كشفنا ـ بحمد اللَّه ـ بهذه الآيات المحكمات تلبيسَ هذا المعترض الملبِّس ولَجاجَه وافتراءه علىٰ اللَّه ورسوله؛ فإن دعوة غير اللَّه ضلالٌ وشركٌ ينافي التوحيد، وإن اتخاذ الشفعاء إنما هو بدعائهم، والالتجاء إليهم، وسؤالهم أن يشفعوا للداعي، وقد نهىٰ اللَّه عن ذلك، وبيَّن أن الشفاعة له، فإذا كانت له وحده فلا تُطْلَب

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩) ـ واللفظ له ـ.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

إلا ممن هي ملكه، فيقول: «اللهم شفِّع نبيَّك فيَّ»؛ لأنه تعالىٰ هو الذي يأذن للشفيع أن يشفع فيمن يرضىٰ دينه، وهو الإخلاص ـ كما تقدم بيانه ـ.

وأما قول المعترض: إن المعتزلة احتجُّوا بالآيات التي فيها نفي الشفاعة علىٰ أنها لا تقع لأهل الكبائر من الموحدين.

فأقول: لا ريب أن قولهم هذا بدعةٌ وضلالة، وأنت ـ أيها المجادل في آيات اللَّه بغير سلطان ـ مع المعتزلة في طرفي نقيض، تقول: إن الشفاعة تثبت لمن طلبها وسألها من الشفيع، فجعلت طلبها منه موجِبًا لحصولها، والقرآنُ قد نفىٰ ذلك وأبطله في مواضع كثيرة ـ بحمد اللَّه ـ، والحق أنها لا تقع إلا لمن طلبها من اللَّه وحده، ورغب إليه فيها، وأخلص له العبادة بجميع أنواعها، وهذا هو الذي تقع له الشفاعة قبل دخول النار أو بعده ـ إن دخلها بذنوبه ـ، فهذا هو الذي يأذن اللَّه للشفعاء أن يشفعوا له بما معه من الإخلاص ـ كما صرحت بذلك الأحاديث ـ، واللَّه أعلم.

وقد قدمنا ما دلَّ عليه الكتابُ والسنة = أن ما في القرآن من ذكر الشفاعة ـ نفيًا وإثباتًا ـ فحقٌّ لا اختلاف فيه بين أهل الحق:

ـ فالشفاعة المنفية إنما هي في حق المشرك الذي اتخذ له شفيعًا يطلب الشفاعة منه؛ فيرغب إليه في حصولها ـ كما في البيت المتقدم ـ، وهو كفرٌ كما صرَّح به القرآن.

ـ وأما الشفاعة التي أثبتها الكتابُ والسنة، فقد ثبتت للمذنبين الموحِّدين المخلصين، وهذا هو الذي تظاهرت عليه النصوص، واعتقده أهلُ السنة والجماعة، ودانوا به.

والحديث الذي أشار إليه المعترض من قوله: «**أنا لها، أنا لها**»[(١)]: لا ينافي ما تقرر؛ وذلك أن الناس في موقف القيامة إذا فزعوا إلىٰ الرسل ليشفعوا لهم إلىٰ اللَّه في إراحتهم من كرب ذلك المقام بالحساب ـ وكلٌّ ذكر عُذْرَه ـ، قال النبي ﷺ في هذا الحديث: «**فيأتوني، فأَخِرُّ بين يدي اللَّه ساجدًا** ـ أو كما قال ـ، **فأحمده بمحامدَ يفتحُها عليَّ، ثم يقال: ارفع رأسك، وقلْ يُسمع، وسلْ تُعطه، واشفع تُشَفَّع**»، قال: «**فيَحُدُّ لي حدًّا**[(٢)]**، فأُدخلهم الجنة**»[(٣)].

فتأمَّل كون هذه الشفاعة لم تقع إلا بعد السجود للَّه ودعائه وحمده والثناء عليه.

وقوله: «**فيحد لي حدًّا**» فيه بيان أن اللَّه هو الذي يَحُد له.

وهذا الذي يقع من الناس يوم القيامة مع الرسل هو من باب سؤال الحي الحاضر، والتوسل إلىٰ اللَّه بدعائه؛ كما كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول اللَّه ﷺ في حياته أن يدعو لهم إذا نابهم شيء، كما في حديث الاستسقاء وغيره[(٤)].

ولما تَوفَّىٰ اللَّهُ رسولَه ﷺ لم يكونوا يفعلون عند قبره شيئًا من ذلك البتة، ففرَّق أصحاب رسول اللَّه ﷺ ـ وهم أعلم الأمة وأفضلها ـ بين حالتي الحياة والممات. وكانوا يصلون علىٰ النبي ﷺ عند دخول المسجد والخروج منه، وفي الصلاة والخطب وعند

---

(١) رواه البخاري (٨٥١٠)، ومسلم (١٩٣)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أي: يجعل لي قدرًا معيَّنًا.

(٣) رواه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.



ذكره؛ امتثالًا لقوله ﷺ: «**لا تجعلوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغُني أينما كنتم**»(١).

▫ ولما أراد عمر رضي الله عنه أن يستسقي بالناس، أخرج معه العباس ابن عبدالمطلب رضي الله عنه؛ فقال: «اللهم إنَّا كنا إذا أجْدَبْنا توسَّلْنا إليك بنبيِّنا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»، فيدعو(٢).

فلو جاز أن يتوسل عمرُ والصحابة بذات رسول اللَّه ﷺ بعد وفاته= لما صَلَح منهم أن يَعدِلوا عن النبي ﷺ إلىٰ عمه العباس، فلما عدلوا عنه إلىٰ العباس عُلم أن التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته لا يجوز في دينهم، وصار هذا إجماعًا منهم(٣). لا ينبغي لأحدٍ أن يدعو اللَّه إلا به(٤).

▫ قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «وقد أنكر أئمة الإسلام ذلك؛ فقال أبو الحسن القدوري - في شرح كتاب الكرخي -: قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول: قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحدٍ أن يدعوَ اللَّه إلا به، وأكره أن يقول: «بحق فلان، أو بحق أنبيائك

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) وهذا إشارة إلىٰ ثبوت «الإجماع العملي»، وقد قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله - حال كلامه عن مسألةِ التكبير أيام التشريق، وأنه لم يثبت عن النبي ﷺ وإنما ثبت عن الصحابة رضي الله عنهم -: «وهذا مما يدلُّ علىٰ أن بعضَ ما أَجمعت الأمةُ عليه لم يُنقل إلينا فيه نصٌّ صريحٌ عن النبي ﷺ؛ بل يكتفىٰ بالعمل به» اهـ «فتح الباري» (٦/١٢٤ - ط: دار ابن الجوزي).

(٤) وفوق كل ما سبق ويأتي؛ فإن العبادات توقيفية أصلًا وصفةً.

ورسلك، أو بحق البيت الحرام». قال أبو الحسن: أما المسألة بغير اللَّه فتكره في قولهم؛ لأنه لا حقَّ لغير اللَّه عليه، وإنما الحقُّ للَّه علىٰ خلقه.

وقال ابن بلدجيٍّ[(١)] - في شرح المختار -: ويُكره أن يدعو اللَّه إلا به، فلا يقول: «أسألك بفلان، أو بملائكتك، أو بأنبيائك» ونحو ذلك؛ لأنه لا حق للمخلوق علىٰ خالقه. وما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه: «أكره كذا»، هو عند محمدٍ حرام، وعند أبي حنيفة وأبي يوسف: هو إلىٰ الحرام أقرب، وجانبُ التحريم عليه أغلب[(٢)].

فإذا قرر الشيطان عنده[(٣)] أن الإقسام علىٰ اللَّه به[(٤)] والدعاءَ به أبلغ في تعظيمه واحترامه، وأنجع لقضاء حاجته، نقله درجةً أخرىٰ إلىٰ أن يتخذ قبره وثنًا يَعكف عليه، ويوقِدُ عليه القنديل، ويعلِّقُ عليه الستور، ويبني عليه المسجد، ويعبده بالسجود له والطواف، وتقبيله واستلامه، والحج إليه والذبح عنده، ثم ينقله درجةً أخرىٰ

---

(١) في المطبوع: «بلدمي»، والمثبت من «إغاثة اللهفان» (٣٩١/١ - عالم الفوائد).

(٢) لكن نقل الشافعي في «الأم» عن أبي يوسف: «أن الحرام ما كان يُطلق عند السلف إلا علىٰ ما كان بيِّنًا في كتاب اللَّه بلا تفسير».
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن السلف ما كانوا يحرمون شيئًا إلا بدليل قطعي». نقله عنه ابن مفلح في «الآداب الشرعية». وذكر أن في مذهب أحمد روايتين في المسألة، الثانية: أن التحريم يثبت بالدليل الظني - أيضًا -. اهـ بالمعنىٰ، ونحن نتبع السلف ﵃. اهـ. وهذا التعليق وجدتُه في نسخة الكتاب الموجودة في «الدرر السنية» (٢٤٠/١).

(٣) أي: عند الجاهل بالشرع.

(٤) أي: بالميت.

إلىٰ دعاء الناس لعبادته، واتخاذه عيدًا ومَنْسكًا، وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم.

قال شيخنا[١] ـ قدَّس اللَّه روحه ـ: وهذه الأمور المبتدَعة عند القبور مراتب:

أبعدها عن الشرع: أن يَسأل الميت حاجته، ويستغيث به فيها كما يفعله كثيرٌ من الناس. قال: وهؤلاء من جنس عُبَّاد الأصنام، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب؛ يدعو أحدُهم من يعظِّمه، ويتمثَّل لهم الشيطان أحيانًا، وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة.

ثم ذكر:

المرتبة الثانية: وهي أن يسأل اللَّه به. قال: وهو بدعة باتفاق المسلمين.

والثالثة: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب، أو أنه أفضلُ من الدعاء في المسجد، فهذا ـ أيضًا ـ من المنكرات المبتدَعة باتفاق المسلمين، وهي محرمة، وما علمتُ في ذلك نزاعًا بين أئمة الدين، وإن كان كثيرٌ من الناس يفعل ذلك» انتهىٰ.

ففرضٌ علىٰ كل أحدٍ أن يعلم ما أَمَر اللَّهُ ورسولُه به، من إخلاص العبادة للَّه وحده؛ فإنه الدينُ الذي بعثه اللَّه به، وأن يَترك ما نهىٰ اللَّه عنه ورسوله ﷺ من الشرك فما دونه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ الآية [يونس]، وألَّا يدين[٢] اللَّه تعالىٰ إلا بما دلَّ الدليل علىٰ

---

(١) لا زال الكلام للعلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وشيخه ـ كما هو معلوم ـ هو الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) **يدين:** يعبد.

أنه من دين اللَّه، ولا يكون إمَّعةً يطير مع كل ريح؛ فإن الناس من أمةِ محمدٍ ﷺ والأمم قبلها قد تنازعوا في ربهم وأسمائه وصفاته، وما يجب له علىٰ عباده، وقد قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا[(١)] ﴿٥٩﴾﴾ [النساء].

فيا سعادة من تجرَّد عن العصبية والهوىٰ، والتجأ إلىٰ حصن الكتاب والسنة؛ فإن العلم معرفةُ الهدىٰ بدليله، وما ليس كذلك فجهلٌ وضلال.

وأما قول المعترض: فانظر إلىٰ «الشفاء» تجده حكىٰ كفر مَنْ قال مثل هذه الكلمة، أي: الكلمة التي ذكرها المجيب في معنىٰ قوله: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴿٢١﴾﴾ [الجن] الآيات، وذكر عبارة النسفي في معناها، وهي قوله: «هو إظهار للعبودية، وبراءةٌ عما يختص بالربوبية من علم الغيب، أي: أنا عبدٌ ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر» إلىٰ آخر كلامه.

إذ من عادة هذا المعترض الجاهل ردُّ الحق، والمكابرةُ في دفعه، والغلوُّ المتناهي، وإلا فمن المعلوم عند من له معرفةٌ بدين الإسلام أن المجيب إنما أَتَىٰ في جوابه بتحقيق التوحيد، ونفي الشرك باللَّه، وذلك تعظيمٌ لجانب الرسالة.

وكان النبي ﷺ ينهىٰ أمته عن كلِّ ما يؤول بهم إلىٰ الغلو، ولما قيل له ﷺ: أنت سيدُنا وابن سيدِنا، وخيرُنا وابنُ خيرِنا. قال: «**يا أيها الناس، قولوا بقولكم ـ أو بعض قولكم ـ، ولا يَسْتهوينكم الشيطان،**

---

(١) **التأويل:** العاقبة.

أنا عبدُ اللَّه ورسولُه، ما أُحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني اللَّه تعالىٰ»[(١)].

والنبيُّ ﷺ هو أحقُّ الخلق بالتواضع للَّه وحده سبحانه، وفي الحديث: «**فإنك إن تَكِلْني إلىٰ نفسي تَكِلْني إلىٰ ضَيعةٍ وعَوْرة**[(٢)]، **وذنبٍ وخطيئة، وإني لا أَثِقُ إلا برحمتك...**» الحديث[(٣)].

والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرة؛ يخبر بذلك عن نفسه، ويعترف بذلك لربه ـ وهو الصادق المصدوق [ﷺ] ـ؛ فإذا قال المسلم مثل هذا في حقه ﷺ، وأخبر عنه بما أخبر به عن نفسه= لم يكن منتقصًا له؛ بل هذا من تصديقه والإيمان به.

▫ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا كان الكلام في سياق توحيد الرب ونفي خصائصه عما سواه= لم يجُز أن يقال: هذا سوء عبارة في

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) ومعلومٌ أن العورة هي أضعف شيءٍ في الإنسان.

(٣) **ضعيف**: أحمد (١٩١/٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٣٣/١)، والطبراني في «الكبير» (٤٨٠٣)، وفي «الشاميين» (١٤٨١)، وفي «الدعاء» (٣٢١)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٤٣)، والحاكم (٥١٦/١)، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه. **وصحَّحه** الحاكم، **وأقره** الذهبي، وكذا الحافظ المنذري في «الترغيب» (٩٨٨)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٥٠/١٠): «رواه أحمد والطبراني، وأحد إسنادي الطبراني رجاله وُثِّقوا. وفي بقية الأسانيد أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف» اهـ. **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (٣٩٧)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٥٢١/٣٥)، والشيخ حسين الداراني في تحقيق «مجمع الزوائد» (١٨٨/٢٠).

وراجع الحديث المشابه في (٥٦٠/١).

حق مَن دون اللَّه من الأنبياء والملائكة؛ فإن المقام أجلُّ من ذلك، وكل ما سوىٰ اللَّه يتلاشىٰ عند تجريدِ توحيده، والنبيُّ ﷺ كان أعظم الناس تقريرًا لما يقال علىٰ هذا الوجه، وإن كان نفسَ المسلوب[(١)].

كما في «الصحيحين» في حديث الإفك؛ لما نزلت براءة عائشة ﵂ من السماء، وأخبرها النبي ﷺ بذلك قالت لها أمُّها: «قومي إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، قالت: واللَّهِ لا أقوم إليه، ولا أحمده، ولا إياكما، ولا أحمد إلا اللَّه الذي أنزل براءتي»[(٢)].

فأقرها النبي ﷺ وأبوها علىٰ هذا الكلام الذي نفت فيه أن يُحْمَدَ رسول اللَّه ﷺ.

وفي رواية: «بحمد اللَّه لا بحمدك»[(٣)]، ولم يقل أحدٌ: هذا سوء أدب عليه ﷺ.

وأخرج البيهقي بسنده إلىٰ محمد بن مسلم: سمعت حبان ـ صاحب ابن المبارك ـ يقول: قلت لعبداللَّه بن المبارك: قول عائشة للنبي ﷺ: «بحمد اللَّه لا بحمدك»؛ إني لأستعظم هذا! فقال عبدُاللَّه: «ولَّتِ الحمدَ أهلَه»[(٤)].

وكذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد بسنده عن الأسود بن سَريع ﵁: أن النبي ﷺ أُتِيَ بأسير؛ فقال: اللهم أني أتوب إليك

---

(١) أي: وإن كان بذاته ﷺ هو الذي نُفي عنه الشيء المختص بربه ﷻ.

(٢) رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠)، من حديث أمنا عائشة ﵂.

(٣) رواه البخاري (٤١٤٣)، من حديثها ـ أيضًا ـ ﵂.

(٤) أي: أعطت الحق من يستحقه جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

ولا أتوب إلىٰ محمد، فقال النبي ﷺ: «**عرف الحقَّ لأهلِه**»[(١)]»[(٢)] [انتهىٰ].

وهذا المعترض وأمثالُه ادَّعوا تعظيم أمر رسول اللَّه ﷺ بما قد نهىٰ عنه من الغلو والإطراء، وهضموا[(٣)] ربوبيةَ اللَّه، وتنقَّصوا إلٰهيته، وأتَوا بزخارف شيطانية، وحاولوا أن يكون حقُّ اللَّه تعالىٰ من العبادة التي خَلق لها عبادَه نُهْبَىٰ[(٤)] بين الأحياء والأموات؛ هذا يصرفه لنبيٍّ، وهذا لمَلَكٍ، وهذا لصالح، أو غير هؤلاء ممن اتخذوهم أندادًا للَّه، وعبدوا الشياطين بما أمروهم به من ذلك الشرك باللَّه؛ فإن عبادتهم للملائكة والأنبياء والصالحين إنما تقع في الحقيقة علىٰ مَنْ زيَّنها لهم من الشياطين وأَمَرِهم بها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ

---

(١) قال الإمام السندي رحمه الله: «أي: التوبة حقٌّ له تعالىٰ، فمن قال ذلك فقد عرفها لمستحقها» اهـ. «تحقيق المسند» (٢٤/٣٥٤).

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (٣/٤٣٥)، والطبراني في «الكبير» (٨٣٩)، والحاكم (٤/٢٥٥)، والبيهقي في «الشعب» (٤٤٢٥)، والقَطِيعي في «جزء الألف دينار» (٣٧)، وقِوَام السنة في «الترغيب» (٧٤٩)، **وصحَّحه** الحاكم، **وتعقَّبه** الذهبي مضعِّفًا. **وضعَّفه** ـ أيضًا ـ الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (١/٢٦٠)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٩٩)، وقال: «رواه أحمد والطبراني، وفيه محمد بن مصعب، وثقه أحمد، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح» اهـ. **وضعَّفه** ـ أيضًا ـ الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣٨٦٢)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٤/٣٥٣)، والشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢١/٤٩).

(٣) **هضموا**: انتقصوا.

(٤) **نُهبىٰ**: سرقة متداوَلة.

﴿يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ]، ونحو هذه الآية كثير في القرآن.

▫ ولما ذكر العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما وقع في زمانه من الشرك باللَّه قال: «وهذا هضمٌ للربوبية، وتنقُّصٌ للإلٰهية، وسوءُ ظن برب العالمين».

وذكر أنهم إنما ساوَوْهم باللَّه في العبادة؛ كما قال تعالىٰ عنهم وهم في النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٨﴾ [الشعراء].

وأما ما ذكره عن خالد الأزهري[(١)]، فخالد وما خالد؟ أغرَّك منه كونه شرح «التوضيح» و«الآجرومية» في النحو؟! وهذا لا يمنع كونه جاهلًا في التوحيد الذي بعث اللَّه به رسوله ﷺ، كما جَهِلَه من هو أعلم منه وأقدم منه ممن لهم تصانيف في المعقول؛ كالفخر الرازي، وأبي معشر البلخي ونحوهما ممن غَلِط في التوحيد.

وقد كان خالدٌ هذا يشاهد أهل مصر يعبدون البدويَّ وغيره؛ فما أنكر ذلك في شيء من كتبه، ولا نَقل عنه أحدٌ إنكارَه! فلو صحَّ ما ذكره خالد من حال الناظم= لم يكن جسرًا تُذاد عنه النصوص من الآيات المحكمات القواطع، والأحاديث الواضحات البينات:

كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ

---

(١) هو خالد الأزهري الجرْجاوي ـ نسبةً إلىٰ «جرجا» مدينة مصرية ـ (٨٣٨ هـ/١٤٣٤م ـ ٩٠٥/١٤٩٩م).

رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ [المؤمنون].

وقول النبي ﷺ: «**من مات وهو يدعو للَّه ندًّا دخل النار**»[(١)].

وقد يَستدرج اللَّهُ أهلَ الشرك بأمور تقعُ لهم يظنونها كراماتٍ عقوبةً لهم، وكثيرٌ منها أحوالٌ شيطانية أعانوا بها أولياءهم من الإنس؛ كما قد يقع كثيرًا لعُباد الأصنام.

- وما أحسن ما قال بعضُهم:

تَخالَفَ الناسُ فيما قد رأوا ورَوَوْا
وكلُّهم يدَّعون الفَوزَ بالظَّفرِ
فخُذْ بقولٍ يكونُ النصُّ ينصرُه
إما عن اللَّهِ أو عن سيد البشرِ

وقد حاول هذا الجاهلُ المعترضُ صرف أبيات البردة عما هو صريحٌ فيها، ونصٌّ فيما دلَّت عليه من الشرك في الربوبية والإلٰهية ومشاركة اللَّه في عِلمِه ومُلكه، وهي لا تحتمل أن تُصرف عما هي فيه من ذلك الشرك والغلو، فما ظفر هذا المعترضُ من ذلك بطائل؛ غير أنه وَسَم نفسه بالجهل والضلال والزور والمحال، ولو سكت لسلم من الانتصار لهذا الشرك العظيم الذي وقع فيه.

وأما قول المعترض: ورد في الحديث: «**لولا حبيبي محمدٌ ما خلقت سمائي ولا أرضي، ولا جنتي ولا ناري**»[(٢)].

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم (١/٢٩٩).

(٢) **موضوع**: ولم أقف عليه بهذا اللفظ.

ورواه الحاكم (٢/٦١٤)، والخلال في «السنة» (٣١٦)، من حديث ابن =

فـ[الجواب]: [أن] هذا من الموضوعات لا أصل له، ومَن ادَّعىٰ خلاف ذلك فليذكر من رواه من أهل الكتب المعتمدة في الحديث، وأنىٰ له ذلك؟ بل هو من أكاذيب الغلاة الوضاعين.

وقد بيَّن اللَّه تعالىٰ حكمته في خلق السماوات والأرض في كثير من سورة القرآن؛ كما في الآية التي تأتي بعدُ، وهي قول اللَّه تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق]، ولها نظائرها تبين حكمة الرب في خلق السماوات والأرض.

وقوله: وكيف ينكَرُ تصرفه [ﷺ] في إعطاء أحدٍ بإذن اللَّه من الدنيا في حياته، أو في الآخرة بعد وفاته؟

أقول: هذا كلام من اجترأ وافترىٰ، وأساء الأدب مع اللَّه، وكَذَب

= عباس رضي الله عنهما ـ موقوفًا ـ قال: «أوحىٰ اللَّه إلىٰ عيسىٰ عليه السلام: يا عيسىٰ، آمن بمحمدٍ، وأْمُرْ من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به؛ فلولا محمدٌ ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت الجنة ولا النار. ولقد خلقتُ العرش علىٰ الماء فاضطرب؛ فكتبت عليه: لا إلٰه إلا اللَّه محمد رسول اللَّه فسكن». **وصحَّحه** الحاكم، فتعقبه الذهبي بقوله: «أظنه موضوعًا علىٰ سعيد [بن المسيب]». وقال الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٨٠): «**لا أصل له مرفوعًا**». **وأقرَّ** الذهبيَّ علىٰ قوله السابق.

ورواه الحاكم (٦١٥/٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣٧/٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٤٨٩/٥)، من حديث عمر رضي الله عنه ـ ضمن حديث ـ عنه ﷺ أن اللَّه تبارك وتعالى قال لآدم عليه السلام: «**لولا محمد ما خلقتك**». **وضعَّفه** البيهقي، **وصحَّحه** الحاكم، وحكم عليه الذهبي **بالوضع**. وحكم عليه **بالبطلان** في «ميزان الاعتدال» (٤٤٩/٢)، **ووافقه** الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (١٢/٥)، وكذا فعل الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٥).

علىٰ رسوله ﷺ، ولم يعرف حقيقة الشفاعة، ولا عرف تفرُّدَ اللَّهِ بالملك يوم القيامة. وهل قال رسول اللَّه ﷺ أو أحدٌ من أصحابه أو مَن بعدهم من أئمة الإسلام: إن أحدًا يتصرَّف يوم القيامة مع اللَّه في ملكه؟ ولو أُطلقت هذه العبارة في حق رسول اللَّه ﷺ لادَّعاها كلٌّ لمعبوده من نبيٍّ أو مَلَكٍ أو صالحٍ أنه يشفع له إذا دعاه!

﴿سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الفرقان: ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥].

وقال: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ].

وهذا القول الذي قاله هذا الجاهلُ قد شافَهَنا به جاهلٌ مثله بمصر، يقول: «الذي يتصرف في الكون سبعة: البدوي، والإمام الشافعي، والشيخ الدسوقي»، حتىٰ أكمل السبعة من الأموات، يقول: «هذا وليٌّ له شفاعة، وهذا صالحٌ كذلك».

وقد قال اللَّه تعالىٰ: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر]، إلىٰ قوله: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر].

وأيُّ ظلمٍ أعظم من الشرك باللَّه، ودعوىٰ الشريك له في الملك والتصرف؟ وهذا غاية الظلم.

□ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ]: «نفىٰ اللَّهُ عما سواه كلَّ ما يتعلق به المشركون؛ فنفىٰ أن يكون لغيره ملكٌ، أو قِسطٌ منه، أو يكون عونًا للَّه، ولم يبق

إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أَذِن له الرب؛ فالشفاعة التي يظنها المشركون منتفيةٌ ـ كما نفاها القرآن ـ، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده ـ لا يبدأ بالشفاعة أولًا ـ، ثم يقال له: «**ارفع رأسَك، وقلْ يُسمع، وسل تُعطَ، واشفعْ تُشفَّع**»(١).

وقال له أبو هريرة رضي الله عنه: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال: لا إلٰه إلا اللَّه خالصًا من قلبه**»(٢).

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن اللَّه، ولا تكون لمن أشرك باللَّه.

وحقيقتها أن اللَّه سبحانه هو الذي يتفضَّل علىٰ أهل الإخلاص؛ فيغفر لهم بواسطة دعاء مَن أَذِن له أن يشفع ليكرمه، وينال المقام المحمود، فالشفاعة التي نفاها القرآن [هي] ما كان فيها شركٌ؛ ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل الإخلاص والتوحيد» انتهىٰ.

▫ وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «مدارج السالكين»: «وقد قطع اللَّه الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها، فقال اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ].

فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع، والنفعُ لا يكون إلا ممن فيه خصلةٌ من هذه الأربع: إما مالكٌ لما يريد

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

عابدُه منه، فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك، فإن لم يكن شريكًا له كان معينًا له وظهيرًا، فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده، فنفىٰ ـ سبحانه ـ المراتب الأربع نفيًا مرتَّبًا منتقلًا من الأعلىٰ إلىٰ الأدنىٰ، فنفىٰ المُلك والشِّركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعةً لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه.

فكفىٰ بهذه الآية نورًا وبرهانًا، وتجريدًا للتوحيد، وقطعًا لأصول الشرك ومَوَادِّه لمن عَقَلها، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمُّنِه له، ويظنه في نوعٍ وقومٍ قد خَلَوا من قبلُ ولم يُعقبوا وارثًا، فهذا هو الذي يحول بين القلب وفهم القرآن. ولعمر اللَّه إن كان أولئك قد خَلَوْا، فقد وَرِثهم من هو مثلهم أو دونهم، وتناوُلُ القرآن لهم كتناوله لأولئك».

▫ إلىٰ أن قال: «ومن أنواعه ـ أي الشرك ـ: طلب الحوائج من الموتىٰ، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصلُ شِركِ العالَم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا ـ فضلًا عن أن يملك لمن استغاث به، وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلىٰ اللَّه ـ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده، فإنه لا يقدر أن يشفع له عند اللَّه إلا بإذنه، واللَّهُ لم يجعل استغاثته وسؤاله سببًا لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمالُ التوحيد، فجاء هذا المشرك بسببٍ يمنع الإذن، وهو بمنزلة مَنِ استعان في حاجته بما يمنع حصولها، وهذه حالة كل مشرك، فجمعوا بين الشرك بالمعبود، وتغييرِ دينه، ومعاداةِ أهل التوحيد، ونسبة أهله إلىٰ التنقُّص

للأموات[(١)]، وهم قد تنقَّصوا الخالق بالشرك به، وأولياءه الموحدين له بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقَّصوا مَن أشركوا به غاية التنقص؛ إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم يوالونهم عليه. وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم!».

▫ قال: «وما نجا من شَرَكِ[(٢)] هذا الشِّرك الأكبر إلا من جرَّد توحيده للَّه، وعادىٰ المشركين في اللَّه، وتقرَّب بمقتهم إلىٰ اللَّه، واتخذ اللَّهَ وحده وليَّه وإلٰهه ومعبوده، فجرَّد حبه للَّه، وخوفه للَّه، ورجاءه للَّه، وذُلَّه للَّه، وتوكله علىٰ اللَّه، واستعانته باللَّه، والتجاءه إلىٰ اللَّه، وأخلص قصده للَّه؛ متبعًا لأمره، متطلبًا لمرضاته؛ إذا سأل سأل اللَّه، وإذا استعان استعان باللَّه، وإذا عمل عمل للَّه وباللَّه ومع اللَّه» انتهىٰ.

فرحم اللَّه هذا الإمامَ وشيخه؛ فلقد بيَّنا حقيقة الشرك، وطُرقَه، وما يبطله.

وفي حديث ابن عباس أن رسول اللَّه ﷺ قال له: «**إذا سألتَ فاسألِ اللَّه، وإذا استعنتَ فاستعن باللَّه**»[(٣)]، ولم يقل: فاسألني أو استعن بي. فقَصَر السؤال والاستعانة علىٰ اللَّه اللذين لا يستحقهما[(٤)] سواه، كما في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة]. فمن صَرَف ذلك

---

(١) في المطبوع: «النقص بالأموات». والتصويب من «مدارج السالكين» (١/٣٥٤).

(٢) **الشَّرَك** ـ بفتح الشين والراء ـ: الفخُّ.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) في المطبوع و«المدارج»: «يستحقه»، ولعل الأصح ما أثبتُّه، عودًا علىٰ العبادة والاستعانة. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

لغير اللَّه فقد عصىٰ اللَّه ورسوله، وأشرك باللَّه.

وللمعترض كلامٌ ركيكٌ لا حاجة لنا إلىٰ ذكر ما فيه، وإنما نتتبع من كلامه ما يحتاج إلىٰ ردِّه وإبطاله كجنس ما تقدم.

واعلم أنه قال ـ لما ذكر قول المجيب ـ: إنه لا يجتمع الإيمان بالآيات المحكمات، وتلك الأبيات لما بينهما من التنافي والتضاد.

قال المعترض: أقول: يجتمعان بأن يُفرَدَ اللَّهُ بالعبادة، ولا يقدح فيه تشفُّعُه بأحبابه إليه، وكيف يُحكَمُ عليه بالضلال بمجرد طلبه الشفاعة ممن هو أهلٌ لها؛ كما في الحديث: «**أنا لها، أنا لها**»[(١)]، ومعلوم أن الضلال ضد الحق؟

فالجواب: لا يخفىٰ ما في كلامه من التخليط والتلبيس والعصبية المشوبة بالجهل المركب، لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري[(٢)].

وقد بيَّنَّا ـ فيما تقدم ـ أن دعوة غير اللَّه ضلال، وأن اتخاذ الشفعاء ـ الذي أنكره اللَّه تعالىٰ ـ إنما هو بدعائهم والالتجاء إليهم والرغبة إليهم فيما أراده الراغبُ منهم من الشفاعة التي لا يقدر عليها إلا اللَّه؛ وذلك ينافي الإسلام والإيمان بلا ريب؛ فإنَّ طلبها من الأموات والغائبين طلبٌ لما لا يقدر عليه إلا اللَّه، وهو خلافٌ لما أمر اللَّه به تعالىٰ، وارتكاب لما نهىٰ عنه؛ كما تقدم بيانه في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ الآية [يونس: ١٨]. وقولِه: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ الآية

---

(١) **صحيح:** وقد تقدم (٢/٢٩).

(٢) وصدق من قال: «شر المصائب الجهل، وشرٌّ منه: الجهلُ بالجهل».

[الإسراء]، وقولِه: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

فطلبُ الشفاعة من النبي ﷺ أو غيره بعد وفاته وبُعدِه عن الداعي= لا يحبُّه اللَّه تعالىٰ ولا يرضاه ولا رسوله ﷺ، وهو التوسل الذي ذكره العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وشيخه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وصرَّحا بأنه شرك.

▫ وللعلامة [ابن القيم] من أبياتٍ في المعنىٰ، وهي قوله:

والشركُ فهو توسلٌ مقصودُه الز ... لفىٰ من الربِّ العظيمِ الشانِ
بعبادةِ المخلوق من حَجَرٍ ومن ... بشرٍ ومن قبرٍ ومن أوثانِ
والناسُ في هذا ثلاثُ طوائفٍ ... ما رابعٌ أبدًا بذي إمكانِ
إحدىٰ الطوائف مشركٌ بإلٰهه ... فإذا دعاه دعا إلٰهًا ثاني
هذا وثاني هذه الأقسامِ ذ ... لك جاحدٌ يدعو سوىٰ الرَّحمٰنِ
هو جاحدٌ للرب يدعو غيره ... شركًا وتعطيلًا له قدمانِ
هذا وثالثُ هذه الأقسام خيرُ ... الخلق ذاك خلاصةُ الإنسانِ
يدعو إلٰهَ الحق لا يدعو ولا ... أحدًا سواه قطُّ في الأكوانِ
يدعوه في الرغباتِ والرهباتِ ... والحالاتِ من سرٍّ ومن إعلانِ

وقد أنكر اللَّه ذلك الدعاء علىٰ من زعم في الرسل والملائكة ذلك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء].

▫ قال طائفة من السلف: «كان أقوامٌ يدْعون المسيح وأمه، وعُزيرًا والملائكة، فأنكر اللَّه ذلك، وقال: هؤلاء عبيدي كما أنتم

عبيدي، يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي».

وهؤلاء الذين نزلت هذه الآيةُ في إنكار دعوتهم هم من أوليائه وأحبائه، وقد تقدَّم أن الدعاء وجميع أنواع العبادة حقٌّ للَّه مختصٌّ به ـ كما تقدم في الآيات ـ.

والحاصلُ أن اللَّه تعالىٰ لم يأذن لأحدٍ أن يتخذ شفيعًا من دونه يسأله ويرغب إليه ويلتجئ إليه، وهذا هو العبادة، ومَن صرف من ذلك شيئًا لغير اللَّه فقد أشرك مع اللَّه غيره ـ كما دلت عليه الآيات المحكمات ـ، وهذا ضدُّ إفراد اللَّه بالعبادة.

وكيف يُتصور إفراده بالعبادة وقد جعل[1] العبد ملاذًا ومفزعًا سواه؟ فإن هذا ينافي الإفراد، فأين ذهب عقل هذا وفهمه؟!

▫ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه اللَّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة» انتهىٰ.

وقد تبيَّن أن الدعاء مخُّ العبادة، وهو مما يحبُّه ويأمر به عباده، وأن يخلصوه له، وقد تقدم من الآيات ما يدل علىٰ ضلال من فعل [غير] ذلك وكُفرِه.

وبهذا يحصل الجواب عن قول المعترض: إن الشفاعة المنفية إنما هي في حق الكفار.

فنقول: من[2] اتخذ معبودًا سوىٰ اللَّه يرجوه أو يخافه فقد كفر، وتأمَّل قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ

(١) في المطبوع: «جعل له»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.
(٢) في المطبوع: «فمن»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل].

فبيَّن تعالىٰ أن المخلوق لا يصلح أن يُدْعَىٰ من دون اللَّه، وأن مَنْ دعاه فقد أشرك مع اللَّه غيره في الإلٰهية، والقرآنُ من أوله إلىٰ آخره يدل علىٰ ذلك، وكذلك سنة رسول اللَّه ﷺ، ولكن الملحدين محجوبون عن فهم القرآن، كما حُجِبُوا عن الإيمان بجهلهم وضلالهم وإعراضهم عما أَنزل اللَّه في كتابه من بيان دينه الذي رضيه لنفسه ورضيه لعباده.

▫ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «وحقيقةُ التوحيد أن يُعبد اللَّه وحده، ولا يدعىٰ إلا هو، ولا يُخشىٰ ولا يُتقىٰ إلا هو، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، وألَّا تُتخذ الملائكة والنبيون أربابًا، فكيف بالأئمة والشيوخ؟! فإذا جُعل الإمام والشيخ كأنه إلٰهٌ يدعىٰ مع غيبته وموته، ويستغاث به، ويُطلب منه الحوائج، كان مشبَّهًا باللَّه، فيخرجون عن حقيقة الإسلام الذي أصله شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه» انتهىٰ.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **«إذا سألت فاسألِ اللَّه، وإذا استعنتَ فاستعن باللَّه»**[(١)].

فلو جاز أن يُسأل ﷺ، لَمَا قَصَر سؤاله واستعانته علىٰ اللَّه وحده، وابن عباس من أحق الناس بأن يُعلِّمه النبي ﷺ ما فيه له منفعة، فلو جاز صرف ذلك لغير اللَّه لقال: «واسألني واستعن بي»، بل أتىٰ ﷺ في مقام الإرشاد والإبلاغ والنصح لابن عمه بتجريد

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

إخلاص السؤال، والاستعانة باللَّه[١] تعالىٰ. فأين ذهبت عقول هؤلاء الضُّلال عن هذه النصوص؟ واللَّه المستعان.

▫ وقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «واعلم أن لفظ «الدعاء والدعوة» في القرآن يتناول معنيين: دعاء العبادة، ودعاء المسألة، وكلُّ عابدٍ سائل، وكلُّ سائلٍ عابد، وأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه. وإذا جُمع بينهما فإنه يراد بالسائل الذي يَطلب لجلب المنفعة ودفع المَضَرَّة بصِيَغ السؤال والطلب، ويراد بالعابد: مَن يَطلب ذلك بامتثال الأمر ـ وإن لم يكن هناك صيغة سؤال ـ. ولا يتصور أن يخلو داعٍ للَّه ـ دعاء عبادة، أو دعاء مسألة ـ، مِنَ الرَّغَبِ والرَّهَبِ والخوفِ والطمع» انتهىٰ.

فتبين أن أبيات البُرْدة ـ التي قدمنا الكلام عليها ـ: تنافي الحق وتُناقضه. وماذا بعد الحق إلا الضلال؟

وقول المعترض: لا سيما والناظم علىٰ جانبٍ عظيم من الزهد والورع والصلاح؛ بل وله يدٌ في العلوم ـ كما حكىٰ ذلك مترجموه ـ. وهذا صار كله هباءً منثورًا؛ حيث لم يرضوا عنه[٢].

أقول: هذه دعوىٰ تحتمل الصدق والكذب. والظاهر أنه لا حقيقة لذلك؛ فإنه لا يُعرف إلا بهذه المنظومة، فلو قُدِّر أن لذلك أصلًا فلا

---

(١) في المطبوع: «علىٰ اللَّه»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

(٢) وهذه الطريقة من «قواعد» و«أصول» أهل الهوىٰ عبر العصور؛ إذا أعيتهم الأدلة أن تساعدهم علىٰ ضلالهم؛ فإنهم يقابلون مخالفهم بأن يحتجوا بمكانة من يقلِّدونه ومنزلته من العلم والزهد!! وهذا في ميزان العلم والمناظرة لا وزن له ولا اعتبار، فمكانةُ المقلَّد ـ بالفتح ـ شيء، ودلائلُ الاحتجاج في موارد النزاع شيءٌ آخر.

ينفعه ذلك؛ مع تلك الأبيات؛ لأن الشرك يُحبط الأعمال، كما قال تعالىٰ ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٨٨﴾ [الأنعام]، وقد صار العمل مع الشرك هباءً منثورًا.

▫ قال سفيان بن عيينة: «احذروا فتنةَ العالم الفاجر، والعابد الجاهل؛ فإن فتنتهما فتنةٌ لكل مفتون».

فإن كان في الرجل عبادة فقد فَتن بأبياته كثيرًا من الجهال، وعبادته ـ إن كانت ـ لا تمنع كونه ضالًّا؛ كما يرشد إلىٰ ذلك آخرُ الفاتحة.

▫ قال سفيان بن عيينة: «مَن فسد من علمائنا ففيه شبهٌ من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا ففيه شبهٌ من النصارىٰ».

فالواجب علينا أن نبيِّن ما في كلامه مما يُسْخِطُ اللَّهَ ورسولَه من الشرك والغلو.

وأما هذا الشخص وأمثاله ممن قد مات، فيسعنا السكوت عنه؛ لأنا لا ندري ما آل أمرُه إليه، وما مات عليه، وقد عرفت أن كلام خالد الأزهري لا حجة فيه.

وأهل الغلو والشرك ليس عندهم إلا المنامات والأحوال الشيطانية التي يحكيها بعضهم عن بعض؛ كما قال لي بعض علماء مصر: إن شيخًا مشىٰ بأصحابه علىٰ البحر، وقال: «لا تذكروا غيري». وفيهم رجلٌ ذكر اللَّه، فسقط في البحر، فأخذ بيده الشيخ فقال: «ألم أقل لكم: لا تذكروا غيري؟!».

فقلت: هذه الحكاية تحتمل أحد أمرين لا ثالث لهما:

أحدهما: أن تكون مكذوبةً مثل أكاذيب سَدَنة الأوثان.

[الثاني]: أو أنها حالٌ شيطانية[(١)].

وأسألك ـ أيها الحاكي لذلك ـ: أيكون فيها حجةٌ علىٰ جواز دعوة غير اللَّه؟ فأقَرَّ، وقال: لا حجة فيها علىٰ ذلك.

والمقصود أنه ليس عند الغلاة من الحجة إلا ما زَخرَفُوه أو حَرَّفُوه أو كَذَبوه، وأما «قال اللَّه قال رسوله»، فهذا ـ بحمد اللَّه ـ كله عليهم لا لهم، وما حرفوه من ذلك رُدَّ إلىٰ صحيح معناه الذي دل عليه لفظه مطابقةً وتضمنًا والتزامًا[(٢)]، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ

---

(١) وفيها من تشكيك العامة والأغمار في ربِّهم جَلَّ شَأْنُهُ وإسائه ظنهم فيه ﷻ ما فيها.

(٢) الفرق بين الثلاثة كالآتي:

١ ـ **دلالة المطابقة**: دلالة اللفظ علىٰ جميع مدلوله، فمثلًا: كلُّ اسم من الأسماء الحسنىٰ للَّه ﷻ دالٌّ علىٰ: المسمىٰ به، وهو اللَّه ﷻ، وعلىٰ الصفة المشتق منها هذا الاسم.

٢ ـ **ودلالة التضمن**: دلالةُ اللفظ علىٰ بعض مدلوله ـ وليس كله ـ، كأن يدلَّ الاسم من الأسماء الحسنىٰ علىٰ الذات وحدها، أو علىٰ الصفة وحدها.

٣ ـ **ودلالة الالتزام**: دلالته علىٰ شيءٍ يُفهم لا من لفظ الاسم، لكن من لازمه؛ ولذا سُمي: دلالة الالتزام.

ومثاله: كلمة «الخالق»: اسم يدل علىٰ ذات اللَّه، ويدل علىٰ صفة الخَلْق.

فباعتبار دلالته علىٰ الأمرين يسمىٰ: «دلالة مطابقة»؛ لأن اللفظ دل علىٰ جميع مدلوله، ولا شك أنك إذا قلت: «الخالق»، فإنك تفهم خالقًا وخَلْقًا.

وباعتبار دلالته علىٰ «الخالق» وحده، أو علىٰ «الخلق» وحده يسمىٰ: =

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ [الأنعام].

وذكر المعترضُ حكايةً: يقول: عن غير واحد من العلماء العظام أنهم رأوا النبيَّ ﷺ[(١)] والمنظومة تُنْشَد بين يديه... إلىٰ قوله: لكن للخصم منعُ ذلك كله بقوله: إنهم كفار!

فالجواب أن يقال: ليس هذا وجهَ المنع، وإنما وجهُه أنها حكاية عن مجهول، وهذا من جنس إسناد الأكاذيب؛ فلو قيل: مَن هؤلاء العظام؟ وما أسماؤهم؟ وما زمنهم؟ وما طبقتهم؟ لم يُدْرَ عنهم، وأخبار المجهولين لا تُقبَلُ شهادةً ولا روايةً يقظةً، فكيف إذا كانت أحلامًا؟ والمعترض كثيرًا ما يحكي عن «هيان بن بيان»[(٢)].

ثم قال المعترض ـ علىٰ قول المجيب: وطلب الشفاعة من النبي ﷺ ممتنعٌ شرعًا وعقلًا ـ، قال المعترض: من أين هذا الامتناع؟ وما دليله من العقل والسمع؟

فالجواب أن يقال: معلوم أن دليله من الجهتين لا تعرفه أنت ومن

= «دلالة تضمُّن»؛ لأنه دل علىٰ بعض معناه، وليس كله.
وباعتبار دلالته علىٰ العلم والقدرة يسمىٰ: «دلالة التزام»؛ إذ لا يمكن خلقٌ إلا بعلمٍ وقدرة، فدلالته علىٰ القدرة والعلم دلالةُ التزام.
وهكذا تستطيعُ فهم المراد من الدلالات الثلاثة مع سائر الكلام. واللَّهُ تعالىٰ أعلم. وانظر فيما سبق: «شرح العقيدة الواسطية»، للعلامة محمد ابن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/١٢١).

(١) أي: في المنام.

(٢) وفضلًا عن هذا كلِّه؛ فإن المنامات لا يحتجُّ بها في الشرعيات إجماعًا.

كان مثلك، وإنما معرفتك في اللَّجاج[1]، الذي هو كالعَجَاج[2] الذي يَحُومُ في الفِجاج.

أما دليله من السمع: فقد تقدم في آيات الزُّمَر ويونس وغيرها، وقد بسطنا القول في ذلك بما يغني عن إعادته؛ فلْيُرجَع إليه.

وأما دليله من العقل: فالعقل الصحيح يقضي ويحكم بما يوافق النقل؛ بأن النجاة والسعادة والفلاح وأسباب ذلك كلِّه لا تحصل إلا بالتوجه إلىٰ اللَّه تعالىٰ وحده، وإخلاص الدعاء والالتجاء له وإليه؛ لأن الخير كله بيديه، وهو القادر عليه[3].

وأما المخلوق فليس في يده من هذا شيء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ [فاطر].

فتسوية المخلوق بالخالق خلاف العقل، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾ [النحل].

فالذي له الخلق والأمر، والنِّعمُ كلُّها منه، وكل مخلوق فقيرٌ إليه لا يَستغني عنه طرفة عين= هو الذي يستحق أن يُدْعَىٰ وَيُرْجَىٰ ويُرْغَبُ إليه، وَيُرْهَبُ منه، ويُتَّخَذَ مَعَاذًا ومَلاذًا، ويُتوَكَّلُ عليه، وقد قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر].

وقال المفسرون ـ المحققون السلفيون المتَّبِعُون ـ في قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ [الأنفال]، أي: لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا

---

(١) **اللَّجاج**: الجدال.

(٢) **العجاج**: الغُبار.

(٣) مع التنبيه علىٰ أن دلالة النقل تُغني عن دلالة العقل.

منه، ولا يرغبون إلا إليه. ويعلمون أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في المُلك وحده لا شريك له، ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ[(١)] وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد].

▫ ولهذا قال سعيد بن جبير: «التوكل جماع الإيمان». ذكره العماد ابن كثير في «تفسيره».

ولْيُتَأَمَّل ما ذكره اللَّه تعالىٰ عن صاحب «يس» من قوله: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [يس]، فهذا دليلٌ فطري عقلي سمعي.

وأما قول المعترض: إن قول الناظم: ومن علومك علم اللوح والقلم: «إن «من» بيانية».

فالجواب: أنه ليس كما قال؛ بل هي «تبعيضية»[(٢)]، ثم لو كانت

---

(١) **المعقِّب**: المعدِّل. أي: لا يعدِّلُ عليه أحدٌ شيئًا من أحكامه السامية ﷻ.

(٢) أهم الفروق بين «مِن» البيانية و«من» التبعيضيَّة ما يلي:

- «من» التبعيضية: تدلُّ علىٰ البَعْضية؛ وعلامتها: أنه يمكن حذفُها، ووقوع كلمة «بعض» مكانها، وأن يعمَّ ما قبلها ما بعدها إذا حذفت، نحو: «أخذت من الدراهم».
- و«من» البيانية: يكثر وقوعها بعد «ما» و«مهما» لإفراط إبهامهما، كقوله تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢]، وقد تقع بعد غيرهما؛ كقوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

وعلامتها: صحة وقوع الموصول موقعها، مع ضمير يعود علىٰ ما قبلها إن بَيَّنت معرفةً، كقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾، أي: الذي هو الأوثان؛ لأن الرجس عام يشمل الأوثان وغيرها. =



بيانية فما ينفعه، والمحذور بحاله، وهو أنه يعلم ما في اللوح المحفوظ، وقد صَرَّحَ المعترضُ بذلك؛ فقال: ولا شك أنه أوتي علمَ الأولين والآخرين، وعلم ما كان وما يكون.

فالجواب: هذه مُصادمة لما هو صريح في كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ بأن الإحاطة بما في اللوح المحفوظ علمًا ليس إلا للَّه تعالىٰ وحده، كذلك علم الأولين والآخرين ليس إلا للَّه وحده، إلا ما أَطلعَ اللَّهُ عليه نبيَّه في كتابه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فالرجل في عمًىٰ عن قول اللَّه تعالىٰ: ﴿بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق]، وقد تقدم لهذه الآيات نظائر.

فإحاطة العلم بالموجودات والمعدومات ـ التي وُجدت أو ستوجد ـ للَّه وحده، لم يجعل ذلك لأحد سواه.

وقال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ(١) قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فأسند علم وقت الساعة إلىٰ ربه بأمره؛ كقوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ [النازعات].

= فإن بيَّنت نكرةً فعلامتها أن يقع موقعَها الضمير وحده؛ كقول اللَّه ﷻ: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١]؛ أي: هي سندس وإستبرق.

(١) ﴿مُرْسَىٰهَا﴾: ظهورها ووقوعها.

وأمثال هذه الآيات مما يدلُّ علىٰ أن اللَّه تعالىٰ اختص بعلم الغيب كلِّه إلا ما استثناه بقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾، و«من» تبعيضية هاهنا بلا نزاع. وقد قال الخضر لموسىٰ عليهما السلام: «**ما نقص علمي وعلمُك من علم اللَّه إلا كما نَقَص هذا العصفورُ من هذا البحر**»[1]، فتأمل هذا وتدبر!

وأما قول المعترض: وتأويله لقول اللَّه تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]:

فتأويلٌ فاسدٌ، ما قاله أحد غيره؛ ولا يقوله مسلم من أنه يعلم الغيب بتعليم اللَّه له، والمنفي في الآية: أن يعلمه بنفسه بدون أن يُعْلِمَهُ اللَّه ذلك.

فما أجرأَ هذا الجاهل علىٰ هذا التأويل، وما أجهلَه باللَّه وبكتابه!

فيقال في الجواب: لا ينفعك هذا التأويل الفاسد؛ إذ لو كان يعلم أحدٌ جميع الغيب بتعليم اللَّه = لصدق عليه أن يقال: «هذا يعلم الغيب كله الذي يعلمه اللَّه»، فما بقي علىٰ هذا ـ لقصر علم الغيب علىٰ اللَّه ـ في هذه الآية معنىٰ، وحصل الاشتراك، نعوذ باللَّه من الافتراء علىٰ اللَّه، وعلىٰ كتابه، وخرق ما لم يُنزلِ اللَّهُ به سلطانًا.

- وأما قوله في قول الناظم:

إن لم تكن في معادي آخذًا بيدي ....

إن الأخذ باليد بالشفاعة.

---

(١) رواه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠)، من حديث أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه.

فالجواب: أن حقيقة هذا القول وصريحه: طلب ذلك من غير اللَّه، فلو صح هذا الحملُ فالمحذور بحاله، لِمَا قد عرفتَ من أن الاستغاثة بالأموات والغائبين والاستشفاع بهم في أمرٍ هو في يد اللَّه ممتنعٌ حصوله؛ لكونه تأليهًا وعبادةً، وقد أبطله القرآن.

فهذا المعترِض الجاهل يدور علىٰ منازعة اللَّه في حقه وملكه وشمول علمه، واللَّه يجزيه بعمله.

وأما قوله(١): ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فقيل: المراد بها: الخمس المذكورة في سورة لقمان. وهذا قبل أن يُطْلِعَ اللَّهُ نبيَّه عليها، وإلا فقد ذكر عامةُ أهل العلم أنه لم يتوفَّه اللَّه تعالىٰ حتىٰ علَّمه كل شيء حتىٰ الخمس.

فالجواب: انظر إلىٰ هذا المفتري الجاهل البليد، كيف اقتفىٰ أثر صاحب الأبيات في جميع ما اختلقه وافتراه، وأكثَرَ من الأكاذيب علىٰ أهل العلم في قوله: «ذَكَر عامةُ أهل العلم أنه لم يتوفَّه اللَّه حتىٰ علَّمه كل شيء حتىٰ الخمس»! فحاشا أهل العلم ـ الذين يُعرفون بأنهم أهلُ العلم ـ من هذه المقالة، وعامة أهل العلم ـ بل كلهم ـ علىٰ خلاف ما ادعاه سلفًا وخلفًا.

▫ قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسيره الكبير ـ الذي فاق علىٰ أكثر التفاسير ـ: «ابتدأ ـ تعالىٰ ذِكرُه ـ الخبر عن علمه بمجيء الساعة؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ التي تقوم فيها القيامة، لا يعلم ذلك أحد غيره، ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ من السماء لا يقدر علىٰ ذلك أحدٌ غيره، ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ أرحام

---

(١) يعني المعترض الجاهل.

الإناث، ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗا﴾، يقول: وما تعلم نفسُ حيٍّ ماذا تعمل في غد، ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾، يقول: وما تعلم نفسُ حيٍّ بأيِّ أرضٍ تكون ميتتها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾ [لقمان]، يقول: إن الذي يعلم ذلك كله هو اللَّه دون كل أحد سواه».

▫ وذكر بسنده عن مجاهد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾. قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ؛ فقال: امرأتي حُبلىٰ: فأخبِرْني ماذا تلد؟ وبلادنا محلٌ جدبةٌ؛ فأخبرني متىٰ يَنزل الغيث؟ وقد علمتُ متىٰ ولدتُ، فمتىٰ أموت؟ فأنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ إلىٰ آخر السورة.

قال: فكان مجاهد يقول: هن مفاتح الغيب التي قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]»[(١)].

▫ وأخرج بسنده عن قتادة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية: «خمس من الغيب استأثر اللَّه بهن، فلم يُطلِعْ عليهن ملَكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلًا».

▫ وبسنده عن عائشة رضي الله عنها: «من قال: إن أحدًا يعلم الغيب إلا اللَّه فقد كذب وأعظم الفِرْيَة علىٰ اللَّه، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾».

وبالسند عن عبداللَّه بن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**مفاتح الغيب خمسٌ لا يعلمُهن إلا اللَّه**، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ

---

(١) **ضعيف**: رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/٥٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/٣١٠١)، **وإسناده ضعيف للإرسال**، وكذا قال صاحبا «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٣/٦٩).



وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ [لقمان: ٣٤]»[1].

وقال ـ أيضًا ـ: «**لا يعلمُ أحدٌ ما في غدٍ إلا اللَّه، ولا يعلم أحدٌ متىٰ يَنزل الغيثُ إلا اللَّه، ولا يعلم أحدٌ متىٰ قيامُ الساعة إلا اللَّه، ولا يعلم أحدٌ ما في الأرحام إلا اللَّه، ولا تدري نفسٌ بأي أرض تموت إلا اللَّه**»[2].

▫ وبسنده عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَن حدَّثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب». ثم قرأت: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗا﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**خمسٌ لا يعلمهن إلا اللَّه**، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾[3]». انتهىٰ ما ذكره ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

وذكر البغوي في تفسيره حديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما المتقدم.

▫ ثم قال: «وقال الضحاك ومقاتل: ﴿مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾: خزائن الأرض، وقال عطاء: ما غاب عنكم من الثواب. وقيل: انقضاء الأجل. وقيل: أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم. وقيل: ما لم يكن بعدُ، أنه يكون أم لا يكون، وما لا يكون كيف يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف يكون» انتهىٰ.

---

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) رواه البخاري (٤٦٩٧)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ـ أيضًا ـ.
(٣) رواه البخاري (٤٧٧٧).
ورواه ـ أيضًا ـ (٥٠)، ومسلم (٩).

قلتُ: ولا يُعْرَفُ عن أحد من أهل العلم خلافُ ما دلَّت عليه هذه الآيات المُحكَمات، ونعوذ باللَّه من مخالفة ما أنزله اللَّه في كتابه، وما أخبر به عن نفسه، أو أخبر به رسوله ﷺ، وأجمع العلماء عليه؛ فإن اللَّه استأثر بعلمه عن خلقه، ووصف نفسه بأنه علام الغيوب، ونعوذ باللَّه من حال أهل الافتراء والتكذيب.

وأما قوله: ولو أن عبارات أهل العلم ـ مثل البيضاوي وأبي السعود والقسطلاني وأمثالهم ـ تُجْدِي لديكم شيئًا لذكرناها، لكنها تُمْحَىٰ بلفظة واحدة وهي: أنهم كلهم كفار! فانظر كيف خرج به البغض والتعصب لمذهبه وهواه إلىٰ البُهْت البحت؛ فلا يقبل منهم أحدًا، ومَن هذا حاله = فلا حيلة به.

فالجواب: أنه ليس للبيضاوي ومَن ذُكر عبارةٌ تخالف ما قاله السلف والعلماء في معنىٰ الآيات، ومعاذ اللَّه أن يقول المجيب: إن هؤلاء كفار، ولا يوجد عن أحد من علماء المسلمين أنه كَفَّرَ أحدًا قد مات من هذه الأمة ممن ظاهره الإسلام، فلو وجد في كلامه زلةٌ من شركٍ أو بدعة، فالواجب التنبيه علىٰ ذلك، والسكوت عن الشخص؛ لما تقدم من أنَّا لا ندري ما خاتمته. وأما هؤلاء الذين ذكرهم من المفسرين فإنهم من المتأخرين الذين نشؤوا في اغترابٍ من الدين.

والمتأخرون يغلب عليهم الاعتمادُ علىٰ عبارات أهل الكلام المُخالِفة لما عليه السلفُ وأئمةُ الإسلام ـ من الإرجاء، ونفي حكمة اللَّه، وتأويل صفات اللَّه تعالىٰ، وسلبِ معانيها ـ ما يقارب ما في «كشاف» الزمخشري. والإرجاءُ والجبر يقابل ما فيه من نفي القدر، وكلاهما في طَرَفَيْ نَقِيضٍ، وكُلٌّ خَالَفَ ما عليه أهلُ السُّنة والجماعة في ذلك. ومعلوم أن صاحب «الكشاف» أقدمُ من هؤلاء الثلاثة،



وأرسخ قدمًا منهم في فنون من العلم.

▫ ومع هذا فقد قال شيخ الإسلام البُلقيني: «استخرجتُ ما في «الكشاف» من دسائس الاعتزال بالمناقيش»[(١)].

▫ وقال أبو حيان ـ وقد مدح «الكشاف» وما فيه من لطيف المعنىٰ ـ، ثم قال:

ولكنه فيه مجالٌ لناقدٍ وزلاتُ سوءٍ قد أخذْنَ المخانقا

فيُثبتُ موضوعَ الأحاديثِ جاهلًا ويعزو إلىٰ المعصومِ ما ليس لائقا

ويَنسبُ إبداءَ المعاني لنفسه ليُوهِمَ أغمارًا وإن كان سارقا[(٢)]

ويُسهِبُ في المعنىٰ الوجيز دلالةً بتكثير ألفاظٍ تُسمىٰ الشقاشقا

يُقَوِّلُ فيها اللَّهَ ما ليس قائلًا وكان مُحِبًّا في الخطابةِ وامقا[(٣)]

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما «الزمخشري» فتفسيره محشو بالبدعة، وعلىٰ طريقة المعتزلة من إنكار الصفات والرؤية، والقول بخلق القرآن، وأنكر أن اللَّه مريدٌ للكائنات، وخالقٌ لأفعال العباد، وغير ذلك من أصول المعتزلة... وهذه الأصول حشا بها كتابه بعبارة لا يهتدي أكثر الناس إليها ولا لمقاصده فيها، مع ما فيه من الأحاديث الموضوعة، ومن قلة النقل عن الصحابة والتابعين» اهـ. «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/٣٨٦، ٣٨٧).

▪ وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة الزمخشري: «صالح، لكنه داعية إلىٰ الاعتزال ـ أجارنا اللَّه ـ؛ فكن حَذِرًا من (كشَّافه)» اهـ. «ميزان الاعتدال» (٤/٧٨).

(٢) **الأغمار**: الجهلاء.

(٣) **الوامق**: شديد المحبة.

=

ويشتمُ أعلامَ الأئمة ضِلَّةً ... ولا سيما إنْ أولجوه المضايقا

إلىٰ أن قال:

لئن لم تَدارَكْه من اللَّه رحمةٌ ... لسوف يُرىٰ للكافرين مرافقا

فإذا كان هذا في تفسير مشهور، وصاحبه معروف بالذكاء والفهم، فمَن دونه من المتأخرين أولىٰ بألَّا يُتَلَقَّىٰ من كلامه بالقبول إلا ما وافق تفسير السلف، وقام عليه الدليل.

وهذا المعترضُ مِن جَهلَه يَحسبُ أن كل بيضاء شحمة، يُعَظِّم المفضولَ من الأشخاص والتصانيف، ولا يعرف ما هو الأفضل. ولو كان له أدنىٰ مُسْكَةٍ من فهمٍ ومعرفةٍ للعلماء ومصنفاتهم= لعلم أن أفضل ما في أيدي الناس من التفاسير هذه الثلاثة التي نقلنا منها: تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وتفسير الحسين بن مسعود البغوي، وتفسير العماد إسماعيل بن كثير.

فهذه أجلُّ التفاسير، ومُصَنِّفُوهَا أئمةٌ مشهورون أهلُ سنة؛ ليسوا بجهمية، ولا معتزلة، ولا قَدَرية، ولا مجبرة، ولا مرجئة ـ بحمد اللَّه ـ.

وأكثر ما في هذه التفاسير: الأحاديث الصحيحة، وآثار الصحابة، وأقوال التابعين وأتباعهم، فلا يَرغب عنها إلا الجاهلون الناقصون المنقوصون، واللَّه المستعان.

والمصنِّفُون في التفسير وغيره ـ غير ما ذكر المعترض ـ كثيرون، وأحسنُ من البيضاوي وأبي السعود: «البحر» لأبي حيان؛ لأنه كثيرًا

= وقد وردت كلمة «الخطابة» في المطبوع و«الدرر»: «المخاطب». والتصويب من «البحر المحيط» (١٤/٤٥٧ ـ ط: الرسالة).

ما ينقل في تفسيره عن السلف والأئمة، وكذلك «تفسير الخازن».

وبالجملة: فمن كان من المصنفين أبعدُ عن تقليد المتكلمين وذِكْرِ عباراتهم؛ ويعتمد أقوال السلف، فهو الذي ينبغي النظر إليه والرغبة فيه. وعلىٰ كل حال فليس في تفسير البيضاوي وأبي السعود وشرح القَسْطَلَّاني و«مواهبه» ما ينفع هذا الجاهلَ المفتري، وكُلٌّ يُؤْخَذ من قوله ويترك إلا رسول اللَّه ﷺ.

وقول المعترض على قول المجيب: علماؤهم شَرُّ مَنْ تحت أديم السماء، فيقال: قد ورد هذا الحديث في أهل العراق، فهم علىٰ عهد النبي ﷺ كفارٌ مجوس، أو فيما يأتي؛ فهذه شَنَاعةٌ علىٰ غالب علماء الأمة، ومنهم الإمام أبو حنيفة والإمام أحمد وأمثالهم.

فالجواب: أن هذا كلام مَن لا يعقل ولا يفهم شيئًا، ولا يفرِّق بين أهل السنة والجماعة وأهل البدعة والضلالة؛ ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ. قال: «**لا تقومُ الساعة حتىٰ يَعبد فِئَامٌ من أمتي الأوثان، ولا تزال طائفةٌ من أمتي علىٰ الحق ظاهرين؛ لا يضرُّهم من خَذَلهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتيَ أمرُ اللَّه وهم علىٰ ذلك**». رواه البَرْقاني في «صحيحه»[(١)].

---

(١) **صحيح**: رواه ـ بلفظه ـ: البَرْقاني ـ كما في «الجمع بين الصحيحين» (٥٣٥/٣) ـ. ورواه ـ بنحوه ـ أحمد (٢٧٨/٥)، والطيالسي (٩٩١)، وابن أبي شيبة (٤٥٨/١١)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢١٧٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٨٧)، وفي «الآحاد والمثاني» (٤٥٦)، وأبو عوانة في الجهاد (٧٥٠٩)، وابن حبان (٧٢٣٨)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٤٦٤) والبيهقي في «الدلائل» (٥٢٦/٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠١٥). من حديث ثوبان رضي الله عنه. وقال الترمذي: «**حسن صحيح**»، =

وقد أخبر النبي ﷺ: «**أن أمته ستفترقُ كما افترقت اليهود والنصارىٰ؛ فاليهود افترقت علىٰ إحدىٰ وسبعين [فرقةً]، والنصارىٰ علىٰ ثِنْتين وسبعين، وهذه الأمةُ علىٰ ثلاثٍ وسبعين فرقةً؛ كلها في النار إلا واحدة؛ وهي الجماعة**»[(١)].

وأول من فارق الجماعة في عهد الصحابة رضي الله عنهم: الخوارج؛ قاتلهم عليٌّ رضي الله عنه بالنَّهْروان. والقدرية في أيام ابن عمر وابن عباس، وأكثر الصحابة موجودون، ومن دعاتهم مَعْبد الجهني وغَيلان القدري الذي قتله هشام بن عبدالملك. كذلك الغُلاة في عليٍّ الذين خَدَّ لهم عليٌّ الأخاديدَ وحَرَّقَهم بالنار، ومنهم المختار بن أبي عبيد الذي قتله مصعب بن الزبير، ادعىٰ النبوة، وتبعه خلقٌ كثير.

ثم ظهرت فتنة الجهمية، وأول من أظهرها الجعد بن درهم، فقتله خالد بن عبداللَّه القسري، والصحابة رضي الله عنهم والتابعون والأئمة متوافرون وقتَ ظهور مبادئ هذه البِدَع، لم يَلحقهم من ضلال هذه الفرق شناعةٌ ولا غضاضة؛ لأنهم متمسكون بالكتاب والسنة، منكرون لما خالف الحق.

وصح من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يأتي علىٰ الناس زمانٌ إلا والذي بعده شرٌّ منه حتىٰ تلقَوْا ربكم**». سمعته من نبيكم ﷺ[(٢)].

= **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٧/٧٩).

وهو في «صحيح مسلم» (١٩٢٠) ـ مختصرًا ـ.

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) رواه البخاري (٧٠٦٨).



وظهرت بدعة جهم بن صفوان في زمن أبي حنيفة، وأنكرها وناظرهم. وانتشرت في زمان الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ والفقهاء وأهل الحديث. وامتُحِنَ الإمام أحمد، فتمسك بالحق وصبر. وصَنَّفَ العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ المصنفاتِ الكبارَ في الرد علىٰ الجهمية القائلين بخلق القرآن، المعطلين لصفات الملك الديان، كالإمام أحمد في رده المعروف، وابنه عبداللَّه، وعبدالعزيز الكناني في كتابه «الحيدة»، وأبي بكر الأثرم، والخَلَّال، وعثمان بن سعيد الدارمي، وإمام الأئمة محمد بن خزيمة، واللالكائي، وأبي عثمان الصابوني، وقبلهم وبعدهم ممن لا يُحْصَىٰ، وهذا كله إنما هو في القرون الثلاثة المفضلة.

ثم بعدها ظهرت كل بدعة: بدعة الفلاسفة، وبدعة الرافضة، وبدعة المعتزلة، وبدعة المُجبرة، وبدعة أهل الحلول، وبدعة أهل الاتحاد، وبدعة الباطنية الإسماعيلية، وبدعة النُّصَيْرِيَّة والقرامطة ونحوهم.

وأما أهل السنة والجماعة فيردُّون بدعةَ كل طائفة من هؤلاء الطوائف بحمد اللَّه. فالأئمة متمسكون بالحق في كل زمان ومكان، والبلد الواحد من هذه الأمصار يجتمع فيها أهل السنة وأهل البدعة، وهؤلاء يناظرون هؤلاء، ويُناضِلُونهم[1] بالحُجَج والبراهين، وظهر معنىٰ قول النبي ﷺ: «**خيرُ القرون قرني، ثم الذين يلُونهم، ثم الذين يلونهم، ثم إنها تَخْلُفُ من بعدهم خُلُوفٌ؛ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بلسانه فهو**

(١) **المناضلة**: المقارعة والمحاربة.

مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبةُ خردل»[(١)].

وقال ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ؛ فطوبىٰ للغرباء الذين يَصْلُحُونَ إذا فسد الناس»[(٢)].

وفي رواية: «يُصْلِحُونَ ما أفسد الناس»[(٣)].

وقد صنَّف العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في بيان الثنتين والسبعين الفرقة عدة مصنفات، وبيَّنُوا ما انْتَحَلَتْهُ[(٤)] كلُّ فرقة من بدعتها المخالفة لما عليه الفرقة الناجية، وليس علىٰ الفرقة الناجية شناعةٌ ولا نقصٌ في مخالفة هذه الفرق لها. وإنما ظهر فضلُ هذه الفرقة بتمسكها بالحق، وصبرها علىٰ مخالفة هذه الفِرَق الكثيرة، والاحتجاج بالحق ونصرته.

وما ظهر فضل الإمام أبي حنيفة والإمام أحمد ومن قبلهما من الأئمة ومن بعدهما إلا بتمسكهم بالحق ونُصْرته وردهم الباطل. وما ضر شيخَ الإسلام أحمد بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ وأصحابه حين أجلب عليهم أهلُ البدع وآذَوْهم؛ بل أظهر اللَّه بهم السنة، وجعل لهم لسان صدق في الأمة. وكذلك مَن قبلهم ومن بعدهم، كشيخنا شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ لما دعا إلىٰ التوحيد، وبَيَّن أدلته، وَبَيَّن الشركَ وما يبطله.

---

(١) رواه مسلم (٥٠)، من حديث عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) **ضعيف جدًّا**: وقد تقدم.

(٣) **ضعيف**: وقد تقدم.

(٤) **انتحلته**: اعتقدته وانتسبت إليه.



▫ وفيه قال الإمام العلامة الأديب أبو بكر حسين بن غنام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وعاد به نهجُ الغواية طامسًا ... وقد كان مسلوكًا به الناسُ ترتعُ
وجرَّت به نجدٌ ذيولَ افتخارها ... وحُقَّ لها بالألمعيِّ تَرَفُّعُ
فآثارُه فيها سَوَامٍ سوافرُ ... وأنوارُه فيها تضيءُ وتسطعُ[(١)]

فهذا المعترض لو تصور وعقل لَتبيَّن له أن ما احتج به ينقلب حجةً عليه.

وقول المعترض: وإن كان قد ورد في حق أهل الحرمين، فهذا ظاهر البطلان، إذ هي مهبط الوحي، ومنبع الإيمان، ولو قيل: إن هذا الحديث وأمثاله ورد في ذم نجد وأهلها، فقد ورد في ذمهم أحاديثُ كثيرةٌ شهيرة؛ منها قوله ﷺ: «**لا يزالون في شرٍّ من كذَّابهم إلىٰ يوم القيامة**»[(٢)].

فالجواب أن نقول: الأحاديث التي وردت في غربة الدين وحدوث البدع وظهورها لا تختص بمكة والمدينة، ولا غيرهما من البلاد، والغالب أن كل بلد لا يخلو من بقايا متمسكين بالسنة، فلا معنىٰ لقوله: «وإن كان قد ورد في حق أهل الحرمين»، والواقع يشهد لما قلنا.

وقد حدث في الحرمين في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم - بل وفي وقت الخلفاء الراشدين - ما هو معروف عند أهل العلم مشهور في

(١) **سوامٍ:** عاليةٌ شريفة. جمع «سامية». **سوافر:** مضيئة.
(٢) **لا أصلَ له:** وسيأتي بيان المصنف لهذا، وأنه من كلام ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا، قاله في أُناسٍ بعينهم.

السير والتاريخ، وأول ذلك مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﵁، ثم وقعة الحَرَّة المشهورة، ومقتل ابن الزبير في مكة، وما جرىٰ في خلال ذلك من الفتن، وصارت الغلبة في الحرمين وغيرها لأهل الأهواء. فإذا كان هذا وقع في خير القرون، فما ظنك فيما بعدُ، حين اشتدَّت غربةُ الإسلام، وعاد المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا؟ نشأ علىٰ هذا الصغير، وهَرِم عليه الكبير.

وأما قوله: إذ هي مهبط الوحي ومنبع الإيمان.

فالجواب أن نقول: مهبط الوحي في الحققة: قلب رسول اللَّه ﷺ، كما قال تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] فهذا محل الوحي ومستقره.

وقوله: «ومنبع الإيمان»: الإيمان ينزل به الوحي من السماء لا ينبع من الأرض، ومحله قلوب المؤمنين، وهذه السور المكية في القرآن معلومةٌ ـ التي نزلت علىٰ النبي ﷺ، وأكثر من في مكة المشركون ـ، وفيها ذمُّهم والردُّ عليهم:

كقوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٦٦].

وقوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦].

وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام]، ونحو هذه الآيات، كما في «فُصِّلت والمدثِّر» وغيرهما.

ثم هاجر النبي ﷺ وأصحابه إلىٰ المدينة، وأهل الشرك لم يزالوا بها، ومنعوا رسول اللَّه ﷺ وأصحابَه من دخولها بالوحي،

وقاتلوهم ببدر وأُحُد والخندق، وهم كانوا آخر العرب دخولًا في الإسلام ـ حاشا مَنْ هاجر ـ، وكل هذا بعد نزول الوحي.

ونحن ـ بحمد اللَّه ـ لا ننكر فضل الحرمين، بل ننكر علىٰ من أنكره، ولكن نقول: الأرض لا تقدِّسُ أحدًا، وإنما يُقَدِّسُ المرءَ عملُهُ، فالمحلُّ الفاضل قد يجتمع فيه المسلم والكافر، وأهل الحق وأهل الباطل ـ كما تقدم ـ، فأهل الحق يزدادون بالعمل الصالح في المحل الفاضل لكثرة ثوابه، وأهل الباطل لا يزيدهم ذلك إلا شرًّا تعظم فيه سيئاتهم؛ كما قال تعالىٰ في حرم مكة: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج]. فإذا كان هذا الوعيد في الإرادة[(١)]، فعمل السوء أعظم، فالمعوَّل عليه هو الإيمان والعمل الصالح، ومحله: قلب المؤمن، والناس مَجْزِيُّونَ بأعمالهم؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

وقوله: ولو قيل: إن هذا الحديث ورد في ذم نجدٍ وأهلها... إلىٰ آخره.

فأقول: الذم إنما يقع في الحقيقة علىٰ الحال لا علىٰ المحل، والأحاديث التي وردت في ذم نجد ـ كقوله ﷺ: «**اللهم بارك لنا في يَمَنِنا، اللهم بارك لنا في شامنا**». قالوا: وفي نجدنا، قال: «**هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان**»[(٢)]ـ: قيل: إنه أراد نجد العراق؛ لأن في بعض ألفاظه ذِكرَ المشرق، والعراق شرقي المدينة،

---

(١) يعني مجرد نية السوء.
وانظر: «مسند الإمام أحمد» (٧/١٥٥ ـ ح: ٤٠٧١، ط: الرسالة).

(٢) رواه البخاري (١٠٣٧)، من حديث ابن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والواقع يشهد له، لا نَجْدَ الحجاز. ذكره العلماء في شرح هذا الحديث.

فقد جرىٰ في العراق من الملاحم والفتن ما لم يَجْرِ في نجد الحجاز، يَعرف ذلك مَنْ له اطلاعٌ علىٰ السير والتاريخ، كخروج الخوارج بها الذين قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكمقتل الحسين، وفتنة بن الأشعث، وفتنة المختار ـ وقد ادعىٰ النبوة ـ، وقتال بني أمية لمصعب بن الزبير وقَتْلِه، وما جرىٰ في ولاية الحجاج بن يوسف من القتال وسفك الدماء وغير ذلك مما يطول عَدُّه.

وعلىٰ كل حالٍ فالذمُّ يكون في حالٍ دون حالٍ، ووقتٍ دون وقتٍ بحسب حال الساكن؛ لأن الذم إنما يكون للحال دون المحل؛ وإن كانت الأماكن تتفاضل، وقد تقع المُدَاولة فيها؛ فإن اللَّه يُداول بين خلقه حتىٰ في البقاع، فمحلُّ معصيةٍ في زمنٍ قد يكون محل طاعة في زمن آخر وبالعكس.

وأما قول المعترض: منها قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا يزالون في شرٍّ من كذابهم**».

فالجواب: هذا من جملة كَذِبِهِ علىٰ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم وجهله بالعلم؛ لا يميز بين الحديث وغيره. وهذا الكلام ورد عن عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه في نفرٍ من بني حنيفة سكنوا الكوفة في ولايةِ ابن مسعود عليها، وكانوا في مسجد من مساجدها، فسمع منهم كلمةً تُشْعِر بتصديق مسيلمة، فأخذهم عبداللَّه بن مسعود، وقتل كبيرهم ابن النواحة، وقال في الباقين: «لا يزالون في بَلِيَّةٍ من كذابهم» يعني: ذلك النفر، فلا تُذَمُّ نَجْدُ بنَفَرٍ أحدثوا حَدَثًا في العراق. وقد أفتىٰ



اللَّه كل من حضر مسيلمة في القرن الأول؛ ولم يبق بنجد من يصدِّق مسيلمة الكذاب، بل من كان في أواخر عهد الصحابة ﷺ ومَن بعدهم بنجدٍ يكفِّرون مسيلمة ويكذبونه، فلم يبق بنجدٍ من فتنة مسيلمة لا عينٌ ولا أثر.

فلو ذُم نجد بمسيلمة بعد زواله وزوال من يُصدِّقه؛ لذم اليمن بخروج الأسود العنسي ودعواه النبوة! وما ضر المدينةَ سُكْنَىٰ اليهود فيها، وقد صارت مُهَاجَرَ رسول اللَّه ﷺ وأصحابه ومَعْقِل الإسلام، وما ذُمَّتْ مكةُ بتكذيب أهلها الرسولَ ﷺ وشدة عداوتهم له؛ بل هي أحب أرض اللَّه إليه.

فإذا كان الأمر كذلك فأرض اليمامة لم تَعْصِ اللَّه، وإنما ضَرَّتِ المعصيةُ ساكنيها بتصديقهم كذَّابَهم، وما طالت مدتُهم علىٰ ذلك الكفر بحمد اللَّه، فطَهَّرَ اللَّه تلك البلاد منهم، ومَن سَلِم منهم من القتل دخل في الإسلام، فصارت بلادُهم بلادَ إسلام، بُنِيَتْ فيها المساجد، وأقيمت فيها الشرائعُ، وعُبِدَ اللَّهُ فيها في عهد الصحابة ﷺ وبعدهم. ونَفَرَ كثيرٌ منهم مع خالد بن الوليد لقتال العجم، فقاتلوا مع المسلمين، فنال تلك البلادَ من الفضل ما نال غيرَها من بلاد أهل الإسلام، علىٰ أنها تفضُل علىٰ كثيرٍ من البلاد بالحديث الذي رواه البخاري في «صحيحه» أن النبي ﷺ قال - وهو بمكة لأصحابه -: «**أُرِيتُ دارَ هجرتكم**»، فوصفها، ثم قال: «**فذهب وَهَلي**[1] **إلىٰ أنها اليمامة أو يثرب**»[2].

---

(١) وهلي: ظني.

(٢) رواه البخاري (٣٦٢٢)، ومسلم (٢٢٧٢)، من حديث أبي موسىٰ ﷺ.

ورؤيا النبي ﷺ وَحْيٌ حَقٌّ، وكفىٰ بهذا فضلًا لليمامة وشرفًا لها علىٰ غيرها؛ فإن ذهاب وَهَله ﷺ في رؤياه إليها لابد أن يكون له أثرٌ في الخير يظهر، فظهر ذلك الفضل ـ بحمد اللَّه ـ في القرن الثاني عشر، فقام الداعي يدعو الناسَ إلىٰ ما دعت إليه الرسل من إفراد اللَّه بالعبادة، وترك عبادة ما سواه، وإقامة الفرائض، والعمل بالواجبات، والنهي عن مواقعة المحرمات، وظهر فيها الإسلام أعظمَ من ظهوره في غيرها في هذه الأزمان، ولولا ذلك ما سَبَّ هؤلاء نجدًا واليمامة بمسيلمة.

إذا عُرف ذلك فلْيُعلم أن مسيلمة وبني حنيفة إنما كفروا بجحودهم بعضَ آيةٍ من كتاب اللَّه جهلًا وعنادًا[(١)]، وهذا المعترض وأمثاله جحدوا حقيقةَ ما بعث اللَّهُ رُسلَه من التوحيد الذي دلت عليه الآيات المحكمات التي تفوق الحصر، وعصوا رسول اللَّه ﷺ بارتكاب ما نهىٰ عنه من الغلو والشرك، فجوَّزوا أن يُدعىٰ مع اللَّه غيره، وقد نهىٰ اللَّه ورسوله عن ذلك في أكثر سور القرآن، وجوَّزوا أن يُستعان بغير اللَّه، وقد نهىٰ اللَّه ورسوله عن ذلك، وجوَّزوا الالتجاء إلىٰ الغائبين والأموات والرغبة إليهم، وقد نهىٰ اللَّه ورسوله عن ذلك أشد النهي، وجعلوا للَّه شريكًا في ملكه وربوبيته، كما جعلوا له شريكًا في إلٰهيته، وجعلوا له شريكًا في إحاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها؛ وقد قال تعالىٰ، مبينًا لما اختص به شمول علمه:

= تنبيه: لفظ الحديث: «**فذهب وَهَلي إلىٰ أنها اليمامة أو هَجَر، فإذا هي المدينة يثرب**».

(١) يقصد قوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ[(١)] وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩﴾ إلىٰ قوله: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ...﴾ الآيات [الرعد: ١٤].

وهذه الأصول كلها في الفاتحة؛ بيَّن اللَّه تعالىٰ أنه هو المختص بذلك دون كل من سواه، ففي قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ اختصاص اللَّه بالحمد لكماله في ربوبيته وإلٰهيته وملكه وشمولِ علمه وقدرته وكماله في ذاته وصفاته، ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، هو ربهم وخالقهم ورازقهم ومليكهم، والمتصرف فيهم بحكمته ومشيئته، ليس ذلك إلا له، ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ فيه تفرُّدُه بالملك كقوله: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٌ لِّنَفۡسٍ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [الانفطار]، وقوله: ﴿إِيَّاكَ

---

(١) ﴿تَغِيضُ﴾: تنقص.
قال أهل التفسير: غَيضُ الأرحام: الحيضُ علىٰ الحمل؛ فإذا حاضت الحامل كان نقصانًا في الولد؛ لأن دم الحيض غذاءُ الولد في الرحم، فإذا أَهرقت الدم ينقص الغذاء فينتقص الولد، وإذا لم تحِض يزداد الولدُ ويتم، فالنقصان نقصانُ خِلقةِ الولد بخروج الدم، والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم.
وقيل: إذا حاضت ينتقصُ الغذاء، وتزداد مدة الحمل حتىٰ تستكمل تسعة أشهر ظاهرًا، فإن رأت خمسة أيام دمًا وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام، فالنقصان في الغذاء، والزيادة في المدة.
وقال الحسن: غيضها: نقصانها من تسعة أشهر. والزيادة: زيادتها علىٰ تسعة أشهر.
وقيل النقصان: السِّقْط، والزيادة: تمام الخلق.
انظر: «تفسير البغوي» عند الآية الكريمة.

نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فيه قَصْرُ العبادة عليه تعالىٰ بجميع أفرادها، وكذلك الاستعانة، وفي ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ـ أيضًا ـ توحيد الربوبية.

وهذه الأصول ـ أيضًا ـ في: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾؛ فهو ربهم ورازقهم، والمتصرف فيهم، والمدبر لهم ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ هو الذي له المُلك كما في الحديث الوارد في الأذكار: «**لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير**»[(١)]، وقوله: ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ هو مألوههم ومعبودهم؛ لا معبود لهم سواه، فأهل الإيمان خصوه بالإلٰهيَّة، وأهل الشرك جعلوا له شريكًا يألهونه بالعبادة، كالدعاء والاستغاثة، والالتجاء والرغبة، والتعلق عليه[(٢)]، ونحو ذلك.

وفي ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ براءة النبي ﷺ من الشرك والمشركين. ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾؛ فهذا هو التوحيد العملي، وأساسه البراءة من الشرك والمشركين باطنًا وظاهرًا.

وفي ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ توحيد العلم والعمل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، يعني هو اللَّه الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نِدٌّ ولا شبيهٌ ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ[(٣)] في الإثبات إلا علىٰ اللَّه ﷻ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

---

(١) رواه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣)، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٢) لعل «علىٰ» هنا بمعنىٰ «الباء»، أي: التعلق بآلهتهم محبةً وشغفًا. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

(٣) أي: «أحد».

وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾:

▫ قال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه: «يعني الذي يَصمُدُ الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم».

قلتُ: وفيه توحيد الربوبية وتوحيد الإلٰهيَّة.

▫ وقال الأعمش، عن شقيق، عن أبي وائل: «﴿ٱلصَّمَدُ﴾: السيد الذي قد انتهىٰ سُؤدُده[1]».

▫ وقال الحسن ـ أيضًا ـ: «﴿ٱلصَّمَدُ﴾: المصمت[2] الذي لا زوال له».

▫ وقال الربيع بن أنس: «هو الذي لم يلد ولم يولد».

كأنه جعل ما بعده تفسيرًا له.

▫ وقال سفيان بن منصور، عن مجاهد: «﴿ٱلصَّمَدُ﴾: المصمت الذي لا جوف له».

▫ قال أبو القاسم الطبراني في كتاب «السنة»: «وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا عز وجل».

▫ وقال مجاهد: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾: «يعني: لا صاحبة له».

وهذا كما قال تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام]، أي: هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظيرٌ يساميه، أو قريبٌ يدانيه؟ تعالىٰ وتقدَّس وتَنزَّه.

---

(١) السؤدُد: السيادة والشرف.

(٢) المُصمَت: الذي لا جوف له.

قلتُ: فتدبر هذه السورة ما فيها من توحيد الإلٰهية والربوبية، وتنزيه اللَّه عن الشريك والشبيه والنظير، وما فيها من مجامع صفات كماله ونعوت جلاله! ومَن له بعضُ تصورٍ يدرك هذا بتوفيق اللَّه، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور].

وأما قول المعترض على قول المجيب: «ونوع الشرك جرىٰ في زمن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ»، أقول: هذه البردة متقدمة علىٰ زمن شيخ الإسلام، ولم يُنقل عنه فيها كلمة واحدة.

فالجواب: تقدُّم البُردة علىٰ زمن شيخ الإسلام إن كان كذلك فماذا يُجْدِي عليه؟ وما الحجة منه علىٰ جواز الشرك؟ وأيضًا فشهادته هذه علىٰ شيخ الإسلام غيرُ محصورة فلا تُقْبل. وهو لم يطلع إلا علىٰ النَّزْر اليسير من كلام شيخ الإسلام، ولم يفهم معنىٰ ما اطلع عليه، وهو في شِقٍّ، وشيخ الإسلام في شِقٍّ، وليس في كلام شيخ الإسلام إلا ما هو حجةٌ علىٰ هذا المعترض، لكنه يتعلق في باطله بمثل خيط العنكبوت، فإن كان يُقنعه كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ المُؤَيَّد بالبرهان، فقد تقدم من كلامه ما يكفي ويشفي في تمييز الحق من الباطل.

وكلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في أكثر كتبه يُبَيِّنُ هذا الشركَ ويُنكره ويَردُّه، كما قد رد علىٰ البكري حين جَوَّزَ الاستغاثة بغير اللَّه. ولا يشك مَن له أدنىٰ مُسْكَةٍ من عقلٍ وفهمٍ أن كلام صاحب البُرْدة داخلٌ تحت كلام شيخ الإسلام في الرد عليه والإنكار.

وأنا أُورِدُ هنا جوابًا لشيخ الإسلام عن سؤالِ مَن سأله عن نوع هذا الشرك وبعض أفراده، فأتىٰ بجواب عامٍّ شاملٍ، كافٍ وافٍ.

قال السائل: ما قول علماء المسلمين فيمن يستنجد بأهل القبور، ويطلب منهم إزالة الألم، ويقول: «يا سيدي، أنا في حَسْبك»؟ وفيمن يستلم القبر، ويمرِّغُ وجهه عليه، ويقول: «قُضيت حاجتي ببركة اللَّه، وبركة الشيخ»، ونحو ذلك؟

الجواب: الحمد للَّه رب العالمين، الدين الذي بعث اللَّه به رسله، وأنزل به كتبه هو: عبادة اللَّه وحده لا شريك له، واستعانته، والتوكل عليه، ودعاؤه لجلب المنافع ودفع المضار، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر] الآيات. وقال: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ۝١٨﴾ [الجن]، وقال: ﴿وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ۝٥٦﴾ [الإسراء] الآيات.

قال طائفة من السلف: «كان أقوام يدْعون المسيح وعُزيرًا والملائكة، فقال اللَّه تعالىٰ: هؤلاء الذين تدعونهم عبادي؛ يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي».

فإذا كان هذا حال من يدعو الأنبياء والملائكة، فكيف بمن دونهم؟

قال تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ﴾ [الكهف: ١٠٢] الآية.

وقال: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾ [سبأ].

فبيَّنَ سبحانه أن مَن دُعِيَ من دون اللَّه من جميع المخلوقات: الملائكة والبشر وغيرهم، أنهم لا يملكون مثقال ذرة في ملكه، وأنه ليس له شريك في ملكه، له الملك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيءٍ قدير، وأنه ليس له عَوْنٌ، كما يكون للمَلِك أعوانٌ وظهراء، وأن الشفعاء لا يشفعون عنده إلا لمن ارتضىٰ، فنفىٰ بذلك وجوه الشرك؛ وذلك أن مَن دُعِيَ من دونه: إما أن يكون مالكًا، وإما ألَّا يكون مالكًا، وإذا لم يكن مالكًا، فإما أن يكون شريكًا، وإما ألَّا يكون شريكًا، وإذا لم يكن شريكًا فإما أن يكون معاونًا، وإما أن يكون سائلًا طالبًا.

فأما الرابع: فلا يكون إلا من بعد إذنه، كما قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وكما قال تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

وقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزمر].

وقال: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١].

وقال: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران].

فبيَّن سبحانه أن من اتخذ الملائكة والنبيين أربابًا كان كافرًا، فكيف بمن اتخذ مَن دونهم مِن المشايخ وغيرهم أربابًا؟ فلا يجوز



أن يقول لملَكٍ ولا لنبيٍّ ولا لشيخ ـ سواء كان حيًّا أو ميتًا ـ: «اغفر ذنبي، وانصرني علىٰ عدوي، أو اشْفِ مريضي»، أو ما أشبه ذلك؛ ومن سأل ذلك مخلوقًا كائنًا مَن كان، فهو مشركٌ بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التي يصورونها علىٰ صورهم، ومن جنس دعاء النصارىٰ للمسيح وأمه.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة].

وقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة].

وإن قال: «أنا أسأله لأنه أقرب إلىٰ اللَّه مني ليشفع لي؛ لأني أتوسل إلىٰ اللَّه به، كما يُتوسَّلُ إلىٰ السلطان بخَوَاصِّه وأعوانه»، فهذا من أفعال المشركين والنصارىٰ؛ فإنهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم؛ ولذلك أخبر اللَّه عن المشركين، أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وقد قال سبحانه: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ [الزمر: ٤٣] إلىٰ قوله: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤].

وقال: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [السجدة].

وقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فبيَّن الفرق بينه وبين خلقه؛ فإن من عادات الناس أن يستشفعوا إلىٰ الكبير بمن يَكْرُمُ عليه، فيسأله ذلك الشفيعُ فيقضي حاجته؛ إما رغبةً، وإما رهبةً، وإما حياءً، وإما غير ذلك، فاللَّه ـ سبحانه ـ لا يشفع عنده أحد حتىٰ يأذن هو للشافع، فلا يفعل إلا ما يشاء، وشفاعة الشافع عن إذنه، والأمر كله له، فالرغبة يجب أن تكون إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح]. والرهبة تكون منه، قال تعالىٰ: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝٤٠﴾ [البقرة]. وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقد أُمرنا أن نصليَ علىٰ النبي ﷺ في الدعاء، وجعل ذلك من أسباب إجابة دعائنا[(١)].

وقول كثير من الضُّلال: «هذا أقرب إلىٰ اللَّه مني، وأنا بعيدٌ منه،

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٦/١٨)، وأبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٧)، والبزار في «مسنده» (٣٧٤٨)، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة علىٰ النبي» (١٠٦)، وابن خزيمة (٧١٠)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٢٢٤٢)، وابن حبان (١٩٦٠)، والحاكم (١/٢٣٠)، والطبراني في «الكبير» (١٨/٧٩١)، والبيهقي (٢/١٤٧)، من حديث فضالة بن عبيداللَّه رضي الله عنه.
وقال الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٩/٣٦٣)، وعند أبي داود (٢/٦٠٥).
ولفظ الحديث: عن فضالةَ رضي الله عنه قال: سمع رسولُ اللَّه ﷺ رجلًا يدعو في الصلاة، ولم يذكرِ اللَّه عز وجل، ولم يصلِّ علىٰ النبي ﷺ، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**عَجِل هذا**». ثم دعاه؛ فقال له ولغيره: «**إذا صلَّىٰ أحدكم فليبدأ بتحميد ربِّه والثناء عليه، ثم ليصلِّ علىٰ النبي، ثم لْيَدعُ بعدُ بما شاء**».

لا يمكن أن ندعوه إلا بهذه الواسطة»، ونحو ذلك= هو من قول المشركين، فإن اللَّه تعالىٰ يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقد روي أن الصحابة ﵃ قالوا: يا رسول اللَّه، ربُّنا قريبٌ فنُناجيه، أم بعيدٌ فنناديه؟ فنَزلت الآية[(١)]. وقد أمر اللَّه تعالىٰ العباد كلهم بالصلاة له ومناجاته، وأمر كُلًّا منهم أن يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ثم يقال لهذا المشرك: أنت إذا دعوتَ هذا، فإن كنت تظنُّ أنه أعلم بحالك، أو يقدر علىٰ إجابة سؤالك، أو أرحم بك من ربك؛ فهذا جهلٌ وضلالٌ وكفر. وإن كنت تعلم أن اللَّه تعالىٰ أعلمُ وأقدرُ وأرحم؛ فلماذا عدلتَ عن سؤاله إلىٰ سؤال غيره؟ وإن كنت تعلم أنه أقرب إلىٰ اللَّه منك، وأعلىٰ منزلةً عند اللَّه منك فهذا حقٌّ أُرِيدَ به باطلٌ؛ فإنه إذا كان أقربَ منك وأعلىٰ درجةً فإن معناه أن يُثيبه ويعطيه؛ ليس معناه أنك إذا دعوتَه كان اللَّه يقضي حاجتك أعظمَ مما يقضيها إذا دعوتَه أنت؛ فإنك إن كنت مُسْتَحِقًّا للعقاب وردِّ الدعاء، فالنبي والصالح لا يعين علىٰ ما يكرهه اللَّه، ولا يسعىٰ فيما يُبَغِّضُك إليه، وإن لم يكن كذلك فاللَّه أولىٰ بالرحمة والقبول منه.

فإن قلت: هذا إذا دعا اللَّه أجاب دعاءه أعظمَ مما يجيب إذا دعوتُه أنا.

[قلنا]: فهذا هو القسمُ الثاني؛ وهو أن يطلب منه الفعلَ ولا

---

(١) **لا يثبت:** ورواياته ما بين **الضعيف، والضعيف جدًّا**. انظر: «الاستيعاب في بيان الأسباب» (١/١٠٣ ـ ١٠٥).

يدعوه، ولكن يطلب أن يدعو له، كما يقال للحي: ادع لي، وكما كان الصحابة يطلبون من النبي ﷺ الدعاء، فهذا مشروع في الحي.

وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم= فلم يشرع لنا أن نقول: «ادع لنا»، ولا «اسأل لنا ربك»، ونحو ذلك، ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة والتابعين، ولا أمر به أحدٌ من الأئمة، ولا ورد في ذلك حديث؛ بل الذي ثبت في «الصحيح»: أنهم لما أَجْدَبُوا زمن عمر استسقىٰ بالعباس رضي الله عنهما؛ فقال: «اللهم إنا كنا إذا أجدَبْنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، فاسقنا» فيُسقَون[(١)]، فلم يجيئوا إلىٰ قبر النبي ﷺ قائلين: يا رسول اللَّه، ادع اللَّه، أو استسق لنا، ونحن نشكو إليك ما أصابنا ونحو هذا، ولم يقله أحدٌ من الصحابة قط، بل هو بدعة ما أنزل اللَّه بها من سلطان؛ بل كانوا إذا جاؤوا عند قبر النبي ﷺ يسلمون عليه، ثم إذا أرادوا الدعاء لم يدْعوا اللَّه مستقبلي القبر؛ بل ينحرفون فيستقبلون القبلة، ويدعون اللَّه وحده لا شريك له كما كانوا يدعونه في سائر البقاع.

وفي «الموطأ» وغيره أن النبي ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعْبَدُ؛ اشتد غضبُ اللَّه علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(٢)].

وفي السنن ـ أيضًا ـ أنه قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ حيثما كنتم؛ فإن صلاتكم تبلغني**»[(٣)].

وفي «الصحيح» أنه قال في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن اللَّه اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». يحذر ما فعلوا. قالت

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) صحيح: وقد تقدم.
(٣) صحيح: وقد تقدم.

عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك؛ لأُبرِزَ قبرُهُ، لكن خَشِيَ أن يُتخذ مسجدًا[(١)].

وفي «سنن أبي داود» عنه ﷺ أنه قال: «**لعن اللَّهُ زوَّاراتِ القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج**»[(٢)].

ولهذا قال العلماء: لا يجوز بناء المساجد علىٰ القبور، وقالوا: إنه لا يجوز أن يُنْذَر لقبر، ولا للمجاورين عند القبر شيئًا[(٣)]، لا من دراهم ولا زيت، ولا شمع ولا حيوان، ولا غير ذلك، كلُّه نذر معصية، ولم يقل أحد من أئمة المسلمين: إن الصلاة عند القبور وفي المشاهد مستحبةٌ، ولا أن الدعاء هناك أفضل؛ بل اتفقوا كلُّهم علىٰ أن الصلاة في المساجد وفي البيوت أفضل من الصلاة عند قبر ـ لا قبر نبيٍّ ولا صالح ـ؛ سواء سُمِّيَتْ «مشاهد» أم لا[(٤)].

وقد شرع اللَّه ذلك في المساجد دون المَشاهد، وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: ١١٤].

ولم يقل [هذا] في المشاهد.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩].

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) حسن ـ دون ذكر السرج ـ: وقد تقدم.

(٣) ومثلهم أصحاب الموالد المبتدعة، وما يفعلونه للمقبورين من طوام وبلايا.

(٤) وهذا يرد علىٰ بعض ضُلَّال زماننا الذين طعنوا في أهل السنة حُماةِ التوحيد، حينما قالوا: التحريم ورد في «القبور»، والذي في المساجد الآن يسمىٰ: «مقامات ومشاهد»، وهي غير القبور!! فنعوذ باللَّه من الجهل المركَّب واتباع الهوىٰ.

وقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ...﴾ الآية [التوبة: ١٨].

وذكر البخاري في «صحيحه» والطبري وغيره في تفاسيرهم في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح].

قالوا: «هذه أسماء قوم صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم، ثم طال عليهم الأمد؛ فاتخذوا تماثيلهم أصنامًا».

فالعكوف علىٰ القبور، والتمسح بها، وتقبيلها، والدعاء عندها هو أصلُ الشرك وعبادة الأوثان؛ ولهذا اتفق العلماءُ علىٰ أنَّ من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين؛ فإنه لا يَتمَسَّح به ولا يقبِّله. وليس في الدين ما شُرِعَ تقبيلُهُ إلا الحجر الأسود.

▫ وقد ثبت في «الصحيحين» أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «واللَّهِ إني لأعلم أنك حجر لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول اللَّه ﷺ يقبلك ما قبَّلتُك»[(١)].

ولهذا لا يُسَنُّ أن يقبِّل الرجل ويستلم ركنَي البيت اللذين يليان الحجر، ولا جدران البيت، ولا مقام إبراهيم، ولا صخرة بيت المقدس، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين». اهـ.

▫ وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «الرد علىٰ البكري» ـ بعد كلام له سبق ـ: «لكن مَن هو الذي جعل الاستغاثة بالمخلوق ودعاءه سببًا في الأمور التي لا يقدر عليها إلا اللَّه؟ ومن الذي قال: إنك إذا استغثت بميت أو غائبٍ من البشر ـ نبيًّا كان أو غير نبي ـ كان ذلك سببًا في

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

حصول الرزق والنصر والهدىٰ وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا اللَّه؟ ومن الذي شرع ذلك وأمر به؟ ومن الذي فعل ذلك من الأنبياء والصحابة والتابعين لهم بإحسان؟

فإن هذا المقام يحتاج إلىٰ مقدمتين:

إحداهما: أن هذه أسبابٌ لحصول المطالب التي لا يقدر عليها إلا اللَّه.

والثانية: أن هذه الأسباب مشروعة لا يَحرُمُ فعلها؛ فإنه ليس كل ما كان سببًا كونيًّا يجوز تعاطيه».

▫ إلىٰ أن قال: «وهذا المقام مما يظهر به ضلالُ هؤلاء المشركين خلقًا وأمرًا، فإنهم مطالبون بالأدلة الشرعية علىٰ أن اللَّه شرع لخلقه أن يسألوا ميتًا أو غائبًا وأن يستغيثوا به، سواءٌ كان ذلك عند قبره، أو لم يكن عند قبره؛ بل نقول: سؤال الميت والغائب ـ نبيًّا كان أو غير نبي ـ من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين، لم يأمر اللَّه به، ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين.

وهذا مما يُعلم بالاضطرار من دين المسلمين؛ فإن أحدًا منهم ما كان يقول ـ إذا نزلت به شدة، أو عرضت له حاجة ـ لميتٍ: «يا سيدي فلان، أنا في حسبك، أو اقض حاجتي»، كما يقوله بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتىٰ والغائبين. ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته، ولا بغيره من الأنبياء، لا عند قبورهم ولا إذا بَعدوا عنها؛ بل ولا أقسم بمخلوق علىٰ اللَّه أصلًا، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء، ولا قبور غير

الأنبياء، ولا الصلاة عندها. وقد كره العلماء ـ كمالك وغيره ـ أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه، وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف.

وأما ما يُرْوَىٰ عن بعضهم أنه قال: «قبر معروف الترياقُ المُجَرَّب»[١]، وقول بعضهم: «فلان يُدعىٰ عند قبره». وقول بعض الشيوخ: «إذا كانت لك حاجة فاستغث بي»، أو قال: «استغث عند قبري»، ونحو ذلك= فإن هذا قد وقع فيه كثيرٌ من المتأخرين وأتباعهم؛ ولكن هذه الأمور كلها بدعٌ محدثةٌ في الإسلام بعد القرون الثلاثة المفضلة، وكذلك المساجد المبنية علىٰ القبور التي تسمىٰ «المشاهد» محدثةٌ في الإسلام، والسفر إليها محدث في الإسلام؛ لم يكن شيء من ذلك في القرون الثلاثة المفضلة؛ بل ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**لعن اللَّه اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». يحذِّر ما فعلوا ـ قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأُبرز قبره، ولكن كَره أن يُتخذ مسجدًا[٢].

وثبت في «الصحيح» عنه أنه قال ـ قبل أن يموت بخمس ـ: «**إنَّ مَن كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك**»[٣].

وقد تقدم أن عمر لما أجدبوا استسقىٰ بالعباس؛ فقال: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك

---

(١) **الترياق**: الدواء.
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.
(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

بعم نبينا فاسقنا، فيُسقَون»[١]؛ فلم يذهبوا إلىٰ القبور، ولا توسلوا بميتٍ ولا غائب؛ بل توسلوا بالعباس، وكان توسلهم به توسلًا بدعائه، كالإمام مع المأموم، وهذا تعذر بموته [ﷺ].

فأما قول القائل ـ عن ميت من الأنبياء والصالحين ـ: «اللهم إني أسألك بفلان، أو بجاه فلان، أو بحرمة فلان»= فهذا لم يُنقَل لا عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا التابعين؛ وقد نص غيرُ واحدٍ من العلماء أنه لا يجوز، فكيف يقول القائل للميت: «أنا أستغيث بك، وأستجير بك، وأنا في حسبك، أو سل لي اللَّه»، ونحو ذلك؟

فتبيَّن أن هذا ليس من الأسباب المشروعة ـ لو قُدِّرَ أن له تأثيرًا ـ، فكيف إذا لم يكن له تأثيرٌ صالح؟

وذلك أن من الناس الذين يستغيثون بغائب أو ميت من تتمثل له الشياطين، وربما كانت علىٰ صورة ذلك الغائب، وربما كلَّمَتْه، وربما قضتْ له أحيانًا بعضَ حوائجه، كما تفعل شياطين الأصنام، فإن أحدًا من الأنبياء والصالحين لم يُعْبَد في حياته؛ إذ هو يَنْهَىٰ عن ذلك. وأما بعد الموت فهو لا يقدر أن ينهىٰ؛ فيفضي ذلك إلىٰ اتخاذ قبره وثنًا يُعْبَد؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدًا**...» إلخ[٢]. وقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعْبَد**»[٣].

▫ وقال غير واحد من السلف في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ...﴾ الآية [نوح: ٢٣]: «إن هؤلاء كانوا قومًا صالحين في قوم

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

نوح، فلما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم».

ولهذا المعنىٰ لعن النبي ﷺ الذين اتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد». انتهىٰ ملخصًا.

▫ وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن الزبير أنه رأىٰ قومًا يمسحون المقام[(١)]، فقال: «لَم تُؤْمَرُوا بهذا، إنما أُمِرْتُم بالصلاة عنده».

▫ وأخرج عبدُ بنُ حُميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، قال: «إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه. ولقد تكلفتْ هذه الأمةُ أشياء مما تكلفته الأمم قبلها».

فإذا كان المعترض يستدلُّ بكلام شيخ الإسلام؛ فهذا صريح كلامه المُؤَيَّد بالأدلة والبراهين. وكلامُ العلماء كمثل كلام شيخ الإسلام في هذا المعنىٰ كثيرٌ جدًّا، لو ذكرناه لطال الجواب.

وأما قول المعترض: بل مدح الصرصري، وأثنىٰ عليه بقوله: قال الفقيه الصالح يحيىٰ بن يوسف الصرصري في نظمه المشهور.

فالجواب: أن هذا من جملة أكاذيب المعترض علىٰ شيخ الإسلام وغيره، وقد كذب علىٰ «الإقناع» و«الشفاء»، وليس في الكتابين إلا ما يبطل قوله. وفي الحديث: «**إن مما أدرك الناسَ من كلام النبوة الأولىٰ: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**»[(٢)]، وإلا فكلام شيخ الإسلام في رد ما يقوله الصرصري وإنكاره موجود ـ بحمد اللَّه ـ.

---

(١) أي: مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.
(٢) رواه البخاري (٦١٢٠).



▫ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في رده علىٰ البكري بعد وجهين ذكرهما:

«**الثالث:** أنه أدرج سؤاله ـ أيضًا ـ في الاستغاثة به، وهذا جائز في حياته، لكنه أخطأ في التسوية بين المحيا والممات، وهذا ما[1] عَلِمتُه يُنقلُ عن أحد من العلماء، لكنه موجود في كلام بعض الناس مثل الشيخ يحيىٰ الصرصري؛ ففي شعره قطعة، وكمحمد بن النعمان؛ وهؤلاء لهم صلاح ودين، ولكنهم ليسوا من أهل العلم العالِمِين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام، وليس معهم دليلٌ شرعي، ولا نَقلٌ عن عالِمٍ مَرْضِي، بل عادةٌ جَرَوْا عليها كما جرت عادة كثير من الناس بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه.

وأكثر منه: مَن يأتي إلىٰ قبر الشيخ يدعوه، ويدعو به، ويدعو عنده، وهؤلاء ليس لهم مُسْتَنَدٌ شرعي من كتاب، أو سنة، أو قولٍ عن الصحابة والأئمة، وليس عندهم إلا قول طائفة أخرىٰ: «قبر معروف ترياقٌ مجرَّب، والدعاء عند قبر الشيخ مجاب»، ونحو ذلك، ومعهم أن طائفة استغاثوا بحيٍّ أو ميت، فرَأَوه قد أتىٰ في الهواء، وقضىٰ بعض تلك الحوائج! وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين أو الكواكب والأوثان؛ فإن الشياطين كثيرًا ما تتمثل لهم فيرونها، وقد تخاطب أحدهم ولا يراها، ولو ذكرتُ ما أعلم من الوقائع الموجودة في زماننا لطال المقال.

وكلما كان القوم أعظم جهلًا وضلالًا كانت هذه الأحوال الشيطانية عندهم أكثر، وقد يأتي الشيطانُ أحدَهم بمالٍ أو طعامٍ أو لباسٍ أو غير ذلك، وهو لا يرىٰ أحدًا أتاه به، فيحسب ذلك كرامة، وإنما

(١) «ما» ـ هنا ـ: نافية.

هو من الشيطان، وسببُه شركُه باللَّه، وخروجه عن طاعة اللَّه ورسوله إلىٰ طاعة الشيطان، فأضلتهم الشياطينُ بذلك كما كانت تُضل عُبَّاد الأصنام».

انتهىٰ ما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ من إنكاره ما في شعر الصرصري وغيره من هذه الأمور الشركية وبيان أسبابها.

وأما قول المعترض: وفيه توسُّل عظيم، إن لم يزد علىٰ قول صاحب «البردة» لم يَنقُصْ عنه.

فالجواب: أن هذا من عدم بصيرته وكبير جهله؛ فإن مَن له أدنىٰ معرفةٍ وفهم يعلم أن بين قول صاحب البردة وقول الصرصري في أبياته تفاوتًا بعيدًا؛ فقد نبهنا علىٰ ما يقتضيه كلام صاحب البردة من قصر الإلٰهية والربوبية والمُلك وشمول العلم علىٰ عبدٍ شَرَّفَه اللَّه بعبوديته ورسالته، ودعوة الخلق إلىٰ عبادته وحده، وجهاد الناس علىٰ ذلك، وبَلَّغَ الأمةَ ما أنزله اللَّه تعالىٰ عليه في الآيات المُحكَمات من تجريدِ التوحيد، والنهيِ عن الشرك ووسائله ـ كما قدمنا الإشارة إليه ـ.

وأما الصرصري ففي كلامه التوسل بالنبي ﷺ والاستغاثة به، لكن لا قصْرٌ ولا حصْرٌ للاستعانة والاستغاثة في جانب المخلوق، وقد أنكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ، وذكر أنه لا دليل من كتابٍ ولا سنةٍ عليه، ولا قال به أحد من الصحابة والتابعين والأئمة، وقد بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ أن استغاثة الحي بالحي إنما هو بدعائه وشفاعته. وأما الميت والغائب فلا يجوز أن يُستغاثَ به، وكذلك الحي فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، وأن أهل الإشراك ليس معهم إلا الجهلُ والهوىٰ،



وعوائد نشؤوا عليها بلا برهان، وقد عرفتَ أن هذا المعترض لم يأت إلا بشبهاتٍ واهية، وحكاياتٍ سوفسطائية، أو مناماتٍ تضليلية، كما قال كعب بن زُهير:

فلا يغرنك ما مَنَّتْ وما وَعَدَتْ   إن الأمانيَّ والأحلام تضليلُ

وليس مع هؤلاء المشركين إلا دعوىٰ مجردةٌ مَحْشُوَّةٌ بالأكاذيب، وليس معهم ـ بحمد اللَّه ـ دليل من كتاب أو سنة أو قول واحد من سلف الأمة وأئمتها، وقد جئناهم بأدلة الكتاب والسنة، وما عليه الصحابة والأئمة، ولو استقصينا ذكر الأدلة وبَسْطِ القول لاحتمل مجلدًا ضخمًا.

[سبب الفتنة بقصائد المتأخرين]:

وسبب الفتنة بقصائد هؤلاء المتأخرين ـ كقصائد البوصيري والبرعي ـ، واختيارها علىٰ قصائد شعراء الصحابة ـ كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير، وغيرهم من شعراء الصحابة رضي الله عنهم ـ، وفيها من شواهد اللغة والبلاغة ما لم يُدْرِك هؤلاء المتأخرون منه عُشْرَ المِعشار= فما ذاك إلا لأن قصائد هؤلاء المتأخرين تجاوزوا فيها الحد إلىٰ ما يكرهه اللَّه ورسوله، فزَيَّنها الشيطانُ في نفوس الجُهَّال والضُّلَّال، فمالت إليها نفوسهم عن قصائد الصحابة التي ليس فيها إلا الحق والصدق، وما قَصَّروا فيها جُهدَهم عما يصلح أن يُمدح به رسول اللَّه ﷺ وتَحَرَّوْا فيها ما يرضيه، وتجنبوا ما يُسْخِطهُ ﷺ وما نهىٰ عنه من الغلو.

- فما أشبه هؤلاء بقول أبي الوفاء بن عقيل ـ وهو في القرن

الخامس ـ: «لما صعبت التكاليف علىٰ الجُهَّال والطَّغَام[1]، عدلوا عن أوضاع الشرع إلىٰ أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم؛ إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم. قال: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع...» إلىٰ آخره.

[خاتمة: كلامٌ نفيس للعلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ]:

ومما يتعين أن نختم به هذا الجواب: فصل ذكره العلامة ابن القيم ـ رحمه اللَّه تعالىٰ، ونفعنا بعلمه ـ.

▫ قال ـ بعد أن ذكر زيارة الموحدين للقبور، وأن مقصودها ثلاثة أشياء:

أحدها: تذكُّر الآخرة والاعتبار والاتعاظ.

الثاني: الإحسان إلىٰ الميت، وألَّا يطول عهده به فيتناساه، فإذا زاره وأهدىٰ إليه هديةً من دعاء أو صدقة، ازداد بذلك سروره وفرحه؛ ولهذا شرع النبي ﷺ للزائر أن يدعو لأهل القبور بالمغفرة والرحمة، ويسأل لهم العافية فقط، ولم يشرع أن يدعوهم ولا يدعو بهم ولا يصلي عندهم.

الثالث: إحسان الزائر إلىٰ نفسه باتباع السنة، والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ ـ:

«وأما الزيارة الشركية، فأصلها مأخوذٌ عن عُبَّاد الأصنام، قالوا: الميت المعظَّم الذي لروحه قربٌ ومَزِيَّة عند اللَّه تعالىٰ لا يزال تأتيه الألطافُ من اللَّه تعالىٰ، وتَفيض علىٰ روحه الخيرات، فإذا علَّق

---

(١) **الطَّغام**: الأراذل.

الزائرُ رُوحَه به، وأدناها منه، فاضَ من روح المَزُور علىٰ روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها، كما ينعكس الشعاع من المِرآة الصافية والماءِ علىٰ الجسم المقابل له. قالوا: فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلىٰ الميت، ويعكف بهمته عليه، ويوجِّه قصده كله وإقباله إليه، بحيث لا يبقىٰ فيه التفاتٌ إلىٰ غيره، وكلما كان جَمْعُ القلب والهمة عليه أعظم، كان أقرب إلىٰ الانتفاع به.

وقد ذكر هذه الزيارة ابن سينا والفارابي وغيرهما، وصرح بها عُبَّادُ الكواكب في عبادتها، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعيادًا، وتعليقَ السُّتُور عليها، وإيقاد السُّرُج، وبناء المساجد عليها، وهو الذي قصد رسول اللَّه ﷺ إبطالَه ومَحْوَهُ بالكلية، وسد الذرائع المُفْضِيَةَ إليه، فوقف المشركون في طريقه، وناقضوه في قصده، وكان رسول اللَّه ﷺ في شِقٍّ وهؤلاء في شِقٍّ.

وهذا الذي ذكره هؤلاء في زيارة القبور والشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها، وتشفع لهم عند اللَّه، قالوا: فإن العبد إذا تعلقت روحه بروح الوَجِيهِ المُقَرَّب عند اللَّه، وتوجَّه بهمته إليه، وعكف بقلبه عليه= صار بينه وبينه اتصالٌ يَفيض عليه نصيب مما يحصل له من اللَّه. وشَبَّهُوا ذلك بمن يخدم ذا جاهٍ وحَظْوةٍ وقُرْبٍ من السلطان، وهو شديد التعلق به، فما يحصل لذلك من السلطان من الإنعام والإفضال ينال ذلك المتعلقَ به بحسب تعلقه به! فهذا سرُّ عبادة الأصنام، وهو الذي بعث اللَّه رسله وأنزل كتبه بإبطاله، وتكفير أصحابه، ولَعَنهم وأباح دماءهم وأموالهم وسَبْيَ ذراريهم، وأوجب لهم النار.

والقرآن من أوله إلىٰ آخره مملوء من الرد علىٰ أهله وإبطال مذهبهم، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزمر].

فأخبر أن الشفاعة لمن له مُلك السماوات والأرض، وهو اللَّه وحده، وهو الذي يشفع بنفسه إلىٰ نفسه ليرحم عبده، فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه؛ فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له. والذي يشفع عنده إنما يشفع بإذنه وأمره بعد شفاعته ـ سبحانه ـ إلىٰ نفسه، وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده. وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومَن وافَقَهم، وهي التي أبطلها اللَّه ﷻ بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ﴾ [البقرة: ٤٨].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾ [البقرة].

وقال: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ [الأنعام: ٥١].

وأخبر ـ سبحانه ـ أنه ليس للعباد شفيع من دونه؛ بل إذا أراد ـ سبحانه ـ رحمةً لعبده أذن هو لمن يشفع فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]، وقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فالشفاعة بإذنه ليست شفاعةً من دونه، ولا الشافع شفيعٌ من دونه، بل يشفع بإذنه. والفرق بين الشَّفيعَيْن كالفرق بين الشريك

والعبد المأمور؛ فالشفاعة التي أبطلها شفاعةُ الشريك؛ فإنه لا شريك له، والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه حتىٰ يأذن له، ويقول: «اشفع في فلان».

ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهلَ التوحيد الذين جرَّدوا التوحيد، وخَلَّصُوه من تعلقات الشرك وشوائبه، وهم الذين ارتضىٰ اللَّه سبحانه.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه].

فأخبر أنه لا تحصل يومئذٍ شفاعةٌ تنفعُ إلا بعد رضىٰ قول المشفوع له، وإذنه للشافع. فأما المشرك فإنه لا يرضاه، ولا يرضىٰ قوله، فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه؛ فإنه سبحانه علَّقَها بأمرين: رضاه عن المشفوع له، وإذنه للشافع. فما لم يوجد مجموعُ الأمرين لم توجد الشفاعة.

وسر ذلك أن الأمر كله للَّه وحده، فليس لأحد معه من الأمر شيء، وأعلىٰ الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون، وهم عبيدٌ محضٌ؛ لا يسبقونه بالقول، ولا يتقدمون بين يديه، ولا يفعلون شيئًا إلا من بعد إذنه لهم، ولا سيما يوم لا تملك نفسٌ لنفس شيئًا. فهم مملوكون مربوبون، أفعالُهم مقيدةٌ بأمره وإذنه، فإذا أشركهم به المشرك، واتخذهم شفعاء من دونه ـ ظنًّا منه أنه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند اللَّه ـ، فهو من أجهل الناس بحق الرب ـ سبحانه ـ وما يجب له ويمتنع عليه؛ فإن هذا

مُحالٌ ممتنعٌ؛ يُشبِهُ قياسَ الرب ـ سبحانه ـ علىٰ الملوك والكبراء، حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم مَن يشفع له عندهم في الحوائج.

وبهذا القياس الفاسد عُبِدتِ الأصنام، واتخذ المشركون من دون اللَّه الشفيع والولي. والفرق بينهما هو الفرق بين الخالق والمخلوق، والرب والمربوب، والسيد والعبد، والمالك والمملوك، والغني والفقير، والذي لا حاجة به إلىٰ أحد قط والمحتاجِ من كل وجهٍ إلىٰ غيره.

فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم؛ فإن قيام مصالحهم بهم، وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيامُ أمر الملوك والكبراء بهم، ولولاهم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس؛ فلحاجتهم إليهم يحتاجون إلىٰ قبول شفاعتهم ـ وإنْ لم يأذنوا فيها، ولم يرضوا عن الشافع ـ؛ لأنهم يخافون أن يردوا شفاعتهم، فتنقص طاعتهم لهم، ويذهبون إلىٰ غيرهم، فلا يجدون بُدًّا من قبول شفاعتهم علىٰ الكُرْهِ والرضا.

فأما الذي غناه من لوازم ذاته، وكلُّ ما سواه فقيرٌ إليه لذاته، وكل مَن في السماوات والأرض عبيدٌ له مقهورون لقهره، مُصَرَّفُونَ بمشيئته، لو أهلكهم جميعًا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وإلٰهيته مثقال ذرة.

قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧].

وقال في سيِّدة آي القرآن ـ آية الكرسي ـ: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٤].

فأخبر أن مُلْكَهُ السماواتِ والأرضَ يُوجِبُ أن تكون الشفاعة كلها له وحده، وأن أحدًا لا يشفع عنده إلا بإذنه؛ فإنه ليس بشريك؛ بل مملوك محضٌ، بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض.

فتبين أن الشفاعة التي نفاها اللَّه ـ سبحانه ـ في القرآن هي هذه الشفاعة الشركية التي يفعلها بعضهم مع بعض؛ ولهذا يُطلِقُ نفيها تارةً بناءً علىٰ أنها هي المعروفة عند الناس، ويقيدها تارةً بأنها لا تنفع إلا بإذنه. وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه، فإنه الذي أَذِنَ، والذي قَبِلَ، والذي رضي عن المشفوع، والذي وَفَّقهُ لفعل ما يستحق به الشفاعة.

فمُتَّخِذُ الشفيع [مشركٌ] لا تنفعه شفاعته، ولا يشفع فيه، ومتخذ الرب وحده إلٰهه ومعبوده ومحبوبه ومَرْجُوَّه ومخوفه، الذي يتقرب إليه وحده ويطلب رضاه، ويتباعد من سخطه= هو الذي يأذن اللَّه ـ سبحانه ـ للشفيع أن يشفع له.

قال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس].

فبيَّن ﷻ أن متخذي الشفعاء مشركون، وأن الشفاعة لا تحصل باتخاذهم.

وسر الفرق بين الشفاعتين:

١ ـ أن شفاعة المخلوق للمخلوق، وسؤالَه للمشفوع عنده لا يَفتقر فيها إلىٰ المشفوع عنده؛ لا خَلْقًا ولا أمرًا ولا إذنًا؛ بل هو سببٌ مُحرِّكٌ له من خارجٍ كسائر الأسباب، وهذا السببُ المحرِّك قد يكون عند المتحرك لأجله ما يوافقه، كمن يُشفع عنده في أمر يحبُّه ويرضاه، وقد يكون عنده ما يخالفه؛ كمن يُشفع إليه في أمر يكرهه، ثم قد يكون سؤاله وشفاعته أقوىٰ من المُعارِض، فيقبل شفاعة الشافع.

وقد يكون المُعارِض الذي عنده أقوىٰ من شفاعة الشافع فيردها، وقد يتعارض عنده الأمران، فيبقىٰ مترددًا بين ذلك المعارض الذي يوجب الرد، وبين الشفاعة التي تقتضي القبول، فيتوقف إلىٰ أن يترجح عنده أحد الأمرين بمُرجِّح.

٢ ـ وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب ﷻ؛ فإنه ما لم يخلق شفاعة الشافع، ويأذنْ له فيها، ويحبَّها منه، ويرضَ عن الشافع= لم يمكن أن توجد. والشافع لا يشفع عنده بمجرد امتثال أمره وطاعته له. فهو مأمورٌ بالشفاعة، مطيع بامتثال الأمر؛ فإن أحدًا من الأنبياء والملائكة وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعةٍ ولا غيرها إلا بمشيئة اللَّه وخلقه.

فالرب تعالىٰ هو الذي يحرِّك الشفيع حتىٰ يشفع، والشفيع عند المخلوق هو الذي يحرِّك المشفوع إليه حتىٰ يقبل، والشافع عند المخلوق مُسْتَغْنٍ عنه في أكثر أموره، وهو في الحقيقة شريكه ـ ولو كان مملوكَه وعبده ـ، فالمشفوع عنده محتاج إليه فيما يناله [منه] من النفع والضر والمعاونة وغير ذلك، كما أن الشافع محتاجٌ إليه فيما يناله من رزق أو نصر أو غيره؛ فكلٌّ منهما محتاج إلىٰ الآخر.

ومن وَفَّقَهُ اللَّه لفهم هذا الموضوع، تَبيَّنَ له حقيقة التوحيد والشرك، والفرق بين ما أثبته اللَّه من الشفاعة وما نفاه وأبطله، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ [النور].

ومَن له خبرةٌ بما بعث اللَّه به رسوله، وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم= عَلِمَ أن بين السلف وبين هؤلاء الخُلُوف من البُعد أبعدَ مما بين المشرق والمغرب، وأنهم علىٰ شيء والسلف علىٰ شيء، كما قيل:

سارت مشرِّقةً وسرتُ مغرِّبًا   شتَّانَ بين مشرِّقٍ ومغرِّبِ

والأمرُ ـ واللَّهِ ـ أعظم، مما ذكرناه» انتهىٰ.

وبه كَمَل الجواب، والحمد للَّه الذي هدانا لدينه الذي رضيه لعباده، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللَّه.

وصلىٰ اللَّه علىٰ سيد المرسلين، وإمام المتقين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا.



الفهرس

فهرس محتويات الجزء الثاني

[٢٩] قرة عيون الموحدين بتحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين - ٧



مجموعة التوحيد

لشيوخ الإسلام

تقي الدين ابن تيميَّة، محمد بن عبدالوهَّاب، محمد بن عليٍّ الشوكاني، أئمة الدعوة النجدية

قدَّم له

فضيلة الشيخ/ خالد بن مساعد الرويتع

(عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالرياض)

فضيلة الشيخ/ فهد بن يحيى العمَّاري

(القاضي بمحكمة الاستئناف بمكة المكرَّمة)

قرأه، وضبط نصَّه، وخرَّج أحاديثه، وعلَّق عليه

أبو شعيب

طارق بن عبدالواحد بن عليٍّ

ـ عفا اللَّه عنه برحمته وإحسانه ـ

الجزء الثالث

دار الحجاز

[٣٣]

قاعدة «الواسطة»

لشيخ الإسلام

تقي الدين ابن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه وكفىٰ، وسلامٌ علىٰ عباده الذين اصطفىٰ.

أما بعد:

فهذه رسالة في مسألة رجلين تناظرا؛ فقال أحدهما: لابد لنا من واسطة بيننا وبين اللَّه؛ فإنا لا نقدر أن نصل إليه بغير ذلك.

الجواب: الحمد للَّه رب العالمين:

[١] إن أراد بذلك أنه لابد من واسطةٍ تبلِّغُنا أمر اللَّه، فهذا حق؛ فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه اللَّه ويرضاه، وما أمر به وما نهىٰ عنه، وما أعدَّه لأوليائه من كرامته، وما وعد به أعداءه من عذابه، ولا يعرفون ما يستحقه اللَّه تعالىٰ من أسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا؛ التي تعجز العقول عن معرفتها، وأمثال ذلك= إلا بالرسل الذين أرسلهم اللَّه تعالىٰ إلىٰ عباده، فالمؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم المهتدون الذين يقرِّبُهم لديه زلفىٰ، ويرفع درجاتهم، ويكرمهم في الدنيا والآخرة.

وأما المخالفون للرُّسل، فإنهم ملعونون، وهم عن ربِّهم ضالون محجوبون.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦﴾ [الأعراف].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا

يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه].

▫ قال ابن عباس: «تكفَّل اللَّه تعالىٰ لمن قرأ القرآن وعَمِل بما فيه ألَّا يَضِلَّ في الدنيا، ولا يشقىٰ في الآخرة».

وقال تعالىٰ عن أهل النار: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [الملك].

وقال تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ(١) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنعام].

وقال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾ [النساء].

ومثل هذا في القرآن كثير.

(١) ﴿زُمَرًا﴾: أفواجًا.

وهذا مما أجمع عليه جميعُ أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارىٰ؛ فإنهم يثبتون الوسائط بين اللَّه وبين عباده، وهم الرسل الذين بلَّغوا عن اللَّه أمره وخبره.

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

ومن أنكر هذه الوسائطَ فهو كافرٌ بإجماع أهل الملل، والسور التي أنزلها اللَّه تعالىٰ بمكة مثل الأنعام، والأعراف، وذوات: «ألر» و«حم»، و«طس»، ونحو ذلك هي متضمنةٌ لأصول الدين؛ كالإيمان باللَّه ورسله واليوم الآخر.

وقد قص اللَّه قصص الكفار الذين كذَّبوا الرسل، وكيف أهلكهم، ونصر رسله والذين آمنوا.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ۝١٧٣﴾ [الصافات].

وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ[(١)] ۝٥١﴾ [غافر].

فهذه الوسائط تطاع وتُتَّبع ويُقتدىٰ بها.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

وقال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]،

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) ﴿وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾: يوم القيامة؛ يقوم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ، وعلىٰ الكفار بالتكذيب.



وقال تعالىٰ: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ(١) وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

[٢] وإن أراد بالواسطة: أنه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن تكون واسطةٌ(٢) في رزق العباد، ونصرهم، وهداهم، يسألونه ذلك، ويرجون إليه فيه= فهذا من أعظم الشرك الذي كفَّر اللَّه به المشركين؛ حيث اتخذوا من دون اللَّه أولياء وشفعاء، يجتلبون بهم المنافع، ويدفعون بهم المضار، لكنَّ الشفاعة لمن يأذنُ اللَّه له فيها حق.

قال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [السجدة].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ(٣) بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء].

---

(١) ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾: وقَّروه وأجلُّوه.
(٢) بهذا الضبط فإن كلمة «يكون» تعدُّ تامةً، بمعنىٰ: «تُوجد».
(٣) ﴿تُبْسَلَ﴾: تُحبس وتُسلَم للعذاب ـ عياذًا باللَّه ـ.

▫ قال طائفة من السلف: «كان أقوامٌ يَدْعُون المسيحَ والعُزيرَ والملائكة، فبيَّن اللَّهُ لهم أن الملائكة والأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلًا، وأنهم يتقربون إلىٰ اللَّه، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه»(١).

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ].

وقال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران].

فبيَّن ـ سبحانه ـ أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا كُفرٌ؛ فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع، ودفع المضار؛ مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات= فهو كافرٌ بإجماع المسلمين.

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ

---

(١) هذه الفقرة جاءت في المطبوع وفي «مجموع الفتاوىٰ» (١/١٢٤) بعد الآية التالية، لكن ذكرها هنا أنسب لتعلقها بالآية السابقة مباشرةً. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنبياء].

وقال تعالىٰ: ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ[1] ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ ﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا[2] ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم].

وقال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [فاطر: ٢].

---

(١) **الاستنكاف**: الاستكبار والتعالي.

(٢) ﴿ إِدًّا ﴾: منكرًا عظيمًا.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر].

ومثل هذا كثيرٌ في القرآن.

ومَن سِوىٰ الأنبياء من مشايخ العلم والدين، فمن أثبتهم وسائط بين الرسول وأمته؛ يبلغونهم، ويعلمونهم، ويؤدبونهم، ويقتدون بهم= فقد أصاب في ذلك. وهؤلاء إذا أجمعوا فإجماعُهم حجةٌ قاطعة، لا يجتمعون علىٰ ضلالة[1]، وإن تنازعوا في شيءٍ ردُّوه إلىٰ اللَّه والرسول، إذ الواحد منهم ليس بمعصوم علىٰ الإطلاق، بل كل أحد من الناس يُؤخذ من كلامه ويُترك إلا رسول اللَّه ﷺ.

وقد قال ﷺ: «**العلماءُ ورثة الأنبياء؛ فإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا؛ وإنما ورَّثوا العلم؛ فمن أخذه فقد أخذ بحظٍّ وافر**»[2].

---

(١) صحيح: وله طرقٌ وشواهد كثيرةٌ، فانظر: «مسند الإمام أحمد» (٤٥/ ٢٠٠ - الرسالة)، و«سنن الترمذي» (٢٣٠٥ - الرسالة)، و«السلسلة الصحيحة» (١٣٣١).

(٢) حسن - إن شاء اللَّه -: رواه أحمد (١٩٦/٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وابن حبان (٨٨)، والدارمي (٣٤٢)، والدَّارَقُطْني في «العلل» (٢١٦/٦)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١٠٦ - تهذيبي)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وقطع الإمام الدراقطني **بعدم ثبوته**، وكذلك **فعل** الإمام الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤/٢)، ونقل الحافظ ابن عبدالبر عقب إيراده في «جامع العلم» (١/ ١٦٠) عن الإمام حمزة الكنانيِّ أنه حديث **حسن غريب**. وقد **صحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٩٧)، بينما **حسَّنه** فقط في «صحيح =

[٣] وإن أثبتم وسائط بين اللَّه وبين خلقه كالحُجَّاب الذين بين الملِك ورعيته؛ بحيث يكونون هم يرفعون إلىٰ اللَّه حوائج خلقه، فاللَّه إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم، وهم يسألون اللَّه، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال المَلِك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفعُ لهم من طلبهم من المَلك؛ لكونهم أقرب إلىٰ الملك من الطالب للحوائج= فمن أثبتهم وسائط علىٰ هذا الوجه فهو كافرٌ مشرك، يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبِّهون للَّه، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا للَّه أندادًا. وفي القرآن من الرد علىٰ هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوىٰ.

[أحوال الوسائط الذين بين الناس وكبرائهم]:

فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس يكونون علىٰ أحد وجوهٍ ثلاثة:

[الوجه الأول]: إما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه[(١)]، ومن قال: «إن اللَّه لا يعلم أحوال عباده، حتىٰ يخبره بذلك بعضُ الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم» فهو كافر؛ بل هو سبحانه يعلم السرَّ وأخفىٰ، لا تخفىٰ عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السماء، وهو السميع البصير، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات، علىٰ تفنُّن الحاجات، لا يشغله سمعٌ عن سمع، ولا تُغلِطُه كثرةُ المسائل، ولا يَتبرَّمُ بإلحاح الملحِّين.

= الترغيب» (٦٨)، وكذا الشيخ شُعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٦/٤٦)، وعند أبي داود (٥/٤٨٥)، وابن ماجه (١/١٥١).

(١) أي: بما لا يعرفه الملوك.

الوجه الثاني: أن يكون الملِك عاجزًا عن تدبير رعيته، ودفع أعدائه إلا بأعوانٍ يُعينونه، فلابد له من أنصار وأعوان لذُلِّه وعجزه، واللَّه سبحانه ليس له ظَهيرٌ[(١)]، ولا وليٌّ من الذل[(٢)].

قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢﴾ [سبأ].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء].

وكلُّ ما في الوجود من الأسباب فهو خالقُه وربُّه ومليكه، فهو الغني عن كل ما سواه، وكلُّ ما سواه فقيرٌ إليه؛ بخلاف الملوك المحتاجين إلىٰ ظُهرائهم، وهم في الحقيقة شركاؤهم في المُلك، واللَّهُ تعالىٰ ليس له شريكٌ في الملك؛ بل لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير.

الوجه الثالث: أن يكون المَلِكَ ليس مريدًا النفعَ لرعيته، والإحسانَ إليهم ورحمتَهم، إلا بمحرِّكٍ يحركُه من خارج؛ فإذا خاطب المَلِكَ مَن ينصحه ويعظه، أو من يُدِلُّ عليه[(٣)]؛ بحيث يكون يرجوه ويخافه = تحركت إرادةُ الملك وهمَّتُه في قضاء حوائج رعيته:

- إما لما يحصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير.
- وإما لما يحصل له من الرغبة والرهبة مِن كلام المُدِلِّ عليه[(٤)].

---

(١) **الظَّهير**: المساعد.

(٢) أي: لا يصيبه ذلٌّ وضعفٌ وعجزٌ، فيحتاج إلىٰ مُعينٍ وناصرٍ له ﷻ.

(٣) **يُدلُّ**: يتدلَّل ويتعزز.

(٤) في المطبوعات: «الدال عليه»، والمثبت من «الفتاوىٰ» (١/١٢٨).

واللَّهُ تعالىٰ هو ربُّ كل شيء ومليكُه، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها[(١)]، وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو إذا أجرىٰ نفعَ العباد بعضِهم علىٰ [يد] بعض؛ فجعل هذا يُحسِنُ إلىٰ هذا، ويدعو له، ويشفع فيه، ونحو ذلك= فهو الذي خَلق ذلك كله، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن الداعي الشافعِ إرادةَ الإحسان والدعاء والشفاعة، ولا يجوز أن يكون في الوجود مَن يُكرهُه علىٰ خلاف مراده [ﷻ]، أو يُعلِمُه ما لم يكن يعلم، أو مَن يرجوه الربُّ ويخافه.

ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا يقولَنَّ أحدكم: اللهم اغفِرْ لي إن شئت، اللهم ارحمْني إن شئت، ولكن لِيَعْزِمِ**[(٢)] **المسألة؛ فإنه لا مُكرِهَ له**»[(٣)].

والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون إلا بإذنه، كما قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ].

فبيَّن أن كل مَن دُعيَ مِن دونه ليس له مُلكٌ، ولا شِركٌ في المُلك، ولا هو ظهير، وأن شفاعتهم لا تنفع إلا لمن أَذِن له، وهذا

---

(١) رواه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤)، من حديث الفاروق عمر رضي الله عنه.
(٢) في المطبوعات: «ليجزم»، والتصويب من «مجموع الفتاوىٰ» ـ الموضع السالف ـ.
(٣) رواه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بخلاف الملوك؛ فإن الشافع عندهم قد يكون له مُلك، وقد يكون شريكًا لهم في الملك، وقد يكون مظاهرًا ومعاونًا لهم علىٰ ملكهم، وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك هم وغيرُهم، والمَلِكُ يَقبل شفاعتهم؛ تارةً لحاجته إليهم، وتارةً لخوفه منهم، وتارةً لجزاء إحسانهم إليه ومكافأتهم، ولإنعامهم عليه؛ حتىٰ إنه يقبل شفاعةَ ولده وزوجته لذلك؛ فإنه محتاجٌ إلىٰ الزوجة وإلىٰ الولد، حتىٰ لو أعرض عنه ولده وزوجتُه لتضرَّر بذلك، ويَقبل شفاعة مملوكه؛ فإنه إذا لم يقبل شفاعته خاف ألَّا يطيعه، أو أن يسعىٰ في ضرره.

وشفاعةُ العباد بعضهم عند بعض كلُّها من هذا الجنس، فلا يَقبل أحدٌ شفاعة أحد إلا لرغبةٍ أو رهبة. واللَّه تعالىٰ لا يرجو أحدًا، ولا يخافه، ولا يحتاج إلىٰ أحد؛ بل هو الغني.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ[1] ﴿٦٦﴾﴾ [يونس]، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ٦٨].

والمشركون يتخذون شفعاءَ من جنس ما يعهدونه[2] من الشفاعة.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ[3] وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس].

---

(١) ﴿يَخۡرُصُونَ﴾: يكذبون.

(٢) في المطبوعات: «يعدونه»، والتصويب من المصدر السابق (١/١٢٩).

(٣) راجع (١/٢٦٠).

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ[1] ﴿٢٨﴾﴾ [الأحقاف].

وأخبر عن المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا[2] ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء].

فأخبر أن ما يُدعىٰ من دونه لا يملكُ كشف الضر ولا تحويلًا، وأنهم يرجون رحمته، ويخافون عذابه، ويتقرَّبون إليه، فهو - سبحانه - قد نفىٰ ما أثبتوا للملائكة والأنبياء، إلا من الشفاعة بإذنه، والشفاعةُ هي الدعاء، ولا ريب أن دعاء الخلق بعضِهم لبعض نافع، واللَّهُ قد أمر بذلك؛ لكنَّ الداعي الشافعَ ليس له أن يدعوَ ويشفع إلا بإذن اللَّه له في ذلك، فلا يشفع شفاعةً نُهي عنها، كالشفاعة للمشركين والدعاء لهم بالمغفرة.

قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ﴾ [التوبة].

---

(١) أي: وهذه عاقبة كذبهم وافترائهم علىٰ اللَّه تعالىٰ في الحياة.

(٢) راجع (١/٢٦٢).

وقال تعالىٰ في حق المنافقين: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦﴾ [المنافقون].

وقد ثبت في «الصحيح» أن اللَّه تعالىٰ نهىٰ نبيَّه ﷺ عن الاستغفار للمشركين والمنافقين، وأخبر أنه لا يغفر لهم[1]، كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨].

وقوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨٤﴾ [التوبة].

وقد قال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف]. في الدعاء[2].

ومن الاعتداء في الدعاء: أن يسأل العبدُ ما لم يكن الربُّ ليفعله، مثل أن يسأله منازل الأنبياء ـ وليس منهم ـ، أو المغفرةَ للمشركين، ونحو ذلك، أو يسألَه ما فيه معصيةٌ للَّه ﷻ؛ كإعانته علىٰ الكفر والفسوق والعصيان. فالشفيعُ الذي أَذِنَ اللَّه له في الشفاعة، شفاعتُه في الدعاء الذي ليس فيه عدوان، ولو سأل أحدُهم دعاءً لا يصلح له لا يُقَرُّ عليه؛ فإنهم معصومون أن يُقرُّوا علىٰ ذلك، كما قال نوح عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٤٥﴾ [هود]، قال تعالىٰ: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٤٧﴾ [هود].

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) هذه العبارة ساقطةٌ من المطبوع، ومستدركةٌ من «مجموع الفتاوىٰ».

وكلُّ داعٍ شافع دعا اللَّه ﷻ وشَفَع، فلا يكون دعاؤه وشفاعته إلا بقضاء اللَّه تعالىٰ وقدره ومشيئته، وهو الذي يجيب الدعاء، ويقبل الشفاعة، فهو الذي خلق السببَ والمسبَّب، والدعاءُ من جملة الأسباب التي قدَّرها اللَّه ﷻ.

وإذا كان كذلك، فالالتفاتُ إلىٰ الأسباب شركٌ في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقصٌ في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدحٌ في الشرع؛ بل العبد يجب أن يكون توكُّلُه ودعاؤه وسؤاله ورغبته إلىٰ اللَّه تعالىٰ، واللَّهُ يقدِّرُ له من الأسباب - من دعاء الخلق وغيرهم - ما شاء.

والدعاء المشروع: أن يدعوَ الأعلىٰ للأدنىٰ، والأدنىٰ للأعلىٰ؛ فطلبُ الشفاعة والدعاء من الأنبياء [جائزٌ]؛ كما كان المسلمون يستشفعون بالنبي ﷺ في الاستسقاء، ويطلبون منه الدعاء؛ بل وكذلك بعده استسقىٰ عمر والمسلمون بالعباس عمِّه[(١)]، والناس يطلبون الشفاعة يوم القيامة من الأنبياء، ومحمدٌ ﷺ هو سيد الشفعاء، وله شفاعاتٌ يختص بها، ومع هذا فقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: **«إذا سمعتم المؤذِّنَ فقولوا مثلَما يقول، ثم صلُّوا عليَّ؛ فإنه مَن صلىٰ عليَّ مرةً صلىٰ اللَّه عليه عشرًا، ثم سلوا اللَّهَ لي الوسيلة؛ فإنها درجةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد اللَّه، وأرجو أن أكون ذلك العبدَ؛ فمَن سأل اللَّهَ لي الوسيلةَ حلَّت عليه شفاعتي يوم القيامة»**[(٢)].

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) رواه مسلم (٣٨٤)، من حديث عبداللَّه بن عَمرو رضي الله عنهما. وليس في البخاري.

وقد قال [ﷺ] لعمر لما أراد أن يعتمر، وودَّعه: «**يا أُخيَّ، لا تَنسني من دعائك**»[(١)].

فالنبي ﷺ قد طلب من أمَّته أن يدعُوا له، ولكن ليس ذلك من باب سؤالهم؛ بل أمْرُه بذلك لهم كأمرِه لهم بسائر الطاعات التي يثابون عليها، مع أنه ﷺ له مثلُ أجورهم في كل ما يعملونه؛ فإنه قد صحَّ عنه أنه ﷺ قال: «**مَن دعا إلىٰ الهدىٰ كان له من الأجر مثلُ أجورِ من تبعه، مِن غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلىٰ ضلالةٍ كان عليه من الوزر مثلُ أوزار من تبعه، من غير أن ينقصَ من أوزارهم شيئًا**»[(٢)].

وهو داعي الأمة إلىٰ كل هدًىٰ؛ فله مثلُ أجورهم في كل ما اتبعوه فيه، وكذلك إذا صلَّوْا عليه؛ فإن اللَّه يصلي علىٰ أحدهم عشرًا[(٣)]؛ فله مثلُ أجورهم، مع ما يستجيبُه من دعاهم له؛ فذلك الدعاء قد أعطاهم اللَّه أجرهم عليه، وصار ما حصل له به من النفع نعمةً من اللَّه عليه.

---

(١) **ضعيف**: رواه أحمد (٢٩/١)، والطيالسي (١٠)، وأبو داود (١٤٩٨)، والتِّرمذي (٣٥٦٢)، وابن ماجه (٢٨٩٤)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٧٣)، والبزار (١٢٠)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٤١٢/٥)، وابن السني في «عمل اليوم» (٣٨٥)، من حديث الفاروق عمر ﷺ. وقال الترمذي: «**حسن صحيح**». **وضعَّفه** الشيخ الألباني عنده، وفي «ضعيف الجامع» (٦٢٧٨)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٢٦/١)، وعند أبي داود (٨٠/٢).

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٤)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم غير بعيد.



وقد ثبت عنه ﷺ في «الصحيح» أنه قال: **«ما من رجلٍ يدعو لأخيه بظهر الغيب بدعوةٍ، إلا وَكَّل اللَّهُ به ملَكًا، كلما دعا لأخيه بدعوةٍ قال الملكُ الموكَّلُ به: آمين، ولك مثلُ ذلك»**[(١)].

وفي حديث آخر: **«أسرع الدعاء إجابةً: دعاء غائبٍ لغائب»**[(٢)].

فالدعاءُ للغير يَنتفع به الداعي والمدعوُّ له ـ وإن كان الداعي دون المدعوِّ له ـ؛ فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعي والمدعوُّ له؛ فمن قال لغيره: «ادع لي»، وقصد انتفاعهما جميعًا بذلك= كان هو وأخوه متعاونَين علىٰ البر والتقوىٰ، فهو نبَّه المسؤولَ وأشار عليه بما ينفعهما، والمسؤول فعل ما ينفعهما، بمنزلة مَن يأمر غيره ببرٍّ وتقوىٰ، فيثاب المأمور علىٰ فعله، والآمِرُ ـ أيضًا ـ يُثاب مثلَ ثوابه لكونه دعا إليه، لا سيما ومِن الأدعية ما يؤمر بها العبد؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، فأمره

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٢)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: رواه أبو داود (١٥٣٥)، والتِّرمذي (١٩٨٠)، وعبد بن حُميد (٣٢٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/٢١)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٧٨٣)، والطبراني في «الدعاء» (١٣٢٩)، و«الكبير» (١٣/٣٣)، وابن شاهين في «فضائل الأعمال» (٤٩٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٢٨)، وذكره البغوي في «شرح السنة» (٥/١٩٨)، من حديث عبداللَّه بن عَمرو رضي الله عنهما. **وضعَّفه** الترمذي، وكذا البغوي، **وأقرَّ** الترمذيَّ الحافظُ العراقي في تخريج «الإحياء» (٢/١٣٩)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني عند التِّرمذي، وفي «ضعيف الجامع» (٥٠٦٥)، **وضعَّفه جدًّا** في (٨٤١)، بينما **حسَّنه بشاهده** الشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٢/٦٣٨).

بالاستغفار، ثم قال[١]: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[٢] [النساء].

---

(١) كذا في المطبوع، وفي «مجموع الفتاوىٰ»، وهذا يوحي أن الآيتين من سورةٍ واحدةٍ، وليس كذلك، فلعل الإمام أراد أن الآية القادمة نزلت بعد السابقة، وكلتا السورتين مدنية، وهذا هو أقرب ما تبدَّىٰ لي. وإلا فتكون كلمة «ثم» سبق قلم من الإمام أو خطأ من الناسخ، والعلمُ عند اللَّه تعالىٰ.

(٢) وهذه الآية استدل بها بعضُ عُبَّاد القبور علىٰ جواز الذهاب إلىٰ قبور الأموات، وسؤالِهم أن يدعوَ لهم الميتُ بأن يغفر اللَّه تعالىٰ لهم!
وهذا استدلالٌ باطلٌ ـ قطعًا ـ من عدةِ وجوهٍ:
١ ـ إطلاق «المجيء» ـ شرعًا وعقلًا ـ لا يكون إلَّا للحي، أما للميت فيقيَّد المجيء بالمكان المذهوب إليه فيه ـ وهو القبر ـ، فيقال: «جئتُ إلىٰ قبره، ذهبتُ إلىٰ قبره»، وليس: «جئتُ إليه، وذهبتُ إليه» إلا علىٰ سبيل المجاز لا الحقيقة، ومعلومٌ أن الأصل في النصوص الشرعية الحقيقة لا المجاز.
٢ ـ صدَّر اللَّه ﷻ الآية بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، ثم قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ...﴾، وهذا معناه أن هذا الفعل منهم ـ وهو سؤالهم الاستغفار ـ إنما يكون حالَ إرسال الرسول ﷺ وهو حيٌّ بينهم، وليس بعد موته.
٣ ـ سياق الآيات في المنافقين النفاق الأكبر وجنايتهم علىٰ دين اللَّه تعالىٰ وعلىٰ رسوله ﷺ، ودعوة هؤلاء للتوبة، وأن يستغفر لهم ﷺ مما جنَوا في حق اللَّه تعالىٰ ورسوله ﷺ.
٤ ـ هذه الآية متضمنةٌ تشريعًا، وهو طلب الاستغفار من الرسول ﷺ، ومعلومٌ أن التشريعات إنما تشرَّع في حياته ﷺ، وليس بعد وفاته؛ إذ بالوفاة يُغلق باب التشريع إجماعًا؛ وعليه فالخطاب له ﷺ في =

= الآية ـ بتشريع مجيئهم إليه وطلبهم الدعاء منه والاستغفار ـ لا يكون إلَّا في حياته لا بعد وفاته ﷺ.

٥ ـ اللَّهُ تعالىٰ بيَّن أن رجاء التوبة معلَّقٌ بأمور، منها استغفارهم اللَّهَ تعالىٰ مطلقًا، واستغفار الرسول ﷺ لهم، فالذين يأتون إلىٰ قبره ﷺ، من أين علموا أنه ﷺ سمِعهم أولًا، ثم استغفر لهم ثانيًا؟! وقد دلَّت الأدلةُ الشرعية علىٰ أنه ﷺ لا يَعلم من كلام أمَّتِه له بعد وفاته ﷺ سوىٰ سلامهم عليه ـ كما ثبت في الحديث الصحيح ـ، وكذلك فلا يَسمع سلامهم عليه بنفسه الشريفة ﷺ؛ بل بواسطة الملائكة الكرام الذين يبلِّغونه عن أمته السلام.

٦ ـ طلبُ الاستغفار منه بعد مماته ﷺ مما لم يَرِد دليلٌ بأنه يبلُغُه أو يسمعه ﷺ ـ حتىٰ بواسطة الملائكة ـ، فكيف يَطلب العبدُ شيئًا ممن لا يسمعه أصلًا؛ بل ولا يسمع السائلُ ـ أيضًا ـ ردَّه عليه ـ علىٰ افتراض وقوعه ـ؟!

٧ ـ هذا الفعل الذي يفعله أولئك المبتدعة لم يُعلم له أصلٌ عن أعلم الناس بدين اللَّه تعالىٰ وبرسوله ﷺ، وهم الصحابة الكرام ﷺ، فلم يبلغنا أن واحدًا منهم ـ مع حبهم العظيم لرسولهم ﷺ وإجلالهم له ـ جاء بعد وفاته وذهب إلىٰ قبره، وطلب منه الاستغفار. وهذا إجماعٌ تركيٌّ منهم، يُعرف به عدمُ مشروعيةِ هذا الأمر.

وعليه فهذا الفعلُ لا أصل له في الكتابة والسنة ولا عند السلف الصالح، وكذا لا يُعلم عن أكابر أئمة الإسلام مِن بعدهم، فيكون فِعْلُه ممن بعدهم بدعةً وضلالةً في دين اللَّه تعالىٰ، بل شركٌ باللَّه العلي الكبير.

هذا ما تبدَّىٰ لي وظهر من خلال النصوص والقواعد الشرعية، ولم أجد هذا الرد التفصيلي لأحدٍ من أهل العلم، فما كان فيه من صواب فمن رب العالمين، وما كان فيه من خطإٍ فمني ومن الشيطان. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

فذكر سبحانه استغفارَهم واستغفار الرسول لهم؛ إذ ذلك مما أمر اللَّهُ به الرسولَ؛ حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولم يأمر اللَّهُ مخلوقًا أن يسأل مخلوقًا شيئًا لم يأمر اللَّهُ المخلوقَ به؛ بل ما أَمَر اللَّهُ العبد أَمْرَ إيجابٍ أو استحباب= ففِعلُه هو عبادةٌ للَّه، وطاعةٌ وقربةٌ إلىٰ اللَّه، وصلاحٌ لفاعله وحسنةٌ منه، وإذا فعل ذلك كان من أعظم إحسانِ اللَّه إليه، وإنعامه عليه؛ بل أجلُّ نعمةٍ أنعم اللَّه بها علىٰ عباده أن هداهم للإيمان[(١)]، والإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ بالطاعة والحسنات؛ فكلما ازداد العبد عملًا للخير ازداد إيمانه؛ هذا هو الإنعام الحقيقي المذكور في قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧]، وفي قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [النساء: ٦٩]، بل نِعمُ الدنيا بدون الدين هل هي نعمةٌ[(٢)] أم لا؟ فيه قولان مشهوران للعلماء من أصحابنا وغيرهم.

والتحقيق: أنها نعمةٌ من وجه، وإن لم تكن نعمةً تامةً من وجه، وأما الإنعام بالدين الذي ينبغي طلبه، فهو ما أمر اللَّه به من واجب ومستحب، فهو الخير الذي ينبغي طلبُه باتفاق المسلمين، وهو النعمة الحقيقية عند أهل السُّنة؛ إذ عندهم أن اللَّه هو الذي أنعم بفعل الخير، والقدريةُ عندهم إنما أنعم بالقدرة عليه الصالحةِ للضدين [فقط][(٣)].

والمقصود هنا: أن اللَّه لم يأمر المخلوق أن يسأل مخلوقًا إلا ما كان مصلحةً لذلك المخلوق ـ إما واجب أو مستحب ـ؛ فإنه سبحانه

(١) وكذا أفاد الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/٢٧٦).
(٢) في المطبوع و«الفتاوىٰ»: «من نِعَمه»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.
(٣) زيادة من «مجموع الفتاوىٰ» (١/١٣٣).

لا يطلب من العبد إلا ذلك، فكيف يأمرُ غيرَه أن يطلب منه غيرَ ذلك؟ بل قد حرَّم علىٰ العبد أن يسأل العبدَ ماله إلا عند الضرورة - وإن كان قصدُه مصلحةَ المأمور، أو مصلحته ومصلحة المأمور -؛ فهذا يثاب علىٰ ذلك. وإن كان قصدُه حصولَ المطلوب من غير قصدٍ منه لانتفاع المأمور، فهذا من نفسه أُتي، ومثلُ هذا السؤال لا يأمر اللَّه تعالىٰ به قط؛ بل قد نهىٰ عنه؛ إذ هو سؤالٌ محضٌ للمخلوق من غير قصده لنفعه ولا لمصلحته.

واللَّهُ يأمرنا أن نعبده ونرغبَ إليه، ويأمرنا أن نُحسن إلىٰ عباده، وهذا لم يقصد لا هذا ولا هذا، فلم يقصد الرغبةَ إلىٰ اللَّه ودعاءَه - وهو الصلاة -، ولا قصد الإحسان إلىٰ الخلق - الذي هو الزكاة -، وإن كان العبد قد لا يأثم بمثل هذا السؤال، لكن فرقٌ بين ما يؤمر العبد به، وما يؤذن له فيه، ألا ترىٰ أنه ﷺ قال في السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب: «**إنهم لا يَسْتَرْقون**»[1] - وإن كان الاسترقاء جائزًا -! وهذا قد بسطناه في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا: أن من أثبت وسائط بين اللَّه وبين خلقه - كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية - فهو مشرك، بل هذا دينُ المشركين عُبَّاد الأوثان؛ كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وإنها وسائل يتقربون بها إلىٰ اللَّه، وهو من الشرك الذي أنكره اللَّه علىٰ النصارىٰ؛ حيث قال: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة].

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة]، أي: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ إذا دعوتهم بالأمر والنهي، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾: أن أُجيب دعاءهم لي بالمسألة والتضرع.

قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب[1] ﴿٨﴾﴾ [الشرح].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢].

وقال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ[2] ﴿٢٩﴾﴾

---

(١) في معنىٰ الآيتين عدة أقوال ـ أكثرها متقارب ـ:
قيل: فإذا فرغتَ من الصلاة المكتوبة، فانصب إلىٰ ربّك في الدعاء، وارغب إليه في المسألة يُعطِك.
وقيل: إذا صليت فاجتهدْ في الدعاء والمسألة.
وقيل: إذا فرغت من الفرائض فانصَبْ في قيام الليل.
وقيل: إذا فرغت من التشهد فادعُ لدنياك وآخرتك.
وقيل: إذا فرغتَ من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربِّك.
وقيل: إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب في عبادة ربِّك وصلِّ.
وقيل: إذا فرغت من تبليغ الرسالة فاستغفر لذنبك وللمؤمنين.
وقيل: تضرع إليه راهبًا من النار، راغبًا في الجنة.
وقيل: فارغب إليه في جميع أحوالك.
راجع: «تفسير البغوي».

(٢) فمن شأنه ﷻ: أن يحيي ويميت، ويرزق، ويعزَّ قومًا، ويُذلَّ قومًا، ويشفي مريضًا، ويفكَّ أسيرًا، ويفرِّج مكروبًا، ويجيب داعيًا، ويعطي =

[الرَّحمٰن].

وقد بيَّن اللَّه هذا التوحيد في كتابه، وحسم موادَّ الإشراك به؛ حتىٰ لا يخاف أحدٌ غيرَ اللَّه، ولا يرجو سواه، ولا يتوكل إلا عليه.

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾، أي: يخوِّفكم أولياءه، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور]. فبيَّن أن الطاعة للَّه ورسوله، وأما الخشيةُ فللَّه وحده.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة](١).

= سائلًا، ويغفر ذنبًا... إلىٰ ما لا يُحصىٰ من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء ﷻ.

انظر المصدر السابق.

(١) جاء بعدها في المطبوع: «فبيَّن أن إيتاء اللَّه والرسول سواءٌ؛ كما قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]؛ فإن الرسول هو الذي يبيِّن ما أمر اللَّه به وما نهىٰ عنه وما أباحه لنا. وأما التحسب =

ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران].

وقد كان النبي ﷺ يحقِّق هذا التوحيد لأمته، ويحسم عنهم موادَّ الشرك؛ إذ هذا تحقيق قولنا: «لا إلٰه إلا اللَّه»، فإن الإلٰه هو الذي تألهُه القلوبُ لكمال المحبة والتعظيم، والإجلال والإكرام، والرجاء والخوف؛ حتىٰ قال لهم: «**لا تقولوا: ما شاء اللَّهُ وشاء محمدٌ، ولكن قولوا: ما شاء اللَّهُ، ثم شاء محمدٌ**»[١].

وقال له رجل: ما شاء اللَّه وشئتَ. فقال: «**أجعلتني للَّه ندًّا؟ قل: ما شاء اللَّهُ وحده**»[٢].

وقال ﷺ: «**مَن كان حالفًا فليحلِفْ باللَّه أو ليصمت**»[٣].

وقال ﷺ: «**مَن حلف بغير اللَّه فقد أشرك**»[٤].

وقال ﷺ لابن عباس: «**إذا سألتَ فاسألِ اللَّه، وإذا استعنتَ فاستعِنْ باللَّه، جفَّ القلمُ بما أنت لاقٍ، فلو جَهِدَتِ الخليقةُ علىٰ أن تنفعَك، لم تنفعْك إلا بشيءٍ كتبه اللَّهُ لك، ولو جهدتْ أن تضرَّك، لم تضرَّك إلا بشيءٍ كتبه اللَّه عليك**»[٥].

وقال ـ أيضًا ـ: «**لا تُطروني كما أطرتِ النصارىٰ عيسىٰ ابنَ مريم،**

= فهو للَّه وحده؛ كما قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾، ولم يقولوا: حسبنا اللَّه ورسوله». اهـ. وليست في «مجموع الفتاوىٰ» (١/١٣٦).

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) رواه البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

(٥) **صحيح**: وقد تقدم.



إنما أنا عبدٌ؛ فقولوا: عبدُ اللَّه ورسولُه»[(١)].

وقال ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد»[(٢)].

وقال ﷺ: «لا تتخذوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغُني حيثما كنتم»[(٣)].

وقال ﷺ في مرضه: «لعن اللَّهُ اليهودَ والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ـ يحذِّر ما صنعوا ـ. قالت عائشة: ولولا ذلك لأُبرز قبرُه، ولكن كره أن يُتخذ مسجدًا[(٤)].

وهذا باب واسع.

ومع علم المؤمن أن اللَّه ربُّ كل شيء ومليكُه، فإنه لا يُنكِرُ ما خلقه اللَّه تعالىٰ من الأسباب، كما جعل المطر سببًا لإنبات النبات؛ قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وكما جعل الشمس والقمر سببًا لما يخلقُه بهما، وكما جعل الشفاعةَ والدعاء سببًا لما يقضيه بذلك، مثل صلاة المسلمين علىٰ جنازة الميت؛ فإن ذلك من الأسباب التي يرحمه اللَّه بها، ويُثيب عليها المصلين عليه.

[قواعد مهمة عند الأخذ الأسباب]:

لكن ينبغي أن يُعرف في الأسباب ثلاثة أمور:

أحدها: أن السبب المعيَّن لا يستقلُّ بالمطلوب؛ بل لابد معه من

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

أسباب أُخَر، ومع هذا فلها موانع، فإن لم يُكمِلِ اللَّه الأسباب، ولم يدفع الموانع، لم يحصل المقصود، فهو سبحانه ما شاء كان ـ وإن لم يشأ الناس ـ، وما شاء الناس لا يكونُ ـ إلا أن يشاء اللَّه ـ.

الثاني: أنه لا يجوز[1] أن يُعتقد أن الشيء سببٌ إلا بعلم، فمن أثبت شيئًا سببًا بلا علم، أو يخالف الشرع، كان مبطلًا، مثل من يظن كون النذر سببًا في دفع البلاء وحصول النعماء[2].

وقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه نهىٰ عن النذر، وقال: «**إنه لا يأتي بخير؛ وإنما يُستخرَجُ به من البخيل**»[3].

الثالث: أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يُتخذ منها شيءٌ سببًا إلا أن تكون مشروعة؛ فإن العبادات مبناها علىٰ التوقيف، فلا يجوز للإنسان أن يشرك باللَّه، فيدعو غيره ـ وإن ظنَّ أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه ـ؛ ولذلك لا يُعبَدُ اللَّه بالبدع المخالفة للشريعة ـ وإن ظُنَّ ذلك ـ؛ فإن الشياطين قد تعين الإنسانَ علىٰ بعض مقاصده إذا أشرك.

وقد يَحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعضُ أغراض الإنسان؛ فلا يحل له ذلك؛ إذ المفسدة الحاصلة بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة به، إذ الرسول ﷺ بُعث بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد

---

(١) في بعض المطبوعات و«مجموع الفتاوىٰ» (١/١٣٦): «أن لا يجوز»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

(٢) ومثله تمامًا جعل الاستغاثة بالأموات سببًا في رفع البلاء، أو حدوث الرخاء.

(٣) رواه البخاري (١٦٣٩)، ومسلم (٦٦٩٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وتقليلها؛ فما أمر اللَّه تعالىٰ به فمصلحته راجحة، وما نهىٰ عنه فمفسدته راجحة.

وهذه الجمل لها بسط لا تحتمله هذه الوريقات، واللَّه أعلم.

والحمد للَّه وحده، وصلىٰ اللَّه تعالىٰ علىٰ سيدنا محمد وآله وسلم، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل.



[٣٤]

العبـوديـة

لشيخ الإسلام

تقي الدين ابن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

إن الحمد للَّه، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله.

أما بعد:

فقد سئل شيخ الإسلام، وعلم الأعلام، ناصر السنة، وقامع البدعة أحمد ابن عبدالحليم ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: عن قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، فما العبادة وفروعها؟ وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا؟ وما حقيقة العبودية؟ وهل هي أعلىٰ المقامات في الدنيا والآخرة، أم فوقها شيءٌ من المقامات؟ ولتبسطوا لنا القول في ذلك.

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: الحمد للَّه رب العالمين.

العبادة: هي اسمٌ جامع لكل ما يحبُّه اللَّه ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلىٰ الجار واليتيم، والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حبُّ اللَّه ورسوله، وخشية اللَّه، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحُكمه، والشكرُ لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة للَّه.

وذلك أن العبادة للَّه هي الغاية المحبوبة له والمرضية له، التي خلق الخلق لها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات]، وبها أُرسل جميع الرسل.

كما قال نوح لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

وكذلك قال هودٌ وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢﴾ [الأنبياء].

كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢﴾ [المؤمنون].

وجعل ذلك لازمًا لرسوله إلىٰ الموت؛ كما قال: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩].

وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ

لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ [الأعراف].

وذم المستكبرين عنها بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [غافر].

ونعت صفوة خلقه بالعبودية له:

فقال تعالىٰ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ [الإنسان].

وقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ الآيات [الفرقان: ٦٣].

ولما قال الشيطان: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ [الحجر]، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ [الحجر].

وقال في وصف الملائكة بذلك: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ [الأنبياء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ [مريم].

وقال تعالىٰ عن المسيح ـ الذي ادُّعيت فيه الأُلوهية والنبوة ـ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ[(١)] ﴿٥٩﴾ [الزخرف].

---

(١) أي: جعلناه آيةً وعبرةً لبني إسرائيل، يعرفون بها قدرة اللَّه تبارك وتعالى.



ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**لا تُطروني كما أطرت النصارىٰ عيسىٰ ابن مريم؛ فإنما أنا عبدٌ؛ فقولوا: عبدُ اللَّه ورسولُه**»(١).

وقد نعته اللَّه بالعبودية في أكمل أحواله:

- فقال في الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].
- وقال في الإيحاء: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم].
- وقال في الدعوة: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩﴾ [الجن].
- وقال في التحدي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

فالدين كله داخل في العبادة.

وقد ثبت في «الصحيح» أن جبريل لما جاء إلىٰ النبي ﷺ في صورة أعرابيٍّ وسأله عن الإسلام قال: «**أن تشهد ألَّا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، وتقيمَ الصلاة، وتؤتيَ الزكاة، وتصومَ رمضان، وتحجَّ البيت ـ إن استطعت إليه سبيلًا ـ**». قال: فما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمنَ باللَّه وملائكته وكتبه ورُسله والبعثِ بعد الموت، وتؤمنَ بالقَدَر خيره وشره**». قال: فما الإحسان؟ قال: «**أن تعبد اللَّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». ثم قال في آخر الحديث: «**هذا جبريلُ جاءكم يعلِّمُكم دينَكم**»(٢).

فجعل هذا كلَّه من الدين.

والدين يتضمن معنىٰ الخضوع والذل. يقال: دِنتُه فدان، أي:

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

ذلَّلتُه فذل، ويقال: يدين اللَّه، ويدين للَّه، أي: يعبد اللَّه ويطيعه ويخضع له.

فدين اللَّه: عبادته وطاعته والخضوع له.

والعبادة أصل معناها: الذل ـ أيضًا ـ؛ يقال: طريق معبَّد إذا كان مذلَّلًا قد وَطِئَتْه الأقدام.

لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنىٰ الذل، ومعنىٰ الحب، فهي تتضمن غاية الذل للَّه بغاية المحبة له؛ فإن آخر مراتب الحب هو «التتيُّم»، وأوله «العلاقة» لتعلق القلب بالمحبوب، ثم «الصَّبابة» لانصباب القلب إليه، ثم «الغرام» وهو الحب اللازم للقلب، ثم «العشق»، وآخرها «التتيُّم»؛ يقال: تَيم اللَّه، أي: عبد اللَّه، فالمتيم: المعبَّد لمحبوبه.

ومن خضع لإنسانٍ مع بغضه له لا يكون عابدًا له، ولو أحب شيئًا ولم يخضع له لم يكن عابدًا له، كما قد يحبُّ ولده وصديقه؛ ولهذا لا يكفي أحدُهما في عبادة اللَّه تعالىٰ؛ بل يجب أن يكون اللَّهُ أحبَّ إلىٰ العبد من كل شيء، وأن يكون اللَّهُ أعظمَ عنده من كل شيء؛ بل لا يستحق المحبةَ والذلَّ التام إلا اللَّه.

وكلُّ ما أُحب لغير اللَّه فمحبته فاسدة، وما عُظِّم بغير أمر اللَّه كان تعظيمه باطلًا.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

فجنس المحبة تكون للَّه ورسوله، كالطاعة؛ فإن الطاعة للَّه

ورسوله [﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]]، والإرضاء للَّه ورسوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، والإيتاء للَّه ورسوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٥٩].

وأما العبادة وما يناسبها من التوكل والخوف ونحو ذلك، فلا يكون إلا للَّه وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة].

فالإيتاء للَّه والرسول؛ كقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

وأما الحسْب ـ وهو الكافي ـ فهو اللَّه وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال]، أي: حسبُك وحسبُ من اتبعك اللَّهُ.

ومن ظن أن المعنىٰ: «حسبُك اللَّه والمؤمنون معه»، فقد غلط غلطًا فاحشًا، كما قد بسطناه في غير هذا الموضع.

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

وتحرير ذلك: أن العبد يراد به المعبَّد الذي عَبَّده اللَّه فذلَّله ودبَّره وصرَّفه، وبهذا الاعتبار المخلوقون كلهم عباد اللَّه، الأبرار منهم والفجار، والمؤمنون والكفار، وأهل الجنة وأهل النار؛ إذ

هو ربُّهم كلِّهم ومليكُهم، لا يخرجون عن مشيئته وقدرته، وكلماته التامات التي لا يجاوزُهنَّ برٌّ ولا فاجر[(١)]، فما شاء كان وإن لم يشاؤوا. وما شاؤوا إن لم يشأه لم يكن، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران].

فهو سبحانه رب العالمين، وخالقهم ورازقهم، ومحييهم ومميتهم، ومقلِّبُ قلوبهم، ومصرف أمورهم، لا رب لهم غيره، ولا مالك لهم سواه، ولا خالق إلا هو؛ سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه، وسواء علموا ذلك أو جهلوه، لكنَّ أهل الإيمان منهم عرفوا ذلك واعترفوا به، بخلاف من كان جاهلًا بذلك، أو جاحدًا له مستكبرًا علىٰ ربه لا يُقِرُّ ولا يخضع له، مع علمه بأن اللَّه ربه وخالقه.

فالمعرفة بالحق إذا كانت مع الاستكبار عن قبوله والجحد له = كان عذابًا علىٰ صاحبه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام].

فإن اعترف العبد أن اللَّه ربُّه وخالقُه، وأنه مفتقرٌ إليه محتاجٌ إليه = عرف العبودية المتعلقة بربوبية اللَّه، وهذا العبد يسأل ربَّه، ويتضرع إليه ويتوكل عليه، لكن قد يطيع أمره، وقد يعصيه، وقد

(١) أي: كلماته القدرية الكونية التي لا يمكن أن يخالفها برٌّ ولا فاجر.

يعبده مع ذلك، وقد يعبد الشيطان والأصنام.

ومثل هذه العبودية لا تفرِّق بين أهل الجنة والنار، ولا يصير بها الرجل مؤمنًا.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف]؛ فإن المشركين كانوا يقرُّون أن اللَّه خالقهم ورازقهم، وهم يعبدون غيره.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥﴾، إلىٰ قوله: ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ٨٩﴾ [المؤمنون].

وكثيرٌ ممن يتكلم في الحقيقة ويشهدها، يشهد هذه الحقيقة؛ وهي الحقيقة الكونية، التي يشترك فيها وفي شهودها ومعرفتها المؤمن والكافر، والبرُّ والفاجر، وإبليس معترف بهذه الحقيقة وأهلُ النار.

قال إبليس: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ٧٩﴾ [ص].

وقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٣٩﴾ [الحجر].

وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٢﴾ [ص].

وقال: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢].

وأمثال هذا من الخطاب الذي يقر فيه بأن اللَّهَ ربُّه وخالقُه وخالق غيره، وكذلك أهل النار قالوا: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ١٠٦﴾ [المؤمنون].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ[(١)] قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ﴾ [الأنعام: ٣٠].

فمن وقف عند هذه الحقيقة[(٢)] وعند شهودها، ولم يقُم بما أُمر به من الحقيقة الدينية ـ التي هي عبادته المتعلقة بإلٰهيته وطاعة أمره وأمر رسوله ـ كان من جنس إبليس وأهل النار، وإن ظَن مع ذلك أنه من خواصِّ أولياء اللَّه، وأهلِ المعرفة والتحقيق الذين يَسقط عنهم الأمر والنهي الشرعيان= كان من أشر أهل الكفر والإلحاد.

ومن ظنَّ أن الخضر وغيره سقط عنهم الأمر لمشاهدة الإرادة، ونحو ذلك= كان قوله هذا من شر أقوال الكافرين باللَّه ورسوله؛ حتىٰ يدخل في النوع الثاني من معنىٰ «العبد»؛ وهو العبد بمعنىٰ العابد؛ فيكون عابدًا للَّه لا يعبد إلا إياه، فيطيع أمره وأمر رسله، ويوالي أولياءه المؤمنين المتقين، ويعادي أعداءه، وهذه العبادة متعلقة بإلٰهيته تعالىٰ؛ ولهذا كان عنوان التوحيد لا إلٰه إلا اللَّه، بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبده، أو يعبد معه إلٰهًا آخر.

فالإلٰه هو الذي يألهُه القلبُ بكمال الحب والتعظيم والإجلال والإكرام والخوف والرجاء ونحو ذلك، وهذه العبادة هي التي يحبها اللَّه ويرضاها، وبها وصف المصطفَينَ من عباده، وبها بعث رسله.

وأما العبد بمعنىٰ «المعبَّد» ـ سواء أقر بذلك أو أنكره ـ؛ فتلك

---

(١) أي: علىٰ النار عند ربِّهم. وقيل: وقفوا علىٰ حُكمه وقضائه. وقيل: عُرضوا عليه ﷻ.

(٢) يعني الكونية.

يشترك فيها المؤمن والكافر.

وبالفرق بين هذين النوعين يُعرف الفرق بين الحقائق الدينية الداخلة في عبادة اللَّه ودينه وأمره الشرعي، التي يحبها ويرضاها، ويوالي أهلها، ويكرمهم بجنته، وبين الحقائق الكونية التي يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر؛ التي من اكتفىٰ بها، ولم يتبع الحقائق الدينية كان من أتباع إبليس اللعين، والكافرين برب العالمين، ومن اكتفىٰ بها في بعض الأمور دون بعض، أو في مقام دون مقام، أو حال دون حال= نقص من إيمانه وولايته للَّه بحسب ما نقص من الحقائق الدينية.

وهذا مقامٌ عظيم فيه غلط الغالطون، وكثر فيه الاشتباه علىٰ السالكين، حتىٰ زلق فيه من أكابر الشيوخ المدعين التحقيق والتوحيد والعرفان ما لا يحصيهم إلا اللَّه الذي يعلم السر والإعلان.

▫ وإلىٰ هذا أشار الشيخ عبدالقادر [الجَيْلاني] رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما ذُكر عنه، فبيَّن أن كثيرًا من الرجال إذا وصلوا إلىٰ القضاء والقدر أمسكوا؛ [قال]: «إلا أنا؛ فإني انفتحت لي فيه رَوزنة(١)، فنازعتُ أقدارَ الحقِّ بالحقِّ للحق، والرجل من يكون منازعًا للقدر، لا من يكون موافقًا للقدر(٢)».

والذي ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الذي أَمَر اللَّه به ورسولُه، لكنَّ كثيرًا من الرجال غلطوا؛ فإنهم قد يشهدون ما يُقدَّر علىٰ أحدهم

---

(١) **الرَّوزنة**: كالنافذة.

(٢) وإنما قصد عدم موافقة القدر في الكفر والمعاصي؛ فليس لأحدٍ أن يرضىٰ بضلاله محتجًّا بقدر ربِّه، وسوف يأتي إيضاح الإمام لذلك.

من المعاصي والذنوب، أو ما يُقدَّر على الناس من ذلك ـ بل من الكفر ـ، ويشهدون أن هذا جارٍ بمشيئةِ اللَّه وقضائه وقدَره، داخل في حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته؛ فيظنون الاستسلام لذلك وموافقته والرضا به ـ ونحو ذلك ـ دينًا وطريقًا وعبادةً، فيضاهون المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقالوا: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧]، وقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف: ٢٠].

ولو هُدُوا لعلموا أن القَدَر أُمِرْنا أن نرضى به ونصبر على موجَبه في المصائب التي تصيبُنا ـ كالفقر والمرض والخوف ـ، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾ [التغابن: ١١].

▫ قال بعض السلف: «هو الرجل تُصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند اللَّه؛ فيرضى ويسلِّم».

وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ[1] إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟[2] عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد].

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**احتجَّ آدم وموسى، فقال موسى: أنت آدم الذي خلقك اللَّه بيده، ونَفَخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكتَه، وعلَّمك أسماء كلِّ شيء، فلماذا أخرجتَنا ونفسَك من الجنة؟ فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك اللَّهُ برسالته وبكلامه، فهل وجدتَ ذلك مكتوبًا عليَّ قبل أن أُخلق؟ قال: نعم**». قال: «**فحجَّ**

(١) ﴿نَّبْرَأَهَآ﴾: نخلقها من العدم. والمراد: الخليقة.
(٢) ﴿تَأْسَوْا۟﴾: تحزنوا.

آدم موسىٰ»[(١)].

وآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يحتجَّ علىٰ موسىٰ بالقدر، لئلَّا يُظنَّ[(٢)] أن المذنبَ يحتجُّ بالقدر؛ فإن هذا لا يقوله مسلمٌ ولا عاقل، ولو كان هذا عذرًا لكان عذرًا لإبليس وقوم نوح وقوم هود وكل كافر، ولا موسىٰ لام آدم ـ أيضًا ـ لأجل الذنب؛ فإن آدم قد تاب إلىٰ ربه، فاجتباه وهدىٰ، ولكن لامه لأجل المصيبة التي لحقتهم بالخطيئة؛ ولهذا قال: «**فلماذا أخرجتَنا ونفسك من الجنة؟**»، فأجابه آدمُ أن هذا كان مكتوبًا عليَّ قبل أن أُخلق، فكان العمل والمصيبة المترتبة عليه مقدرًا، وما قُدِّر من المصائب يجب الاستسلامُ له؛ فإنه من تمام الرضا باللَّه ربًّا.

وأما الذنوب فليس للعبد أن يذنب، وإذا أذنب فعليه أن يستغفرَ ويتوب، فيتوب من المعائب، ويصبر علىٰ المصائب.

قال تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٨٦﴾ [آل عمران].

وقال يوسف: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٠﴾ [يوسف].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (٢٦٥٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) في المطبوعات جميعًا: «ظنًّا»، بدلًا من عبارة: «لئلَّا يظن»، والعبارة علىٰ ما في المطبوعات فيها إشكال عندي، ولعل هناك سقطًا، وما أثبتُّه هو المقصود من مراد الإمام. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

📖 **[وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]:**

وكذلك ذنوب العباد، يجب علىٰ العبد فيها أن يأمر بالمعروف، وينهىٰ عن المنكر ـ بحسب قدرته ـ، ويجاهد في سبيل اللَّه الكفارَ والمنافقين، ويوالي أولياء اللَّه، ويعادي أعداء اللَّه، ويحب في اللَّه، ويُبغض في اللَّه.

كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾، إلىٰ قوله: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ١ ـ ٤].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، إلىٰ قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥﴾ [القلم].

وقال: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨﴾ [ص].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ (١) سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١﴾ [الجاثية].

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب: ﴿سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ﴾ ـ بنصب «سواءً» ـ، يعني: أحسبوا أن حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم سواءً؟ كلَّا. وقرأ الآخرون بالرفع علىٰ الابتداء والخبر: ﴿سَوَآءٌ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ﴾، أي: محياهم ومماتُهم سواء؛ فالضمير فيهما يرجع إلىٰ المؤمنين والكافرين جميعًا، معناه: المؤمن مؤمنٌ محياه =



وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر].

وقال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ[1] هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾، إلىٰ قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل].

وقال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر].

ونظائر ذلك مما يفرِّق اللَّه فيه بين أهل الحق والباطل، وأهل الطاعة وأهل المعصية، وأهل البر وأهل الفجور، وأهل الهدىٰ والضلال، وأهل الغي والرشاد، وأهل الصدق والكذب.

فمَن شهد الحقيقة الكونية دون الحقيقة الدينية سوَّىٰ بين هذه الأجناس المختلفة التي فرق اللَّه بينها غاية التفريق، حتىٰ يؤولَ به الأمرُ إلىٰ أن يسوِّي بين اللَّه وبين الأصنام، كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء]؛ بل قد آل الأمر بهؤلاء إلىٰ أن سوَّوُا اللَّه بكل موجود، وجعلوا ما يستحقه من العبادة والطاعة حقًّا لكل موجود؛ إذ جعلوه هو وجود المخلوقات، وهذا من أعظم الكفر والإلحاد برب العباد.

= ومماته، أي في الدنيا والآخرة، والكافر كافرٌ في الدنيا والآخرة.
انظر: «تفسير البغوي» عند الآية الكريمة.

(١) أي: خالصٌ له وحدَه لا يشاركه فيه أحد.

وهؤلاء يصل بهم الكفر إلىٰ أنهم لا يَشهدون أنهم عِباد ـ لا بمعنىٰ أنهم معبَّدون، ولا بمعنىٰ أنهم عابدون ـ؛ إذ يشهدون أنفسهم هي الحق، كما صرَّح بذلك طواغيتهم ـ كابن عربي صاحب «الفصوص»، وأمثاله من الملحدين المفترين، كابن سبعين وأمثاله ـ، ويشهدون أنهم هم العابدون والمعبودون! وهذا ليس بشهود الحقيقة ـ لا كونية ولا دينية ـ؛ بل هو ضلالٌ وعمًىٰ عن شهود الحقيقة الكونية، حيث جعلوا وجود الخالق هو وجود المخلوق، وجعلوا كل وصفٍ مذمومٍ وممدوحٍ نعتًا للخالق والمخلوق؛ إذ وجود هذا هو وجود هذا عندهم.

وأما المؤمنون باللَّه ورسوله ـ عوامهم وخواصهم، الذين هم أهل الكتاب[(١)]، كما قال النبي ﷺ: «**إن للَّه أَهْلِينَ من الناس**». قيل: من هم يا رسول اللَّه؟ قال: «**أهل القرآن، هم أهلُ اللَّه وخاصَّتُه**»[(٢)] ـ، فهؤلاء يعلمون أن اللَّه ربُّ كل شيء ومليكه وخالقه، وأن الخالق سبحانه مباينٌ للمخلوق، ليس هو حالًّا فيه ولا متَّحدًا به، ولا وجودُه وجوده.

---

(١) يقصد المسلمين المؤمنين بالقرآن، ولم يقصد أهل الكتاب بمعناه الشائع، كاليهود والنصارىٰ.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١٢٧/٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٩٧٧)، وابن ماجه (٢١٥)، والحاكم (٥٥٦/١)، وابن الضُّرَيس في «فضائل القرآن» (٧٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦٣/٣) والبيهقي في «الشعب» (٢٤٣٤)، والخطيب في «التاريخ» (٣٢٦/٣)، من حديث أنس رضي الله عنه. **وصحَّحه** الإمام البوصيري، والشيخ الألباني، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٠٥/١٩)، والشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد».

والنصارىٰ كفَّرهم اللَّه بأن قالوا بالحلول واتحاد الرب بالمسيح خاصةً، فكيف من جعل ذلك عامًّا في كل مخلوق؟

ويعلمون(١) مع ذلك أن اللَّه أمر بطاعته وطاعةِ رسوله، ونهىٰ عن معصيته ومعصية رسوله، وأنه لا يحبُّ الفساد، ولا يرضىٰ لعباده الكفر، وأن علىٰ الخلق أن يعبدوه فيطيعوا أمره، ويستعينوا به علىٰ كل ذلك؛ كما قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

ومن عبادته وطاعته: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر - بحسب الإمكان -، والجهاد في سبيله لأهل الكفر والنفاق؛ فيجتهدون في إقامة دينه، مستعينين به، دافعين مُزيلين بذلك ما قُدِّر من السيئات، دافعين بذلك ما قد يُخاف من ذلك، كما يُزيل الإنسانُ الجوعَ الحاضر بالأكل، ويدفع به الجوع المستقبل، وكذلك إذا آن أوان البرد دفعه باللباس، وكذلك كلُّ مطلوب يُدفع به مكروه.

كما قالوا للنبي ﷺ: يا رسول اللَّه، أرأيت أدويةً نتداوىٰ بها، ورُقًىٰ نسترقي بها وتُقاةً نتَّقي بها؛ هل تردُّ من قَدَر اللَّه شيئًا؟ فقال: «**هي من قَدَر اللَّه**»(٢).

---

(١) يقصد المؤمنين المتمسكين بالكتاب.

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (٤٢١/٣)، والتِّرمذي (٢٤١٨)، وابن ماجه (٣٤٣٧)، والحاكم (١٩٩/٤)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٥٨٧/٩)، وفي «الشعب» (١١٥٧)، وفي «القضاء والقدر» (٢٢٤)، وابن وهب في «الجامع» (٦٩٩)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٦١٠)، والدولابي في «الكنىٰ» (٢٦/١)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٠٩٣)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٣٢٠)، وتمَّام في «الفوائد» (١١٦٠)، وأبو نعيم في «المعرفة» =

وفي الحديث: «**إن الدعاء والبلاء ليَلتقيان، فيَعتلِجانِ**[(١)] **بين السماء والأرض**»[(٢)].

فهذا حال المؤمنين باللَّه ورسوله العابدين للَّه، وكل ذلك من العبادة.

[مراتب من يشهدون الحقيقةَ الكونيةَ دون الدينية]:

وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية ـ وهي ربوبيته تعالىٰ لكل شيء ـ، ويجعلون ذلك مانعًا من اتباع أمره الديني الشرعي علىٰ مراتب في الضلال:

[١] فغلاتهم يجعلون ذلك مطلقًا عامًّا، فيحتجُّون بالقدر في كل ما يخالفون فيه الشريعة، وقول هؤلاء شرٌّ من قول اليهود والنصارىٰ، وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا

= (٣٢١٥)، من حديث أبي خزامة ﵁. **وحسَّنه** الترمذي، **وسكت عليه** الحاكم والذهبي، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢١٧/٢٤)، وعند ابن ماجه (٤٩٨/٤).

(١) **يعتلجان**: يتصارعان.

(٢) **ضعيف**: رواه الحاكم (٤٩٢/١)، والطبراني في «الدعاء» (٣٣)، وفي «الأوسط» (٢٤٩٨)، والبزار (٢١٦٤)، وابن شاهين في «الترغيب» (١٤٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨٥٩)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٢٤٦)، وابن جُميع في «معجمه» (١٠٥/١)، من حديث أمنا عائشة ﵂. **وصحَّحه** الحاكم، **وأقرَّه** الذهبي، وكذا المنذري في «الترغيب» (٢٥٣١)، وكان الشيخ الألباني **صحَّحه** في «صحيح الجامع» (٧٧٣٩)، لكنه عاد وحكم عليه **بالضعف الشديد** في «الضعيفة» (٦٧٦٤)، وهذا هو آخر أحكامه، كما قال ناشر «الضعيفة» (٥٩٤/١٤).

﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف: ٢٠].

وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضًا؛ بل كلُّ مَن احتجَّ بالقدر فإنه متناقض؛ فإنه لا يمكن أن يُقَرَّ كلُّ آدمي علىٰ ما فَعَل، فلابد إذا ظَلَمه ظالمٌ أو ظَلَم الناسَ ظالم، وسعىٰ في الأرض بالفساد، وأخذ يسفكُ دماء الناس، ويستحلُّ الفروج، ويُهلك الحرث والنسل، ونحو ذلك من أنواع الضرر التي لا قوام للناس بها= أن يَدفع هذا القَدَر، وأن يعاقِبَ الظالم بما يَكفُّ عدوانه وعدوان أمثاله؛ فيقال له: إن كان القدرُ حجةً فدَع كل أحد يفعل ما يشاء بك وبغيرك، وإن لم يكن حجةً بَطَل أصل قولك: إن القدر حجة.

وأصحاب هذا القول ـ الذين يحتجُّون بالحقيقة الكونية ـ لا يطرُدون هذا القول ولا يلتزمونه، وإنما هم بحسب آرائهم وأهوائهم.

▫ كما قال فيهم بعض العلماء: «أنت عند الطاعة قدَري، وعند المعصية جبري[(١)]، أيَّ مذهبٍ وافق هواك تمذهبتَ به».

[٢] ومنهم صِنف يدَّعون التحقيق والمعرفة؛ فيزعمون أن الأمر والنهي لازمٌ لمن شهد لنفسه فِعلًا، وأثبت لها صنعًا، أمَّا من شهد أن أفعاله مخلوقة، أو أنه مجبورٌ علىٰ ذلك، وأن اللَّه هو المتصرف فيه، كما تُحرَّكُ سائر المتحرَّكات= فإنه يرتفع عنه الأمر والنهي، والوعد والوعيد.

وقد يقولون: «من شهد الإرادة سقط عنه التكليف»! ويزعم

---

(١) أي: إذا فعلتَ طاعةً زعمت أنها من عندك وباختيارك، وإذا وقعتَ في معصيةٍ زعمت أنك أُجبرتَ عليها.

أحدُهم أن الخضر سقط عنه التكليفُ لشهوده الإرادة! فهؤلاء لا يفرِّقون بين العامة والخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية، فشهدوا أن اللَّه خالقُ أفعال العباد، وأنه يدبِّر جميعَ الكائنات، وقد يفرِّقون بين من يَعلم ذلك علمًا، وبين من يراه شهودًا، فلا يُسقطون التكليفَ عمن يؤمِنُ بذلك ويَعلمُه فقط، ولكن يسقطونه عمن يشهده؛ فلا يرىٰ لنفسه فعلًا أصلًا، وهؤلاء لا يجعلون الجبر وإثبات القدر مانعًا من التكليف علىٰ هذا الوجه. وقد وقع في هذا طوائفُ من المنتسبين إلىٰ التحقيق والمعرفة والتوحيد.

وسبب ذلك: أنه ضاق نطاقُهم عن كون العبد يؤمَرُ بما يُقدَّرُ عليه خلافه، كما ضاق نطاق المعتزلة ونحوهم من القدرية عن ذلك. ثم المعتزلة أثبتت الأمرَ والنهي الشرعيَّينِ دون القضاء والقدر ـ الذي هو إرادةُ اللَّه العامة وخَلْقُه لأفعال العباد ـ، وهؤلاء أثبتوا القضاء والقدر، ونفَوا الأمرَ والنهي في حق من شَهِد القدر؛ إذ لم يمكنهم نفيُ ذلك مطلقًا! وقول هؤلاء شرٌّ من قول المعتزلة؛ ولهذا لم يكن في السلف مِن هؤلاء أحد. وهؤلاء يجعلون الأمرَ والنهي للمحجوبين الذين لم يَشهدوا هذه الحقيقةَ الكونية؛ ولهذا يجعلون مَن وصل إلىٰ شهود هذه الحقيقة يَسقط عنه الأمر والنهي، ويقولون: إنه صار من الخاصة، وربما تأوَّلوا علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر]، وجعلوا اليقين هو معرفة هذه الحقيقة.

وقول هؤلاء كفرٌ صريح، وإن وقع فيه طوائف لم يعلموا أنه كفر؛ فإنه قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الأمر والنهي لازمان لكل عبدٍ ما دام عقلُه حاضرًا إلىٰ أن يموت، لا يسقط عنه الأمر والنهي ـ لا بشهوده القدر، ولا بغير ذلك ـ، فمن لم يعرف

ذلك عُرِّفه، وبُيِّن له، فإن أصر علىٰ اعتقاد سقوط الأمر والنهي فإنه يُقتل. وقد كثرت مثلُ هذه المقالات في المستأخرين. وأما المستقدمون من هذه الأمة، فلم تكن هذه المقالات معروفةً فيهم.

وهذه المقالات هي محادةٌ للَّه ورسوله، ومعاداةٌ له، وصدٌّ عن سبيله، ومشاقةٌ له، وتكذيبٌ لرسله، ومضادةٌ له في حكمه، وإن كان من يقول هذه المقالاتِ قد يجهل ذلك، ويعتقد أن هذا الذي هو عليه هو طريقُ الرسول، وطريقُ أولياء اللَّه المحققين؛ فهو في ذلك بمنزلة من يعتقد أن الصلاة لا تجب عليه؛ لاستغنائه عنها بما حَصَل له من الأحوال القلبية، أو أن الخمر حلالٌ له؛ لكونه من الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر، أو أن الفاحشة حلالٌ له؛ لأنه صار كالبحر لا تُكدِّره الذنوب، ونحو ذلك!

ولا ريب أن المشركين - الذين كذَّبوا الرسل - يتردَّدون بين البدعة المخالِفة لشرع اللَّه، وبين الاحتجاج بالقدر علىٰ مخالفة أمر اللَّه؛ فهؤلاء الأصناف فيهم شَبَهٌ من المشركين: إما أن يبتدعوا، وإما أن يحتجوا بالقَدَر، وإما أن يجمعوا بين الأمرين؛ كما قال تعالىٰ عن المشركين: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف]، وكما قال تعالىٰ عنهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وقد ذَكَر [سبحانه وتعالى] عن المشركين ما ابتدعوه من الدين الذي فيه تحليل الحرام، والعبادة التي لم يشرعها اللَّه بمثل قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ...﴾ [الأنعام: ١٦٥] إلىٰ آخر السورة.

وكذلك في سورة الأعراف في قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾، إلىٰ قوله: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾، إلىٰ قوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف].

وهؤلاء قد يسمُّون ما أحدثوه من البدع: «حقيقة»، كما يسمُّون ما يشهدون من القدر: «حقيقة»! وطريق الحقيقة عندهم هو السلوك الذي لا يتقيَّد صاحبُه بأمر الشارع ونهيه، ولكن بما يراه ويذوقُه ويَجِدُه في قلبه، مع ما فيه من غفلةٍ عن اللَّه جَلَّ وَعَلَا ونحو ذلك. وهؤلاء لا يحتجون بالقدر مطلقًا؛ بل عمدتُهم اتباعُ آرائهم وأهوائهم.

وجَعْلُهم لما يرَونَه ويهوَوْنه حقيقةً، وأمرُهم باتباعها دون اتباع أمر اللَّه ورسوله= نظيرُ بدع أهل الكلام من الجهمية وغيرهم؛ الذين يجعلون ما ابتدعوه من الأقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائقَ عقليةً يجب اعتقادها، دون ما دلت عليه السمعيات. ثم الكتابُ والسنة إما أن يحرِّفوا القول فيهما عن مواضعه، وإما أن يُعرضوا عنه بالكلية؛ فلا يتدبرونه ولا يعقلونه، بل يقولون: «نفوِّضُ معناه إلىٰ اللَّه»، مع اعتقادهم نقيضَ مدلوله. وإذا حُقِّق علىٰ هؤلاء ما يزعمونه من العقليات المخالفة للكتاب والسنة= وُجدت جهلياتٍ واعتقاداتٍ فاسدة.

وكذلك أولئك إذا حُقِّق عليهم ما يزعمونه من «حقائق» أولياء اللَّه المخالفة للكتاب والسُّنة، وُجدت من الأهواء التي يتبعها أعداءُ اللَّه لا أولياؤه.

وأصلُ ضلال مَن ضلَّ هو بتقديم قياسه علىٰ النصِّ المنزَّل من عند اللَّه، وتقديم اتباع الهوىٰ علىٰ اتباع أمر اللَّه؛ فإن الذوق والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يحبُّه العبد، فكل محبٍّ له ذوقٌ ووجدٌ بحسب محبته؛ فأهل الإيمان لهم من الذوق والوجد مثلُ ما بيَّنه النبيُّ ﷺ بقوله في الحديث الصحيح: «**ثلاثٌ مَن كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: مَن كان اللَّهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، ومَن كان يحبُّ المرءَ لا يحبُّه إلا للَّه، ومن كان يكرهُ أن يرجع في الكفر ـ بعد إذ أنقذه اللَّه منه ـ كما يَكره أن يُلقىٰ في النار**»(١).

وقال ﷺ في الحديث الصحيح: «**ذاق طعمَ الإيمان مَن رضي باللَّه ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ نبيًّا**»(٢).

وأما أهل الكفر والبدع والشهوات، فكلٌّ بحسبه:

▫ قيل لسفيان بن عيينة: «ما بال أهل الأهواء لهم محبةٌ شديدة لأهوائهم؟! فقال: أنسيتَ قوله تعالىٰ: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣]؟!». أو نحو هذا من الكلام.

فعُبَّاد الأصنام يحبون آلهتهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

---

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) رواه مسلم (٣٤)، من حديث العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه.

وقال: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم].

ولهذا يميلُ هؤلاء إلىٰ سماع الشِّعر والأصوات التي تهيِّجُ المحبة المطلقة التي لا تختصُّ بأهل الإيمان؛ بل يشترك فيها مُحبُّ الرَّحمٰن، ومحبُّ الأوثان، ومحبُّ الصلبان، ومحبُّ الأوطان، ومحبُّ الإخوان، ومحبُّ المردان، ومحبُّ النسوان. وهؤلاء [هم] الذين يتَّبعون أذواقهم ومواجيدَهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسُّنة، وما كان عليه سلف الأمة.

فالمخالف لما بَعث [اللَّهُ] به رسولَه من عبادته وحده وطاعته وطاعة رسوله= لا يكون متبعًا لدين شرعه اللَّه أبدًا، كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية]؛ بل يكون متبعًا لهواه بغير هدًىٰ من اللَّه.

قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

وهم في ذلك تارةً يكونون علىٰ بدعة يسمونها «حقيقةً»؛ يقدمونها علىٰ ما شرعه اللَّه، وتارةً يحتجُّون بالقَدَر الكوني علىٰ الشريعة، كما أخبر اللَّه به عن المشركين ـ كما تقدم ـ.

[٣] ومن هؤلاء طائفة هم أعلاهم عندهم قَدْرًا، وهم مستمسكون بما اختاروه بهواهم من الدين في أداء الفرائض المشهورة، واجتناب



المحرمات المشهورة، لكن يَضِلُّون في ترك ما أُمروا به من الأسباب التي هي عبادة، ظانين أن العارف إذا شهد القدر أعرض عن ذلك، مثل مَن يجعل التوكل منهم أو الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة؛ بناءً علىٰ أن من شهد القدر عَلِم أن ما قُدِّر سيكون، فلا حاجة إلىٰ ذلك!

وهذا ضلالٌ مبينٌ وغلطٌ عظيم؛ فإن اللَّه قدَّر الأشياء بأسبابها؛ كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها.

كما قال النبيُّ ﷺ: «**إن اللَّه خلق للجنة أهلًا، خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم، وبعمل أهل الجنة يعملون. وخلق للنار أهلًا، خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم، وبعمل أهل النار يعملون**»(١).

وكما قال النبي ﷺ لما أَخبرهم بأن اللَّه كتب المقادير، فقالوا: يا رسول اللَّه، أفلا ندعُ العمل، ونتَّكلُ علىٰ الكتاب؟ فقال: «**لا، اعملوا؛ فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلق له؛ أما من كان من أهل السعادة، فسيُيسَّرُ لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة، فسيُيسَّرُ لعمل أهل الشقاوة**»(٢).

فكلُّ ما أمر اللَّه به عباده من الأسباب فهو عبادة، والتوكل مقرونٌ بالعبادة؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وفي قوله: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠﴾ [الرعد]، وقول شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾ [هود].

[٤] ومنهم طائفة قد تترك المستحبَّات من الأعمال دون الواجبات،

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٢)، من حديث أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) رواه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٧٤)، من حديث عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فتنقص بقدر ذلك.

[٥] ومنهم طائفة يغترُّون بما يحصل لهم من خرق عادة ـ مثل مكاشفةٍ أو استجابة دعوةٍ مخالفةٍ للعادةِ العامة، ونحو ذلك ـ، فيشتغل أحدهم عما أُمر به من العبادة والشكر، ونحو ذلك.

فهذه الأمور ونحوها كثيرًا ما تعرض لأهل السلوك والتوجه، وإنما ينجو العبدُ منها بملازمة أَمْرِ اللَّهِ الذي بعث به رسولَه في كل وقت.

- كما قال الزُّهري: «كان من مضىٰ من سلفنا يقولون: الاعتصام بالسُّنة نجاة».

- وذلك أن السُّنة ـ كما قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «مثل سفينة نوح؛ من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق».

[أسماء ذات مقصودٍ واحد]:

والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ـ ونحو ذلك من الأسماء ـ مقصودها واحد، ولها أصلان:

أحدهما: ألَّا يُعبد إلَّا اللَّه.

والثاني: أن يُعبد بما أَمَر وشرع، لا بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدع.

قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة].



وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء].

فالعمل الصالح هو الإحسان؛ وهو فِعلُ الحسنات. والحسنات هي ما أحبه اللَّه ورسوله، وهو ما أَمَر به أَمْرَ إيجابٍ أو استحباب، فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ولا في صحيح السُّنة، فإنها ـ وإن قالها من قالها، وعَمِل بها من عمل ـ ليست مشروعة، فإن اللَّه لايحبُّها ولا رسوله، فلا تكون من الحسنات، ولا من العمل الصالح، كما أن من يعملُ ما لا يجوز ـ كالفواحش والظلم ـ ليس من الحسنات، ولا من العمل الصالح.

وأما قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، وقوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ = فهو إخلاصُ الدين للَّه وحده.

▫ وكان عمر بن الخطاب يقول: «اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئًا».

▫ وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، قال: «أخلصه، وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصُه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتىٰ يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون للَّه، والصواب أن يكون علىٰ السنة».

فإن قيل: فإذا كان جميع ما يحبه اللَّه داخلًا في اسم العبادة، فلماذا عطف عليها غيرها، كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة]، وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال نوح: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾ [نوح]، وكذلك قول غيره من الرسل؟

قيل: هذا له نظائر، كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، والفحشاء من المنكر.

وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل: ٩٠]، وإيتاء ذي القربىٰ هو من العدل والإحسان، كما أن الفحشاء والبغي من المنكر.

وكذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وإقامة الصلاة من أعظم التمسك بالكتاب.

وكذلك قوله عن أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ودعاؤهم رغبًا ورهبًا من الخيرات، وأمثال ذلك في القرآن كثير.

وهذا الباب:

- يكون تارةً مع كون أحدهما بعضَ الآخر، فيُعطف عليه تخصيصًا له بالذِّكر؛ لكونه مطلوبًا بالمعنىٰ العام والمعنىٰ الخاص.

- وتارةً تكون دلالةُ الاسم تتنوع بحال الانفراد والاقتران؛ فإذا أُفرد عَم، وإذا قُرن بغيره خُص، كاسم الفقير والمسكين؛ لما أُفرد أحدهما في مثل قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وقوله: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ [المائدة: ٨٩]، دخل فيه الآخر، ولما قُرن بينهما في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] صارا نوعين.

وقد قيل: إن الخاص المعطوف علىٰ العام لا يدخل في العام حال الاقتران؛ بل يكون من هذا الباب.

والتحقيق أن هذا ليس لازمًا.

قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

[أسباب ذكر الخاص مع العام]:

وذِكرُ الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة:

- تارةً لكونه له خاصيةٌ ليست لسائر أفراد العام، كما في نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ.

- وتارةً لكون العام فيه إطلاق قد لا يُفهم منه العموم، كما في قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة]، فقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ يتناول الغيب الذي يجب الإيمان به، لكن فيه إجمالٌ؛ فليس فيه دلالة علىٰ أن من الغيب «ما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك». وقد يكون المقصود أنهم يؤمنون بالمُخبَر به - وهو الغيب -، وبالإخبار بالغيب، وهو ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾.

ومن هذا الباب قوله تعالىٰ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وتلاوة الكتاب هي اتباعه والعمل به.

▫ كما قال ابن مسعود في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، قال: «يحلِّون حلاله، ويحرمون حرامه، ويؤمنون بمتشابهه، ويعملون بمُحكَمه».

فاتباع الكتاب يتناول الصلاة وغيرها، لكن خصها بالذكر لمزيَّتها.

وكذلك قوله لموسىٰ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝١٤﴾ [طه]، وإقامة الصلاة لذكره من أجلِّ عبادته.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ [الأحزاب].

وقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة]، فإن هذه الأمور هي ـ أيضًا ـ من تمام تقوىٰ اللَّه.

وكذلك قوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]؛ فإن التوكل والاستعانة هي من عبادة اللَّه، لكن خُصَّت بالذكر ليقصدها المتعبِّد بخصوصها؛ فإنها هي العون علىٰ سائر أنواع العبادة؛ إذ هو سبحانه لا يُعبد إلا بمعونته.

[كيف يتحقق كمالُ المخلوق؟]:

إذا تبين هذا، فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته للَّه، وكلما ازداد العبدُ تحقيقًا للعبودية ازداد كمالُه وعلت درجتُه، ومن توهَّم أن المخلوق يخرجُ عن العبودية بوجهٍ من الوجوه، أو أن الخروج عنها أكملُ؛ فهو من أجهل الخلق؛ بل من أضلهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ

أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم].

وقال تعالىٰ في المسيح: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ[1] ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ[2] ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ﴾، إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف].

وهذا ونحوه ـ مما فيه وصفُ أكابر المخلوقات بالعبادة، وذم من خرج عن ذلك ـ متعدد في القرآن، وقد أَخبر [سبحانه] أنه أَرسل جميع الرسل بذلك.

---

(١) ﴿يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾: يتعبون.

(٢) ﴿يَسۡتَنكِفَ﴾: يأنف ويستكبر.

فقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالىٰ لبني إسرائيل: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة][1]، ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ [البقرة].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة].

وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر].

وكلُّ رسول من الرسل افتتح دعوتَه بالدعاء إلىٰ عبادة اللَّه: كقول نوح ومَن بعده عليهم السلام: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وفي «المسند» عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: «**بُعثتُ بالسيف**

---

(١) وردت الآية في مطبوعات هذا الكتاب، وفي كتاب «العبودية»، وفي «مجموع الفتاوىٰ»: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت]، والظاهر أن المصنف رحمه الله أراد ما أثبتُّه؛ إذ هذه الآية وما بعدها هما اللتان وجَّههما ربُّنا جلَّ شأنُه لبني إسرائيل؛ فالظاهر أن آية العنكبوت إما سبق قلم من الإمام ابن تيمية رحمه الله، وإما من الناسخ. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

بين يدي الساعة حتىٰ يُعبد اللَّهُ وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظلِّ رُمحي، وجُعل الذِّلَّةُ والصَّغارُ علىٰ من خالف أمري»[(١)].

وقد بيَّن أن عباده هم الذين ينجُون من السيئات:

قال الشيطان: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر]، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر].

وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص].

وقال في حق يوسف [عَلَيْهِ السَّلَامُ]: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وقال: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الصافات].

وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل].

وبالعبودية نعت كلَّ من اصطفىٰ من خلقه:

كقوله: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص].

وقوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص].

وقال عن سليمان [عَلَيْهِ السَّلَامُ]: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص].

وعن أيوب [عَلَيْهِ السَّلَامُ]: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٤٤].

وقال: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [ص: ٤١].

وقال عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء].

(١) حسن: وقد تقدم.

وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١][(١)].

وقال ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩].

وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۝١٠﴾ [النجم].

وقال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦].

وقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

ومثل هذا كثيرٌ متعددٌ في القرآن.

---

(١) ورد في طبعات كتاب «العبودية» هنا ما يلي: «وهو أولىٰ القبلتين، وقد خصَّه اللَّهُ بأن جعل العبادة فيه بخمسمئة ضعف، والمقصودُ بمضاعفة الحسنات هو المسجد الذي حرقه اليهود عليهم ـ لعنة اللَّه ـ» اهـ. ولم أجد هذه الزيادة في «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/١٧٩)، ولا «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/١٨٧)، والظاهر أنها مُقحَمةٌ من بعض مَن علقوا علىٰ هذه الرسالة؛ إذ من المعلوم أن المسجد الأقصىٰ حُرق في زمنٍ متأخر ـ عام (١٩٦٩م) كما هو معلومٌ ـ، اللهم إلا إن كان حُرق قبل عصر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ، فتكون هذه العبارة لها وجهٌ في إثباتها في متن الكتاب، والعلمُ عند اللَّه تعالىٰ.

وكذلك من الأخطاء الشائعة الظن بأن العبادة في المسجد الأقصىٰ بخمسمئةِ صلاةٍ ـ كما في الفقرة الماضية ـ، فإن هذا لم يرد فيه دليلٌ صحيحٌ عن الحبيب ﷺ. وإنما الثابت أن الصلاة فيه بمئتين وخمسين صلاةً. وانظر: «القول المبين في أخطاء المصلين»، للشيخ مشهور آل سلمان ص(٣٦٣).

فصل



إذا تبيَّن ذلك، فمعلومٌ أن الناس يتفاضلون في هذا الباب[(١)] تفاضلًا عظيمًا، وهو تفاضُلهم في حقيقة الإيمان، وهم ينقسمون فيه إلىٰ عامٍّ وخاص؛ ولهذا كانت ربوبيةُ الربِّ لهم فيها عمومٌ وخصوص؛ ولهذا كان الشرك في هذه الأمة أخفىٰ من دبيب النمل[(٢)].

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَعِسَ عبدُ الدرهم، تعس عبدُ الدينار، تعس عبدُ القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شِيك فلا انتُقش، إن أُعطيَ رضي، وإن مُنع سَخِط**»[(٣)].

فسماه النبيُّ ﷺ «عبدَ الدرهم، وعبد الدينار، وعبد القطيفة، وعبد الخميصة»، وذكر ما فيه دعاءٌ وخبر، وهو قوله: «**تعس وانتكس، وإذا شِيك فلا انتُقش**»، والنقش: إخراجُ الشوكة من الرِّجْل، والمِنقاش ما يُخرَجُ به الشَّوكة[(٤)]، وهذه حال مَن إذا أصابه شرٌّ لم يُخرج منه ولم يفلح؛ لكونه تَعِس وانتكس؛ فلا نال المطلوب، ولا خَلَص من المكروه، وهذه حالُ مَن عَبَد المال، وقد وَصف ذلك بأنه «**إذا أُعطي رضي، وإذا مُنع سخط**»، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [التوبة]، فرِضاهم لغير اللَّه، وسخطُهم لغير اللَّه، وهكذا حالُ

---

(١) يعني العبودية.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

(٤) وهو المسمىٰ في عصرنا: «المِلْقاط».

مَن كان متعلقًا برئاسةٍ أو بصورةٍ ونحو ذلك من أهواء نفسه؛ إن حَصَل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبدُ ما يهواه من ذلك، وهو رقيقٌ له؛ إذ الرِّقُّ والعبودية في الحقيقة هو رقُّ القلب وعبوديته، فما استَرَقَّ القلبَ واستعبده فهو عبده.

▫ ولهذا يقال:

العبدُ حُرٌّ ما قَنِع والحرُّ عبدٌ ما طَمِعْ

▫ وقال القائل:

أطعتُ مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعتُ لكنتُ حرًّا

▫ ويقال: «الطمع غُلٌّ[1] في العنق، قَيدٌ في الرِّجل، فإذا زال الغلُّ من العنق زال القيدُ من الرِّجل».

▫ ويُروىٰ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «الطمع فقر، واليأس غنًىٰ، وإن أحدكم إذا يئس من شيءٍ استغنىٰ عنه».

وهذا أمرٌ يجدُه الإنسان من نفسه؛ فإن الأمر الذي ييأس منه لا يطلبُه، ولا يطمعُ به، ولا يبقىٰ قلبه فقيرًا إليه، ولا إلىٰ من يفعلُه، وأما إذا طمع في أمرٍ من الأمور ورجاه تعلَّق قلبُه به، فصار فقيرًا إلىٰ حصوله، وإلىٰ من يَظنُّ أنه سببٌ في حصوله، وهذا في المال والجاه والصور وغير ذلك. قال الخليل ﷺ: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧﴾ [العنكبوت].

فالعبدُ لابد له من رزق، وهو محتاجٌ إلىٰ ذلك، فإذا طَلَب رزقه من اللَّه صار عبدًا للَّه، فقيرًا إليه، وإن طلبه مِن مخلوقٍ صار عبدًا

(١) **الغُلُّ**: القيد.



لذلك المخلوق فقيرًا إليه.

ولهذا كانت مسألةُ المخلوق محرمةً في الأصل، وإنما أبيحت للضرورة. وفي النهي عنها أحاديثُ كثيرةٌ في الصحاح والسنن والمسانيد:

كقوله ﷺ: «**لا تزالُ المسألةُ بأحدكم حتىٰ يأتيَ يوم القيامة وليس في وجهه مُزْعَةُ لحم**[(١)]»[(٢)].

وقوله: «**مَن سأل الناس وله ما يُغنيه، جاءت مسألته يوم القيامة خُدوشًا، أو خُموشًا، أو كُدوحًا**[(٣)] **في وجهه**»[(٤)].

وقوله: «**لا تحلُّ المسألةُ إلا لذي غُرمٍ مُفظِعٍ**[(٥)]، **أو دمٍ مُوجِعٍ**[(٦)]،

---

(١) **المُزعة**: القطعة الصغيرة.

(٢) رواه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) **الخدوش والخموش والكدوح**: آثار الجروح. وجميعها بمعنًىٰ متقارب.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٤٤١/١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٨٠/٣)، وأبو داود (١٦٢٦)، والترمذي (٦٥١)، والنسائي (٢٥٩٢)، وابن ماجه (١٨٤٠)، والدارمي (٣٨٦/١)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ٢٠)، وابن عدي في «الكامل» (٦٣٥/٢)، والدارقطني (١٢٢/٢)، والحاكم (٤٠٧/١)، والبيهقي في «السنن» (٢٤/٧)، والخطيب في «تاريخه» (٣/ ٢٠٥)، والشاشي (٤٧٩). **وسكت عنه** الحاكم والذهبي، **وصحَّحه** ابن التركماني في «الجوهر النقي» (٢٤/٧)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٤٩٩)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (١٩٥/٦)، **وصحَّحه** عند ابن ماجه (٤٨/٣).

(٥) **غرم مفظع**: دَينٍ شديد.

(٦) **دم موجع** - بكسر الجيم وفتحها -: أي مؤلم، والمراد: دم يوجع القاتلَ أو أولياءه بأن تلزمهم الدية، وليس لهم ما يؤدُّونها، ويطلب =

أو فقرٍ مُدقِعٍ»[١][٢]. هذا المعنىٰ في «الصحيح»[٣].

وفيه ـ أيضًا ـ: «لَأَنْ يأخذَ أحدُكم حَبْلَه فيذهب فيحتطب، خيرٌ له من أن يسأل الناس؛ أعطَوه، أو منعوه»[٤].

= أولياءُ المقتول منهم، وتنبعث الفتنة والمخاصمة بينهم. وقيل: هو أن يتحمل الديةَ فيسعىٰ فيها، ويسأل حتىٰ يؤديها إلىٰ أولياء المقتول لتنقطع الخصومة، وليس له ولأوليائه مال، ولا يؤدىٰ ـ أيضًا ـ من بيت المال، فإن لم يؤدها قَتلوا المتحمل عنه ـ وهو أخوه أو حميمه ـ، فيوجعه قتله. كذا في «المرقاة». اهـ «عون المعبود» (٥/٥٥) بتصرف يسير.

(١) **مدقع**: شديدٌ يُفضي بصاحبه إلىٰ الدقعاء ـ وهو التراب ـ. وقيل: هو سوء احتمال الفقر، كذا في «النهاية». اهـ المصدر السابق.

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (٣/١١٤)، وأبو داود (١٦٤١)، وابن ماجه (٢١٩٨)، وابن الجارود (٥٦٩)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/١٩)، والبيهقي (٧/٢٥)، والضياء في «المختارة» (٢٢٦٥)، من حديث أنس رضي الله عنه، وهو حديثٌ فيه قصة. **وضعَّفه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٩/١٨٣)، وعند أبي داود (٣/٨٢).

(٣) لعله يقصد حديث قَبيصة الهلالي رضي الله عنه قال: تحمَّلتُ حَمالةً، فأتيت رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم أسأله فيها، فقال: «**أقم حتىٰ تأتيَنا الصدقة، فنأمر لك بها**». ثم قال: «**يا قبيصة، إن المسألة لا تحلُّ إلا لأحد ثلاثةٍ: رجلٍ تحمَّل حمالةً، فحلت له المسألة حتىٰ يصيبَها، ثم يمسك. ورجلٍ أصابته جائحةٌ اجتاحت ماله، فحلت له المسألةُ حتىٰ يصيب قَوامًا** ـ أو قال: **سدادًا** ـ **من عيش. ورجلٍ أصابته فاقةٌ حتىٰ يقوم ثلاثةٌ من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلانًا فاقةٌ. فحلت له المسألة حتىٰ يصيب قَوامًا** ـ أو قال: **سدادًا** ـ **من عيش. فما سواهن من المسألة ـ يا قبيصة ـ سُحْتًا يأكلُها صاحبُها سُحْتًا**». رواه مسلم (١٠٤٤).

(٤) رواه البخاري (١٤٧٠)، ومسلم (١٠٤٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



وقال: «**ما أتاك من هذا المال وأنت غيرُ سائلٍ ولا مشرفٍ فخُذْه، وما لا فلا تُتبِعْه نفسَك**»(١).

فكَره أخْذه من سؤال اللسان واستشرافِ القلب.

وقال في الحديث الصحيح: «**مَن يَستغنِ يُغنِهِ اللَّه، ومَن يستعفِفْ يُعفَّه اللَّه، ومن يتصبَّرْ يُصبِّرْه اللَّه، وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسعَ من الصبر**»(٢).

وأوصىٰ خواصَّ أصحابه ألَّا يسألوا الناس شيئًا.

▫ وفي «المسند»: أن أبا بكر كان يسقطُ السوط من يده، فلا يقول لأحد ناولني إياه، ويقول: «إن خليلي أمرني ألا أسأل الناس شيئًا»(٣).

وفي «صحيح مسلم» وغيره عن عوف بن مالك: أن النبي ﷺ بايعه في طائفةٍ، وأسرَّ إليهم كلمةً خفيَّةً: «**ألَّا تسألوا الناس شيئًا**»، فكان بعض أولئك النفر يسقط السوطُ من يد أحدهم، ولا يقول لأحد: ناولني إياه(٤).

وقد دلت النصوصُ علىٰ الأمر بمسألة الخالق، والنهي عن مسألة المخلوق في غير موضع:

---

(١) رواه البخاري (١٤٧٣)، ومسلم (١٤٠٣)، من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) حسن: رواه أحمد (١/١١)، **وحسَّنه لغيره** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١/٢٢٨).

(٤) رواه مسلم (١٠٤٣).

كقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح].

وقول النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**إذا سألتَ فاسألِ اللَّه، وإذا استعنتَ فاستعِنْ باللَّه**»(١).

ومنه قول الخليل: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، ولم يقل: «فابتغوا الرزق عند اللَّه»؛ لأن تقديم الظرف يُشعر بالاختصاص والحَصْر، كأنه قال: «لا تبتغوا الرزق إلا عند اللَّه».

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

والإنسان لابد له من حصول ما يَحتاجُ إليه من الرزق ونحوه، ودفع ما يضره، وكِلا الأمرين شُرع له أن يكون دعاؤه للَّه، فلا يسأل رزقَه إلا من اللَّه، ولا يشتكي إلا إليه، كما قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

واللَّهُ تعالىٰ ذَكَر في القرآن الهجرَ الجميل، والصفحَ الجميل، والصبر الجميل.

▫ وقد قيل: «إن الهجر الجميل: هو هجرٌ بلا أذًىٰ. والصفح الجميل: صفحٌ بلا معاتبة. والصبر الجميل: صبرٌ بغير شكوىٰ إلىٰ المخلوق».

▫ ولهذا قُرئ علىٰ أحمد بن حنبل في مرضه: «إن طاووسًا كان يكره أنينَ المريض، ويقول: إنه شكوىٰ». فما أنَّ أحمد حتىٰ مات(٢).

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) هذا اجتهادٌ من هذين الإمامين رحمهما الله، لكنَّ الأنين ليس في أصله شكوىٰ. ولرُبَّ رجلٍ لا يئنُّ، وقلبه متسخطٌ علىٰ اللَّه شاكٍ منه.



وأما الشكوىٰ إلىٰ الخالق فلا تنافي الصبر الجميل؛ فإن يعقوب قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

▫ وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ في الفجر بسورة يونس ويوسف والنحل، فمر بهذه الآية في قراءته؛ فبكىٰ حتىٰ سُمع نشيجه من آخر الصفوف.

▫ ومن دعاء موسىٰ [عليه السلام]: «اللهم لك الحمد، وإليك المشتكىٰ، وأنت المستعان، وبك المستغاث، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك».

وفي الدعاء الذي دعا به النبي ﷺ ـ لما فعل به أهلُ الطائف ما فعلوا ـ: «**اللهم إليك أشكو ضَعفَ قوَّتي، وقلَّة حيلتي، وهواني علىٰ الناس، يا أرحم الراحمين، أنت ربُّ المستضعفين، وأنت ربي؛ اللهم إلىٰ من تَكِلُني؟ إلىٰ بعيدٍ يتجهَّمُني**[(١)]**، أم إلىٰ عدوٍّ ملَّكتَه أمري، إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أبالي، غير أن عافيتَك أوسعُ لي، أعوذُ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصَلَح عليه أمر الدنيا والآخرة؛ أن يَنزل بي سخطُك، أو يَحُلَّ عليَّ غضبُك، لك العُتبىٰ حتىٰ ترضىٰ**[(٢)]**، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه**». وفي بعض الروايات: «**ولا حول ولا قوة إلا بك**»[(٣)].

وكلما قَوِي طمعُ العبد في فضل اللَّه ورحمته ورجائه لقضاء

(١) **يتجهَّمني**: يعبس في وجهي.
(٢) أي: أتوب إليك وأرجع إلىٰ ما تحب حتىٰ ترضىٰ عنِّي.
(٣) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: وقد تقدم.

حاجته، ودفع ضرورته= قَويت عبوديته له وحريتُه مما سواه، فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديتَه له، فيأسُه منه يوجبُ غِنَىٰ قلبِه عنه.

▫ كما قيل: «استغنَ عمن شئت تكن نظيرَه، وأفضِلْ علىٰ من شئت تكن أميرَه، واحتَجْ إلىٰ من شئت تكن أسيرَه».

فكذلك طمع العبد في ربه ورجاؤه له يوجبُ عبوديتَه له، وإعراضَ قلبه عن الطلب من غير اللَّه. والرجاءُ له[1] يوجب انصراف قلبه عن العبودية للَّه، لا سيما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق، بحيث يكون قلبُه معتمدًا إما علىٰ رئاسته وجنوده وأتباعه ومماليكه، وإما علىٰ أهله وأصدقائه، وإما علىٰ أمواله وذخائره[2]، وإما علىٰ ساداته وكبرائه، كمالكه ومَلِكِه، وشيخه ومخدومه، وغيرهم ممن هو قد مات أو يموت.

قال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان].

وكلُّ من علَّق قلبه بالمخلوقات أن ينصروه، أو يرزقوه، أو أن يُهدُوه= خضع قلبه لهم، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك، وإن كان في الظاهر أميرًا لهم مدبِّرًا لهم متصرفًا بهم، فالعاقل ينظرُ إلىٰ الحقائق لا إلىٰ الظواهر، فالرجلُ إذا تعلق قلبُه بامرأةٍ ـ ولو كانت مباحةً له ـ يبقىٰ قلبُه أسيرًا لها، تَحكُمُ فيه، وتتصرف بما تريد، وهو في الظاهر سيدُها ـ لأنه زوجُها أو مالكها ـ، ولكنه في

---

(١) أي: لغير اللَّه ﷻ.

(٢) **الذخائر**: الكنوز والنفائس.

الحقيقة هو أسيرُها ومملوكها؛ لا سيما إذا علمت[(١)] بفقره إليها وعشقه لها، وأنه لا يعتاض عنها بغيرها= فإنها حينئذٍ تحكم فيه بحُكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي لا يستطيع الخلاص منه ـ بل أعظم ـ؛ فإنَّ أَسْرَ القلب أعظمُ من أسر البدن، واستعبادَ القلب أعظمُ من استعباد البدن؛ فإن من استُعبد بدنه واستُرِقَّ لا يبالي إذا كان قلبه مستريحًا من ذلك مطمئنًا؛ بل يمكنه الاحتيالُ في الخلاص. وأما إذا كان القلب ـ الذي هو مَلِكُ الجسم ـ رقيقًا مستعبَدًا متيَّمًا لغير اللَّه= فهذا هو الذلُّ، والأسر المحض، والعبوديةُ الذليلةُ لما استُعبد [له] القلب.

وعبوديةُ القلب وأَسْرُه هي التي يترتب عليها الثوابُ والعقاب؛ فإن المسلم لو أسره كافرٌ، أو استرقَّه فاجرٌ بغير حقٍّ لم يضرَّه ذلك ـ إذا كان قائمًا بما يقدرُ عليه من الواجبات ـ، ومن استُعبد بحقٍّ، إذا أدىٰ حقَّ اللَّه وحق مواليه له أجران[(٢)]، ولو أُكره علىٰ التكلم بالكفر فتكلم به وقلبُه مطمئنٌّ بالإيمان، لم يضرَّه ذلك. وأما من استُعبد قلبه، فصار عبدًا لغير اللَّه، فهذا يضرُّه ذلك، ولو كان في الظاهر مَلِكَ الناس.

فالحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب، كما أن الغنىٰ غنىٰ النفس.

---

(١) في المطبوع، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٠/١٨٥)، و«الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/١٨٣)، وفي بعض نسخ الكتاب: «درت». والمثبت من طبعة المكتب الإسلامي ص(٨٧).

(٢) رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (١٥٤)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

قال النبيُّ ﷺ: «ليس الغنىٰ عن كثرة العَرَض[(١)]، وإنما الغنىٰ غنىٰ النفس»[(٢)].

وهذا ـ لَعَمْرُ اللَّه ـ إذا كان قد استَعبد قلبَه صورةٌ مباحة، فأما من استعبد قلبَه صورةٌ محرمة ـ امرأةٌ أو صبي ـ، فهذا هو العذاب الذي لا يَدانِ فيه[(٣)]. وهؤلاء من أعظم الناس عذابًا وأقلهم ثوابًا؛ فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبُه متعلقًا بها، مستعبَدًا لها= اجتمع له من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه إلا ربُّ العباد ـ ولو سَلِم من فعل الفاحشة الكبرىٰ ـ، فدوامُ تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة أشدُّ ضررًا عليه ممن يفعل ذنبًا ثم يتوب منه ويزول أثره من قلبه، وهؤلاء يشبَّهون بالسكارىٰ والمجانين.

▫ كما قيل:

سُكرانِ سُكرُ هوًىٰ وسُكرُ مُدامةٍ ... ومتىٰ إفاقةُ من به سُكرانِ![(٤)]

▫ وقيل:

قالوا جننتَ بمن تهوىٰ فقلتُ لهم: ... العشقُ أعظم مما بالمجانينِ

العشقُ لا يستفيقُ الدهرَ صاحبُه ... وإنما يُصرَعُ المجنونُ في الحِينِ

ومن أعظم أسباب هذا البلاء: إعراضُ القلب عن اللَّه؛ فإن القلب إذا ذاق طعمَ عبادة اللَّه والإخلاص له لم يكن عنده شيءٌ قط أحلىٰ

---

(١) **العَرَض**: متاع الدنيا، من مالٍ ومنصبٍ وجاهٍ وغير ذلك.

(٢) رواه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) **لا يدان**: لا قدرة فيه ولا خلاص منه. وفي بعض النسخ: «لا يدانيه عذاب».

(٤) **المُدامة**: الخمر.



من ذلك، ولا ألذُّ ولا أطيب، والإنسانُ لا يَترك محبوبًا إلا بمحبوبٍ آخرَ يكون أحبَّ إليه منه، أو خوفًا من مكروه، فالحبُّ الفاسد إنما ينصرف القلب عنه بالحبِّ الصالح، أو بالخوف من الضرر.

قال تعالىٰ في حق يوسف: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ[1] ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف]. فاللَّه يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل إلىٰ الصور والتعلق بها، ويصرفُ عنه الفحشاء بإخلاصه للَّه.

ولهذا يكون ـ قبل أن يذوق حلاوة العبودية للَّه والإخلاص له ـ تغلبُه نفسه علىٰ اتباع هواها، فإذا ذاق طعم الإخلاص وقوي في قلبه انقهر له هواه بلا علاج.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فإن الصلاة فيها دفعٌ للمكروه ـ وهو الفحشاء والمنكر ـ، وفيها تحصيلُ المحبوب ـ وهو ذكر اللَّه ـ، وحصول هذا المحبوب أكبرُ مِن دفع المكروه؛ فإنَّ ذكر اللَّه عبادةٌ للَّه، وعبادة القلب للَّه مقصودةٌ لذاتها. وأما اندفاع الشر عنه فهو مقصودٌ لغيره علىٰ سبيل التبع.

والقلب خُلق يحبُّ الحقَّ ويريده ويطلبه، فلما عَرَضت له إرادة الشر طَلَب دفع ذلك؛ فإنها تُفسِدُ القلب كما يَفسُدُ الزرع بما ينبت فيه من الدغل[2].

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا[3] ﴿١٠﴾﴾ [الشمس].

---

(١) بكسر اللام، والكلام القادم تابعٌ لهذه القراءة.

(٢) **الدغل**: الفساد.

(٣) ﴿دَسَّىٰهَا﴾: دفنها وأغرقها في العصيان.

وقال تعالىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلىٰ].

وقال: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡ﴾ [النور: ٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ [النور: ٢١].

فجعل سبحانه غضَّ البصر وحفظ الفرج هو أزكىٰ للنفس، وبيَّن أن ترك الفواحش من زكاة النفوس، وزكاةُ النفوس تتضمن زوال جميع الشرور من الفواحش والظلم والشرك والكذب، وغير ذلك.

وكذلك طالبُ الرئاسة والعلوِّ في الأرض قلبُه رقيقٌ لمن يعينه عليها، ولو كان في الظاهر مقدَّمَهم والمطاع فيهم، فهو في الحقيقة يرجوهم ويخافهم؛ فيبذلُ لهم الأموال والولايات، ويعفو عما يجترحونه ليطيعوه ويعينوه؛ فهو في الظاهر رئيسٌ مطاع، وفي الحقيقة عبدٌ مطيع لهم.

والتحقيق أن كليهما فيه عبوديةٌ للآخر، وكلاهما تاركٌ لحقيقة عبادة اللَّه. وإذا كان تعاونُهما علىٰ العلوِّ في الأرض بغير الحق = كانا بمنزلة المتعاوِنَينِ علىٰ الفاحشة أو قطع الطريق، فكلُّ واحد من الشخصين لهواه الذي استعبده واسترقَّه يستعبدُه الآخر[(١)].

وهكذا ـ أيضًا ـ طالب المال؛ فإن ذلك يستعبده ويسترقُّه.

[أنواع ما يحتاجه العبد]:

وهذه الأمور نوعان:

---

(١) في المطبوع، وبعض مطبوعات «العبودية»: «مستعبد للآخر»، والمثبت من «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/١٨٩)، و«الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/١٨٥).



١ ـ **منها:** ما يحتاج العبد إليه، كما يحتاج إليه من طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه، ونحو ذلك. فهذا يطلبه من اللَّه، ويرغب إليه فيه، فيكون المالُ عنده يستعمله في حاجته؛ بمنزلة حماره الذي يركبه، وبساطِه الذي يجلس عليه؛ بل بمنزلة الكنيف الذي يقضي فيه حاجته من غير أن يستعبده فيكون ﴿هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ [المعارج].

٢ ـ **ومنها:** ما لا يحتاج العبد إليه؛ فهذه لا ينبغي له أن يعلِّق قلبه بها، فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبَدًا لها، وربما صار معتمدًا علىٰ غير اللَّه، فلا يبقىٰ معه حقيقةُ العبادة للَّه، ولا حقيقةُ التوكل عليه؛ بل فيه شعبةٌ من العبادة لغير اللَّه، وشعبةٌ من التوكل علىٰ غير اللَّه، وهذا من أحق الناس بقوله ﷺ: «**تَعِس عبدُ الدرهم، تعس عبدُ الدينار، تعس عبدُ القطيفة، تعس عبدُ الخميصة**»[(١)].

وهذا هو عبد هذه الأمور ـ ولو[(٢)] طلبها من اللَّه ـ؛ فإنَّ اللَّه إذا أعطاه إياها رضي، وإذا منعه إياها سخط، وإنما عبدُ اللَّه مَن يُرضيه ما يرضي اللَّه، ويُسخطه ما يُسخط اللَّه، ويحبُّ ما أحبه اللَّه ورسوله، ويُبغض ما أبغضه اللَّه ورسوله، ويوالي أولياءَ اللَّه، ويعادي أعداء اللَّه تعالىٰ، وهذا هو الذي استكمل الإيمان؛ كما في الحديث: «**مَن أحبَّ للَّه، وأبغض للَّه، وأعطىٰ للَّه، ومَنع للَّه فقد استكمل الإيمان**»[(٣)].

---

(١) **صحيح:** وقد تقدم.

(٢) في المطبوعات، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٩٠/١٠)، و«الفتاوىٰ الكبرىٰ» (١٨٦/٥)، وكثير من نسخ «العبودية»: «فلو»، وفي نسخة «المكتب الإسلامي» ص(٩٢): «فإنه لو» ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٣) **صحيح:** رواه أحمد (٤٣٨/٣)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» =

وقال: «أوثق عُرَىٰ الإيمان: الحبُّ في اللَّه، والبغضُ في اللَّه»[(١)].

وفي «الصحيح» عنه ﷺ: «ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان اللَّهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، ومَن كان يحبُّ المرء لا يحبُّه إلا للَّه، ومن كان يكرهُ أن يرجع في الكفر ـ بعد إذ أنقذه اللَّهُ منه ـ كما يَكرهُ أن يُلقىٰ في النار»[(٢)].

فهذا وافق ربَّه فيما يحبُّه وما يكرهه؛ فكان اللَّهُ ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأحبَّ المخلوق للَّه لا لغرضٍ آخر، فكان هذا من تمام حبه للَّه؛ فإن محبةَ محبوب المحبوبِ من تمام محبة المحبوب، فإذا أحب أنبياء اللَّه وأولياء اللَّه لأجل قيامهم بمحبوبات الحق ـ لا لشيءٍ آخر ـ، فقد أحبَّهم للَّه لا لغيره.

وقد قال تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فإن الرسولَ يأمر بما يحب اللَّه، وينهىٰ عما يُبغضه اللَّه، ويفعل ما يحبه اللَّه، ويخبرُ بما يحب اللَّهُ التصديقَ به، فمن كان

= (٣٩٥)، والتِّرمذي (٢٥٢١)، والخلال في «السنة» (١٦١٦)، وأبو يعلىٰ (١٤٨٥)، والحاكم (٢/١٦٤)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/١٨٨)، وابن بطة في «الإبانة» (٨٤٧)، من حديث معاذ ابن أنس الجهني رضي الله عنه، وقال الترمذي: «منكر». **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٢٤/ ٣٨٣)، **وحسَّنه** الشيخ الألباني عند الترمذي.

(١) **حسن**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

محبًّا للَّه لزم أن يتبع الرسول، فيصدِّقه فيما أخبر، ويُطيعه فيما أمر، ويتأسَّىٰ به فيما فعل، ومَن فعل هذا فقد فعل ما يحبُّه اللَّه؛ فيحبُّه اللَّه، فجعل اللَّه لأهل محبته علامتين: «اتباع الرسول، والجهاد في سبيله»؛ وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهادُ في حصول ما يحبُّه اللَّه من الإيمان والعمل الصالح، ومِن دفع ما يبغضُه اللَّه من الكفر والفسوق والعصيان.

وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، فتوعد من كان أهلُه وماله أحبَّ إليه من اللَّه ورسوله والجهاد في سبيله بهذا الوعيد؛ بل قد ثبت عنه [ﷺ] في «الصحيح» أنه قال: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدُكم حتىٰ أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»(١).

وفي «الصحيح» أن عمر بن الخطاب قال له: يا رسول اللَّه، واللَّهِ لأنت أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال: «**لا ـ يا عمر ـ؛ حتىٰ أكون أحبَّ إليك من نفسك**». فقال: فواللَّهِ لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي، فقال: «**الآن ـ يا عمر ـ**»(٢).

فحقيقة المحبة لا تتمُّ إلا بموالاة المحبوب، وهو موافقتُه في حب ما يحب، وبُغضِ ما يُبغض، واللَّهُ يحبُّ الإيمان والتقوىٰ، ويُبغض الكفر والفسوق والعصيان. ومعلومٌ أن الحب يحرِّكُ إرادة القلب، فكلما قويت المحبةُ في القلب طلب القلبُ فِعلَ المحبوبات، فإذا

---

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) رواه البخاري (٦٦٣٢)، من حديث عبداللَّه بن هشام رضي الله عنه.

كانت المحبةُ تامةً استلزمت إرادةً جازمةً في حصول المحبوبات. فإذا كان العبد قادرًا عليها حصَّلها. وإن كان عاجزًا عنها ففَعَل ما يقدر عليه من ذلك= كان له كأجر الفاعل.

كما قال النبيُّ ﷺ: «**مَن دعا إلىٰ هدًىٰ كان له من الأجر مثلُ أجور من اتبعه، من غير أن ينقصَ من أجورهم شيئًا**[1]، **ومن دعا إلىٰ ضلالةٍ كان عليه من الوزر مثلُ أوزار من اتبعه، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا**»[2].

وقال: «**إن بالمدينة لرجالًا ما سِرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا، إلا كانوا معكم**». قالوا: وهم بالمدينة؟! قال: «**وهم بالمدينة، حَبَسَهم العُذْر**»[3].

والجهاد هو بذلُ الوُسع؛ وهو القدرة في حصول محبوب الحق، ودفعِ ما يكرهه الحق، فإذا تَرك العبدُ ما يقدر عليه من الجهاد كان دليلًا علىٰ ضعف محبة اللَّه ورسوله في قلبه، ومعلومٌ أن المحبوبات لا تُنال غالبًا إلا باحتمال المكروهات ـ سواءٌ كانت محبة صالحةً أو فاسدة ـ، فالمحبون للمال والرئاسة والصور لا ينالون مطالبهم إلا بضرر يلحقهم في الدنيا، مع ما يصيبُهم من الضرر في الآخرة[4]، فالمحب للَّه ورسوله إذا لم يحتمل ما يرىٰ ذو الرأي مِنَ المحبِّين لغير اللَّه ـ مما يحتملون في سبيل حصول محبوبهم ـ، دل

---

(١) في نسخة في الموضعين: «شيء» ـ بالرفع ـ، وكلاهما صحيح.
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.
(٣) رواه البخاري (٢٨٣٩)، من حديث أنس رضي الله عنه.
(٤) في المطبوعات و«مجموع الفتاوىٰ»: «في الدنيا والآخرة»، ولعل الأصح ما أثبتُّه، إذ قد ذكر ضرر الدنيا فعليًّا. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.



ذلك علىٰ ضعفِ محبَّته للَّه إذا كان ما يسلكه أولئك ـ في نظرهم ـ هو الطريق الذي يشير به العقل.

ومن المعلوم أن المؤمن أشد حبًّا للَّه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

نعم؛ قد يسلك المُحِبُّ ـ لضعف عقله وفساد تصوره ـ طريقًا لا يحصل بها المطلوب، فمثل هذه الطريق لا تُحمد إذا كانت المحبة صالحةً محمودةً، فكيف إذا كانت المحبة فاسدة، والطريق غير موصِّل! كما يفعله المتهوِّرون[١] في طلب المال والرئاسة والصور في حب أمورٍ توجب لهم ضررًا، ولا تحصِّل لهم مطلوبًا، وإنما المقصود الطرقُ التي يسلكها العقلُ السليمُ لحصول مطلوبه.

وإذا تبين هذا، فكلما ازداد القلب حبًّا للَّه ازداد له عبوديةً، وكلما ازداد له عبوديةً ازداد له حبًّا وحريةً عما سواه[٢]، والقلب فقيرٌ بالذات إلىٰ اللَّه من وجهين:

- من جهة العبادة ـ وهي العلَّة الغائية[٣] ـ.
- ومن جهةِ الاستعانة والتوكل ـ وهي العلة الفاعلية[٤] ـ.

فالقلب لا يصلح ولا يُفلح، ولا يلتذُّ ولا يُسَرُّ، ولا يطيبُ ولا يسكن ولا يطمئن= إلا بعبادة ربِّه وحبِّه والإنابة إليه. ولو حصل له كل

---

(١) **المتهوِّرون**: المتسرِّعون.
(٢) في نسخة: «وفضَّله عما سواه».
(٣) **العلة الغائية**: ما وُجد المعلول ـ المحدَث ـ لأجله.
(٤) **العلة الفاعلية**: المؤثِّرة في وجود الشيء.

ما يَلتذُّ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن؛ إذ فيه فقرٌ ذاتيٌّ إلىٰ ربه، ومن حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه، وبذلك يحصُلُ له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة.

وهذا لا يحصلُ له إلا بإعانة اللَّه له، فإنه لا يقدرُ علىٰ تحصيل ذلك له إلا اللَّه، فهو دائمًا مفتقرٌ إلىٰ حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فإنه لو أُعين علىٰ حصول ما يحبُّه ويطلبه ويشتهيه ويريده، ولم يحصل له عبادته للَّه فلن يحصل إلا علىٰ الألم والحسرة والعذاب، ولن يَخلُصَ من آلام الدنيا ونكد عيشها إلا بإخلاص الحب للَّه؛ بحيث يكون هو غايةَ مراده ونهاية مقصوده، وهو المحبوب له بالقصد الأول، وكل ما سواه إنما يحبُّه لأجله، لا يحبُّ شيئًا لذاته إلا اللَّه، فمتىٰ لم يحصل له هذا لم يكن قد حقَّق حقيقة «لا إلٰه إلا اللَّه»، ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة للَّه، وكان فيه من نقص التوحيد والإيمان[(١)] ـ بل من الألم والحسرة والعذاب ـ بحسب ذلك.

ولو سعىٰ في هذا المطلوب، ولم يكن مستعينًا باللَّه متوكلًا عليه مفتقرًا إليه في حصوله = لم يحصل له؛ فإنه ما شاء اللَّه كان، وما لم يشأ لم يكن، فهو مفتقرٌ إلىٰ اللَّه من حيث هو المطلوب المحبوب المراد المعبود، ومن حيث هو المسؤول المستعان به المتوكَّلُ عليه، فهو إلٰهه لا إلٰه له غيره، وهو ربُّه لا ربَّ له سواه.

ولا تتمُّ عبوديته للَّه إلا بهذين؛ فمتىٰ كان يحبُّ غيرَ اللَّه لذاته، أو يلتفت إلىٰ غير اللَّه أنه يُعينُه = كان عبدًا لما أحبَّه، وعبدًا لما

---

(١) في نسخة: «من النقص والعيب».

رجاه بحسب حبِّه له ورجائه إياه. وإذا لم يحبَّ أحدًا لذاته إلا اللَّه، وكلما أحب سواه فإنما أحبَّه له، ولم يَرْجُ قط شيئًا إلا اللَّه، وإذا فعل ما فعل من الأسباب، أو حصَّل ما حصَّل منها كان مشاهِدًا أن اللَّه هو الذي خلقها وقدَّرها وسخَّرها له، وأن كل ما في السماوات والأرض فاللَّه ربُّه ومليكه وخالقه ومسخِّره، وهو مفتقر إليه= كان قد حَصَل له من تمام عبوديته للَّه بحسب ما قُسم له من ذلك.

والناس في هذا علىٰ درجات متفاوتة لا يحصي طرفيها إلا اللَّه؛ فأكمل الخلق، وأفضلهم، وأعلاهم، وأقربهم إلىٰ اللَّه، وأقواهم، وأهداهم= أتمُّهم عبوديةً للَّه من هذا الوجه. وهذا هو حقيقةُ دين الإسلام الذي أَرسل اللَّهُ به رسله، وأنزل به كتبه؛ وهو أن يستسلم العبد للَّه لا لغيره، فالمستسلم له ولغيره مشرك، والممتنِعُ عن الاستسلام له مستكبر.

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ: «**أن الجنة لا يدخلُها مَن في قلبه مثقالُ ذرةٍ من كِبْر**»[1]، كما أن النار لا يخلد فيها[2] من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

فجعل الكبر مقابلًا للإيمان؛ فإن الكبر ينافي حقيقة العبودية؛ كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول اللَّه: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي؛ فمن نازعني واحدًا منهما عذَّبتُه**»[3].

فالعظمةُ والكبرياء من خصائص الربوبية، والكبرياء أعلىٰ من

(١) رواه مسلم (٩١)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
(٢) في نسخة: «لا يدخلها».
(٣) رواه مسلم (٢٦٢٠)، من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما.

العظمة؛ ولهذا جعلها بمنزلةِ الرداء، كما جعل العظمةَ بمنزلةِ الإزار؛ ولهذا كان شعارُ الصلوات والأذان والأعياد هو التكبير، وكان مستحَبًّا في الأمكنة العالية ـ كالصَّفا والمروة ـ، وإذا علا الإنسان شرفًا أو ركب دابةً ونحو ذلك، وبه يُطفأ الحريق ـ وإن عظُم[(١)] ـ، وعند الأذان يهرب الشيطان.

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر].

وكلُّ من استكبر عن عبادة اللَّه لابد أن يعبد غيره؛ فإن الإنسان حساسٌ يتحرك بالإرادة[(٢)].

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**أصدقُ الأسماء حارث وهمام**»[(٣)].

فالحارث: الكاسب الفاعل، والهَمَّام: فَعَّالٌ من الهَمِّ، والهمُّ أول الإرادة، فالإنسان له إرادة دائمًا، وكلُّ إرادةٍ فلابد لها من مرادٍ تنتهي إليه، فلابد لكل عبدٍ من مرادٍ محبوبٍ هو منتهىٰ حبِّه وإرادته،

---

(١) يقصد مع الأخذ بالأسباب.

(٢) كما قيل ـ أيضًا ـ: «النفس إن لم تشغلها بالحق، انشغلت بالباطل».

(٣) **صحيح ـ وليس في «الصحيح» ـ:** رواه أحمد (٤/٣٤٥)، وأبو داود (٤٩٥٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨١٤)، وفي «التاريخ الكبير» (٩/٧٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٣٦٨)، وأبو يعلىٰ (٧١٦٩)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/٩٤٩)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٩/٥١٤)، وفي «الآداب» (٤٦٩)، والدولابي في «الكُنىٰ» (١/١٧٧)، من حديث أبي وهب الجُشَمي رضي الله عنه. **وصحَّحه** الشيخ الألباني، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٧/٣٠٥).

فمن لم يكن اللَّهُ معبودَه ومنتهىٰ حبِّه وإرادته ـ بل استكبر عن ذلك ـ فلابد أن يكون له مرادٌ محبوبٌ يستعبده غيرُ اللَّه، فيكونُ عبدًا لذلك المراد المحبوب؛ إما المال، وإما الجاه، وإما الصور، وإما ما يتخذه إلٰهًا من دون اللَّه، كالشمس، والقمر، والكواكب، والأوثان، وقبور الأنبياء والصالحين، أو من الملائكة والأنبياء الذين يتخذهم أربابًا، أو غير ذلك مما عُبد من دون اللَّه.

وإذا كان عبدًا لغير اللَّه يكون مشركًا، وكلُّ مستكبرٍ فهو مشرك؛ ولهذا كان فرعونُ من أعظم الخلق استكبارًا عن عبادة اللَّه، وكان مشركًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ﴾، إلىٰ قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ﴾، إلىٰ قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص].

وقال: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل].

ومثل هذا في القرآن كثير.

وقد وُصف فرعون بالشرك في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

بل الاستقراء يدلُّ علىٰ أنه كلما كان الرجلُ أعظم استكبارًا عن عبادة اللَّه كان أعظم إشراكًا باللَّه؛ لأنه كلما استكبر عن عبادة اللَّه ازداد فقرُه وحاجتُه إلىٰ المراد المحبوب الذي هو المقصود ـ مقصود القلب بالقصد الأول ـ؛ فيكون مشركًا بما استعبده من ذلك.

ولن يستغنيَ القلبُ عن جميع المخلوقات إلَّا بأنْ يكون اللَّه هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه، ولا يستعين إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يفرح إلا بما يحبُّه ويرضاه، ولا يكره إلا ما يُبغضُه الربُّ ويكرهه، ولا يوالي إلا من والاه اللَّه، ولا يعادي إلا من عاداه اللَّه، ولا يحبُّ إلا للَّه، ولا يُبغض شيئًا إلا للَّه، ولا يُعطي إلا للَّه، ولا يمنع إلا للَّه؛ فكلما قَوِيَ إخلاصُ دينه للَّه كملت عبوديته واستغناؤه عن المخلوقات، وبكمال عبوديته للَّه يُبرِّئُه[1] من الكبر والشرك.

والشرك غالبٌ علىٰ النصارىٰ، والكبر غالبٌ علىٰ اليهود:

قال تعالىٰ في النصارىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة].

وقال في اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة].

---

(١) في نسخة: «تكمل تبرئته».

وقال تعالىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦].

ولما كان الكبرُ مستلزمًا للشرك، والشركُ ضد الإسلام ـ وهو الذنب الذي لا يغفره اللَّه ـ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء]، كان(١) الأنبياء جميعهم مبعوثين بدين الإسلام، فهو الدين الذي لا يقبل اللَّه غيره، لا من الأولين ولا من الآخرين.

قال نوح: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس].

وقال في حق إبراهيم: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة].

وقال يوسف: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف].

وقال موسىٰ: ﴿يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [يونس].

---

(١) هذا جواب قوله: «ولما كان الكبر مستلزمًا للشرك...» قبل ثلاثة أسطر.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤].

وقالت بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل].

وقال: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

فذَكَر إسلام الكائنات طوعًا وكرهًا؛ لأن المخلوقات جميعها متعبِّدةٌ له التعبُّد العام، سواء أقر المُقِرُّ بذلك أو أنكره، وهم مَدينون[١] مدبَّرون؛ فهم مسلِمون له طوعًا وكرهًا، ليس لأحدٍ من المخلوقات خروجٌ عما شاءه وقدَّره وقضاه، ولا حول ولا قوة إلا به، وهو ربُّ العالمين، ومليكُهم يصرِّفُهم كيف يشاء، وهو خالقُهم كلِّهم وبارئهم ومصوِّرُهم، وكل ما سواه فهو مربوبٌ مصنوع، مفطورٌ فقير، محتاجٌ معبَّدٌ مقهور، وهو سبحانه الواحد القهار، الخالق البارئ المصوِّر.

وهو وإن كان قد خَلق ما خلقه بأسباب، فهو خالقُ السبب والمقدِّرُ له، وهو مفتقرٌ إليه كافتقار هذا[٢]، وليس في المخلوقات سببٌ

(١) مدينون: محاسَبون.
(٢) يعني: كافتقار المسبَّب. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.



مستقلٌّ بفعلِ خيرٍ ولا دفعِ ضرر؛ بل كل ما هو سببٌ فهو محتاجٌ إلىٰ سبب آخر يعاونه، وإلىٰ ما يدفع عنه الضدَّ الذي يعارضه ويمانعه.

وهو ـ سبحانه ـ وحده الغنيُّ عن كل ما سواه، ليس له شريكٌ يعاونه، ولا ضدٌّ يناوئه ويعارضه.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالىٰ عن الخليل: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ (١) إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن هذه الآية لما نزلت شق ذلك علىٰ أصحاب النبي ﷺ، وقالوا: يا رسول اللَّه، أيُّنا لم يَلبس إيمانه بظلم؟ فقال: «**إنما هو الشرك؛ ألم تسمعوا إلىٰ قول العبد الصالح**: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]» (٢).

وإبراهيم الخليل ـ إمام الحنفاء المخلصين ـ حيث بُعث وقد طبَّق الأرضَ دينُ المشركين، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ

(١) ﴿يَلْبِسُوٓا۟﴾: يخلطوا.
(٢) رواه البخاري (٣٣٦٠)، ومسلم (١٢٤).

قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ [البقرة]، فبيَّن أن عهده بالإمامة لا يتناولُ الظالم، فلم يأمر اللَّه ـ سبحانه ـ أن يكون الظالمُ إمامًا، وأعظمُ الظلم الشرك.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل].

والأُمَّة: هو معلِّم الخير الذي يؤتمُّ به، كما أن القدوة الذي يُقتدىٰ به.

واللَّه تعالىٰ جعل في ذريته النبوةَ والكتاب، وإنما بُعث الأنبياء بعده بمِلَّته.

قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة].

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ: «**أن إبراهيم خيرُ البرية**»[(١)]؛ فهو أفضل الأنبياء بعد النبي ﷺ، وهو خليلُ اللَّه تعالىٰ.

---

(١) رواه مسلم (٢٣٦٩)، من حديث أنس رضي الله عنه.

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ من غير وجهٍ أنه قال: «**إن اللَّه اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيمَ خليلًا**»[(١)].

وقال: «**لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكنَّ صاحبكم خليلُ اللَّه**» ـ يعني نفسه [ﷺ] ـ. وقال: «**لا يَبقَين في المسجد خَوْخَةٌ**[(٢)] **إلا سُدَّتْ، إلا خَوْخَة أبي بكر**»[(٣)].

وقال: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك**»[(٤)].

وكلُّ هذا في «الصحيح»، وفيه أنه قال ذلك قبل موته بأيام[(٥)]؛ وذلك من تمام رسالته؛ فإن في ذلك تحقيقَ تمام مخالَّتِه للَّه، التي أصلها محبة اللَّه تعالىٰ للعبد، ومحبة العبد للَّه؛ خلافًا للجهمية.

وفي ذلك تحقيق توحيد اللَّه، وألَّا يعبدوا إلا إياه، وردٌّ علىٰ أشباه المشركين.

وفيه ردٌّ علىٰ الرافضة الذين يَبخَسون الصدِّيقَ رضي الله عنه حقه، وهم أعظم المنتسبين إلىٰ القبلة إشراكًا بعبادة عليٍّ وغيره من البشر.

والخُلة: هي كمال المحبةِ المستلزمةِ من العبد كمالَ العبودية للَّه، ومن الرب ـ سبحانه ـ كمالَ الربوبية لعباده الذين يحبُّهم ويحبونه.

---

(١) رواه مسلم (٥٣٢)، من حديث جندب رضي الله عنه.

(٢) **الخَوْخة**: الباب الصغير.

(٣) رواه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

(٥) **صحيح**: وقد تقدم.

ولفظ «العبودية» يتضمن كمالَ الذل، وكمالَ الحب؛ فإنهم يقولون: «قلبٌ متيَّم» إذا كان متعبِّدًا للمحبوب، والمتيَّم: المتعبَّد، وتَيمُ اللَّه: عبده، وهذا علىٰ الكمال حصل لإبراهيم ومحمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ؛ ولهذا لم يكن له ﷺ من أهل الأرض خليل، إذ الخُلةُ لا تحتمل الشركة؛ فإنه كما قيل في المعنىٰ:

قد تخللتَ مسلكَ الروح مني ... وبذا سُمي الخليلُ خليلًا

بخلاف أصل الحب؛ فإنه ﷺ قد قال في الحديث الصحيح في الحسن وأسامة: «**اللهم إني أُحبُّهما فأَحِبَّهما، وأَحِبَّ مَن يحبُّهما**»[(١)].

وسأله عمرو بن العاص: أيُّ الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**». قال: فمِن الرجال؟ قال: «**أبوها**»[(٢)].

وقال لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لأُعطينَّ الراية رجلًا يحبُّ اللَّهَ ورسولَه، ويحبُّه اللَّه ورسوله**»[(٣)]. وأمثال ذلك كثير.

وقد أخبر تعالىٰ أنه يحب المتقين، ويحب المحسنين، ويحب المُقسطين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيانٌ مرصوص.

وقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]؛ فقد أخبر بمحبته لعباده المؤمنين، ومحبة المؤمنين له، حتىٰ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ

(١) رواه البخاري (٣٧٣٥)، من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. دون قوله: «**وأحب من يحبهما**».

(٢) رواه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤)، من حديث عبداللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وأما الخُلةُ فخاصة، وقول بعض الناس: «إن محمدًا حبيب اللَّه، وإبراهيم خليل اللَّه»، وظنه أن المحبة فوق الخلة = قولٌ ضعيف، فإن محمدًا ـ أيضًا ـ خليل اللَّه ـ كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المستفيضة[(١)] ـ.

وما يُروىٰ: «**إن العباس يُحشر بين حبيب وخليل**»[(٢)]، وأمثال ذلك، فأحاديثُ موضوعةٌ لا تصلح أن يُعتمد عليها.

وقد قدمنا أن محبة اللَّه تعالىٰ هي محبتُه ومحبةُ ما أحب، كما في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَد حلاوة الإيمان: مَن كان اللَّهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، ومن كان يحبُّ المرءَ لا يحبُّه إلا للَّه، ومَن كان يَكره أن يرجعَ في الكفر ـ بعد إذ أنقذه اللَّه منه ـ كما يكره أن يُلقىٰ في النار**»[(٣)].

أخبر النبيُّ ﷺ أن هذه الثلاث مَن كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ لأن وَجْدَ الحلاوة بالشيء يتبعُ المحبةَ له، فمن أحب شيئًا أو اشتهاه ـ إذا حصل له مرادُه ـ فإنه يجدُ الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذةُ أمر يحصل عقيبَ إدراك المُلائم الذي هو المحبوب أو المشتهىٰ.

ومن قال: «إن اللذة إدراك الملائم» ـ كما يقوله من يقوله من المتفلسفة والأطباء ـ، فقد غَلِط في ذلك غلطًا بيِّنًا؛ فإن الإدراك

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **لا أصل له**: كما بيَّن الإمام رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

يتوسط بين المحبة واللذة؛ فإن الإنسان ـ مثلًا ـ يشتهي الطعام، فإذا أكله حصل له عقيبَ ذلك اللذة؛ فاللذة تتبع النظرَ إلىٰ الشيء، فإذا نظر إليه التذَّ به، فاللذة تتبعُ النظر ليست نفس النظر، وليست هي رؤية الشيء؛ بل تحصل عقيب رؤيته، وقال تعالىٰ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، وهكذا جميعُ ما يحصل للنفس من اللذات والآلام ـ من فرحٍ وحزن ونحو ذلك ـ يحصل بالشعور بالمحبوب، أو الشعور بالمكروه، وليس نفسُ الشعور هو الفرح ولا الحزن.

[أمور ثلاثة تتحقق بها حلاوة الإيمان]:

فحلاوة الإيمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجده المؤمنُ الواجدُ من حلاوة الإيمان= تتبع كمال محبة العبد للَّه؛ وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة، وتفريعها، ودفع ضدها.

فتكميلها: أن يكون اللَّهُ ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما؛ فإن محبة اللَّه ورسوله لا يُكتفىٰ فيها بأصل الحب؛ بل لابد أن يكون اللَّهُ ورسوله أحب إليه مما سواهما ـ كما تقدم ـ.

وتفريعها: أن يحب المرءَ لا يحبُّه إلا للَّه.

ودفع ضدها: أن يَكره ضدَّ الإيمان أعظمَ من كراهته الإلقاءَ في النار، فإذا كانت محبةُ الرسول والمؤمنين من محبة اللَّه، وكان رسولُ اللَّه ﷺ يحب المؤمنين الذين يحبهم اللَّه؛ لأنه أكملُ الناس محبةً للَّه، وأحقهم بأن يُحِبَّ ما يحبه اللَّه، ويُبغضَ ما يبغضُه اللَّه، والخُلة ليس لغير اللَّه فيها نصيب؛ بل قال: «**لو كنت متخِذًا من أهل**

الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا»[(١)] = عُلم منه[(٢)] مزيد مرتبة الخلة علىٰ مطلق المحبة.

والمقصود هو أن الخُلة والمحبة للَّه تحقيقُ عبوديته؛ وإنما يغلط من يغلط في هذه من حيث يتوهَّمون أن العبودية مجردُ ذلٍّ وخضوع فقط، لا محبةَ معه، أو أن المحبة فيها انبساطٌ في الأهواء، أو إدلالٌ لا تحتمله الربوبية.

▫ ولهذا يُذكر عن ذي النون أنهم تكلموا عنده في مسألة المحبة؛ فقال: «أمسِكوا عن هذه المسألة، لا تسمعْها النفوس فتدعيها».

وكَرِهَ مَن كره من أهل المعرفةِ والعلم مجالسةَ أقوام يكثرون الكلام في المحبة بلا خشية.

▫ وقال مَن قال من السلف: «مَن عَبَد اللَّه بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحِّد».

ولهذا وُجد في المستأخرين من انبسط في دعوىٰ المحبة، حتىٰ أخرجه ذلك إلىٰ نوع من الرعونةِ[(٣)] والدعوىٰ التي تنافي العبودية، وتُدخل العبد في نوع من الربوبية التي لا تصلح إلا للَّه، ويدَّعي أحدهم دعاوىٰ تتجاوز حدود الأنبياء والمرسلين، أو يطلبون من

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) هذا جواب الشرط في قوله: «فإذا كانت محبة الرسول...» قبل أسطر.

(٣) **الرعونة**: سوء الخلق والأدب.

اللَّه ما لا يصلح ـ بكل وجهٍ ـ إلا للَّه؛ لا يصلح للأنبياء والمرسلين. وهذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ.

وسببه ضعفُ تحقيق العبودية التي بيَّنتها الرسل، وحررها الأمر والنهي الذي جاؤوا به؛ بل ضعفُ العقل الذي به يَعرف العبدُ حقيقته، وإذا ضعف العقل وقلَّ العلم بالدين، وفي النفس محبة طائشة جاهلة، انبسطت النفس بحُمقها في ذلك، كما ينبسط الإنسان في محبة الإنسان مع حمقه وجهله، ويقول: «أنا محبٌّ؛ فلا أؤاخذ بما أفعله من أنواع يكون فيها عُدوانٌ وجهل»! فهذا عين الضلال، وهو شبيهٌ بقول اليهود والنصارىٰ: ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ١٨]، فإن تعذيبه لهم بذنوبهم يقتضي أنهم غيرُ محبوبين، ولا منسوبين إليه بنسبة البُنوَّة، بل يقتضي أنهم مربوبون مخلوقون.

فمن كان اللَّه يحبه استعمله فيما يحبُّه محبوبه، لا يفعل ما يُبغضه الحقُّ ويَسخطه من الكفر والفسوق والعصيان. ومَن فعل الكبائر، وأصر عليها، ولم يتُب منها، فإن اللَّه يُبغض منه ذلك، كما يحبُّ منه ما يفعله من الخير؛ إذ حبُّه للعبد بحسب إيمانه وتقواه. ومن ظن أن الذنوبَ لا تضرُّه لكون اللَّه يحبه ـ مع إصراره عليها ـ، كان بمنزلة مَن زعم أن تناوُلَ السُّمِّ لا يضره مع مداومته عليه، وعدم تداويه منه بصحةِ مزاجه!

ولو تدبَّر الأحمقُ ما قصَّ اللَّه في كتابه من قصص أنبيائه، وما جرىٰ لهم من التوبة والاستغفار، وما أُصيبوا به من أنواع البلاء الذي فيه تمحيصٌ لهم، وتطهيرٌ بحسب أحوالهم، عَلم بعضَ ضرر الذنوب بأصحابها ـ ولو كان أرفعَ الناس مقامًا ـ؛ فإن المحبَّ



للمخلوق إذا لم يكن عارفًا بمصلحته ولا مريدًا لها؛ بل يعمل بمقتضىٰ الحب ـ وإن كان جهلًا وظلمًا ـ، كان ذلك سببًا لبغض المحبوب له ونفوره عنه؛ بل سببًا لعقوبته.

[آثار الدعاوى الفاسدة]:

وكثيرٌ من السالكين سلكوا في دعوىٰ حب اللَّه أنواعًا من أمور الجهل بالدين:

- إما من تعدِّي حدود اللَّه.
- وإما من تضييع حقوق اللَّه.
- وإما من ادعاء الدعاوىٰ الباطلة التي لا حقيقة لها.

▫ كقول بعضهم: «أي مريدٍ لي تَرك في النار أحدًا فأنا منه بريء، فقال الآخر: أي مريد لي ترك أحدًا من المؤمنين يدخل النار فأنا منه بريء».

فالأول: جعل مريدَه يُخرج كل من في النار، والثاني: جعل مريده يمنع أهل الكبائر من دخول النار!

▫ ويقول بعضهم: «إذا كان يومُ القيامة نصبتُ خيمتي علىٰ جهنم حتىٰ لا يدخلها أحد».

وأمثال ذلك من الأقوال التي تؤثَرُ عن بعض المشايخ المشهورين، وهي إما كذبٌ عليهم، وإما غلط منهم، ومثل هذا قد يصدر في حال سُكرٍ وغلبةٍ وفناءٍ يسقط فيها تمييزُ الإنسان أو يضعف؛ حتىٰ لا يدري ما قال، والسُّكرُ هو لذةٌ مع عدم تمييز؛ ولهذا كان بين هؤلاء من إذا صحا استغفر من ذلك الكلام.

والذين توسَّعوا من الشيوخ في سماع القصائد المتضمنة للحب

والشوق واللوم والعَذْل والغرام كان هذا أصلَ مقصدهم؛ فإن هذا الجنس يحرِّك ما في القلب من الحب ـ كائنًا ما كان ـ؛ ولهذا أنزل اللَّه للمحبة محنةً يَمتحنُ بها المُحِبَّ؛ فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فلا يكون محبًّا للَّه إلَّا من يتبعُ رسوله، وطاعةُ الرسول ومتابعتُه لا تكون إلا بتحقيق العبودية.

وكثيرٌ ممن يدعي المحبة يَخرج عن شريعته وسنته، ويدعي من الخيالات ما لا يتسع هذا الموضعُ لذكره، حتىٰ قد يَظنُّ أحدُهم سقوطَ الأمر، وتحليلَ الحرام له، وغير ذلك مما فيه مخالفة شريعة الرسول وسُنته وطاعته؛ بل قد جعل اللَّه أساسَ محبته ومحبة رسوله الجهادَ في سبيله، والجهاد يتضمن كمالَ محبة ما أمر اللَّه به، وكمال بغض ما نهىٰ اللَّه عنه؛ ولهذا قال في صفة من يحبهم ويحبونه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

ولهذا كانت محبةُ هذه الأمة للَّه أكملَ مِن محبة مَن قبلها، وعبوديتهم للَّه أكمل من عبودية من قبلهم، وأكمل هذه الأمة في ذلك هم أصحاب محمد ﷺ، ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل، فأين هذا من قوم يدَّعون المحبة؟!

▫ وفي كلام بعض الشيوخ: «المحبة نار تَحرق في القلب ما سوىٰ مراد المحبوب».

وأرادوا أن الكون كلَّه قد أراد اللَّهُ وجوده، فظنوا أن كمال المحبة أن يُحبَّ العبدُ كلَّ شيء، حتىٰ الكفر والفسوق والعصيان! ولا يمكن أحدًا أن يحبَّ كل موجود؛ بل يحبُّ ما يلائمه وينفعه،

ويُبغض ما ينافيه ويضرُّه، ولكن استفادوا بهذا الضلالِ اتباعَ أهوائهم، ثم زادهم انغماسًا في أهوائهم وشهواتهم؛ فهم يحبون ما يهوَوْنه؛ كالصور والرئاسة وفضول المال والبدع المُضِلة، زاعمين أن هذا من محبة اللَّه! ومن محبة اللَّه بغضُ ما يبغضه اللَّه ورسوله، وجهادُ أهله بالنفس والمال.

وأصلُ ضلالهم: أن هذا القائلَ الذي قال: «إن المحبة نارٌ تَحرق ما سوىٰ مراد المحبوب»، قَصَد بمراد اللَّه تعالىٰ: «الإرادة الكونية في كل الموجودات»، أما إذا قال مؤمن باللَّه وكتبه ورسله هذه المقالة، فإنه يقصد: «الإرادة الدينية الشرعية» التي هي بمعنىٰ محبته ورضاه[(١)]؛ فكأنه قال: تَحرق من القلب ما سوىٰ المحبوب للَّه. وهذا معنًىٰ صحيح، فإن من تمام الحب للَّه ألَّا تُحبَّ إلا ما يحبه اللَّه، فإذا أحببتَ ما لا يحب كانت المحبةُ ناقصة. وأما قضاؤه وقدره فيما[(٢)] يُبغضه ويكرهه ويَسخطه ويَنهىٰ عنه، فإن لم أوافقه في بُغضه

---

(١) تأمل كيف فرَّق الإمام بين توجيه كلام أئمة السُّنة والاستقامة، وبين غيرهم! فإن أهل الحقِّ والسُّنة يجب ـ وجوبًا ـ قبل الطعن في كلامهم التأملُ في مرادهم من خلال معرفة عقيدتهم وعلومهم، بخلاف من عُرف بالبدعة والضلال؛ فإن الأصل في كلامه الفساد، إلا أن يظهر خلاف ذلك؛ فافهم هذا الفرقَ المهم في هذا الباب. واللَّهُ تعالىٰ الموفِّق.
ثم وجدتُ كلامًا مشابهًا للعلامة ابن القيم، ولله الحمد والمنة:
■ حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والكلمة الواحدة يقولها اثنان، يريد بها أحدهما أعظم الباطل، ويريد بها الآخر محض الحق، والاعتبارُ بطريقة القائل وسيرته ومذهبه، وما يدعو إليه ويناظر عنه» اهـ. «مدارج السالكين» (٣/٥٤١).

(٢) في المطبوعات و«مجموع الفتاوىٰ» (١٠/٢١١)، و«الفتاوىٰ الكبرىٰ» =

وكراهته وسخطه لم أكن محبًّا له؛ بل محبًّا لما يبغضه.

فاتباعُ هذه الشريعة والقيامُ بالجهاد بها من أعظم الفروق بين أهل محبة اللَّه وأوليائه الذين يحبُّهم ويحبونه، وبين من يدَّعي محبة اللَّه ناظرًا إلىٰ عموم ربوبيته، أو متبعًا لبعض البدع المخالفة لشريعته؛ فإن دعوىٰ هذه المحبة للَّه من جنس دعوىٰ اليهود والنصارىٰ المحبةَ للَّه؛ بل قد تكون دعوىٰ هؤلاء شرًّا من دعوىٰ اليهود والنصارىٰ؛ لما فيهم من النفاق الذين هم به في الدَّرْك الأسفل من النار، كما قد تكون دعوىٰ اليهود والنصارىٰ شرًّا من دعواهم إذا لم يَصِلوا إلىٰ مثل كفرهم، وفي التوراة والإنجيل من الترغيب في محبة اللَّه ما هم متفقون عليه، حتىٰ إن ذلك عندهم أعظم وصايا الناموس.

▫ ففي «الإنجيل» أن المسيح قال: «أعظم وصايا المسيح أن تحبَّ اللَّه بكلِّ قلبك وعقلك ونفسك».

والنصارىٰ يدَّعون قيامهم بهذه المحبة، وأن ما هم فيه من الزهد والعبادة هو من ذلك، وهم بُرآء من محبة اللَّه، إذ لم يتبعوا ما أحبَّه؛ بل ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد]، واللَّه يُبغض الكافرين ويمقتهم ويلعنهم، وهو ـ سبحانه ـ يحبُّ من يحبه. لا يمكن أن يكون العبد محبًّا للَّه واللَّه تعالىٰ غيرُ محبٍّ له؛ بل بقَدرِ محبة العبد لربه يكون حبُّ اللَّه له، وإن كان جزاءُ اللَّه لعبده أعظم، كما في الحديث الصحيح الإلٰهي عن اللَّه

= (٥/٢٠٠)، ونسخ «العبودية» التي عندي: «فهو». ولعل الأصح ما أثبتُّه؛ إذ لا يستقيم السياق إلا بذلك أو نحوه. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

تعالىٰ أنه قال: «**من تقرَّب إليَّ شبرًا تقربتُ إليه ذراعًا، ومن تقرَّب إليَّ ذراعًا تقرَّبت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولةً**»[(١)].

وقد أخبر ـ سبحانه ـ أنه يحبُّ المتقين والمحسنين والصابرين، ويحب التوابين، ويحبُّ المتطهرين؛ بل هو يحبُّ مَن فعل ما أَمَر به من واجب ومستحب، كما في الحديث الإلٰهي الصحيح: «**لا يزالُ عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أُحِبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به...**» الحديث[(٢)].

وكثيرٌ من المخطئين الذين ابتدعوا أشياخًا في الزهد والعبادة وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارىٰ من دعوىٰ المحبة للَّه، مع مخالفةِ شريعته، وتركِ المجاهدة في سبيله ونحو ذلك، ويتمسَّكون في الدين الذي يتقربون به إلىٰ اللَّه بنحو ما تمسَّك به النصارىٰ من الكلام المتشابه، والحكاياتِ التي لا يُعرف صدقُ قائلها، ولو صدق لم يكن قائلُها معصومًا، فيجعلون متبوعيهم شارِعِينَ لهم دينًا، كما جَعل النصارىٰ قسِّيسِيهِم ورهبانَهم شارعين لهم دينًا، ثم إنهم ينتقصون العبودية، ويدَّعون أن الخاصةَ يتعدَّونها، كما يدَّعي النصارىٰ في المسيح، ويُثبتون للخاصة من المشاركة في[(٣)] اللَّه من جنس ما تُثبته النصارىٰ في المسيح وأمه، إلىٰ أنواعٍ أُخَر يطول

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **صحيح بشواهده:** رواه البخاري (٦٥٠٢)، وابن حبان (٣٤٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. والحديث حوله كلام. فانظر «الصحيحة»، للشيخ الألباني (١٨٤/٤)، و«تحقيق صحيح ابن حبان»، للشيخ شعيب الأرنؤوط (٥٨/٢)، و«إتحاف السادة المتقين» للزَّبيدي (٦٦٥/١).

(٣) كذا في سائر المطبوعات «في»، ولعلها: «مع». واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

شرحها في هذا الموضع.

وإنما دينُ الحقِّ هو تحقيق العبودية للَّه بكل وجه، وهو تحقيق محبة اللَّه بكل درجة، وبقدر تكميل العبودية تكمُل محبةُ العبد لربه، وتكمل محبة الربِّ لعبده، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا.

وكلما كان في القلب حبٌّ لغير اللَّه كانت فيه عبوديةٌ لغير اللَّه بحسب ذلك، وكلما كان فيه عبوديةٌ لغير اللَّه كان فيه حبٌّ لغير اللَّه بحسب ذلك، وكل محبةٍ لا تكون للَّه فهي باطلة، وكل عملٍ لا يُراد به وجهُ اللَّه فهو باطل، فالدنيا ملعونةٌ ملعون ما فيها إلا ما كان للَّه[1]، ولا يكون للَّه إلا ما أحبَّه اللَّه ورسوله، وهو المشروع،

(١) انظر الحديث **الحسن**: الذي رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، والدارمي (٣٢٢)، والطبراني في «الأوسط» (٢٣٦/٤)، والبزار (١٤٤/٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الترمذي: «**حسن غريب**»، **وأقرَّه** الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٥٥/١)، **وجوَّده** العلَّامة ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١٢٥/٢)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيقه» (١٢٦/٢)، وفي تحقيق «سنن ابن ماجه» (٢٣١/٥)، وكذا الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٧٩٧). بينما **ضعَّفه** أئمةٌ آخرون؛ فانظر: «ضعفاء العقيلي» (٣٢٦/٢)، و«العلل المتناهية» لابن الجوزي (٧٩٦/٢). و«علل الدارقطني» (٨٩/٥)، و«علل ابن أبي حاتم» (١٢٤/٢)، و«جامع العلوم والحكم» (٥٥٩).

ولفظ الحديث: «**الدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلَّا ذِكرَ اللَّه وما والاه، وعالمٌ أو متعلم**».

وهناك **روايةٌ ضعيفةٌ** رواها البيهقي في «الزهد الكبير» (٢٣٥ ـ تهذيبي)، وفي «الشعب» (١٠٠٣)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١٥٧/٣)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٩٧٧)، وفي «الزهد» (٦٥)، من حديث جابر بن عبداللَّه =

فكلُّ عمل أُريد به غير اللَّه لم يكن للَّه، وكل عمل لا يوافقُ شرع اللَّه لم يكن للَّه؛ بل لا يكون للَّه إلا ما جمع الوصفين: أن يكون للَّه، وأن يكون موافقًا لمحبة اللَّه ورسوله، وهو الواجب والمستحب، كما قال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

فلابد من العمل الصالح - وهو الواجب، والمستحب -، ولابد أن يكون خالصًا لوجه اللَّه تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة].

وقال النبيُّ ﷺ: «**مَن عَمِل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**»[(١)].

وقال النبي ﷺ: «**إنما الأعمالُ بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوىٰ، فمن كانت هجرتُه إلىٰ اللَّه ورسوله، فهجرته إلىٰ اللَّه ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبها أو امرأةٍ يتزوجها، فهجرتُه إلىٰ ما هاجر إليه**»[(٢)].

وهذا الأصل هو أصل الدين، وبحسب تحقيقه يكون تحقيقُ الدين، وبه أَرسل اللَّه الرسل، وأنزل الكتب، وإليه دعا الرسول، وعليه جاهد، وبه أَمَر، وفيه رغَّب، وهو قطبُ الدين الذي تدورُ عليه رحاه.

= رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. **واستغربه** الإمام أبو نُعيم، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٠١٩).

ولفظه: «**الدنيا ملعونٌ ما فيها، إلا ما كان منها للَّه** عَزَّ وَجَلَّ».

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

والشركُ غالبٌ علىٰ النفوس، وهو ـ كما جاء في الحديث ـ: «في[1] هذه الأمة أخفىٰ من دبيب النمل»[2].

وفي حديثٍ آخر: قال أبو بكر: يا رسول اللَّه، كيف ننجو منه وهو أخفىٰ من دبيب النمل؟ فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «**أَلَا أُعلِّمُك كلمةً إذا قلتَها نجوتَ من دِقِّهِ وجِلِّه؟ قل: اللهم إني أعوذُ بك أن أُشرِكَ بك وأنا أعلم، وأستغفرُك لما لا أعلم**»[3].

▫ وكان عمر يقول في دعائه: «اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئًا».

وكثيرًا ما يخالط النفوسَ من الشهوات الخفية ما يُفسد عليها تحقيق محبتها للَّه، وعبوديتها له، وإخلاص دينها له.

▫ كما قال شداد بن أوس: «يا نعايا العرب[4]، إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء، والشهوة الخفية».

قيل لأبي داود السِّجستاني: «وما الشهوة الخفية؟ قال: حب الرئاسة».

وعن كعب بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما ذئبانِ جائعان أُرسلا في زَريبةِ غنمٍ بأفسدَ لها مِن حرص المرء علىٰ المال والشرف لدينه**».

---

(١) في المطبوع: «وهو في»، ولعل الأصحَّ حذف «هو»، لتقدُّمِها.
(٢) صحيح: وقد تقدم.
(٣) صحيح: وقد تقدم.
(٤) كلمة تدلُّ علىٰ الحزن والإشفاق. ولها عدةُ معانٍ، فانظر: «غريب الحديث» للقاسم بن سلام (١٦٩/٤)، و«الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٤/٤)، وكذا الأثر رقم (٣١٢) من «الزهد الكبير» للبيهقي، تهذيبي.

قال الترمذي: «حديث حسن صحيح»[(١)].

فبيَّن ﷺ أن الحرص على المال والشرف في إفساد الدين لا ينقُصُ عن إفساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم، وذلك بيِّن؛ فإن الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص؛ وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة عبوديته للَّه، ومحبته له= لم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من ذلك حتى يُقدِّمَه عليه، وبذلك يُصرف عن أهل الإخلاص للَّه السوء والفحشاء، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلِصِينَ[(٢)] ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف]؛ فإن المخلِصَ للَّه ذاق من حلاوة عبوديته للَّه ما يمنعه عن عبوديته لغيره، ومن حلاوة محبته للَّه ما يمنعه عن محبة غيره؛ إذ ليس عند القلب لا أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا أسرَّ ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته للَّه، ومحبته له، وإخلاصه الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى اللَّه؛ فيصير القلبُ منيبًا إلى اللَّه، خائفًا منه، راغبًا راهبًا، كما قال تعالى: ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق]؛ إذ المُحِبُّ يخاف من زوال مطلوبه و[عدم] حصول مرغوبه، فلا يكون عبدُ اللَّه ومحبُّه

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/٤٥٦)، والترمذي (٢٣٧٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٧٩٦)، وابن المبارك في «الزهد» (١٨١ - زيادات نعيم بن حماد)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٢٢٨)، والطبراني في «الكبير» (١٩/١٨٩)، والبيهقي في «الآداب» (٩٧٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٥٤). وقال الإمام الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وأقره** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/١٧٤)، **وصححه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٥/٨٥)، والشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٢٠).

(٢) هذه القراءة هي التي توافق كلام الإمام القادم.

إلا بين خوف ورجاء، قال تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء].

وإذا كان العبد مخلصًا للَّه اجتباه ربه؛ فأحيا قلبه، واجتذبه إليه؛ فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء، ويخاف من حصول ضد ذلك، بخلاف القلب الذي لم يُخلص للَّه؛ فإنه في طلبٍ وإرادةٍ وحبٍّ مطلق، فيهوىٰ ما يَسنح له، ويتشبث بما يهواه، كالغصن أيُّ نسيمٍ مرَّ به عَطَفه[1] وأماله[2]:

- فتارة تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة، فيبقىٰ أسيرًا عبدًا لمن لو اتخذه هو عبدًا له لكان ذلك عيبًا ونقصًا وذمًّا.

- وتارةً يجتذبه الشرف والرئاسة، فتُرضيه الكلمة، وتُغضبه الكلمة، ويستعبده من يُثني عليه ولو بالباطل، ويعادي من يذمُّه ولو بالحق.

- وتارةً يستعبده الدرهم والدينار.

وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب، والقلوبُ تهواها؛ فيتخذ إلٰهه هواه، ويتبع هواه بغير هدًىٰ من اللَّه.

ومن لم يكن خالصًا للَّه عبدًا له، قد صار قلبه معبَّدًا لربه وحده لا شريك له، بحيث يكون اللَّهُ أحبَّ إليه من كل ما سواه، ويكون ذليلًا له خاضعًا= وإلا استعبدته الكائنات، واستولت علىٰ قلبه الشياطين، وكان من الغاوين إخوان الشياطين، وصار فيه من السوء

(١) **عطفه**: جعله ينحني.
(٢) في نسخة: «مرَّ بعِطفه وأماله». **والعِطْف**: الجانب.

والفحشاء ما لا يعلمه إلا اللَّه، وهذا أمرٌ ضروري لا حيلة فيه، فالقلب إن لم يكن حنيفًا مقبلًا علىٰ اللَّه معرضًا عما سواه، وإلا كان مشركًا؛ قال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم].

وقد جعل اللَّه ـ سبحانه ـ إبراهيم وآل إبراهيم أئمةً لهؤلاء الحنفاء المخلصين أهلِ محبة اللَّه وعبادته وإخلاص الدين له، كما جَعل فرعون وآل فرعون أئمةَ المشركين المتبعين أهواءهم.

قال تعالىٰ في إبراهيم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً[1] وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء].

وقال في فرعون وقومه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص].

ولهذا يصير أتباعُ فرعون أولًا إلىٰ ألَّا يميِّزوا بين ما يحبُّه اللَّه ويرضاه، وبين ما قدَّر اللَّه وقضاه؛ بل ينظرون إلىٰ المشيئة المطلقة

(١) قال مجاهد وعطاء رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: معنىٰ النافلة: العطية، وهما جميعًا من عطاء اللَّه، ﴿نَافِلَةً﴾ يعني عطاءً. قال الحسن والضحاك: فضلًا. وعن ابن عباس وأبي بن كعب وأبي زيد وقتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: النافلة هو يعقوب؛ لأن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أعطاه إسحاق بدعائه؛ حيث قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات]، وزاد يعقوب ولد الولد، والنافلة الزيادة. اهـ «تفسير البغوي».

الشاملة، ثم في آخر الأمر لا يميِّزون بين الخالق والمخلوق؛ بل يجعلون وجود هذا وجود هذا، ويقول محققوهم: «الشريعة فيها طاعة ومعصية، والحقيقة فيها معصية بلا طاعة، والتحقيق ليس فيه طاعة ولا معصية»!

وهذا تحقيق مذهب فرعون وقومه الذين أنكروا الخالق، وأنكروا تكليمه لعبده موسىٰ وما أرسله به من الأمر والنهي.





فصل



وأما إبراهيمُ وآل إبراهيم الحنفاء من الأنبياء والمؤمنين بهم، فهم يعلمون أنه لابد من الفرق بين الخالق والمخلوق، ولابد من الفرق بين الطاعة والمعصية، وأن العبد كلما ازداد تحقيقًا لهذا الفرق ازدادت محبته للَّه وعبوديته له وطاعته له، وإعراضُه عن عبادة غيره ومحبةِ غيره وطاعة غيره. وهؤلاء المشركون الضالون يُسوُّون بين اللَّه وبين خلقه، والخليل يقول: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء]، ويتمسكون بالمتشابه من كلام المشائخ كما فعلت النصارىٰ.

[أقسام الفناء]:

مثال ذلك اسم «الفناء»؛ فإن الفناء ثلاثة أنواع:

- نوعٌ للكاملين من الأنبياء والأولياء.
- ونوعٌ للقاصدين من الأولياء والصالحين.
- ونوعٌ للمنافقين الملحدين المشبهين.

فأما الأول: فهو الفناء عن إرادة ما سوىٰ اللَّه، بحيث لا يحبُّ إلا اللَّه، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكلُ إلا عليه، ولا يطلب من غيره، وهو المعنىٰ الذي يجب أن يُقصد بقول الشيخ أبي يزيد حيث قال: «أُريدُ ألَّا أُريد إلا ما يريد»، أي المرادَ المحبوبَ المَرْضيَّ، وهو المراد بالإرادة الدينية. وكمالُ العبد ألَّا يريد ولا يحبَّ ولا يرضىٰ إلا ما أراده اللَّه ورضيه وأحبه، وهو ما أَمَر به أَمْرَ إيجاب أو

استحباب، ولا يحبُّ إلا ما يحبُّه اللَّه كالملائكة والأنبياء والصالحين. وهذا معنىٰ قولهم في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء]، قالوا: «هو السليم مما سوىٰ اللَّه، أو مما سوىٰ عبادة اللَّه، أو مما سوىٰ إرادة اللَّه، أو مما سوىٰ محبة اللَّه»، فالمعنىٰ واحد، وهذا المعنىٰ إن سُمي «فناءً» أو لم يسمَّ هو أول الإسلام وآخره، وباطنُ الدين وظاهره.

وأما النوع الثاني: فهو الفناء عن شهود السِّوَىٰ، وهذا يحصُل لكثيرٍ من السالكين؛ فإنهم لفرطِ انجذاب قلوبهم إلىٰ ذكر اللَّه وعبادته ومحبته، وضعف قلوبهم عن أن تشهد غيرَ ما تعبد وترىٰ غير ما تقصد= لا يخطر بقلوبهم غيرُ اللَّه؛ بل لا يشعرون إلا به، كما قيل في قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص: ١٠]، قالوا: «فارغًا من كل شيءٍ إلا من ذكر موسىٰ»، وهذا كثيرٌ يعرض لمن دَهَمَه[1] أمر من الأمور ـ إما حب وإما خوف وإما رجاء ـ؛ يبقىٰ قلبه منصرفًا عن كل شيء إلا عما قد أحبَّه أو خافه أو طلبه، بحيث يكون عند استغراقه في ذلك لا يشعر بغيره.

فإذا قَوِيَ علىٰ صاحب الفناء هذا، فإنه يغيب بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، وبمذكوره عن ذِكْره، وبمعروفه عن معرفته، حتىٰ يفنىٰ من لم يكن ـ وهي المخلوقات المعبَّدة ممن سواه ـ، ويبقىٰ من لم يزل ـ وهو الربُّ تعالىٰ ـ، والمراد فَناؤُها في شهود العبد وذكره، وفناؤه عن أن يدركَها أو يشهدها.

(١) دَهَمَه: فاجأه وهجم عليه.

وإذا قَوِيَ هذا ضعُف المحبُّ حتىٰ اضطرب في تمييزه؛ فقد يظن أنه هو محبوبُه.

▫ كما يُذكر: «أن رجلًا ألقىٰ نفسه في اليم، فألقىٰ محبُّه نفسه خلفه، فقال: أنا وقعتُ؛ فما أوقعك خلفي؟ قال: غبتُ بك عني، فظننت أنك أني».

وهذا الموضع زلَّ فيه أقوام، وظنوا أنه اتحاد، وأن المحب يتحدُ بالمحبوب حتىٰ لا يكون بينهما فرقٌ في نفس وجودهما! وهذا غلطٌ، فإن الخالق لا يتَّحدُ به شيء أصلًا؛ بل لا يتحد شيءٌ بشيءٍ إلَّا إذا استحالا[١] وفسدت حقيقة كل منهما، وحَصَل من اتحادهما أمرٌ ثالث ـ لا هو هذا ولا هذا ـ، كما إذا اتحد الماءُ واللبن، والماء والخمر، ونحو ذلك، ولكن يتحد المراد المحبوب والمكروه، ويتفقان في نوع الإرادة والكراهة، فيُحبُّ هذا ما يحبُّ هذا. ويُبغض هذا ما يبغض هذا، ويرضىٰ ما يرضىٰ، ويَسخطُ ما يسخط، ويكره ما يكره، ويوالي من يوالي، ويعادي من يعادي، وهذا الفناء كلُّه فيه نقص.

وأكابر الأولياء ـ كأبي بكر وعمر والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ـ لم يقعوا في هذا الفناء، فضلًا عمن هو فوقهم من الأنبياء، وإنما وقع شيء من هذا بعد الصحابة. وكذلك كلُّ ما كان من هذا النمط مما فيه غَيبةُ العقل وعدم التمييز لما يَرِدُ علىٰ القلب من أحوال الإيمان؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أكمل وأقوىٰ وأثبت في الأحوال الإيمانية من أن تغيب عقولهم، أو يحصل لهم

(١) **استحالا**: تحوَّلا.

غَشْيٌ أو صَعْقٌ أو سُكرٌ أو فناءٌ أو وَلَهٌ[(١)] أو جنون، وإنما كان مبادئُ هذه الأمور في التابعين من عُباد البصرة؛ فإنه كان فيهم من يُغشىٰ عليه إذا سمع القرآن، ومنهم من يموت؛ كأبي جُهير الضرير وزرارة بن أوفىٰ قاضي البصرة.

وكذلك صار في شيوخ الصوفية مَن يَعرض له من الفناء والسُّكر ما يَضعُفُ معه تمييزه، حتىٰ يقول في تلك الحال من الأقوال ما إذا صحا عرف أنه غالطٌ فيه، كما يُحكىٰ نحو ذلك عن مثل أبي يزيد، وأبي الحسين النُّوري، وأبي بكر الشِّبلي، وأمثالهم، بخلاف أبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والفضيل بن عياض؛ بل وبخلاف الجنيد وأمثالهم، ممن كانت عقولُهم وتمييزُهم يصحبُهم في أحوالهم؛ فلا يقعون في مثل هذا الفناء والسكر ونحوه؛ بل الكُمَّلُ تكون قلوبُهم ليس فيها سوىٰ محبة اللَّه وإرادته وعبادته، وعندهم من سعةِ العلم والتمييز ما يشهدون به الأمورَ علىٰ ما هي عليه؛ بل يشهدون المخلوقات قائمةً بأمر اللَّه مدبَّرةً بمشيئته؛ بل مستجيبةً له قانتةً له، فيكون لهم فيها تبصرةٌ وذكرىٰ، ويكون ما يشهدونه من ذلك مؤيِّدًا ومُمدًّا لما في قلوبهم من إخلاصِ الدين، وتجريدِ التوحيد له، والعبادةِ له وحده لا شريك له.

وهذه [هي] الحقيقة التي دعا إليها القرآن، وقام بها أهلُ تحقيق الإيمان، والكُمَّلُ من أهل العرفان. ونبيُّنا ﷺ إمامُ هؤلاء وأكملهم؛ ولهذا لما عُرج به إلىٰ السماوات، وعاين ما هنالك من الآيات، وأُوحي إليه ما أُوحيَ من أنواع المناجاة، أصبح فيهم وهو لم يتغيَّر

---

(١) **الوَلَه**: الحيرة والدهش.

حاله، ولا ظهر عليه ذلك، بخلاف ما كان يظهرُ علىٰ موسىٰ من التغشِّي ـ صلىٰ اللَّه عليهم وسلم أجمعين ـ.

وأما النوع الثالث ـ مما قد يسمىٰ فَناءً ـ: فهو أن يشهد ألَّا موجود إلَّا اللَّه، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق، فلا فرق بين الرب والعبد! فهذا فناءُ أهل الضلال والإلحاد الواقعين في الحلول والاتحاد.

وهذا يبرأُ منه المشائخ المستقيمون[(١)]؛ فإذا قال أحدهم: «ما أرىٰ غير اللَّه»، أو: «لا أنظر إلىٰ غير اللَّه»، ونحو ذلك، فمرادهم بذلك: ما أرىٰ ربًّا غيره، ولا خالقًا غيره، ولا مدبِّرًا غيره، ولا إلٰهًا غيره، ولا أنظر إلىٰ غيره محبةً له، أو خوفًا منه، أو رجاءً له؛ فإنَّ العين تنظر إلىٰ ما يتعلق به القلب، فمن أحب شيئًا أو رجاه أو خافه التفت إليه، وإذا لم يكن في القلب محبةٌ له، ولا رجاءٌ له، ولا خوفٌ منه، ولا بغضٌ له، ولا غير ذلك من تعلُّق القلب له = لم يَقصد القلبُ أن يلتفت إليه، ولا أن ينظر إليه، ولا أن يراه. وإن رآه اتفاقًا رؤيةً مجردةً كان كما لو رأىٰ حائطًا ونحوه مما ليس في قلبه تعلقٌ به.

والمشائخ الصالحون رضي الله عنهم يذكرون شيئًا من تجريد التوحيد، وتحقيق إخلاص الدين كله؛ بحيث لا يكون العبدُ ملتفتًا إلىٰ غير اللَّه، ولا ناظرًا إلىٰ ما سواه؛ لا حبًّا له، ولا خوفًا منه، ولا رجاءً له؛ بل يكون القلب فارغًا من المخلوقات خاليًا منها، لا ينظر إليها إلا بنور اللَّه، فبالحق يسمع، وبالحق يبصر، وبالحق يَبطش، وبالحق

(١) راجع التعليق علىٰ مثل هذا (١٠٤/٣).

يمشي، فيُحب منها ما يحبُّه اللَّه، ويُبغض منها ما يُبغضه اللَّه، ويوالي منها ما والاه اللَّه، ويُعادي منها ما عاداه اللَّه، ويخاف اللَّهَ فيها، ولا يخافها في اللَّه، ويرجو اللَّه فيها، ولا يرجوها في اللَّه، فهذا هو القلب السليم، الحنيف، الموحِّد، المسلم، المؤمن، المحقق، العارف بمعرفة الأنبياء والمرسلين، وبحقيقتهم وتوحيدهم.

وأما النوع الثالث ـ وهو الفناء في الموجود ـ، فهو تحقيق آل فرعون، ومعرفتهم وتوحيدهم ـ كالقرامطة وأمثالهم ـ.

وأما النوع الذي عليه أتباع الأنبياء فهو الفناء المحمود، الذي يكون صاحبه به ممن أثنىٰ اللَّه عليهم من أوليائه المتقين، وحزبه المفلحين، وجُنده الغالبين.

وليس مراد المشائخ والصالحين بهذا القول: أن الذي أراه بعيني من المخلوقات هو رب الأرض والسماوات؛ فإن هذا لا يقوله إلَّا من هو في غاية الضلال والفساد ـ إما فساد العقل، وإما فساد الاعتقاد ـ؛ فهو مترددٌ بين الجنون والإلحاد.

وكلُّ المشائخ الذين يُقتدىٰ بهم في الدين متفقون علىٰ ما اتفق عليه سلفُ الأمة وأئمتها، من أن الخالق ـ سبحانه ـ مباينٌ للمخلوقات، وليس في مخلوقاته شيءٌ من ذاته، ولا في ذاته شيءٌ من مخلوقاته، وأنه يجب إفراد القديم عن الحادث، وتمييزُ الخالق عن المخلوق. وهذا في كلامهم أكثر من أن يمكن ذِكرُه هنا.

وهم قد تكلموا علىٰ ما يَعرض للقلوب من الأمراض والشبهات، فإن بعض الناس قد يشهد وجودَ المخلوقات، فيظنه خالقَ الأرض والسماوات؛ لعدم التمييز والفرقان في قلبه؛ بمنزلة من رأىٰ شعاع الشمس، فظن أن ذلك هو الشمس التي في السماء!

وهم قد يتكلمون في الفَرْق والجَمْع، ويدخل في ذلك من العبارات المُختلفة نظير ما دخل في الفناء؛ فإن العبد إذا شهد التفرقةَ والكثرةَ في المخلوقات يبقىٰ قلبُه متعلقًا بها، متشتتًا ناظرًا إليها متعلقًا بها، إما محبةً، وإما خوفًا، وإما رجاءً، فإذا انتقل إلىٰ الجمع اجتمع قلبُه علىٰ توحيد اللَّه وعبادته وحده لا شريك له، فالتفت قلبُه إلىٰ اللَّه بعد التفاته إلىٰ المخلوقين؛ فصارت محبتُه لربِّه، وخوفُه من ربه، ورجاؤه لربه، واستعانتُه بربه، وهو في هذا الحال قد لا يسعُ قلبَه النظرُ إلىٰ المخلوق؛ ليفرِّق بين الخالق والمخلوق؛ فقد يكون مجتمعًا علىٰ الحق معرضًا عن الخلق نظرًا وقصدًا، وهو نظيرُ النوع الثاني من الفناء.

ولكن بعد ذلك الفرق الثاني، وهو أن يشهد أن المخلوقات قائمةٌ باللَّه، مدبَّرةٌ بأمره، ويشهد كثرتها معدومةً بوحدانية اللَّه ، وأنه ـ سبحانه ـ ربُّ المصنوعات وإلٰهُها وخالقها ومالكها، فيكون مع اجتماع قلبه علىٰ اللَّه ـ إخلاصًا له ومحبةً وخوفًا ورجاءً واستعانةً وتوكلًا علىٰ اللَّه وموالاةً فيه، ومعاداةً فيه وأمثال ذلك ـ ناظرًا إلىٰ الفرق بين الخالق والمخلوق، مميِّزًا بين هذا وهذا، ويشهدُ تفرُّقَ المخلوقات وكثرتها مع شهادته أن اللَّه ربُّ كل شيءٍ ومليكُه وخالقه، وأنه هو اللَّه لا إلٰه إلا هو، وهذا هو الشهود الصحيح المستقيم؛ وذلك واجبٌ في علم القلب، وشهادتِه وذِكْره ومعرفته، وفي حال القلب وعبادته، وقصده وإرادته، ومحبته وموالاته وطاعته.

وذلك تحقيق شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه؛ فإنه تنفي عن قلبه ألوهيةَ ما سوىٰ الحق، وتُثبت في قلبه ألوهية الحق، فيكون نافيًا لألوهية كلِّ شيء من المخلوقات، مُثبتًا لألوهية رب العالمين رب الأرض

والسماوات، وذلك يتضمن اجتماعَ القلب علىٰ اللَّه، وعلىٰ مفارقةِ ما سواه، فيكون مفرِّقًا ـ في علمه وقصده، في شهادته وإرادتِه، في معرفته ومحبته ـ بين الخالق والمخلوق؛ بحيث يكون عالمًا باللَّه تعالىٰ ذاكرًا له عارفًا به، وهو مع ذلك عالمٌ بمُباينته لخلقه، وانفرادِه عنهم، وتوحُّدِه دونَهم، ويكونُ مُحِبًّا للَّه، معظِّمًا له، عابدًا له، راجيًا له، خائفًا منه، محبًّا فيه، مواليًا فيه، معاديًا فيه، مستعينًا به، متوكلًا عليه، ممتنعًا عن عبادة غيره، والتوكلِ عليه، والاستعانةِ به، والخوف منه، والرجاء له، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، والطاعة لأمره، وأمثال ذلك مما هو من خصائص إلٰهية اللَّه ﷻ.

وإقرارُه بألوهية اللَّه تعالىٰ دون ما سواه يتضمنُ إقرارَه بربوبيته؛ وهو أنه ربُّ كل شيء ومليكُه، وخالقُه ومدبره، فحينئذٍ يكون موحدًا للَّه.

[الذِّكرُ الشرعي، والذِّكر البدعي]:

ويبيِّن ذلك أن أفضل الذكر: لا إلٰه إلا اللَّه، كما رواه الترمذي وابن أبي الدنيا وغيرهما مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ أنه قال: «**أفضل الذكر: لا إلٰه إلا اللَّه، وأفضل الدعاء: الحمد للَّه**»[(١)].

(١) حسن: رواه التِّرمذي (٣٣٨٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٥٩٩)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حِبَّان (٨٤٦)، والحاكم (١/٤٩٨)، والبيهقي في «شُعَب الإيمان» (٤٠٦١)، وفي «الأسماء والصفات» (١٩٣)، والطبراني في «الدعاء» (١٤٨٣)، و«الدعوات الكبير» (١٢٧)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٠٣)، والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٧)، من حديث جابر ابن عبداللَّه ﭭ. وقال التِّرمذي: «**حسن غريب**»، **وصحَّحه** الحاكم، **وأقرَّه** الذهبي، وكذا **أقرَّه** الحافظ المنذري في «الترغيب» (٢٣٥٠)، **وحسَّنه** =

وفي «الموطأ» ـ وغيره ـ عن طلحة بن عبيداللَّه بن كَريز أن النبي ﷺ قال: «**أفضلُ ما قلت أنا والنبيُّون من قبلي: لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، له المُلك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيءٍ قدير**»(١).

ومَن زعم أن هذا ذِكرُ العامة، وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد، وذِكرَ خاصة الخاصة هو الاسم المضمَر = فهم ضالُّون غالطون.

واحتجاجُ بعضهم علىٰ ذلك، بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾ [الأنعام]، مِن أبين غلطِ هؤلاء؛ فإن الاسم «اللَّه» هو مذكورٌ في الأمر بجواب الاستفهام؛ وهو قوله: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ

= الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٤٩٧)، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط عند التِّرمذي (١٤/٦).

(١) حسن: رواه مالك (٢١٤/١)، وعبدالرزاق (٨١٢٥). وهو مرسلٌ صحيحُ الإسناد، لكنه يبقىٰ **ضعيفًا** لعلة الإرسال.

ووصله ابن عدي في «الكامل» (١٦٠٠/٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٧٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، **واستنكره** ابن عدي ـ كما في «تحقيق مسند الإمام أحمد» (٥٤٩/١١) ـ.

لكن المتن ثابتٌ؛ يشهد له رواية عبداللَّه بن عمرو رضي الله عنهما بلفظ: «**خير الدعاء دعاءُ يوم عرفة، وخيرُ ما قلتُ أنا والنبيُّون من قبلي: لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، له المُلكُ وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير**». حسن: رواه أحمد (٢١٠/٢)، والتِّرمذي (٣٥٨٥) ـ واللفظ له ـ، والبيهقي في «الشُّعَب» (٣٤٨٩)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١٠٣/٧)، والبيهقي في «فضائل الأوقات» (١٩٢)، والمحاملي في «الدعاء» (٦٠)، وقال التِّرمذي: «**حسن غريب**»، وحسَّنه الشيخ الألباني عنده، والشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (١٨١/٦).

بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩١]، أي: اللَّه الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسىٰ، فالاسم «اللَّهُ» مبتدأ، وخبره قد دل عليه الاستفهام، كما في نظائر ذلك؛ تقول: «من جاره؟ فيقول: زيد».

وأما الاسم المفرد - مظهَرًا أو مضمَرًا - فليس بكلامٍ تام، ولا جملةٍ مفيدة، ولا يتعلق به إيمانٌ ولا كفر، ولا أمرٌ ولا نهي، ولم يذكر ذلك أحدٌ من سلف الأمة، ولا شرع ذلك رسولُ اللَّه ﷺ، ولا يعطي القلبَ بنفسه معرفةً مفيدةً، ولا حالًا نافعًا، وإنما يعطيه تصورًا مطلقًا لا يُحكم عليه بنفيٍ ولا إثبات، فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه وإلَّا لم يكن فيه فائدة. والشريعة إنما تَشرع من الأذكار ما يُفيدُ بنفسه، لا ما تكون الفائدةُ حاصلةً بغيره.

وقد وقع بعضُ مَن واظب علىٰ هذا الذكر في فنونٍ من الإلحاد، وأنواعٍ من الاتحاد، كما قد بُسط في غير هذا الموضع.

وما يُذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال: «أخاف أن أموت بين النفي والإثبات» حالٌ لا يقتدىٰ فيها بصاحبها؛ فإن في ذلك من الغلط ما لا خفاء به؛ إذ لو مات العبد في هذه الحال لم يمُت إلا علىٰ ما قصده ونواه؛ إذ الأعمال بالنيات.

وقد ثبت أن النبي ﷺ أمر بتلقين الميت «لا إلٰه إلا اللَّه»، وقال: «**من كان آخرَ كلامه لا إلٰه إلا اللَّه دخل الجنة**»[(١)]، ولو كان ما ذكره محذورًا لم يلقَّن الميت كلمةً يَخاف أن يموت في أثنائها موتًا غير محمود؛ بل كان يلقَّن ما اختاره من ذكر الاسم المفرد.

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.



والذكر بالاسم المضمر المفرد أبعدُ عن السُّنة، وأدخل في البدعة، وأقرب إلىٰ إضلال الشيطان؛ فإن من قال: «يا هو يا هو، أو: هو هو» ـ ونحو ذلك ـ لم يكن الضمير عائدًا إلَّا إلىٰ ما يصوِّرُه قلبه، والقلبُ قد يهتدي وقد يضل. وقد صنف صاحب «الفصوص» كتابًا سماه كتاب «الهُوَ»، وزعم بعضهم أن قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، معناه: وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو «الهو»! وإن كان مما اتفق المسلمون ـ بل العقلاء ـ علىٰ أنه من أبين الباطل، فقد يظن ذلك من يَظنه من هؤلاء، حتىٰ قلتُ مرةً لبعض من قال شيئًا من ذلك: لو كان هذا كما قلتَه لكُتبت الآية: «وما يعلم تأويل هو» ـ منفصلة ـ.

ثم كثيرًا ما يذكر بعضُ الشيوخ أنه يحتجُّ علىٰ قول القائل: «اللَّه»[(١)] بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾، ويظن أن اللَّه أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد! وهذا غلطٌ باتفاق أهل العلم؛ فإن قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ معناه: اللَّه الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسىٰ، وهو جواب لقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩١]، أي: اللَّه الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسىٰ؛ ردَّ بذلك قول من قال: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾، فقال: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾، ثم قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أنزله، ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ هؤلاء المكذبين ﴿فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١﴾ [الأنعام].

ومما يبين ما تقدم: ما ذكره سيبويه وغيره من أئمة النحو أن

---

(١) يقصد الذكر بالاسم المفرد.

العرب يحكون بالقول ما كان كلامًا، لا يحكون به ما كان قولًا، فالقولُ لا يُحكىٰ به إلا كلامٌ تامٌّ، أو جملةٌ اسميةٌ أو فعلية؛ ولهذا يكسرون «إن» إذا جاءت بعد القول، فالقولُ لا يُحكىٰ به اسم، واللَّهُ تعالىٰ لا يأمر أحدًا بذكر اسم مفرد، ولا شرع للمسلمين اسمًا مفردًا مجردًا، والاسم المجرد لا يُفيد شيئًا من الإيمان باتفاق أهل الإسلام، ولا يؤمر به في شيء من العبادات، ولا في شيء من المخاطبات.

ونظيرُ من اقتصر علىٰ الاسم المفرد:

▫ ما يُذكر أن بعض الأعراب مرَّ بمؤذن يقول: «أشهد أن محمدًا رسولَ اللَّه» ـ بالنصب ـ، فقال: «ماذا يقول هذا؟ هذا الاسم، فأين الخبرُ عنه الذي يَتمُّ به الكلام؟».

وما في القرآن من قوله: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨﴾ [المزمل]، وقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [الأعلىٰ]، وقوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ [الأعلىٰ]، وقوله: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [الواقعة]، ونحو ذلك = لا يقتضي ذكره مفردًا؛ بل في السنن أنه لما نزل قوله: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾، قال: «**اجعلوها في ركوعكم**». ولما نزل قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ قال: «**اجعلوها في سجودكم**»[1].

---

(١) حسن: رواه أحمد (٤/١٥٥)، والطيالسي (١٠٠٠)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، والدارمي (١٣٠٥)، ويعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٢/٥٠٢)، وأبو يعلىٰ (١٧٣٨)، وابن خزيمة (٦٠٠)، وابن حِبَّان (١٨٩٨)، والحاكم (١/٢٢٥)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٢/١٢٢)، وفي «المعرفة» (٣٣٨٧)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/٢٣٥)، =



فشرع لهم أن يقولوا في الركوع: «سبحان ربي العظيم»، وفي السجود «سبحان ربي الأعلىٰ».

وفي «الصحيح» أنه كان يقول في ركوعه: «**سبحان ربي العظيم**»، وفي سجوده: «**سبحان ربي الأعلىٰ**»[(١)]، وهذا هو معنىٰ قوله: «**اجعلوها في ركوعكم**» و«**سجودكم**» باتفاق المسلمين.

فتسبيحُ اسمِ ربِّه الأعلىٰ، وذِكرُ اسم ربه ـ ونحو ذلك ـ هو بالكلام التام المفيد.

كما في «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «**أفضل الكلام بعد القرآن أربع ـ وهنَّ من القرآن ـ: سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إلٰه إلا اللَّه، واللَّه أكبر**»[(٢)].

وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «**كلمتانِ خفيفتانِ علىٰ اللسان، ثقيلتانِ في الميزان، حبيبتانِ إلىٰ الرَّحمٰن: سبحان اللَّه وبحمده، سبحان اللَّه العظيم**»[(٣)].

= والطبراني في «الكبير» (١٧/٨٨٩)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (١٦/١١٩)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وضعَّفه** الشيخ الألباني عند أبي داود، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (٢/١٥١).

(١) رواه مسلم (٧٧٢)، من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢١٣٧) ـ بنحوه ـ، وأحمد (٥/١٠) ـ واللفظ له ـ. من حديث سمرة بن جُندب رضي الله عنه. وعلقه البخاري (قبل الحديث: ٦٦٨١).
وروایة مسلم: «**أحبُّ الكلام إلىٰ اللَّه أربعٌ: سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إلٰه إلا اللَّه، واللَّه أكبر. لا يضرُّك بأيِّهنَّ بدأتَ**».

(٣) رواه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ أنه قال: «من قال في يومه مئةَ مرة: **لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، له المُلك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، كَتب اللَّه له حِرْزًا من الشيطان يومَه ذلك حتىٰ يُمسيَ، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاء به، إلا رجلٌ قال مثلما قال أو زاد عليه. ومن قال في يومه مِئةَ مرة: سبحان اللَّه وبحمده، سبحان اللَّه العظيم، حُطَّت عنه خطاياه ولو كانت مثل زَبَدِ البحر**»[(١)].

وفي «الموطأ» وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**أفضلُ ما قلته أنا والنبيُّون من قبلي: لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، له المُلك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيءٍ قدير**»[(٢)].

وفي سنن ابن ماجه وغيره عنه ﷺ أنه قال: «**أفضل الذِّكر: لا إلٰه إلا اللَّه، وأفضل الدعاء: الحمد للَّه**»[(٣)].

ومثل هذه الأحاديث كثيرة في أنواع ما يقال من الذكر والدعاء.

وكذلك ما في القرآن من قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤]، إنما هو قول: «بسم اللَّه»، وهذا جملةٌ تامة ـ إما

---

(١) رواه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
تنبيه: ليست جملة: «**سبحان اللَّه العظيم**» ثابتةً في هذا الحديث، وهي ثابتةٌ هكذا في «الفتاوىٰ» (١٠/٢٣٠)، و«الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/٢١٣)، ونسخ كتاب «العبودية»، وقد أعاد الإمام ابن تيمية رحمه الله الحديث في مواضع أخرىٰ من كتاباته، وليست فيه هذه الزيادة، فانظر ـ مثلًا ـ: «مجموع الفتاوىٰ» (١٤/٤١٨).

(٢) حسن: وقد تقدم.

(٣) حسن: وقد تقدم.

اسميةٌ علىٰ أظهر قولي النحاة، أو فعلية ـ، والتقدير: «ذبحي باسم اللَّه»، أو «أذبح باسم اللَّه»، وكذلك قول القارئ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ فتقديره: «قراءتي بسم اللَّه»، أو «أقرأ بسم اللَّه».

ومِن الناس من يُضمر في مثل هذا: «ابتدائي بسم اللَّه»، أو «ابتدأت بسم اللَّه»(١). والأول أحسن؛ لأن الفعل كله مفعولُ «بسم اللَّه»، ليس مجرد ابتدائه، كما أظهر المضمر في قوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ①﴾ [العلق]، وفي قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١].

وفي قول النبي ﷺ: «مَن كان ذبح قبل الصلاة فليذبحْ مكانها أخرىٰ. ومن لم يكن ذبح فليذبَحْ بسم اللَّه»(٢).

ومن هذا الباب قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح لربيبه(٣) عمر بن أبي سلمة: «سمِّ اللَّه، وكلْ بيمينك، وكل مما يَليك»(٤).

فالمراد أن يقول: «بسم اللَّه»، ليس المراد أن يذكر الاسم مجردًا.

وكذلك قولُه في الحديث الصحيح لعديٍّ بن حاتم: «إذا أرسلتَ كلبك المعلَّم، وذكرتَ اسم اللَّه= فكُلْ»(٥).

---

(١) يقصد الإمام أنهم يضمرون «الابتداء» مطلقًا، دون بيان ما يُبتدأُ به، من قراءةٍ أو ذبحٍ أو غير ذلك. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) رواه البخاري (٥٥٠٠)، ومسلم (١٩٦٠)، من حديث جندب البجلي رضي الله عنه.

(٣) **ربيبه**: الذي تربَّىٰ في بيته ﷺ.

(٤) رواه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢)، من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما.

(٥) رواه البخاري (٥٤٧٦)، ومسلم (١٩٢٩)، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

وكذلك قوله ﷺ: «**إذا دخل الرجلُ منزله؛ فذكر اسم اللَّه عند دخوله، وعند خروجه وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيتَ لكم ولا عَشاء**»[(١)].

وأمثال ذلك كثير.

وكذلك ما شُرع للمسلمين في صلاتهم وأذانهم وحجِّهم وأعيادهم من ذكر اللَّه تعالىٰ، إنما هو بالجملة التامة؛ كقول المؤذن: «اللَّه أكبر، اللَّه أكبر، أشهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه، أشهد أن محمدًا رسول اللَّه»، وقول المصلي: «اللَّه أكبر، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي الأعلىٰ، سمع اللَّه لمن حمده، ربنا ولك الحمد، التحيات للَّه»، وقول الملبِّي: «لبيك اللهم لبيك»، وأمثال ذلك، فجميع ما شرعه اللَّه من الذكر إنما هو كلامٌ تامٌّ، لا اسمٌ مفرد ـ لا مظهَرٌ ولا مضمر ـ، وهذا هو الذي يسمَّىٰ في اللغة «كلمة»؛ كقوله: «**كلمتانِ خفيفتانِ علىٰ اللسان، ثقيلتانِ في الميزان، حبيبتانِ إلىٰ الرَّحمٰن: سبحان اللَّه وبحمده، سبحان اللَّه العظيم**»[(٢)].

وقوله: «**أفضلُ كلمةٍ قالها الشاعر كلمة لَبيد: أَلَا كلُّ شيءٍ ما خلا اللَّه باطل**»[(٣)].

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ الآية [الكهف: ٥]، وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وأمثال ذلك مما استُعمل فيه لفظ «الكلمة» في الكتاب والسنة ـ بل وسائر كلام

---

(١) رواه مسلم (٢١٠٨)، من حديث جابر بن عبداللَّه رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) رواه البخاري (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



العرب ـ؛ فإنما يُراد به الجملة التامة، كما كانوا يستعملون «الحَرْف» في الاسم، فيقولون: «هذا حرف غريب»، أي: لفظ الاسم غريب.

وقسَّم سيبويه الكلام إلىٰ: «اسم، وفعل، وحرفٍ جاء لمعنًىٰ، ليس باسم وفعل»، وكلٌّ من هذه الأقسام يسمىٰ حرفًا، لكنَّ خاصةَ الثالث أنه حرفٌ جاء لمعنًىٰ ليس باسم ولا فعل، وسمىٰ حروف الهجاء باسم الحرف وهي أسماء، ولفظ «الحرف» يتناول هذه الأسماءَ وغيرها، كما قال النبي ﷺ: «**مَن قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشرُ حسنات؛ أمَا إني لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميم حرف**»(١).

وقد سأل الخليلُ أصحابه عن النطق بحرف الزاي من «زيد»؛ فقالوا: زاي، فقال: جئتم بالاسم، وإنما الحرف «زَ».

ثم إن النحاة اصطلحوا علىٰ أن هذا المسمىٰ في اللغة بـ«الحرف» يسمىٰ «كلمةً»، وأن لفظ «الحرف» يَخص ما جاء لمعنًىٰ ليس باسم ولا فعل، كحروف الجر ونحوها، وأما ألفاظُ حروف الهجاء فيعبَّر تارةً بالحرف عن نفس الحرف من اللفظ، وتارةً باسم ذلك الحرف، ولما غلب هذا الاصطلاح صار يَتوهم من اعتاده أنه هكذا في لغة العرب، ومنهم من يجعل لفظ «الكلمة» في اللغة لفظًا مشتركًا بين

(١) حسن: رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢١٦/١)، والتِّرمذي (٢٩١٠)، والمروزي في «مختصر قيام الليل» (٢٠٤)، والحاكم (٥٥٥/١)، والخطيب في «التاريخ» (١١١/٢)، من حديث ابن مسعود ﷺ. وقال التِّرمذي: «**حسن صحيح غريب**»، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٣٢٧)، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند التِّرمذي (١٧٦/٥)، والشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد» (١١١/٢).

الاسم ـ مثلًا ـ وبين الجملة، ولا يُعرف في صريح اللغة من لفظ «الكلمة» إلا الجملة التامة.

والمقصود هنا: أن المشروع في ذكر اللَّه ـ سبحانه ـ هو ذكره بجملةٍ تامة ـ وهو المسمىٰ بـ«الكلام»، والواحد منه بـ«الكلمة» ـ، وهو الذي ينفع القلوب، ويحصل به الثواب والأجر، والقرب إلىٰ اللَّه، ومعرفته ومحبته وخشيته، وغير ذلك من المطالب العالية والمقاصد السامية، وأما الاقتصار علىٰ الاسم المفرد ـ مظهرًا أو مضمرًا ـ فلا أصل له؛ فضلًا عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين؛ بل هو وسيلةٌ إلىٰ أنواع من البدع والضلالات، وذريعةٌ إلىٰ تصوراتٍ وأحوالٍ فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد، كما قد بُسط الكلام عليه في غير هذا الموضع.



فصل



وجماعُ الدين أصلان: ألَّا نعبد إلا اللَّه، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]، وذلك تحقيق الشهادتين: شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه، وشهادة أن محمدًا رسول اللَّه؛ ففي الأولىٰ: ألَّا نعبد إلا إياه، وفي الثانية: أن محمدًا هو رسوله المبلِّغُ عنه، فعلينا أن نصدِّق خبره، ونطيع أمره، وقد بيَّن لنا ما نعبدُ اللَّه به، ونهانا عن محدَثات الأمور، وأخبر أنها ضلالة، قال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة].

وكما أننا مأمورون ألَّا نخاف إلا اللَّه، ولا نتوكل إلا علىٰ اللَّه، ولا نرغب إلا إلىٰ اللَّه، ولا نستعين إلا باللَّه، وألَّا تكون عبادتنا إلا للَّه = فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول، ونطيعَه، ونتأسَّىٰ به، فالحلال ما حلَّله، والحرام ما حرَّمه، والدين ما شرعه.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة]، فجعل الإيتاء للَّه والرسول، كما قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، وجعل التوكل علىٰ اللَّه وحده بقوله: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾، ولم يقل: «ورسوله»، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا

﴿ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران]، ومثله قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ [الأنفال]، أي: حسبُك وحسبُ المؤمنين؛ كما قال: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

ثم قال: ﴿سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾، فجعل الإيتاء للَّه والرسول، وقدَّم ذكر الفضل للَّه؛ لأن الفضل بيد اللَّه يؤتيه من يشاء، واللَّه ذو الفضل العظيم، وله الفضل علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين، وقال: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ٥٩﴾؛ فجعل الرغبة إلىٰ اللَّه وحده؛ كما في قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ٨﴾ [الشرح].

وقال النبي ﷺ لابن عباس: «**إذا سألتَ فاسأل اللَّه، وإذا استعنتَ فاستعِنْ باللَّه**»[(١)]. والقرآن يدل علىٰ مثل هذا في غير موضع.

فجعل العبادة والخشية والتقوىٰ للَّه، وجعل الطاعة والمحبة للَّه ورسوله، كما في قول نوح عليه السلام: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣﴾ [نوح]، وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢﴾ [النور]، وأمثال ذلك.

فالرسل أَمروا بعبادته وحده، والرغبةِ إليه، والتوكلِ عليه، والطاعةِ لهم، فأضل الشيطان النصارىٰ وأشباههم؛ فأشركوا باللَّه، وعصوا الرسول، و﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [التوبة: ٣١]، فجعلوا يرغبون إليهم، ويتوكلون عليهم، ويسألونهم، مع معصيتهم لأمرهم، ومخالفتهم لسُنَّتهم، وهَدَىٰ اللَّه المؤمنين المخلصين للَّه أهل الصراط المستقيم، الذين عرفوا الحق واتبعوه، فلم يكونوا من المغضوب عليهم ولا الضالين،

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

فأخلصوا دينهم للَّه، وأسلموا وجوههم للَّه، وأنابوا إلىٰ ربهم، وأحبُّوه ورجَوْه وخافوه، وسألوه، ورغبوا إليه، وفوَّضوا أمورهم إليه، وتوكلوا عليه، وأطاعوا رسله، وعزَّروهم[1]، ووقَّروهم، وأحبُّوهم، ووالَوْهم، واتبعوهم، واقتفَوا آثارهم، واهتدَوا بمنارهم[2].

وذلك هو دين الإسلام الذي بَعث اللَّه به الأولين والآخرين من الرسل، وهو الدين الذي لا يَقبل اللَّهُ من أحدٍ دينًا إلا إياه، وهو حقيقة العبادة لرب العالمين.

فنسأل اللَّه العظيم أن يثبِّتنا عليه، ويكمِّله لنا، ويميتنا عليه وسائرَ إخواننا المسلمين.

والحمد للَّه وحده، وصلىٰ اللَّه علىٰ سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم.



(١) **عزَّروهم**: نصروهم.
(٢) **المنار**: العلامات المضيئة.

[٣٥]

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

لشيخ الإسلام

تقي الدين ابن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه نستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يَهدِ اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألَّا إلٰه إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدىٰ ودين الحق ليُظهره علىٰ الدين كلِّه وكفىٰ باللَّه شهيدًا. أرسله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلىٰ اللَّه بإذنه وسراجًا منيرًا. فهدىٰ به من الضلالة، وبصَّر به من العمىٰ، وأرشد به من الغي، وفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، وفرَّق به بين الحق والباطل، والهدىٰ والضلال، والرشاد والغي، والمؤمنين والكفار، والسعداء أهل الجنة والأشقياء أهل النار، وبين أولياء اللَّه وأعداء اللَّه، فمن شهد له محمدٌ ﷺ بأنه من أولياء اللَّه فهو من أولياء الرَّحمٰن، ومن شهد له بأنه من أعداء اللَّه فهو من أعداء اللَّه وأولياء الشيطان.

وقد بيَّن ﷻ في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن للَّه أولياءَ من الناس، وللشيطان أولياء، ففرق بين أولياء الرَّحمٰن وأولياء الشيطان.

فقال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ [الكهف].

وذكر أولياء الشيطان:

فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ الآيات، إلىٰ قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الممتحنة].

فصل



وإذا عُرف أن الناس فيهم أولياءُ الرَّحمٰن وأولياء الشيطان، فيجب أن يفرَّق بين هؤلاء وهؤلاء كما فرَّق اللَّه ورسوله بينهما: فأولياء اللَّه هم المؤمنون المتقون؛ كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

وفي الحديث الصحيح ـ الذي رواه البخاري وغيره ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يقول اللَّه: من عادىٰ لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة ـ أو: فقد آذنتُه الحرب ـ، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضتُ عليه، ولا يزال عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبَّه، فإذا أحببته كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصِرُ به، ويده التي يبطش بها، ورِجلَه التي يمشي بها** ـ وفي رواية: **فبي يسمع، وبي يُبصر، وبي يَبطِش، وبي يمشي** ـ، **ولئن سألني لأعطينَّه، ولئنِ استعاذني لأُعيذنَّه، وما ترددتُ عن شيءٍ أنا فاعله ترددِي عن قبض نفس عبدي المؤمن؛ يكره الموت، وأكره مَساءته، ولابدَّ له منه**»[١].

وهذا أصح حديث يروىٰ في الأولياء.

فبيَّن النبيُّ ﷺ أنه من عادىٰ وليًّا للَّه فقد بارز اللَّهَ بالمحاربة.

وفي حديثٍ آخر: «**وإني لأثأر لأوليائي كما يثأرُ الليثُ الحَرِب**[٢]»[٣].

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **الحَرِب**: الشرس الثائر.

(٣) **ضعيف**: رواه البغوي في «شرح السنة» (١٢٤٩)، والطبراني في «الأوسط» =

أي: آخُذُ ثأرهم ممن عاداهم كما يأخذ الليثُ الحَرِبُ ثأره، وهذا لأن أولياء اللَّه هم الذين آمنوا به ووالَوْه، فأحبوا ما يُحِب، وأبغضوا ما يبغض، ورضُوا بما يرضىٰ، وسَخِطوا بما يَسخط، وأمروا بما يأمر، ونَهَوا عما نهىٰ، وأعطَوا لمن يحب أن يُعطِي، ومنعوا من يحب أن يمنع.

كما في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**أوثقُ عرىٰ الإيمان: الحبُّ في اللَّه، والبغضُ في اللَّه**»[(١)].

وفي حديثٍ آخر رواه أبو داود قال: «**ومَن أحب للَّه، وأبغض للَّه، وأعطىٰ للَّه، ومنع للَّه، فقد استكمل الإيمان**»[(٢)].

والولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبُعد.

وقد قيل: إن الولي سُمي وليًّا من موالاته للطاعات ـ أي متابعته لها ـ. والأول أصح.

والولي: القريب، يقال: هذا يلي هذا، أي يقرب منه. ومنه قوله ﷺ: «**ألحِقوا الفرائضَ بأهلها، فما أبقت الفرائضُ فلأَوْلَىٰ رَجُلٍ ذَكَرٍ**»[(٣)]، أي لأقرب رجل إلىٰ الميت. وأكده بلفظ «الذَّكَر» ليبيِّن

= (٦٠٩)، من حديث أنس رضي الله عنه. وأشار إليه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٣٤٢/١١)، وعزاه للطبراني والبزار وأبي يعلىٰ، **وضعَّفه**. وكذا **ضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «شرح السنة» (٢٢/٥). وانظر: «فتح الباري» (٢٣٩/٢٠ ـ ط: الرسالة).

(١) **حسن**: وقد تقدم.

(٢) **حسن**: وقد تقدم.

(٣) رواه البخاري (٦٧٣٢)، ومسلم (١٦١٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

أنه حكم يختصُّ بالذكور، ولا يشترك فيها الذكور والإناث؛ كما قال ﷺ في الزكاة: «**فابن لَبُونٍ ذَكَر**»[(١)].

فإذا كان وليُّ اللَّه هو الموافق المتابع له فيما يحبُّه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه، ويأمر به وينهىٰ عنه= كان المعادي لوليه معاديًا له؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، فمن عادىٰ أولياء اللَّه فقد عاداه، ومن عاداه فقد حاربه؛ ولهذا قال: «**ومن عادىٰ لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة**»[(٢)].

وأفضل أولياء اللَّه هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد ـ صلوات اللَّه عليهم أجمعين ـ.

قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/١٢)، وأبو داود (١٥٦٧)، والنسائي (٢٤٤٧)، وفي «الكبرىٰ» (٢٢٣٩)، والبزار (٤١)، والمروزي (٧٠)، وأبو يعلىٰ (١٢٧)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/٣٧٤، والدارقطني (٢/ ١١٤)، والحاكم (١/٣٩٠)، والبيهقي (٤/٨٦)، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه. **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرنؤوط ثَمَّ (٣/١٦) وانظر ـ لزامًا ـ: «تحقيق المسند» (١/٢٣٢).
وهو في البخاري مفرَّقًا بالأرقام (١٤٤٨) و(١٤٥٠) و(١٤٥١) و(١٤٥٣ ـ ١٤٥٥) و(٢٤٨٧) و(٦٩٥٥). وليس عنده التنصيص علىٰ «ابن لبون ذكر».
واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

وأفضل أولي العزم محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المتقين، وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وخطيبُهم إذا وَفَدوا، صاحب المقام المحمود الذي يَغبِطُه به الأوَّلون والآخرون، وصاحب لواء الحمد[(١)]، وصاحب الحوض المورود، وشفيعُ الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة والفضيلة، الذي بعثه بأفضل كتبه، وشرع له أفضل شرائع دينه، وجعل أمَّته خير أمةٍ أُخرجت للناس، وجَمَع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرَّقه فيمن قبلهم، وهم آخرُ الأمم خلْقًا، وأول الأمم بعثًا، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: **«نحن الآخِرون السابقون يوم القيامة، بَيْدَ أنهم أُوتوا الكتاب من قبلنا، وأُوتيناه من بعدهم؛ فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه ـ يعني يوم الجمعة ـ، فهدانا اللَّه له؛ فالناس لنا تَبَعٌ فيه؛ غدًا لليهود، وبعد غدٍ للنصارىٰ»**[(٢)].

وقال ﷺ: **«أنا أول من تنشقُّ عنه الأرض»**[(٣)].

وقال ﷺ: **«آتي بابَ الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: مَن أنت؟ فأقول: أنا محمد، فيقول: بك أُمِرتُ ألَّا أفتحَ لأحدٍ قبلك»**[(٥)].

---

(١) **اللواء**: الراية. أي: ستكون معه رايةٌ عالية تسمىٰ بهذا الاسم. وهذا هو أصحُّ الأقوال.

■ قال التوربشتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا مقام من مقامات عباد اللَّه الصالحين أرفع وأعلىٰ من مقام الحمد، ودونه تنتهي سائر المقامات، ولمَّا كان نبينا ﷺ أحمد الخلائق في الدنيا والآخرة أعطي لواء الحمد؛ ليأوي إلىٰ لوائه الأولون والآخرون» اهـ. «قوت المغتذي علىٰ جامع الترمذي» للسيوطي (٧٨١).

(٢) رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢١٧٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه مسلم (١٩٧)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وفضائله ﷺ وفضائل أمَّته كثيرة، ومِن حين بعثه اللَّهُ جعله اللَّه الفارقَ بين أوليائه وبين أعدائه، فلا يكون وليًّا للَّه إلا مَن آمن به وبما جاء به، واتبعه باطنًا وظاهرًا.

ومن ادعىٰ محبة اللَّه وولايته وهو لم يتبعه، فليس من أولياء اللَّه؛ بل من خالفه كان من أعداء اللَّه وأولياء الشيطان.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

▫ قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ادعىٰ قومٌ أنهم يحبُّون اللَّه، فأنزل اللَّه هذه الآية محنةً لهم[(١)]».

وقد بيَّن اللَّه فيها أن من اتبع الرسول فإن اللَّه يحبه، ومن ادعىٰ محبة اللَّه ولم يتبع الرسول ﷺ فليس من أولياء اللَّه، وإن كان كثيرٌ من الناس يظنون في أنفسهم أو في غيرهم أنهم من أولياء اللَّه، ولا يكونون من أولياء اللَّه؛ فاليهود والنصارىٰ يدَّعون أنهم أولياء اللَّه وأحباؤه.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ﴾ [المائدة: ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة].

وكان مشركو العرب يدَّعون أنهم أهل اللَّه لسُكْناهم مكة ومجاورتهم البيت، وكانوا يستكبرون به علىٰ غيرهم.

كما قال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ[(٢)] ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ[(٣)] ﴿٦٧﴾﴾ [المؤمنون].

(١) أي: ابتلاءً واختبارًا علىٰ صدق دعاويهم.
(٢) ﴿تَنكِصُونَ﴾: تهربون.
(٣) راجع (١/٢٣١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٠ ـ ٣٤].

فبيَّن ـ سبحانه ـ أن المشركين ليسوا أولياءه، ولا أولياء بيته، إنما أولياؤه المتقون.

وثبت في «الصحيحين» عن عمرو بن العاص ﵁ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول جهارًا من غير سرٍّ: «**إن آل فلان ليسوا لي بأولياء** ـ يعني طائفةً من أقاربه ـ؛ **إنما وليّي اللَّهُ وصالح المؤمنين**»[(١)].

وهذا موافق لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية [التحريم: ٤].

﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: هو من كان صالحًا من المؤمنين، وهم المؤمنون المتقون أولياء اللَّه. ودخل في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وسائر أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة، وكانوا ألفًا وأربعمئة، وكلُّهم في الجنة.

كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يدخل النارَ أحدٌ بايع تحت الشجرة**»[(٢)].

ومثل هذا الحديثُ الآخر: «**إن أوليائي المتقون مَن كانوا، وحيث كانوا**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥).
(٢) رواه مسلم (٢٤٩٦) ـ بنحوه ـ، والتِّرمذي (٣٨٦٠) ـ واللفظ له ـ، من حديث جابر بن عبداللَّه ﵄.
(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٥/٢٣٥)، وابن حبان (٦٤٧)، والطبراني في =

كما أن من الكفار من يدَّعي أنه وليُّ اللَّه، وليس وليًّا للَّه؛ بل عدوٌّ له، فكذلك من المنافقين ـ الذين يُظهرون الإسلام ـ يُقرُّون في الظاهر بشهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، وأنه مرسَلٌ إلىٰ جميع الإنس ـ بل إلىٰ الثقلين الإنس والجن ـ، ويعتقدون في الباطن ما يناقض ذلك؛ مثل ألَّا يُقرُّوا في الباطن بأنه رسول اللَّه، وإنما كان مَلِكًا مطاعًا ساس الناسَ برأيه من جنس غيره من الملوك، أو يقولون: إنه رسول اللَّه إلىٰ الأميِّين دون أهل الكتاب ـ كما يقوله كثيرٌ من اليهود والنصارىٰ ـ، أو أنه مرسلٌ إلىٰ عامة الخلق، وأن للَّه أولياءَ خاصةً لم يرسَل إليهم ولا يحتاجون إليه؛ بل لهم طريقٌ إلىٰ اللَّه من غير جهته، كما كان الخَضِر مع موسىٰ، أو أنهم يأخذون عن اللَّه كلَّ ما يحتاجون إليه وينتفعون به من غير واسطة، أو أنه مرسَل بالشرائع الظاهرة، وهم موافقون له فيها، وأما الحقائقُ الباطنة فلم يرسَل بها، أو لم يكن يعرفها، أو هم أعرف بها منه، أو يعرفونها مثلما يعرفها من غير طريقته!

وقد يقول بعضُ هؤلاء: إن «أهل الصُّفَّة» كانوا مستغنين عنه، ولم يرسَل إليهم.

ومنهم من يقول: إن اللَّه أوحىٰ إلىٰ أهل الصفة في الباطن ما أوحىٰ إليه ليلة المعراج، فصار أهلُ الصفة بمنزلته!

وهؤلاء من فَرْط جهلهم لا يعلمون أن الإسراء كان بمكة؛ كما

= «الكبير» (٢٠/٢٤١)، و«الشاميين» (٩٩١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢١٢)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٦/٣٧٩)، والشيخ الألباني في «المشكاة» (٥١٢٧).

قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]، وأن الصُّفَّة لم تكن إلا بالمدينة، وكانت صفةً في شماليِّ مسجده ﷺ ينزل بها الغرباء الذين ليس لهم أهلٌ وأصحاب ينزلون عندهم؛ فإنَّ المؤمنين كانوا يُهاجرون إلىٰ النبي ﷺ إلىٰ المدينة، فمن أمكنه أن ينزل في مكانٍ نزل به، ومن تعذَّر ذلك عليه نزل في المسجد إلىٰ أن يتيسَّر له مكانٌ ينتقل إليه.

ولم يكن أهل الصُّفة ناسًا بأعيانهم يلازمون الصفة؛ بل كانوا يَقِلُّون تارةً، ويكثرون أخرىٰ، ويقيم الرجل بها زمانًا ثم ينتقل منها. والذين ينزلون بها هم من جنس سائر المسلمين؛ ليس لهم مزيةٌ في علم ولا دين؛ بل فيهم من ارتد عن الإسلام وقتله النبي ﷺ؛ كالعُرنيِّين الذين اجتَوَوُا المدينة ـ أي استوخموها[(١)] ـ، فأمر لهم النبيُّ ﷺ بلِقاح ـ أي إبل لها لبن ـ، وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها؛ فلمَّا صحُّوا قتلوا الراعي، واستاقوا الذَّوْد[(٢)]، فأرسل النبيُّ ﷺ في طلبهم، فأُتي بهم، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم، وسُمرت[(٣)] أعينهم، وتركهم في الحرة يَستسقون فلا يُسقَون، وحديثهم في «الصحيحين» من حديث أنس[(٤)]، وفيه أنهم نزلوا الصُّفَّة.

فكان ينزلها مثل هؤلاء، ونزلها من خيار المسلمين سعدُ بن أبي

(١) **استوخموها**: لم يوافقهم هواها، فأصابتهم بعض الأوبئة.
(٢) **الذَّوْد**: الإبل.
(٣) **سُمرت**: فقئت بحديدة محماة. وفي بعض النسخ: «وسَمَل»، وهي روايةٌ صحيحةٌ ـ أيضًا ـ، وهي بمعنىٰ «سُمرت».
(٤) رواه البخاري (٢٣٣)، ومسلم (١٦٧١).



وقاص ـ وهو أفضل من نزل بالصُّفة[(١)] ـ، ثم انتقل عنها، ونزلها أبو هريرة وغيره.

وقد جمع أبو عبدالرَّحمٰن السلمي «تاريخ من نزل الصُّفة»[(٢)].

وأما «الأنصار» فلم يكونوا من أهل الصفة، وكذلك أكابر

---

(١) لأنه أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم.

(٢) «أبو عبدالرَّحمٰن السلمي»، هذه الكُنية اشتُهر بها رجلان؛ لابد من التفريق بينهما:

الأول: عبداللَّه بن حبيب بن ربيعة الكوفي، مقرئ الكوفة، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي ﷺ، قرأ القرآن، وجَوَّده، ومهر فيه، وعَرَض علىٰ عثمان وعلىٰ عَليٍّ، وابن مسعود. وكان ثَبْتًا في القراءة والحديث.

والآخر: محمد بن الحسين النَّيْسابوري ـ صاحب الكتاب الذي أشار إليه المصنف رحمه الله ـ، له مؤلفاتٌ كثيرةٌ يقولون: إنها تزيد عن مئة كتاب، لكنه ضعيفٌ عند أهل العلم. ومِن أَشهرِ كُتُبِهِ في التفسير الكتابُ المعروفُ بـ«حقائق التفسير»، وهو تفسير من النوع الذي يُعْرَفُ بـ«التفسير الإشاري الصوفي»، ويُقْصَدُ به: تأويلُ القرآن علىٰ خِلافِ ظاهرِهِ؛ لإشاراتٍ خَفِيَّةٍ ومعانٍ باطنة تَظهرُ للعارفين باللَّهِ من أرباب السلوك والتَّصوف، بواسطة الإلهام الإلٰهي أو الفتح الرباني، فهو لا يُفسِّر الألفاظ بالآثار، أو ما عُهِد في كلام العرب، وإنما بإشارات أو بخواطر وأباطيلَ في كثيرٍ من المواضع، يُلْقِي الكلام فيها علىٰ عَوَاهِنِه، مِن غير خِطَام ولا زِمَام، فالتفسير الإشاري لا يَسْتَوْعِبُ كُلَّ مَوْضِع في القرآن، وإنما هو في أشياءَ مُفرَّقةٍ مما عَنَّ له من هذه الخواطر الَّتي لا تَنضبِط بحال من الأحوال مع طُرُق الدِّلالة المعروفة، والأصول التي يُبْنَىٰ عليها الفَهْم والاستنباط.

انظر: «شرح مقدمة في أصول التفسير»، للشيخ خالد السبت ص(٤٩).

المهاجرين ـ كأبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ وطلحة والزبير وعبدالرَّحمٰن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح وغيرهم ـ، لم يكونوا من أهل الصفة.

وقد روي أنه كان بها غلامٌ للمغيرة بن شعبة، وأن النبي ﷺ قال: «**هذا واحدٌ من السَّبعة**»، وهذا الحديث كذبٌ باتفاق أهل العلم ـ وإن كان قد رواه أبو نعيم في «الحلية»[1] ـ، وكذا كل حديث يروىٰ عن النبي ﷺ في عدة «الأولياء» و«الأبدال» و«النقباء» و«النجباء» و«الأوتاد» و«الأقطاب» مثل أربعة، أو سبعة، أو اثني عشر، أو أربعين، أو سبعين، أو ثلاثِمئة، أو ثلاثمئة وثلاثة عشر، أو القطب الواحد= فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ، ولم ينطق السلفُ بشيءٍ من هذه الألفاظ إلا بلفظ «الأبدال»؛ وروي فيهم حديثٌ: «**أنهم أربعون رجلًا، وأنهم بالشام**»، وهو في «المسند» من حديث عليٍّ رضي الله عنه، وهو حديثٌ منقطعٌ ليس بثابت[2]، ومعلوم أن عليًّا ومن معه من الصحابة كانوا أفضلَ من معاوية ومن معه بالشام،

---

(١) **باطلٌ لا أصل له**: ولم أجده في «الحلية». ويكفينا حكم الإمام رحمه الله.

(٢) **باطل**: رواه أحمد (١/١١١)، وفي «فضائل الصحابة» (١٧٢٦)، وابن المبارك في «الجهاد» (١٩٢)، ومعمر في «جامعه» (١١/٢٤٩)، ونُعيم بن حماد في «الفتن» (٦٦٣)، والطبراني في «الأوسط» (٣٩٠٥)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٧٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/٤٤٩)، **وضعَّفه** شيخ الإسلام ـ كما رأينا أعلاه ـ، وحكم عليه الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢/٢٣١) **بالبطلان**.

وانظر: «المنار المنيف» للعلامة ابن القيم رحمه الله ص(١٣٢ ـ ط: عالم الفوائد).

فلا يكون أفضلُ الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي.

وقد أخرجا في «الصحيحين» عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَمرُقُ مارقةٌ من الدين علىٰ حين فُرقةٍ من المسلمين، يقتلهم أولىٰ الطائفتين بالحق**»(١).

وهؤلاء المارقون هم الخوارج الحَرورية؛ الذين مَرَقوا لمَّا حصلت الفُرقة بين المسلمين في خلافة عليٍّ، فقتلهم عليُّ بن أبي طالب وأصحابه، فدل هذا الحديثُ الصحيح علىٰ أن عليَّ بن أبي طالب أولىٰ بالحق من معاوية وأصحابه، وكيف يكون الأبدال في أدنىٰ العسكرين دون أعلاهما؟

وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبي ﷺ أنه أنشد منشدٌ:

قد لسعتْ حيةُ الهوىٰ كبدي ... فلا طبيبَ لها ولا راقي

إلا الحبيبَ الذي شُغفتُ به ... فعنده رقيتي وترياقي

وأن النبي ﷺ تواجد حتىٰ سقطت البُردة عن منكبه؛ فإنه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث(٢).

وأكذب منه ما يرويه بعضهم: «أنه مزَّق ثوبه، وأن جبريل أخذ قطعةً منه، فعلقها علىٰ العرش»(٣).

---

(١) رواه مسلم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وليس في البخاري بهذا السياق.

(٢) **باطل لا أصل له**: انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/١٦٤)، ووصفه بأنه **خرافة**. و«تذكرة الموضوعات» للفتَّني ص(١٩٧)، وحكم عليه **بالوضع**. و«السلسلة الضعيفة» (٥٥٨).

(٣) **باطل مختلق**: كما قال الإمام رحمه الله. ولم أجده.

فهذا وأمثاله مما يَعرف أهلُ العلم والمعرفة برسول اللَّه ﷺ أنه من أظهر الأحاديث كذبًا عليه ﷺ.

وكذلك ما يروونه عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «كان النبيُّ ﷺ وأبو بكر يتحدثان، وكنت بينهما كالزنجي». وهو كذبٌ موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث(١).

والمقصود هنا أن فيمن يقرُّ برسالته العامة [ﷺ] في الظاهر من يعتقد في الباطن ما يُناقض ذلك، فيكون منافقًا، وهو يدعي في نفسه وأمثاله أنهم أولياءُ اللَّه، مع كفرهم في الباطن بما جاء به الرسول ﷺ - إما عنادًا وإما جهلًا -، كما أن كثيرًا من النصارىٰ واليهود يعتقدون أنهم أولياء اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه، ولكن يقولون: «إنما أُرسل إلىٰ غير أهل الكتاب، وأنه لا يجب علينا اتباعه؛ لأنه أُرسل إلينا رُسلٌ قبله»! فهؤلاء كلهم كفار، مع أنهم يعتقدون في طائفتهم أنهم أولياء اللَّه الذين وصفهم اللَّه تعالىٰ بولايته بقوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

ولابد في الإيمان من أن يؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورُسله واليوم الآخر، ويؤمن بكل رسولٍ أرسله اللَّه، وكل كتاب أنزله اللَّه.

كما قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن

(١) **باطل مختلق**: وانظر: «أحاديث القصَّاص» (١٤)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٣٧٦/١٨)، و«منهاج السنة» (٤٢/٨).

رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ...﴾ [البقرة: ١٨٥] إلىٰ آخر السورة.

وقال في أول السورة: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة].

فلابد في الإيمان من أن تؤمن أن محمدًا ﷺ خاتمُ النبيين، لا نبي بعده، وأن اللَّه أرسله إلىٰ جميع الثقلين الجن والإنس، فكل من لم يؤمن بما جاء به فليس بمؤمن؛ فضلًا عن أن يكون من أولياء اللَّه المتقين؛ ومَن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافرٌ ليس بمؤمن.

كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء].

ومن الإيمان به [ﷺ]: الإيمان بأنه الواسطة بين اللَّه وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وحلاله وحرامه، فالحلالُ

ما أحلَّه اللَّه ورسوله، والحرام ما حرَّمه اللَّه ورسوله، والدين ما شرعه اللَّه ورسوله ﷺ، فمن اعتقد أن لأحدٍ من الأولياء طريقًا إلىٰ اللَّه من غير متابعة محمد ﷺ، فهو كافرٌ من أولياء الشيطان.

وأما خَلْقُ اللَّه تعالىٰ للخلق، ورزقُه إياهم، وإجابتُه لدعائهم، وهدايتُه لقلوبهم، ونصرُهم علىٰ أعدائهم... وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار= فهذا للَّه وحده يفعله بما يشاء من الأسباب، لا يدخل في مثل هذا وساطةُ الرسل.

ثم لو بلغ الرجلُ في الزهد والعبادة والعلم ما بلغ، ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمدٌ ﷺ، فليس بمؤمن، ولا وليٍّ للَّه تعالىٰ، كالأحبار والرهبان من علماء اليهود والنصارىٰ وعُبَّادهم، وكذلك المنتسبون إلىٰ العلم والعبادة من المشركين ـ مشركي العرب والتُّرك والهند وغيرهم ممن كان من حكماء الهند والترك ومَن له علمٌ أو زهد وعبادة في دينه ـ، وليس مؤمنًا بجميع ما جاء به محمدٌ ﷺ = فهو كافرٌ عدوٌّ للَّه، وإن ظن طائفةٌ أنه وليٌّ للَّه، كما كان حكماء الفرس من المجوس كفارًا مجوسًا.

وكذلك حكماء اليونان ـ مثل أرسطو وأمثاله ـ كانوا مشركين يعبدون الأصنام والكواكب، وكان أرسطو قبل المسيح عليه السلام بثلاثِمئة سنة، وكان وزيرًا للإسكندر بن فيلبس المقدوني، وهو الذي تؤرَّخ به تواريخ الروم واليونان، وتؤرِّخُ به اليهودُ والنصارىٰ، وليس هذا هو ذا القرنين الذي ذكره اللَّه في كتابه، كما يظنُّ بعض الناس أن أرسطو كان وزيرًا لذي القرنين لمَّا رأوا أن ذاك اسمه الإسكندر، وهذا قد يسمىٰ بالإسكندر، وظنوا أن هذا ذاك ـ كما يظنه ابن سينا وطائفة معه ـ، وليس الأمر كذلك؛ بل هذا الإسكندر المشرك ـ الذي

قد كان أرسطو وزيرَه - متأخرٌ عن ذاك، ولم يَبْنِ هذا السد، ولا وصل إلىٰ بلاد يأجوج ومأجوج، وهذا الإسكندر - الذي كان أرسطو من وزرائه - يؤرَّخ له تاريخ الروم المعرف.

وفي أصناف المشركين - من مشركي العرب ومشركي الهند والترك واليونان وغيرهم - من له اجتهادٌ في العلم والزهد والعبادة، ولكن ليس بمتبعٍ للرسل، ولا يؤمن بما جاؤوا به، ولا يصدِّقهم بما أخبروا به ولا يطيعهم فيما أمروا، فهؤلاء ليسوا بمؤمنين ولا أولياء للَّه، وهؤلاء تقترن بهم الشياطينُ وتنزل عليهم، فيكاشِفون الناسَ ببعض الأمور، ولهم تصرفاتٌ خارقةٌ من جنس السحر، وهم من جنس الكهان والسحرة الذين تنزل عليهم الشياطين.

قال تعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ[1] ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ[2] ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء].

وهؤلاء جميعًا - الذين ينتسبون إلىٰ المكاشفات وخوارق العادات - إذا لم يكونوا متبعين للرسل فلابد أن يكذبوا، وتَكذِبُهم شياطينُهم، ولابد أن يكون في أعمالهم ما هو إثمٌ وفجورٌ - مثل نوعٍ من الشرك أو الظلم أو الفواحش أو الغلو أو البدع في العبادة -؛ ولهذا تنزلت عليهم الشياطين، واقترنت بهم؛ فصاروا من أولياء الشيطان لا من أولياء الرَّحمٰن.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ

---

(١) ﴿أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: كذابٌ فاجر.

(٢) أي: يستمعون من الملائكة، فيُلقون إلىٰ الكَهَنة، ويخلطون بما يسمعون كذبًا كثيرًا.

﴿٣٦﴾ [الزخرف].

و﴿ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: هو الذكر الذي بعث به رسولَه مثل القرآن، فمن لم يؤمن بالقرآن، ويصدِّق خبره، ويعتقد وجوب أمره= فقد أعرض عنه؛ فيقيَّض له الشيطان فيقترن به.

قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه].

فدل ذلك علىٰ أن «ذِكرَه» هو آياتُه التي أنزلها؛ ولهذا لو ذَكر الرجلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دائمًا ليلًا ونهارًا مع غاية الزهد، وعَبَده مجتهدًا في عبادته ولم يكن متبعًا لذِكره الذي أنزله ـ وهو القرآن ـ، كان من أولياء الشيطان، ولو طار في الهواء أو مشىٰ علىٰ الماء؛ فإن الشيطان يحملُه في الهواء وعلىٰ الماء. وهذا مبسوط في غير هذا الموضع.

فصل



ومن الناس من يكون فيه إيمان، وفيه شعبةٌ من نفاق:

كما جاء في «الصحيحين» عن عبداللَّه بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «**أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومَن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتىٰ يَدَعَها: إذا حدَّث كذب، وإذا وَعَد أخلف، وإذا ائتُمن خان، وإذا عاهد غدر**»[(١)].

وفي «الصحيحين» - أيضًا - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإيمانُ بضع وستون - أو بضع وسبعون - شعبةً، أعلاها قول: لا إلٰه إلا اللَّه، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياءُ شعبة من الإيمان**»[(٢)].

فبيَّن النبي ﷺ أن من كان فيه خصلةٌ من هذه الخصال ففيه خصلةٌ من النفاق حتىٰ يدعها.

وقد ثبت في «الصحيحين» أنه قال لأبي ذر - وهو من خيار المؤمنين -: «**إنك امرؤٌ فيك جاهلية**». فقال: يا رسول اللَّه، أعلىٰ كِبَرِ سنِّي؟! قال: «**نعم**»[(٣)].

وثبت في «الصحيح» عنه أنه قال: «**أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية [لا يتركونهنَّ]: الفخر في الأحساب**[(٤)]، **والطعن في الأنساب، والنياحة**

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) هذه رواية صحيحة، والرواية الشائعة: «**الفخر بالأحساب**».

علىٰ الميت، والاستسقاءُ بالنجوم»[(١)].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كَذَب، وإذا وَعَد أخلف، وإذا ائتُمن خان»**[(٢)].

وفي «صحيح مسلم»: **«وإن صام وصلىٰ وزعم أنه مسلم»**[(٣)].

▫ وذكر البخاري عن ابن أبي مُلَيْكَةَ قال: «أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ؛ كلُّهم يَخاف النفاق علىٰ نفسه».

وقد قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران].

فقد جعل هؤلاء إلىٰ الكفر أقربَ منهم للإيمان، فعُلم أنهم مخلِّطون، وكفرهم أقوىٰ؛ وغيرهم يكون مخلِّطًا وإيمانه أقوىٰ.

وإذا كان أولياء اللَّه هم المؤمنين المتقين؛ فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون وَلايته للَّه تعالىٰ، فمن كان أكمل إيمانًا وتقوىٰ، كان أكمل وَلايةً للَّه. فالناس متفاضلون في ولاية اللَّه عَزَّ وَجَلَّ بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوىٰ، وكذلك يتفاضلون في عداوة اللَّه بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم. وما بين الحاصرتين من مصادر التخريج.
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.
(٣) **صحيح**: وقد تقدم.



قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد].

وقال تعالىٰ في المنافقين: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠].

فبيَّن سبحانه وتعالى أن الشخص الواحد قد يكون فيه قسطٌ من ولاية اللَّه بحسب إيمانه وتقواه، وقد يكون فيه قسطٌ من عداوة اللَّه بحسب كفره ونفاقه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

فصل

وأولياء اللَّه علىٰ طبقتين: سابقون مقربون، وأصحاب يمين مقتصدون، ذكرهم اللَّه في عدةِ مواضعَ من كتابه العزيز: في أول سورة الواقعة وفي آخرها، وفي سورة الإنسان، والمطففين، وفي سورة فاطر.

فإنه ﷻ ذكر في الواقعة القيامة الكبرىٰ في أولها، وذكر القيامة الصغرىٰ في آخرها:

فقال في أولها: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ(١) ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ(٢) ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا(٣) ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا(٤) ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٤﴾ [الواقعة].

فهذا تقسيم الناس إذا قامت القيامة الكبرىٰ التي يجمع اللَّه فيها الأولين والآخرين، كما وصف اللَّه ـ سبحانه ـ ذلك في كتابه في غير موضع.

---

(١) **الكاذبة**: الكذب. أي: هي واقعةٌ لا محالة.

(٢) ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾: تخفض أقوامًا إلىٰ النار، وترفع آخرين إلىٰ الجنة. وقيل: تخفض أقوامًا كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع أقوامًا كانوا في الدنيا مستضعفين.

(٣) ﴿بَسًّا﴾: فتّتت فتًّا وكسّرت تكسيرًا.

(٤) ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾: صارت غبارًا متفرقًا كالذي يُرىٰ في شعاع الشمس.

ثم قال تعالىٰ في آخر السورة: ﴿فَلَوْلَآ﴾، أي: فهلَّا ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ[1] ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ[2] ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ[3] ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة].

وقال تعالىٰ في سورة الإنسان: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا[4] ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا[5] ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ الآيات [الإنسان].

وكذلك ذكر في سورة المطففين؛ فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾، إلىٰ أن قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾

---

(١) ﴿مَدِينِينَ﴾: محاسَبين.
(٢) ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: منزلهم ومستقرهم في الحميم.
(٣) ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾: إدخال نارٍ عظيمة.
(٤) ﴿مُسْتَطِيرًا﴾: منتشرًا فاشيًا.
(٥) ﴿قَمْطَرِيرًا﴾: شديدًا كريهًا.

خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين].

▫ وعن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف قالوا: «يُمزج لأصحاب اليمين مزجًا، ويَشرب بها المقربون صرفًا».

وهو كما قالوا؛ فإنه تعالىٰ قال: ﴿يَشۡرَبُ بِهَا﴾، ولم يقل: «يشرب منها»؛ لأنه ضَمَّن قوله: ﴿يَشۡرَبُ﴾ معنىٰ: يُروىٰ بها؛ فإن الشارب قد يشرب ولا يُروىٰ، فإذا قيل: «يشربون منها» لم يدل علىٰ الرِّي، فإذا قيل: «يشربون بها» كان المعنىٰ: يُروَوْن بها، فالمقربون يُروون بها فلا يحتاجون معها إلىٰ ما دونها؛ فلهذا يشربون منها صرفًا، بخلاف أصحاب اليمين؛ فإنها مُزجت لهم مزجًا، وهو كما قال تعالىٰ في سورة الإنسان: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان].

فعباد اللَّه هم المقربون المذكورون في تلك السورة؛ وهذا لأن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر، كما قال النبيُّ ﷺ: «**مَن نَفَّس عن مؤمنٍ كربةً من كُرب الدنيا، نفَّس اللَّهُ عنه كربةً من كُرَب يوم القيامة، ومن يَسَّر علىٰ معسرٍ، يسَّر اللَّهُ عليه في الدنيا والآخرة، ومن سَتر مسلمًا ستره اللَّه في الدنيا والآخرة. واللَّهُ في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهَّل اللَّهُ له به طريقًا إلىٰ الجنة، وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت اللَّه[1] يتلون**

(١) وجاءت روايةٌ صحيحةٌ ـ أيضًا ـ بعدم تقييد هذا الفضل ببيوت اللَّه ـ وهي المساجد ـ، بل ينال هذا الثواب العظيم ـ أيضًا ـ من جلس في أي مكانٍ مع إخوانه مجتمعين علىٰ تلاوة كلام الرَّحمٰن ومدارسته.

كتاب، ويتدارسونه بينهم= إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم اللَّه فيمن عنده، ومَن بطَّأ به عملُه لم يُسرع به نَسَبُه[(١)]». رواه مسلم في «صحيحه»[(٢)].

وقال ﷺ: «الراحمون يرحمُهم الرَّحمٰن؛ ارحموا مَن في الأرض يرحمْكم مَن في السماء». قال الترمذي: «حديث صحيح»[(٣)].

وفي الحديث الآخر الصحيح الذي في السنن: «يقول اللَّه تعالىٰ: أنا الرَّحمٰن؛ خلقت الرحم، وشققتُ لها اسمًا من اسمي؛ فمن وصلها وصلتُه، ومن قطعها بَتَتُّه[(٤)]»[(٥)].

---

(١) أي: من لم يوصِّله عمله إلىٰ جنات اللَّه تعالىٰ ورحمته، لم يوصِّله نسبُه ـ وإن كان عريقًا شريفًا ـ.

(٢) برقم (٢٦٩٩)، من حديث أبي هريرة ﵁.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢/١٦٠)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (٦٩)، والحاكم (٤/١٥٩)، وابن أبي شيبة (٨/٥٢٦)، والحميدي (٥٩١)، والبيهقي في «السنن» (٩/٢٤١)، وفي «الشعب» (١٠٥٣٧)، وفي «الآداب» (٢٨)، والخطيب في «التاريخ» (٣/٢٦٠)، وابن وهب في «الجامع» (١٤٦)، والمروزي في «البر والصلة» (١٢٨)، والطبراني في «الأوسط» (٩٠١٣)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (١/٥٦٦)، من حديث عبداللَّه بن عمرو ﵄، وقال الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١١/٣٣).

(٤) **بتتُّه**: قطعته.

(٥) صحيح: رواه أحمد (١/١٩٤)، والبخاري في «التاريخ» (٥٣)، وأبو داود (١٦٩٤)، والتِّرمذي (١٩٠٧)، وأبو يعلىٰ (٨٢٠)، والحميدي (٦٥)، والمروزي في «البر والصلة» (١١٢)، وابن حِبَّان (٤٤٣)، والحاكم (٤/ =

وقال ﷺ: «**ومَن وَصلها وصله اللَّه، ومن قطعها قطعه اللَّه**»[١].

ومثلُ هذا كثير.

وأولياء اللَّه تعالىٰ علىٰ نوعين: مقربون، وأصحاب يمين ـ كما تقدم ـ. وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء؛ فقال: «**يقول اللَّه تعالىٰ: مَن عادىٰ لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرَّب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضتُه عليه، ولا يزال عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبَّه، فإذا أحببتُه كنت سمعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورِجلَه التي يمشي بها**»[٢].

فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقرِّبون إليه بالفرائض؛ يفعلون ما أوجب اللَّه عليهم، ويتركون ما حرَّم اللَّه عليهم، ولا يكلِّفون أنفسهم بالمندوبات، ولا الكفِّ عن فضول المباحات.

وأما السابقون المقربون فتقرَّبوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباته أحبَّهم الرب

= ١٥٧)، والبيهقي في «شُعَب الإيمان» (٧٥٦٦)، وفي «الأسماء والصفات» (٨١)، وفي «الآداب» (١١)، وفي «الكبرىٰ» (٤١/٧)، والبزار (٩٩١)، والطبراني في «الأوسط» (٤٦٠٦)، وفي «الشاميين» (٣٠٥٧)، من حديث عبدالرَّحمٰن بن عوف رضي الله عنه، **وصحَّحه** التِّرمذي، **وسكت عليه** الحاكم، **وصحَّحه** الذهبي، وكذا الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٨٦/١٦).

(١) رواه البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥) ـ كلاهما بلفظٍ مقارب ـ، وأحمد (٦٢/٦) ـ واللفظ له ـ، من حديث أمِّنا عائشة رضي الله عنها.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

حبًّا تامًّا، كما قال تعالىٰ: «ولا يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه»، يعني الحب المطلق، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة]، أي: أنعم عليهم الإنعام المطلق التام المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء].

فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات، يتقربون بها إلىٰ اللَّه ﷻ، فكانت أعمالهم كلُّها عبادات للَّه، فشربوا صرفًا كما عَمِلوا له صرفًا، والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم[(١)]، فلا يعاقَبون عليه ولا يثابون عليه، فلم يشربوا صرفًا، بل مُزج لهم من شراب المقرَّبين بحسب ما مزجوه في الدنيا.

ونظير هذا انقسامُ الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إلىٰ عبدٍ رسول، ونبيٍّ مَلِك، وقد خَيَّر اللَّه ـ سبحانه ـ محمدًا ﷺ بين أن يكون عبدًا رسولًا، وبين أن يكون نبيًّا مَلِكًا، فاختار أن يكون عبدًا رسولًا[(٢)]، فالنبيُّ الملِك مثل داود وسليمان ونحوهما عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال اللَّه تعالىٰ في قصة سليمان الذي قال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى

---

(١) مما هو مباحٌ وليس عصيانًا؛ ولذلك سيقول الإمام: «فلا يعاقبون عليه، ولا يثابون عليه»، وهذا هو ضابطُ «المباح».

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢/٢٣١)، وأبو يعلىٰ (٦١٠٥)، والبزار (٣/١٥٥)، وابن حبان (٦٣٦٥)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٢٥)، والبزار في «مسنده» (٢٤٦٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٢/٧٧)، والشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٠٠٢).

مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص]، أيْ: أعطِ من شئت، واحرِمْ من شئت لا حساب عليك، فالنبي المَلِك يفعل ما فرض اللَّهُ عليه، ويترك ما حرَّم اللَّه عليه، ويتصرف في الولاية والمال بما يحبُّ ويختار من غير إثمٍ عليه.

وأما العبد الرسول فلا يُعطي أحدًا إلا بأمر ربه، ولا يعطي من يشاء، ويَحرِمُ من يشاء؛ بل يعطي من أمره ربُّه بإعطائه، ويولِّي من أمره ربُّه بتوليته؛ فأعماله كلها عباداتٌ للَّه تعالىٰ؛ كما في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إني - واللَّهِ - لا أُعطي أحدًا ولا أمنع أحدًا، إنما أنا قاسمٌ أضعُ حيث أُمرتُ**»[(١)].

ولهذا يضيف اللَّه الأموالَ الشرعية إلىٰ اللَّه والرسول؛ كقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الحشر: ٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١].

ولهذا كان أظهر أقوال العلماء أن هذه الأموال تُصرف فيما يحبه اللَّه ورسوله بحسب اجتهاد وليّ الأمرُ، كما هو مذهب مالك وغيره من السلف، ويُذكر هذا روايةً عن أحمد. وقد قيل في الخُمس: إنه يقسم علىٰ خمسة، كقول الشافعي وأحمد في المعروف عنه، وقيل: علىٰ ثلاثة، كقول أبي حنيفة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

والمقصود هنا: أن العبد الرسول هو أفضل من النبي المَلِك،

---

(١) رواه البخاري (٢٩٤٩، ٣١١٧).

كما أن إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمدًا عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أفضل من يوسف وداود وسليمان عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، كما أن المقرَّبين السابقين أفضل من الأبرار أصحاب اليمين الذين ليسوا مقربين سابقين؛ فمن أدىٰ ما أوجب اللَّه عليه وفعل من المباحات ما يحبه فهو من هؤلاء، ومن كان إنما يفعل ما يحبه اللَّه ويرضاه، ويقصد أن يستعين بما أُبيح له علىٰ ما أمره اللَّه فهو من أولئك.





فصل



وقد ذكر اللَّه تعالىٰ أولياءه المقتصدين والسابقين في سورة فاطر في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[1] ﴿٣٥﴾ [فاطر].

لكن هذه الأصناف الثلاثة في هذه الآية هم أمة محمد ﷺ خاصةً، كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾.

وأمة محمد ﷺ هم الذين أُورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة، وليس ذلك مختصًّا بحُفَّاظ القرآن؛ بل كلُّ من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء، وقسَّمهم إلىٰ: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات؛ بخلاف الآيات التي في الواقعة والمطففين والإنسان والانفطار؛ فإنه دخل فيها جميع الأمم المتقدمة كافرهم ومؤمنهم، وهذا التقسيم لأمة محمد ﷺ:

فالظالم لنفسه: أصحاب الذنوب المصرُّون عليها.

---

(١) **النَّصَب**: العناء والمشقة. **اللغوب**: الإعياء من التعب.



والمقتصد: المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم.

والسابق للخيرات: هو المؤدي للفرائض والنوافل، كما في تلك الآيات.

ومن تاب من ذنبه ـ أي ذنب كان ـ توبةً صحيحةً لم يخرج من بذلك عن السابقين والمقتصدين، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران].

وقوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ مما يَستدل به أهل السنة علىٰ أنه لا يخلَّد في النار أحدٌ من أهل التوحيد.

وأما دخول كثيرٍ من أهل الكبائر النار فهذا مما تواترت به السنن عن النبي ﷺ، كما تواترت بخروجهم من النار وشفاعة نبيِّنا محمد ﷺ في أهل الكبائر، وإخراجِ مَن يُخرج من النار بشفاعته وشفاعة غيره؛ فمن قال: «إن أهل الكبائر مخلدون في النار»، وتأوَّل الآية علىٰ أن السابقين هم الذين يدخلونها[1]، وأن المقتصد أو الظالم لنفسه لا يدخلها، كما تأوله من تأوَّله من المعتزلة= فهو مقابَلٌ بتأويل المرجئة الذين لا يقطعون بدخول أحدٍ من أهل الكبائر النار، ويزعمون أن أهل الكبائر قد يدخل جميعهم الجنة من

(١) يعني الجنة.

غير عذاب! وكلاهما مخالفٌ للسنة المتواترة عن النبي ﷺ ولإجماع سلف الأمة وأئمتها.

وقد دلَّ علىٰ فساد قول الطائفتين قول اللَّه تعالىٰ في آيتين من كتابه، وهو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨ ـ ١١٦]، فأخبر تعالىٰ أنه لا يغفر الشرك، وأخبر أنه يغفر ما دونه لمن يشاء، ولا يجوز أن يُراد بذلك التائب ـ كما يقوله من يقوله من المعتزلة ـ؛ لأن الشرك يغفره اللَّه لمن تاب، وما دون الشرك يغفره اللَّه ـ أيضًا ـ للتائب؛ فلا يُعلق بالمشيئة؛ ولهذا لما ذكر المغفرة للتائبين قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر].

فهنا عمَّم المغفرة وأطلقها؛ فإن اللَّه يغفر للعبد أيَّ ذنب تاب منه، فمن تاب من الشرك غفر اللَّه له، ومن تاب من الكبائر غفر اللَّه له، وأيَّ ذنب تاب العبد منه غفره اللَّه له، ففي آية التوبة[(١)] عمم وأطلق، وفي تلك الآية[(٢)] خصَّص وعلَّق؛ فخص الشرك بأنه لا يغفره، وعلَّق ما سواه علىٰ مشيئته.

ومن الشرك التعطيل للخالق؛ وهذا يدلُّ علىٰ فساد قول من يجزم بالمغفرة لكل مذنب. ونبَّه بالشرك علىٰ ما هو أعظم منه كتعطيل الخالق، أو أنه يَجوزُ أن يعذِّب لا بذنب[(٣)]؛ فإنه لو كان كذلك لما

---

(١) يقصد آية الزمر السابقة مباشرةً.

(٢) يقصد قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

(٣) في المطبوعات و«مجموع الفتاوىٰ»: «ألَّا يعذِّب بذنب»، والظاهر أن =

ذكر أنه يغفر البعض دون البعض، ولو كان كلُّ ظالم لنفسه مغفورًا له بلا توبةٍ ولا حسناتٍ ماحية، لم يعلق ذلك بالمشيئة.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَالِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ دليلٌ علىٰ أنه يغفر البعض دون البعض، فبطل النفيُ والعفو العام[(١)].

= الصحيح ما أثبتُّه؛ لأن اللَّه ﷻ قد لا يعذِّب علىٰ الذنب، لكنه سبحانه لا يعذِّب إلا بذنب. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(١) في بعض النسخ و«مجموع الفتاوىٰ» (١١/١٨٥): «والوقف العام».

فصل

وإذا كان أولياء اللَّه ﷻ هم المؤمنون المتقون[(١)]، والناس يتفاضلون في الإيمان والتقوىٰ= فهم متفاضلون في ولاية اللَّه بحسب ذلك، كما أنهم لما كانوا متفاضلين في الكفر والنفاق كانوا متفاضلين في عداوة اللَّه بحسب ذلك.

وأصل الإيمان والتقوىٰ: الإيمانُ برسل اللَّه، وجِماعُ ذلك: الإيمان بخاتم الرسل محمدٍ ﷺ، فالإيمان به يتضمن الإيمان بجميع كتب اللَّه ورسله، وأصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسل وبما جاؤوا به؛ فإن هذا هو الكفر الذي يستحقُّ صاحبُه العذاب في الآخرة؛ فإن اللَّه تعالىٰ أخبر في كتابه أنه لا يعذِّب أحدًا إلا بعد بلوغ الرسالة.

قال اللَّه تعالىٰ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ عن أهل النار: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى

(١) في بعض النسخ: «المؤمنين المتقين»، وكلاهما صحيح.

﴿ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾ [الملك].

فأخبر أنه كلما أُلقي في النار فوجٌ أقروا بأنهم جاءهم النذير فكذبوه، فدل ذلك علىٰ أنه لا يُلقىٰ فيها إلَّا من كذَّب النذير.

وقال تعالىٰ في خطابه لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٥﴾ [ص]، فأخبر أنه يملؤها بإبليس ومن اتبعه؛ فإذا مُلئت بهم لم يدخلها غيرهم، فعُلم أنه لا يدخل النار إلَّا من تَبِع الشيطان، وهذا يدل علىٰ أنه لا يدخلها من لا ذنب له؛ فإنه ممن لم يَتْبَع الشيطان ولم يكن مذنبًا، وما تقدم يدل علىٰ أنه لا يدخلها إلا من قامت عليه الحجة بالرسل.



فصل

ومن الناس من يؤمن بالرسل إيمانًا مجملًا، وأما الإيمان المفصَّل فيكون قد بلغه كثيرٌ مما جاءت به الرسل؛ فآمن به إيمانًا مفصَّلًا، ولم يبلغه بعض ذلك؛ فيؤمن بما بَلَغه عن الرسل، وما لم يبلغه لم يعرفه، ولو بلغه لآمن به؛ ولكن آمن بما جاءت به الرسلُ إيمانًا مجملًا، فهذا إذا عَمِل بما عَلِم أن اللَّه أمره به ـ مع إيمانه وتقواه ـ فهو من أولياء اللَّه تعالىٰ، له من ولاية اللَّه بحسب إيمانه وتقواه، وما لم تقم عليه الحجة به فإن اللَّه تعالىٰ لم يكلِّفه معرفتَه والإيمان المفصل به، فلا يعذبه علىٰ تركه، لكن يفوتُه من كمال ولاية اللَّه بحسب ما فاته من ذلك، فمن علم ما[1] جاء به الرسل وآمن به إيمانًا مفصلًا وعمل به = فهو أكمل إيمانًا وولايةً للَّه ممن لم يعلم ذلك مفصَّلًا ولم يعمل به؛ وكلاهما وليٌّ للَّه تعالىٰ.

والجنة درجاتٌ متفاضلةٌ تفاضلًا عظيمًا، وأولياء اللَّه المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم.

قال ﷻ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا[2] ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ

(١) في المطبوع: «بما»، ولعل الأدق ما أثبتُّه.
(٢) ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾: مُهانًا ذليلًا.

بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء].

فبيَّن اللَّه ﷻ أنه يُمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه، وأن عطاءه ما كان محظورًا من برٍّ ولا فاجر، ثم قال تعالىٰ: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا﴾.

فبيَّن اللَّه ـ سبحانه ـ أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثرَ مما يتفاضل الناس في الدنيا، وأن درجاتها أكبر من درجات الدنيا، وقد بيَّن تفاضُلَ أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين.

فقال تعالىٰ: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **«المؤمنُ القوي خيرٌ وأحبُّ إلىٰ اللَّه من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص علىٰ ما ينفعُك، واستعِنْ باللَّه ولا تَعجِزنَّ، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر اللَّه وما شاء فعل؛ فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»**[(١)].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: **«إذا اجتهد الحاكمُ فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجرٌ»**[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) **صحيح**: أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه: فرواه التِّرمذي (١٣٢٦)، وفي =

وقد قال اللَّه تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ

= «العلل» (١/١٩٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٥٨٨٩)، وفي «المجتبىٰ» (٥٣٨١)، وابن حِبَّان (٥٠٦٠)، وأبو يعلىٰ (٥٩٠٣)، وابن الجارود (٩٩٦)، وأبو عوانة في «المستخرج» (٦٣٩٧)، والدَّارَقُطْني (٤/٢٠٤)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٠/٣٠٢)، وتمَّام في «الفوائد» (١٥٣٥)، وابن عبدالبر في «جامع العلم» (١٦٦٤)، والدينوري في «المجالسة» (٣٥٩٠ - تهذيبي)، وقال الإمام التِّرمذي: «**حسن غريب**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عنده، والشيخ شعيب الأرنؤوط عنده - أيضًا - (٣/١٦٦)، والشيخ مشهور في «المجالسة» (٨/١٨٦).

وأما حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه: فرواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

﴿٩﴾ [الزمر].

وقال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة].

فصل



وإذا كان العبد لا يكون وليًّا للَّه إلا إذا كان مؤمنًا تقيًّا، لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس].

وفي «صحيح البخاري» الحديث المشهور ـ وقد تقدم ـ، يقول اللَّه ﷻ فيه: «**ولا يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتىٰ أُحبَّه**»[(١)]، ولا يكون مؤمنًا تقيًّا حتىٰ يتقرب إلىٰ اللَّه بالفرائض؛ فيكون من الأبرار أهل اليمين، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب إليه بالنوافل حتىٰ يكون من السابقين المقربين= فمعلوم[(٢)] أن أحدًا من الكفار والمنافقين لا يكون وليًّا للَّه، وكذلك من لا يصحُّ إيمانه وعباداته، وإن قُدِّر أنه لا إثم عليه؛ مثل أطفال الكفار، ومَن لم تبلغه الدعوة، ونحوهم ـ وإن قيل: إنهم لا يعذَّبون حتىٰ يرسَل إليهم رسولٌ ـ؛ فلا يكونون من أولياء اللَّه إلا إذا كانوا من المؤمنين المتقين؛ فمن لم يتقرب إلىٰ اللَّه لا بفعل الحسنات ولا بترك السيئات لم يكن من أولياء اللَّه. وكذلك المجانين والأطفال؛ فإن النبي ﷺ قال: «**رُفع القلم عن ثلاثةٍ: عن المجنون حتىٰ يُفيق، وعن الصبيِّ حتىٰ يَحتلم، وعن النائم حتىٰ يستيقظ**». وهذا الحديث قد رواه أهل السنن من حديث

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) هذا جواب الشرط في قوله: «وإذا كان العبدُ لا يكون...» في أول الصفحة.

عليٍّ[(١)] وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(٢)]. واتفق أهل المعرفة علىٰ تلقِّيه بالقبول.

لكنَّ الصبيَّ المميِّز تصحُّ عباداته ويُثاب عليها عند جمهور العلماء.

وأما المجنون ـ الذي رُفع عنه القلم ـ فلا يصح شيءٌ من عباداته باتفاق العلماء. ولا يصح منه إيمانٌ ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات؛ بل لا يصلح هو ـ عند عامة العقلاء ـ لأمور الدنيا

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١/١١٥)، وفي «الفضائل» (١٢٠٩)، وعبدالرزاق (٧/٧٩)، والطيالسي (٩١)، وأبو داود (٤٤٠٣)، والتِّرمذي (١٤٢٣)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٧٣٠٣)، وابن ماجه (٢٠٤٢)، وأبو يعلىٰ (٥٨٧)، والدَّارَقُطْني (٣٢٦٧)، وابن خزيمة (١٠٠٣)، وابن حِبَّان (١٤٣)، والحاكم (١/٢٥٨)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٨/٣٠٧)، وفي «المعرفة» (٨٨٨١)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٠٧٨)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣٢٧٤)، وقال التِّرمذي: «**حسن غريب**»، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٦/٤٥٥)، والشيخ الألباني في «السنن».

(٢) صحيح: رواه أحمد (٦/١٠١)، والطيالسي (١٤٨٥)، وأبو داود (٤٣٩٨)، والتِّرمذي في «العلل» (٤٠٤)، والنسائي (٣٤٣٢)، وفي «الكبرىٰ» (٥٥٩٦)، وابن ماجه (٢٠٤١)، والدارمي (٢٣٤٢)، وابن حِبَّان (١٤٢)، والحاكم (٢/٥٩)، وأبو يعلىٰ (٤٤٠٠)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٨٦)، وفي «الكبرىٰ» (٦/١٣٩)، وابن الجارود (١٤٨)، وابن المنذر في «الأوسط» (٢٣٢٧)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/٧٤)، وفي «شرح المشكل» (٣٩٨٧)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، وكذا الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٤١/٢٤٢).

كالتجارة والصناعة، فلا يصلح أن يكون بزَّازًا[(١)] ولا عطارًا ولا حدادًا ولا نجارًا، ولا تصح عقودُه باتفاق العلماء؛ فلا يصح بيعه ولا شراؤه، ولا نكاحه ولا طلاقه، ولا إقراره ولا شهادته، ولا غير ذلك من أقواله؛ بل أقواله كلها لغوٌ لا يتعلق بها حكمٌ شرعي، ولا ثواب ولا عقاب. بخلاف الصبيِّ المميِّز؛ فإن له أقوالًا معتبرة في مواضع بالنص والإجماع، وفي مواضع فيها نزاع.

وإذا كان المجنون لا يصحُّ منه الإيمان ولا التقوىٰ ولا التقرب إلىٰ اللَّه بالفرائض والنوافل، وامتُنع أن يكون وليًّا للَّه= فلا يجوز لأحدٍ أن يعتقد أنه وليٌّ للَّه؛ لا سيما حين تكون[(٢)] حجتُه علىٰ ذلك إما مكاشفةٌ سمعها منه، أو نوعٌ من تصرف، مثل أن يراه قد أشار إلىٰ واحد فمات أو صُرع؛ فإنه قد عُلم أن الكفار والمنافقين ـ من المشركين وأهل الكتاب ـ لهم مكاشفاتٌ وتصرفات شيطانية كالكهان والسحرة وعُبَّاد المشركين وأهل الكتاب، فلا يجوز لأحدٍ أن يَستدل بمجرد ذلك علىٰ كون الشخص وليًّا للَّه ـ وإن لم يَعلم منه ما يناقض ولايةَ اللَّه ـ، فكيف إذا عَلِم منه ما يناقض ولاية اللَّه؟! مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوبَ اتباع النبي ﷺ باطنًا وظاهرًا؛ بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة، أو يعتقد أن لأولياء اللَّه طريقًا إلىٰ اللَّه غيرَ طريق الأنبياء عليهم السلام، أو يقول: إن الأنبياء ضيَّقوا الطريق، أو هم قدوةُ العامة دون الخاصة، أو نحو ذلك مما يقوله بعض من يدعي الولاية؛ فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض

---

(١) **البزاز**: بائع الأقمشة.

(٢) في المطبوع و«مجموع الفتاوىٰ» (١١/١٨٥): «أن تكون». ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه ـ أو نحوه ـ.

الإيمان ـ فضلًا عن ولاية اللَّه ﷻ ـ، فمن احتج بما يصدر عن أحدهم من خرق عادةٍ علىٰ ولايتهم كان أضلَّ من اليهود والنصارىٰ.

وكذلك المجنون؛ فإن كونه مجنونًا يناقض أن يصحَّ منه الإيمان والعبادات التي هي شرطٌ في ولاية اللَّه، ومن كان يُجنُّ أحيانًا ويُفيق أحيانًا؛ إذا كان في حال إفاقته مؤمنًا باللَّه ورسوله ويؤدي الفرائض ويجتنب المحارم، فهذا إذا جُنَّ لم يكن جنونه مانعًا من أن يثيبَه اللَّه علىٰ إيمانه وتقواه الذي أتىٰ به في حال إفاقته، ويكون له من ولاية اللَّه بحسب ذلك. وكذلك مَن طرأ عليه الجنون بعد إيمانه وتقواه، فإن اللَّه يُثيبُه ويأجره علىٰ ما تقدم من إيمانه وتقواه، ولا يُحبطه بالجنون الذي ابتُلي به من غير ذنبٍ فَعَله، والقلم مرفوع عنه في حال جنونه.

فعلىٰ هذا: من أظهر الولاية، وهو لا يؤدِّي الفرائض ولا يجتنب المحارم ـ بل قد يأتىٰ بما يناقض ذلك ـ لم يكن لأحد أن يقول: هذا وليٌّ للَّه، فإن هذا إن لم يكن مجنونًا، بل كان متولِّهًا(١) من غير جنون، أو كان يغيب عقله بالجنون تارةً، ويفيق أخرىٰ، وهو لا يقوم بالفرائض؛ بل يعتقد أنه لا يجب عليه اتباع الرسول ﷺ = فهو كافر، ومن اعتقد أن هذا وليٌّ للَّه فهو كافرٌ ـ أيضًا ـ.

وإن كان مجنونًا باطنًا وظاهرًا قد ارتفع عنه القلم، فهذا وإن لم يكن معاقبًا عقوبةَ الكافرين، فليس هو مستحقًّا لما يستحقُّه أهل الإيمان والتقوىٰ من كرامة اللَّه ﷻ.

فلا يجوز علىٰ التقديرين أن يَعتقد فيه أحدٌ أنه وليٌّ للَّه، ولكن

---

(١) **متولِّهًا**: دهشًا كأنه غائبٌ عن الوعي.

إن كان له حالةٌ في إفاقته كان فيها مؤمنًا باللَّه متقيًا، كان له من ولاية اللَّه بحسب ذلك. وإن كان له حالٌ في إفاقته فيه كفرٌ أو نفاق أو كان كافرًا أو منافقًا ثم طرأ عليه الجنون، فهذا فيه من الكفر والنفاق ما يعاقَبُ عليه، وجنونُه لا يُحبط عنه ما يحصل منه حالَ إفاقته من كفرٍ أو نفاق.



فصل



وليس لأولياء اللَّه شيءٌ يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات؛ فلا يتميزون بلباس دون لباس ـ إذا كان كلاهما مباحًا ـ، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ظُفْرِه ـ إذا كان مباحًا ـ.

▫ كما قيل: «كم من صدِّيقٍ في قَباء[1]! وكم من زنديقٍ في عباء[2]!».

بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف، ويوجدون في التجار والصُّناع والزُّراع.

وقد ذكر اللَّه أصناف أمة محمد ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ﴾ [المزمل: ٢٠].

وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم: «القراء»؛ فيَدخل فيهم العلماء والنُّسَّاك، ثم حدث بعد ذلك اسم «الصوفية والفقراء».

---

(١) **القَباء**: نوعٌ من ثياب الفقراء.

(٢) **العَباء**: نوعٌ من الثياب الجيدة.

[اشتقاق التصوف]:

واسم «الصوفية» هو نسبةٌ إلىٰ لباس الصوف؛ هذا هو الصحيح.

وقد قيل: إنه نسبةٌ إلىٰ صوفة القفا.

وقيل: إلىٰ صُوفة بن مُرِّ بن أُدِّ بن طابخة - قبيلة من العرب -؛ كانوا يعرفون بالنسك.

وقيل: إلىٰ أهل الصُّفة.

وقيل: إلىٰ الصفاء.

وقيل: إلىٰ الصفوة.

وقيل: إلىٰ الصف المقدَّم بين يدي اللَّه تعالىٰ.

وهذه أقوال ضعيفة؛ فإنه لو كان كذلك لقيل: صُفِّي، أو صفائي، أو صَفَوي، أو صَفِّي، ولم يُقَل: صوفي.

وصار - أيضًا - اسم «الفقراء» يُعنىٰ به: أهل السلوك، وهذا عُرفٌ حادث.

وقد تنازع الناس: أيما أفضل: مسمىٰ «الصوفي»، أو مسمىٰ «الفقير»؟

ويتنازعون - أيضًا -: أيما أفضل: الغني الشاكر، أو الفقير الصابر؟

وهذه المسألة فيها نزاعٌ قديم بين الجُنيد وبين أبي العباس بن عطاء، وقد رُوي عن أحمد بن حنبل فيها روايتان.

والصواب في هذا كله ما قاله اللَّه ﷻ؛ حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه سئل: أي الناس أفضل؟ قال: «**أتقاهم**». قيل له: ليس عن هذا نسألُك. فقال: «**يوسف نبي اللَّه ابنُ يعقوبَ نبيِّ اللَّه ابنِ إسحاقَ نبيِّ اللَّه ابنِ إبراهيمَ خليلِ اللَّه**». فقيل له: ليس عن هذا نسألك. فقال: «**عن معادن العرب تسألوني؟ الناس معادنُ كمعادن الذهب والفضة؛ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**»[(١)].

فدل الكتاب والسنة [علىٰ] أن أكرم الناس عند اللَّه أتقاهم.

وفي السنن عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا فضلَ لعربيٍّ علىٰ عَجَميٍّ، ولا لعجميٍّ علىٰ عربي، ولا لأسودَ علىٰ أبيض، ولا لأبيض علىٰ أسود إلا بالتقوىٰ. كلُّكم لآدم، وآدمُ من تراب**»[(٢)].

وعنه - أيضًا - ﷺ أنه قال: «**إن اللَّه تعالىٰ أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية**[(٣)]**، وفخرها بالآباء، الناس رجلان: مؤمنٌ تقيٌّ، وفاجرٌ شقي**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٨٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٤١١/٥)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (١٠٠/٣)، وفي «المعرفة» (٧٣٠٠)، والحارث في «مسنده» (٥١)، من حديث رجلٍ من الصحابة ﷺ. **وصحَّحه** شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٣٦٣/١)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨٣/٨): «**رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح**»، **وصحَّحه** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢٤٩/٨)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٤٧٤/٣٨)، والشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٧٠٠).

(٣) **العُبِّيَّة**: الكبر والتعالي.

(٤) حسن: رواه أحمد (٣٦١/٢)، وأبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٦)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٦٠/٢)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٢٧)، =

فمن كان من هذه الأصناف أتقىٰ للَّه فهو أكرم عند اللَّه، وإذا استويا في التقوىٰ استويا في الدرجة.

ولفظ «الفقر» في الشرع يراد به: الفقر من المال، ويراد به: فقر المخلوق إلىٰ خالقه.

كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥].

وقد مدح اللَّه تعالىٰ في القرآن صنفين من الفقراء: أهل الصدقات، وأهل الفَيْء:

فقال في الصنف الأول: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا(١)﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وقال في الصنف الثاني ـ وهم أفضل الصنفين ـ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾ [الحشر].

وهذه صفة المهاجرين الذين هَجَروا السيئات، وجاهدوا أعداء اللَّه باطنًا وظاهرًا؛ كما قال النبيُّ ﷺ: «**المؤمنُ مَن أَمِنه الناس علىٰ**

= وفي «السنن» (٢٣٢/١٠)، وفي «الآداب» (٤٢٢)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٤٥٨)، والخطيب البغدادي في «تاريخه» (١٨٨/٦)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الإمام الترمذي: «**حسن غريب**»، **وحسنه** ـ أيضًا ـ الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٤٩/١٤).

(١) **الإلحاف**: الإلحاح في السؤال.

دمائهم وأموالهم، والمسلم مَن سَلِم المسلمون من لسانه ويده، **والمهاجرُ من هجر ما نهىٰ اللَّه عنه، والمجاهدُ من جاهد نفسه في ذات اللَّه**[(١)]»[(٢)].

أما الحديث الذي يرويه بعضهم أنه قال في غزوة تبوك: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلىٰ الجهاد الأكبر**»[(٣)]، فلا أصل له، ولم يروه أحدٌ من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله. وجهاد الكفار من أعظم

(١) في بعض النسخ: «**من جاهد بنفسه في طاعة اللَّه**».
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.
(٣) **ضعيف**: رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٥/٦٨٥)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٣٦٨ ـ تهذيبي)، **وضعَّفه** البيهقي بعد تخريجه، **وأقرَّه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/٢)، ونقل الإمام الفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (١٩١) **تضعيف** الإمام النووي له، **وأقرَّه** عليه، **وضعَّفه** ـ أيضًا ـ الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (١/٤٨٩)، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط ـ أيضًا ـ في «تحقيقه». وقال الشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد»: «**إسناده تالف**». وحكم عليه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٤٦٠) **بالنكارة**. ثم ذكر كلام شيخ الإسلام المذكور هنا.
ولفظ الحديث: عن جابرٍ ﷺ قال: قدم علىٰ رسول اللَّه ﷺ قومٌ غزاةٌ، فقال ﷺ: «**قدِمتم خيرَ مَقدَم من الجهادِ الأصغر إلىٰ الجهاد الأكبر**». قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «**مجاهدةُ العبد هواه**».
قلت: وعليه فكلام الإمام رحمه الله بأن هذا الحديث «لا أصل له» فإنما قصد من ناحية معناه ـ لا من ناحية سنده ـ؛ فإن المعنىٰ باطلٌ قطعًا وجزمًا؛ فهو مخالفٌ لنصوص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة المباركة، وسوف يأتي قريبًا النصُّ «القطعي» أنه لا يوجد عملٌ في الإسلام مثل الجهاد في سبيل اللَّه تبارك وتعالى، وأنه ﷺ لما سأله سائلٌ: هل هناك أفضل من الجهاد؟ قالها ﷺ صريحة: «**لا تطيقه**». وفي رواية: «**لا أجده**».

الأعمال؛ بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة].

وثبت في «صحيح مسلم» وغيره عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رجل: ما أبالي ألَّا أعمل عملًا بعد الإسلام إلَّا أن أسقي الحاج. وقال آخر: ما أبالي أن أعمل عملًا بعد الإسلام إلَّا أن أعمُرَ المسجد الحرام. وقال عليٌّ بن أبي طالب: الجهاد في سبيل اللَّه أفضل مما ذكرتما. فقال عمر: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم، ولكن إذا قُضيت الصلاة سألته. فسأله، فأنزل اللَّه تعالىٰ هذه الآية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[(١)].

وفي «الصحيحين» عن عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول اللَّه، أي الأعمال أفضل عند اللَّه عز وجل؟ قال: «**الصلاةُ على وقتها**». قلت: ثم أيُّ؟ قال: «**برُّ الوالدين**». قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهادُ في سبيل اللَّه**». قال: حدثني بهن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم، ولو استزدته لزادني[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (١٨٧٩). (٢) رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ أنه سئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمانٌ باللَّه، وجهادٌ في سبيله**»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حجٌّ مبرور**»[(١)].

وفي «الصحيحين» أن رجلًا قال له ﷺ: يا رسول اللَّه، أخبرني بعمل يَعدِلُ الجهادَ في سبيل اللَّه، قال: «**لا تستطيعه**». أو «**لا تطيقه**». قال: فأخبرني به، قال: «**هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم ولا تُفطر، وتقوم ولا تفتُر**[(٢)]؟»[(٣)].

وفي السنن عن معاذ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه وصَّاه لمَّا بعثه إلىٰ اليمن؛ فقال: «**يا معاذ، اتق اللَّه حيثما كنت، وأتبِعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالِقِ الناس بخُلقٍ حسن**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ومن المضحكات المبكيات أننا سمعنا من بعض ضُلَّال الجماعات المبتدعة في أيامنا هذه ـ وهي المسماة جماعة التبليغ ـ أنهم يقولون: إن مجاهدة النفس أعظم من الجهاد في سبيل اللَّه تبارك وتعالى وأعلىٰ أجرًا! ووصل بهم الضلال البعيد أنهم ذهبوا في يوم من الأيام إلىٰ جماعةٍ من المجاهدين في سبيل اللَّه تعالىٰ، وطلبوا منهم أن يتركوا جهاد الكفار، ويخرجوا معهم خروجَهم البدعي ـ كما حكاه عنهم الشيخ التويجري في «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» ص(٤٩) ـ، فلا حول ولا قوة إلا باللَّه علىٰ ما وصل إليه حال الإسلام، لكن هكذا يكون الأمر حينما يتصدر أهل الجهل للدعوة إلىٰ اللَّه تعالىٰ.

(٣) رواه البخاري (٢٧٨٥)، ومسلم (١٨٧٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٥/١٥٣)، والدارمي (٢٧٩١)، والترمذي (١٩٨٧)، والحاكم (١/٥٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/٣٧٨)، والبيهقي في «الشعب» (٨٠٢٦)، والبزار في «مسنده» (٤٠٢٢)، والقضاعي في «الشهاب» (٦٥٢). وقال الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصححه** الحاكم، =

وقال: «**يا معاذ، إني لأحبُّك، فلا تدعْ أن تقول في دبر كل صلاة**[(١)]: **اللهم أعنِّي علىٰ ذِكرك وشكرك وحُسن عبادتك**»[(٢)].

وقال له ـ وهو رديفه ـ: «**يا معاذ، أتدري ما حقُّ اللَّه علىٰ عباده؟**». قلت: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**حقُّه عليهم أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا. أتدري ما حق العباد علىٰ اللَّه إذا فعلوا ذلك؟**». قلت: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**حقُّهم عليه ألَّا يعذبهم**»[(٣)].

وقال ـ أيضًا ـ لمعاذ: «**رأسُ الأمر الإسلام، وعمودُه الصلاة، وذِروةُ سنامه الجهاد في سبيل اللَّه**». وقال[(٤)]: «**يا معاذ، أَلَا أخبرك بأبواب البر؟ الصوم جُنَّةٌ**[(٥)]، **والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النار،**

= **ووافقه** الذهبي، وكذا **صححه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٥/٢٨٤).

(١) أي: بعد التشهد في آخر الصلاة.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/٢٤٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٩٠)، وأبو داود (١٥٢٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٨٥٧)، وفي «عمل اليوم والليلة» (١٠٩)، والبزار في «مسنده» (٢٦٦١)، وابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (٢٠٢٠)، والحاكم (١/٢٧٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/١١٠)، وفي «الدعاء» (٦٥٤)، وفي «الشاميين» (١٦٥٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢٤١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١١٨)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وأقرَّ** الحافظُ ابن حجر ابنَ حبان والحاكم علىٰ التصحيح في «فتح الباري» (١١/١٣٣). **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٣٦/٤٣٠).

(٣) صحيح: وقد تقدم.

(٤) هذا بقية الحديث.

(٥) **الجُنَّة**: الوقاية من العذاب.

وقيامُ الرجل في جوف الليل[(١)]». ثم قرأ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة].

ثم قال: «**يا معاذ، ألا أخبرك بِمِلاكِ ذلك كله**[(٢)]؟[(٣)]». قلت: بلىٰ! فقال: «**أمسك عليك لسانك هذا**»، فأخذ بلسانه[(٤)]، قال: يا رسول اللَّه، وإنَّا لمؤاخَذون بما نتكلم به[(٥)]؟ فقال: «**ثكلتك أمُّك ـ يا معاذ ـ! وهل يكبُّ الناسَ في النار علىٰ مناخرهم إلَّا حصائدُ ألسنتهم**»[(٦)].

وتفسير هذا ما ثبت في «الصحيحين» عنه ﷺ أنه قال: «**مَن كان يؤمنُ باللَّه واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[(٧)].

فالتكلمُ بالخير خيرٌ من السكوت عنه، والصمت عن الشر خيرٌ من التكلُّم به، فأما الصمت الدائم فبدعةٌ منهيٌّ عنها، وكذلك الامتناع عن أكل الخبز واللحم وشرب الماء؛ فذلك من البدع المذمومة ـ أيضًا ـ.

كما ثبت في «صحيح البخاري» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ

---

(١) أي: يطفئ الخطيئة ـ أيضًا ـ.
(٢) في بعض النسخ: «**أَلَا أخبرك بما هو أملكُ لك من ذلك؟**».
(٣) أي: بما يملك عليك ذلك كلَّه ويحفظه.
(٤) أي: بلسانه هو ﷺ.
(٥) إنما قصد معاذٌ فضول الكلام الذي لا فائدة منه، ولم يقصد الحرام الظاهر، فإن هذا لا يَسألُ عن المعاقَبةِ به عاقل.
(٦) **صحيح**: وقد تقدم.
(٧) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رأىٰ رجلًا قائمًا في الشمس، فقال: «**ما هذا؟**»، فقالوا: أبو إسرائيل؛ نذر أن يقوم في الشمس، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي ﷺ: «**مُروهُ فليَجلس، وليَستظلَّ، وليَتكلَّمْ، وليُتمَّ صومَه**»[(١)].

وثبت في «الصحيحين» عن أنس: أن رجالًا سألوا عن عبادة رسول اللَّه ﷺ، فكأنهم تَقَالُّوها[(٢)]، فقالوا: وأيُّنا مثل رسول اللَّه ﷺ؟! ثم قال أحدهم: أما أنا فأصوم ولا أفطر. وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام. وقال الآخر: أما أنا فلا آكُل اللحم. وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما بالُ رجالٍ يقول أحدهم: كذا وكذا؟! ولكني أصوم وأفطر، وأقومُ وأنام، وآكل اللحم، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[(٣)].

فقوله: «**فمن رغب عن سُنتي فليس مني**»، أي: من سلك غيرها ظانًّا أن غيرها خيرٌ منها، فمن كان كذلك فهو بريءٌ من اللَّه ورسوله[(٤)]، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]؛ بل يجب علىٰ كل مسلم أن يعتقد أن خير الكلام كلامُ اللَّه، وخير الهَدي هديُ محمدٍ ﷺ، كما ثبت عنه في «الصحيح» أنه كان يخطب بذلك كلَّ يوم جمعة[(٥)].

---

(١) رواه البخاري (٦٧٠٤).

(٢) أي: رأَوْها قليلةً.

(٣) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٤) وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أيضًا ـ في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٠٣/٢٤): «من تبيَّنت له السنة، فظن أن غيرها خيرٌ منها فهو ضالٌّ مبتدعٌ؛ بل كافر» اهـ.

(٥) رواه مسلم (٨٦٧)، من حديث جابر بن عبداللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

تنبيه: ليس في الحديث التصريح بأنه ﷺ كان يخطب بذلك كل جمعة؛ =



= بل فيه أنه كان إذا خطب ـ هكذا عامةً في الجمعة وغيرها ـ قال هذه الكلمة. وكذلك لا تفيد ملازمة ذلك في كلِّ خطبة.
وانظر ـ للفائدة ـ: «تصحيح الدعاء» للعلامة بكر أبو زيد رحمه الله ص (٤٥٤).

فصل

وليس من شرط وليِّ اللَّه أن يكون معصومًا لا يَغلَط ولا يخطئ؛ بل يجوز أن يخفىٰ عليه بعضُ علم الشريعة، ويجوز أن يشتبه عليه بعضُ أمور الدين، حتىٰ يحسب بعضَ الأمور مما أمر اللَّه به، وتكون مما نهىٰ اللَّه عنه[(١)]، ويجوز أن يَظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء اللَّه تعالىٰ، وتكون من الشيطان لَبَّسها عليه لنقص درجته، ولا يَعرف أنها من الشيطان، وإن لم يخرج بذلك عن وَلاية اللَّه تعالىٰ؛ فإن اللَّه ﷻ تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه[(٢)].

فقال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

(١) هكذا في النسخة المحققة، وجاءت في المطبوع و«مجموع الفتاوىٰ» (٢٠١/١١): «حتىٰ يحسب بعض الأمور مما أمر اللَّه به ومما نهىٰ عنه» اهـ. ويكون المراد: حتىٰ يحسب بعض الأمور - مما لم يرد في الشرع - من المأمورات أو المنهيات، وهي في الحقيقة ليست كذلك. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٠٤٥)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٣/ ٩٥)، وابن حبان (٧٢١٩)، والحاكم (١٩٨/٢)، والطبراني في «الصغير» (٧٦٥)، والدَّارَقُطْني (٤٣٥١)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٣٥٦/٧)، وابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام» (١٤٩/٥)، من حديث ابن عباس ﵄. **وصحَّحه** الحاكم، **وأقرَّه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٣٦)، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند ابن ماجه (٢٠١/٣).

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة].

وقد ثبت في «الصحيح»[1] أن اللَّه ـ سبحانه ـ استجاب هذا الدعاء، وقال: «**قد فعلت**»[2].

ففي «صحيح مسلم» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة] قال: دخل قلوبهم منها شيءٌ لم يدخلها قبل ذلك شيءٌ أشد منه، فقال النبي ﷺ: «**قولوا: سمعنا وأطعنا وسلَّمْنا**». قال: فألقىٰ اللَّه الإيمان في قلوبهم؛ فأنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ إلىٰ قوله: ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قال اللَّه: «**قد فعلت**»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾، قال: «**قد فعلت**»: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ قال: «**قد فعلت**»[3].

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

---

(١) في بعض المطبوعات: «الصحيحين»، وهو خطأ، فليس هو في البخاري.

(٢) انظر التالي.

(٣) رواه مسلم (١٢٦).

وثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا أنه قال: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر**»[١]؛ فلم يؤثِّم المجتهد المخطئ؛ بل جعل له أجرًا علىٰ اجتهاده، وجعل خطأه مغفورًا له، ولكنَّ المجتهد المصيب له أجران فهو أفضل منه.

ولهذا لما كان وليُّ اللَّه يجوز أن يغلط، لم يجب علىٰ الناس الإيمانُ بجميع ما يقوله من هو وليٌّ للَّه إلَّا أن يكون نبيًّا[٢]؛ بل ولا يجوز لوليِّ اللَّه أن يعتمد علىٰ ما يُلقىٰ إليه في قلبه إلَّا أن يكون موافقًا للشرع، وعلىٰ ما يقع له مما يراه إلهامًا ومحادثةً وخطابًا من الحق؛ بل يجب عليه أن يَعرِضَ ذلك جميعه علىٰ ما جاء به محمد ﷺ، فإن وافقه قبله، وإن خالفه لم يقبله، وإن لم يعلم أموافقٌ هو أم مخالفٌ توقف فيه.

[أصناف الناس مع الأكابر والأولياء]:

والناس في [هذا] الباب ثلاثة أصناف: طرفان، ووسط:

١ ـ فمنهم من إذا اعتقد في شخص أنه وليٌّ للَّه وافقه في كل ما يظنُّ أنه حَدَّث به قلبُه عن ربه، وسلَّم إليه جميع ما يفعله.

٢ ـ ومنهم من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية اللَّه بالكلية ـ وإن كان مجتهدًا مخطئًا ـ.

٣ ـ وخيار الأمور أوساطها، وهو ألَّا يُجعل معصومًا ولا مأثومًا

---

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) وردت الجملة في المطبوع و«الفتاوىٰ» (١١/٢٠٣): «لئلا يكون نبيًّا»، أي: حتىٰ لا ينزلوه منزلة النبي ﷺ.



ـ إذا كان مجتهدًا مخطئًا ـ، فلا يُتبع في كل ما يقوله، ولا يُحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده.

والواجب علىٰ الناس اتباع ما بعث اللَّه به رسولَه. وأما إذا خالف [الإنسانُ] قولَ بعض الفقهاء، ووافق قول آخرين= لم يكن لأحدٍ أن يُلزِمَه بقول المخالف ويقول: «هذا خالف الشرع».

وقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحدٌ فعمرُ منهم**»[(١)].

ورویٰ الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو لم أُبعث فيكم لبُعث فيكم عمر**»[(٢)].

وفي حديثٍ آخر: «**إن اللَّه ضَرَب الحقَّ علىٰ لسان عمر وقلبه**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٩)، ومسلم (٢٣٩٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) موضوع: رواه ابن عدي في «الكامل» (٣٢٤/٥)، وابن عساكر في «التاريخ» (١١٤/٤٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣٢٠/١)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. وقال ابن عدي: «**لا يصح**». وحكم عليه ابن الجوزي **بالوضع**. وانظر ـ أيضًا ـ: «اللآلئ المصنوعة» للسيوطي (٣٠٢/١).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٤٠١/٢)، وعبداللَّه بن أحمد في «زوائده» علىٰ «فضائل الصحابة» ـ لأبيه ـ (٣١٥)، والقَطِيعي في زياداته عليه (٥٢٥)، وعبد بن حميد (٨٥٧)، وابن أبي شيبة (٣٥٥/٦)، وابن حِبَّان (٦٨٨٩)، وابن سعد في «الطبقات» (٣٣٥/٣)، أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٣٢٧)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (١٠٩/٨)، والطبراني في «الأوسط» (٢٩١)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٨٧٥)، والدينوري في «المجالسة» (١٨٢ ـ تهذيبي)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٤٤/٩)، والشيخ الألباني في «صحيح الجامع» =

وفيه: «**لو كان نبيٌّ بعدي لكان عمر**»[(١)].

▫ وكان عليُّ بن أبي طالب ﵁ يقول: «ما كنا نُبعِدُ أنَّ السكينة تَنطق علىٰ لسان عمر». ثبت هذا عنه من رواية الشعبي.

▫ وقال ابن عمر: «ما كان عمر يقول في شيء: إني لأُراه كذا، إلا كان كما يقول».

▫ وعن قيس بن طارق قال: «كنا نتحدث أن عمر ينطقُ علىٰ لسانه مَلَك».

▫ وكان عمرُ يقول: «اقتربوا من أفواه المطيعين، واسمعوا منهم ما يقولون؛ فإنه تتجلىٰ لهم أمورٌ صادقة».

وهذه الأمور الصادقة التي أخبر بها عمر بن الخطاب ﵁ أنها تتجلىٰ للمطيعين هي الأمور التي يَكشفُها اللَّه ﷻ لهم؛ فقد ثبت أن

= (١٧٣٦)، **وحسَّنه** الشيخ مشهور آل سلمان في «المجالسة» (٢/٥٦).

(١) **حسن**: رواه أحمد (٤/١٥٤)، وفي «الفضائل» (٤٩٨)، والتِّرمذي (٣٦٨٦)، والفسوي في «المعرفة» (١/٤٦٢)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٤/١١٥)، والطبراني في «الكبير» (١٧/٢٩٨)، والآجري في «الشريعة» (١٢٠٣)، والحاكم (٣/٨٥)، والبيهقي في «المدخل» ص(١٢٤)، والروياني (٢١٤)، وابن شاهين في «مذاهب أهل السنة» (١٤٠)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٤٩١)، والخطيب في «الموضح» (٢/٤٧)، وقِوَام السُّنة في «الحجة في بيان المحجة» (٣٤١)، والدينوري في «المجالسة» (١٩٩ ـ تهذيبي)، من حديث عقبة بن عامر ﵁. وقال التِّرمذي: «**حسن غريب**»، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٢٧)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٨/٦٢٤)، والشيخ مشهور في «المجالسة» (٢/٨٦).

لأولياء اللَّه مخاطباتٍ ومكاشفات. وأفضل هؤلاء في هذه الأمة - بعد أبي بكر - عمر بن الخطاب رضي الله عنهما؛ فإن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر.

وقد ثبت في «الصحيح» تعيينُ عمر بأنه محدَّثٌ في هذه الأمة[(١)]، فأي محدَّث ومخاطب فُرض في أمة محمد ﷺ فعمر أفضل منه، ومع هذا فكان عمر رضي الله عنه يفعل ما هو الواجب عليه، فيَعرض ما يقع له علىٰ ما جاء به الرسول ﷺ، فتارةً يوافقه؛ فيكون ذلك من فضائل عمر، كما نزل القرآن بموافقته غيره مرة، وتارةً يخالفه؛ فيرجع عمرُ عن ذلك، كما رجع يوم الحديبية لمَّا كان قد رأىٰ محاربة المشركين، والحديث معروف في البخاري وغيره؛ فإن النبي ﷺ قد اعتمر سنة ستٍّ من الهجرة ومعه المسلمون نحو ألف وأربعمئة - وهم الذين بايعوه تحت الشجرة -، وكان قد صالح المشركين بعد مراجعةٍ جرت بينه وبينهم علىٰ أن يرجع في ذلك العام، ويعتمرَ من العام القابل، وشَرَط لهم شروطًا فيها نوعُ غضاضةٍ علىٰ المسلمين في الظاهر، فشق ذلك علىٰ كثير من المسلمين، وكان اللَّه ورسوله أعلمَ وأحكمَ بما في ذلك من المصلحة، وكان عمر فيمن كَرِه ذلك، حتىٰ قال للنبي ﷺ: يا رسول اللَّه، ألسنا علىٰ الحق وعدوُّنا علىٰ الباطل؟ قال: «**بلىٰ**»، قال: أفليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «**بلىٰ**»، قال: فعلام نُعطي الدنيَّةَ في ديننا[(٢)]؟! فقال له النبي ﷺ: «**إني رسولُ اللَّه، وهو ناصري، ولست**

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **الدنية**: النقيصة؛ وذلك بأن نردَّ من استجار بنا.



أَعصيه». ثم قال: أفلم تكن تحدِّثُنا أنَّا نأتي البيت ونُطوِّفُ به؟ قال: «**بلىٰ**». قال: «**أقلتُ لك: إنك تأتيه العامَ؟**»، قال: لا، قال: «**إنك آتيه ومُطوِّفٌ به**». فذهب عمر إلىٰ أبي بكر ﵄، فقال له مثلما قال للنبي ﷺ، ورد عليه أبو بكر مثل جواب النبي ﷺ - ولم يكن أبو بكر يسمع جوابَ النبي ﷺ -، فكان أبو بكر ﵁ أكمل موافقةً للَّه وللنبي ﷺ من عمر، وعمر ﵁ رجع عن ذلك، وقال: فعملتُ لذلك أعمالًا[1].

وكذلك لما مات النبي ﷺ أنكر عمرُ موته أولًا، فلما قال أبو بكر: «إنه مات» رجع عمر عن ذلك[2].

وكذلك في قتال مانعي الزكاة، قال عمر لأبي بكر: كيف نقاتل الناس، وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «**أُمرتُ أن أقاتلَ الناس حتىٰ يشهدوا ألَّا إلٰه إلا اللَّه، وأني رسولُ اللَّه، فإذا فعلوا ذلك عَصَموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»؟ فقال له أبو بكر ﵁: ألم يقل: «**إلَّا بحقِّها**»؟! فإن الزكاة من حقها، واللَّهِ لو منعوني عَناقًا[3] كانوا يؤدُّونها إلىٰ رسول اللَّه ﷺ لقاتلتهم علىٰ منعها. قال عمر: فواللَّهِ ما هو إلا أن رأيتُ اللَّهَ قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعلمتُ أنه الحق[4].

ولهذا نظائر تبيِّن تقدُّمَ أبي بكر علىٰ عمر، مع أن عمر ﵁ مُحدَّث، فإن مرتبة «الصدِّيق» فوق مرتبة «المحدَّث»؛ لأن الصديق

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣١)، من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ﵄.

(٢) رواه البخاري (٣٦٦٧)، من حديث أمِّنا عائشة ﵂.

(٣) **العَناق**: أُنثىٰ الماعز. يقصد: من نصاب الزكاة.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

يتلقىٰ عن الرسول المعصوم كلَّ ما يقوله ويفعله، والمحدَّث يأخذ عن قلبه أشياء، وقلبُه ليس بمعصوم؛ فيحتاج أن يعرضه علىٰ ما جاء به النبيُّ المعصوم ﷺ، ولهذا كان عمر رضي الله عنه يشاور الصحابة رضي الله عنهم ويناظرهم، ويرجع إليهم في بعض الأمور، وينازعونه في أشياء، فيَحتجُّ عليهم، ويحتجون عليه بالكتاب والسنة، ويُقرِّرهم علىٰ منازعته، ولا يقول لهم: «أنا محدَّث ملهَم مخاطَب؛ فينبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضوني».

فأيُّ أحدٍ ادَّعىٰ أو ادَّعىٰ له أصحابُه أنه وليٌّ للَّه، وأنه مخاطَبٌ يجب علىٰ أتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله ولا يعارضوه، ويسلِّموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسُّنة = فهو وهم مخطئون، ومثل هذا من أضل الناس[1]، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل منه، وهو أمير المؤمنين، وكان المسلمون ينازعونه فيما يقوله، ويعرضون ما يقول هو علىٰ الكتاب والسُّنة[2]، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها علىٰ أن كل أحدٍ يؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول اللَّه ﷺ.

وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم؛ فإن الأنبياء ـ صلوات اللَّه عليهم وسلامه ـ يجب لهم الإيمانُ بجميع ما يخبِرون به عن اللَّه عز وجل، وتجبُ طاعتهم فيما يأمرون به، بخلاف الأولياء؛ فإنه لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به؛ بل يُعرَضُ أمرهم وخبرهم علىٰ الكتاب والسنة، فما وافق

---

(١) في النسخة المحققة: «ولو قُدِّر هذا من أفضل الناس». وكلاهما صحيح.

(٢) كذا في النسخة المحققة، وجاءت في المطبوع و«الفتاوىٰ» (٢٠١/١١): «وهو وهم علىٰ الكتاب والسنة».

الكتاب والسنة وجب قبولُه، وما خالف الكتاب والسنة كان مردودًا ـ وإن كان صاحبه من أولياء اللَّه، وكان مجتهدًا معذورًا فيما قاله، له أجرٌ علىٰ اجتهاده ـ، لكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئًا، وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقىٰ اللَّه ما استطاع؛ فإن اللَّه تعالىٰ يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، وهذا تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

▫ قال ابن مسعود وغيره: «﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ أن يُطاع فلا يعصىٰ، وأن يُذكر فلا ينسىٰ، وأن يُشكر فلا يُكفر».

أي: بحسب استطاعتكم؛ فإن اللَّه تعالىٰ لا يكلف نفسًا إلا وسعها، كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٤٢﴾ [الأعراف].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وقد ذكر اللَّه سبحانه وتعالى الإيمان بما جاء به الأنبياء في غير موضع:

كقوله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ

﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝١٧٧﴾ [البقرة].

وهذا الذي ذكرتُه ـ من أن أولياء اللَّه يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة، وأنه ليس فيهم معصومٌ يسوغ له أو لغيره اتباعُ ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة ـ هو مما اتفق عليه أولياء اللَّه ﷻ، ومن خالف في هذا فليس من أولياء اللَّه ـ سبحانه ـ الذين أَمَر اللَّه باتباعهم؛ بل إما أن يكون كافرًا، وإما أن يكون مُفرِطًا في الجهل.

وهذا كثيرٌ في كلام المشايخ.

▫ كقول الشيخ أبي سليمانَ الداراني: «إنه ليقع في قلبي النكتةُ من نكت القوم[١]؛ فلا أقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسنة».

▫ وقال أبو القاسم الجُنيد ـ رحمة اللَّه عليه ـ: «عِلمُنا هذا مقيدٌ بالكتاب والسنة؛ فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث، لا يصلح له أن يتكلم في علمنا». أو قال: «لا يُقتدىٰ به».

▫ وقال أبو عثمان النَّيسابوري: «مَن أمَّر السُّنة علىٰ نفسه قولًا وفعلًا نطق بالحكمة، ومن أمر الهوىٰ علىٰ نفسه قولًا وفعلًا نطق

(١) **النكتة**: الفائدة اللطيفة.

بالبدعة؛ لأن اللَّه تعالىٰ يقول[١]: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤][٢]».

▫ وقال أبو عمرو بن نُجيد: «كلُّ وَجْدٍ[٣] لا يَشهدُ له الكتاب والسنة فهو باطل».

وكثيرٌ من الناس يغلط في هذا الموضع؛ فيظن في شخص أنه وليٌّ للَّه، ويظن أن وليَّ اللَّه يُقبل منه كلُّ ما يقوله، ويسلَّم إليه كل ما يفعلُه ـ وإن خالف الكتاب والسنة ـ؛ فيوافق ذلك الشخص، ويخالف ما بعث اللَّه به رسوله ﷺ الذي فرض اللَّه علىٰ جميع الخلق تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه، وبين أهل الجنة وأهل النار، وبين السعداء والأشقياء، فمن اتبعه كان من أولياء اللَّه المتقين، وجُنده المفلحين، وعباده الصالحين، ومن لم يتبعه كان من أعداء اللَّه الخاسرين المجرمين، فتجرُّه مخالفةُ الرسول وموافقةُ ذلك الشخص أولًا إلىٰ البدعة والضلال، وآخرًا إلىٰ الكفر والنفاق، ويكون له نصيب من قولِه تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ

---

(١) ورد في المطبوع و«الفتاوىٰ» (١١/٢١٠): «يقول في كلامه القديم»، وليست في النسخة المحققة، ولا في المصادر الآتية.

(٢) في النسخة المحققة ورد بدلًا من هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور]. والمثبت أصح، فانظر: «الحلية» لأبي نعيم (١٠/٢٤٤)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/١٠٥)، و«رسالة القشيري» ص(٢٦)، و«الاعتصام» للشاطبي (١/١٦٥).

(٣) **الوَجْد**: ما يجده الإنسان في قلبه، كالإلهام.

جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ [الفرقان]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾ [الأحزاب]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ [البقرة].

وهؤلاء مشابهون للنصارىٰ الذين قال اللَّه تعالىٰ فيهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ [التوبة].

وفي «المسند» ـ وصححه الترمذي ـ عن عدي بن حاتم في تفسير هذه الآية لما سأل النبيَّ ﷺ عنها، فقال: ما عبدوهم! فقال النبي ﷺ: «**أحلُّوا لهم الحرام، وحرَّموا عليهم الحلال؛ فأطاعوهم، وكانت هذه عبادتَهم إياهم**»(١).

ولهذا قيل في مثل هؤلاء: «إنما حُرموا الوصول بتضييع الأصول»؛ فإن أصل الأصول تحقيق الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ؛ فلابد من الإيمان باللَّه ورسوله وبما جاء به الرسول ﷺ، فلابد من الإيمان بأن محمدًا رسول اللَّه ﷺ إلىٰ جميع الخلق إنسهم وجنهم، وعربهم

---

(١) حسن: وقد تقدم.

وعجمهم، علمائهم وعُبَّادهم، ملوكهم وسُوقتهم، وأنه لا طريق إلىٰ اللَّه ﷻ لأحدٍ من الخلق إلا بمتابعته باطنًا وظاهرًا، حتىٰ لو أدركه موسىٰ وعيسىٰ وغيرهما من الأنبياء= لوجب عليهم اتباعه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ[(١)] قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران].

▫ قال ابن عباس ﵄: «ما بعث اللَّه نبيًّا إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بُعث محمدٌ وهو حيٌّ ليؤمنَنَّ به ولينصُرَنَّه، وأمره أن يأخذ علىٰ أمته الميثاق: لئن بُعث محمدٌ وهم أحياءٌ ليؤمنُنَّ به ولينصرُنَّه».

وقد قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا[(٢)] ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا[(٣)] ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

---

(١) ﴿إِصْرِى﴾: عهدي.

(٢) ﴿إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾: حقًّا وصوابًا. وقيل: مداراةً ومصانعةً.

(٣) ﴿قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾: كلامًا رادعًا بيِّنًا.

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [النساء].

وكلُّ من خالف شيئًا مما جاء به الرسول مقلِّدًا في ذلك لمن يظن أنه وليٌّ للَّه، فإنه بنىٰ أمره علىٰ أنه وليٌّ للَّه، وأن ولي اللَّه لا يخالَف في شيء! ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء اللَّه - كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان - لم يُقبل منه ما خالف الكتاب والسنة، فكيف إذا لم يكن كذلك؟!

وتجد كثيرًا من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه وليًّا للَّه أنه قد صدر عنه مكاشفةٌ في بعض الأمور، أو بعض التصرفات الخارقة للعادة؛ مثل أن يشير إلىٰ شخصٍ فيموت، أو يطير في الهواء إلىٰ مكة أو غيرها، أو يمشي علىٰ الماء أحيانًا، أو يملأ إبريقًا من الهواء، أو يُنفق بعض الأوقات من الغيب[1]، أو أن يختفي أحيانًا عن أعين الناس، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائبٌ أو ميت، فرآه قد جاءه فقضىٰ حاجته، أو يخبر الناسَ بما سُرق لهم، أو بحالِ غائبٍ لهم أو مريض، أو نحو ذلك من الأمور.

وليس في شيء من هذه الأمور ما يدلُّ علىٰ أن صاحبها وليٌّ للَّه؛ بل قد اتفق أولياءُ اللَّه علىٰ أن الرجل لو طار في الهواء أو مشىٰ علىٰ الماء، لم يُغترَّ به حتىٰ يُنظر متابعتُه لرسول اللَّه ﷺ وموافقته لأمره ونهيه.

وكراماتُ أولياء اللَّه تعالىٰ أعظم من هذه الأمور، وهذه الأمور الخارقة للعادة، وإن كان قد يكون صاحبها وليًّا للَّه، فقد يكون

(١) أي: يختفي عن أعينهم قليلًا. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

عدوًّا للَّه؛ فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين، فلا يجوز أن يُظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه وليٌّ للَّه؛ بل يُعتبر أولياء اللَّه بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة، ويُعرفون بنور الإيمان والقرآن، وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة.

مثال ذلك: أن هذه الأمور المذكورة وأمثالها قد توجد في أشخاص، ويكون أحدهم لا يتوضأ؛ ولا يصلي الصلوات المكتوبة؛ بل يكون ملابسًا للنجاسات، معاشرًا للكلاب، يأوي إلىٰ الحمامات والقمَّامين[(١)] والمقابر والمزابل، رائحته خبيثة، لا يتطهر الطهارة الشرعية، ولا يتنظف.

وقد قال النبي ﷺ: «**لا تدخل الملائكةُ بيتًا فيه جُنبٌ ولا كلب**»[(٢)].

---

(١) أي: أهل القاذورات.

(٢) **حسن ـ دون ذكر الجُنب ـ**: رواه أحمد (٨٣/١)، والطيالسي (١١٠)، وأبو داود (٢٢٧)، والنسائي (٢٦١)، وفي «الكبرىٰ» (٢٥٣)، وأبو يعلىٰ (٣١٣)، وابن حبان (١٢٠٥)، والحاكم (١٧١/١)، والدارمي (٢٦٦٣)، والبزار (٨٨١)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٣٥٣)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٣١٠/١)، من حديث عليٍّ رضي الله عنه. **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، مع أنه طعن في أحد رواته في «الميزان» ـ كما في «تحقيق المسند» ـ! **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «السنن»، بينما **حسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٦٥/٢) دون جملة «الجُنب».

والحديث رواه البخاري (٣٢٢٥)، ومسلم (٢١٠٦)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، دون ذكر الجنب.



وقال عن هذه الأَخْلية[(١)]: «إن هذه الحشوشَ مُحتَضَرةٌ»[(٢)]. أي يحضرها الشيطان.

وقال: «مَن أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين فلا يَقرَبَنَّ مسجدنا؛ فإن الملائكةَ تتأذىٰ مما يتأذَّىٰ منه بنو آدم»[(٣)].

وقال: «إن اللَّهَ طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا»[(٤)].

وقال: «إن اللَّهَ نظيفٌ يحبُّ النظافة»[(٥)].

= وفي الباب عن غير واحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم.

(١) **الأخلية**: أمكان قضاء الحاجة.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/٣٦٩)، وابن أبي شيبة (١/١)، وأبو داود (٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٩٠٦)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٧٨)، وابن ماجه بعد (٢٩٦)، وأبو يعلىٰ (٧٢١٨)، والطبراني في «الكبير» (٥١١٥)، وفي «الدعاء» (٣٦٣)، وفي «الشاميين» (٢٦٩٤)، وابن خزيمة (٦٩)، وابن حِبَّان (١٤٠٦)، والحاكم (١/١٨٧)، والخطيب في «التاريخ» (١٣/٣٠١)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١/٩٦)، والدينوري في «المجالسة» (٣٥٨٦ ـ تهذيبي)، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه. **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٦٣)، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (١/٦)، وقال الشيخ مشهور في «المجالسة» (٨/١٨٣): «صحيح إن سلم من الاضطراب». وانظر: تحقيق «المسند» (٣٢/٨٠)، وتحقيق سنن أبي داود (١/٦ ـ الرسالة).

(٣) رواه ـ بنحوه ـ البخاري (٨٥٣)، ومسلم (٥٦١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وانظر: «المسند» (٢٣/٣٥٢)، و(٢٦/١٨٠).

(٤) رواه مسلم (١٠١٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) **ضعيف**: رواه الترمذي (٢٧٩٩)، وأبو يعلىٰ (٧٩١)، والبزار (١١١٤)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٨٥٥)، والدولابي في «الكُنىٰ» =

وقال: «**خمسٌ من الفواسق**[(١)] **يُقتلن في الحِلِّ والحرم: الحيةُ، والفأرة، والغُراب، والحُدَأةُ، والكلب العقور**». وفي رواية: «**الحية، والعقرب**»[(٢)].

وأَمَر - صلوات اللَّه وسلامه عليه - بقتل الكلب[(٣)].

وقال: «**من اقتنىٰ كلبًا لا يُغني عنه زرعًا ولا ضَرْعًا**[(٤)]، **نَقص من عمله كلَّ يوم قيراط**»[(٥)].

وقال: «**لا تصحبُ الملائكةُ رُفقةً معهم كلبٌ**»[(٦)].

وقال: «**إذا ولغ الكلبُ في إناء أحدكم، فلْيَغسِلْه سبع مراتٍ إحداهن بالتراب**»[(٧)].

= (١٠٣٤)، وابن عدي في «الكامل» (٣/٤١٤)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (١٦١٦)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «سنن الترمذي» (٥/٨٤).

ورواه ابن عدي - أيضًا - (٦/٥١٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، **وضعَّفه**، وكذا فعل الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٧٠٨٦).

(١) سُميت هكذا لأنها تخرج علىٰ الناس بالإضرار؛ لأن «الفسق» - لغةً -: الخروج.

(٢) رواه البخاري (١٨٢٩)، ومسلم (١١٩٨)، من حديث أمنا عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري (٣٣٢٣)، ومسلم (١٥٧٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) **ضَرْعًا**: كناية عن الماشية. أي: كلب حراسةٍ للماشية.

(٥) رواه البخاري (٢٣٢٣)، ومسلم (١٥٧٦)، من حديث سفيان بن أبي زُهير رضي الله عنه.

(٦) رواه مسلم (٢١١٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) رواه - بنحوه - مسلم (٢٨٠)، من حديث عبداللَّه بن مغفَّل رضي الله عنه.

وانظر اختلاف الروايات حول موضع غسلة التراب في «مسند الإمام أحمد» (١٣/٤٥ - الرسالة). والمسألة مبسوطة في مصنفات الفقه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ[1] فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ[2] وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

فإذا كان الشخص مباشرًا للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان، أو يأوي إلىٰ الحمامات والحشوش التي تحضُرُها الشياطين، أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير، ويقتني[3] الكلاب ـ التي هي خبائث وفواسق ـ، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبُّها الشيطان، أو يدعو غير اللَّه؛ فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها، أو يسجد إلىٰ ناحية شيخه، ولا يُخلص الدين لربِّ العالمين، أو يلابس الكلاب أو النيران أو يأوي إلىٰ المزابل والمواضع النجسة، أو يأوي إلىٰ المقابر ـ ولا سيما إلىٰ مقابر الكفار من اليهود والنصارىٰ أو المشركين ـ، أو يكره سماع القرآن ويَنفرُ عنه، ويقدِّم عليه سماع الأغاني والأشعار، ويُؤثِر سماع مزامير الشيطان علىٰ

---

(١) **الإصر والأغلال**: التشديدات والمشقات الذي كان عليهم في شريعتهم.

(٢) **التعزير**: الاحترام والتوقير.

(٣) في النسخة المحققة: «وآذان»، وفي المطبوع و«الفتاوىٰ» (١١/٢١٠): «وإذ أن...»، وقال بعض من علقوا علىٰ «الفتاوىٰ»: «هكذا بالأصل». والظاهر أن الصواب ما أثبتُّه ـ أو ما يشبه معناه ـ؛ لأن الإمام يذكر بإجمال ما أورد فيه الأدلة السابقة ـ كما هو ظاهرٌ من السياق ـ، واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

سماع كلام الرَّحمٰن= فهذه علامات أولياء الشيطان لا علامات أولياء الرَّحمٰن.

▫ قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يسأل أحدُكم عن نفسه إلَّا القرآن، فإن كان يحبُّ القرآن[1] فهو يحب اللَّه [ورسوله]، وإن كان يُبغض القرآن فهو يبغض اللَّه ورسوله».

▫ وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لو طهرت قلوبُنا لَمَا شبعت من كلام اللَّه عز وجل».

▫ وقال ابن مسعود: «الذِّكرُ يُنبت الإيمانَ في القلب كما ينبت الماءُ البَقْل، والغناء يُنبت النفاق في القلب كما ينبت الماءُ البقل».

وإن كان الرجل خبيرًا بحقائق الإيمان الباطنة، فارقًا بين الأحوال الرحمانية والأحوال الشيطانية، فيكون قد قذف اللَّه في قلبه من نوره.

كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ[2] وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾ [الحديد].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [الشورىٰ:٥٢].

فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخُدْري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**اتقوا فراسةَ المؤمن؛ فإنه**

(١) المقصود: يحبُّ العمل بأوامره، ولا يتضجر منها، ولا يراها ثقيلةً علىٰ نفسه وقلبه. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) ﴿كِفۡلَيۡنِ﴾: أجرين؛ لإيمانكم بعيسىٰ عليه السلام، وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم.

ينظرُ بنُور اللَّه»، قال الترمذي: «حديث حسن»[(١)].

وقد تقدَّم الحديث الصحيح - الذي في البخاري وغيره - قال [ﷻ] فيه: «**لا يزالُ عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافل حتىٰ أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنت سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورِجلَه التي يمشي بها، فبي يَسمع، وبي يُبصِرُ، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذني لأُعيذنَّه، وما ترددتُ في شيءٍ أنا فاعلُه تردُّدي في قَبض نفس عبدي المؤمن؛ يكرهُ الموت، وأكره مَساءتَه،**

---

(١) **حسن - إن شاء اللَّه -:** رواه البخاري في «التاريخ» (٧/٣٥٤)، والتِّرمذي (٣١٢٧)، والطبري (٧/٥٢٨)، والخطيب في «التاريخ» (٤/٣١٣). وقال الإمام التِّرمذي: «غريب». **وضعَّفه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند التِّرمذي (٥/٣٥٤)، والشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد»، وكذلك الشيخ خلدون الأحدب في: «زوائد تاريخ بغداد علىٰ الكتب الستة» (٤/٣٤٠).

تنبيه: رأينا أن الإمام الترمذي استغربه، خلافًا ما ذكره الإمام من التحسين. وكلام الترمذي أثبتُّه من النسخة المحققة، طبعة «مؤسسة الرسالة».

وورد الحديث من رواية أبي أمامة ﵁: رواه الطبراني في «الكبير» (٨/١٠٢)، و«الأوسط» (٣٢٨٧)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٣٥٥ - تهذيبي)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١٠٠٩ - تهذيبي)، **وحسَّنه** الأئمة: الهيثمي في «المجمع» (١٠/٤٧٣)، ابن عرَّاق في «تنزيه الشريعة» (٢/٣٠٦)، والشوكاني في «الفوائد المجموعة» (٢٤٤)، والسيوطي في «اللآلئ» (٢/٣٣٠). **وضعَّفه** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢١/٣٣٥).

وانظر: تحقيق «الطرُق الحكمية في السياسة الشرعية» للإمام ابن القيم (١/٢٨ - ط: عالم الفوائد).

ولابد له منه»[(١)].

فإذا كان العبدُ من هؤلاء فَرَّق بين حال أولياء الرَّحمٰن وأولياء الشيطان، كما يفرِّق الصَّيرفيُّ[(٢)] بين الدرهم الجيد والدرهم الزَّيْف، وكما يفرِّق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الرديء، وكما يفرق من يعرف الفروسية بين الشجاع والجبان، وكما أنه يجب الفرق بين النبيِّ الصادق وبين المتنبئ الكذاب، فيفرِّق بين محمد الصادق الأمين رسول رب العالمين وموسىٰ والمسيح... وغيرهم، وبين مسيلِمة الكذاب، والأسود العَنْسي، وطُليحة الأسدي، والحارث الدمشقي، وباباه الرُّومي، وغيرهم من الكذَّابين، وكذلك يفرِّق بين أولياء اللَّه المتقين وأولياء الشيطان الضالين.

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.
(٢) **الصَّيرفي**: الخبير بالأموال.



فصل



والحقيقة ـ حقيقة الدين، دين رب العالمين ـ: هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وإن كان لكلٍّ منهم شِرعةٌ ومنهاج.

فـ«**الشرعة**»: هي الشريعة.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية].

و«**المنهاج**»: هو الطريق، قال تعالىٰ: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا[(١)] ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ[(٢)] وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا[(٣)] ﴿١٧﴾﴾ [الجن].

فالشرعة بمنزلة الشريعة للنهر، والمنهاج هو الطريق الذي يُسلَكُ فيه، والغاية المقصودة هي حقيقة الدين، وهي عبادة اللَّه وحده لا شريك له، وهي حقيقة دين الإسلام؛ فإن دين الإسلام هو أن يستسلم العبد للَّه رب العالمين، لا يستسلم لغيره، فمن استسلم له ولغيره كان مشركًا، واللَّهُ ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ١١٦].

ومن لم يستسلم للَّه ـ بل استكبر عن عبادته ـ كان ممن قال

---

(١) ﴿غَدَقًا﴾: كثيرًا. والمراد: عيشًا هنيئًا.

(٢) أي: لنختبرهم كيف شكرهم فيما أنعمنا عليهم.

(٣) ﴿صَعَدًا﴾: شاقًّا لا راحة فيه. عياذًا باللَّه الكريم.

اللَّه فيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر].

ودين الإسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] عام في كل زمانٍ ومكان.

فنوح وإبراهيم ويعقوب والأسباط وموسىٰ وعيسىٰ والحواريون كلهم دينهم الإسلام الذي هو عبادة اللَّه وحده لا شريك له.

قال اللَّه تعالىٰ عن نوح: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢﴾ [يونس].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾ [يونس].

وقال السحرة: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦﴾ [الأعراف].

وقال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف].

وقالت بلقيس: ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤﴾ [النمل].

وقال تعالىٰ: ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال الحواريُّون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢﴾ [آل عمران].

فدين الأنبياء واحدٌ وإن تنوَّعت شرائعهم، كما في «الصحيحين» عن النبي ﷺ قال: «**إنَّا ـ معشر الأنبياء ـ دينُنا واحد**»(١).

قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ(٢) كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ [المؤمنون].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) ﴿أَمۡرَهُم﴾: دينهم. ﴿زُبُرٗا﴾: فِرَقًا وأحزابًا.

فصل

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء اللَّه تعالىٰ: علىٰ أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء، وقد رتب اللَّه عباده السعداءَ المنعَمَ عليهم أربعَ مراتب:

فقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء].

وفي الحديث: **«ما طلعتِ الشمسُ ولا غَرَبت علىٰ أحدٍ ـ بعد النبيين والمرسلين ـ أفضلَ من أبي بكر»**[1].

وأفضل الأمم أمة محمد ﷺ:

قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢].

وقال النبيُّ ﷺ في الحديث الذي في «المسند»: **«أنتم تُوَفُّون**

(١) **ضعيف**: رواه أحمد في «الفضائل» (١٣٥)، واللالكائي في «شرح الاعتقاد» (٢٤٣٣)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٣/٣٢٥)، وفي «فضائل الخلفاء» (٩)، وعبد بن حميد (٢١٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٢٤)، والآجُرِّي في «الشريعة» (١٣٠٩)، وابن بشران في «الأمالي» (٥٨٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/٤٤٠)، وفي «الجامع لأخلاق الراوي» (١٦٨٣ ـ تهذيبي)، وفي «الرحلة في طلب الحديث» (٨١)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. **وضعَّفه** الشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد»، وكذا الشيخ وصي اللَّه عباس في تحقيق «فضائل الصحابة».

سبعين أمةً، أنتم خيرُها وأكرمُها علىٰ اللَّه»(١).

وأفضل أمة محمد ﷺ هم القرنُ الأول.

وقد ثبت عن النبي ﷺ - من غير وجهٍ - أنه قال: «**خيرُ القرون**(٢) **القرنُ الذي بعثتُ فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»(٣).

وهذا ثابت في «الصحيحين» من غير وجه.

وفي «الصحيحين»(٤) - أيضًا - عنه ﷺ أنه قال: «**لا تسبُّوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدُكم مِثلُ أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَه**(٥)».

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (٤/٤٤٧)، وفي «الفضائل» (١٧١٠)، وابن المبارك في «الزهد» (٢/١١٤)، وعبدالرزاق في «المصنَّف» (٤٨)، والتِّرمذي (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٧)، والدارمي (٢٨٠٢)، وعبد بن حميد (٤٠٩)، والحاكم (٤/٨٤)، والروياني (٩٢١)، والطبراني في «الكبير» (١٩/٤١٩)، وفي «الأوسط» (١٤١٥)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٩/٨)، من حديث معاوية بن حَيدة رضي الله عنه، **وحسَّنه** الترمذي، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٣/٢١٩)، والشيخ الألباني عند الترمذي.

(٢) أفاد شيخنا أبو إسحاق الحويني - حفظه اللَّه - أنه لم يثبت في طرق الحديث لفظ: «**القرون**»، وإنما الصحيح لفظ: «**الناس**».

(٣) رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

(٤) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) **المُدُّ**: إناء مكعبٌ معلوم. **النصيف**: النصف.

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل من سائر الصحابة:

قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

والسابقون الأولون: الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والمراد بالفتح صلح الحديبية؛ فإنه كان أولَ فتح مكة، وفيه أنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح]، فقالوا: يا رسول اللَّه، أوَ فَتحٌ هو؟! قال: «**نعم**»(١).

وأفضل السابقين الأولين الخلفاء الأربعة، وأفضلهم أبو بكر ثم عمر، وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ وأئمة الأمة وجماهيرها، وقد دلت علىٰ ذلك دلائل بسطناها في «منهاج أهل السنة النبوية، في نقض كلام أهل الشيعة والقدرية».

وبالجملة: اتفقت طوائف السنة والشيعة علىٰ أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها واحدٌ من الخلفاء، ولا يكون مَن بعد الصحابة أفضل مِن الصحابة.

وأفضل أولياء اللَّه تعالىٰ أعظمُهم معرفةً بما جاء به الرسول ﷺ

= والمراد: أن القليل الذي ينفقه الصحابيُّ رضي الله عنه خيرٌ من الكثير الذي ينفقه غيره؛ فهم الذين بنَوا الإسلام، وشيَّدوا أركانه، ويكفيهم فضلًا عن هذا شرفُ الصحبة التي لا ينافسهم فيها أحدٌ مهما كان رضي الله عنهم.

(١) رواه البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥)، من حديث سهل بن حُنيف رضي الله عنه.



واتباعًا له، كالصحابة الذين هم أكمل الأمة في معرفة دينه واتباعه، وأبو بكر الصديق أكملُ معرفةً بما جاء به وعملًا به، فهو أفضل أولياء اللَّه؛ إذ كانت أمة محمد ﷺ أفضلَ الأمم، وأفضلها أصحاب محمد ﷺ، وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه.

وقد ظن طائفةٌ غالطةٌ أن «خاتم الأولياء» أفضل الأولياء قياسًا علىٰ خاتم الأنبياء، ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء إلا محمد بن علي الحكيم الترمذي، فإنه صنَّف مصنفًا غلط فيه في مواضع، ثم صار طائفةٌ من المتأخرين يزعم كلُّ واحد منهم أنه خاتم الأولياء، ومنهم من يدعي أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم باللَّه، وأن الأنبياء يستفيدون العلم باللَّه من جهته ـ كما يزعم ذلك ابن عربي صاحب كتاب «الفتوحات المكية» وكتاب «الفصوص» ـ؛ فخالف الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء اللَّه تعالىٰ وأوليائه، كما يقال لمن قال: «فخرَّ عليهم السقف من تحتهم»: لا عقل ولا قرآن!

ذلك أن الأنبياء أفضل في الزمان من أولياء هذه الأمة، والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام أفضل من الأولياء، فكيف الأنبياء كلهم؟ والأولياء إنما يستفيدون معرفة اللَّه ممن يأتي بعدهم ويدعي أنه خاتم الأولياء، وليس آخِرُ الأولياء أفضلهم، كما أن آخر الأنبياء أفضلهم؛ فإن فضل محمد ﷺ علىٰ سائر الأنبياء ثبت بالنصوص الدالة علىٰ ذلك.

كقوله ﷺ: «**أنا سيدُ ولد آدم ولا فخرَ**»[(١)].

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/٢٨٢) ـ واللفظ له ـ، والطيالسي (٢٧١١)، وابن أبي شيبة (١٤/١٣٥)، وعبد بن حميد (٦٩٥)، والتِّرمذي (٣٦١٦)، وأبو =

وقوله: «**آتي بابَ الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: مَن أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرتُ ألَّا أفتح لأحدٍ قبلَك**»(١).

وليلة المعراج رفع اللَّه درجته فوق الأنبياء كلهم؛ فكان أحقَّهم بقوله تعالىٰ: ﴿**تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ**﴾ [البقرة: ٢٥٣]، إلىٰ غير ذلك من الدلائل.

والأنبياءُ كلٌّ منهم يأتيه الوحي من اللَّه، لا سيما ومحمد ﷺ لم يكن في نبوته محتاجًا إلىٰ غيره؛ فلم تحتج شريعته إلىٰ نبيٍّ سابق ولا إلىٰ لاحق، بخلاف المسيح أحالهم في أكثر الشريعة علىٰ التوراة، وشريعة التوراة جاء المسيح يكمِّلها؛ ولهذا كان النصارىٰ محتاجين إلىٰ النبوات المتقدمة علىٰ المسيح ـ كالتوراة والزبور وتمام الأربع وعشرين نبوة ـ، وكان الأممُ قبلنا محتاجين إلىٰ محدَّثين، بخلاف أمة محمد ﷺ؛ فإن اللَّه أغناهم به؛ فلم يحتاجوا معه إلىٰ نبي ولا إلىٰ محدَّث؛ بل جَمَع له من الفضائل والمعارف والأعمال الصالحة ما فرَّقه في غيره من الأنبياء؛ فكان ما فضَّله اللَّه به(٢): بما أنزله

= يعلىٰ (٢٣٢٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/٤٨١)، من حديث عبداللَّه بن عباس رضي الله عنهما، ضمن حديث طويل. **واستغربه** الترمذي، **وضعَّفه** الشيخ الألباني عنده، بينما **حسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٤/٣٣٢).

وجملة المتن **صحيحة بلا ريب**، وقد رواها مسلم (٢٢٧٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، دون قوله: «**ولا فخر**»، وكذا مع تقييدها بـ«يوم القيامة».

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) في المطبوع و«مجموع الفتاوىٰ» (١١/٢٢٤) زيادة: «من اللَّه». والمثبت =

إليه، وأرسله إليه، لا بتوسُّط بشر.

وهذا بخلاف الأولياء؛ فإن كل من بلغه رسالةُ محمد ﷺ لا يكون وليًّا للَّه إلا باتباع محمد ﷺ، وكلُّ ما حصل له من الهدىٰ ودين الحق هو بتوسُّط محمد ﷺ، وكذلك من بَلَغه رسالةُ رسولٍ إليه لا يكون وليًّا للَّه إلا إذا اتبع ذلك الرسولَ الذي أُرسل إليه.

ومَن ادعىٰ أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ مَن له طريقٌ إلىٰ اللَّه لا يحتاج فيه إلىٰ محمد= فهذا كافرٌ ملحد، وإذا قال: «أنا محتاج إلىٰ محمد في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة»؛ فهو شر من اليهود والنصارىٰ الذين قالوا: «إن محمدًا رسولٌ إلىٰ الأميين دون أهل الكتاب»؛ فإن أولئك آمنوا ببعضٍ وكفروا ببعض؛ فكانوا كفارًا بذلك، وكذلك هذا الذي يقول: «إن محمدًا بُعث بعلم الظاهر دون علم الباطن» آمن ببعض ما جاء به، وكفر ببعض؛ فهو كافرٌ، وهو أكفر من أولئك؛ لأن علم الباطن - الذي هو عِلم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها - هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة.

فإذا ادعىٰ المدعي أن محمدًا ﷺ إنما عَلَّم هذه الأمور الظاهرة دون حقائق الإيمان، وأنه لا يأخذ هذه الحقائقَ عن الكتاب والسنة، فقد ادعىٰ أن بعض الذي آمن به - مما جاء به الرسول - دون البعض الآخر، وهذا شرٌّ ممن يقول: «أُومِنُ ببعض، وأكفر ببعض»، ولا يدعي أن هذا البعض الذي آمن به أدنىٰ القسمين.

= من بعض مطبوعات الكتاب.

وهؤلاء الملاحدة يدَّعون أن «الولاية» أفضل من «النبوة»، ويلبِّسون علىٰ الناس فيقولون: «ولايته أفضل من نبوته»، ويُنشدون:

مقامُ النبوَّةِ في برزخٍ فُويقَ الرسولِ ودون الولي

ويقولون: «نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته»، وهذا من أعظم ضلالهم؛ فإن ولاية محمد لم يماثله فيها أحد ـ لا إبراهيم ولا موسىٰ ـ، فضلًا عن أن يماثله هؤلاء الملحدون.

وكل رسول نبيٌّ، وكلُّ نبيٍّ وليٌّ، فالرسول نبي وليٌّ، ورسالته متضمنة لنبوته، ونبوته متضمنة لولايته[(١)]، وإذا قدَّروا مجرد إنباء اللَّه إياه بدون ولايته للَّه فهذا تقديرٌ ممتنِع؛ فإنه حالَ إنباء اللَّه إياه ممتنعٌ أن يكون إلا وليًّا للَّه، فلا تكون نبوةً مجردة عن ولايته، ولو قُدرت مجردةً لم يكن أحدٌ مماثلًا للرسول في ولايته.

وهؤلاء قد يقولون ـ كما يقول صاحب «الفصوص» ابن عربي ـ: «إنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه المَلَك الذي يوحي به إلىٰ الرسول»؛ وذلك أنهم اعتقدوا عقيدة ملاحدة المتفلسفة، ثم أخرجوها في قالب المكاشفة؛ وذلك أن المتفلسفة الذين قالوا: «إن الأفلاك قديمةٌ أزلية لها علةٌ تتشبَّه بها» ـ كما يقوله أرسطو وأتباعه ـ؛ أو: «لها موجب بذاته» ـ كما يقوله متأخروهم كابن سينا وأمثاله ـ، ولا يقولون: إن الرب خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ولا خلق الأشياء بمشيئته وقدرته، ولا يعلم الجزئيات؛ بل إما أن ينكروا علمَه مطلقًا ـ كقول أرسطو ـ، أو يقولوا: «إنما

---

(١) جاء في النسخة المحققة هنا هذه العبارة: «فكيف يكون ولايته المتضمنة في نبوته أفضل من نبوته الداخلة لولايته؟» اهـ.

يعلم في الأمور المتغيِّرة كلياتها» ـ كما يقوله ابن سينا ـ. وحقيقة هذا القول إنكار علمه بها؛ فإن كل موجود في الخارج فهو معيَّن جزئي، والأفلاك كلَّ معيَّنٍ منها جزئي، وكذلك جميع الأعيان وصفاتها وأفعالها، فمن لم يعلم إلا الكليات لم يعلم شيئًا من الموجودات، والكليات إنما توجد كلياتٍ في الأذهان لا في الأعيان.

والكلام علىٰ هؤلاء مبسوط في موضع آخر في «درء تعارض العقل والنقل» وغيره؛ فإنَّ كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارىٰ، بل ومشركي العرب؛ فإن جميع هؤلاء يقولون: إن اللَّه خلق السماوات والأرض، وإنه خلق المخلوقات بمشيئته وقدرته. وأرسطو ونحوه من المتفلسفة واليونان كانوا يعبدون الكواكب والأصنام، وهم لا يعرفون الملائكة والأنبياء، وليس في كتب أرسطو ذِكرُ شيءٍ من ذلك، وإنما غالب علوم القوم الأمور الطبيعية، وأما الأمور الإلٰهية فكلٌّ منهم فيها قليلُ الصواب كثيرُ الخطأ، واليهود والنصارىٰ بعد النسخ والتبديل أعلمُ بالإلٰهيات منهم بكثير، ولكنْ متأخروهم ـ كابن سينا ـ أرادوا أن يلفِّقوا بين كلام أولئك وبين ما جاءت به الرسل، فأخذوا أشياء من أصول الجهمية والمعتزلة، وركَّبوا منها ومن قول أولئك مذهبًا قد يعتزي إليه متفلسفةُ أهل الملل؛ وفيه من الفساد والتناقض ما قد نبَّهنا علىٰ بعضه في غير هذا الموضع.

وهؤلاء لما رأَوْا أَمْرَ الرسل ـ كموسىٰ وعيسىٰ ومحمد ﷺ ـ قد بهر العالم، واعترفوا بأن الناموس الذي بُعث به محمد ﷺ أعظمُ ناموس طَرَقَ العالم، ووجدوا الأنبياء قد ذكروا الملائكة والجن= أرادوا أن يجمعوا بين ذلك وبين أقوال سلفهم اليونان الذين هم

أبعد الخلق عن معرفة اللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأولئك قد أثبتوا عقولًا عشرةً يسمونها «المجردات» و«المفارِقات». وأصل ذلك مأخوذ من مفارقة النفس للبدن، وسمَّوا تلك «المفارقات» لمفارقتها المادة، و«مجردات» لتجردها عنها، وأثبتوا الأفلاك؛ لكل فَلَك نفسًا، وأكثرهم جعلوها أعراضًا، وبعضهم جعلها جواهر.

وهذه «المجردات» التي أثبتوها ترجع ـ عند التحقيق ـ إلىٰ أمور موجودة في الأذهان لا في الأعيان، كما أثبت أصحاب فيثاغورس «أعدادًا مجردةً»، وكما أثبت أصحاب أفلاطون «الأمثال الأفلاطونية المجردة»؛ وأثبتوا هَيُولَىٰ مجردةً عن الصورة، ومُدَّةً وخلاءً مجردين. وقد اعترف حذاقهم بأن ذلك إنما يتحقق في الأذهان لا في الأعيان، فلما أراد هؤلاء المتأخرون منهم ـ كابن سينا ـ أن يُثبت أمر النبوات علىٰ أصولهم الفاسدة، زعموا أن النبوة لها خصائص ثلاثة من اتصف بها فهو نبي:

الأول: أن تكون له قوةٌ علمية يسمونها: «القوة القدسية»، ينال بها العلم بلا تعلم.

الثاني: أن يكون له قوة تخيُّلية؛ تُخيِّل له ما يعقل في نفسه؛ بحيث يرىٰ في نفسه صورًا، أو يسمع في نفسه أصواتًا ـ كما يراه النائم ويسمعه ـ، ولا يكون لها وجودٌ في الخارج، وزعموا أن تلك الصور هي ملائكة اللَّه، وتلك الأصوات هي كلام اللَّه تعالىٰ.

الثالث: أن يكون له قوةٌ فعَّالةٌ يؤثر بها في هَيُولَىٰ العالم، وجعلوا معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء وخوارق السحرة هي من قوىٰ النفس، فأقروا من ذلك بما يوافق أصولهم من قلب العصا حيةً، دون انشقاق القمر ونحو ذلك، فإنهم ينكرون وجود هذا.

وقد بسطنا الكلام علىٰ هؤلاء في مواضع، وبيَّنا أن كلامهم هذا أفسد الكلام، وأن هذا الذي جعلوه من خصائص النبي يحصل ما هو أعظمُ منه لآحاد العامة ولأتباع الأنبياء، وأن الملائكة التي أخبرت بها الرسل أحياءٌ ناطقون أعظم مخلوقات اللَّه، وهم كثيرون، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، وليسوا عشرةً، وليسوا أعراضًا، لا سيما وهؤلاء يزعمون أن الصادر الأول هو «العقل الأول»، وعنه صدر كلُّ ما دونه، فهو عندهم ربُّ كلِّ ما سوىٰ اللَّه، وكذلك كل عقل ربُّ كلِّ ما دونه، و«العقل الفعَّال العاشر» ربُّ كلِّ ما تحت فلك القمر.

وهذا كله يُعلم فساده بالاضطرار من دين الرسل؛ فليس أحد من الملائكة مبدعٌ لكل ما سوىٰ اللَّه. وهؤلاء يزعمون أن العقل الأول هو المذكور في حديث يروىٰ: «**أن أولَ ما خلق اللَّه العقل، فقال له: أقبِلْ فأقبل، فقال له: أدبرْ، فأدبر، فقال: وعزتي ما خلقتُ خلقًا أكرمَ عليَّ منك، فبك آخُذُ، وبكَ أُعطي، ولك الثوابُ، وعليك العقاب**»(١).

(١) موضوع: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/٣٨١)، من حديث أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. **وضعَّفه** الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (١/٨٣).
ورواه الطبراني في «الكبير» (٣/٢٨٣)، وفي «الأوسط» (٧٢٤١)، من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. **وضعَّفه** الحافظ العراقي في الموضع السالف.
وقال الهيثمي في «المَجمع» (٨/٦٠): «رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه «الفضل بن عيسىٰ الرَّقَاشي»، وهو **مجمعٌ علىٰ ضعفه**». وكذا **ضعَّفه** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (١٦/٦٣).
والحديث مرويٌّ عن عدةٍ من الصحابة الكرام ـ منهم أبو هريرة، وابن عباس، وغيرهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم ـ، وحكم عليه **بالبطلان** شيخ الإسلام ابن تيميَّة في «مجموع الفتاوىٰ» (١/٢٤٤)، وهنا ـ أيضًا ـ كما سيأتي، وحكم عليه =

= **بالوضع** ـ أيضًا ـ في (١٧/٣٣٣)، و(١٨/٣٣٦)، و(٢٧/٢٤٢)، و(٣٥/١٣٥) من «الفتاوىٰ»، وكذا في «الرد علىٰ البكري» (٢/٢٧٥)، وحكم عليه الشوكاني ـ أيضًا ـ **بالبطلان** في «الفوائد المجموعة» (٤٧). وقال الصَّغاني ـ كما في «كشف الخفا» (٨٢٣) ـ: «**موضوع باتفاق**». وبنحوه قال الفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (١/١٨٩)، وقال الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤/٣١٢): «**لا يثبُتُ في هذا المتن شيءٌ**»، وقال في «الفتح» (٦/٢٨٩): «**ليس له طريقٌ تثبت**»، **وأقرَّه** المُناوي في «فيض القدير» (٤/٥١٠)، وحكم عليه **بالوضع** الشيخ الألباني في «المشكاة» (١٢).

وانظر ـ أيضًا ـ: «ضعفاء العُقيلي» (١١٦٩)، و«الكامل في الضعفاء»، لابن عدي (٢/٣٩٠) و(٦/١٣)، و«إتحاف السادة المتقين» للزبيدي (١/٧٥٠ : ٧٥٣).

تنبيه هام: قال العلَّامة ابن القيم في «المنار المنيف» (٦٦): «أحاديث العقل كلها كذب» اهـ.

وقال الإمام العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ: الأحاديثُ التي ذكرها المصنِّفُ (يعني الغزالي في «الإحياء») في العقل كلُّها ضعيفة، وتعبيرُ المصنِّف في بعضها بصيغة «الجزم» مما يُنكَرُ عليه، وبالجملة فقد قال غيرُ واحد من الحفاظ: «**إنه لا يصحُّ في العقل حديثٌ**» اهـ. ذكره العلَّامة الزبيدي في خاتمة كتاب «العلم» من «الإتحاف» (١/٧٨٧).

وقال الحافظ ابن حجر عن أحاديث «العقل» التي رواها «داود بن المُحبَّر»: «أودعها الحارث بن أبي أسامة في «مسنده»، وهي **موضوعةٌ كلها**، لا يَثبت منها شيء» اهـ «المطالب العالية» (٣/١٣).

وقال الزيلعي ـ عن جزء داود بن المحبَّر في العقل ـ: «هو جزءٌ لطيف، رواه بإسناده المذكور، ورأيت في حاشيةٍ عليه بخط بعض الفضلاء: قال عبدالغني: قال الدَّارَقُطْني: كتابُ «العقل» وضعه أربعة: وضعه مَيْسرةُ بنُ عبدربِّه، ثم سرقه دواذُ بنُ المُحبَّر منه، فركَّبه بأسانيدِ غيرِ =

ويسمونه ـ أيضًا ـ: «القلم»؛ لما روي: «**إن أول ما خلق اللَّه القلم**...» الحديث، رواه الترمذي[(١)].

والحديث الذي ذكروه في العقل كذبٌ موضوع عند أهل المعرفة بالحديث، كما ذكر ذلك أبو حاتم البُستي والدَّارقُطني وابن الجوزي وغيرهم، وليس في شيء من دواوين الحديث التي يُعتمد عليها، ومع هذا فلفظه ـ لو كان ثابتًا ـ حجةٌ عليهم، فإن لفظه: «**أولَ ما خلق اللَّه تعالىٰ العقل قال له**..»، ويروىٰ: «**لما خلق اللَّهُ العقلَ قال له**...»، فمعنىٰ الحديث: أنه خاطبه في أولِ أوقات خلقه، ليس معناه أنه أول المخلوقات، و«أولَ» منصوب علىٰ الظرف كما في اللفظ الآخر «لمَّا»، وتمام الحديث: «**ما خلقتُ خلقًا أكرم عليَّ منك**»؛ فهذا يقتضي أنه خلق قبله غيره، ثم قال: «**فبك آخذ، وبك أُعطي، ولك الثواب، وعليك العقاب**»؛ فذكر أربعة أنواع من الأعراض، وعندهم أن جميع جواهر العالم العلوي والسفلي صَدَر عن ذلك العقل. فأين هذا من هذا؟!

وسبب غلطهم أن لفظ «العقل» في لغة المسلمين ليس هو لفظ «العقل» في لغة هؤلاء اليونان؛ فإن «العقل» في لغة المسلمين مصدر عَقَل يَعقِل عقلًا، كما في القرآن: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك: ١٠]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ

= ميسرة، وسرقه عبدُالعزيز بن أبي رجاء، فركبه بأسانيدَ أُخَر، ثم سرقه سليمانُ بن عيسىٰ السِّجزي، وركبه بأسانيدَ أُخَر» اهـ.
وقال العلَّامة مشهور حسن آل سلمان عن «كتاب العقل» لداود: «وهو كتابٌ مكذوب» اهـ. انظر تحقيق: «المجالسة» للدِّينَوَري (٢/١٢٥).

(١) صحيح: وقد تقدم.

﴿يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦].

ويراد «بالعقل» الغريزة التي جعلها اللَّه تعالىٰ في الإنسان يعقل بها.

وأما أولئك فـ«العقل» عندهم جوهرٌ قائم بنفسه كالعاقل! وليس هذا مطابقًا للغة الرسل والقرآن. وعالَمُ الخلق عندهم ـ كما يذكره أبو حامد ـ عالم الأجسام، وأما العقول والنفوس فيسميها: «عالم الأمر»، وقد يسمي «العقول»: «عالم الجبروت»، و«النفوس»: «عالم الملكوت»؛ و«الأجسام»: «عالم المُلك»! ويظنُّ مَن لم يعرف لغة الرسل ولم يعرف معنىٰ الكتاب والسنة أن ما في الكتاب والسنة من ذكر المُلك والملكوت والجبروت موافق لهذا، وليس الأمر كذلك.

وهؤلاء يُلبِّسون علىٰ المسلمين تلبيسًا كثيرًا، كإطلاقهم أن «الفَلَك» محدَث ـ أي معلول ـ، مع أنه قديمٌ عندهم، والمحدَث لا يكون إلا مسبوقًا بالعدم، وليس في لغة العرب ولا في لغة أحدٍ أنه يسمىٰ القديم الأزلي: «مُحدِثًا»، واللَّهُ قد أخبر أنه خالقُ كل شيء، وكل مخلوق فهو محدَث، وكل محدَث كائنٌ بعد أن لم يكن، لكنْ ناظَرَهم بعض أهل الكلام ـ من الجهمية والمعتزلة ـ مناظرةً قاصرةً لم يعرفوا بها ما أخبرت به الرسل، ولا أحكموا فيها قضايا العقول، فلا للإسلام نصروا، ولا للأعداء كسروا، وشاركوا أولئك في بعض قضاياهم الفاسدة، ونازعوهم في بعض المعقولات الصحيحة، فصار قصور هؤلاء في العلوم السمعية والعقلية من أسباب قوة ضلال أولئك، كما قد بُسط في غير هذا الموضع.

وهؤلاء المتفلسفة قد يجعلون جبريل هو الخيال الذي يتشكل في نفس النبي ﷺ، والخيالُ تابع للعقل، فجاء الملاحدة المتصوفة

ـ الذين شاركوا هؤلاء الملاحدة المتفلسفة ـ، وزعموا أنهم أولياء اللَّه، وأن أولياء اللَّه أفضل من أنبياء اللَّه، وأنهم يأخذون عن اللَّه بلا واسطة ـ كابن عربي صاحب «الفتوحات» و«الفصوص» ـ، فقال: إنه يأخذ من المعدن الذي أخذ منه المَلَك الذي يوحي به إلىٰ الرسول! و«المعدن» عنده هو العقل، و«المَلَك» هو الخيال، و«الخيال» تابع للعقل، وهو ـ بزعمه ـ يأخذ عن العقل الذي هو أصل الخيال، والرسول يأخذ عن الخيال؛ فلهذا صار عند نفسه فوق النبي!

ولو كان خاصةَ النبي ما ذكروه لم يكن هو من جنسه ـ فضلًا عن أن يكون فوقه ـ، فكيف وما ذكروه يحصُل لآحاد المؤمنين؟! والنبوة أمر وراء ذلك؛ فإن ابن عربي وأمثاله وإنِ ادَّعَوْا أنهم من الصوفية، فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة، ليسوا من صوفية أهل الكلام[(١)]، فضلًا عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة؛ كالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبداللَّه التُّستري، وأمثالهم ـ رضوان اللَّه عليهم أجمعين ـ.

واللَّه ﷻ قد وصف الملائكة في كتابه بصفاتٍ تُباين قول هؤلاء: كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ[(٢)] وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن

(١) في بعض النسخ: «صوفية أهل العلم».
(٢) أي: لا يتقدمون عليه ﷻ بالقول، ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم به.

يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ[1] ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء].

وقد أخبر أن الملائكة جاءت لإبراهيم عليه السلام في صورة البشر، وأن المَلَك تمثَّل لمريم بشرًا سويًّا، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبيَّ ﷺ في صورة دحية الكلبي، وفي صورة أعرابي، ويراهم الناسُ كذلك.

وقد وصف اللَّه تعالىٰ جبريل عليه السلام بأنه ذو قوة عند ذي العرش مكين، مطاعٌ ثَمَّ أمين، وأن محمدًا ﷺ رآه بالأفق المبين، ووصفه بأنه ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ[2] ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم].

وقد ثبت في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ «أنه لم

(١) ﴿يَسْتَحْسِرُونَ﴾: يتعبون.
(٢) ﴿مِرَّةٍ﴾: قوةٍ وشدةٍ في الخَلْق. وقيل: الحُسن والجمال.

يَرَ جبريلَ في صورته التي خُلق عليها غير مرتين»[1]. يعني المرة الأولىٰ بالأفق الأعلىٰ، والمرة الأخرىٰ عند سدرة المنتهىٰ.

ووصف جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في موضع آخر بأنه الروح الأمين، وأنه روح القدس، إلىٰ غير ذلك من الصفات التي تبيِّن أنه من أعظم مخلوقات اللَّه تعالىٰ الأحياء العقلاء، وأنه جوهرٌ قائم بنفسه، ليس خيالًا في نفس النبي كما زعم هؤلاء الملاحدة المتفلسفة والمدَّعون ولاية اللَّه، وأنهم أعلم من الأنبياء.

وغاية تحقيق هؤلاء إنكار أصول الإيمان؛ فإن أصول الإيمان أن يؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وحقيقة أمرهم جحدُ الخالق؛ فإنهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق، وقالوا: الوجود واحد، ولم يميِّزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع؛ فإن الموجودات تشترك في مسمىٰ «الوجود»، كما تشترك الأَناسيُّ في مسمىٰ «الإنسان»، والحيوانات في مسمىٰ «الحيوان»، ولكن هذا المشتركُ الكليُّ لا يكون مشتركًا كليًّا إلا في الذهن، وإلا فالحيوانية القائمة بهذا الإنسان ليست هي الحيوانية القائمة بالفَرَس، ووجود السماوات ليس هو بعينه وجود الإنسان، فوجود الخالق جَلَّ جَلَالُهُ ليس هو كوجود مخلوقاته[2].

وحقيقة قولهم قولُ فرعون الذي عطَّل الصانع؛ فإنه لم يكن منكرًا هذا الوجودَ المشهود، لكن زعم أنه موجود بنفسه، لا صانع له، وهؤلاء وافقوه في ذلك، لكن زعموا بأنه هو اللَّه، فكانوا أضلَّ

(١) رواه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧).
(٢) في بعض النسخ: مباين لوجود مخلوقاته.

منه ـ وإن كان قوله هذا هو أظهر فسادًا منهم ـ؛ ولهذا جعلوا عُبَّاد الأصنام ما عبدوا إلا اللَّه، وقالوا: «لما كان فرعون في منصب التحكُّم صاحبَ السيف ـ وإن جار في العرف الناموسي ـ، كذلك قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، أي وإن كان الكل أربابًا بنسبة ما، فأنا الأعلىٰ منكم بما أُعطيتُه في الظاهر من الحكم فيكم». قالوا: «ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله أقروا له بذلك، وقالوا: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢﴾ [طه]، قالوا: فصح قول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، وكان فرعون عين الحق».

ثم أنكروا حقيقة اليوم الآخر، فجعلوا أهلَ النار يتنعمون كما يتنعم أهل الجنة، فصاروا كافرين باللَّه واليوم الآخر وبملائكته وكتبه ورسله، مع دعواهم أنهم خلاصةُ خاصةِ الخاصة من أهل ولاية اللَّه، وأنهم أفضل من الأنبياء، وأن الأنبياء إنما يَعرفون اللَّه من مِشْكاتهم!

وليس هذا موضعَ بسط بيان إلحاد هؤلاء؛ ولكن لما كان الكلام في أولياء اللَّه، والفرقِ بين أولياء الرَّحمٰن وأولياء الشيطان، وكان هؤلاء من أعظم الناس ادعاءً لولاية اللَّه، وهم من أعظم الناس ولايةً للشيطان= نبَّهنا علىٰ ذلك؛ ولهذا عامة كلامهم إنما هو في الحالات[(١)] الشيطانية، ويقولون ما قاله صاحب «الفتوحات»: «باب أرض الحقيقة»، ويقولون: «هي أرض الخيال». فيعترف بأن الحقيقة التي يتكلم فيها هي خيال، ومحلُّ تصرف الشيطان؛ فإن الشيطان يخيِّل للإنسان الأمور بخلاف ما هي عليه.

---

(١) في بعض النسخ: التخيُّلات.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٧ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ۝٣٨ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝٣٩﴾ [الزخرف].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝١١٦﴾، إلىٰ قوله: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٢﴾ [إبراهيم].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤٨﴾ [الأنفال].

وقد رُوي عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**أنه رأىٰ جبريل يَزَعُ الملائكة**[(١)]»[(٢)]، والشياطين إذا رأت ملائكة اللَّه التي يؤيِّد بها

---

(١) **يزعهم**: ينظم صفوفهم. «النهاية في غريب الحديث» (١٨٠/٥).

(٢) **ضعيف**: رواه مالك في «الموطأ» (١٥٩٧)، وعبدالرزاق في «المصنَّف» (٨٨٣٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١٩٣٠)، من رواية طلحة بن عبيداللَّه بن كُريز رَحِمَهُ اللَّهُ ـ ويقال: كَرِيز ـ، وفيه ضعفٌ وإرسال. **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «المشكاة» (٢٦٠٠).

وقد ورد موصولًا **بإسنادٍ ضعيف**: رواه البيهقي في «الشُّعَب» (٣٧٧٦)، =

عباده هربت منهم، واللَّهُ يؤيد عباده المؤمنين بملائكته.

قال تعالىٰ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ[1] ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران].

وهؤلاء تأتيهم أرواحٌ تخاطبهم وتتمثل لهم ـ وهي جنٌّ وشياطين ـ، فيظنونها ملائكةً، كالأرواح التي تخاطب مَن يعبُد الكواكب والأصنام، وكان أول مَن ظهر مِن هؤلاء في الإسلام: المختار بن أبي عُبيد الذي أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في «صحيحه» عن النبي ﷺ أنه قال: «**سيكون في ثقيفٍ كذّابٌ ومُبيرٌ**[2]»[3].

وكان الكذاب: المختار بن أبي عبيد، والمُبير: الحجاج بن يوسف.

= من رواية أبي الدرداء رضي الله عنه، **وضعَّفه** محققه (٤٩٨/٥ ـ الرشد).

(١) ﴿مُسَوِّمِينَ﴾: معلَّمين بعلامات.

(٢) **المُبير**: المهلك للناس.

(٣) رواه مسلم (٢٥٤٥)، من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

▫ فقيل لابن عمر وابن عباس: «إن المختار يزعم أنه يُنزَل إليه، فقالا: صدق، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء]».

▫ وقال ابن عباس ـ وقيل له: إن المختار يزعم أنه يوحىٰ إليه ـ، فقال: «قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]».

ومِن هذه الأرواح الشيطانية: الروح الذي يزعم صاحب «الفتوحات» أنه أَلقىٰ إليه ذلك الكتاب، ولهذا يذكر أنواعًا من الخلوات بطعام معين وحالٍ معين، وهذه مما تفتح لصاحبها اتصالًا بالجن والشياطين، فيظنون ذلك من كرامات الأولياء، وإنما هو من الأحوال الشيطانية. وأعرفُ من هؤلاء عددًا، ومنهم من كان يُحمل في الهواء إلىٰ مكانٍ بعيد ويعود، ومنهم من كان يؤتىٰ بمالٍ مسروقٍ تسرقه الشياطين وتأتيه به، ومنهم من كانت تدلُّه علىٰ السرقات بجُعْلٍ يحصلُ له من الناس، أو بعطاءٍ يُعطونه إذا دلَّهم علىٰ سرقاتهم ونحو ذلك.

ولما كانت أحوالُ هؤلاء شيطانيةً كانوا مناقضين للرسل ـ صلوات اللَّه تعالىٰ وسلامه عليهم ـ كما يوجد في كلام صاحب «الفتوحات المكية» و«الفصوص» وأشباه ذلك، يمدح الكفار مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم، ويتنقَّص الأنبياء كنوح وإبراهيم وموسىٰ وهارون وغيرهم، ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين كالجنيد ابن محمد وسهل بن عبداللَّه التُّسْتَري وأمثالهما، ويمدح المذمومين عند المسلمين كالحلاج ونحوه كما ذكره في تخلِّياته[1] الخيالية

---

(١) في بعض النسخ: «تجلياته».

الشيطانية؛ فإن الجنيد ـ قدس اللَّه روحه ـ كان من أئمة الهدىٰ:

▫ فسُئل عن التوحيد، فقال: «التوحيد: إفراد الحدوث عن القِدَم».

فبين أن التوحيد أن تميِّز بين القديم والمحدَث، أي: بين الخالق والمخلوق. وصاحب «الفصوص» أنكر هذا، وقال في مخاطبته الخيالية الشيطانية له: «يا جنيد، هل يميِّز بين المحدَث والقديم إلا من يكون غيرهما؟»، فخطَّأَ الجنيد في قوله: «إفراد الحدوث عن القدم»؛ لأن قوله هو: «إن وجود المحدَث هو عين وجود القديم».

▫ كما قال في «فصوصه»: «ومن أسمائه الحسنىٰ «العليُّ» علىٰ من؟ وما ثَمَّ إلا هو، وعن ماذا؟ وما هو إلا هو، فعُلُوُّه لنفسه، وهو ـ من حيث الوجود ـ عينُ الموجودات، فالمسمىٰ محدثاتٍ هي العليَّة لذاتها، وليست إلا هو».

▫ إلىٰ أن قال: «فهو عينُ ما بَطَن، وهو عينُ ما ظهر، وما ثم من يراه غيره، وما ثَم من ينطق عنه سواه، وهو المسمىٰ أبو سعيد الخرَّاز، وغير ذلك من الأسماء المحدثات».

فيقال لهذا الملحد: ليس من شرط المميِّز بين الشيئين بالعلم والقول أن يكون ثالثًا غيرهما؛ فإن كل واحد من الناس يميز بين نفسه وغيره، وليس هو ثالثًا، فالعبد يعرف أنه عبد، ويميز بين نفسه وبين خالقه، والخالق ﷻ يميز بين نفسه وبين مخلوقاته، ويعلم أنه ربهم وأنهم عباده، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع، والاستشهاد بالقرآن عند المؤمنين الذين يُقرُّون به باطنًا وظاهرًا.

وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه التِّلمساني منهم

ـ وهو أحذقُهم في إلحادهم[(١)] ـ لما قُرئ عليه «الفصوص»، فقيل له: «القرآن يخالف «فصوصكم»، فقال: القرآن كله شرك، وإنما التوحيد في كلامنا، فقيل له: فإذا كان الوجود واحدًا، فلم كانت الزوجةُ حلالًا والأخت حرامًا؟ فقال: الكلُّ عندنا حلال، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم».

وهذا ـ مع كُفره العظيم ـ متناقضٌ تناقضًا ظاهرًا؛ فإن الوجود إذا كان وحدًا فمَن المحجوب ومن الحاجب؟ ولهذا قال بعض شيوخهم لمريده: «من قال لك: إن في الكون سوىٰ اللَّه فقد كَذَب، فقال له مريدُه: فمن هو الذي يكذب؟»، وقالوا لآخر: «هذه مظاهر، فقال لهم: المظاهرُ غير الظاهر أم هي؟ فإن كانت غيرها فقد قلتم بالتثنية، وإن كانت هي إياها فلا فرق».

وقد بسطنا الكلام علىٰ كشف أسرار هؤلاء في موضع آخر، وبيَّنَّا حقيقة قول كلِّ واحد منهم، وأن صاحب «الفصوص» يقول: «المعدوم شيء، ووجود الحق فاض عليه»، فيفرق بين الوجود والثبوت. والمعتزلةُ الذين قالوا: «المعدوم شيء ثابت في الخارج» مع ضلالهم خيرٌ منه، فإن أولئك قالوا: «إن الرب خلق لهذه الأشياء الثابتة في العدم وجودًا ليس هو وجودَ الرب». وهذا زَعَم أن عين وجود الرب فاض عليها، فليس عنده وجودُ مخلوقٍ مباينٌ لوجود الخالق، وصاحبه الصدر القُونَوي يفرِّق بين المطلق والمعين؛ لأنه كان أقربَ إلىٰ الفلسفة، فلم يقرَّ بأن المعدوم شيء، لكن جعل الحق هو الوجود المطلق، وصنَّف «مفتاح غيب الجمع والوجود».

---

(١) في بعض النسخ: «اتحادهم».

وهذا القول أَدْخَلُ في تعطيل الخالق وعدمه؛ فإن المطلق بشرط الإطلاق ـ وهو الكلِّي العقلي ـ لا يكون إلا في الأذهان لا في الأعيان. والمطلق لا بشرط ـ وهو الكلي الطبيعي ـ وإن قيل: إنه موجود في الخارج فلا يوجد في الخارج إلا معيَّنًا، وهو جزء من المعين عند من يقول بثبوته في الخارج؛ فيلزم أن يكون وجود الرب إما منتفيًا في الخارج، وإما أن يكون جزءً من وجود المخلوقات، وإما أن يكون عينَ وجود المخلوقات. وهل يَخلق الجزءُ الكلَّ، أم يخلق الشيءُ نفسه؟ أم العدم يخلق الوجود؟ أو يكون بعض الشيء خالقًا لجميعه؟!

وهؤلاء يَفِرُّون من لفظ «الحلول» لأنه يقتضي حالًّا ومَحِلًّا، ومن لفظ «الاتحاد» لأنه يقتضي شيئين اتحد أحدهما بالآخر، وعندهم الوجودُ واحد. ويقولون: «النصارىٰ إنما كفروا لما خصُّوا المسيح بأنه هو اللَّه، ولو عمَّموا لما كفروا».

وكذلك يقولون في عُباد الأصنام: «إنما أخطؤوا لما عبدوا بعض المظاهر دون بعض»؛ فلو عبدوا الجميع لما أخطؤوا عندهم. والعارف المحقِّق عندهم لا يضره عبادةُ الأصنام.

وهذا ـ مع ما فيه من الكفر العظيم ـ ففيه ما يلزمهم دائمًا من التناقض؛ لأنه يقال لهم: فمن المخطئ؟ لكنهم يقولون: إن الرب هو الموصوف بجميع النقائص التي يوصَف بها المخلوق. ويقولون: إن المخلوقات توصف بجميع الكمالات التي يُوصف بها الخالق، ويقولون ما قاله صاحب «الفصوص»: «فالعليُّ لنفسه هو الذي يكونُ له الكمال الذي يستوعب به جميعَ النعوت الوجودية والنِّسبَ العدمية، سواءٌ كانت محمودةً عُرْفًا أو عقلًا أو شرعًا، أو مذمومةً

عرفًا وعقلًا وشرعًا، وليس ذلك إلا لمسمَّىٰ اللَّه خاصةً».

وهم - مع كفرهم هذا - لا يندفع عنهم التناقض؛ فإنه معلومٌ بالحس والعقل أن هذا ليس هو ذاك، وهؤلاء يقولون ما كان يقوله التلمساني: «إنه ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل». ويقولون: «من أراد التحقيق - يعني تحقيقهم - فليترك العقل والشرع».

وقد قلتُ لمن خاطبته منهم: معلومٌ أن كشف الأنبياء أعظمُ وأتم من كشف غيرهم، وخبرهم أصدق من خبر غيرهم، والأنبياء - صلوات اللَّه وسلامه عليهم - يخبرون بما تَعجِزُ عقول الناسُ عن معرفته، لا بما يعرف الناسُ بعقولهم أنه ممتنع، فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول، ويمتنع أن يكون في إخبار الرسول ما يناقض صريح العقول، ويمتنع أن يتعارض دليلانِ قطعيَّان، سواءٌ كانا عقليين أو سمعيين، أو كان أحدهما عقليًّا والآخر سمعيًّا، فكيف بمن ادعىٰ كشفًا يناقض صريح الشرع والعقل؟

وهؤلاء قد لا يتعمدون الكذب، لكن يخيَّل لهم أشياءُ تكون في نفوسهم ويظنونها في الخارج، وأشياء يرونها تكون موجودةً في الخارج لكن يظنونها من كرامات الصالحين، وتكون من تلبيسات الشياطين.

وهؤلاء - الذين يقولون بالوحدة - قد يقدِّمون الأولياء علىٰ الأنبياء، ويذكرون أن النبوة لم تنقطع، كما يُذكر عن ابن سبعين وغيره، ويجعلون المراتب ثلاثةً؛ يقولون: العبد يشهد أولًا طاعةً ومعصيةً، ثم طاعةً بلا معصية، ثم لا طاعة ولا معصية.

والشهود الأول: هو الشهود الصحيح، وهو الفرق بين الطاعات والمعاصي.

وأما الشهود الثاني: فيريدون به شهود القَدَر؛ كما كان بعض هؤلاء يقول: «أنا كافر بربٍّ يُعصىٰ». وهذا يزعم أن المعصية مخالَفةُ الإرادة التي هي المشيئة. والخلق كلهم داخلون تحت حكم المشيئة، ويقول شاعرهم:

أصبحتُ منفعلًا لما يختارُه   مني ففعلي كلُّه طاعاتُ

ومعلوم أن هذا خلاف ما أرسل اللَّه به رسله، وأنزل به كتبه؛ فإن المعصية التي يستحقُّ صاحبُها الذم والعقاب مخالفةُ أمر اللَّه ورسوله ﷺ، كما قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

وسنذكر الفرق بين الإرادة الكونية والدينية والأمر الكوني والديني.

وكانت هذه المسألة قد اشتبهت علىٰ طائفةٍ من الصوفية، فبيَّنها الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهم، فمن اتبع الجنيد فيها كان علىٰ السداد، ومن خالفه ضل؛ لأنهم تكلموا في أن الأمور كلَّها بمشيئة اللَّه وقدرته، وفي شهود هذا التوحيد، وهذا يسمونه «الجَمعُ الأول»، فبيَّن لهم الجنيد أنه لابد من شهود الفرق الثاني؛ وهو أنه ـ مع شهود كون الأشياء كلِّها مشتركةً في مشيئة اللَّه وقدرته وخلقه ـ، يجب الفرق بين ما يأمر به ويحبه ويرضاه، وبين ما ينهىٰ عنه ويكرهه ويَسخطه،

ويفرَّق بين أوليائه وأعدائه:

كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر].

ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أن اللَّه خالقُ كل شيء وربُّه ومليكه؛ ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا رب غيره، وهو مع ذلك أَمَر بالطاعة، ونهىٰ عن المعصية، وهو لا يحب الفساد، ولا يرضىٰ لعباده الكفر، ولا يأمر بالفحشاء، وإن كانت واقعةً بمشيئته فهو لا يحبها ولا يرضاها؛ بل يُبغضها ويذمُّ أهلها ويعاقبهم.

وأما المرتبة الثالثة: ألَّا يشهد طاعةً ولا معصيةً؛ فإنه يرىٰ أن الوجود واحد، وعندهم أن هذا غايةُ التحقيق والولاية للَّه! وهو في الحقيقة غايةُ الإلحاد في أسماء اللَّه وآياته، وغايةُ العداوة للَّه؛ فإن صاحب هذا المشهد يتخذ اليهود والنصارىٰ وسائر الكفار أولياء، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [المائدة: ٥١].

ولا يتبرأ من الشرك والأوثان، فيخرج عن ملة إبراهيم الخليل صلوات اللَّه وسلامه عليه.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ

قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال الخليل عليه السلام لقومه المشركين: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾ [الشعراء].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وهؤلاء قد صنف بعضهم كتبًا وقصائدَ علىٰ مذهبه؛ مثل قصيدة ابن الفارض المسماة بـ«نظم السلوك» يقول فيها:

لها صلاتي بالمقام أُقيمُها ... وأَشهدُ فيها أنها لي صلَّتِ
كلانا مصلٍّ واحدٌ ساجدٌ إلىٰ ... حقيقتِه بالجمع في كل سجدةِ
وما كان لي صلّىٰ سوائي ولم تكن ... صلاتي لغيري في أدا كلِّ ركعةِ

إلىٰ أن قال:

وما زلتُ إياها وإياي لم تزلْ ... ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبتِ[(١)]
إليَّ رسولًا كنتُ مني مرسِلًا ... وذاتي بآياتي عليَّ استدلتِ
فإن دُعيتُ كنتُ المجيبَ وإن أكن ... منادي أجابتْ مَن دعاني ولبَّتِ

إلىٰ أمثال هذا الكلام.

ولهذا كان هذا القائل عند الموت يُنشد ويقول:

إن كان منزلتي في الحبِّ عندكم ... ما قد لقيتُ فقد ضيعتُ أيامي

---

(١) في نسخة: «صلَّتِ».



أمنيةٌ ظفرت نفسي بها زمنًا ... واليوم أحسبُها أضغاثَ أحلامِ

فإنه كان يظن أنه هو اللَّه، فلما حضرت ملائكةُ اللَّه لقبض روحه تبيَّن له بطلانُ ما كان يظنه.

وقال اللَّه تعالىٰ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ①﴾ [الحديد]؛ فجميع ما في السماوات والأرض يسبح للَّه، ليس هو اللَّه، ثم قال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ② هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③﴾ [الحديد].

وفي «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «**اللهم ربَّ السماوات السبع وربَّ العرش العظيم، ربنا وربَّ كل شيء، فالقَ الحب والنوىٰ، منزلَ التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذُ بك من شر كل دابةٍ أنت آخذٌ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلَك شيء، وأنت الآخِرُ فليس بعدك شيء، وأنت الظاهرُ فليس فوقَك شيء، وأنت الباطنُ فليس دونَك شيء، اقض عني الدين، وأغنِني من الفقر**»(١).

ثم قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ④﴾ [الحديد].

فذكر أن السماوات والأرض - وفي موضع آخر: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ [الحجر: ٨٥] - مخلوقٌ مسبِّحٌ له، وأخبر - سبحانه - أنه يعلم كل شيء.

وأما قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ فلفظ «مع» لا تقتضي في لغة العرب أن يكون أحدُ الشيئين مختلطًا بالآخر:

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

كقوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة].

وقوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٥].

[المعيَّة العامة، والمعيَّة الخاصة]:

ولفظ «مع» جاءت في القرآن عامةً وخاصةً:

فـ**«العامة»**: في هذه الآية، وفي آية المجادلة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة]؛ فافتتح الكلام بالعلم، وختمه بالعلم.

▫ ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل: «هو معهم بعلمه».

وأما «المعية الخاصة»: ففي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل].

وقولِه تعالىٰ لموسىٰ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة: ٤٠]، يعني النبي ﷺ وأبا بكر ﵁؛ فهو مع موسىٰ وهارون دون فرعون، ومع محمد وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين.

فلو كان معنىٰ «المعية» أنه بذاته في كل مكان تناقَضَ الخبرُ الخاص والخبر العام؛ بل المعنىٰ: أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، أي: هو إلٰهُ مَن في السماوات وإلٰهُ مَن في الأرض، كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم].

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، كما فسره أئمة العلم ـ كالإمام أحمد وغيره ـ: «أنه المعبود في السماوات والأرض».

وأجمع سلف الأمة وأئمتُها علىٰ أن الرب تعالىٰ بائنٌ من مخلوقاته، يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل[(١)]، يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص، ويعلم أنه ليس كمثله شيء في صفات الكمال، كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

- قال ابن عباس: «الصَّمَد: العليم الذي كَمَل في علمه، العظيم الذي كمل في عظمته، القدير الكامل في قدرته، الحكيم الكامل في حكمته، السيد الكامل في سُؤْدُده».

- وقال ابن مسعود وغيره: «الصمد: هو الذي لا جوف له. والأحد: الذي لا نظير له».

فاسمه «الصمد» يتضمن اتصافَه بصفات الكمال ونفيَ النقائص عنه، واسمه «الأحد» يتضمن أنه لا مثيل له، وقد بسطنا الكلام علىٰ ذلك في تفسير هذه السورة، وفي كونها تعدل ثلث القرآن.

---

(١) راجع (٣٧٨/١).

فصل

وكثيرٌ من الناس تشتبه عليهم الحقائق الأمرية الدينية الإيمانية بالحقائق الخَلْقية القدرية الكونية؛ فإن اللَّه ﷻ له الخلق والأمر: كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف].

فهو ـ سبحانه ـ خالقُ كل شيء، وربُّه ومليكه، لا خالق غيره، ولا رب سواه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فكل ما في الوجود من حركة وسكون فبقضائه وقدره ومشيئته وقدرته وخلقه، وهو ـ سبحانه ـ أَمَر بطاعته وطاعة رسله، ونهىٰ عن معصيته ومعصية رسله، أمر بالتوحيد والإخلاص، ونهىٰ عن الإشراك باللَّه، فأعظمُ الحسنات التوحيد، وأعظم السيئات الشرك.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول اللَّه، أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل للَّه ندًّا وهو خلقك**»، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**أن تقتل ولدك مخافةَ أن يَطعم معك**»، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**أن تزني بحليلةِ جارك**». فأنزل اللَّه تصديق ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ



ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا[1] ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ[2] وَكَانَ

---

(١) ﴿أَثَامًا﴾: عذابًا.

(٢) كثيرٌ من الناس يظنُّ أن المقصود من الآية: أن العاصي إذا تاب تنقلب سيئاتُه أيام عصيانه إلىٰ حسنات، فيتحول الزنا والسرقة وترك الصلاة وشرب الخمر... إلخ إلىٰ حسنات بتوبته!! وهذا فهمٌ باطلٌ؛ إذ ليس في الشريعة أيُّ دليلٍ علىٰ أن المعصية تتحولُ إلىٰ حسنة - سواءٌ بالتوبة أو بغيرها -، وإلا فما علىٰ المرء إلا أن يشتد في العصيان والعدوان، ويُكثر من ألوان المخالفات، ثم بعد ذلك يتوب وينيب لتنقلب بلاياه إلىٰ حسناتٍ كأمثال الجبال! وإنما المقصود من الآية الكريمة: أن الكافر والعاصي كانت حياتُه غاصَّةً بالسيئات والمخالفات، فلما تاب جعل اللَّه تعالىٰ حياته عامرةً بالحسنات والقربات، فهكذا امتن اللَّهُ ﷻ عليه وقلب حياة السيئات إلىٰ حياة حسنات.

وأما الحديث الذي رواه مسلم (١٩٠) من حديث أبي ذرٍّ ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إني لأعلم آخرَ أهل الجنة دخولًا الجنة، وآخرَ أهل النار خروجًا منها: رجلٌ يؤتىٰ به يوم القيامة، فيقال: اعرضُوا عليه صغارَ ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها. فتُعرض عليه صغارُ ذنوبه، فيقال: عملتَ يوم كذا وكذا: كذا وكذا، وعملتَ يوم كذا وكذا: كذا وكذا، فيقول: نعم - لا يستطيع أن ينكر -، وهو مشفقٌ من كبار ذنوبه أن تُعرَضَ عليه، فيقال له: فإن لك مكانَ كلِّ سيئةٍ حسنةً، فيقول: رب، قد عملتُ أشياء لا أَراها هاهنا!**». فلقد رأيت رسول اللَّه ﷺ ضحك حتىٰ بدت نواجذه.

فهذا الحديث ليس فيه أن سيئاته بُدِّلت حسنات؛ بل محا اللَّه ﷻ عنه سيئاته، وجعل له مكان كلِّ سيئةٍ حسنةً كرمًا منه ﷻ وجودًا وإحسانًا؛ لا أن السيئات ذاتها تحولت إلىٰ حسنات، فانتبه إلىٰ هذه المسألة التي =

ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان][(١)].

وأمر ـ سبحانه ـ بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربىٰ، ونهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي، وأخبر أنه يحبُّ المتقين، ويحبُّ المحسنين، ويحب المُقسِطين، ويحب التوابين، ويحب المتطهِّرين، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنهم بنيانٌ مرصوص، وهو يكره ما نَهىٰ عنه، كما قال في سورة «سبحان»: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء].

وقد نهىٰ عن الشرك وعقوق الوالدين، وأمر بإيتاء ذي القربىٰ الحقوق، ونهىٰ عن التبذير، وعن التقتير، وأن يجعل يده مغلولةً إلىٰ عنقه[(٢)]، وأن يبسطها كل البسط[(٣)]، ونهىٰ عن قتل النفس بغير الحق، وعن الزنا، وعن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، إلىٰ أن قال: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهًا﴾، وهو ـ سبحانه ـ لا يحب الفساد، ولا يرضىٰ لعباده الكفر.

والعبد مأمورٌ أن يتوب إلىٰ اللَّه تعالىٰ دائمًا، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

وفي «صحيح البخاري» عن النبي ﷺ أنه قال: «**أيها الناس، توبوا إلىٰ ربكم؛ فوالذي نفسي بيده إني لأستغفرُ اللَّه وأتوبُ إليه في اليوم أكثرَ من سبعين مرةً**»[(٤)].

= غلط فيها الكثيرون. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

(١) رواه البخاري (٤٧٦١)، ومسلم (٨٦).

(٢) كنايةٌ عن البخل.

(٣) كناية عن الإسراف.

(٤) رواه البخاري (٦٣٠٧).



وفي «صحيح مسلم» عنه ﷺ أنه قال: «**إنه لَيُغانُ علىٰ قلبي**[(١)]، **وإني لأستغفر اللَّه في اليوم مئةَ مرة**»[(٢)].

وفي السنن عن ابن عمر قال: كنا نَعُدُّ لرسول اللَّه ﷺ في المجلس الواحد يقول: «**ربِّ اغفر لي وتب عليَّ؛ إنك أنت التواب الرحيم**»، مئة مرة. أو قال: أكثرَ من مئة مرة[(٣)].

---

(١) قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله ﷺ: «**إنه ليُغانُ علىٰ قلبي**»: قال أهل اللغة: الغَيْن ـ بالغين المعجمة ـ والغيم بمعنًىٰ، والمراد هنا: ما يتغشَّىٰ القلب. قال القاضي [عياض]: **قيل**: المراد الفتراتُ والغفلاتُ عن الذِّكر الذي كان شأنُه الدوام عليه، فإذا فَتر عنه أو غفل عَدَّ ذلك ذنبًا واستغفر منه. قال: **وقيل**: هو همُّه بسبب أمَّته وما اطَّلع عليه من أحوالها بعده، فيَستغفر لهم. **وقيل**: سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمَّتِه وأمورهم، ومحاربةِ العدو ومداراته، وتأليف المؤلفة، ونحو ذلك؛ فيشتغل بذلك عن عظيم مقامه، فيراه ذنبًا بالنسبة إلىٰ عظيم منزلته، وإن كانت هذه الأمورُ من أعظم الطاعات وأفضل الأعمال؛ فهي نزولٌ عن عالي درجته ورفيع مقامه من حضوره مع اللَّه تعالىٰ ومشاهدته ومراقبته وفراغه مما سواه؛ فيستغفر لذلك. **وقيل**: يُحتمل أن هذا «الغَينَ» هو السكينة التي تغشىٰ قلبه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفتح: ١٨]، ويكون استغفارُه إظهارًا للعبودية والافتقارِ وملازمة الخشوع، وشكرًا لما أولاه. وقد قيل: خوفُ الأنبياء والملائكة خوفُ إعظام ـ وإن كانوا آمنين عذاب اللَّه تعالىٰ ـ. **وقيل**: يحتمل أن هذا الغين حالُ خشيةٍ وإعظام يَغشَىٰ القلب، ويكون استغفارُه شكرًا ـ كما سبق ـ. **وقيل**: هو شيءٌ يَعتري القلوبَ الصافيةَ مما تتحدث به النفس، واللَّهُ أعلم» اهـ. «شرح صحيح مسلم» (تحت الحديث ٢٧٠٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٢)، من حديث الأغرِّ المُزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢/٢١)، الطيالسي (٢٠٥٠)، وابن أبي شيبة (١٠/ =

وقد أمر اللَّه ـ سبحانه ـ عباده أن يختموا الأعمال الصالحات بالاستغفار:

فكان النبي ﷺ إذا سلَّم من الصلاة يستغفر ثلاثًا، ويقول: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**». كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عنه[(١)].

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ١٧﴾ [آل عمران]، فأمرهم أن يقوموا بالليل، ويستغفروا بالأسحار.

وكذلك ختم سورة المزمل ـ وهي سورة قيام الليل ـ بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ٢٠﴾ [المزمل].

وكذلك قال في الحج: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ

= ٢٩٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦١٨)، وعبد بن حميد (٧٨٦)، أبو داود (١٥١٦)، والتِّرمذي (٣٤٣٤)، وابن ماجه (٣٨١٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٢١٩)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٤٥٨)، والبغوي (١٢٨٩)، وابن السني في «عمل اليوم» (٣٧٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٢/٥)، وابن حِبَّان (٩٢٧)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٦٣٢)، والطبراني في «الكبير» (١٢/٤١٦)، وفي «الأوسط» (٦٢٦٧)، وفي «الدعاء» (١٨٢٤).
وقال الترمذي: «**حسن صحيح غريب**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عنده، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٩/٣٩٩)، وكذا عند أبي داود (٢/٦٢٧).
تنبيه: جُلُّ السابقين رَوَوُا الحديث بلفظ: «**التواب الغفور**»، وبعضهم: «**التواب الرحيم**».

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة].

بل أنزل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في آخر الأمر - لما غزا النبيُّ ﷺ غزوة تبوك، وهي آخر غزواته -: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة]، وهي آخر ما نزل من القرآن.

وقد قيل: إن آخر سورة نزلت قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر].

فأمره تعالىٰ أن يختم عمله بالتسبيح والاستغفار.

وفي «الصحيحين» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربَّنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**». يتأوَّلُ القرآن(١).

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ أنه كان يقول: «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلمُ به مني. اللهم اغفر لي هَزْلي وجِدِّي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمتُ وما أخَّرت، وما أسررتُ وما أعلنت، لا إلٰه إلا أنت**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤).

(٢) رواه البخاري (٦٣٩٨)، ومسلم (٢٧١٩)، من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي «الصحيحين» أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول اللَّه، علِّمْني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: «**قل: اللهم إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت؛ فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني؛ إنك أنت الغفورُ الرحيم**»(١).

وفي السنن عن أبي بكر رضي الله عنه قال: يا رسول اللَّه، علمني دعاءً أدعو به إذا أصبحتُ وإذا أمسيت، فقال: «**قل: اللهم فاطرَ السماواتِ والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، ربَّ كل شيء ومَلِيكَه، أشهد ألَّا إلٰه إلا أنت، أعوذ بك من شرِّ نفسي، ومن شرِّ الشيطان وشِرْكه**(٢)**، وأن أقترفَ علىٰ نفسي سوءً، أو أجرَّه إلىٰ مسلم. قُلْهُ إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مَضْجَعَك**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥)، من حديث الصدِّيق رضي الله عنه.

(٢) وضُبطت ـ أيضًا ـ: «**وشَرَكِه**»، وهو الفخ والمصيدة.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (١/٩)، وابن السني في «عمل اليوم» (٧٢٧)، وابن منده في «التوحيد» (٢٠٠). **وحسنه لغيره** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (١/٢٤٣).

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه: رواه أحمد (٢/٢٩٧)، والطيالسي (٩)، وابن أبي شيبة (١٠/٢٣٧)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (١٣٨)، وأبو داود (٥٠٦٧)، والتِّرمذي (٣٣٩٢)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٧٦٤٤)، وفي «عمل اليوم والليلة» (١١)، والدارمي (٢٦٨٩)، والطبراني في «الدعاء» (٢٨٨)، وابن السني في «عمل اليوم» (٤٥)، وابن حبان (٩٦٢)، والحاكم (١/٥١٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٩)، وفي «الدعوات الكبير» (٢٩)، والخطيب في «التاريخ» (١١/١٦٧). وقال الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الحاكم، **وأقرَّه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» =



فليس لأحدٍ أن يظن استغناءه عن التوبة إلىٰ اللَّه والاستغفار من الذنوب؛ بل كل أحدٌ محتاج إلىٰ ذلك دائمًا.

قال اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب].

فالإنسان ظالمٌ جاهل، وغاية المؤمنين والمؤمنات التوبة، وقد أخبر اللَّه تعالىٰ في كتابه بتوبة عباده الصالحين ومغفرته لهم.

وثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**لن يدخلَ الجنةَ أحدٌ بعمله**»، قالوا: ولا أنت ـ يا رسول اللَّه ـ؟ قال: «**ولا أنا، إلَّا أن يتغمدنيَ اللَّهُ برحمةٍ منه وفضل**»[(١)].

وهذا لا ينافي قوله تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة]؛ فإن الرسول نفىٰ باء المقابلة والمعادلة[(٢)]، والقرآنَ أثبت باء السبب.

▫ وقولُ من قال: «إذا أحب اللَّه عبدًا لم تضرَّه الذنوب».

معناه: أنه إذا أحب عبدًا ألهمه التوبةَ والاستغفار؛ فلم يُصِرَّ علىٰ الذنوب. ومن ظن أن الذنوب لا تضر من أصرَّ عليها فهو ضالٌّ مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة؛ بل من يعمل مثقال ذرةٍ خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره.

= (٣٤١/١٣).

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) يعني المساواة؛ فإن الأعمال مهما بلغت لا تساوي ذرةً في الجنة.

وإنما عباده الممدوحون هم المذكورون في قوله تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ [آل عمران].

ومن ظن أن القَدَر حجةٌ لأهل الذنوب فهو من جنس المشركين الذين قال اللَّه تعالىٰ عنهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ﴾، قال اللَّه تعالىٰ ردًّا عليهم: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام].

ولو كان القدرُ حُجةً لأحدٍ لم يعذِّبِ اللَّهُ المكذِّبين للرسل ـ كقوم نوح وعاد وثمود والمؤتفكات[(١)] وقوم فرعون ـ، ولم يأمر بإقامة الحدود علىٰ المعتدين. ولا يحتجُّ أحدٌ بالقدر إلا إذا كان متبعًا لهواه بغير هدًىٰ من اللَّه، ومن رأىٰ القدر حجةً لأهل الذنوب يرفع عنهم الذمَّ والعقاب؛ فعليه ألا يذمَّ أحدًا ولا يعاقبه إذا اعتدىٰ عليه؛ بل يستوي عنده ما يوجب اللذة وما يوجب الألم، فلا يفرِّق بين من يفعل معه خيرًا وبين من يفعل معه شرًّا! وهذا ممتنع طبعًا وعقلًا وشرعًا.

وقد قال تعالىٰ: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي

(١) **المؤتفكات**: قوم لوط ـ عليهم لعائن اللَّه ـ.

ﭐلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [القلم].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالىٰ: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة]، أي: مهملًا لا يُؤمر ولا يُنهىٰ.

وقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**احتج آدمُ وموسىٰ؛ قال موسىٰ: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك اللَّه بيده، ونَفَخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، لماذا أخرجتنا ونفسَك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسىٰ الذي اصطفاك اللَّه بكلامه، وكتب لك التوراة بيده، فبكم وجدت مكتوبًا عليَّ قبل أن أُخلق:** ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه]**؟ قال: بأربعين سنة، قال: فلِمَ تلومُني علىٰ أمر قدَّره اللَّه عليَّ قبل أن أُخلق بأربعين سنة؟ قال: فحجَّ آدمُ موسىٰ**»(١). أي: غلبه بالحُجة.

وهذا الحديث ضلت فيه طائفتان:

- طائفة كذَّبت به لما ظنوا أنه يقتضي رفعَ الذمِّ والعقاب عمن عصىٰ اللَّه لأجل القَدَر.

- وطائفة شرٌّ من هؤلاء؛ جعلوه حجةً، وقد يقولون: القدر حجة لأهل الحقيقة الذين شهدوه، أو الذين لا يَرَون أن لهم فعلًا.

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

- ومن الناس من قال: إنما حج آدمُ موسىٰ لأنه أبوه، أو لأنه كان قد تاب، أو لأن الذنب كان في شريعةٍ واللوم في أخرىٰ، أو لأن هذا يكون في الدنيا دون الأخرىٰ.

وكل هذا باطل.

ولكنْ وَجهُ الحديث: أن موسىٰ عليه السلام لم يَلُم أباه إلا لأجل المصيبة التي لحقتهم من أجل أكله من الشجرة، فقال له: «لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟»، لم يلُمْه لمجرد كونه أذنب ذنبًا وتاب منه؛ فإن موسىٰ يعلم أن التائب من الذنب لا يُلام، وهو قد تاب منه - أيضًا -، ولو كان آدم يعتقد رفع الملام عنه لأجل القدر لم يقل: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف].

والمؤمنُ مأمورٌ عند المصائب أن يصبر ويسلِّم، وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]؛ فأمره بالصبر علىٰ المصائب، والاستغفار من المعائب.

وقال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

▫ قال ابن مسعود: «هو الرجل تصيبُه المصيبة؛ فيعلم أنها من عند اللَّه، فيرضىٰ ويُسلِّم».

فالمؤمنون إذا أصابتهم مصيبة - مثل المرض والفقر والذل - صبروا لحكم اللَّه - وإن كان ذلك بسبب ذنب غيرهم -، كمن أنفق أبوه ماله في المعاصي فافتقر أولاده لذلك، فعليهم أن يصبروا لما أصابهم، وإذا لاموا الأب لحظوظهم ذُكر لهم القدر.



والصبر واجبٌ باتفاق العلماء، وأعلىٰ من ذلك الرضا بحكم اللَّه.

والرضا قد قيل: إنه واجب، وقيل: هو مستحب، وهو الصحيح، وأعلىٰ من ذلك أن يشكر اللَّهَ علىٰ المصيبة لما يرىٰ من إنعام اللَّه عليه بها، حيث جعلها سببًا لتكفير خطاياه، ورفع درجاته، وإنابته وتضرعه إليه، وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين.

وأما أهل الغَيِّ والضلال فتجدهم يحتجون بالقدر إذا أذنبوا واتبعوا أهواءهم، ويضيفون الحسنات إلىٰ أنفسهم إذا أنعم اللَّهُ عليهم بها.

- كما قال بعض العلماء: «أنت عند الطاعة قَدَري، وعند المعصية جبري، أيَّ مذهب وافق هواك تمذهبت به».

وأهل الهدىٰ والرشاد إذا فعلوا حسنةً شَهِدوا إنعام اللَّه عليهم بها، وأنه هو الذي أنعم عليهم، وجعلهم مسلمين، وجعلهم يقيمون الصلاة، وألهمهم التقوىٰ، وأنه لا حول ولا قوة إلا به؛ فزال عنهم بشهود القدر العُجْبُ والمَنُّ والأذىٰ، وإذا فعلوا سيئةً استغفروا اللَّه، وتابوا إليه منها.

ففي «صحيح البخاري» عن شدادِ بن أوس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**سيدُ الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي؛ لا إلٰه إلا أنت، خلقتَني وأنا عبدك، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت[(١)]، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعت، أبوءُ لك[(٢)] بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي؛ فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها إذا أصبح موقنًا بها فمات من**

(١) أي: أعاهدك علىٰ الثبات علىٰ دينك قدر طاقتي.
(٢) أبوء: أعترف دومًا وأبدًا.

ليلته دخل الجنة، ومن قالها إذا أمسىٰ موقنًا بها فمات من ليلته دخل الجنة»[(١)].

وفي الحديث الصحيح عن أبي ذر ﵁، عن النبي ﷺ فيما يَروي عن ربه ﷻ أنه قال: «يا عبادي، إني حرمتُ الظلم علىٰ نفسي، وجعلته بينكم محرمًا؛ فلا تَظَالَموا.

ياعبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفرُ الذنوب جميعًا ولا أُبالي؛ فاستغفروني أغفر لكم.

يا عبادي، كلُّكم جائعٌ إلا من أطعمتُه؛ فاستطعموني أُطعِمْكم.

يا عبادي، كلُّكم عارٍ إلا من كسوتُه؛ فاستكسوني أَكسُكُم.

ياعبادي، كلُّكم ضالٌّ إلا من هديته؛ فاستهدوني أَهدِكم.

يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضرِّي فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.

يا عبادي، لو أن أوَّلَكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا علىٰ أتقىٰ قلب رجلٍ واحدٍ منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا.

يا عبادي، لو أن أوَّلَكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا علىٰ أفجر قلب رجلٍ واحدٍ منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا.

يا عبادي، لو أن أوَّلَكم وآخرَكم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيدٍ واحد، فسألوني، فأعطيت كلَّ إنسانٍ مسألتَه، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يَنقص البحرُ إذا غُمس فيه المِخيَطُ غمسةً واحدةً.

يا عبادي، إنما هي أعمالُكم أُحصيها لكم، ثم أوفِّيكم إياها، فمَن

(١) رواه البخاري (٦٣٠٦).

وَجَد خيرًا فليحمد اللَّه، ومن وجد غير ذلك فلا يَلومَنَّ إلا نفسه»[(١)].

فأمر ـ سبحانه ـ بحمد اللَّه علىٰ ما يجده العبدُ من خير، وأنه إذا وجد شرًّا فلا يلومن إلا نفسه.

 **[الحقيقة والشريعة]:**

وكثيرٌ من الناس يتكلم بلسان «الحقيقة»، ولا يفرق بين الحقيقة «الكونية القدرية» المتعلقة بخلقه ومشيئته، وبين الحقيقة «الدينية الأمرية» المتعلقة برضاه ومحبته. ولا يفرق بين من يقوم بالحقيقة الدينية موافقًا لما أمر اللَّه به علىٰ ألسُن رسله، وبين من يقوم بوَجْده وذَوْقه غير معتبرٍ ذلك بالكتاب والسنة.

كما أن لفظ «الشريعة» يتكلم به كثيرٌ من الناس، ولا يفرق بين الشرع المنزل من عند اللَّه تعالىٰ ـ وهو الكتاب والسنة الذي بعث اللَّه به رسوله؛ فإن هذا الشرع ليس لأحد من الخلق الخروج عنه، ولا يخرج عنه إلا كافر ـ، وبين الشرع الذي هو حُكمُ الحاكم[(٢)]؛ فالحاكم تارةً يصيب وتارةً يخطئ؛ هذا إذا كان عالمًا عادلًا، وإلا ففي السنن عن النبي ﷺ أنه قال: «**القضاةُ ثلاثة: قاضيان في النار، وقاضٍ في الجنة: رجلٌ علم الحق وقضىٰ به فهو في الجنة، ورجلٌ قضىٰ للناس علىٰ جهل فهو في النار، ورجلٌ علم الحق فقضىٰ بغيره فهو في النار**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) يعني القاضي.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣٥٧٣)، والتِّرمذي (١٣٢٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٥٨٩١)، وابن ماجه (٢٣١٥)، والرُّوياني في «مسنده» (٦٦)، =

وأفضلُ القضاة العالِمين العادلين سيدُ ولد آدم محمد ﷺ.

وقد ثبت عنه في «الصحيحين» أنه قال: **«إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضَكم يكون ألحَنَ بحُجته من بعض**[(١)]**، وإنما أقضىٰ بنحو مما أسمع، فمن قضيتُ له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعةً من النار»**[(٢)].

فقد أخبر سيدُ الخلق أنه إذا قضىٰ بشيء مما سمعه، وكان في الباطن بخلاف ذلك، لم يجز للمقضيِّ له أن يأخذ ما قَضَىٰ به له، وأنه إنما يقطع له به قطعةً من النار.

وهذا متفقٌ عليه بين العلماء في الأملاك المُطلَقة؛ إذا حكم الحاكم بما ظنه حجةً شرعيةً ـ كالبيِّنة والإقرار ـ، وكان الباطن بخلاف الظاهر، لم يجز للمقضيِّ له أن يأخذ ما قُضي به له بالاتفاق.

وإن حكم في العقود والفسوخ بمثل ذلك، فأكثر العلماء يقول:

= والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥٤)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٣٣٦)، والطبراني في «الكبير» (١١٥٤)، وفي «الأوسط» (٦٧٥٧)، والحاكم (٤/٩٠)، والبيهقي في الكبرىٰ (١٠/١٩٩)، و«الشعب» (٧١٢٥)، و«المعرفة» (١٤/٢٢٢)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١٣٩٤ ـ تهذيبي)، والدينوري في «المجالسة» (١٦٨٩ ـ تهذيبي)، من حديث بُريدة رضي الله عنه، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (١/٤١)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٢٩٨)، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٥/٤٢٦)، والشيخ مشهور في «المجالسة» (٤/٤٠٤).

(١) أي: أشد إقناعًا بالألفاظ.

(٢) رواه البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣)، من حديث أُمِّنا أم سلمة رضي الله عنها.

إن الأمر كذلك، وهو مذهبُ مالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وفرَّق أبو حنيفة بين النوعين.

١ ـ فلفظ «الشرع، والشريعة» إذا أريد به الكتاب والسنة = لم يكن لأحدٍ من أولياء اللَّه ولا لغيرهم أن يخرج عنه، ومن ظن أن لأحدٍ من أولياء اللَّه طريقًا إلىٰ اللَّه غيرَ متابعة محمد ﷺ باطنًا وظاهرًا فهو كافر. ومن احتج في ذلك بقصة موسىٰ مع الخضر كان غالطًا من وجهين:

أحدهما: أن موسىٰ لم يكن مبعوثًا إلىٰ الخضر، ولا كان يجبُ علىٰ الخضر اتباعُه؛ فإن موسىٰ كان مبعوثًا إلىٰ بني إسرائيل، وأما محمد ﷺ فرسالته عامةٌ لجميع الثقلين الجن والإنس، ولو أدركه مَن هو أفضل من الخضر ـ كإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ـ وجب عليهم اتباعُه، فكيف بالخضر ـ سواء كان نبيًّا أو وليًّا ـ؟! ولهذا قال الخضر لموسىٰ: «**أنا علىٰ علم مِن علم اللَّه علَّمَنيه اللَّهُ لا تَعْلَمُه، وأنت علىٰ علمٍ من علم اللَّه علَّمَكَهُ اللَّهُ لا أعلمه**»[(١)].

وليس لأحدٍ من الثقلين ـ الذين بلغتهم رسالةُ محمد ﷺ ـ أن يقول مثل هذا.

الثاني: أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفًا لشريعة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ بل كان موافقًا لها، لكن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن علم الأسباب التي تبيح ذلك، فلما بيَّنها له وافقه علىٰ ذلك؛ فإنَّ خرق السفينة ثم ترقيعها لمصلحة أهلها خوفًا من الظالم أن يأخذها إحسانٌ إليهم، وذلك جائز، وقتلَ الصائل جائز ـ وإن كان صغيرًا ـ، ومن كان تكفيره لأبويه[(٢)]

---

(١) **صحيح:** وقد تقدم.

(٢) أي: دفعهما للكفر وترك الإيمان.

لا يندفع إلا بقتله جاز قتله.

▫ قال ابن عباس ﵄ لنَجدة الحروري ـ لما سأله عن قتل الغلمان ـ، قال له: «إن كنت علمتَ منهم ما علمه الخضرُ من ذلك الغلام فاقتلهم، وإلا فلا تقتلهم». رواه البخاري[1].

وأما الإحسان إلىٰ اليتيم بلا عوض، والصبر علىٰ الجوع، فهذا من صالح الأعمال، فلم يكن في ذلك شيء مخالفًا لشرع اللَّه.

٢ ـ وأما إذا أريد بالشرع حكم الحاكم، فقد يكون ظُلمًا، وقد يكون عدلًا، وقد يكون صوابًا، وقد يكون خطأً.

٣ ـ وقد يراد بالشرع قول أئمة الفقه ـ كأبي حنيفة والثوري ومالك بن أنس والأوزاعي والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق وداود وغيرهم ـ، فهؤلاء أقوالهم يُحتج لها بالكتاب والسنة، وإذا قَلَّد المقلدُ أحدهم ـ حيث يجوز ذلك ـ كان جائزًا؛ وليس اتباع أحدهم واجبًا علىٰ جميع الأمة كاتباع الرسول ﷺ، ولا يحرم تقليدُ أحدهم كما يحرُم اتباع من يتكلم بغير علم.

وأما إن أضاف أحدٌ إلىٰ الشريعة ما ليس منها من أحاديث مفتراة، أو تأوَّل النصوصَ بخلاف مراد اللَّه ونحو ذلك، فهذا من نوع التبديل، فيجب الفرق بين الشرع المنزل، والشرع المؤوَّل، والشرع المبدَّل، كما يفرق بين «الحقيقة الكونية» و«الحقيقة الدينية الأمرية»، وبين ما يُستدل عليها بالكتاب والسنة، وبين ما يكتفىٰ فيها بذَوق صاحبها ووجده.

(١) رواه مسلم (١٨١٢)، من حديث يزيد بن هرمز. ولم أجده في البخاري.

فصل



وقد ذكر اللَّه في كتابه الفرق بين «الإرادة» و«الأمر» و«القضاء» و«الإذن» و«التحريم» و«البعث» و«الإرسال» و«الكلام» و«الجَعْل»: بين الكوني الذي خَلقه وقَدَّره وقضاه ـ وإن كان لم يأمر به، ولا يحبه، ولا يرضاه، ولا يثيب أصحابه، ولا يجعلهم من أوليائه المتقين ـ، وبين الديني الذي أمر به، وشرعه، وأحبه، ورضيه، وأحب فاعليه، وأثابهم عليه، وأكرمهم، وجعلهم من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين؛ وهذا من أعظم الفروق التي يفرَّق بها بين أولياء اللَّه وأعدائه، فمن استعمله الربُّ ﷻ فيما يحبه ويرضاه ومات علىٰ ذلك كان من أوليائه، ومن كان عمله فيما يُبغضه الرب ويكرهه ومات علىٰ ذلك كان من أعدائه.

١ ـ [الإرادة]:

فالإرادة الكونية هي مشيئته لما خلقه، وجميعُ المخلوقات داخلةٌ في مشيئته وإرادته الكونية.

والإرادة الدينية هي المتضمنة لمحبته ورضاه، المتناوِلةُ لما أمر به، وجعله شرعًا ودينًا؛ وهذه مختصةٌ بالإيمان والعمل الصالح.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وقال نوحٌ ﵇ لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ﴾ [هود: ٣٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد].

وقال تعالىٰ في الثانية: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال في آية الطهارة: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة].

ولما ذكر ما أحلَّه وما حرَّمه من النكاح قال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء].

وقال ـ لما ذكر ما أمر به أزواج النبي ﷺ وما نهاهن عنه ـ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب].

والمعنىٰ: أنه أمركم بما يُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا، فمن أطاع أمره كان مطهَّرًا قد أذهب عنه الرجس، بخلاف من عصاه.

٢ ـ وأما «الأمر»:

فقال في الأمر الكوني: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر].

وقال تعالىٰ: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

وأما الأمر الديني: فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء].

٣ ـ وأما «الإذن»:

فقال في الكوني ـ لما ذكر السِّحْر ـ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أي: بمشيئته وقُدرته، وإلا فالسحر لم يُبِحْه اللَّه عَزَّ وَجَلَّ.

وقال في الإذن الديني: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النساء: ٦٤].

وقال تعالىٰ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ[(١)] أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الحشر].

٤ ـ وأما «القضاء»:

فقال في الكوني: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة].

---

(١) **اللِّينة**: النخل كلُّه. وقيل: هي نوع منها فحسب.

وقال في الديني: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ [الإسراء: ٢٣].
أي: أَمَر، وليس المراد به: قَدَّر ذلك؛ فإنه قد عُبد غيره كما أخبر في غير موضع:

كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وقول الخليل عليه السلام لقومه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون].

وهذه كلمة تقتضي براءته من دينهم، ولا تقتضي رضاه بذلك، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [يونس].

ومن ظن من الملاحدة أن هذا رضًا منه بدين الكفار فهو من أكذب الناس وأكفرهم؛ كمن ظن أن قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ بمعنىٰ: قدَّر، وأن اللَّه ـ سبحانه ـ ما قضىٰ بشيء إلا وقع، وجعل عُبَّادَ الأصنام ما عبدوا إلا اللَّه؛ فإن هذا من أعظم الناس كفرًا بالكتب.

٥ ـ وأما لفظ «البعث»:

فقال تعالىٰ في البعث الكوني: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا

لَنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ[(١)] خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾ [الإسراء].

وقال في البعث الديني: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٦ ـ وأما لفظ «الإرسال»:

فقال في الإرسال الكوني: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا[(٢)] ﴿٨٣﴾﴾ [مريم].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الفرقان: ٤٨].

وقال في الديني: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ [نوح: ١].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [المزمل].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

٧ ـ وأما لفظ «الجَعْل»:

فقال في الكوني: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٤١].

وقال في الديني: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

---

(١) ﴿فَجَاسُواْ﴾: طافوا في أرجائها.

(٢) ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾: تدفعهم للعصيان دفعًا.

وقال تعالىٰ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ﴾ [المائدة: ١٠٣].

٨ ـ وأما لفظ «التحريم»:

فقال في الكوني: ﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ﴾ [القصص: ١٢].

وقال: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [المائدة: ٢٦].

وقال في الديني: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ﴾ الآية [النساء: ٢٣].

٩ ـ وأما لفظ «الكلمات»:

فقال في الكلمات الكونية: ﴿وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: ١٢].

وثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**أعوذُ بكلمات اللَّه التامة كلِّها من شرِّ ما خلق، ومن غضبه وعقابه، وشرِّ عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون**»(١).

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/١٨١)، وابن أبي شيبة (٨/٣٩)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» ص(٨٩)، وأبو داود (٣٨٩٣)، والترمذي (٣٥٢٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٥٣٣)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٧٦٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٠٧)، وفي «الآداب» (٦٩٦)، وفي «الدعوات» (٤٢٩)، والطبراني في «الدعاء» (١٠٨٦)، وابن السني في «عمل اليوم» (٧٥٣)، وعثمان الدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» ص (١٥٠)، وابن بطة في «الإبانة» (٣١)، من حديث عبداللَّه بن عَمرو رضي الله عنهما.
وقال الترمذي: «**حسن غريب**»، وحسَّنه الشيخ الألباني عنده، **وصحَّحه** =

وقال ﷺ: «مَن نزل منزلًا فقال: أعوذُ بكلمات اللَّه التامات من شرِّ ما خلق، لم يضرَّه شيءٌ حتي يرتحلَ من منزله ذلك»(١).

وكان يقول: «أعوذ بكلمات اللَّه التامات التي لا يجاوزهنَّ برٌّ ولا فاجر، مِن شر ما ذَرَأَ(٢) في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتنِ الليل والنهار، ومن شرِّ كل طارقٍ؛ إلا طارقًا يطرُق بخير - يا رحمٰن -»(٣).

= الشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٦/٤٠).

تنبيه: بهذا يتبين لنا أن الحديث ليس في «الصحيح» كما وهم الإمام رحمه الله.

(١) **صحيح:** وقد تقدم.

(٢) **ذرأ:** خَلَق وبثَّ.

(٣) **ضعيف:** رواه أحمد (٣/٤١٩)، وأبو يعلىٰ (٦٨٤٤)، وابن أبي شيبة (٥/ ٥١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٣٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٥)، وفي «الدعوات» (٥٩٩)، وابن قانع في «معجمه» (٢/١٧٣)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٦٣٦)، من حديث عبدالرَّحمٰن بن خنبش رضي الله عنه. **وضعَّفه** الإمام البخاري - كما نقله الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٦/٢٧٥) -، **وأعلَّه** الإمام ابن منده كما نقله الحافظ - أيضًا -، وقال الحافظ نفسه: «**في إسناده نظر**». **وجوَّد إسناده** الحافظ المنذري في «الترغيب» (٢٤٨٢)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٢٧): «رجال أحد إسنادي أحمد وأبي يعلىٰ وبعض أسانيد الطبراني رجال الصحيح، وكذلك رجال الطبراني»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٤)، و«الصحيحة» (٨٤٠)، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٢٤/٢٠٠)، والشيخ حسين الداراني في «المجمع» (٢٠/٢٤٦).

فائدة: من علامات ضعفه ونكارته: أنه ورد - **بإسنادٍ صحيح** - عن =

و«كلمات اللَّه التامات التي لا يجاوزُهنَّ بَرٌّ ولا فاجر»: هي التي كوَّن بها الكائنات؛ فلا يخرج برٌّ ولا فاجر عن تكوينه ومشيئته وقدرته.

وأما كلماته الدينية ـ وهي كتبُه المنزلة وما فيها من أمره ونهيه ـ، فأطاعها الأبرار، وعصاها الفجار.

وأولياء اللَّه المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية، وجَعْلِه الديني، وإذنه الديني، وإرادتِه الدينية.

وأما كلماته الكونية التي لا يجاوزها بر ولا فاجر، فإنه يدخل تحتها جميع الخلق، حتىٰ إبليسُ وجنوده، وجميعُ الكفار، وسائرُ من يدخل النار؛ فالخلق وإن اجتمعوا في شمول الخلق والمشيئة والقدرة والقَدَر لهم، فقد افترقوا في الأمر والنهي والمحبة والرضا والغضب.

وأولياء اللَّه المتقون هم الذين فعلوا المأمور، وتركوا المحظور، وصبروا علىٰ المقدور؛ فأحبَّهم وأحبوه، ورضي عنهم ورضوا عنه. وأعداؤه أولياء الشياطين، وإن كانوا تحت قدرته فهو يُبغضهم ويمقتهم، ويغضب عليهم، ويلعنهم ويعاديهم.

وبَسْطُ هذه الجُمَل له موضع آخر، وإنما كتبتُ هنا تنبيهًا علىٰ مجامع الفرق بين أولياء الرَّحمٰن وأولياء الشيطان.

= عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه عند أحمد في «المسند» (٤١٤٩): «أنه لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن أحدٌ من الصحابة». والحديث أعلاه كان فيه زيادةٌ في أوَّله أنه قال هذا الدعاء ليلة الجن؛ فراجع نصَّه كاملًا في مصادر التخريج. والعلمُ عند اللَّه تعالىٰ.

وجماعُ الفرق بينهما: اعتبارهم بموافقة رسول اللَّه ﷺ؛ فإنه هو الذي فرَّق اللَّه تعالىٰ به بين أوليائه السعداء وأعدائه الأشقياء، وبين أوليائه أهل الجنة وأعدائه أهل النار، وبين أوليائه أهل الهدىٰ والرشاد وبين أعدائه أهل الغي والضلال والفساد، وبين أوليائه جند الرَّحمٰن وأعدائه حزب الشيطان، وأوليائه الذين كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه.

قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال].

وقال في أعدائه: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ

رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ(١) ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحاقة].

وقال تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ(٢) ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم(٣) بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور].

فنزه ﷻ نبينا محمدًا ﷺ عمن تقترن به الشياطين، من الكهان والشعراء والمجانين؛ وبيَّن أن الذي جاءه بالقرآن ملَكٌ كريم اصطفاه اللَّه تعالىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ(٤) ﴿١٩٦﴾﴾ [الشعراء].

---

(١) ﴿ٱلْوَتِينَ﴾: الشريان المعلَّق به القلب. وعلىٰ هذا أكثرُ المفسرين. وقيل: الحبل الذي في الظَّهر. وقيل: هو عِرْقٌ يجري في الظهر حتىٰ يتصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه. والمراد من الجميع واحد، وهو أنه لو كَذَب علينا لأهلكناه وما تركناه.

(٢) ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾: مصائب الزمان.

(٣) ﴿أَحْلَٰمُهُم﴾: عقولهم.

(٤) **الزُّبُر**: الكتب.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل] فسماه: الروح الأمين، وسماه: روح القدس.

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ يعني: الكواكب التي تكون في السماء خانسةً أي: مختفية قبل طلوعها، فإذا ظهرت رآها الناس جاريةً في السماء، فإذا غربت ذهبت إلىٰ كُنَّاسِها الذي يحجبها ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾، أي: إذا أدبر وأقبل الصبح، ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ أي: أقبل ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ وهو جبريل عليه السلام ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾، أي: مطاع في السماء أمين، ثم قال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ [التكوير] أي: صاحبكم الذي مَنَّ اللَّه عليكم به؛ إذ بعثه إليكم رسولًا من جنسكم يصحبكم إذ كنتم لا تُطيقون أن تروا الملائكة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ[1] ﴿٩﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾، أي: رأىٰ جبريل عليه السلام ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِظَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾، أي: بمتَّهَم، وفي القراءة الأخرىٰ: ﴿بِضَنِينٍ﴾ أي: ببخيل يكتم العلم ولا يبذُله إلا بجُعل، كما يفعل من يكتم العلم إلا بالعِوَض، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [التكوير]، فنزَّه

(١) اللَّبْس: التخليط.

جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أن يكون شيطانًا، كما نزَّه محمدًا ﷺ عن أن يكون شاعرًا أو كاهنًا.

فأولياء اللَّه المتقون هم المقتدون بمحمد ﷺ؛ فيفعلون ما به أمر، وينتهون عما عنه زجر، ويقتدون به فيما بُيِّن لهم أن يتبعوه فيه، فيؤيدهم بملائكته ورُوح منه، ويقذف اللَّه في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يُكَرِمُ اللَّه بها أولياءه المتقين.

[من حِكَم الكرامات]:

وخيارُ أولياء اللَّه كراماتُهم لحُجةٍ في الدين، أو لحاجةٍ بالمسلمين، كما كانت معجزاتِ نبيهم ﷺ كذلك.

وكراماتُ أولياء اللَّه إنما حصلت ببركةِ اتباع رسوله ﷺ، فهي في الحقيقة تدخُل في معجزات الرسول ﷺ: مثل انشقاق القمر(١)، وتسبيح الحصىٰ في كفِّه(٢)، وإتيان الشجر إليه(٣)، وحنين الجذع

(١) هذا ثابتٌ في القرآن العظيم أوائل سورة «القمر».
وكذا هو ثابتٌ عند البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **ضعيف**: رواه البخاري في «التاريخ» (٤/٢٥٠)، البيهقي في «الدلائل» (٦/٦٤)، والطبراني في «الكبير» (٧/٣٠٦)، من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وأشار البيهقي إلىٰ ضعفه، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/٢٩٧)، والشيخ حسين الداراني في تحقيقه (١٧/٣٠٣). وانظر: «البداية والنهاية» (٨/٦٩٤).
ويشبهه: تسبيح الطعام بين يديه ﷺ، كما رواه البخاري (٣٥٧٩)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه مسلم (٢٣٠٦)، من حديث جابر بن عبداللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

إليه[١]، وإخباره ليلة المعراج بصفةِ بيت المقدس[٢]، وإخبارِه بما كان وما يكون[٣]، وإتيانِه بالكتاب العزيز، وتكثير الطعام والشراب مراتٍ كثيرة؛ كما أَشبع في الخندق العسكرَ من قِدْرِ طعام، وهو لم ينقص في حديث أمِّ سُليم المشهور[٤]، وأروىٰ العسكر في غزوة خيبر من مَزادةِ ماءٍ[٥] ولم تنقص[٦]، وملأ أوعية العسكر عامَ تبوك من طعام قليل ولم ينقص ـ وهم نحو ثلاثين ألفًا[٧] ـ، ونبع الماء من بين أَصابعه مراتٍ متعددةً حتىٰ كفىٰ الناسَ الذين كانوا معه، كما كانوا في غزوة الحديبية نحو ألف وأربَعِمِئة أو خَمْسِمِئة[٨]، وردِّه لعين قتادة[٩] حين سالت علىٰ خدِّه، فرجعت أحسنَ عينيه[١٠]،

---

(١) رواه البخاري (٣٥٨٣، ٣٥٨٤، ٣٥٨٥)، من حديث ابن عمر، وجابر بن عبداللَّه، وأنس رضي الله عنهم علىٰ التوالي.

(٢) رواه البخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠)، من حديث جابر بن عبداللَّه رضي الله عنهما.

(٣) رواه مسلم (٢٨٩٢)، من حديث عمرو بن أخطب رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) **المزادة**: القِربة.

(٦) رواه البخاري (٣٤٤)، ومسلم (٦٨٢)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

(٧) رواه مسلم (٢٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٨) رواه البخاري (٢٥٧٢)، ومسلم (٢٢٧٩)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٩) في المطبوعات: «أبي قتادة»، وما أثبتُّه أصح، كما أفاد ـ أيضًا ـ الشيخ عبدالرَّحمٰن اليحيىٰ في نسخته المحققة من «الفرقان»، وكما في مصادر التخريج.

(١٠) **حسن**: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧/٢٧١)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/٤٥٣)، وابن هشام في «السيرة» (٣/٤٦)، وأبو يعلىٰ =

ولما أَرسل محمدَ بن مَسْلَمة لقتل كعب بن الأشرف فوقع وانكسرت رجله، فمَسحها بيده الكريمة فبرئت[(١)]، وأطعم من سوادِ بطن شاةٍ مئةً وثلاثين رجلًا؛ كلٌّ منهم حَزَّ له قطعةً، وجعل منها قصعتين، فأكلوا منها جميعهم، ثم فضل فَضلةٌ[(٢)]، و[توفيته] دَيْن عبداللَّه أبي جابر لليهودي وهو ثلاثون وسقًا[(٣)]. قال جابر: فأمر صاحب الدَّين أن يأخذ التمر جميعه بالذي كان له، فلم يقبل، فمشىٰ فيها رسول اللَّه

= (١٥٤٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٩٧)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٩)، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٥٢٥)، والشيخ حسين الداراني في تحقيقه (١٧/ ٣٠٠)، وأفاد الشيخ محمد عوامة في تحقيق «المصنف» أن طرق الحديث تدلُّ علىٰ **أن له أصلًا**. واللَّهُ تعالىٰ أعلم، **وقوَّاه** الشيخ الألباني في تحقيقه لـ«بداية السول» ص(٤٢)، كما أفادني أخي الحبيب أبو عمر الذهبي ـ حفظه اللَّه ونفع به ـ.

تنبيه: روايات الحديث منها ما أفاد أن حادثة قتادة رضي الله عنه كانت «في بدر»، وفي بعضها: «في أُحُد»، وفي أخرىٰ: «في الخندق»، والأصح الأول، كما قال في «الاستيعاب» (٣/ ١٢٧٥).

(١) رواه البخاري (٤٠٣٩)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما.

تنبيه: هذه ليست قصة محمد بن مسلمة رضي الله عنه، ولم تكن عند قتل كعب بن الأشرف ـ لعنه اللَّه ـ، وإنما وقعت لجابر بن عتيك رضي الله عنه عند مقتل أبي رافع اليهودي ـ لعنه اللَّه ـ. أما محمد بن مسلمة رضي الله عنه فلم يصب بأذًىٰ عند قتل كعب بن الأشرف ـ لعنة اللَّه ـ. وحديثه في «صحيح البخاري» (٤٠٣٧)، و«صحيح مسلم» (١٨٠١)، من حديث جابر بن عبداللَّه رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٢٦١٨)، ومسلم (٢٠٥٦)، من حديث عبدالرَّحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنهما.

(٣) **الوَسْق**: ستون صاعًا.



ﷺ، ثم قال لجابر: «جُدَّ له»[١]. فوفَّاه الثلاثين وسقًا، وفضل سَبعةَ عَشَر وَسْقًا[٢]. ومثل هذا كثير قد جمعت نحو ألف معجزة.

وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جدًّا:

- مثلما كان أُسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف، فنزل من السماء مثل الظُّلَّة[٣] فيها أمثال السُّرُج، وهي الملائكة نزلت لقراءته.
- وكانت الملائكة تسلِّم علىٰ عمران بن حصين.
- وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صَحْفة، فسَبَّحت الصحفة أو سبَّح ما فيها.
- وعبَّاد بن بشر وأُسيد بن حُضير؛ خرجا من عند رسول اللَّه ﷺ في ليلة مظلمة، فأضاء لهما نورٌ مثل طرفِ السَّوط، فلما افترقا افترق الضوء معهما. رواه البخاري وغيره[٤].
- وقصةُ الصدِّيق في «الصحيحين» لما ذهب بثلاثة أضيافٍ معه إلىٰ بيته، وجعل لا يأكل لقمةً إلا رَبَىٰ من أسفلها أكثرُ منها، فشبعوا، وصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر وامرأتُه، فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، وجاء إليه أقوامٌ كثيرون، فأكلوا منها وشبعوا[٥].

---

(١) **جُدَّ له**: اقطع له.
(٢) رواه البخاري (٢٣٩٦)، من حديث جابر بن عبداللَّه رضي الله عنهما.
(٣) **الظُّلَّة**: السحابة.
(٤) رواه البخاري (٤٦٥، ٣٦٣٩، ٣٨٠٥)، من حديث أنس رضي الله عنه.
(٥) رواه البخاري (٦٠٢)، ومسلم (٢٠٥٧)، من حديث عبدالرَّحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنهما.

▫ وخُبيب بن عدي كان أسيرًا عند المشركين بمكة ـ شرفها اللَّه تعالىٰ ـ، وكان يؤتىٰ بعنبٍ يأكله، وليس بمكة عنبة.

▫ وعامر بن فُهَيرة قُتل شهيدًا، فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه، وكان لما قُتل رُفع فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع. قال عروة: «فيرون الملائكة رفعته[(١)]».

▫ وخرجت أم أيمن مهاجرةً وليس معها زادٌ ولا ماء، فكادت تموت من العطش، فلما كان وقتُ الفطر ـ وكانت صائمةً ـ سمعت حسًّا علىٰ رأسها، فرفعته فإذا دلوٌ برِشاءٍ[(٢)] أبيض معلق، فشربت منه حتىٰ رَوِيت، وما عطشت بقية عمرها.

▫ وسَفِينة ـ مولىٰ رسول اللَّه ﷺ ـ أخبر الأسد بأنه رسولُ رسولِ اللَّه ﷺ، فمشىٰ معه الأسد حتىٰ أوصله إلىٰ مقصده.

▫ والبراء بن مالك كان إذا أقسم علىٰ اللَّه تعالىٰ أبرَّ قسمه. وكان الحربُ إذا اشتدت علىٰ المسلمين في الجهاد يقولون: «يا براء، أقسِمْ علىٰ ربك، فيقول: يا رب، أقسمتُ عليك لَمَا منحتنا أكتافهم». فيُهزم العدو. فلما كان يوم القادسية[(٣)] قال: «أقسمتُ عليك ـ يا رب ـ لَمَا منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد»، فمنحوا أكتافهم، وقُتل البراء شهيدًا.

▫ وخالد بن الوليد حاصر حصنًا منيعًا، فقالوا: «لا نُسلمُ حتىٰ تشرب السم»، فشربه فلم يضرَّه.

---

(١) في النسخة المحققة: «دفنته».
(٢) **الرِّشاء**: الحبل.
(٣) في النسخة المحققة: «تُستر».

▫ وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة؛ ما دعا قطُّ إلا استجيب له، وهو الذي هزم جنود كسرىٰ وفتح العراق.

▫ وعمر بن الخطاب لما أَرسل جيشًا أَمَّر عليهم رجلًا يسمىٰ سارية؛ فبينما عمرُ يخطب جعل يصيح علىٰ المنبر: «يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فقَدِمَ رسولُ الجيش، فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدوًّا فهزمونا، فإذا بصائح: يا سارية الجبل. يا سارية الجبل. فأسندنا ظهورنا بالجبل، فهزمهم اللَّه».

▫ ولما عُذِّبت الزِّنِّيرة علىٰ الإسلام في اللَّه، فأبت إلا الإسلام وذهب بصرها، قال المشركون: «ما أصاب بصرَها إلا اللاتُ والعزىٰ، قالت: كلا واللَّه، فرد اللَّه عليها بصرها».

▫ ودعا سعيد بن زيد علىٰ أروىٰ بنت الحكم، فأعمىٰ بصرها لما كذبت عليه، فقال: «اللهم إن كانت كاذبةً فأعم بصرها، واقتلها في أرضها». فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت.

▫ والعلاء بن الحَضْرمي كان عاملَ رسول اللَّه ﷺ علىٰ البحرين، وكان يقول في دعائه: «يا عليم، يا حليم، يا علي، يا عظيم»[(١)]، فيستجاب له، ودعا اللَّه بأن يُسقَوا ويتوضؤوا لما عدموا الماء والإسقاء لما عدموا الماء، ولا يبقىٰ الماء بعدهم = فأُجيب، ودعا اللَّه لما اعترضهم البحر ولم يقدروا علىٰ المرور بخيولهم، فمرُّوا

(١) يقصد ـ لو صحت القصة ـ أنه كان يذكر هذه الأسماء الحسنىٰ وسط الدعاء، وليس المقصود الدعاء بالاسم ـ أو الوصف ـ المفرد؛ فإن هذا بدعةٌ لا أصل لها؛ ولذا قال الإمام: «كان يقول في دعائه»، أي: بين ما يطلبه من ربِّه ﷻ.

كلُّهم علىٰ الماء، ما ابتلَّت سروج خيولهم؛ ودعا اللَّه ألَّا يَرَوا جسده إذا مات، فلم يجدوه في اللحد.

▫ وجرىٰ مثل ذلك لأبي مسلم الخَوْلاني الذي أُلقيَ في النار؛ فإنه مشىٰ هو ومن معه من العسكر علىٰ دجلة وهي ترمي بالخشب من مَدِّها، ثم التفت إلىٰ أصحابه فقال: «هل تفقدون من متاعكم شيئًا حتىٰ أدعو اللَّه ﷻ فيه؟ فقال بعضهم: فقدت مِخْلاةً، فقال: اتبعني. فتبعه، فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها».

▫ وطلبه الأسودُ العنسيُّ لَمَّا ادعىٰ النُّبوة، فقال له: «أتشهد أني رسول اللَّه؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمدًا رسول اللَّه؟ قال: نعم». فأمر بنار، فأُلقي فيها، فوجدوه قائمًا يصلي فيها، وقد صارت عليه بردًا وسلامًا.

▫ وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ، فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وقال: «الحمد للَّه الذي لم يُمِتْني حتىٰ أرىٰ من أمة محمد ﷺ من فُعل به كما فُعل بإبراهيم خليل اللَّه».

▫ ووَضعت له جاريةٌ السمَّ في طعامه، وأكله فلم يضره، وخبَّبت[1] امرأةٌ عليه زوجته، فدعا عليها فعميت، فجاءت وتابت، فدعا لها، فرد اللَّه عليها بصرها.

▫ وكان عامر بن عبدِ قيسٍ يأخذ عطاءه ألفي درهم في كمه، وما يلقاه سائلٌ في طريقه إلا أعطاه بغير عدد، ثم يجيء إلىٰ بيته فلا يتغير عددها ولا وزنها.

▫ ومر بقافلةٍ قد حبسهم الأسد، فجاء حتىٰ مسَّ بثيابه الأسد، ثم

---

(١) خببت: أفسدت.



وضع رجله علىٰ عنقه، وقال: «إنما أنت كلبٌ من كلاب الرَّحمٰن، وإني أستحي من اللَّه أن أخاف شيئًا غيره». ومرت القافلة.

- ودعا اللَّه تعالىٰ أن يهوِّن عليه الطهور في الشتاء، فكان يؤتي بالماء له بخار.
- ودعا ربَّه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة، فلم يقدر عليه [الشيطان].
- وتغيَّب الحسن البصري عن الحجاج، فدخلوا عليه ستَّ مرات، فدعا اللَّه ﷻ فلم يرَوْه.
- ودعا علىٰ بعض الخوارج كان يؤذيه فخر ميتًا.
- وصِلَةُ بن أَشْيَم مات فرسه وهو في الغزو، فقال: «اللهم لا تجعل لمخلوقٍ عليَّ مِنَّةً». ودعا اللَّه ﷻ، فأحيا له فرسه، فلما وصل إلىٰ بيته قال: «يا بني، خُذْ سَرْجَ الفرس؛ فإنه عارية». فأخذ سَرْجه فمات الفرس.
- وجاع مرةً بالأهواز، فدعا اللَّه ﷻ واستطعمه، فوقعت خلفه دَوخلةُ رُطَبٍ[1] في ثوب حرير، فأكل التمر، وبقي الثوب عند زوجته زمانًا.
- وجاء الأسد وهو يصلي في غَيْضةٍ بالليل[2]، فلما سلم قال له: «اطلب الرزق من غير هذا الموضع». فولىٰ الأسد وله زئير.
- وكان سعيد بن المسيب في أيام الحرَّة يسمع الأذان من قبر رسول اللَّه ﷺ أوقات الصلوات، وكان المسجدُ قد خلا فلم يبق غيره.

---

(١) **الدَّوخلة**: وعاءٌ من خوص.
(٢) **الغيضة**: بستانٌ فيه شجرٌ ملتف.

▫ ورجل من النَّخَع كان له حمار، فمات في الطريق، فقال له أصحابه: «هلمَّ نتوزَّعُ متاعك علىٰ رحالنا[(١)]، فقال لهم: أمهلوني هُنيهةً. ثم توضأ فأحسن الوضوء، وصلىٰ ركعتين، ودعا اللَّه تعالىٰ، فأحيا له حماره، فحَمَل عليه متاعه».

▫ ولما مات أويسٌ القَرَني وجدوا في ثيابه أكفانًا لم تكن معه قبلُ، ووجدوا له قبرًا محفورًا فيه لحدٌ في صخرة، فدفنوه فيه، وكفَّنوه في تلك الأثواب.

▫ وكان عمرو بن عتبة بن فرقد يصلي يومًا في شدة الحر، فأظلته غمامة، وكان السَّبُع يحميه وهو يرعىٰ ركاب أصحابه[(٢)]؛ لأنه كان يشترط علىٰ أصحابه في الغزو أنه يخدمهم.

▫ وكان مطرِّفُ بن عبداللَّه بن الشخير إذا دخل بيته سبَّحت معه آنيته.

▫ وكان هو وصاحبٌ له يسيران في ظلمة، فأضاء لهما طرفُ السوط.

▫ ولما مات الأحنف بن قيس وقعت قَلنسوةُ رجلٍ[(٣)] في قبره، فأهوىٰ ليأخذها، فوجد القبر قد فُسح فيه مد البصر.

▫ وكان إبراهيمُ التَّيْمي يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئًا، وخرج يمتار[(٤)] لأهله طعامًا فلم يقدر عليه، فمر بسهلةٍ حمراء، فأخذ منها

---

(١) **الرِّحال**: الأمتعة.
(٢) **الرِّكاب**: الإبل.
(٣) **القلنسوة**: مثل «الطاقية».
(٤) **يمتار**: يجلب الطعام.

ثم رجع إلىٰ أهله ففتحها، فإذا هي حنطة حمراء، فكان إذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلىٰ فرعها حبًّا متراكبًا.

▫ وكان عتبةُ الغلام سأل ربَّه ثلاثَ خصال: صوتًا حسنًا، ودمعًا غزيرًا، وطعامًا من غير تكلُّف. فكان إذا قرأ بكىٰ وأبكىٰ، ودموعُه جاريةٌ دهرَه، وكان يأوي إلىٰ منزله، فيصيب فيه قُوتَه ولا يدري من أين يأتيه.

▫ وكان عبدالواحد بن زيد أصابه الفالجُ[1]، فسأل ربه أن يُطلقَ له أعضاءه وقت الوضوء، فكانت وقت الوضوء تُطلَقُ له أعضاؤه، ثم تعود بعده.

وهذا بابٌ واسع، وقد بُسط الكلام علىٰ كرامات الأولياء في غير هذا الموضع.

وأما ما نعرفه نحن عيانًا ونعرفه في هذا الزمان فكثير.

ومما ينبغي أن يُعرف: أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوِّي إيمانه ويسدُّ حاجته، ويكون من هو أكمل ولايةً للَّه منه مستغنيًا عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها ـ لا لنقص ولايته ـ؛ ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثرَ منها في الصحابة، بخلاف من يجري علىٰ يديه الخوارقُ لهُدىٰ الخلق ولحاجتهم؛ فهؤلاء أعظم درجةً.

وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية، مثل حال عبداللَّه بن صيَّاد الذي ظهر في زمن النبي ﷺ، وكان قد ظن بعضُ الصحابة أنه الدجال،

(١) **الفالج**: الشلل.

وتوقف النبي ﷺ في أمره حتىٰ تبيَّن له فيما بعد أنه ليس هو الدجال، لكنه كان من جنس الكهَّان، قال له: النبي ﷺ «**قد خبَّأتُ لك خَبْأً**»، قال: الدُّخ الدخ ـ وقد كان خبَّأ له سورة الدخان ـ، فقال له النبي ﷺ: «**اخسأ؛ فلن تعدوَ قدرَك**»[١]. يعني: إنما أنت من إخوان الكهان.

والكهانُ كان يكون لأحدهم القرينُ من الشياطين يخبره بكثيرٍ من المغيَّبات بما يسترقه من السمع، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب، كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال: «**إن الملائكة تنزلُ في العَنان ـ وهو السحاب ـ؛ فتذكر الأمر قُضيَ في السماء، فتسترق الشياطينُ السمعَ، فتُوحيه إلىٰ الكهَّان؛ فيكذبون معها مئةَ كِذْبةٍ من عند أنفسهم**»[٢].

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ في نفرٍ من الأنصار، إذ رُمي بنجم فاستنار، فقال النبي ﷺ: «**ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه؟**»، قالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم، قال رسول اللَّه ﷺ: «**فإنه لا يُرمىٰ بها لموتِ أحدٍ ولا لحياته، ولكنَّ ربنا تبارك وتعالى إذا قضىٰ أمرًا سبَّح حَمَلةُ العرش، ثم سبَّح أهلُ السماء الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، حتىٰ يبلغ التسبيحُ أهلَ هذه السماء، ثم يسأل أهلُ السماء السابعة حَمَلةَ العرش: ماذا قال ربنا؟ فيخبرونهم، ثم يستخبر أهلُ كل سماء، حتىٰ يبلغ الخبرُ أهل السماء الدنيا، وتخطف الشياطينُ السمعَ فيُرمَون، فيقذفونه**

---

(١) رواه البخاري (١٣٥٤)، ومسلم (٢٩٣٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

إلىٰ أوليائهم، فما جاؤوا به علىٰ وجهه فهو حق، ولكنهم يزيدون»[(١)].

وفي رواية: قال معمر: قلت للزهري: أكان يُرمىٰ بها في الجاهلية؟ قال: نعم؛ ولكنها غُلِّظت حين بُعث النبي ﷺ[(٢)].

والأسود العنسي ـ الذي ادعىٰ النبوة ـ كان له من الشياطين من يُخبره ببعض الأمور المغيبة، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه، حتىٰ أعانتهم عليه امرأتُه لما تبيَّن لها كفرُه فقتلوه.

وكذلك مسيلمةُ الكذاب كان معه من الشياطين من يُخبره بالمغيبات، ويُعينه علىٰ بعض الأمور. وأمثال هؤلاء كثيرون؛ مثل الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبدالملك بن مروان وادعىٰ النبوة، وكانت الشياطين يُخرجون رجليه من القَيْد، وتمنع السلاح أن يَنفَذَ فيه، وتسبِّح الرخامة إذا مسحها بيده، وكان يُري الناس بجبل قاسيون رجالًا وركبانًا علىٰ خيل في الهواء، ويقول: «هي الملائكة»، وإنما كانوا جِنًّا. ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم يَنفذ فيه، فقال له عبدُالملك: «إنك لم تسمِّ اللَّه»، فسمىٰ اللَّه فطعنه فقتله.

وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرفُ عنهم شياطينُهم إذا ذُكر عندهم ما يطردها مثل آية الكرسي؛ فإنه قد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لمَّا وكَّله النبي ﷺ بحفظ زكاة الفطر، فسرق منه الشيطان ليلةً بعد ليلة، وهو يمسكه فيتوب فيُطلقه،

(١) رواه مسلم (٣٣٣٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) انظر: «مسند الإمام أحمد» (٣/٣٧٤ ـ الرسالة).

فيقول له النبي ﷺ: «**ما فَعَل أسيرُك البارحة؟**»، فيقول: زعم أنه لا يعود، فيقول: «**كَذَبك، وإنه سيعود**». فلما كان في المرة الثالثة. قال: دعني حتىٰ أعلِّمك ما ينفعك: إذا أويت إلىٰ فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إلىٰ آخرها، فإنه لن يزال عليك من اللَّه حافظٌ، ولا يقربُك شيطان حتىٰ تصبح، فلما أَخبر النبيَّ ﷺ قال: «**صَدَقك وهو كذوب**». وأخبره أنه شيطان[(١)].

ولهذا إذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدقٍ أبطلتها، مثل مَن يدخل النار بحالٍ شيطاني، أو يَحضر سماع المُكاء والتصدية فتنزل عليه الشياطين، وتتكلم علىٰ لسانه كلامًا لا يَعلَمه وربما لا يفقهه، وربما كاشف بعضَ الحاضرين بما في قلبه، وربما تكلم بألسنة مختلفة كما يتكلم الجني علىٰ لسان المصروع، والإنسان الذي حصل له الحالُ لا يدري بذلك، بمنزلة المصروع الذي يتخبَّطه الشيطان من المس، ولَبِسَه وتكلم علىٰ لسانه، فإذا أفاق لم يشعر بشيءٍ مما قال، ولهذا قد يُضرب المصروعُ ضربًا كثيرًا حتىٰ قد يَقتل مثلُه الإنسيَّ أو يُمرضه لو كان هو المضروب، وذلك الضرب لا يؤثر في الإنسي، ويُخبِرُ إذا أفاق أنه لم يشعر بشيء؛ لأن الضرب كان علىٰ الجنيِّ الذي لَبِسه.

ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمةٍ وفواكهَ وحلوىٰ وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع، ومنهم من يطير بهم الجنيُّ إلىٰ مكة أو بيت المقدس أو غيرهما، ومنهم من يحمله عشية عرفة، ثم يعيده من ليلته؛ فلا يحج حجًّا شرعيًّا؛ بل يذهب بثيابه، ولا يحرم إذا

---

(١) رواه البخاري (٢٣١١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حاذىٰ الميقات، ولا يلبِّي، ولا يقف بمزدلفة، ولا يطوف بالبيت، ولا يسعىٰ بين الصفا والمروة، ولا يرمي الجمار؛ بل يقف بعرفة بثيابه ثم يرجع من ليلته، وهذا ليس بحجٍّ مشروع باتفاق المسلمين، بل هو كمن يأتي الجمعة ويصلي بغير وضوء، أو إلىٰ غير القبلة. ومن هؤلاء المحمولين من حُمل مرةً إلىٰ عرفات ورجع، فرأىٰ في النوم ملائكة تكتب الحجاج، فقال: «ألا تكتبوني؟ فقالوا: لست من الحجاج». يعني لم تحجَّ حجًّا شرعيًّا.

[أهم الفروق بين كرامات الأولياء والأحوال الشيطانية]:

وبين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة:

منها: أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوىٰ، والأحوالُ الشيطانية سببها ما نهىٰ اللَّه عنه ورسوله.

وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

فالقول علىٰ اللَّه بغير علم والشرك والظلم والفواحش قد حرمها اللَّه تعالىٰ ورسولُه؛ فلا تكون سببًا لكرامة اللَّه تعالىٰ، ولا يُستعان بالكرامات عليها، فإذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن؛ بل تحصل بما يحبُّه الشيطان وبالأمور التي فيها شرك كالاستغاثة بالمخلوقات، أو كانت مما يُستعان بها علىٰ ظلم الخلق وفعل الفواحش= فهي من الأحوال الشيطانية لا من الكرامات الرحمانية.

ومن هؤلاء من إذا حضر سماع المُكاء والتصدية يتنزل عليه شيطانه؛ حتىٰ يحملَه في الهواء، ويخرجه من تلك الدار، فإذا حصل[(١)] رجلٌ من أولياء اللَّه تعالىٰ طرد شيطانه فيسقط، كما جرىٰ هذا لغير واحد.

ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت، سواء كان ذلك الحي مسلمًا أو نصرانيًّا أو مشركًا، فيَتصوَّر الشيطان بصورة ذلك المستغاث به، ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث، فيظن أنه ذلك الشخص، أو هو مَلَكٌ تصوَّر علىٰ صورته، وإنما هو شيطان أضلَّه لما أشرك باللَّه، كما كانت الشياطين تَدخُل الأصنام وتكلِّم المشركين.

ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان، ويقول له: «أنا الخضر»، وربما أخبره ببعض الأمور، وأعانه علىٰ بعض مطالبه، كما قد جرىٰ ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارىٰ. وكثيرٌ من الكفار بأرض المشرق والمغرب يموت لهم الميت، فيأتي الشيطان بعد موته علىٰ صورته، وهم يعتقدون أنه ذلك الميت، ويقضي الديون، ويردُّ الودائع، ويفعل أشياء تتعلقُ بالميت، ويدخل علىٰ زوجته ويذهب، وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار ـ كما تصنع كفارُ الهند ـ، فيظنون أنه عاش بعد موته.

ومن هؤلاء شيخٌ كان بمصر أوصىٰ خادمه فقال: «إذا أنا متُّ فلا تدَعْ أحدًا يغسِّلُني؛ فأنا أَجيء وأُغسِّل نفسي». فلما مات رأىٰ خادمه شخصًا في صورته، فاعتقد أنه هو، فدخل وغسَّل نفسه، فلما

(١) **حصل**: حضر وجاء.

قضىٰ ذلك الداخلُ غُسْلَه ـ أي غسل الميت ـ غاب، وكان ذلك شيطانًا، وكان قد أضل الميت، وقال: «إنك بعد الموت تجيء فتغسِّل نفسك»، فلما مات جاء ـ أيضًا ـ في صورته ليُغويَ الأحياء كما أغوىٰ الميت قبل ذلك.

ومنهم من يرىٰ عرشًا في الهواء وفوقه نور، ويسمع من يخاطبُه ويقول: «أنا ربك»، فإن كان من أهل المعرفة عَلِم أنه شيطانٌ فزجره، واستعاذ باللَّه منه فيزول[(١)].

ومنهم من يرىٰ أشخاصًا في اليقظة يدَّعي أحدهم أنه نبيٌّ أو صِدِّيق أو شيخٌ من الصالحين، ويكون من الشياطين، وقد جرىٰ هذا لغير واحد.

ومنهم من يرىٰ ذلك عند قبر الذي يزوره، فيرىٰ القبر قد انشقَّ وخرج إليه صورةٌ، فيعتقدها الميت، وإنما هو جنيٌّ تصوَّر بتلك الصورة.

---

(١) ومثل هذا ما ذكره الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أيضًا ـ في «مجموع الفتاوىٰ» (١٧٢/١)، عن الإمام عبدالقادر الجَيْلاني رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كنتُ مرةً في العبادة، فرأيت عرشًا عظيمًا وعليه نور، فقال لي: يا عبدَالقادر، أنا ربُّك، وقد حلَّلتُ لك ما حرَّمتُ علىٰ غيرك. قال: فقلت له: أنت اللَّه الذي لا إلٰه إلا هو؟! اخسأ ـ يا عدو اللَّه ـ. فتمزَّق ذلك النور، وصار ظلمةً. وقال: يا عبدَالقادر، نجوتَ مني بفقهك في دينك وعلمك، وبمنازلاتك في أحوالك؛ لقد فتنتُ بهذه القصة سبعين رجلًا.
فقيل لعبدالقادر رَحِمَهُ اللَّهُ: كيف علمتَ أنه الشيطان؟ قال: بقوله لي: «حللتُ لك ما حرمت علىٰ غيرك»، وقد علمتُ أن شريعة محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تُنسخ ولا تُبدَّل. ولأنه قال: أنا ربك، ولم يقدر أن يقول: أنا اللَّه الذي لا إلٰه إلا أنا» اهـ.

ومنهم من يرىٰ فرسًا قد خرج من قبره أو دخل في قبره، ويكون ذلك شيطانًا.

وكلُّ من قال: «إنه رأىٰ نبيًّا بعين رأسه» فما رأىٰ إلا خيالًا.

ومنهم من يرىٰ في منامه أن بعض الأكابر ـ إما الصديق رضي الله عنه أو غيره ـ قد قصَّ شعره أو حلقه، أو ألبسه طاقيته أو ثوبه؛ فيُصبح وعلىٰ رأسه طاقية وشعرُه محلوق أو مقصَّر، وإنما الجن قد حلقوا شعره أو قصَّروه.

وهذه الأحوال الشيطانية تحصلُ لمن خرج عن الكتاب والسُّنة وهم درجات. والجنُّ الذين يقترنون بهم من جنسهم، وهم علىٰ مذهبهم، والجنُّ فيهم الكافر والفاسق والمخطئ، فإن كان الإنسيُّ كافرًا أو فاسقًا أو جاهلًا دخلوا معه في الكفر والفسوق والضلال، وقد يعاونونه إذا وافقهم علىٰ ما يختارونه من الكفر، مثل الإقسام عليهم بأسماء مَن يعظِّمونه من الجن وغيرهم، ومثل أن يكتب أسماء اللَّه أو بعض كلامه بالنجاسة، أو يَقلِبُ فاتحة الكتاب، أو سورة الإخلاص أو آية الكرسي أو غيرهن، ويكتبهن بالنجاسة، فيُغوِّرون[(١)] له الماء، وينقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر، وقد يأتونه بما يهواه من امرأةٍ أو صبي؛ إما في الهواء، وإما مدفوعًا مُلجَأً إليه.

إلىٰ أمثال هذه الأمور التي يطولُ وصفُها، والإيمانُ بها إيمانٌ بالجبت والطاغوت، والجبت: السحر، والطاغوت: الشياطين والأصنام[(٢)].

(١) **يغوِّرون**: يُبعدون في الأرض.
(٢) راجع «رسالة في معنىٰ الطاغوت» (١/٢٧٧).

وإن كان الرجل مطيعًا للَّه ورسوله باطنًا وظاهرًا= لم يمكنهم الدخول معه في ذلك أو مسالمته.

ولهذا لما كانت عبادةُ المسلمين المشروعة في المساجد ـ التي هي بيوت اللَّه ـ كان عُمَّارُ المساجد أبعدَ عن الأحوال الشيطانية، وكان أهل الشرك والبدع ـ الذين يعظِّمون القبور ومشاهد الموتىٰ فيَدْعون الميت، أو يدْعون به[(١)]، أو يعتقدون أن الدعاء عنده مستجاب ـ أقربَ إلىٰ الأحوال الشيطانية.

فإنه ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: **«لعن اللَّهُ اليهودَ والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[(٢)].

وثبت في «صحيح مسلم» عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس ليال: **«إن أمَنَّ الناسِ عليَّ في صحبته وذات يده أبو بكر، ولو كنتُ متخذًا خليلًا من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكنَّ صاحبَكم خليل اللَّه، لا يَبقَينَّ في المسجد خَوْخَةٌ إلا سُدَّت إلا خوخةَ أبي بكر. وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، أَلَا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك»**[(٣)].

وفي «الصحيحين» عنه أنه ذُكر له في مرضه كنيسةٌ بأرض الحبشة، وذكروا من حُسنها وتصاويرَ فيها، فقال: **«إن أولئك إذا مات فيهم الرجلُ الصالح بنَوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوَّروا فيها تلك التصاوير؛ أولئك شرارُ الخلق عند اللَّه يوم القيامة»**[(٤)].

---

(١) يقصد: يتوسلون به.
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.
(٣) **صحيح**: وقد تقدم.
(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

وفي «المسند» و«صحيح أبي حاتم» عنه ﷺ قال: «إن من شرار الخلق مَن تُدركُهم الساعةُ وهم أحياء، والذين اتخذوا القبورَ مساجد»[(١)].

وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «لا تجلسوا علىٰ القبور، ولا تصلُّوا إليها»[(٢)].

وفي «الموطأ» عنه أنه قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد. اشتدَّ غضبُ اللَّه علىٰ قومٍ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد»[(٣)].

وفي «السنن» عنه أنه قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ حيثما كنتم؛ فإن صلاتكم تبلغُني»[(٤)].

وقال ﷺ: «ما من رجلٍ يُسلِّمُ عليَّ إلَّا ردَّ اللَّهُ عليَّ روحي حتىٰ أردَّ عليه السلام»[(٥)].

وقال ﷺ: «إن اللَّه وَكَّل بقبري ملائكةً يبلِّغوني عن أمَّتي السلام»[(٦)].

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) رواه مسلم (٩٧٢)، من حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

(٥) **حسن**: رواه أحمد (٢/٥٢٧)، وإسحاق بن راهويه (١/٢٥٤)، وأبو داود (٢٠٤١)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٤٧٩)، وفي «الدعوات» (١٧٨)، وفي «الكبرىٰ» (٥/٤٠٢)، وفي «حياة الأنبياء في قبورهم» (١٥)، والطبراني في «الأوسط» (٣٠٩٢)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/٣٣٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٢٦٦)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٦/٤٧٧).

(٦) **صحيح**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٠٢٨)، وأحمد (١/٣٨٧)، وعبدالرزاق (٣١١٦)، والنسائي (١٢٨٢)، وفي «الكبرىٰ» (١٢٠٦)، وفي =

وقال ﷺ: «**أكثِروا عليَّ من الصلاة يومَ الجمعة وليلةَ الجمعة؛ فإن صلاتكم معروضةٌ عليَّ**»، قالوا: يا رسول اللَّه، كيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أَرَمْتَ ـ أي بَلِيتَ ـ؟ فقال: «**إن اللَّه حرَّم علىٰ الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء**»[1].

= «عمل اليوم» (٦٦)، والدارمي (٢٨١٦)، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ» (٢١)، والبزار (٨٤٥)، والشاشي (٨٢٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠٥٢٩)، وابن حِبَّان (٩١٤)، والحاكم (٢/ ٤٢١)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٤٨٠)، وفي «الدعوات» (١٧٩)، وفي «حياة الأنبياء» (١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٠٠)، وفي «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٠٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٦٨٧)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند النَّسائي، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٧/ ٣٤٣).

تنبيه هام: لفظ الحديث: «**إن للَّه في الأرض ملائكةً سياحين**»، وليس: «**وكَّل بقبري**» ـ كما وهم الإمام ـ، وقد كرر هذا في عدة مواضع من مؤلفاته، مثل: «منهاج السنة» (٢/ ٤٤٢)، و«اقتضاء الصراط» (٢/ ٢٩٢). وكذا في عدة مواضع من «مجموع الفتاوىٰ». والعلمُ عند اللَّه تعالىٰ.

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٨)، وابن أبي شيبة (٢/ ٥١٦)، وأبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وفي «الكبرىٰ» (١٦٧٨)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٥٧٧)، والدارمي (١٦١٣)، وإسماعيل بن إسحاق في «فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ» (٢٢)، وابن خزيمة (١٧٣٣)، وابن حبان (٩١٠)، والحاكم (١/ ٢٧٨)، والطبراني في «الكبير» (٥٨٩)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٩٧٦)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢٤٨)، وفي «فضائل الأوقات» (٢٧٥)، من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه. **وصحَّحه** النووي في «الأذكار» (٣٣٢)، والحاكم، **ووافقه** الذهبي، وكذا الشيخ عبدالقادر الأرنؤوط في تحقيق «الأذكار»، والشيخ =

وقد قال اللَّه تعالىٰ في كتابه عن المشركين من قوم نوح عليه السلام:
﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح].

▫ قال ابن عباس وغيرُه من السلف: «هؤلاء قومٌ كانوا صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم، ثم صوَّروا تماثيلَهم فعبدوهم».

فكان هذا مبدأَ عبادة الأوثان. فنهىٰ النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد ليسُدَّ باب الشرك، كما نهىٰ عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها؛ لأن المشركين يسجدون للشمس حينئذ، والشيطان يقارنُها وقتَ الطلوع ووقت الغروب؛ فتكون في الصلاة حينئذٍ مشابهةٌ لصلاة المشركين، فسَدَّ هذا الباب.

والشيطان يُضلُّ بني آدم بحسب قدرته؛ فمن عَبَد الشمسَ والقمر والكواكب ودعاها ـ كما يفعل أهل دعوة الكواكب ـ، فإنه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمور، ويسمُّون ذلك: «رُوحانية الكواكب»، وهو شيطان.

والشيطان وإن أعان الإنسان علىٰ بعض مقاصده، فإنه يَضُرُّه أضعاف ما ينفعه، وعاقبةُ مَن أطاعه إلىٰ شرٍّ إلا أن يتوب اللَّه عليه، وكذلك عباد الأصنام قد تُخاطبهم الشياطين، وكذلك من استغاث بميتٍ أو غائب، وكذلك من دعا الميت أو دعا به، أو ظن أن الدعاء عند قبره أفضلُ منه في البيوت والمساجد، ويرْوُون حديثًا هو كذبٌ باتفاق أهل المعرفة؛ وهو: «**إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب**

= الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٦/٨٤).



القبور»[(١)]؛ وإنما هذا وَضْعُ مَن فَتَح باب الشرك.

ويوجد لأهل البدع وأهل الشرك المتشبِّهين بهم من عُباد الأصنام والنصارىٰ والضُّلال من المسلمين أحوالٌ عند المشاهد يظنُّونها كرامات، وهي من الشياطين؛ مثل أن يضعوا سراويلَ[(٢)] عند القبر فيجدونه قد انعقد، أو يوضع عنده مصروعٌ فيرون شيطانه قد فارقه؛ يفعل الشيطانُ هذا ليُضلَّهم، وإذا قُرِئت آيةُ الكرسيِّ هناك بصدقٍ بَطَل هذا؛ فإن التوحيد يطرد الشيطان، ولهذا حُمل بعضهم في الهواء فقال: «لا إلٰه إلا اللَّه» فسقط. ومثل أن يرىٰ أحدهم أن القبر قد انشق وخرج منه إنسان فيظنه الميت، وهو شيطان.

وهذا بابٌ واسع لا يتسع له هذا الموضع.

ولما كان الانقطاعُ إلىٰ المغارات والبوادي من البدع التي لم يشرعها اللَّه ولا رسوله، صارت الشياطين كثيرًا ما تأوي إلىٰ المغارات والجبال؛ مثل مغارة الدم التي بجبل قاسيون، وجبل لبنان الذي بساحل الشام، وجبل الفتح بأسوان بمصر، وجبال بالروم وخراسان، وجبال بالجزيرة، وغير ذلك، وجبل اللُّكام، وجبل الأحيش، وجبل سبلان[(٣)] قرب أردبيل........................

(١) باطلٌ مختلق: وقد كرَّر بيان بطلانه الإمام ابن تيمية في عددٍ من مؤلَّفاته.

(٢) و«السراويل» لفظٌ مفرد، وليس جمعًا ـ كما قال الإمام سيبويه رَحِمَهُ اللَّهُ ـ، وهي كذلك مؤنثة، ولا يعلم أحدٌ ذكَّرها. انظر: «منتدىٰ مجمع اللغة العربية» علىٰ الشبكة الدولية، تحت عنوان: «سراويل مفرد أم جمع؟ ممنوع أم مصروف؟».

(٣) في بعض النسخ: «سولان».

وجبل شهنك[(١)] عند تِبريز، وجبل ماشكو عند أقشوان، وجبل نهاوند، وغير ذلك من الجبال التي يَظن بعضُ الناس أن بها رجالًا من الصالحين من الإنس ويسمونهم: «رجال الغيب»، وإنما هناك رجال من الجن، فالجنُّ رجالٌ كما أن الإنس رجال، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن].

ومن هؤلاء من يَظهر بصورة رجل شَعْراني[(٢)]، جلده يشبه جلد الماعز، فيظن من لا يعرفه أنه إنسي، وإنما هو جني، ويقال: بكل جبل من هذه الجبال الأربعون الأبدال! وهؤلاء الذين يُظنُّ أنهم الأبدال هم جنٌّ بهذه الجبال، كما يُعرف ذلك بطرقٍ متعددة.

وهذا باب لا يتسع هذا الموضع لبسطِه وذِكْرِ ما نعرفه من ذلك؛ فإنَّا قد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه في هذا المختصر الذي كُتب لمن سأل أن نذكر له من الكلام علىٰ أولياء اللَّه تعالىٰ ما يَعرف به جمل ذلك.

✍ [أحوال الناس مع خوارق العادات]:

والناس في خوارق العادات علىٰ ثلاثة أقسام:

١ - قسم يُكذِّب بوجود ذلك لغير الأنبياء، وربما صدَّق به مجمَلًا، وكذَّب ما يُذكر له عن كثيرٍ من الناس؛ لكونه عنده ليس من الأولياء.

٢ - ومنهم من يَظن أن كل من كان له نوعٌ من خرق العادة كان وليًّا للَّه.

---

(١) في بعض النسخ: «سهل».

(٢) **شعراني**: كثير الشعر.

وكِلا الأمرين خطأ؛ ولهذا تجد أن هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نُصَراءَ يعينونهم علىٰ قتال المسلمين، وأنهم من أولياء اللَّه. وأولئك يكذِّبون أن يكون معهم من له خَرقُ عادة.

٣ - والصوابُ القول الثالث، وهو أن معهم من ينصرهم من جنسهم لا من أولياء اللَّه ﷻ، كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة: ٥١].

وهؤلاء العُباد والزهاد - الذين ليسوا من أولياء اللَّه المتقين المتَّبِعين للكتاب والسنة - تقترن بهم الشياطين؛ فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله، لكنَّ خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضًا، وإذا حَصَل من له تمكُّنٌ من أولياء اللَّه تعالىٰ أبطلها عليهم، ولابدَّ أن يكون في أحدهم من الكذب - جهلاً أو عمدًا - ومن الإثم ما يناسب حالَ الشياطين المقترنة بهم ليفرِّق اللَّه بذلك بين أوليائه المتقين وبين المتشبِّهين بهم من أولياء الشياطين.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٢٢٢﴾ [الشعراء]. والأفاك: الكذاب، والأثيم: الفاجر.

ومن أعظم ما يُقوِّي الأحوال الشيطانية: سماع الغناء والملاهي، وهو سماع المشركين.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ﴾ [الأنفال: ٣٥].

▫ قال ابن عباس وابن عمر ﭭ وغيرهما من السلف: «التصدية: التصفيق باليد، والمكاء: مثل الصفير».

فكان المشركون يتخذون هذا عبادة. وأما النبي ﷺ وأصحابه فعبادتهم ما أَمر اللَّه به من الصلاة والقراءة والذكر... ونحو ذلك، والاجتماعات الشرعية، ولم يجتمع النبي ﷺ وأصحابه علىٰ استماع غناءٍ قط ـ لا بكفٍّ ولابدُف، ولا تواجُدٍ ـ، ولا سقطت بُردتُه؛ بل كل ذلك كذبٌ باتفاق أهل العلم بحديثه[(١)].

- وكان أصحابُ النبي ﷺ إذا اجتمعوا أَمَروا واحدًا منهم أن يقرأ، والباقون يستمعون.

- وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسىٰ الأشعري: «ذكِّرْنا ربَّنا». فيقرأ وهم يستمعون[(٢)].

ومر النبي ﷺ بأبي موسىٰ الأشعري وهو يقرأ؛ فقال له: **«مررتُ بك البارحةَ وأنت تقرأ، فجعلتُ أستمع لقراءتك»**، فقال: لو علمتُ أنك تستمع لحبَّرته لك تحبيرًا[(٣)].

---

(١) راجع (٣/١٥٠).

(٢) ورد في النسخة المحققة بعد هذا الأثر إعادةٌ طويلة لما سبق للإمام أن ذكره ص(٢٣٦) بدايةً من قوله: «ومِن هذه الأرواح الشيطانية: الروح الذي يزعم صاحب «الفتوحات» أنه ألقىٰ إليه ذلك الكتاب...» إلىٰ قوله ص(٢٣٧): «فإن كل واحد من الناس يميز بين نفسه وغيره، وليس هو ثالثًا». ولم يردْ في هذه النسخة المحققة ـ أيضًا ـ ما ورد هنا من أول الحديث القادم من استماع الحبيب ﷺ لأبي موسىٰ الأشعري وهو يقرأ القرآن، حتىٰ قوله: «ولهذا كثيرًا ما يعاقَبُ أصحابُ الخوارق» الآتي ص(٣٠٣). والظاهر أنه وقع خطأٌ وخلطٌ في تلك النسخة المحققة. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

(٣) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (٨٠٠٤)، وأبو يعلىٰ (٧٢٧٩)، وابن حبان (٧١٩٧)، والحاكم (٣/٤٦٦)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٩٦٢)، وفي =

أي: لحسَّنته لك تحسينًا.

كما قال النبي ﷺ: «**زيِّنوا القرآن بأصواتكم**»[(١)].

وقال ﷺ: «**لَلَّهُ أَشَدُّ أَذَنًا - أي: استماعًا - إلىٰ الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القَيْنة إلىٰ قَيْنته**»[(٢)][(٣)].

= «الكبرىٰ» (١٨/٣)، والبزار (٣١٦٠)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٢٥٨/١)، والرُّوياني (١٦)، من حديث بريدة رضي الله عنه. **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، بينما **لم يوافقه** في «سير أعلام النبلاء» (٣٨٧/٢) - لعلةٍ في إسناده -، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه علىٰ «الإحسان»: «**إسناده علىٰ شرط مسلم**».
والحديث رواه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٤)، من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه دون ذكر قوله للنبي ﷺ.
وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٣٨٧/٢)، و«مجمع الزوائد» (٣٥٤/٧).

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢٨٣/٤)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٦٨)، وأبو داود (١٤٦٨)، والنسائي (١٠١٥)، وفي «الكبرىٰ» (١٠٨٩)، والآجُرِّي في «أخلاق حملة القرآن» (٢٠٣ - تهذيبي)؛ من حديث البراء ابن عازب رضي الله عنه، **وجوَّده** الإمام ابن كثير في مقدمة تفسيره «فضائل القرآن» (١٩٠)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٤٥١/٣٠).

(٢) **القَيْنة**: المغنِّية.

(٣) **حسن - إن شاء اللَّه -**: رواه أحمد (١٩/٦)، والبخاري في «التاريخ» (١٢٤/٧)، وابن ماجه (١٣٤٠)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» ص (١٦١)، والآجري في «أخلاق أهل القرآن» (٨٠)، وابن حِبَّان (٣٧٤)، والحاكم (٥٧٠/١)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٢٣٠/١٠)، والطبراني في «الكبير» (٣٠١/١٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢١/٦١)، **وصحَّحه** الحاكم، **وأقرَّه** الذهبي، وكذا **أقرَّه**: الحافظ المنذري في «الترغيب» =

وقال ﷺ لابن مسعود: «**اقرأ عليَّ القرآن**». فقال: أقرأُ عليك، وعليك أُنزل؟ فقال: «**إني أُحبُّ أن أسمعَه من غيري**». فقرأت عليه سورة النساء، حتىٰ انتهيت إلىٰ هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾ [النساء]، قال: «**حسبك**»، فإذا عيناه تَذرِفان من البكاء(١).

ومثل هذا السماع هو سماع النبيين وأتباعهم، كما ذكره اللَّه في القرآن فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ۝٥٨﴾ [مريم].

وقال في أهل المعرفة: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

ومدح ـ سبحانه ـ أهل هذا السماع بما يحصل لهم من زيادة الإيمان واقشعرار الجلد ودمع العين:

فقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

= (٢٢٣٢)، والحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٣٧٣/١)، والحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦٩/٩)، وحسَّنه الإمام البوصيري في «الزوائد»، وضعَّفه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٩٥١)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٧٢/٣٩).

(١) رواه البخاري (٤٥٨٣)، ومسلم (٨٠٠)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.



كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال].

وأما السماع المحدَث - سماع الكفِّ والدفِّ والقصب -، فلم تكن الصحابة والتابعون لهم بإحسانٍ وسائر الأكابر من أئمة الدين يجعلون هذا طريقًا إلىٰ اللَّه ﷻ، ولا يعدُّونه من القُرَب والطاعات؛ بل يعدونه من البدع المذمومة.

- حتىٰ قال الشافعي: «خلَّفتُ ببغداد شيئًا أحدثته الزنادقة يسمونه: التغبير؛ يصدُّون به الناس عن القرآن».

وأولياء اللَّه العارفون يعرفون ذلك، ويعلمون أن للشيطان فيه نصيبًا وافرًا؛ ولهذا تاب منه خيارٌ من حضره منهم.

ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية اللَّه كان نصيبُ الشيطان منه أكثر، وهو بمنزلة الخمر، [بل] يؤثر في النفوس أعظم من تأثير الخمر؛ ولهذا إذا قويت سَكْرةُ أهله نزلت عليهم الشياطين، وتكلمت علىٰ ألسنة بعضهم، وحملت بعضهم في الهواء، وقد تحصل عداوةٌ بينهم، كما تحصل بين شُرَّاب الخمر؛ فتكون شياطين أحدهم أقوىٰ من شياطين الآخر فيقتلونه، ويظن الجهالُ أن هذا من كرامات أولياء اللَّه المتقين! وإنما هذا مُبعِدٌ لصاحبه عن اللَّه، وهو من أحوال الشياطين؛ فإنَّ قتل المسلم لا يَحِلُّ إلا بما أحله اللَّه، فكيف يكون قتل المعصوم مما يُكرم اللَّهُ به أولياءه؟! وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة، فلم يُكرِمُ اللَّه عبدًا بمثل أن يعينَه علىٰ ما يحبه ويرضاه، ويزيده مما يقربه إليه، ويرفع به درجته.

[أنواع الخوارق]:

وذلك أن الخوارق:

١ ـ منها ما هو من جنس العلم كالمكاشفات.

٢ ـ ومنها ما هو من جنس القدرة والمُلك كالتصرفات الخارقة للعادات.

٣ ـ ومنها ما هو من جنس الغنىٰ عن جنس ما يعطاه الناس في الظاهر من العلم والسلطان والمال والغنىٰ.

وجميع ما يؤتيه اللَّه لعبده من هذه الأمور إن استعان به علىٰ ما يحبه اللَّه ويرضاه، ويقربه إليه ويرفع درجته، ويأمره اللَّه به ورسوله= ازداد بذلك رفعةً وقربًا إلىٰ اللَّه ورسوله، وعلت درجته. وإن استعان به علىٰ ما نهىٰ اللَّه عنه ورسوله ـ كالشرك والظلم والفواحش ـ استحق بذلك الذم والعقاب، فإن لم يتداركه اللَّه تعالىٰ بتوبةٍ أوحسناتٍ ماحية، وإلا كان كأمثاله من المذنبين، ولهذا كثيرًا ما يعاقَبُ أصحابُ الخوارق:

ـ تارةً بسلبها، كما يُعزَل المَلِك عن مُلكه، ويُسلَبُ العالِمُ عِلمَه.

ـ وتارةً بسلب التطوعات؛ فيُنقل من الولاية الخاصة إلىٰ العامة.

ـ وتارةً ينزل إلىٰ درجة الفسَّاق.

ـ وتارةً يرتدُّ عن الإسلام، وهذا يَكثر فيمن له خوارقُ شيطانية؛ فإن كثيرًا من هؤلاء يرتدُّ عن الإسلام، وكثيرٌ منهم لا يعرف أن هذه من الشياطين؛ بل يظنها من كرامات أولياء اللَّه، ويظن من يظنُّ منهم أن اللَّه ﷻ إذا أعطىٰ عبدًا خَرْقَ عادةٍ لم يحاسبه علىٰ ذلك، كمن يَظن أن اللَّه إذا أعطىٰ عبدًا مُلكًا ومالًا وتصرفًا لم يحاسبه عليه.

٤ ـ ومنهم من يستعين بالخوارق علىٰ أمورٍ مباحة ـ لا مأمورًا بها ولا منهيًّا عنها ـ؛ فهذا يكون من عموم الأولياء، وهم الأبرار

المقتصدون، وأما السابقون المقربون فأعلىٰ من هؤلاء، كما أن العبد الرسول أعلىٰ من النبي المَلِك.

ولما كانت الخوارق كثيرًا ما تَنقُصُ بها درجة الرجل، كان كثيرٌ من الصالحين يتوب من مثل ذلك، ويستغفر اللَّه تعالىٰ، كما يتوب من الذنوب كالزنا والسرقة، وتُعرض علىٰ بعضهم، فيسأل اللَّه زوالها، وكلهم يأمر المريد السالك ألَّا يقف عندها، ولا يجعلها همَّته، ولا يتبجَّحُ بها، مع ظنهم أنها كرامات، فكيف إذا كانت بالحقيقة من الشياطين تُغويهم بها؟! فإني أعرفُ من تخاطبُه النباتات بما فيها من المنافع، وإنما يخاطبُه الشيطان الذي دخل فيها. وأعرفُ من يخاطبهم الحجرُ والشجر؛ وتقول: «هنيئًا لك يا ولي اللَّه»، فيقرأ آيةَ الكرسي فيذهب ذلك، وأعرفُ من يقصد صيد الطير؛ فتخاطبه العصافير وغيرها، وتقول: «خذني حتىٰ يأكلني الفقراء»، ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنس ويخاطبه بذلك.

ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق؛ فيرىٰ نفسه خارجه وهو لم يُفتح وبالعكس، وكذلك في أبواب المدينة، وتكون الجنُّ قد أدخلته وأخرجته بسرعة، أو تريه أنوارًا، أو تُحضر عنده من يطلبه، ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه، فإذا قرأ آية الكرسي مرةً بعد مرةً ذهب ذلك كله.

وأعرفُ من يخاطبه مخاطِبٌ ويقول له: «أنا من أمر اللَّه»، ويَعِدُه بأنه المهديُّ الذي بشَّر به النبي ﷺ، ويُظهر له الخوارق، مثل أن يخطر بقلبه تصرفٌ في الطير والجراد في الهواء وفي المواشي، فإذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يمينًا أو شمالًا= ذهب حيث أراد، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي أو نومه أو ذهابه= حصل له ما

أراد من غير حركةٍ منه في الظاهر، وتحمله إلىٰ مكة وتأتي به، وتأتيه بأشخاص في صورةٍ جميلة، وتقول له: هذه الملائكة الكَروبيُّون[١] أرادوا زيارتك، فيقول في نفسه: كيف تصوروا بصورة المردان؟! فيرفع رأسه فيجدهم بلحًىٰ، ويقول له: «علامة أنك أنت المهدي أنك تنبُت في جسدك شامةٌ». فتنبت ويراها... وغير ذلك، وكلُّه من مكر الشيطان.

وهذا باب واسع، لو ذكرت ما أعرفه منه لاحتاج إلىٰ مجلد كبير.

وقد قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر]، قال اللَّه تبارك وتعالىٰ: ﴿كَلَّا﴾ [الفجر: ١٧]، ولفظ ﴿كَلَّا﴾ فيها زجرٌ وتنبيه: زجرٌ عن مثل هذا القول، وتنبيه علىٰ ما يُخبَرُ به ويُؤمَرُ به بعده، وذلك أنه ليس كلُّ من حَصَل له نِعَمٌ دنيوية تُعدُّ كرامةً يكون اللَّه عز وجل مكرمًا له بها، ولا كل من قدَّر عليه ذلك يكون مهينًا له بذلك، بل هو ـ سبحانه ـ يبتلي عبده بالسراء والضراء؛ فقد يعطي النِّعم الدنيوية لمن لا يحبُّه، ولا هو كريم عنده ليستدرجه بذلك، وقد يحمي منها من يحبُّه ويواليه لئلا تنقصَ بذلك مرتبته عنده، أو يقع بسببها فيما يكرهه منها.

وأيضًا كرامات الأولياء لابد أن يكون سببُها الإيمان والتقوىٰ، فما كان سببُه الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء اللَّه، لا من كرامات أولياء اللَّه، فمن كانت خوارقه لا تحصُل بالصلاة

---

(١) **الكروبيون**: سادة الملائكة.

والقراءة والذكر وقيام الليل والدعاء، وإنما تحصل عند الشرك: مثل دعاء الميت والغائب، أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات ـ كالحيات والزنابير والخنافس والدم وغيره من النجاسات ـ، ومثل الغناء والرقص ـ لا سيما مع النسوة الأجانب والمردان ـ، وحاله وخوارقه تنقص عند سماع القرآن وتقوىٰ عند سماع مزامير الشيطان فيرقص ليلًا طويلًا، فإذا جاءت الصلاة صلىٰ قاعدًا، أو ينقُر الصلاة نقر الديك، وهو يبغض سماع القرآن، وينفر عنه، أو يتكلفه، ليس له فيه محبةٌ ولا ذوقٌ ولا لذةٌ عند وَجْدِه، ويحب سماع المكاء والتصدية، ويجد عنده مواجيد= فهذه أحوال شيطانية، وهو ممن يتناولُه قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف].

فالقرآن هو ذِكرُ الرَّحمٰن، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه] يعني تركت العمل بها.

▫ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «تكفَّل اللَّه لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه ألَّا يضلَّ في الدنيا، ولا يشقىٰ في الآخرة». ثم قرأ هذه الآية.



فصل

ومما يجب أن يُعلم أن اللَّه بعث محمدًا ﷺ إلىٰ جميع الإنس والجن، فلم يبق إنسيٌّ ولا جنيٌّ إلا وجب عليه الإيمان بمحمد ﷺ واتباعه، فعليه أن يصدِّقه فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن بها فهو كافر، سواءٌ كان إنسيًّا أو جنيًّا؛ فمحمدٌ ﷺ مبعوث إلىٰ الثقلين باتفاق المسلمين، وقد استمعتِ الجنُّ القرآن، وولَّوا إلىٰ قومهم منذرين لما كان النبي ﷺ يصلي بأصحابه ببطن نخلة لما رجع من الطائف، وأخبره اللَّه بذلك في القرآن بقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف].

وأنزل اللَّه تعالىٰ بعد ذلك: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا[1] مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا[2] ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن]. أي: السفيه منَّا في

---

(١) ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾: عظمته وجلاله.

(٢) ﴿شَطَطًا﴾: قولًا منكرًا بعيدًا عن الحق.

أظهر قولي العلماء(١).

▫ وقال غير واحد من السلف: «كان الرجل من الإنس إذا نزل بالوادي قال: أعوذ بعظيم هذا الوادي من شرِّ سفهاء قومه، فلما استعاذت الإنس بالجن ازدادت الجنُّ طغيانًا وكفرًا».

كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾ [الجن].

وكانت الشياطين تُرمىٰ بالشهب قبل أن ينزل القرآن، لكن كانوا أحيانًا يَسترِقون السمع قبل أن يصل الشهاب إلىٰ أحدهم، فلما بُعث محمد ﷺ مُلئت السماءُ حرسًا شديدًا وشهبًا، وصارت الشهبُ مرصدةً(٢) لهم قبل أن يسمعوا، كما قالوا: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن].

وقال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء].

قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾، أي: علىٰ مذاهب شتىٰ، كما قال العلماء: منهم المسلم والمشرك والنصراني والسُّني والبدعي، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾، أخبروا أنهم لا يُعجزونه: لا إن أقاموا في الأرض، ولا إن هربوا منه، ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا

---

(١) لأن بعضهم قال عن «السفيه»: إنه إبليس الكبير ـ خاصةً ـ.
(٢) مرصدة: معدَّة.

ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾، أي: الظالمون، يقال: أَقسَطَ إذا عدل، وقَسَط إذا جار وظلم، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا[1] ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾، أي: ملجأً ومَعاذًا، ﴿إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الجن].

ثم لما سمعت الجنُّ القرآنَ أتَوا إلىٰ النبي ﷺ وآمنوا به، وهم جِنُّ نَصِيبين[2]، كما ثبت ذلك في «الصحيح» من حديث ابن مسعود[3]، وروي أنه قرأ عليهم سورة «الرَّحمٰن»، وكان إذا قال: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾ [الرَّحمٰن] قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذِّب، فلك الحمد[4].

---

(١) راجع (٢/٥٦٤).

(٢) **نَصِيبين**: بلدة ببلاد الشام.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) **حسن**: رواه التِّرمذي (٣٢٩١)، والحاكم (٢/٤٧٣)، والبيهقي في «شُعَب الإيمان» (٢٢٦٤)، وفي «الدلائل» (٢/٢٣٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/١٦٦٦)، وابن المقرئ في «معجمه» (١٠٧٥)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٢/٣٣٥)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٩)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/٢٢١)، والإسماعيلي في «معجم الشيوخ» (١/٣٤٣)، من حديث جابر بن عبداللَّه ﵄، **وضعَّفه** الترمذي، **وحسَّنه** الشيخ الألباني عنده، والشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (٥/٤٨٥).

ولما اجتمعوا بالنبي ﷺ سألوه الزاد لهم ولدوابهم، فقال: «لكم كلُّ عَظْمٍ ذُكر اسمُ اللَّه عليه؛ تجدونه أوفرَ ما يكون لحمًا، وكلُّ بَعْرةٍ عَلَفٌ لدوابِّكم»، قال النبي ﷺ: «فلا تستنجوا بهما؛ فإنهما زادٌ لإخوانكم من الجن»[(١)].

وهذا النهي ثابت عنه من وجوهٍ متعددة، وبذلك احتج العلماء علىٰ النهي عن الاستنجاء بذلك، وقالوا: فإذا مُنع من الاستنجاء بما أُعدَّ للجن ولدوابهم، فما أُعد للإنس ولدوابهم من الطعام والعلف أولىٰ وأحرىٰ.

ومحمد ﷺ أُرسل إلىٰ جميع الإنس والجن، وهذا أعظم قدرًا عند اللَّه تعالىٰ من كون الجن سُخِّروا لسليمان عليه السلام، فإنهم سُخروا له يتصرف فيهم بحكم المُلْك، ومحمد ﷺ أُرسل إليهم يأمرهم بما أمر اللَّه به ورسوله؛ لأنه عبدُ اللَّه ورسوله، ومنزلةُ العبد الرسول فوق منزلة النبي المَلِك.

وكفار الجن يدخلون النار بالنص والإجماع، وأما مؤمنوهم فجمهور العلماء علىٰ أنهم يدخلون الجنة، وجمهور العلماء علىٰ أن الرسل من الإنس، ولم يُبعث من الجن رسول، لكن منهم النُّذُر، وهذه المسائل لبسطها موضع آخر.

[أحوال الجن مع الإنس]:

والمقصود هنا أن الجن مع الإنس علىٰ أحوال:

١ ـ فمن كان من الإنس يأمرُ الجن بما أَمَر اللَّه به ورسوله من عبادة اللَّه وحده وطاعة نبيِّه، ويأمر الإنس بذلك= فهذا من أفضل

(١) رواه مسلم (٤٥٠)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

أولياء اللَّه تعالىٰ، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونُوَّابه.

٢ ـ ومن كان يستعمل الجن في أمورٍ مباحة له، فهو كمن استعمل الإنس في أمورٍ مباحةٍ له، وهذا كأن يأمرَهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرم عليهم، ويستعملهم في مباحاتٍ له، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك، وهذا إذا قدِّر أنه من أولياء اللَّه تعالىٰ فغايته أن يكون في عموم أولياء اللَّه؛ مثل النبي المَلِك مع العبد الرسول؛ كسليمان ويوسف مع إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد ـ صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين ـ.

٣ ـ ومن كان يستعمل الجن فيما ينهىٰ اللَّه عنه ورسوله: إما في الشرك، وإما في قتل معصوم الدم، أو في العدوان عليه بغير القتل، كتمريضه وإنسائه العلم وغير ذلك من الظلم، وإما في فاحشةٍ كجلب من يطلب منه الفاحشة = فهذا قد استعان بهم علىٰ الإثم والعدوان، ثم إنِ استعان بهم علىٰ الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم علىٰ المعاصي فهو عاص: إما فاسق وإما مذنب غير فاسق[(١)]، وإن لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظنُّ أنه من الكرامات: مثل أن يستعين بهم علىٰ الحج، أو أن يطيروا به عند السماع البدعي، أو أن يحملوه إلىٰ عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذي أمره اللَّه به ورسوله، وأن يحملوه من مدينةٍ إلىٰ مدينة، ونحو ذلك ـ فهذا مغرورٌ قد مكروا به.

وكثيرٌ من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن؛ بل قد سمع أن أولياء اللَّه لهم كراماتٌ وخوارق للعادات، وليس عنده من حقائق

---

(١) **الفاسق**: يطلق علىٰ مرتكب الكبيرة.

الإيمان ومعرفة القرآن ما يفرِّق به بين الكرامات الرحمانية وبين التلبيسات الشيطانية، فيمكرون به بحسب اعتقاده؛ فإن كان مشركًا يعبد الكواكب والأوثان أوهموه أنه يَنتفع بتلك العبادة، ويكون قصده الاستشفاع والتوسل بمن صُوِّر ذلك الصنم علىٰ صورته من مَلَكٍ أو نبي أو شيخ صالح، فيظن أنه يعبد ذلك النبيَّ أو الصالح، وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ].

ولهذا لما كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها، فيقارنها الشيطان عند سجودهم ليكون سجودُهم له، ولهذا يتمثل الشيطانُ بصورة من يستغيث به المشركون؛ فإن كان نصرانيًا وقد استغاث بجرجس أو غيره، جاء الشيطان في صورة جرجس أو من يستغيثُ به، وإن كان منتسبًا إلىٰ الإسلام، واستغاث بشيخ يُحسِنُ الظن به من شيوخ المسلمين جاء في صورةِ ذلك الشيخ، وإن كان من مشركي الهند جاء في صورة من يعظِّمُه ذلك المشرك.

ثم إن الشيخ المستغاثَ به إن كان ممن له خبرةٌ بالشريعة، لم يعرِّفْه الشيطان أنه تمثل لأصحابه المستغيثين به، وإن كان الشيخ ممن لا خبرة له بأقوالهم نقل أقوالهم له؛ فيظن أولئك أن الشيخ سمع أصواتهم من البُعد وأجابهم، وإنما هو بتوسط الشيطان.

ولقد أخبر بعضُ الشيوخ الذين كان قد جرىٰ لهم مثلُ هذا بصورةِ مكاشفةٍ ومخاطبة، فقال: «يُريني الجنُّ شيئًا براقًا مثل الماء والزجاج»، ويمثِّلون له فيه ما يُطلب منه الإخبارُ به، قال: «فأُخبر الناس به، ويوصلون إليَّ كلام من استغاث بي من أصحابي، فأجيبه،

فيوصلون جوابي إليه».

وكان كثيرٌ من الشيوخ الذين حصل لهم كثيرٌ من هذه الخوارق إذا كذَّب بها من لم يعرفها، وقال: إنكم تفعلون هذا بطريق الحيلة، كما يدخل النار بحجر الطَّلْق، وقشور النارنج، ودُهن الضفادع(١)، وغير ذلك من الحيل الطبيعية، فيعجب هؤلاء المشايخ، ويقولون: نحن ـ واللَّهِ ـ لا نعرف شيئًا من هذه الحيل، فلما ذَكر لهم الخبير إنكم لصادقون في ذلك، ولكن هذه الأحوال شيطانية= أقروا بذلك، وتاب منهم من تاب اللَّه عليه لما تبيَّن لهم الحق، وتبين لهم من وجوهٍ كثيرة أنها من الشيطان، ورأوا أنها من الشياطين لمَّا رأوا أنها تحصل بمثل البدع المذمومة في الشرع وعند المعاصي للَّه، ولا تحصل عند ما يحبُّه اللَّه ورسوله من العبادات الشرعية، فعلموا حينئذٍ أنها من مخارق الشيطان لأوليائه؛ لا من كرامات الرَّحمٰن لأوليائه.

واللَّه ﷻ أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

وصلىٰ اللَّه وسلم علىٰ محمدٍ سيد رسله وأنبيائه، وعلىٰ آله وصحبه وأنصاره وأشياعه وخلفائه صلاةً وسلامًا نستوجبُ بهما شفاعته؛ آمين.



(١) وهي أشياء إذا دهنها الرجل علىٰ جسده ودخل النار= لم تؤثر فيه بالإحراق.

[٣٦]

الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد

للإمام

محمد بن علي الشوكاني

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

[السؤال الوارد للعلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ][٢]:

هذا السؤال كتبه إليَّ القاضي العلامة محمد بن أحمد مشحم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأجبت بالرسالة الآتية:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للَّه رب العالمين، وصلىٰ اللَّه وسلم علىٰ سيدنا محمد وآله.

وبعد:

فإنه خطر بالخاطر الفاتر القاصر تحريرُ هذا السؤال عما أهمه من مسألة «التوسل بالأنبياء والأولياء الأكابر»، مع ما عَرَف فيها

---

(١) وقفتُ علىٰ طبعتين لهذه الرسالة، إحداهما في «الفتح الرباني من فتاوىٰ الإمام الشوكاني» (٢٧٩/١)، والأخرىٰ بتخريج الشيخ أبي عبداللَّه الحلبي، والأولىٰ تحتوي علىٰ عديد من التحريفات، وفيها أخطاء في الضبط ـ التشكيل ـ، والثانية أحسنهما صحةً وإخراجًا، وإن وقع فيها بعضُ الهنات. لكن تميزت الأولىٰ بوجود السؤال القادم بطوله، بينما خلت النسخة المخرَّجة منه. أما من ناحية التعليقات فكلتاهما احتوتا علىٰ تعليقات نفيسة، وما استفدته منهما عزوته لأصحاب الفضل. واللَّهُ تعالىٰ الموفِّق.

(٢) تنبه أن السؤال سيطول، وسينتهي ص(٣٣٥).

من افتراق[١] الأقوال، والرمي من كل فئةٍ للأخرىٰ بالداء العضال، وخروج أكثر المتوسلين عن جادة الطريق، وتعصب مخالفيهم، ورميهم في بعض أقوالهم بالتكفير والتفسيق، فحداني[٢] ما رأيت إلىٰ رَقْمِ[٣] هذه الكلمات في المسألة، واستفتاح أقفالها المقفَلة، موجهًا السؤال إلىٰ من ألقت إليه العلومُ مقاليدها، وملَّكته ـ بالوَهْب والكَسْب[٤] ـ طارفَها وتليدَها[٥]، فافتضَّ[٦] منها أبكار المعاني التي لم يَطمِثْها[٧] أحد قبله، وفتح من مقفلاتها ما كان مضمومًا لم يَحُمْ أحدٌ حوله، فأصبحت عيونُ المعاني به قريرة، وأسرار البلاغة بوجوده مسرورة، ومعالمُ التنزيل بأنواره منيرة، وصدور الأمهات الست به[٨] منشرحة، كما أن سطورها مشروحة، وأطرافها مزينةً بحلاه، التي هي اللآلئ المروجة[٩] = شيخ الإسلام، وقاضي الأنام محمد بن عليٍّ أعلىٰ اللَّه شأنه، ورزقه المكانة، وأباح له فضله وإحسانه.

---

(١) في «الفتح الرباني»: «اقتراف»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

(٢) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «فحراني» ـ بالراء ـ.

(٣) **الرَّقم**: الكتابة.

(٤) يقصد أن العلوم التي حواها الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ نالها بأمرين: موهبةً من اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكسبًا واجتهادًا منه، فحاز بذلك الفضلين.

(٥) **الطارف**: الحديث. **التليد**: القديم.

(٦) في «الفتح الرباني»: «فاقتصر»! ولعلَّ الأصحَّ ما أثبتُّه.

(٧) **يطمثها**: يفتضُّها ويلمسها.

(٨) في «الفتح الرباني»: «بأنها»، ولعل الأصح ما أثبتُّه أو نحوه.

(٩) كذا في المطبوع، ولم أتبينها. ولعلها بالحاء لمناسبة القافية؛ لكنني لم أتبينها ـ أيضًا ـ. فلتحرر.

[التوسل بجاه الأنبياء والأولياء][(١)]:

وإذا تشرَّفَتْ هذه الكتابةُ بمُثولها بين يديه، فالتوسل في ستر ما فيها به[(٢)] ـ أعزه اللَّه إليه ـ.

ولتعلمْ أولًا أن السائل ممن يرىٰ جواز هذه الوسائل؛ لكنه وقف قديمًا وحديثًا علىٰ كلامٍ لبعض الأكابر أوجب تحرير هذه الأحرف، وإبراز ما عنده وعند القاصر[(٣)].

ولما كان الأمرُ علىٰ هذه الصفة كان التحرير علىٰ طرازٍ لعله يوافق الطائفةَ المنصفة، وسينجاب عن وجه السؤال غبارُ الإشكال ـ إن شاء اللَّه ـ إذا لوحظ من مولاي ـ حفظه اللَّه ـ بالأفعال[(٤)]،

---

(١) انتبه ـ أيها القارئ الكريم ـ أن هذه المسألة سيورد فيها السائل كل ما حضره من ناحية، وسنرىٰ إجازة الإمام الشوكاني لها من ناحيةٍ أخرىٰ، وقد ارتأيتُ وضع ردٍّ تفصيلي عليها بدلائلها بعد نهاية كلام الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ ص(٤١٩)؛ فلينتبه إلىٰ هذا، وإن كنت سأُشير بعض الإشارات في الحواشي. واللَّهُ تعالىٰ الموفِّق للصواب.

(٢) يتوسل السائلُ بجاه المصنف في مسامحته علىٰ التقصير في السؤال، وأنه لم يعط المسؤول حقَّه من التعظيم والإجلال.

(٣) في المطبوع: «ولا عند القاصر»! ولعل الأصوب ما أثبتُّه.
ويلمح القارئ إنصافَ السائل، فإنه بعد اعتياده علىٰ تلك الأمور؛ إلا أنه لما رأىٰ الكثيرين يخالفونه ـ قديمًا وحديثًا ـ أحبَّ تحقيق الحق فيها، وهذا من دلائل الخير في الإنسان؛ بخلاف من يكبر عليه مثل هذا، بل قد يتيقن أنه علىٰ ضلال وحياد عن الحق، ويأبىٰ مجرد سماع أقوال المخالفين التي قد تُظهر له حقيقة ما هو عليه. واللَّهُ المستعان.

(٤) يقصد أن السؤال سيتضح جوابه علىٰ الكمال إذا أجاب عليه الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

ويَحمد السُّرىٰ[(١)] عند الصباح، وتُظهر أساريرُ وجهه عليها تباشيرَ الفلاح، واللَّه تعالىٰ يُديم دِيَمَ[(٢)] فوائدِكم، ويعيد علينا بركات عوائدكم بمَنِّه وفضله.

فنقول: التوسل إلىٰ اللَّه ﷻ معناه: التقرب إليه، والاستشفاع إلىٰ جنابه ﷻ بمن له منزلةٌ لديه وكرامةٌ من عملٍ أو شخص. ولا يخفىٰ أن لبعض الأعمال مزايا ومنازلَ لدىٰ الملكِ المتعال، كما أن لبعض الأشخاص كذلك بلا إشكال، ومنه حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة؛ فتوسلوا إلىٰ اللَّه بصالح أعمالهم، ففرَّج اللَّه عنهم[(٣)]، ومنه: «**كلمتانِ خفيفتان [علىٰ اللسان]، حبيبتان إلىٰ الرَّحمٰن**»[(٤)]؛ فإنَّ وَصْفَهما[(٥)] بكونهما حبيبتين مما يُشعِرُ بأن الحبيب إلىٰ اللَّه مما يُتوسل به إليه لكرمه عليه.

ومن التوسل بالأشخاص: حديث الضرير الذي علمه الرسول ﷺ صلاة الحاجة، وهو في «الحصن الحصين»، ورمز له للترمذي والنسائي والحاكم في «المستدرك»: «**اللهم إني أسألك وأتوجَّهُ إليك بنبيِّك محمد ـ نبي الرحمة ـ، يا محمد، إني أتوجَّهُ بك إلىٰ ربي في حاجتي لتُقضَىٰ لي، اللهم فشفِّعه فيَّ**»[(٦)].

قال المحقق الفاسي: أخرجه الترمذي، وقال: «حديث حسن

---

(١) **السُّرىٰ**: السير ليلًا. والمراد: الاجتهاد.

(٢) **الدِّيَم**: المطر والغيث.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

(٥) في «الفتح الرباني»: «وصفها»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

(٦) **صحيح**: وقد تقدم.

صحيح غريب»، والنسائي وابن ماجه والطبراني. وذكر في أوله قصة، وابن خزيمة في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه»، وقال: «صحيح علىٰ شرط البخاري ومسلم».

ولفظ النسائي: أن أعمىٰ أتىٰ النبي ﷺ؛ فقال: يا رسول اللَّه، ادْعُ اللَّه لي أن يكشف لي عن بصري، قال: «**أوَ أَدَعُك؟**»، قال: يا رسول اللَّه، إنه قد شق عليَّ، قال: «**فانطلقْ فتوضأ، ثم صلِّ ركعتين**...» الحديث[(١)].

فهذا فيه التوسل بنبينا ﷺ.

ومنه الدعاء الوارد إذا تفلَّت القرآن؛ عزاه السيوطي في «أذكاره» إلىٰ الديلمي في «مسند الفردوس»، وابن حبان: «**اللهم إني أسألُك بمحمدٍ نبيِّك، وإبراهيمَ خليلِك، وموسىٰ نَجِيِّك، وعيسىٰ رُوحِك وكلمتِك**...» الحديث[(٢)].

وفي أدعية الصباح والمساء ما[(٣)] رواه الطبراني في «الكبير»: «**أسألك بنُور وجهك الذي أشرقتْ له السماواتُ والأرض، وبكل حقٍّ**

---

(١) انظر السابق.

(٢) **ضعيف**: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» ـ كما في «الغرائب الملتقطة» للحافظ ابن حجر (٦١٥) ـ، وأبو الشيخ ابن حبان في كتاب «الثواب» ـ كما في تخريج «الإحياء» (١/٣١٤) ـ، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وحكم عليه الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» **بالضعف والانقطاع**. وأورده الإمام الفتَّني في «تذكرة الموضوعات» ص(٥٧)، **وضعَّفه**، وأورده ـ أيضًا ـ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وحكم عليه **بالوضع**.

(٣) في «الفتح الرباني»: «مما»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.



هو لك، وبحقِّ السائلينَ عليك»[(١)].

وفي الأدعية الواردة بعد الصلاة: «**اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، فإن للسائلين عليك حقًّا**...» الحديث. عزاه السيوطي في «أذكاره» إلىٰ الديلمي[(٢)].

ومنه ما ذكره المفسرون في تفسير «الكلمات» التي تلقاها أبو الخليقة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ من ربه جَلَّ وَعَلَا:

- فأخرج ابن المنذر عن محمد بن علي بن الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُم قال: «لما أصاب آدمُ الخطيئةَ عظُم كرْبُه، واشتد ندمُه، فجاءه جبريل

---

(١) **ضعيف جدًّا**: رواه الطبراني في «الكبير» (٨/٢٦٤)، وفي «الدعاء» (٣١٨)، من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٥٨): «فيه فضال بن جبير، وهو ضعيفٌ مجمَعٌ علىٰ ضعفه»، وقال الإمام ابن حبان عن فضال هذا في «المجروحين» (٢/٢٠٤): «لا يحلُّ الاحتجاج به بحال». وانظر: «ميزان الاعتدال» (٣/٣٤٧)، و«لسان الميزان» (٤/٤٣٤)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٦٢٥٣)، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢٠/٢٠٤).

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (٣/٢١)، وابن ماجه (٧٧٨)، والطبراني في «الدعاء» (٤٢١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٨٤)، من حديث أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. **وحسَّنه** الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (١/٢٨٢)، وصدَّره الحافظ المنذري في «الترغيب» (٤٨٨) **بصيغة التمريض، وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «سنن ابن ماجه» (١/٤٩٨)، والشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٤)، وفي «ضعيف الجامع» (٥٥٧١).

تنبيه: لم أقف علىٰ الزيادة المذكورة، وهي قوله: «**فإن للسائلين عليك حقًّا**».

عليه السلام؛ فقال: يا آدم، هل أدلك علىٰ باب توبتك الذي يتوب اللَّه [به] عليك؟ قال: بلىٰ ـ يا جبريل ـ. قال: قم في مقامك الذي تناجي فيه ربك؛ فمجِّدْه وامدحه[(١)]...»، حتىٰ قال في آخر الحديث: «اللهم إني أسألك بجاه محمدٍ عندك وكرامته عليك أن تغفر لي خطيئتي. فقال اللَّه: يا آدم، من علَّمك هذا؟ قال: يا رب، إنك لما نفخت فيَّ الروح فقمتُ بشرًا سويًّا أسمع وأُبصر وأعقل وأنظر= رأيت علىٰ ساق عرشك مكتوبًا: بسم اللَّه الرَّحمٰن الرحيم، لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، محمد رسول اللَّه، فلما لم أر علىٰ إثرِ اسمك اسمَ مَلَكٍ مقرَّبٍ ولا نبيٍّ مرسَلٍ غيرَ اسمه؛ علمت أنه أكرمُ خلقِك عليك، قال: صدقت يا آدم»[(٢)].

وهذا وإن كان منقطعًا فإن مثله من مثل الباقر محمد بن علي رضي الله عنه لا يقال بالرأي، ولا يطلقه شاكًّا في سنده[(٣)].

▫ وأخرج الديلمي في «مسند الفردوس» بسندٍ واهٍ عن علي رضي الله عنه أنه قال: «[قال] آدم: **اللهم إني أسألُك بحقِّ محمدٍ وآل محمد**»[(٤)].

وأخرج ابن النجار عن ابن عباس قال: سألت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم عن الكلمات التي تلقاها آدم؛ فقال: «**سأل بحقِّ محمدٍ وعليٍّ وفاطمةَ**

---

(١) في «الفتح الرباني»: «وامدح»، ولعل الأصح ما أثبته.

(٢) وهو أثرٌ منكر لا أصل له.

(٣) بغض النظر عن إسناده، فهذا الأثر لا اعتماد عليه أصلًا؛ فهو ليس مستندًا شرعيًّا.

(٤) **موضوع**: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٤٠٦)، وفي إسناده حماد بن عمر النصيبي عن السري بن خالد، **وهما واهيان**.

والحسن والحسين؛ إلا تُبتَ عليَّ. فتاب عليه»[(١)].

وأخرج الطبراني في معجمه «الصغير»، والحاكم، وأبو نعيم، والبيهقي ـ كلاهما في «الدلائل» ـ، وابن عساكر عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لما أذنب آدمُ الذنبَ الذي أذنبه رفع رأسه إلىٰ العرش، وقال: أسألك بحق محمدٍ إلا غفرتَ لي**...» الحديث[(٢)].

كل هذه الأحاديث في «الدر المنثور» ـ رحم اللَّه مؤلفه، وجزاه خيرًا ـ.

فهذه الأحاديث منادِيةٌ بجواز التوسل بمن له عند اللَّه منزلة.

وقد ساق الحافظ السيوطي في «الخصائص الكبرىٰ» صلاة الحاجة التي علَّمها النبيُّ ﷺ الضرير في: «باب اختصاصه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بجواز أن يُقسَمَ علىٰ اللَّه تعالىٰ به». وذَكَر فيه قصةً رواها أبو نعيم، والبيهقي في دلائل النبوة؛ حاصلها:

- عن أبي أمامة بن سهل بن حُنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رجلًا كان يختلف إلىٰ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان عثمان لا ينظر في حاجته، ولا يلتفت، فلقي [الرجلُ] عثمانَ بنَ حُنيف، فشكىٰ إليه، فقال له: ائت الميضاة... وعلَّمَه صلاةَ الحاجة، ففعلها، ثم أتىٰ باب عثمان بن

---

(١) ضعيف جدًّا: أورده السيوطي في «الدر المنثور» (١/١٤٧)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ محمد صبحي حلاق في «الفتح الرباني» (١/٢٨٥).

(٢) موضوع: رواه الحاكم (٢/٢٦٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/٤٨٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/٤٣٧)، **وصحَّحه** الحاكم، فقال الذهبي: «**بل موضوع**»، وحكم عليه الذهبي ـ أيضًا ـ **بالبطلان** في «الميزان»، **وأقرَّه** الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/٣٢٣)، وحكم عليه **بالوضع** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٥).

عفان، فأدخله البوابُ علىٰ عثمان، ثم لقي عثمانَ بن حنيف فقال: جزاك اللَّه خيرًا، ما كان ينظر في حاجتي ـ يريد عثمان بن عفان ـ حتىٰ كلمتَه، قال له: ما كلمتُه، ولكن رأيت النبي ﷺ جاءه ضرير فشكىٰ إليه...» الحديث[(١)].

▫ قال السيوطي: «قال ابن عبدالسلام: ينبغي أن يكون هذا مقصورًا علىٰ رسول اللَّه ﷺ لأنه سيد ولد آدم، وألَّا يُقسَمَ علىٰ اللَّه بغيره من الأنبياء والأولياء؛ لأنهم ليسوا في درجته، وأن يكون هذا مما خُصَّ به ﷺ تنبيهًا علىٰ علو درجته ومرتبته...» انتهىٰ.

ولعله لأجل كلام ابن عبدالسلام ترجم السيوطي هذا الباب بهذه الترجمة.

ولا يخفىٰ أنه ليس في كلام ابن عبدالسلام ما يُشعر بالجزم؛ فإنه إنما قال: «ينبغي»، وأصل وصفها إنما هو بمعنىٰ «الأولوية»[(٢)].

وأيضًا ليس في هذه الأدلة ما ينفي الجواز؛ بل كلها صريح في جواز التوسل بالنبي ﷺ أو بمن له منزلةٌ عند اللَّه رفيعة[(٣)].

---

(١) ضعيف: رواه أبو نعيم في «المعرفة» (٤٩٢٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/١٦٧)، وفي إسناده عمر بن شبيب، **وهو ضعيف**، كما أفادني بذلك فضيلة الشيخ أبو عمر الذهبي ـ حفظه اللَّه ـ.

(٢) هذه العبارة تختلف من عالم إلىٰ آخر في مراده من استخدامها؛ ولابد أن يصرح صاحبها بمقصوده.

(٣) وكلها ـ كما رأينا ـ لم يثبت منها دليلٌ واحد يصلح للاحتجاج، والأحكام لا تثبت بالضعيف ـ فضلًا عن غيره ـ إجماعًا. كما لا تثبت بغير المرفوع للمعصوم ﷺ. وحديث الأعمىٰ ـ الصحيح ـ ليس فيه إشارة إلىٰ التوسل بالجاه ـ كما سيأتي الردُّ تفصيلًا ـ بعد كلام الإمام =



ولْنتأمَّلْ في الأحاديث الواردة في شأن قصة آدم؛ فإنها منادية بأن كل ذي جاهٍ عند ربه تعالىٰ يجوز التوسلُ إليه تعالىٰ، وعلىٰ هذا جرىٰ أكثرُ العلماء في توسلاتهم وأدعيتهم وأشعارهم بلا نكير[(١)].

فأما ما نُقل عن ابن عبدالسلام ـ ومثلُه عن مالك ـ؛ فإنه ما أدَّاهما إليه اجتهادهما. وهذه الأحاديث تلقَّاها الناس خلفًا عن سلف بالقبول، وعَمِل بهذه الأدعية الفاضلُ منهم والمفضول، وما تحرَّج أحد من المسلمين عن الدعاء ـ فيما أحسب ـ بهذه الأدعية، ولا عن صلاة الحاجة[(٢)].

فأما ما تُوُهِّم من اختصاص صلاة الحاجة والتوسل بالنبي ﷺ في حالة حياته = فهذا التوهمُ ما أبعَدَه عن فهم الأحاديث، وعن قوانين أهل العلم! فإنه لو صح التخصيصُ بهذه التخيلات الفاسدة لجاز في أكثر الأحاديث أن يقال: «هذا خاصٌّ في حياته ﷺ، ومِن أين لنا أنه عامٌّ بعد مماته»[(٣)]!

ونحو هذا ما تُوُهِّم ـ أيضًا ـ في التوسل بالعباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه[(٤)]: أنه يجوز التوسل بالحي دون الميت، لأن الميت الذي قد

= ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ.

(١) الأحاديث التي أشار إليها السائلُ لم يصحَّ منها شيءٌ ـ كما قلنا ـ، وفعل الكثرة ليس بحجةٍ بلا تردد؛ بل الحجة في الدليل المعصوم.

(٢) بل كثيرٌ منعوا وتحرَّجوا، ولم يعملوا بصلاة الحاجة لضعف حديثها. وفعل الكثرة ليس بحجة.

(٣) كلامٌ مردود ـ كما يأتي ـ.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

صار رهينًا في التراب ليس بأهلٍ [لأن] يُتوسل بما له من الجاه والكرامة والثواب! وهذا كما أنه تخصيصٌ بلا دليل ـ بل بحسب الواقعة ـ بعيد في النظر[1]؛ فإن الحي يجوز منه الغفلة والخطأ، فأما الميت الذي غَفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﷺ، أو المقطوع بأن له[2] عند اللَّه منازلَ رفيعة؛ فإنه لا يجوز منه ما ذُكر، والتوسل إنما هو بتلك المنزلة التي لذلك الشخص في الحقيقة التي نالها من ربه تعالىٰ.

وحاصل الأمر: أن مَنْ عَلِمْنا بطريقٍ صحيحةٍ منزلتَه عند ربه تعالىٰ، فأي مانعٍ لنا من التوسل به إلىٰ ربه الذي أعطاه هذه الرتبة لديه! وإذا جازت الشفاعة في يوم القيامة لمن لهم الشفاعة من الأنبياء والصديقين والشهداء والعلماء، فما المانع من أن اللَّه يُشفِّعهم في هذه الدار؟

وهذه الأدعية الواردة عن النبي ﷺ أصلٌ لهذه الدعوىٰ؛ فإنها واقعةٌ منه ﷺ في هذه الدار؛ نقلها رواة أخباره لتعليم العباد بالدعاء بها عند الشدائد، ونزول الملمات، واستجلاب الخيرات، ودفع البليات.

🕮 [الدعاء عند قبور الصالحين][3]:

---

(١) بل سيأتي لاحقًا أن قياس الميت علىٰ الحي قياسٌ فاسد.

(٢) في «الفتح الرباني»: «لهم»، ولعل الأدقَّ ما أثبتُّه.

(٣) لينتبه إلىٰ أن الكلام القادم لا يخالف ما سلف من إجازة السائل للتوسل بجاه الأنبياء والصالحين، وإنما المراد هنا أنه يمنع «تعمُّد الذهاب» إلىٰ قبور الصالحين للدعاء، وسوف يأتي تفصيلٌ أكثر في كلام الإمام الشوكاني، وسيأتي الرد عليه أيضًا ـ كما أشرتُ آنفًا ـ.

ومن فروع هذه المسألة: الدعاء عند قبور الصالحين.

▫ قال العلامة شمس الدين محمد بن محمد الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «عُدة الحصن الحصين»: «وجرت استجابة الدعاء عند قبور الصالحين» انتهىٰ.

وفي كثيرٍ من التراجم لكثيرٍ من العلماء - لا يأتي عليهم الحصر -:

- «وقبره مشهور مَزُور».
- «وقبره مشهور باستجابة الدعاء».
- «وقبر فلان ترياقٌ مجرَّب».
- «وقبر فلان من دعا عنده قُضيت حاجته».

وغير ذلك مما لا يُحصىٰ كثرةً في التراجم، لا سيما ما في كتب المتصوفة كـ«طبقات» الشعراني[1]، والجندي، والشرجي، و«نفحة المندل».

ولا ريب أن الدعاء عند القبور بغير ما ورد عن الرسول ﷺ بدعة، فقد مات في عصر النبوة أجلاء الصحابة، ومنهم حمزة أسد اللَّه وأسد رسوله ﷺ، وشهداء أُحُد، وشهداء بدر، ومات عثمان ابن مَظْعون الذي بكىٰ عليه النبي ﷺ[2]، وعَلَّم علىٰ قبره بصخرةٍ

(١) كان من غلاة الصوفية.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٦/٤٣)، وأبو داود (٣١٦٣)، والترمذي (٩٨٩)، وابن ماجه (١٤٥٦)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٩٢١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/٥٧)، وأبو نُعيم في «تاريخ أصبهان» (١/٣٢٤)، والحاكم (١/٥١٤)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٣/٥٧٠)، وابن الجعد في =

ليُلحِقَ به من مات من أهله[(١)]، وسعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرَّحمٰن لموته[(٢)]، وغيرهم من أكابر الصحابة، ولم يُؤثَر عن النبي ﷺ أنه أرشد أحدًا من أمته أنه ـ إذا أهمَّته مهمة، أو نزلت به حاجة ـ أن يأتيَ إلىٰ قبر فلانٍ من الصحابة، ويقصده في قضاءِ الحاجات، ويَتوسل به في المهمات. وعرَّفهم أنه ﷺ سيموت، ولم يُرشدهم أنه إذا نابتهم نائبةٌ أن يأتوا[(٣)] إلىٰ قبره الشريف، ويَدْعوا

= «مسنده» (٢٠٨٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٦٩٧٤)، من حديث أُمِّنا عائشة رضي الله عنها، وقال التِّرمذي: «حسن صحيح»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ حلاق في تعليقه علىٰ «الفتح الرباني» (٢٩٢/١)، بينما **ضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٨٤/٤٢)، وعند أبي داود (٧٥/٥).

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٥٦١)، والطبراني في «الأوسط» (٣٨٨٦)، **وحسَّنه** الإمام البوصيري في «الزوائد»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عنده، والشيخ شعيب الأرنؤوط ثَم ـ أيضًا ـ (٥٠٥/٢).
وثبت عن المطلب بن حنطب رضي الله عنه قال: لما مات عثمان بن مظعون رضي الله عنه أُخرج بجنازته فدفن، فأمر النبي ﷺ رجلًا أن يأتيه بحجر، فلم يستطع حَمْلَها، فقام إليه رسول اللَّه ﷺ، وحسر عن ذراعيه، قال المطلب: فقال الذي يُخبرني ذلك عن رسولِ اللَّه ﷺ: كأني أنظُر إلىٰ بياضِ ذراعَي رسولِ اللَّه ﷺ حين حَسَرَ عنهما، ثم حَملَها فوضعَها عند رأسِه، وقال: «**أتَعَلَّمُ بها قبرَ أخي، وأدفِنُ إليه من مات مِن أهلِي**». **حسن**: رواه أبو داود (٣٢٠٦)، والبيهقي (٤١٢/٣)، **وحسَّنه** الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (١١٥/٥).

(٢) رواه البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦)، من حديث جابر بن عبداللَّه رضي الله عنهما.

(٣) في «الفتح الرباني»: «يأتون»! والجادة ما أثبتُّه. وكذا في كلمة =



عنده، وقبرُه سيد القبور، وعصره خير العصور؛ بل قال: **«لا تتخذوا قبري عيدًا»**[(١)]، وعرَّفهم بالمَحِلات والأوقات التي تستجاب فيها الدعوات، ولم يقل: إن قبر سعد بن معاذ ـ الذي اهتز له عرش الرَّحمٰن ـ، أو قبرَ سيد الشهداء ترياق مجرب لقضاء الحاجات ونيل الطِّلْبات.

فتعمدُ القبور للأدعية لديها، والتوسل بأهلها لا يخفىٰ علىٰ متحلٍّ بالإنصاف، متخلٍّ عن الاعتساف أنه بدعةٌ لم يأت بها أثرٌ عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه رضي الله عنهم، ولا عن التابعين.

وخيرُ الأمورِ السالفاتُ علىٰ الهدىٰ
وشرُّ الأمورِ المحدثاتُ البدائعُ[(٢)]

ويكفي المتدينَ بدين الإسلام قوله عليه الصلاة والسلام: **«كلُّ عملٍ ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ»**[(٣)].

فأقل أحوال الممتثل للحديث أن ينظر: هل جاء بقصد القبور لقضاء الحاجات أمرٌ من النبي ﷺ، أو فعلٌ، أو تقرير؟ فإن جاء فبها ونعمت، وإن لم يجئ شيء من ذلك عُرف أنه مردود.

فإن قيل: زيارة القبور سنةٌ مثابٌ عليها، جاءت بها السنة قولًا وفعلًا وتقريرًا، فإذا دعا الداعي بعد الزيارة، فإن الدعاء بعد عمل الصالحات من مظانِّ الإجابة، وهو إن لم يَرِدْ بخصوصه [دليل]، فهو داخلٌ فيما ذكروه من تقديم عملٍ صالحٍ قبل الدعاء.

= «يدعوا» بعدها.

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **البدائع**: المبتدَعة.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

قلت: لا ريب أن زيارة القبور من أجلِّ الطاعات، وأن الدعاء بعد العمل الصالح من مظانِّ الإجابة، ولعله ـ واللَّه أعلم ـ [ما] حَمَل ابن الجزري وغيره علىٰ ما قالوه من استجابة الدعاء عند قبور الصالحين؛ فإنَّ رحمة اللَّه لا تعزُب[١] عن قبورهم، لكن الاعتبار بالمقاصد، فإن كان قَصْدُ الزائر إنما هو التوسل بالميت الصالح، فهذا هو الذي نعدُّه بدعة، وإن كان القصد الزيارة للقبور فتلك سنةٌ مثابٌ فاعلها، والدعاء بعدها [من] مظان الإجابة. وقد أجمع المسلمون إجماعًا فعليًّا علىٰ الدعاء بعد زيارة قبر الرسول ﷺ؛ فإن الزائر بعد إكمال الزيارة يتوجه إلىٰ القبلة، ويستدبر القبر الشريف، وقد يستقبل بعضُ الناس القبر الشريف ويدعو، وهذا لا إنكار فيه من أحد[٢].

فالمأمون من مولانا العلامة الإمام ـ نصر اللَّه به شريعة سيد الأنام ـ بيان ما في مسألة التوسل بالأنبياء والأولياء، والدعاء عند القبور، واستيفاء الكلام في ذلك، مما يحوز[٣] به المسؤول أعظم الأجور.

ولقد وقفت حال همي بتحرير السؤال في ترجمة السبكي الكبير

---

(١) **تعزب:** تغيب.

(٢) بل الإنكار قائمٌ وثابتٌ عن كثيرٍ من الأئمة؛ إذ السنة المشروعة أن يستقبل من يزور قبره الشريف ﷺ القبلة عند الدعاء، ولا يستقبل القبر إلا عند السلام عليه ﷺ. كما أن اتخاذ الدعاء عند قبره ﷺ ليس فيه دليلٌ علىٰ إيجابه أو استحبابه؛ فلا ينبغي فعله، لعدم الدليل من ناحية، وسدًّا للذريعة من ناحيةٍ أخرىٰ.

(٣) في «الفتح الرباني»: «يجوز»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

رَحِمَهُ اللَّهُ في «طبقات» ولده رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ أمرٍ غريب من مثل السبكي:

▫ قال التاج في «الطبقات» في ترجمة والده - بعد أن ذكر من علومه وصلاحه، وأثنىٰ عليه -: «ومنها ما حكاه الأخ الشيخ العلامة الإمام بهاء الدين أبو حامد - ونقلته من خطه -، قال: عدتُ من الحجاز في سنة (٧٥٦هـ)، ووجدته[(١)] ضعيفًا، فاستشارني في نزوله لولده قاضي القضاة تاج الدين عن قضاء الشام، ووجدته كالجازم بأن ذلك سيقع، وقال لي: سبب هذا أني قبل أن أمرض بأيام - أغلب ظني أنه قال: خمسة أيام - رحتُ إلىٰ قبر الشيخ حماد خارج باب صغير، وجلست عند قبره منفردًا ليس عندي أحد، وقلت له: يا سيدي الشيخ، لي ثلاثة أولاد: أحدهم قد راح إلىٰ اللَّه، والآخر في الحجاز، ولا أدري حاله، والثالث هذا، وأشتهي أن موضعي يكون له.

قال: فلما كان بعد أيام - أغلب ظني أنه قال: يومين أو ثلاثة - جاءني الخالديُّ - يشير[(٢)] إلىٰ شخصٍ كان فقيرًا صالحًا يصحب الفقراء -؛ فقال لي: فلانٌ يسلِّم عليك، ويقول لك: تُقاطع عليه الزَّوْرة[(٣)]، وتروح للشيخ حماد تطلب حاجتك منه ولا تقول له؟ قال: فقلت له علىٰ سبيل البسط: سلِّم عليه، وقل له: ألستَ تعلم

---

(١) يعني السبكيَّ الكبير.

(٢) في «الفتح الرباني»: «يسير»، والتصويب من «طبقات الشافعية» (١٠/ ٢١٦). والمقصود: التعريفُ بذلك الخالديِّ.

(٣) كذا في «الفتح الرباني»: وفي «طبقات الشافعية»: «الدورة». والمراد أن فلانًا هذا يعتب علىٰ السبكي الكبير في عدم زيارته. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

أني فقيهٌ بائس، وأن كل أحد رآني ذاهبًا إلىٰ قبر الشيخ حماد، ولكن الشيطان(١) يقول له: إيش حاجته؟

قال: فتوجَّه الخالديُّ إليه، ثم عاد وقال: يقول لك: لا تكن تعترضُ علىٰ الفقراء، الشيخ حماد يقول لك: انقضت حاجتك التي هي كيت وكيت. قال: فقلت له: أما الآن فنعم، فإن هذا لم يشعر به أحد! قال: فقلت له: سله هل ذلك كشفٌ أو منام؟ قال: فعاد وقال: ليس ذلك إليك. انتهىٰ المنقول من خط الأخ». انتهىٰ المنقول من «الطبقات»، وهو مما نتعجب منه ونسأل عنه(٢).

نعم يبقىٰ الكلام فيما لو فعل الإنسان هذا الذي قررنا أنه بدعة، يعني: أنه [إذا] أصابته نائبةٌ؛ فقصد قبر إمامٍ من أئمة المسلمين مشهور بالصلاح، ووقف لديه، وأدىٰ الزيارة، وسأل اللَّه بأسمائه الحسنىٰ، وبما لهذا الميت لديه من المنزلة = هل تكون هذه البدعة عبادةً لهذا الميت؟ ويَصدُقُ عليه أنه قد دعا غير اللَّه، وأنه قد عَبَدَ غير الرَّحمٰن، ويُسلب عنه اسمُ الإيمان، ويصدُقُ علىٰ هذا القبر أنه وثنٌ من الأوثان، ويُحكَمُ بردَّةِ ذلك الداعي، والتفريق بينه وبين نسائه، واستباحة أمواله، ويعامَل معاملة المرتدين؟ أو يكون فاعلَ معصيةٍ كبيرة؟ أو مكروه؟ هذا كله فيمن فَعَل [ذلك] علىٰ هذه الصورة.

---

(١) كذا في «الفتح الرباني»، وفي طبقات الشافعية: «الشطارة».
(٢) بل ـ واللَّه ـ القصة تحتوي علىٰ منكر من القول والفعل من السبكي الكبير، وما فعله من أشنع أنواع البدع. ولا تمنعنا مكانة السبكي من بيان ما سقط فيه ـ عفا اللَّه عنه وغفر له ـ.



ثم كذلك من يأتي من العوام إلىٰ قبور الأولياء، فيقول: يا فلان ـ يخاطب الولي ـ، أنا عليك[(١)]، أنا مستجيرٌ بك، أنا أنا... إلىٰ غير ذلك، ولا ريب أن هذا عاصٍ للَّه تعالىٰ، لكن هل يكون عصيانه مخرجًا له من الإيمان؟ وكاسيًا له ثوب الكفران، مع كونه يعترف ـ بعقله ولسانه ـ أن اللَّه تعالىٰ هو المسبِّب لجميع الأمور حقيقةً[(٢)]؟ فإذا سألتَه عن هذا الفعل الذي يصنعه؛ فيقول: إن للولي كراماتٍ عند اللَّه، وله جاهٌ وشفاعة.

ونحو هذا جرىٰ في أشعار كثير من علمائهم في مدح الأولياء، نحو: «قم بي بأهلي وبصحبي».

- ونحو قول بعض الأدباء:

هات لي منك يا ابن موسىٰ إغاثة	عاجلًا في مسيرها حثاثةْ
وأجِرْني من الزمان الذي يَسَّر	لي ذا البلاءَ بغاثةْ

ونحو هذا كثير.

وحاصل الأمر: أنها أوصاف لا تُطلق إلا علىٰ اللَّه تعالىٰ، فإذا سألتَ من يتمسكها[(٣)]، قال: «لا أقول: إن الولي يفعلها استقلالًا، وإنما له من الكرامات بعد الممات ما ينجو به الداعي لديه، والمستجير به». وهذا لا ريب في خطئه؛ إنما الشأن في كفر فاعله، ومعاملتِه معاملة المرتد في جميع أحواله، بحيث لو تيسر للإنسان قَتلُه لقَتَله، أو لو تيسرت أمواله لأخذها.

---

(١) أي: أنا علىٰ بابك حضرت إليك.
(٢) بعدها في «الفتح الرباني»: «لا تحوم حول حماها»، ولم أتبينها.
(٣) أي: يتمسك بها ويفعلها.

فإن كان الأمر هكذا، فما بال أئمة المسلمين وعلماء الدين لم يناشدوا أهل هذه الجهات التِّهامية واليمنية والشامية ـ كصَعْدة وأحوالها ـ بالقتال، ويذيقونهم أشد النكال! وقد أمرهم اللَّه تعالىٰ بالقوة التي لا تنكر، والإمداد[1] الذي هو أشهر من أن يشهر؟! وإن كان الأمر مفضيًا إلىٰ الفسق فالمطلوب تحقيق هذا السؤال بأطرافه.

ولا يمنع مولاي ـ حفظه اللَّه وحماه ـ سوءُ أدب السائل لتحرير السؤال علىٰ غير قاعدة السؤال؛ فإنه إنما عَرَض ما في خَلَده الملازم للاختلال، ليتبين للمسؤول عِلةُ السؤال، فيرشد إلىٰ دواء ذلك الاعتلال، واللَّه تعالىٰ هو المطَّلع علىٰ خفيات السرائر، ونسأله أن يغفر لنا الكبائر من الذنوب والصغائر. والسلام ختام.

ومن تمام الفائدة المطلوبة نَقلُ ما تكلم به ابن تيمية وتلميذه في الدعاء عند القبور، والتكلم عليه نفيًا أو إثباتًا، فقد أطال الكلام في مواضع من كتبه. ومحطُّ الفائدة: هل تلك الكلمات الصادرة من العوام أو الخواص عبادةٌ لغير اللَّه أم لا؟

واللَّه الهادي، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلىٰ اللَّه وسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله[2].

---

(١) في «الفتح الرباني»: «الأمداد» ـ بفتح الهمزة ـ، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

(٢) ورد في «الفتح الرباني» بعد ما سلف سؤال عن حكم «المحاريب»، ولم يرد عليه الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الرسالة، فحذفتُ السؤال لعدم جدواه، ومن أراده فلينظر «الفتح الرباني» (١/٢٩٩). علمًا أن الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ قد أجاب عنه في المصدر السابق (٦/٣٠٢١).

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك، وأصلي وأسلم علىٰ رسولك وآل رسولك.

وبعد:

فإنه وصل إلىٰ الحقير الجاني، محمد بن علي الشوكاني ـ غفر اللَّه له ذنوبَه، وستر عن عيون الناس عيوبَه ـ سؤالٌ من عالم مِفضال، عارفٍ بما قد قيل وما يقال، في مدارك الحرام والحلال، عند اختلاف الأقوال، وتباين آراء الرجال، وهو العلامة الفهَّامة الأفخم محمد بن أحمد بن محمد مشحم؛ كثَّر اللَّه فوائده، ومد علىٰ أهل العلم موائده.

وحاصل السؤال هو عن:

١ ـ التوسل بالأموات المشهورين بالفضل ـ وكذلك الأحياء ـ، والاستغاثة بهم، ومناجاتهم عند الحاجة؛ من نحو: «علىٰ اللَّه وعليك يا فلان[1]»، و«أنا باللَّه وبك»، وما يشابه ذلك.

٢ ـ وتعظيم قبورهم، واعتقاد أن لهم قدرةً علىٰ قضاء حوائج المحتاجين، ونجاح طلبات السائلين.

٣ ـ وما حُكم من فعل شيئًا من ذلك؟

٤ ـ وهل يجوز قصد قبور الصالحين لتأدية الزيارة، ودعاء اللَّه عندها؛ من غير استغاثةٍ بهم، بل للتوسل بهم فقط؟

(١) أي: «أعتمد علىٰ اللَّه وعليك»، أو: «أتوكل علىٰ اللَّه وعليك»، ونحوه.

فأقول ـ مستعينًا باللَّه ـ:

اعلم أن الكلام علىٰ هذه الأطراف يتوقف علىٰ إيضاح ألفاظٍ هي منشأُ الاختلاف والالتباس:

فمنها: الاستغاثة ـ بالغين المعجمة والمثلثة ـ.

ومنها: الاستعانة ـ بالعين المهملة والنون ـ.

ومنها: التشفع.

ومنها: التوسل.

[١] الاستغاثة[1]:

فأما «الاستغاثة» ـ بالمعجمة والمثلثة ـ: فهي طلب الغَوْث، وهو إزالة الشدة؛ كالاستنصار وهو طلب النَّصر.

[أ] ولا خلاف أنه يجوز أن يُستغاث بالمخلوق فيما يقدر علىٰ الغَوْث فيه من الأمور. ولا يَحتاج مثلُ ذلك إلىٰ استدلال؛ فهو في غاية الوضوح، وما أظنه يوجد فيه خلاف.

ومنه: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

وكما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وكما قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

[ب] وأما ما لا يقدر عليه إلا اللَّه فلا يُستغاث فيه إلا به؛ كغفران الذنوب، والهداية، وإنزال المطر والرزق، ونحو ذلك.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

---

(١) العنوان من عندي.



وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣].

وعلىٰ هذا يُحمل ما أخرجه الطبراني في «معجمه الكبير» أنه كان في زمن النبي ﷺ منافقٌ يؤذي المؤمنين، فقال أبو بكر: قوموا بنا نستغيث برسول اللَّه ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**إنه لا يُستغاث بي، وإنما يُستغاث باللَّه**»(١).

فمراده: ﷺ أنه لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، وأما ما يقدر عليه المخلوقُ فلا مانع من ذلك، مثل أن يستغيث المخلوقُ بالمخلوق ليُعينَه علىٰ حَمْل الحَجَر، أو يحول بينه وبين عدوه الكافر، أو يدفع عنه سَبُعًا صائلًا أو لصًّا، أو نحو ذلك.

[المغيث بالحقيقة هو الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ]:

وقد ذكر أهل العلم أنه يجب علىٰ كل مكلَّف أن يعلم ألَّا غِيَاثَ ولا مغيث علىٰ الإطلاق إلا اللَّه سبحانه، وأن كل غوثٍ من عنده، وإذا حصل شيءٌ من ذلك علىٰ يد غيره فالحقيقة له سبحانه، ولغيره مجاز. ومن أسمائه: المغيث والغِيَاث(٢).

---

(١) **ضعيف**: وقد تقدم.

(٢) قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتاوىٰ» (١/١١١): «قالوا: من أسمائه تعالىٰ: المغيث والغياث، وجاء ذكر المغيث في حديث أبي هريرة، قالوا: واجتمعت الأمة علىٰ ذلك» اهـ. مستفاد من «الفتح الرباني».
وحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في عدِّ الأسماء الحسنىٰ **حديثٌ ضعيف**، وقد تقدم تخريجه.

▫ قال أبو عبدالله الحَليمي: «الغِياث هو المغيث، وأكثر ما يقال: غِياثُ المستغيثين، ومعناه: المُدرِكُ عبادَه في الشدائد إذا دعَوه، ومجيبُهم، ومُخلِّصُهم».

وفي خبر الاستسقاء في «الصحيحين»: «**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**»(١).

يقال: أغاثه إغاثةً، وغياثةً، وغَوْثًا.

وهو في معنىٰ «المجيب والمستجيب»؛ قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

إلا أن «الإغاثة» أحقُّ بالأفعال، و«الاستجابة» بالأقوال، وقد تقع كلٌّ منهما موقع الأخرىٰ.

▫ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض فتاويه ما لفظه: «والاستغاثة ـ بمعنىٰ أن تطلب من الرسول ﷺ ما هو اللائق بمنصبه ـ لا ينازع فيه مسلم، ومن نازع في هذا المعنىٰ فهو إما كافر، وإما مخطئ ضال.

وأما بالمعنىٰ الذي نفاها رسول الله ﷺ فهو ـ أيضًا ـ مما يجب نفيها. ومن أثبت لغير الله ما لا يكون إلا لله فهو ـ أيضًا ـ كافر؛ إذا قامت عليه الحجةُ التي يَكفُرُ تاركها.

ومن هذا الباب قول أبي يزيد البِسْطامي: «استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق».

وقول الشيخ أبي عبدالله القرشي: «استغاثة المخلوق بالمخلوق

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

كاستغاثة المسجون بالمسجون»[(١)][(٢)].

[٢] الاستعانة[(٣)]:

وأما «الاستعانة» ـ بالنون ـ فهي: طلب العون.

[أ] ولا خلاف أنه يجوز أن يُستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه من أمور الدنيا، كأن يستعين به علىٰ أن يحمل معه متاعه، أو يعلف دابته، أو يبلِّغ رسالته.

[ب] وأما ما لا يقدر عليه إلا اللَّه ﷻ فلا يستعان فيه إلا به. ومنه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

[٣] التشفُّع[(٤)]:

وأما التشفع بالمخلوق:

ـ فلا خلاف بين المسلمين أنه يجوز طلبُ الشفاعة من المخلوقين فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا.

وثبت بالسنة المتواترة، واتفاق جميع الأمة أن نبينا ﷺ هو

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن بدعة الاستغاثة بالأموات: «وهذه البدعة الكفرية إنما حدثت في العصور المتأخرة؛ لما شاعت الخرافات وانتشر الجهل، وعمت الأقاليمَ الإسلاميةَ مغالطاتُ المتصوفة وأباطيلهم، وإلا فلم يكن من حال السلف أن يستغيثوا بغير اللَّه أبدًا» اهـ. «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٨٣). وهذا مستفاد من حاشية «الفتح الرباني» (١/٣١٠).

(٢) انتهىٰ كلام الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) العنوان من عندي.

(٤) العنوان من عندي.

الشافع المشفَّع، وأنه يَشفَعُ للخلائق يوم القيامة، وأن الناس يستشفعون به، ويطلبون منه أن يشفع لهم إلىٰ ربه.

ولم يقع الخلاف إلا في كونها لمحو ذنوب المذنبين، أو لزيادة ثواب المطيعين[(١)]. ولم يقل أحد من المسلمين بنفيها قط.

وفي سنن أبي داود: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: إنا نستشفع باللَّه عليك، ونستشفع بك علىٰ اللَّه، فقال: «**شأنُ اللَّه أعظمُ من ذلك، إنه لا يُستشفع به علىٰ أحدٍ من خلقه**»[(٢)]، فأقرَّه علىٰ قوله: «نستشفع بك

---

(١) أورد الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عقيدته» (٢٢٩ : ٢٣٦ ـ ط: المكتب الإسلامي) أحاديث عدةً عن الشفاعة، ثم بين أنها أقسام:
١ ـ شفاعته ﷺ لرب العالمين ﷻ ليأذَنَ بفَصلِ القضاء بين الخلائق.
٢ ـ شفاعته ﷺ في أقوامٍ تساوت حسناتهم مع سيئاتهم أن يدخلوا الجنة.
٣ ـ شفاعته ﷺ في أقوامٍ أُمر بهم إلىٰ النار لئلا يدخلوها.
٤ ـ شفاعته ﷺ لأقوامٍ دخلوا الجنة أن يُرفعوا درجاتٍ فوق ما هم عليه.
٥ ـ شفاعته ﷺ في أقوام ليدخلوا الجنة بغير حساب.
٦ ـ شفاعته ﷺ في تخفيفٍ العذاب عمن يستحقُّه.
٧ ـ شفاعته ﷺ أن يؤذن لجميع المؤمنين بدخول الجنة.
٨ ـ شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من المسلمين؛ ليخرجوا من النار، ويدخلوا الجنة.
وهذه الحاشية مستفادة من طبعة الشيخ الحلبي ص(١٩).
قلت: والضابط هنا أن هذه الشفاعة من علم الغيب، فإذا ثبت نوعٌ من الشفاعات السابقة في الأحاديث الصحيحة، أو انعقد عليه الإجماع قلنا به، وما لم يثبت توقفنا فيه. واللَّهُ تعالىٰ الموفِّق.

(٢) **محتملٌ للتحسين**: وقد تقدم.

علىٰ اللَّه»، وأنكر عليه قوله: «نستشفع باللَّه عليك».

وسيأتي تمام الكلام في الشفاعة.

[٤] التوسل(١):

وأما التوسل إلىٰ اللَّه سبحانه بأحدٍ من خلقه في مَطلبٍ يطلبه العبدُ من ربه:

- فقد قال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام: «إنه لا يجوز التوسل إلىٰ اللَّه تعالىٰ إلا بالنبي ﷺ - إن صح الحديث فيه -».

ولعله يشير إلىٰ الحديث الذي أخرجه النسائي في «سننه»، والترمذي - وصححه -، وابن ماجه، وغيرهم: أن أعمىٰ أتىٰ إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه، إني أُصِبتُ في بصري؛ فادع اللَّه لي، فقال له النبي ﷺ: «**توضَّأْ وصلِّ ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألُك وأتوجَّهُ إليك بنبيِّك محمد، يا محمد، إني أشفعُ بك في رد بصري، اللهم شفِّعْ نبيَّك(٢) فيَّ**». وقال: «**فإن كانت لك حاجةٌ فمثل ذلك**»، فرد اللَّه بصره(٣).

وللناس في معنىٰ هذا قولان:

أحدهما: أن هذا التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال: «كنا إذا أجدبنا نتوسل بنبيِّنا إليك فتسقينا، وإنا نتوسل(٤) إليك

(١) العنوان من عندي.

(٢) في «الفتح الرباني» والنسخة المخرَّجة: «نبيِّي»، والرواية ما أثبتُّه.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «نتوسلك».

بعمِّ نبينا». وهو في «صحيح البخاري» وغيره[(١)].

فقد ذكر عمر رضي الله عنه أنهم كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ في حياته في الاستسقاء، ثم توسلوا بعمه العباس بعد موته.

وتوسلهم: هو استسقاؤهم؛ بحيث يدعو ويدعون معه، فيكون هو وسيلتهم إلىٰ اللَّه. والنبي ﷺ كان [في] مثلِ هذا شافعًا وداعيًا لهم.

والقول الثاني: أن التوسل به ﷺ يكون في حياته وبعد موته، وفي حضرته ومغيبه.

ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به ﷺ في حياته، وثبت التوسل بغيره من الأحياء بعد موته [ﷺ] بإجماع الصحابة سكوتيًّا؛ لعدم إنكار أحدٍ منهم علىٰ عمر رضي الله عنه في توسله بالعباس رضي الله عنه.

وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي ﷺ ـ كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبدالسلام ـ لأمرين:

الأول: ما عرَّفناك به من إجماع الصحابة.

والثاني: أن التوسل إلىٰ اللَّه بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسُّلٌ بأعمالهم الصالحة، ومزاياهم الفاضلة؛ إذ لا يكون الفاضلُ فاضلًا إلا بأعماله؛ فإذا قال القائل: «اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني»؛ فهو باعتبار ما قام به من العلم[(٢)].

وقد ثبت في «الصحيحين» وغيرهما أن النبي ﷺ حكىٰ عن الثلاثة

---

(١) **صحيح:** وقد تقدم.

(٢) كما سلف الإمام الشوكاني يجيز التوسل بجاه الأنبياء والصالحين، وليس بمجرد دعائهم. وسيأتي الرد بعد انتهاء كلامه رحمه الله.

الذين انطبقت عليهم الصخرةُ= أن كل واحد منهم توسل إلىٰ اللَّه بأعظمِ عَمَلٍ عَمِلَه، فارتفعت الصخرة[(١)].

فلو كان التوسل بالأعمال الفاضله غير جائز، أو كان شركًا ـ كما يزعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبدالسلام، ومن قال بقوله من أتباعه ـ لم تحصل الإجابة من اللَّه لهم، ولا سكت النبي ﷺ عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم.

وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل إلىٰ اللَّه بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالىٰ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ونحو قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن]، ونحو قوله تعالىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤]= ليس بوارد؛ بل هو من الاستدلال علىٰ محل النزاع بما هو أجنبيٌّ عنه:

فإن قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ مصرِّحٌ بأنهم عبدوهم لذلك، والمتوسِّل بالعالم ـ مثلًا ـ لم يعبده؛ بل عَلِمَ أن له مزيةً عند اللَّه بحمله العلم؛ فتوسل به لذلك.

وكذلك قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ فإنه نهيٌ عن أن يُدعىٰ مع اللَّه غيره، كأن يقول: «يا اللَّه، ويا فلان»، والمتوسِّلُ بالعالم ـ مثلًا ـ لم يَدْعُ إلا اللَّه، وإنما وقع منه التوسل إليه بعملٍ صالحٍ عَمِله بعضُ عباده؛ كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم[(٢)].

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) وهذا قياسٌ مع الفارق ـ كما لا يخفىٰ ـ، وسيأتي الرد لاحقًا.

وكذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ...﴾ الآية، فإن هؤلاء دعَوْا من لا يستجيب لهم، ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم، والمتوسِّلُ بالعالم ـ مثلًا ـ لم يَدْعُ إلا اللَّه، ولم يَدْعُ غَيرَه دونه، ولا دعا غيره معه.

وإذا عرفت هذا لم يَخْفَ عليك دَفْعُ ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجًا زائدًا علىٰ ما ذكرناه، كاستدلالهم بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [الانفطار]؛ فإن هذه الآيةَ الشريفةَ ليس فيها إلا أنه تعالىٰ المتفردُ بالأمر في يوم الدين، وأنه ليس لغيره من الأمر شيء، ولا يملك غيرُه[1] من الأمر شيئًا.

والمتوسِّلُ بنبيٍّ من الأنبياء أو عالمٍ من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركةً للَّه ﷻ في أمر يوم الدين، ومن اعتقد هذا لعبد ـ سواء كان نبيًّا أو غير نبي ـ فهو في ضلالٍ مبين.

وهكذا الاستدلال علىٰ منع التوسل بقوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف: ١٨٨]؛ فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول اللَّه ﷺ من أمر اللَّه شيء، وأنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فكيف يملكه لغيره؟ وليس فيهما مَنْعُ التوسل به أو بغيره من الأنبياء أو الأولياء أو العلماء.

وقد جعل اللَّه لرسوله ﷺ المقام المحمود ـ مقام الشفاعة

(١) في «الفتح الرباني»: «لغيره»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.



العظمىٰ ـ، وأرشد الخلق إلىٰ أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه، وقال له[(١)]: «**سَلْ تُعْطَهْ، واشفَعْ تُشفَّعْ**»[(٢)]، وقَيَّد ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه، ولا تكون إلا لمن ارتضىٰ؛ ولعله يأتي تحقيق هذا المقام ـ إن شاء اللَّه ـ.

وهكذا[(٣)] الاستدلالُ علىٰ منع التوسل بقوله ﷺ لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]: «**يا فلانُ بنَ فلان، لا أملِكُ لكَ من اللَّه شيئًا، يا فلانةُ بنتَ فلان، لا أملِكُ لكِ من اللَّه شيئًا، يا بني فلان، لا أملِكُ لكم من اللَّه شيئًا**»[(٤)]، فإن هذا ليس فيه إلا أنه ﷺ لا يستطيع نفعَ من أراد اللَّه ضره، ولا ضَرَّ من أراد اللَّه نفعه، وأنه لا يملك لأحد من قرابته ـ فضلًا عن غيرهم ـ شيئًا من اللَّه، وهذا معلومٌ لكل مسلم، وليس فيه أنه لا يُتوسل به إلىٰ اللَّه؛ فإن ذلك هو طلبُ الأمر ممن له الأمرُ والنهي، وإنما أراد الطالب أن يقدِّم بين يدي طلبته ما يكون سببًا للإجابة ممن هو المتفرد بالعطاء والمنع، وهو مالك يوم الدين.

وإذا عرفتَ هذا فاعلم أن الرزيَّة كل الرزية، والبليةَ كل البلية أمرٌ غير ما ذكرناه من التوسل المجرد، والتشفُّع ممن له الشفاعة؛ وذلك ما صار يعتقده كثيرٌ من العوام، وبعضُ الخواص في أهل القبور، وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء= من أنهم يَقدرون

(١) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «قاله له».
(٢) صحيح: وقد تقدم.
(٣) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «وهذا»، والأصح ـ إن شاء اللَّه ـ ما أثبتُّه.
(٤) صحيح: وقد تقدم.

علىٰ ما لا يقدر عليه إلا اللَّه ﷻ، ويفعلون بهم ما لا يفعله إلا اللَّه ﷿؛ حتىٰ نطقت ألسنتُهم مما انطوت عليه قلوبهم، فصاروا يَدْعونهم تارةً مع اللَّه ﷻ، وتارةً استقلالًا، ويصرِّحون بأسمائهم، ويعظمونهم تعظيم مَن يملك الضُّرَّ والنفع، ويخضعون لهم خضوعًا زائدًا علىٰ خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء! وهذا إذا لم يكن شركًا فلا ندري ما هو الشرك، وإذا لم يكن كفرًا فليس في الدنيا كفر!

وها نحن نقص عليك أدلةً في كتاب اللَّه سبحانه، وفي سنة رسوله ﷺ فيها المنعُ مما هو دون هذا بمراحل، وفي بعضها التصريحُ بأنه شركٌ، وهو بالنسبة إلىٰ هذا الذي ذكرناه يسير حقير، وبعد ذلك نعودُ إلىٰ الكلام علىٰ مسألة السؤال.

[تعليق التمائم]:

فمن ذلك: ما أخرجه أحمد في «مسنده» ـ بإسنادٍ لا بأس به ـ عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ رأىٰ رجلًا بيده حلقةٌ من صُفر، فقال: «**ما هذه؟**»، قال: من الواهنة، قال: «**انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، ولو مِتَّ وهي عليك ما أفلحت**»[(١)].

وأخرج ـ أيضًا ـ عن عُقبة بن عامر مرفوعًا: «**مَن تعلَّق تميمةً فلا أتمَّ اللَّه له، ومن تعلق وَدَعَةً فلا وَدَّعَ اللَّه له**»[(٢)].

وفي رواية: «**من تعلَّق تميمةً فقد أشرك**»[(٣)].

---

(١) **ضعيف**: وقد تقدم.

(٢) **حسن**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

▫ ولابن أبي حاتم عن حذيفة: «أنه رأىٰ رجلًا في يده خيط للحُمَّىٰ فقطعه، وتلا: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف]».

وفي «الصحيح» عن أبي بَشير الأنصاري أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا: «**أَلَّا يَبْقَيَنَّ في رقبةِ بعيرٍ قلادةٌ من وَتَرٍ إلا قُطعت**»(١).

وأخرج أحمد وأبو داود عن ابن مسعود: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن الرُّقىٰ والتمائمَ والتِّوَلةَ شركٌ**»(٢).

وأخرج أحمد والترمذي عن عبداللَّه بن عُكيم(٣) مرفوعًا: «**مَن تعلَّق شيئًا وُكِل إليه**»(٤).

وأخرج أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**يا رويفع، لعلَّ الحياة ستطولُ بك؛ فأَخبِرِ الناسَ أنَّ مَن عَقد لحيته، أو تَقَلَّد وَتَرًا، أو استنجىٰ برجيع دابةٍ أو عظمٍ= فإن محمدًا بريءٌ منه**»(٥).

فانظر كيف جعل الرُّقىٰ والتمائم والتِّوَلةَ شركًا! وما ذلك إلا لكونها مظنةً لَأَنْ يَصْحَبَها اعتقادُ أن لغير اللَّه تأثيرًا في الشفاء من الداء، وفي المحبة والبغضاء، فكيف بمن نادىٰ غير اللَّه، وطلب منه ما لا يُطلَبُ إلا من اللَّه، واعتقد استقلاله بالتأثير، أو اشتراكه مع اللَّه ﷻ؟!

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.
(٣) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «حكيم»!
(٤) **حسن**: وقد تقدم.
(٥) **صحيح**: وقد تقدم.

ومن ذلك: ما أخرجه الترمذي ـ وصححه ـ عن أبي واقدٍ الليثي قال: خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ إلىٰ حُنين ـ ونحن حُدثاءُ عهدٍ بكفر ـ، وللمشركين سِدرةٌ يَعكُفون عليها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط؛ فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول اللَّه، اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال النبي ﷺ: «**اللَّه أكبر، قُلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ١٣٨﴾ [الأعراف]، **لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلَكم**»[(١)].

فهؤلاء إنما طلبوا أن يَجعل لهم شجرةً يَنُوطون بها أسلحتهم كما كانت الجاهلية تفعل ذلك، ولم يكن من قَصدِهم أن يعبدوا تلك الشجرة، أو يطلبوا منها ما يطلبه القُبوريُّون من أهل القبور، فأخبرهم ﷺ أن ذلك بمنزلةِ الشرك الصريح، وأنه بمنزلةِ طلب آلهةٍ غير اللَّه.

[الذبح لغير الله تبارك وتعالى]:

ومن ذلك: ما أخرجه مسلم في «صحيحه» عن علي بن أبي طالب ـ كرَّم اللَّه وجهه[(٢)] ـ قال: حدثني رسول اللَّه ﷺ بأربع كلمات:

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) تخصيص هذا الثناء بأمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه ـ دون مَن سواه مِن الصحابة رضي الله عنهم ـ بدعةٌ لم تُعهد عن السلف الصالح رضي الله عنهم؛ بل صار من شعار الرافضة ـ قبَّحهم اللَّه ـ.
وقد ذكر بعضُ أهل السُّنة أن عليًّا رضي الله عنه إنما خُصَّ بهذا الدعاء «كرَّم اللَّه وجهه»، لأنه ما سجد لصنمٍ قطُّ.

«لعن اللَّه مَن ذَبَح لغير اللَّه، لعن اللَّه مَن لعن والديه، لعن اللَّه من آوىٰ مُحدِثًا، لعن اللَّه من غيَّر منار الأرض»[(١)].

وأخرج أحمد عن طارق بن شهاب أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**دخل الجنةَ رجلٌ في ذباب، ودخل النارَ رجلٌ في ذباب**»، قالوا: كيف ذلك ـ يا رسول اللَّه ـ؟ قال: «**مر رجلان علىٰ قومٍ لهم صنمٌ لا يجُوزُه أحدٌ حتىٰ يقرِّبَ إليه شيئًا، فقالوا لأحدهم: قرِّبْ ولو ذبابًا، فقَرَّبَ ذبابًا، فخلَّوْا سبيلَه، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرِّبْ. فقال: ما كنتُ لأقرِّبَ لأحدٍ دون اللَّه ﷻ؛ فضربوا عنقَه فدَخَل الجنة**»[(٢)].

فانظر لَعْنَه ﷺ لمن ذبح لغير اللَّه، وإخبارَه بدخول من قرَّب لغير اللَّه النار، وليس في ذلك إلا مجردُ كون ذلك مَظِنَّةً للتعظيم الذي لا ينبغي إلا للَّه، فما ظنك بما كان شركًا بحتًا؟!

قال بعض أهل العلم: إن إراقة دماء الأنعام عبادة؛ لأنها إما هَديٌ، أو أُضحية، أو نُسك، وكذلك ما يُذبح للبيع؛ لأنه مكسبٌ حلال فهو عبادة، ويتحصل من ذلك شكلٌ قطعي؛ هو أن إراقة دماء الأنعام عبادة، وكل عبادة لا تكون إلا للَّه، فإراقة دماء الأنعام لا تكون إلا للَّه.

ودليل الكبرىٰ قوله تعالىٰ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ⁽٥٦⁾﴾ [العنكبوت: ٥٦]، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

= **قلت:** وقد بيّن المحققون ـ أيضًا ـ أن هذا لم يصحَّ، وليس ـ كذلك ـ خاصًّا بعليٍّ رضي الله عنه، بل شاركه فيه غيره من الصحابة رضي الله عنهم.

انظر: «معجم المناهي اللفظية»، للعلامة بكر أبو زيد رحمه الله (٤٤٠).

(١) **صحيح:** وقد تقدم.

(٢) **ضعيف:** وقد تقدم.

[الفاتحة: ٤]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٢]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

[الحلف بغير الله ﷻ]:

ومن ذلك: أنه ﷺ نهىٰ عن الحلف بغير اللَّه، وقال: «**مَن حلف فلْيَحلِفْ باللَّه، أو لِيصمُتْ**»[(١)].

وقال: «**مَن حلف بملةٍ غير الإسلام لم يرجع إلىٰ الإسلام سالمًا**»[(٢)]. أو كما قال.

وسمع رجلًا يحلف باللات والعزىٰ؛ فأمره أن يقول: «لا إلٰه إلا اللَّه»[(٣)].

وأخرج الترمذي - وحسنه -، والحاكم - وصححه -، من حديث عمر أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**مَن حَلَف بغير اللَّه فقد أشرك**»[(٤)].

وهذه الأحاديث في دواوين الإسلام، وفيها أن الحلف بغير اللَّه يَخرج به الحالفُ عن الإسلام[(٥)]؛ وذلك لكون الحلف بشيءٍ مَظِنَّةُ تعظيمه، فكيف بما كان شركًا محضًا يتضمن التسويةَ بين الخالق والمخلوق في طلب النفع، واستدفاع الضر، وقد يتضمن تعظيم المخلوق زيادةً علىٰ تعظيم الخالق؟! كما يفعله كثيرٌ من المخذولين؛

---

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) صحيح: وقد تقدم.
(٣) رواه البخاري (٤٨٦٠)، ومسلم (١٦٤٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) صحيح: وقد تقدم.
(٥) بل فيه تفصيل، كما في شروح «كتاب التوحيد»، وستأتي إشارةٌ من كلام الإمام ابن القيم رحمه الله.



فإنهم يعتقدون أن لأهل القبور من جلب النفع ودفع الضر ما ليس للَّه ـ تعالىٰ اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا ـ، فإن أنكرتَ هذا فانظر أحوالَ كثيرٍ من هؤلاء المخذولين؛ فإنك تجدهم كما وصف اللَّه سبحانه: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾ [الزمر].

[اتخاذ القبور مساجد]:

ومن ذلك: ما ثبت في «الصحيحين» عنه ﷺ عند موته أنه كان يقول: «**لعن اللَّه اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». يحذِّر ما صنعوا[(١)].

وأخرج مسلم عن جندب بن عبداللَّه أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبورَ أنبيائهم مساجد، فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**»[(٢)].

وأخرج أحمد ـ بسندٍ جيد ـ، وأبو حاتم في «صحيحه» عن ابن مسعود مرفوعًا: «**إن من شرار الناس مَن تُدركهم الساعةُ وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**»[(٣)].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وفيها التصريحُ بلعن من اتخذ القبور مساجد ـ مع أنه لا يَعبُدُ إلا اللَّه ـ؛ وذلك لقطع ذريعة التشريك، ودفع وسيلة التعظيم.

وورد ما يدل علىٰ أن عبادة اللَّه عند القبور بمنزلة اتخاذها

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

أوثانًا[(١)] تعبد:

أخرج مالك في «الموطأ» أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«اللهم لا تجعلْ قبري وثنًا يُعبد. اشتد غضبُ اللَّه علىٰ قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[(٢)].

وبالغ في ذلك حتىٰ لعن زائرات القبور:

كما أخرجه أهل السنن من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لعن رسول اللَّه ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج»[(٣)].

ولعل وجهَ تخصيص النساء بذلك ما في طبائعهن من النقص المُفضي إلىٰ الاعتقاد والتعظيم بأدنىٰ شبهة.

ولا شك أن علة النهي عن جعل القبور مساجد، وعن تسريجها، وتجصيصها، ورفعها، وزخرفتها= هي ما ينشأ عن ذلك من الاعتقادات الفاسدة.

كما ثبت في «الصحيح» عن عائشة: أن أم سلمة ذكرت لرسول اللَّه ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور؛ فقال: **«أولئك إذا مات فيهم الرجلُ الصالح أو العبد الصالح بنَوْا علىٰ قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرارُ الخلق عند اللَّه»**[(٤)].

▫ ولابن خزيمة عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩﴾ [النجم]،

---

(١) في «الفتح الرباني» إلىٰ: «أوثان». والصواب ما أثبتُّه.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) حسن ـ دون ذكر المساجد والسُّرُج ـ: وقد تقدم.

(٤) صحيح: وقد تقدم.



قال: «كان يَلُتُّ لهم السَّوِيق، فمات؛ فعكفوا علىٰ قبره».

وكلُّ عاقل يعلم أن لزيادة الزخرفة للقبور، وإسبالِ الستور الرائعة عليها، وتسريجِها، والتأنق في تحسينها= تأثيرًا في طبائع غالب العوام، ينشأ عنه التعظيم والاعتقادات الباطلة، وهكذا إذا استَعظمت نفوسُهم شيئًا مما يتعلق بالأحياء، وبهذا السبب اعتقدت كثيرٌ[(١)] من الطوائف الألوهيةَ في أشخاص كثيرة.

□ ورأيت في بعض كتب التاريخ: «أنه قدم رسولٌ لبعض الملوك علىٰ بعض خلفاء بني العباس، فبالغ الخليفةُ في التهويل علىٰ ذلك الرسول، وما زال أعوانه ينقلونه من رتبةٍ إلىٰ رتبة، حتىٰ وصل إلىٰ المجلس الذي يَقعد [فيه] الخليفةُ في برج من أبراجه، وقد جُمِّل ذلك المنزل بأبهىٰ الآلات، وقعد فيه أبناءُ الخلفاء، وأعيانُ الكبراء، وأشرَفَ الخليفةُ من ذلك البرج ـ وقد انخلع قلبُ ذلك الرسول مما رأىٰ ـ، فلما وقعت عينه علىٰ الخليفة قال لمن هو قابضٌ علىٰ يده من الأمراء: أهذا اللَّه؟ فقال ذلك الأمير: بل هذا خليفة اللَّه[(٢)]».

---

(١) في «الفتح الرباني»: «كثيرًا»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه، وإن كان لما في المطبوع وجهٌ.

(٢) اختلف أهل العلم في جواز إطلاق وصف «خليفة اللَّه» علىٰ الإنسان، فأجازته طائفةٌ، ومَنعته أخرىٰ، ولٰكن بيَّن الأستاذ محمود عبدالرازق ـ أستاذ العقيدة ـ أنَّ هناك تفصيلًا يَجمع بين القولين دون تعارض، حيث بيَّن أنَّ الخلافة قسمان:

[أ] خلافةٌ عن نقص.

[ب] وخلافةٌ عن كمال.

فالخلافة التي عن نقص: أنْ يستخلفَ الكبيرُ خَليفةً عنه لعجزٍ حلَّ بذٰلكم =

= الكبير؛ مثاله: لو أنَّ طبيبًا مَرِض يومًا ما، فقال لأحد تلامذته: «قد استخلفتُكَ عنِّي في إجراءِ هٰذه العملية؛ لعدم تَمكُّني من الحضور»، فهنا استخلافُ الطبيب لتلميذه كان بسبب نَقصٍ حلَّ بالطبيب، وهو المرض.

وأمَّا الخلافة التي عن كمال: فهي أن يَستخلفَ الكبيرُ خليفةً عنه، لا لعجزٍ، ولٰكن اختبارًا له؛ مثالُه: أن يكون الطبيبُ سليمًا صحيحًا، وقال لتلميذه: «لقد فوَّضتُ لك إجراءَ هٰذه العمليةِ نيابةً عنِّي تحت إشرافي، وسأكونُ حاضرًا معك فيها، متابعًا لك لأختبرَك فيما علَّمتُك»، فهنا كان استخلافُ الطبيب لتلميذِه استخلافًا عن كمال ـ وليس لنَقصٍ حلَّ بالطبيب ـ؛ وهٰكذا في استخلاف اللَّهِ تعالىٰ للإنسان ـ وله ﷻ المَثلُ الأعلىٰ ـ، فاستخلافه له عن كمالٍ ـ لا عن نقص ـ؛ وهٰذا الاستخلاف يُسمَّىٰ «التخويل» و«التفويض».

هٰذا ملخصُ ما بيَّنه الشيخ محمود عبدالرازق في محاضرته النفيسة: «قَدْرُ الإنسان»، وبهٰذا التفصيل لا تتناقض أقوالُ العلماء.

وانظر حول لفظ «الخلافة»: «إتحاف السادة المتقين» للإمام الزَّبيدي (١٩٦/١)، و«معجم المناهي اللفظية»، للعلَّامة بكر أبو زيد (٢٥٢)، و«بصائر للمسلم المعاصر»، للشيخ عبدالرَّحمٰن الميداني (١٥٢)، و«التداول علىٰ السلطة التنفيذية»، للشيخ عليٍّ الصلابي (٣٠ : ٣٧)، ولزامًا: «مجموع الفتاوىٰ» (٤٤/٣٥)، وتحقيق «سنن ابن ماجه» (٥/ ٢١٢ ـ ط: الرسالة).

قلت: ولٰكنَّ المتأمِّلَ في نصوص الشرع المطهَّر يرىٰ أنها لم تُضِف وصف «الخليفة» للَّهِ ﷻ، وإنما كان «مطلقًا»، كما قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال جَلَّ شَأنُهُ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، ولم يقل في الآيتين: «خليفةً لي»، وقال ﷻ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل]، ولم يقُل: «خلفاء لي»، وقال جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ =

فانظر ما صنع ذلك التحسينُ بقلب هذا المسكين[(١)]!

▫ ورُوي لنا: «أن بعض أهل جهة القبلة[(٢)] وصل إلىٰ القُبة الموضوعة علىٰ قبر الإمام أحمد بن الحسين ـ صاحب «ذي بين»[(٣)] ـ رَحِمَهُ اللَّهُ، فرآها وهي مُسْرَجَةٌ بالشمع، والبخورُ ينفحُ[(٤)] في جوانبها، وعلىٰ القبر الستورُ الفائقة؛ فقال عند وصوله إلىٰ بابه: أمسيتَ

= خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس]، ولم يقل: «خلائف لي». وقال ﷻ ـ حكايةً عن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لبني إسرائيل ـ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، ولم يقل: «ويستخلفكم عنه ﷻ»، إلىٰ غير ذٰلك من الآيات التي لم تنصَّ علىٰ أن الإنسان «خليفةٌ للَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ»، وعليه؛ فما سبق من بيانٍ للشيخ محمود بن عبدالرازق مبنيٌّ علىٰ أن المضاف إليه المحذوف مع لفظ «الخليفة» ـ ومشتقاته ـ هو اللَّهُ ﷻ، والظاهر من الآيات غيرُ هٰذا، وأن المراد أحدُ أمرين:

ـ إما استخلاف آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وذريته عمن سبقهم في الأرض ـ إن كان قبلهم أحد ـ.

ـ وإما أن ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ يخلف بعضهم بعضًا. ولعله الأظهر.

واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

(١) والكلام السابق مما رددتُ به علىٰ تجويز الشيخ علي محفوظ ـ عفا اللَّه عنه ـ زيارة وتعمير مشاهد الأولياء والصالحين؛ فراجع ذلك ـ مشكورًا ـ في تعليقي علىٰ «الإبداع في مضارِّ الابتداع»، بواسطة فهرس الموضوعات.

(٢) كذا في «الفتح الرباني»، وفي نسخة الحلبي: «جهات القبلة».

(٣) الظاهرُ أنها اسم موضع ما، وقد كُتبت في «الفتح الرباني»: «ذيبين»؛ فاللَّه أعلم.

(٤) في النسختين: «ينفخ» ـ بالخاء ـ، ولعلَّ الأصح ما أثبتُّه.

بالخير ـ يا أرحم الراحمين ـ!»[١].

▫ وفي «الصحيح» عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣﴾ [نوح]، قال: «هذه أسماء رجال من قوم نوح، لما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصابًا[٢]، وسمُّوها بأسمائهم؛ ففعلوا فلم يُعبَدوا، حتىٰ إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت».

▫ وقال غير واحد من السلف: «لما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم».

[العيافة والطَّرْق والطِّيَرة]:

ومن ذلك: ما أخرجه أحمد ـ بإسنادٍ جيد ـ عن قَبيصة، عن أبيه أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن العيافةَ والطَّرْقَ والطِّيَرةَ من الجِبْت**»[٣]، وأخرجه أبو داود، والنسائي، وابن حبان ـ أيضًا ـ.

وأخرج أبو داود ـ بسندٍ صحيح ـ عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَن اقتبس شعبةً من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السِّحْر**»[٤].

[إتيان الكاهن والعراف]:

وأخرج النسائي من حديث أبي هريرة: «**مَن عقد عقدةً ثم نفث**

---

(١) واللَّه إن المجانين لم يصلوا إلىٰ هذه الدركة الفاضحة! نعوذ باللَّه من الخزي والخذلان.

(٢) **الأنصاب**: التماثيل.

(٣) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: وقد تقدم.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

فيها فقد سَحَر، ومَن سَحَر فقد أشرك، ومن تعلَّق شيئًا وُكِلَ إليه»[(١)].

وهذه الأمور إنما كانت من الجبت والشرك لأنها مظنةٌ للتعظيم الجالب للاعتقاد الفاسد.

ومن ذلك: ما أخرجه أهل السنن والحاكم ـ وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين ـ، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «**مَن أتىٰ كاهنًا أو عرَّافًا فصدَّقه؛ فقد كَفَر بما أُنزل علىٰ محمد**»[(٢)].

وأخرج أبو يعلىٰ ـ بسندٍ جيدٍ ـ مرفوعًا: «**مَن أتىٰ كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كَفَر بما أُنزل علىٰ محمد**».

وأخرج نحوه الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن[(٣)].

والعلة الموجبة للحكم بالكفر ليست إلا اعتقادَ أنه مشاركٌ للَّه ﷻ في علم الغيب، مع أنه ـ في الغالب ـ يقع غير مصحوب بهذا الاعتقاد، ولكن من حام حول الحمىٰ يوشك أن يقع فيه.

ومن ذلك ما في «الصحيحين» وغيرهما عن زيد بن خالد قال: صلىٰ بنا رسول اللَّه ﷺ صلاة الصبح علىٰ إثر سماءٍ كانت من الليل، فلما انصرف أقبل علىٰ الناس بوجهه؛ فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**»، قالوا: اللَّه ورسوله أعلم! قال: «**قال**[(٤)]: **أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل اللَّه ورحمته فذلك مؤمنٌ بي، كافر بالكواكب، وأما من قال: مُطرنا بنَوءِ كذا وكذا فذلك**

---

(١) ضعيف: وقد تقدم.
(٢) صحيح: وقد تقدم.
(٣) صحيح: وقد تقدم.
(٤) سقطت «قال» الثانية من «الفتح الرباني» ونسخة الحلبي.

كافرٌ بي، مؤمن بالكواكب»[(١)].

ولا يخفىٰ علىٰ عارفٍ أن العلة في الحكم بالكفر هي ما في ذلك من إيهام المشاركة، وأين هذا ممن يصرِّحُ في دعائه عندما[(٢)] يمسُّه الضر بقوله: «يا اللَّه، ويا فلان، وعلىٰ اللَّه، وعلىٰ فلان»؟! فإن هذا يعبد ربَّين، ويدعو اثنين، وأما من قال: «مطرنا بنوء كذا» فهو لم يقل: «أَمطَرَه ذلك النوء»؛ بل قال: «أُمطِرَ به»، وبين الأمرين فرقٌ ظاهر.

[السمعة والرياء]:

ومن ذلك: ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يقول اللَّه ﷻ: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، مَن عمل عملًا أشرك معي فيه غيري؛ تركتُه وشِرْكَه**»[(٣)].

وأخرج أحمد عن أبي سعيد مرفوعًا: «**أَلَا أُخبرُكم بما هو أخوفُ عليكم من المسيح الدجال؟**»، قالوا: بلىٰ، قال: «**الشركُ الخفي، يقوم الرجل فيزيِّنُ صلاته لما يرىٰ مِن نظر رجل**»[(٤)].

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

فإذا كان مجرد الرياء ـ الذي هو فعل الطاعة للَّه ﷻ، مع محبة أن يَطَّلع عليها غيرُه، أو يُثني بها، أو يستحسنها ـ شركًا[(٥)]، فكيف

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) في «الفتح الرباني»: «عند أن».

(٣) صحيح: وقد تقدم.

(٤) حسن: وقد تقدم.

(٥) في «الفتح الرباني»: «فيه شركًا»!

بما هو محض الشرك؟

[شرك الألفاظ]:

ومن ذلك: ما أخرجه النسائي أن يهوديًا أتىٰ النبيَّ ﷺ؛ فقال: إنكم تقولون: ما شاء اللَّه وشئت، وتقولون: والكعبة! فأمرهم النبي ﷺ أن يقولوا: «وربِّ الكعبة»، وأن يقولوا: «ما شاء اللَّه، ثم شئت»[(١)].

وأخرج النسائي ـ أيضًا ـ عن ابن عباس مرفوعًا: أن رجلًا قال [للنبي ﷺ]: ما شاء اللَّه وشئت، قال: «**أجعلتني للَّه ندًّا!؟ [بل] ما شاء اللَّه وحده**»[(٢)].

وأخرج ابن ماجه عن الطُّفيل قال: رأيتُ[(٣)] كأني أَتيتُ علىٰ نفر من اليهود؛ فقلت: إنكم لأنتم القوم؛ لولا أنكم تقولون: عزيرٌ ابن اللَّه، قالوا: وأنتم لأنتم القوم؛ لولا أنكم تقولون: ما شاء اللَّه وشاء محمد. ثم مررتُ بنفرٍ من النصارىٰ، فقلت: إنكم لأنتم القوم؛ لولا أنكم تقولون: المسيح ابن اللَّه، قالوا: وأنتم لأنتم القوم؛ لولا أنكم تقولون: ما شاء اللَّه وشاء محمد. فلما أصبحتُ أخبرتُ بها من أخبرت، ثم أتيت النبيَّ ﷺ فأخبرته، قال: «**فهل أخبرتَ بها أحدًا؟**»، قلت: نعم، قال: فحمد اللَّه وأثنىٰ عليه، ثم قال: «**أما بعد، فإن طفيلًا رأىٰ رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم، فلا تقولوا: ما شاء اللَّه وشاء محمد، ولكن قولوا: ما**

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) أي: في المنام.

شاء اللَّه وحده»[١].

والوارد في هذا الباب كثير، وفيه أن التشريكَ في المشيئة بين اللَّه ورسوله، أو غيره من عبيده= فيه نوعٌ من الشرك؛ ولهذا جَعل ذلك - في هذا المقام[٢] - كشرك اليهود والنصارىٰ بإثبات ابنٍ للَّه ﷻ، وفي تلك الرواية السابقة أنه إثبات نِدٍّ للَّه ﷻ.

ومن ذلك: قوله ﷺ لمن قال: من يطع اللَّه ورسوله فقد رَشَد، ومن يعصهما فقد غوىٰ: «**بئس خطيبُ القوم أنت**»، وهو في «الصحيح»[٣].

▫ وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في تفسير قولِه تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة] أنه قال: «الأنداد أخفىٰ من دبيب النمل علىٰ صفاةٍ سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن تقول: واللَّهِ، وحياتِك - يا فلان -، وحياتي. وتقول: لولا كلبةُ هذا لأتانا [اللصوص][٤]، ولولا البط في الدار لأتىٰ اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء اللَّه وشئت، وقول الرجل: لولا اللَّه وفلان. هذا كله شرك». انتهىٰ.

ومن ذلك ما ثبت في «الصحيح» من حديث أبي هريرة أن

---

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) في «الفتح الرباني»، وفي النسخة المخرَّجة: «المقام الصالح»، ولا أدري وجه كلمة «الصالح» هنا، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.
(٣) صحيح: وقد تقدم.
(٤) هذه الكلمة ساقطة من النسختين، وأثبتُّها من «تفسير ابن أبي حاتم» (٦٢/١).

رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يقل أحدكم: أَطعِمْ ربَّك، وضِّئْ**[(١)] **ربك، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي**»[(٢)].

ووجه هذا النهي: ما يُفهم من مخاطبة السيد بمخاطبة العبد لربه، والرب لعبده، وإن لم يكن ذلك مقصودًا مرادًا.

[التصوير]:

ومن ذلك: ما ثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**قال اللَّه تعالىٰ: ومَن أظلمُ ممن ذهب يخلق كخلقي! فليخلقوا ذرَّةً**[(٣)]**، أو ليخلقوا حبةَ شعير**»[(٤)].

ولهما عن عائشة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة الذين يُضاهُون خلق اللَّه**»[(٥)].

ولهما عن ابن عباس: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**كلُّ مصوِّر في النار، يُجعل له بكل صورةٍ صوَّرها نَفْسٌ يُعذَّبُ بها في جهنم**»[(٦)].

ولهما عنه مرفوعًا: «**مَن صوَّر صورةً في الدنيا كُلِّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ**»[(٧)].

وأخرج مسلم عن أبي الهَيَّاج قال: قال لي عليٌّ: ألا أبعثك علىٰ

(١) في النسختين: «أرض ربَّك». والمثبت من مصادر التخريج..
(٢) رواه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) **الذرَّة**: النملة.
(٤) صحيح: وقد تقدم.
(٥) صحيح: وقد تقدم.
(٦) صحيح: وقد تقدم.
(٧) صحيح: وقد تقدم.

ما بعثني عليه رسول اللَّه ﷺ؟ «**أَلَّا تَدَعَ صورةً إلا طمستَها، ولا قبرًا مُشرِفًا إلا سوَّيتَه**»[(١)].

فانظر إلىٰ ما في هذه الأحاديث من الوعيد الشديد للمصورين، لكونهم فعلوا فعلًا يُشبِهُ فِعلَ الخالق ـ وإن لم يكن ذلك مقصودًا لهم ـ، وهؤلاء القبوريون قد جَعلوا بعض خلق اللَّه شريكًا له ومِثلًا ونِدًّا، فاستغاثوا به فيما لا يُستغاث فيه إلا باللَّه، وطلبوا منه ما لا يُطلب إلا من اللَّه مع القصد والإرادة[(٢)].

ومن ذلك: ما أخرجه النسائيُّ ـ بسندٍ جيد ـ عن عبداللَّه بن الشِّخِّير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلىٰ النبي ﷺ، فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «**السيد اللَّه** ﷻ»، قلنا: وأفضلُنا، وأعظمُنا طَوْلًا، قال: «**قولوا بقولكم ـ أو بعض قولكم ـ، ولا يستجرينَّكم**[(٣)] **الشيطان** ـ وفي رواية: **ولا يستهوينكم الشيطان ـ أنا محمدٌ عبد اللَّه ورسوله، ما أُحِبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني اللَّه** ﷿»[(٤)].

وبالجملة: فالوارد عن الشارع من الأدلة الدالة علىٰ قطع ذرائع الشرك، وهدمِ كل شيء يوصِّل إليه في غاية الكثرة، ولو رُمتُ حَصْرَ ذلك علىٰ التمام لجاء في مؤلفٍ بسيط[(٥)]، فلنقتصر علىٰ هذا المقدار، ونتكلم علىٰ حكم ما يفعله القبوريُّون من الاستغاثة

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) أي: فعلوا ذلك مع العزم والنية الجازمة.

(٣) في «الفتح الرباني»: «يستجرَّنَّكم»، وقد تكررت في مواضع منه، والمثبت هو الرواية المشهورة.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

(٥) **البسيط**: الكبير الواسع.

بالأموات، ومناداتِهم لقضاء الحاجات، وتشريكهم مع اللَّه في بعض الحالات، وإفرادهم بذلك في بعضها؛ فنقول:

[حكم الاستغاثة بالأموات]:

اعلم أن اللَّه لم يبعث رسله، ويُنزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم، والرازق، ونحو ذلك؛ فإن هذا يُقِرُّ به كلُّ مشرك قبل بعثة الرسل:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف].

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس].

﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون].

ولهذا تجدُ كلَّ ما ورد في الكتاب العزيز في شأن خالق الخلق ونحوه في مخاطبة الكفارِ مُعَنْوَنًا باستفهام التقرير:

﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤].

﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

بل بعث اللَّه رسله، وأنزل كتبه لإخلاص توحيده، وإفراده بالعبادة:

﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ٢].

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ [نوح: ٣].

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠].

﴿فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت].

[كيف يتمُّ إخلاص التوحيد؟]:

وإخلاص التوحيد لا يتمُّ إلا بأن يكون الدعاءُ كلُّه للَّه، والنداء، والاستغاثة، والرجاء، واستجلاب الخير، واستدفاع الشر= له ومنه، لا لغيره، ولا من غيره:

﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة].

وقد تقرر أن شركَ المشركين الذين بَعث اللَّه إليهم خاتم رسله لم يكن إلا باعتقادهم أن الأنداد التي اتخذوها تنفعُهم وتضرُّهم وتقرِّبُهم إلىٰ اللَّه، وتشفع لهم عنده، مع اعترافهم بأن اللَّه سبحانه وتعالى هو خالقُها وخالقهم، ورازقها ورازقهم، ومحييها ومحييهم، ومميتها ومميتهم:



﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة].

﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨﴾ [الشعراء].

﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف].

﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٨].

وكانوا يقولون في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك، تملكُه وما مَلَك»(١).

[شرك القبوريين والوثنيين واحد]:

وإذا تقرر هذا فلا شك أن من اعتقد في ميتٍ من الأموات، أو حيٍّ من الأحياء أنه يضرُّه أو ينفعه ـ إما استقلالًا، أو مع اللَّه تعالىٰ ـ، أو ناداه، أو توجه إليه، أو استغاث به في أمرٍ من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق= فلم يخلص التوحيد للَّه، ولا أفرده بالعبادة؛ إذ الدعاءُ بطلب وصول الخير إليه، ودفع الضر عنه هو نوعٌ من أنواع العبادة. ولا فرق بين أن يكون هذا المدعوُّ من دون اللَّه أو معه حجرًا أو شجرًا، أو ملَكًا أو شيطانًا ـ كما كانت تفعل ذلك الجاهلية ـ، وبين أن يكون إنسانًا من الأحياء أو الأموات ـ كما يفعله الآن كثيرٌ من المسلمين ـ. وكلُّ عالِمٍ يعلم هذا ويُقرُّ به؛ فإن العلة واحدة، وعبادةُ غير اللَّه وتشريكُ غيره معه تكون للحيوان كما تكون للجماد، وللحي كما تكون للميت؛ فمن زعم أن ثمَّ فرقًا بين من اعتقد في وثنٍ من الأوثان أنه يضر وينفع، وبين

(١) أي: وهذا الشريك أنت ـ أيضًا ـ تملكه، ولا يملك شيئًا!

من اعتقد في[١] ميتٍ من بني آدم أو حيٍّ منهم أنه يضر أو ينفع، أو يقدرُ علىٰ أمرٍ لا يقدر عليه إلا اللَّه= فقد غَلِط غلطًا بيِّنًا، وأقر علىٰ نفسه بجهلٍ كبير؛ فإن الشرك هو دعاءُ غير اللَّه في الأشياء التي تختصُّ به، أو اعتقادُ القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه، أو التقربُ إلىٰ غيره بشيءٍ مما لا يُتقرَّبُ به إلا إليه.

ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكًا بـ«الصنم» و«الوثن» و«الإلٰه»، ليس فيه زيادةٌ علىٰ التسمية بـ«الولي» و«القبر» و«المَشهد» ـ كما يفعله كثيرٌ من المسلمين ـ؛ بل الحكم واحد إذا حَصَل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصُلُ لمن كان يعتقد في الصنم والوثن؛ إذ ليس الشركُ هو بمجرد إطلاق بعض الأسماء علىٰ بعض المسمَّيات؛ بل الشرك هو أن يَفعل لغير اللَّه شيئًا يختصُّ به سبحانه وتعالى؛ سواء أَطلق علىٰ ذلك الغيرِ ما كان تُطلِقُه عليه الجاهلية، أو أطلق عليه اسمًا آخر؛ فلا اعتبار بالاسم قط. ومن لم يعرف هذا فهو جاهلٌ لا يستحق أن يخاطَبَ بما يخاطَبُ به أهلُ العلم.

وقد عَلم كلُّ عالِم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها، واعتقاد أنها تضرُّ وتنفع، والاستغاثة بها عند الحاجة، والتقرُّبُ[٢] لها في بعض الحالات بجزءٍ من أموالهم، وهذا كله قد وقع من المعتقِدين في القبور؛ فإنهم قد عظَّموها إلىٰ حدٍّ لا يكون إلا للَّه سبحانه؛ بل ربما يَترك العاصي منهم فِعلَ المعصية إذا كان

---

(١) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «من».

(٢) في «الفتح الرباني» والنسخة المخرجة: «والتقريب»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.



في مَشهدِ مَن يعتقده أو قريبًا منه، مخافةَ تعجيل العقوبة من ذلك الميت، وربما لا يتركها إذا كان في حَرَم اللَّه، أو في مسجدٍ من المساجد، أو قريبًا من ذلك. وربما حلف بعضُ غلاتهم باللَّه كاذبًا، ولم يحلف بالميت الذي يعتقده [إلا صادقًا].

وأما اعتقادهم أنها تضرُّ وتنفع: فلولا اشتمال ضمائرهم علىٰ هذا الاعتقاد لم يَدْعُ أحدٌ منهم ميتًا أو حيًّا عند استجلابه لنفع، أو استدفاعه لضر قائلًا: «يا فلان، افعل لي كذا أو كذا، وعلىٰ اللَّه وعليك، وأنا باللَّه وبك»!

وأما التقرُّب[1] للأموات: فانظر ما يجعلونه من النذور لهم، وعلىٰ قبورهم في كثير من المحلات، ولو طُلب الواحد منهم أن يسمح بجزءٍ من ذلك للَّه ﷻ لم يفعل، وهذا معلومٌ يعرفه من عرف أحوال هؤلاء.

فإن قلت: إن هؤلاء القبوريين يعتقدون أن اللَّه هو الضارُّ النافع، والخيرُ والشر بيده، وإنما[2] استغاثوا بالأموات قصدًا لإنجاز ما يطلبونه من اللَّه سبحانه وتعالى.

قلت: وهكذا كانت الجاهلية؛ فإنهم يعلمون أن اللَّه هو الضارُّ النافع، وأن الخير والشر بيده، وإنما عبدوا أصنامهم لتُقرِّبَهم إلىٰ اللَّه زلفىٰ ـ كما حكاه اللَّه عنهم في كتابه العزيز ـ.

نعم إذا لم يحصل من المسلمين إلا مجردُ التوسل الذي قدمنا

(١) في «الفتح الرباني»: «والتقريب» ـ كسابقتها ـ؛ لكنها في النسخة المخرجة علىٰ ما أثبتُّه.

(٢) في النسختين: «وإن». ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

تحقيقه، فهو كما ذكرناه سابقًا، ولكن مَن زعم أنه لم يقع منه إلا مجرد التوسل، وهو يعتقد مِن تعظيم ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده في أحد من المخلوقين، وزاد علىٰ مجرد الاعتقاد؛ فتقرب إلىٰ الأموات بالذبائح والنذور، وناداهم مستغيثًا بهم عند الحاجة= فهذا كاذبٌ في دعواه أنه متوسلٌ فقط، فلو كان الأمرُ كما زعمه لم يقع منه شيءٌ من ذلك، إذ المتوسَّلُ به لا يحتاج إلىٰ رشوةٍ بنذرٍ أو ذبح، ولا تعظيمٍ ولا اعتقاد؛ لأن المدعوَّ هو اللَّه سبحانه، وهو ـ أيضًا ـ المجيب، ولا تأثير لمن وقع به التوسل قط؛ بل هو بمنزلة التوسل بالعمل الصالح؛ فأي جدوىٰ في رشوة مَن قد صار تحت أطباق الثرىٰ بشيءٍ من ذلك؟! وهل هذا إلا فِعلُ من يعتقد التأثير اشتراكًا أو استقلالًا؟! ولا أعدل من شهادة أفعال جوارح الإنسان علىٰ بطلان ما ينطقُ به لسانه من الدعاوىٰ الباطلة العاطلة؛ بل من زعم أنه لم يحصل منه إلا مجردُ التوسل وهو يقول بلسانه: «يا فلان»، مناديًا لمن يعتقده من الأموات= فهو كاذبٌ علىٰ نفسه.

ومن أنكر حصول النداء للأموات والاستغاثة بهم استقلالًا؛ فليخبرنا ما معنىٰ ما يسمعه في الأقطار اليمنية من قولهم: «يا ابن العجيل، يا زيلعي، يا ابن علوان، يا فلان يا فلان»؟! وهل ينكر هذا منكِر، أو يشكُّ فيه شاكٌّ؟! وما عدا ديارَ اليمن فالأمر فيها أطمُّ وأعم؛ ففي كل قريةٍ ميتٌ يعتقده أهلُها وينادونه، وفي كل مدينةٍ جماعةٌ منهم، حتىٰ إنهم في حَرَم اللَّه ينادونه: «يا ابن عباس، يا محجوب»، فما ظنك بغير ذلك؟! فلقد تلطف إبليسُ وجنودُه ـ أخزاهم اللَّه ـ لغالب أهل الملة الإسلامية بلطيفةٍ تزلزل الأقدام



عن الإسلام؛ فإنا للَّه وإنا إليه راجعون[1].

أين من يعقل معنىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن]، ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤]؟!

وقد أخبرنا اللَّه سبحانه أن الدعاء عبادةٌ في محكم كتابه بقوله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر].

وأخرج أبو داود، والترمذي ـ وقال: حسن صحيح ـ من حديث

---

(١) وليست الأقطار اليمنية فقط، وليس «ضريح السيد البدوي» هو وحده الذي يستقبل الملايين سنويًّا في مصر، فهناك «ضريح الشبلي» يستقبل جمهورًا غفيرًا من «الحُجَّاج»، وهذا ما سجَّله الكاتب السيد محمد فريد؛ حيث كتب يقول:
قصة واقعية من قلب «مملكه الدراويش»، ومن الواقع الأليم الذي تعيشه «أمة المجانين»؛ حيث تقع «قرية الشيخ شبل مركز المراغة محافظة سوهاج»، ماذا حدث في هذه القرية؟ هناك من يُعبد من دون اللَّه، وتُقدم إليه القرابين كل عام، وله سادنٌ يقوم علىٰ خدمته، وهو المدعو «أبو النعمان الشبلي»، وذات يوم تَرك السادنُ الشمعةَ علىٰ جسم الوثن الخشبي، فتسلَّلت النيران إلىٰ الخشب وأصبح «الإلٰه» كتلةَ فحم، وراح الناس يشْكُون ويبكون ويقولون: من فعل هذه بآلهتنا؟ ونقول لهم: اسألوهم إن كانوا ينطقون! وماذا يصنع القوم؟ قاموا علىٰ الفور، وأحضروا نجارًا حازقًا، وصنعوا علىٰ الفور صنمًا «بدل تالف»، وانطبق علىٰ أهالي قرية الشيخ شبل قول المولىٰ ﷻ: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الصافات]» اهـ «مجلة التوحيد» (العدد ١٢ ـ ذو الحجة ١٤١١هـ ـ ص ٤٧).
نقلًا عن تحقيق «الفتح الرباني».

النعمان بن بَشير قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن الدعاء هو العبادة**» ـ وفي رواية: «**مخ العبادة**» ـ، ثم قرأ رسول اللَّه ﷺ الآية المذكورة(١).

وأخرجه ـ أيضًا ـ النسائي، وابن ماجه، والحاكم، وأحمد، وابن أبي شيبة باللفظ المذكور.

وكذلك النحر للأموات عبادة لهم، والنذر لهم بجزء من المال عبادة لهم، والتعظيم عبادة لهم، كما أن النحر للنُّسك، وإخراج صدقة المال، والخضوع، والاستكانة = عبادة للَّه ﷻ بلا خلاف. ومن زعم أن ثَمَّ فرقًا بين الأمرين فليُهدِهِ إلينا.

ومن قال: إنه لم يقصد بدعاء الأموات والنحر لهم والنذر عليهم عبادتَهم؛ فقل له: فلأي مقتضٍ صنعتَ هذا الصنع؟ فإن دعائك للميت عند نزول أمرٍ بك لا يكون إلا لشيءٍ في قلبك عبَّر عنه لسانك، فإن كنت تَهْذِي بذكر الأموات عند عُروض الحاجات من دون اعتقادٍ منك لهم فأنت مصابٌ بعقلك، وهكذا إن كنت تنحر للَّه وتنذر للَّه فلأي معنًى جعلت ذلك للميت، وحملته إلىٰ قبره؟ فإن الفقراء علىٰ ظهر البسيطة في كل بقعةٍ من بقاع الأرض، وفِعلُك ـ وأنت عاقل ـ لا يكون إلا لمقصدٍ قد قصدته، وأمرٍ قد أردته، وإلا فأنت مجنون قد رُفع عنك القلم، ولا نوافقك علىٰ دعوىٰ الجنون إلا بعد صدور أفعالِك وأقوالك في غير هذا علىٰ نمطِ أفعال المجانين، فإن كنت تُصدِرُها مصدرَ أفعال العقلاء فأنت تكذبُ علىٰ نفسك في دعواك

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.
ورواية «**مخ العبادة**» ضعيفة، وقد تقدمت.

الجنون في هذا الفعل بخصوصه، فرارًا عن أن يَلزمك ما لَزِمَ عُبَّادَ الأوثان الذين حكىٰ اللَّه عنهم في كتابه العزيز ما حكاه بقوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، وبقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النحل].

[التوحيد ليس مجرد كلمة]:

فإن قلت: إن المشركين كانوا لا يقرُّون بكلمة التوحيد، وهؤلاء المعتقِدون في الأموات يقرون بها.

قلت: هؤلاء إنما قالوها بألسنتهم، وخالفوها بأفعالهم، فإنَّ من استغاث بالأموات، أو طلب منهم ما لا يقدر عليه إلا اللَّه سبحانه، أو عظَّمهم، أو نذر عليهم بجزء من ماله، أو نحر لهم = فقد نزَّلهم منزلة الآلهة التي كان المشركون يفعلون لها هذه الأفعال، فهو لم يعتقد معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه»، ولا عَمِل بها؛ بل خالفها اعتقادًا وعملًا، فهو في قوله: «لا إلٰه إلا اللَّه» كاذبٌ علىٰ نفسه؛ فإنه قد جعل لها إلٰهًا غير اللَّه يعتقد أنه يضرُّ وينفع، وعَبَدَه بدعائه عند الشدائد، والاستغاثة به عند الحاجة، وبخضوعه له وتعظيمه إياه، ونَحَر له النحائر، وقرَّب إليه نفائس الأموال.

وليس مجرد قول «لا إلٰه إلا اللَّه» من دون عمل بمعناها مثبِتًا للإسلام، فإنه لو قالها أحد من أهل الجاهلية، وعكف علىٰ صنمه يعبده لم يكن ذلك إسلامًا.

فإن قلت: قد أخرج أحمد بن حنبل، والشافعي في «مسنديهما»

من حديث عبيداللَّه[(١)] بن عديٍّ بن الخيار أن رجلًا من الأنصار حدثه أنه أتىٰ النبيَّ ﷺ وهو في مجلسه، فسارَّهُ يستأذنه في قتل رجل من المنافقين؛ فجهر رسول اللَّه ﷺ فقال: «**أليس يشهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه؟**»، قال الأنصاري: بلىٰ ـ يا رسول اللَّه ـ، ولا شهادة له. قال: «**أليس يشهد أن محمدًا رسول اللَّه؟**»، قال: بلىٰ، ولكن لا شهادة له، قال: «**أليس يصلي؟**»، قال: بلىٰ، ولا صلاة له. قال: «**أولئك الذين نهاني اللَّه عن قتلهم**»[(٢)].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي سعيد في قصة الرجل الذي قال: يا رسول اللَّه، اتق اللَّه. وفيه: قال خالد بن الوليد: يا رسول اللَّه، ألا أضرب عنقه؟ فقال: «**لا؛ لعلَّه أن يكون يصلي**»، فقال خالد: كم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه! فقال ﷺ: «**إني لم أُومَرْ أن أَنقُبَ عن قلوب الناس، ولا أشقَّ بطونهم**[(٣)]»[(٤)].

ومنه قوله ﷺ لأسامةَ بن زيد لما قَتل رجلًا من الكفار بعد أن

---

(١) في الفتح الرباني «عبداللَّه»، والمثبت من مصادر التخريج.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/٤٣٣)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٩٥٦)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (١٠/١٥٠). **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٩/٧٣).
ورواه مالك في «الموطأ» (١/١١٧) **مرسلًا**، وعنه الشافعي في «مسنده» (١/١٣)، والبيهقي في «السنن» (٨/١٩٦)، وفي «معرفة السنن والآثار» (٧٣٠٢)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (١٠/١٦٣).
وانظر: تحقيق «المسند» ـ الموضع السابق ـ.

(٣) في النسختين: «قلوبهم»، والمثبت هو الرواية.

(٤) رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

قال: «لا إلٰه إلا اللَّه»، فقال ﷺ: «**فما تصنع بلا إلٰه إلا اللَّه؟**»، فقال: يا رسول اللَّه، إنما قالها تقيةً، فقال: «**هل شققتَ عن قلبه؟**»؛ هذا معنىٰ الحديث، وهو في «الصحيح»(١).

قلت: لا شك أن من قال: «لا إلٰه إلا اللَّه»، ولم يتبين من أفعاله ما يخالف معنىٰ التوحيد= فهو مسلمٌ محقون الدم والمال؛ إذا جاء بأركان الإسلام المذكورة في حديث: «**أُمرتُ أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إلٰه إلا اللَّه، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويحجُّوا البيت، ويصوموا رمضان**»(٢).

وهكذا من قال «لا إلٰه إلا اللَّه» متشهدًا بها شهادة الإسلام، ولم يكن قد مضىٰ عليه من الوقت ما يجب فيه شيءٌ من أركان الإسلام، فالواجب حَمْلُه علىٰ الإسلام، عملًا بما أقر به بلسانه، وأخبر به مَن أراد قتاله؛ ولهذا قال ﷺ لأسامة بن زيد ما قال.

وأما من تكلم بكلمة التوحيد، وفعل أفعالًا تخالفُ التوحيد، كاعتقاد هؤلاء المعتقِدِين في الأموات= فلا ريب أنه قد تبيَّن من حالهم خلافُ ما حكته ألسنتُهم من إقرارهم بالتوحيد، ولو كان مجردُ التكلم بكلمة التوحيد موجبًا للدخول في الإسلام والخروج من الكفر - سواءٌ فعل المتكلمُ بها ما يطابق التوحيد أو يخالفه -؛ لكانت نافعةً لليهود، مع أنهم يقولون: «عزيرٌ ابن اللَّه»، وللنصارىٰ مع أنهم يقولون: «المسيح ابن اللَّه»، وللمنافقين مع أنهم يكذِّبون بالدين، ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم! وجميعُ هذه الطوائفِ

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

الثلاثِ يتكلمون بكلمة التوحيد، بل لم تنفع الخوارجَ؛ فإنهم من أكمل الناس توحيدًا، وأكثرهم عبادةً، وهم كلابُ النار[(١)]. وقد أَمَرَنا رسول اللَّه ﷺ بقتلهم، مع أنهم لم يُشركوا باللَّه، ولا خالفوا معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه»، بل وحَّدوا اللَّه حق توحيده.

وكذلك المانعون للزكاة هم موحِّدون لم يشركوا، ولكنهم تركوا ركنًا من أركان الإسلام، ولهذا أجمعت الصحابةُ علىٰ قتالهم؛ بل دل الدليلُ الصحيحُ المتواتر علىٰ ذلك، وهو الأحاديث الواردة بألفاظ؛ منها: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إلٰه إلا اللَّه، ويُقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويحجوا البيت، ويصوموا رمضان، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»[(٢)]؛ فمن ترك أحد هذه الخمس لم يكن معصومَ الدم ولا المال، وأعظم من ذلك تاركُ معنىٰ التوحيد، أو المخالف له بما يأتي به من الأفعال.

---

(١) حسن: رواه أحمد (٤/٣٥٥)، وعبداللَّه بن أحمد في «السنة» (١٥١٣)، وابن ماجه (١٧٣)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٥/٥٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٩٠٤)، واللالكائي في «السنة» (٢٣١١)، والآجري في «الشريعة» (٣٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/٣١٩)، وابن الجوزي في «الواهيات» (٢٦١)، وفي «تلبيس إبليس» (١٩٢ ـ بعنايتي)، من حديث عبداللَّه بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه. **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند ابن ماجه، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط ثَمَّ، لكنه أفاد أن لفظ «الخوارج» خطأ؛ لأنه لفظٌ محدَثٌ بعد النبي ﷺ. وكذا **حسَّنه** الشيخ مشهور آل سلمان في تحقيق «الكبائر» للذهبي ص(٣٧٥).
ولفظ الحديث: «**الخوارجُ كلابُ أهل النار**».

(٢) صحيح: وقد تقدم.

[لا يُشترط في وصف الرِّدَّة علمُ فاعلِها بالحكم]:

فإن قلت: هؤلاء المعتقِدون في الأموات لا يعلمون بأن ما يفعلونه شرك، بل لو عُرض أحدهم علىٰ السيف لم يقرَّ بأنه مشرك باللَّه، ولا فاعلٌ لما هو شرك، ولو علم أدنىٰ علمٍ أن ذلك شركٌ لم يفعله.

قلت: الأمر كما قلتَ، ولكن لا يخفىٰ عليك ما تقرر في أسباب الردة: أنه لا يعتبر في ثبوتها العلمُ بمعنىٰ ما قاله من جاء بلفظ كفري، أو فعل فعلًا كفريًّا[1].

وعلىٰ كل حال فالواجب علىٰ كلِّ مَن اطلع علىٰ شيءٍ من هذه الأقوال والأفعال التي اتصف بها المعتقِدون في الأموات= أن يُبلِّغَهم الحجةَ الشرعية، ويبيِّن لهم ما أمره اللَّه ببيانه، وأخذ عليه[2]

---

(١) نعم، يُحكم علىٰ الفعل بأنه «ردَّة»، لكن لا يُحكم علىٰ الفاعل بأنه «مرتدٌّ» إلا بعد قيام الحجة الرسالية، لا سيما في البلاد التي غلب فيها الجهل وعلماء السوء، وغابت فيها السنة، وفشت البدعة.

■ وقد قال الإمام الشوكاني في «السيل الجرار» (٤/٥٧٨): «لا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشر؛ لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام. ولا اعتبار بصدور فِعلٍ كُفريٍّ لم يُرِدْ به فاعله الخروج عن الإسلام إلىٰ ملة الكفر، ولا اعتبار بلفظٍ تلفَّظ به المسلم يدل علىٰ الكفر، وهو لا يعتقد معناه» اهـ. والمراد: عدم الحكم عليه عينًا بأنه «كافر»، وإن كان ما فعله «كفرًا».

□ وقال ـ أيضًا ـ في «نيل الأوطار» (٦/٢١٠): «من سجد لغير اللَّه جاهلًا لم يكفر» اهـ. والنقلان هنا من النسخة المخرَّجة ص(٨٤).

وانظر فوائد جمة لعديد من أهل العلم علىٰ الرابط التالي:
«https://islamqa.info/ar/answers/111362/»

(٢) في النسختين: «عليهم»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

الميثاق ألَّا يكتمه ـ كما حكىٰ ذلك لنا في كتابه العزيز[(١)] ـ؛ فيقول لمن صار يدعو الأمواتَ عند الحاجات، ويستغيث بهم عند حلول المصيبات، وينذر لهم النذور، وينحر لهم النحائر، ويُعظِّمهم تعظيم الرب سبحانه: إن هذا الذي تفعلونه هو الشرك الذي كانت عليه الجاهلية، وهو الذي بعث اللَّهُ رسلَه بهدمه، وأنزل كتبه في ذمّه، وأخذ علىٰ النبيين أن يبلِّغوه عباده أنهم لا يؤمنون حتىٰ يُخلِصوا له التوحيد، ويعبدوه وحده.

فإذا علموا هذا علمًا لا يبقىٰ معه شكٌّ ولا شبهة، ثم أصروا علىٰ ما هم فيه من الطغيان والكفر بالرَّحمٰن= وجب عليه أن يخبرهم بأنهم إذا لم يُقلعوا عن هذه الغواية، ويعودوا إلىٰ ما جاءهم به رسول اللَّه ﷺ من الهداية= فقد حلت دماؤهم وأموالهم، فإن رجعوا وإلا فالسيف هو الحكمُ العدل كما نطق به الكتاب المبين، وسنةُ سيد المرسلين في إخوانهم من المشركين.

فإن قلت: قد ورد الحديث الصحيح بأن الخلائق يوم القيامة يأتون آدم؛ فيَدْعُونه ويستغيثون به، ثم نوحًا، ثم إبراهيم، ثم موسىٰ، ثم عيسىٰ، ثم محمدًا ـ صلىٰ اللَّه عليه وعليهم ـ.

قلت: أهل المحشر إنما يأتون هؤلاء الأنبياءَ يطلبون منهم أن يشفعوا لهم إلىٰ اللَّه سبحانه، ويدْعوا لهم بفصل الحساب والإراحة من ذلك الموقف، وهذا جائز؛ فإنه مِن طلب الشفاعة والدعاء المأذون فيهما، وقد كان الصحابة يطلبون من رسول اللَّه ﷺ في

---

(١) كما في قوله جَلَّ شَأنُهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].



حياته أن يدْعوَ لهم:

كما في حديث: «يا رسول اللَّه، ادع اللَّه أن يجعلني منهم» ـ لما أخبرهم بأنه يدخل الجنة سبعون ألفًا[(١)] ـ.

وحديث: «**سبقك بها عكَّاشة**»[(٢)].

وقول أم سليم: «يا رسول اللَّه، خادمك أنس؛ ادْعُ اللَّه له»[(٣)].

وقول المرأة التي كانت تُصرع: يا رسول اللَّه، ادع اللَّه لي، وآخِرُ الأمر سألته الدعاء بألَّا تنكشف عند الصرع، فدعا لها[(٤)].

ومنه إرشاده ﷺ لجماعةٍ من الصحابة بأن يطلبوا من أويس القَرَني الدعاء إذا أدركوه[(٥)].

ومنه ما ورد في دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب[(٦)].

وغير ذلك مما لا يُحصر؛ حتىٰ إن رسول اللَّه ﷺ قال لعمر لما خرج معتمرًا: «**لا تَنْسَنا ـ يا أُخيَّ ـ من دعائك**»[(٧)].

فمن جاء إلىٰ رجلٍ صالح، واستمد منه أن يدعوَ له، فهذا ليس من ذلك الذي يفعله المعتقِدون في الأموات؛ بل هو سُنةٌ حسنة، وشريعةٌ ثابتة، وهكذا طلب الشفاعة ممن جاءت الشريعة المطهرة

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) نفس الحديث السابق.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) رواه البخاري (٦٣٤٤)، ومسلم (٢٤٨٠)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) رواه مسلم (٢٥٤٢)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٦) رواه مسلم (٢٧٣٢)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٧) **ضعيف**: وقد تقدم.

بأنه من أهلها كالأنبياء؛ ولهذا يقول اللَّه لرسوله يوم القيامة: «**سل تُعْطَهْ، واشفَعْ تشفَّع**»(١)؛ وذلك هو المقام المحمود الذي وعده اللَّه به في كتابه العزيز.

والحاصل: أن طلب الحوائج من الأحياء جائز إذا كانوا يقدرون عليها، ومن ذلك الدعاء؛ فإنه يجوز استمداده من كل مسلم - بل يحسن ذلك(٢)-. وكذلك الشفاعة من أهلها الذين ورد الشرع بأنهم يشفعون.

ولكن ينبغي أن يَعلم أن دعاء من يدعو له لا ينفع إلا بإذن اللَّه وإرادته ومشيئته، وكذلك شفاعةُ مَن يشفع لا تكون إلا بإذن اللَّه، كما ورد بذلك القرآن الكريم، فهذا تقييدٌ للمطلق لا ينبغي العدول عنه بحال.

[شبهةٌ باطلة]:

واعلم أن من الشُّبه الباطلة التي يوردها المعتقِدون في الأموات: أنهم ليسوا كالمشركين من أهل الجاهلية؛ لأنهم إنما اعتقدوا في الأولياء والصالحين، وأولئك اعتقدوا في الأوثان والشياطين.

وهذه الشبهة داحضةٌ، تُنادي علىٰ صاحبها بالجهل؛ فإن اللَّه سبحانه لم يعذر من اعتقد في عيسىٰ عليه السلام - وهو نبي من الأنبياء -، بل خاطب النصارىٰ بتلك الخطابات القرآنية، ومنها: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تفصيل مهم حول طلب الدعاء أو غيره من المخلوق، تراه في كتابه: «التوسل والوسيلة».

عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧١].

وقال لمن كان يعبد الملائكة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ].

ولا شك أن عيسىٰ والملائكة أفضل من هؤلاء الأولياء والصالحين الذين صار هؤلاء القبوريون يعتقدونهم، ويَغْلُون في شأنهم، مع أن رسول اللَّه ﷺ ـ وهو أكرم الخلق علىٰ اللَّه؛ وسيد ولد آدم ـ قد نهىٰ أمته أن تغلوَ فيه كما غلت النصارىٰ في عيسىٰ عليه السلام، ولم يمتثلوا أمره، ولا امتثلوا ما ذكره اللَّه سبحانه في كتابه العزيز من قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ومن قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار]، وما حكاه عن رسول اللَّه ﷺ من أنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، وما قاله رسول اللَّه ﷺ لقرابته الذين أمره اللَّه بإنذارهم بقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]؛ فقام داعيًا لهم، ومخاطبًا لكل واحدٍ منهم قائلًا: **«يا فلان بن فلان، لا أُغني عنكَ من اللَّه شيئًا، يا فلانة بنت فلان، لا أغني عنكِ من اللَّه شيئًا، يا بني فلان، لا أُغني عنكم من اللَّه شيئًا»**(١).

فانظر ـ رحمك اللَّه ـ ما وقع مِن كثيرٍ مِن هذه الأمة من الغلو المنهي عنه، المخالف لما في كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ؛ كما يقول صاحب «البُردة»:

يا أكرمَ الخلق ما لي من ألوذُ به ... سواك عند حلولِ الحادثِ العَمَمِ

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

فانظر كيف نفىٰ كل ملاذٍ ما عدا عبدَ اللَّه ورسولَه ﷺ، وغفل عن ربه ورب رسول اللَّه! إنا للَّه وإنا إليه راجعون.

وهذا بابٌ واسع، قد تلاعب [فيه] الشيطان بجماعةٍ من أهل الإسلام حتىٰ ترقَّوْا إلىٰ خطابِ غيرِ الأنبياء بمثل هذا الخطاب، ودخلوا من الشرك في أبواب بكثيرٍ من الأسباب.

ومن ذلك قول من يقول مخاطبًا لابن العجيل:

هات لي منك يا ابن موسىٰ إغاثة　　عاجلًا في مسيرها حثاثة

فهذا محضُ الاستغاثة -التي لا تصلح لغير اللَّه- بميتٍ من الأموات قد صار تحت أطباق الثرىٰ منذ مِئِينَ من السنين، ويغلبُ علىٰ الظن أن مثل هذا البيت والبيت الذي قبله إنما وقعا من قائليهما لغفلةٍ وعدم تيقظ، ولا مقصدَ لهما إلا تعظيمُ جانب النبوة والولاية، ولو نُبِّها لتنبَّها ورجعا وأقرَّا بالخطأ. وكثيرًا ما يعرض ذلك لأهل العلم والأدب والفطنة، وقد سمعنا ورأينا.

فمن وقف علىٰ شيء من هذا الجنس لحيٍّ من الأحياء فعليه إيقاظُه بالحجج الشرعية، فإن رجع وإلا كان الأمرُ فيه كما أسلفنا. وأما إذا كان القائلُ قد صار تحت أطباق الثرىٰ؛ فينبغي إرشادُ الأحياء إلىٰ ما في ذلك الكلام من الخلل.

وقد وقع في «البُردة» و«الهمزية» شيءٌ كثيرٌ من هذا الجنس، ووقع -أيضًا- لمن تصدَّىٰ لمدح نبينا ﷺ ولمدح الصالحين والأئمة الهادين ما لا يأتي عليه الحصر، ولا يتعلق بالاستكثار منه فائدة، فليس المرادُ إلا التنبيه والتحذير ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق]، ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات]،

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران].

[خفاء بعض الشركيات الشائعة على طائفةٍ من العلماء]:

واعلم أن ما حررناه وقررناه - من أن كثيرًا مما يفعله المعتقِدون في الأموات يكون شركًا - قد يخفىٰ علىٰ كثير من أهل العلم؛ وذلك لا لكونه خفيًّا في نفسه؛ بل لإطباق الجمهور علىٰ هذا الأمر، وكونه قد شاب عليه الكبير، وشبَّ عليه الصغير، وهو يرىٰ ذلك ويسمعُه، ولا يرىٰ ولا يسمع من يُنكره؛ بل ربما يسمع من يُرغِّبُ فيه، ويندب الناس إليه[1]، وينضم إلىٰ ذلك ما يُظهره الشيطانُ للناس من قضاء حوائج مَن قَصَد بعض الأموات الذين لهم شهرة، وللعامة فيهم اعتقاد. وربما يقف جماعةٌ من المحتالين علىٰ

(١) وهذا هو الجواب علىٰ من يعترض علينا إذا رددنا علىٰ بعض أهل العلم في مسألةٍ قال بجوازها - مثلًا -، وقد يكون لا أصلَ لها في دين اللَّه ﷻ، فإذا بالمتعصبين والمقلدين لهذا العالم يقولون: «كيف خفي الأمر علىٰ هذا الشيخ مع مكانته وجلالته، وعرفتموه أنتم؟»، ونسوا أن العصمة لم تكتب لأحدٍ بعد رسول اللَّه ﷺ، والصحابةُ الأبرار ﵃ بعضهم أنكر سننًا ثابتةً ثبوتًا قطعيًّا لم يكونوا سمعوا بها، كما أنكر ابن عمر أن يكون المصلي علىٰ الجنازة وتابِعُها ينال أجر قيراطين، وكما أنكرت أمُّنا عائشة ﵂ أن يكون الميت يعذَّب في قبره ببكاء أهله عليه، وغير ذلك؛ بالرغم من أن الأحاديث ثابتةٌ بذلك في الصحيحين وغيرهما، وانظر - مشكورًا - نحوًا من هذا في ردِّي علىٰ الشيخ الفاضل أبي عبداللَّه مصطفىٰ بن العدوي في إباحته للتكبير الجماعي في كتابي: «الاستدلال القطعي علىٰ بدعية التكبير الجماعي»، في فصل: «ردود علىٰ شبهات».

قبره، ويجلبون الناسَ بأكاذيبَ يحكونها عن ذلك الميت ليستجلبوا منهم النذور، ويَستدِرُّوا الأرزاق، ويقتنصوا النحائر، ويستخرجوا من عوام الناس ما يعود عليهم وعلىٰ من يعولونهم، ويجعلون ذلك مكسبًا ومعاشًا.

وربما يهوِّلون علىٰ الزائر لذلك الميت بتهويلات، ويُجمِّلون قبره مما يَعظُمُ في عين الواصل إليه، ويُوقدون في مشهده الشموع، ويوقدون فيه الأطياب[1]، ويجعلون لزيارته مواسمَ مخصوصةً يجتمع فيها الجمعُ الجَمُّ، فينبهر الزائر، ويرىٰ ما يملأ عينه وسمعه من ضجيج الخلق، وازدحامهم وتكالبهم علىٰ القُرْب من الميت، والتمسح بأحجار قبره وأعواده، والاستغاثة به، والالتجاء إليه، وسؤاله قضاءَ الحاجات ونجاح الطِّلبات، مع خضوعهم واستكانتهم، وتقريبهم له نفائسَ الأموال ونحرهم أصناف النحائر.

فبمجموع هذه الأمور - مع تطاول الأزمنة، وانقراض القرن بعد القرن - يظنُّ الإنسان في بادئ عمره وأوائل أيامه أن ذلك من أعظم القربات، وأفضل الطاعات، ثم لا ينفعه ما تعلَّمه من العلم بعد ذلك؛ بل يَذهَلُ عن كل حُجةٍ شرعيةٍ تدلُّ علىٰ أن هذا هو الشرك بعينه، وإذا سمع من يقول أنكره، ونبا عنه سمعه، وضاق به ذَرْعُه؛ لأنه يَبعُدُ كلَّ البعد أن ينتقل ذهنُه دفعةً واحدةً في وقتٍ واحد عن شيءٍ يعتقده من أعظم الطاعات إلىٰ كونه من أقبح المقبَّحات، وأكبر المحرمات، مع كونه قد دَرَج عليه الأسلاف، ودب فيه الأخلاف، وتعاورَتْه العصور، وتناوبته الدهور.

(١) يقصد إشعال البخور ذي الرائحة الطيبة.

وهكذا كلُّ شيء يقلِّدُ الناس فيه أسلافهم، ويُحكِّمون العادات المستمرة.

وبهذه الذريعة الشيطانية والوسيلة الطاغوتية بقي المشركُ من الجاهلية علىٰ شركه، واليهوديُّ علىٰ يهوديته، والنصرانيُّ علىٰ نصرانيته، والمبتدعُ علىٰ بدعته، وصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، وتبدلت الأمةُ بكثيرٍ من المسائل الشرعية غيرَها، وأَلِفوا ذلك، ومَرَنَتْ عليه نفوسُهم، وقَبِلَتْه قلوبُهم، وأَنِسوا إليه، حتىٰ لو أراد من يتصدىٰ للإرشاد أن يحملَهم علىٰ المسائل الشرعية البيضاءِ النقية التي تبدلَّوا بها غيرها= لنفروا عن ذلك، ولم تقبله طبائعهم، ونالوا ذلك المرشدَ بكل مكروه، ومزَّقوا عِرضَه بكل لسان، وهذا كثيرٌ موجودٌ في كل فرقةٍ من الفرق؛ لا ينكره إلا من هو متهَمٌ في عقله.

وانظر ـ إن كنتَ ممن يعتبرُ ـ ما ابتُلِيَتْ به هذه الأمةُ من التقليد للأموات في دين اللَّه، حتىٰ صارت كلُّ طائفةٍ تعملُ في جميع مسائل الدين بقولِ عالمٍ من علماء المسلمين، ولا تقبلُ قول غيره، ولا ترضىٰ به، وليتَها وقفت عند عدم القبول والرضا، لكنها تجاوزت ذلك إلىٰ الحطِّ علىٰ سائر علماء المسلمين، والوضع من شأنهم، وتضليلهم، وتبديعهم، والتنفير عنهم، ثم تجاوزوا[1] ذلك إلىٰ التفسيق والتكفير، ثم زاد الشرُّ حتىٰ صار أهلُ كل مذهب كأهل ملةٍ مستقلة، لهم نبيٌّ مستقل، وهو ذلك العالم الذي قلدوه، فليس الشرع إلا ما قال به دون غيره، وبالغوا وغلَوا؛ فجعلوا قوله مقدمًا علىٰ

(١) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «تجاوزا».

قول اللَّه ورسوله. وهل بعد هذه الفتنة والمحنة شيءٌ من الفتن والمِحَن؟!

فإن أنكرت هذا فهؤلاء المقلِّدون علىٰ ظهر البسيطة قد ملؤوا الأقطار الإسلامية؛ فاعمِدْ إلىٰ أهل كل مذهب، وانظر إلىٰ مسألةٍ من مسائل مذهبهم هل هي مخالِفةٌ لكتاب اللَّه، أو لسنة رسول اللَّه، ثم أرشِدْهم إلىٰ الرجوع عنها إلىٰ ما قاله اللَّه أو رسوله، وانظر بماذا يجيبونك؛ فما أظنك تنجو من شرهم، ولا تأمنُ من معرَّتهم، وقد يستحلُّون بذلك دمك ومالك، وأورعُهم [مَن] يستحلُّ عرضك وعقوبتك، وهذا يكفيك إن كان لك فطرةٌ سليمة، وفكرة مستقيمة.

ثم انظر كيف خَصُّوا بعضَ علماء المسلمين، واقتدَوْا بهم في مسائل الدين، ورفضُوا الباقين، بل جاوزوا هذا إلىٰ أن الإجماع ينعقد بأربعةٍ من علماء هذه الأمة[(١)]، وأن الحجة قائمة بهم، مع أن في عصرِ كلِّ واحدٍ منهم من هو أكثرُ علمًا منه ـ فضلًا عن العصر المتقدم علىٰ عصره، والعصرِ المتأخر عن عصره ـ، وهذا يعرفه كلُّ من يعرف أحوال الناس. ثم تجاوزوا ذلك إلىٰ أنه لا اجتهاد لغيرهم؛ بل هو مقصورٌ عليهم! فكأن هذه الشريعةَ كانت لهم لا حظ لغيرهم فيها، ولم يتفضلِ اللَّهُ علىٰ عباده بما تفضل عليهم!

وكل عاقل يعلم أن هذه المزايا التي جعلوها لهؤلاء الأئمة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ:

ـ إن كانت باعتبار كثرةِ علمهم، وزيادتِه علىٰ علم غيرهم، فهذا مدفوعٌ عند كل من له اطلاعٌ علىٰ أحوالهم وأحوالِ غيرهم؛ فإن

---

(١) يقصد أئمة المذاهب الأربعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

في أتباع كل واحد منهم مَن هو أعلمُ منه؛ لا ينكر هذا إلا مكابرٌ أو جاهل، فكيف بمن لم يكن من أتباعهم من المعاصرين لهم، والمتقدمين عليهم، والمتأخرين عنهم؟!

- وإن كانت تلك المزايا بكثرة الورع والعبادة فالأمر كما تقدم، فإنَّ في معاصريهم والمتقدمين عليهم والمتأخرين عنهم مَن هو أكثر عبادةً وورعًا منهم، لا ينكر هذا إلا من لا يعرف تراجم الناس وكُتب التواريخ.

- وإن كانت تلك المزايا بتقدُّم عصورهم، فالصحابة والتابعون أقدم منهم عصرًا بلا خلاف، وهم أحقُّ بهذه المزايا ممن بعدهم؛ لحديث: «**خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[(١)].

- وإن كانت تلك المزايا لأمرٍ عقليٍّ فما هو؟ أو لأمرٍ شرعيٍّ فأين هو؟

ولا ننكر أن اللَّه قد جعلهم بمحلٍّ من العلم والورع وصلابةِ الدين، وأنهم من أهل السَّبق في كل الفضائل والفواضل، ولكنَّ الشأن في المتعصِّب لهم من أتباعهم، القائل: «إنه لا يجوز تقليد غيرهم، ولا يُعتدُّ بخلافه إن خالف، ولا يجوز لأحدٍ من علماء المسلمين أن يخرج عن تقليدهم وإن كان عارفًا بكتاب اللَّه وسنة رسوله، قادرًا علىٰ العمل بما فيهما، متمكنًا من استخراج المسائل الشرعية منهما»!

فلم يكن مقصودنا إلا التعجيبُ لمن كان له عقلٌ صحيح وفكرٌ رجيح، وتهوينُ الأمر عليه فيما نحن بصدده من الكلام علىٰ ما يفعله

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

المعتقِدون للأموات، وأنه لا يَغترُّ العاقلُ بالكثرة وطول المهلة مع الغفلة؛ فإن ذلك لو كان دليلًا علىٰ الحق لكان ما زعمه المقلِّدون المذكورون حقًّا، ولكان ما يفعله المعتقدون للأموات حقًّا.

وهذا عارضٌ من القول أوردناه للتمثيل، ولم يكن من مقصودنا والذي نحن بصدده: هو أنه إذا خَفِي علىٰ بعض أهل العلم ما ذكرناه وقررناه في حكم المعتقِدين للأموات لسببٍ من أسباب الخفاء التي قدمنا ذكرها، ولم يتعقَّل ما سقناه من الحُجج البرهانية القرآنية والعقلية = فينبغي أن تسأله: ما هو الشرك؟ فإن قال: هو أن تتخذ مع اللَّه إلٰهًا آخر كما كانت الجاهلية تتخذ الأصنامَ آلهةً مع اللَّه سبحانه، فقل له: وماذا كانت الجاهلية تصنعه لهذه الأصنام التي اتخذوها حتىٰ صاروا مشركين؟ فإن قال: كانوا يعظِّمونها ويقربون لها، ويستغيثون بها، وينادونها عند الحاجات، وينحرُون لها النحائر، ونحو ذلك من الأفعال الداخلة في مسمىٰ «العبادة»؛ فقل له: لأي شيء كانوا يفعلون لها ذلك؟ فإن قال: لكونها الخالقة أو الرازقة أو المحيية أو المميتة = فاقرأ عليه ما قدمنا لك من البراهين القرآنية المصرحة بأنهم مقرُّون بأن اللَّه [هو] الخالقُ الرازق المحيي المميت، وأنهم إنما عبدوها لتقرِّبهم إلىٰ اللَّه زلفىٰ، وقالوا: هم شفعاؤهم عند اللَّه، ولم يعبدوها لغير ذلك؛ فإنه سيوافقك ولا محالة ـ إن كان يعتقد أن كلام اللَّه حق ـ، وبعد أن يوافقك أوضِحْ له أن المعتقِدين في القبور قد فعلوا هذه الأفعال ـ أو بعضها ـ علىٰ الصفة التي قررناها وكررناها في هذه الرسالة؛ فإنه إن بقي فيه بقيةٌ من إنصاف، وبارقةٌ من علم، وحصةٌ من عقل = فهو لا محالة يوافقك، وتنجلي عنه الغَمْرة، وتنقشع عن قلبه سحائبُ الغفلة، ويعترف بأنه

كان في حجابٍ عن معنىٰ التوحيد الذي جاءت به السنة والكتاب.

فإن زاغ عن الحق، وكابَرَ وجادل، فإن جاءك في مكابرته ومجادلته بشيءٍ من الشبهة فادفعْه بالدفع الذي قد ذكرناه فيما سبق، فإنَّا لم نَدَعْ شبهةً يمكن أن يدَّعيَها مدعٍ إلا وقد أوضَحْنا أمرها.

وإن لم يأتِ بشيءٍ في جداله؛ بل اقتصر علىٰ مجرد الخصام والدفع المجرد لما أوردتَه عليه من الكلام= فاعدل معه عن حجة اللسان بالبرهان والقرآن، إلىٰ محجة السيف والسِّنان، فآخِرُ الدواء الكي؛ هذا إذا لم يكن دفعُه بما هو دون ذلك من الضرب والحبس والتعزير؛ فإن أمكن وجب تقديمُ الأخف علىٰ الأغلظ؛ عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه]، وبقوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

 [شبهةٌ أخرى]:

ومن جملة الشبه التي عَرَضت لبعض أهل العلم: ما جزم به السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لأبياته التي يقول في أولها[(١)]:

رجعتُ عن النَّظْم الذي قلتُ في النَّجْدي

....

(١) اعلم أن هذه القصيدة ليست من نظم الأمير محمد بن إسماعيل؛ لأنها تخالف ما ذكره في كتبه الدالة علىٰ حسن اعتقاده مثل «تطهير الاعتقاد عن درن الإلحاد»، وقد رد الشيخ سليمان بن سحمان هذه المنظومة بكتابه المعروف «تبرئة الشيخين» وهو مطبوع. اهـ. مستفاد من حاشية «الفتح الرباني» (١/٣٦٣).

▫ فإنه قال: «إنَّ كفر هؤلاء المعتقِدين للأموات هو من الكفر العملي، لا الكفرِ الجحودي».

ونقل ما ورد في كفر تارك الصلاة كما ورد في الأحاديث الصحيحة، وكفر تارك الحج في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران]، وكفر من لم يحكم بما أنزل اللَّه كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]، ونحو ذلك من الأدلة الواردة فيمن زنىٰ، ومن سرق، ومن أتىٰ امرأةً حائضًا، أو امرأةً في دبرها، أو أتىٰ كاهنًا، أو عرافًا، أو قال لأخيه: يا كافر[١].

▫ قال: «فهذه الأنواع من الكفر ـ وإن أطلقها الشارع علىٰ فاعل هذه الكبائر ـ؛ فإنه لا يَخرجُ به العبدُ عن الإيمان، ويفارق به الملة، ويُباح به دمُه ومالُه وأهلُه؛ كما ظنه من لم يفرِّق بين الكفرين، ولم يميز بين الأمرين».

وذَكَر ما عقده البخاري في «صحيحه» من كتاب «الإيمان» في: «كفر دون كفر».

▫ وما قاله العلامة ابن القيم: «إن الحكم بغير ما أنزل اللَّه، وترك الصلاة من الكفر العملي، تحقيقه: أن الكفر كفرُ عمل، وكفرُ جحود وعناد، فكفر الجحود أن يكفر بما عَلِم أن الرسول جاء به من عند اللَّه جحودًا وعنادًا؛ فهذا الكفر يضادُّ الإيمان من كل وجه، وأما كفر العمل فهو نوعان: نوع يضاد الإيمان، ونوع لا يضاده».

---

(١) يقصد الأحاديث التي ورد فيها أن من فعل شيئًا من هذه الخصال فقد كفر، وهي مشهورةٌ معلومة.



ثم نقل عن ابن القيم كلامًا في هذا المعنىٰ.

▫ ثم قال السيد المذكور: «قلت: ومن هذا ـ يعني الكفر العملي ـ من يدعو الأولياء، ويهتف بهم عند الشدائد، ويطوف بقبورهم، ويقبِّل جدرانها، وينذرُ لها بشيءٍ من ماله؛ فإنه كفرٌ عملي لا اعتقادي؛ فإنه مؤمنٌ باللَّه وبرسوله ﷺ وباليوم الآخر، لكن زيَّن له الشيطانُ أن هؤلاء عِبادُ اللَّه الصالحون، ينفعون، ويشفعون ويضرون، فاعتقدوا ذلك جهلًا كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام، لكن هؤلاء مُثبِتون التوحيد للَّه؛ لا يجعلون الأولياء آلهةً؛ كما قاله الكفار إنكارًا علىٰ رسول اللَّه ﷺ لما دعاهم إلىٰ كلمة التوحيد: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥]، فهؤلاء جعلوا للَّه شركاءَ حقيقةً، وقالوا في التلبية: «لبيك لا شريك لك، إلا شريك[1] هو لك، تملكه وما ملك»[2]؛ فأثبتوا للأصنام شِركةً مع رب الأنام، وإن كانت عباراتُهم الضالة قد أفادت أنه لا شريك له؛ لأنه إذا كان يملكه وما مَلَك؛ فليس بشريكٍ له تعالىٰ، بل مملوك، فعُبَّاد الأصنام جعلوا للَّه أندادًا، واتخذوا من دونه شركاء ـ وتارةً يقولون: شفعاء ـ يقربونهم إلىٰ اللَّه زلفىٰ، بخلاف جَهَلةِ المسلمين الذين اعتقدوا في أوليائهم النفعَ والضر؛ فإنهم مقرُّون للَّه بالوحدانية، وإفرادِه بالإلٰهيَّة، وصدَّقوا رسله، فالذي أتَوْه من تعظيم الأولياء كفرُ عملٍ لا اعتقاد. فالواجب هو وَعْظُهم، وتعريفُهم جهلَهم، وزجرهم ـ ولو بالتعزير ـ؛ كما أُمِرنا بحد الزاني والشارب والسارق من أهل الكفر العملي».

---

(١) وفي ضبطٍ آخر: «شريكًا».

(٢) راجع المعنىٰ في (٢/١٥٨).

▫ إلىٰ أن قال: «فهذه كلها قبائحُ محرمةٌ من أعمال الجاهلية، فهو من الكفر العملي. وقد ثبت أن هذه الأمةَ تفعل أمورًا من أمور الجاهلية هي من الكفر العملي؛ كحديث: «**أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخرُ في الأحساب، والطعنُ في الأنساب، والاستسقاءُ بالنجوم، والنياحة**». أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث أبي مالك الأشعري[(١)].

فهذه من الكفر العملي، لا تَخرج بها الأُمةُ عن الملة؛ بل هم ـ مع إتيانهم بهذه الخصلة الجاهلية ـ أضافهم إلىٰ نفسه؛ فقال: «**من أمتي**».

فإن قلت: الجاهلية تقول في أصنامها: إنهم يقربونهم إلىٰ اللَّه زلفىٰ ـ كما يقوله القبوريون ـ، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند اللَّه ـ كما يقوله القبوريون أيضًا ـ!

قلت: لا سواء[(٢)]؛ فإن القبوريين مُثبتون لتوحيد اللَّه، قائلون إنه لا إلٰه إلا هو، ولو ضربت عنقه علىٰ أن يقول: إن الولي إلٰه مع اللَّه لما قالها، بل عنده اعتقادُ جَهلٍ أن الوليَّ لمَّا أطاع اللَّه كان له بطاعته عنده تعالىٰ جاهٌ به تُقبل شفاعته، ويرجىٰ نفعه، لا أنه إلٰه مع اللَّه، بخلاف الوثني؛ فإنه امتنع عن قول: «لا إلٰه إلا اللَّه» حتىٰ ضُربت عنقه؛ زاعمًا أن وثنه إلٰهٌ مع اللَّه، ويسميه: ربًّا وإلٰهًا.

قال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩﴾ [يوسف]؛ سماهم «أربابًا» لأنهم كانوا يسمونهم بذلك[(٣)]، كما قال

---

(١) **صحيح:** وقد تقدم.

(٢) كذا في النسخة المخرَّجة، وفي «الفتح الرباني»: «سوىٰ».

(٣) يقصد أن تسمية يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ آلهة الكفار «أربابًا» ليس إقرارًا منه =

الخليل: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]، في الثلاث الآيات مستفهمًا لهم، مبكِّتًا متكلمًا علىٰ خطابهم، حيث يسمُّون الكواكب: أربابًا. وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥]، وقال قوم إبراهيم: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ [الأنبياء: ٥٩]، ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنبياء]. وقال إبراهيم: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الصافات].

ومن هنا تعلم أن الكفار غيرُ مقرين بتوحيد الإلٰهيَّة[(١)] كما توهَّمه من توهم من قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف: ٩]، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

فهذا إقرارٌ بتوحيد الخالِقية والرازقية ونحوهما؛ لا أنه إقرارٌ بتوحيد الإلٰهيَّة، لأنهم يجعلون أوثانهم أربابًا ـ كما عرفت ـ.

فهذا الكفر الجاهلي كفرُ اعتقاد، ومِن لازِمِه كفرُ العمل؛ بخلاف من اعتقد في الأولياء النفعَ والضرَّ مع توحيد اللَّه، والإيمان به وبرسله وباليوم الآخر؛ فإنه كفر عمل، فهذا تحقيقٌ بالغ، وإيضاحٌ لما هو الحق من غير إفراط ولا تفريط». انتهىٰ كلام السيد المذكور رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأقول: هذا الكلام في التحقيق ليس بتحقيقٍ بالغ؛ بل كلامٌ متناقضٌ متدافع، وبيانه:

= بكونهم أربابًا علىٰ الحقيقة؛ وإنما تبعًا لاعتقادهم هم أنهم أرباب.

(١) بعدها في النسختين: «والربوبية»، والظاهر أنه سبق قلم من صاحب الكلام أو الناسخ؛ لأنه سيصرح قريبًا أنهم اعترفوا بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوهما ـ وهو توحيد الربوبية ـ. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

أنه لا شك أن الكفر ينقسم إلىٰ كفر اعتقاد، وكفر عمل، لكنَّ دعوىٰ أن ما يفعله المعتقِدون في الأموات من كفر العمل= في غاية الفساد؛ فإنه قد ذَكر في هذا البحث أن كفر مَن اعتقد في الأولياء كفرٌ عملي، وهذا عجيب! كيف يقول: كفر من «يعتقد» في الأولياء، وسمىٰ ذلك «اعتقادًا»، ثم يقول: إنه من الكفر العملي؟! وهل هذا إلا التناقض البحت[(١)]، والتدافع الخالص؟!

انظر كيف ذكر في أول البحث أن كفر من يدعو الأولياء، ويهتف بهم عند الشدائد، ويطوف بقبورهم، ويقبِّل جدرانها[(٢)]، وينذر لها بشيء من ماله= هو كفر عملي!

فليت شعري ما هو الحاملُ له علىٰ الدعاء والاستغاثة، وتقبيل الجدران[(٣)]، ونذر النذورات! هل هو مجردُ اللعب والعبث من دون اعتقاد؟! فهذا لا يفعله إلا مجنون، أم الباعثُ عليه الاعتقادُ في الميت؟! فكيف لا يكون هذا من كفر الاعتقاد الذي لولاه لم يصدر فِعلٌ من تلك الأفعال؟!

ثم انظر كيف اعترف ـ بعد أنْ حَكَم علىٰ هذا الكفر بأنه كفرُ عمل، لا كفرُ اعتقاد ـ بقوله: «لكنْ زيَّن له الشيطان أن هؤلاء عبادُ اللَّه الصالحون، ينفعون، ويشفعون، ويضرون! فاعتقد ذلك جهلًا كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام».

فتأمل كيف حكم بأن هذا كفرُ اعتقاد ككفر أهل الجاهلية،

---

(١) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «البحثُ» ـ كذا مشكولة ـ!
(٢) كذا في المخرَّجة، وفي «الفتح الرباني»: «جدراتها» ـ بالتاء ـ.
(٣) في «الفتح الرباني»: «الجدرات» ـ بالتاء ـ.



وأثبت الاعتقاد، واعتذر عنهم بأنه اعتقادُ جهل! وليت شعري أي فائدةٍ لكونه اعتقادَ جهل! فإن طوائفَ الكفر بأسرها وأهلَ الشرك قاطبةً إنما حَمَلهم علىٰ الكفر ودفع الحق والبقاء علىٰ الباطل الاعتقادُ جهلًا. وهل يقول قائل: إن اعتقادهم اعتقادُ علمٍ حتىٰ يكون اعتقادُ الجهل عذرًا لإخوانهم المعتقِدين في الأموات؟!

ثم تمم الاعتذار بقوله: لكنَّ هؤلاء مثبتون للتوحيد... إلىٰ آخر ما ذكره.

ولا يخفاك أن هذا عذرٌ باطل:

- فإن إثباتَهم للتوحيد إن كان بألسنتهم فقط فهم مشتركون في ذلك هم واليهود والنصارىٰ والمشركون والمنافقون.

- وإن كان بأفعالهم فقد اعتقدوا في الأموات ما اعتقده أهلُ الأصنام في أصنامهم.

ثم كرر هذا المعنىٰ في كلامه، وجعله السببَ في رفع السيف عنهم، وهو باطلٌ؛ فما ترتب عليه مثله باطل، فلا نطوِّل بردِّه؛ بل هؤلاء القبوريون قد وصلوا إلىٰ حدٍّ في اعتقادهم في الأموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم، وهو أن الجاهلية كانوا إذا مسَّهم الضرُّ دعَوُا اللَّه وحده، وإنما يدْعون أصنامهم مع عدم نزول الشدائد من الأمور؛ كما حكىٰ اللَّه عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء]، وبقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنعام]، وبقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ

﴿يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ [الزمر: ٨]، وبقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢]، بخلاف المعتقِدين في الأموات؛ فإنها إذا دَهَمتهم الشدائد استغاثوا بالأموات، ونذروا لهم النذور، وقلَّ من يستغيث باللَّه سبحانه في تلك الحال، وهذا يعلمُه كلُّ من له بحثٌ عن أحوالهم.

ولقد أخبرني بعضُ من ركب البحر للحج أنه اضطرب اضطرابًا شديدًا، فسمع مَن في السفينة من الملاحين وغالب الراكبين معهم ينادون الأموات، ويستغيثون بهم، ولم يسمعهم يذكرون اللَّه قط. قال: ولقد خشيتُ في تلك الحالة الغرقَ لما شاهدتُه من الشرك باللَّه[1].

وقد سمعنا عن جماعةٍ من أهل البادية أن كثيرًا منهم إذا حدث له ولدٌ جعل قسطًا من ماله لبعض الأموات المعتقَدين، ويقول: إنه قد اشترىٰ ولدَه ذلك من الميت الفلاني بكذا، فإذا عاش حتىٰ يبلغ سنَّ الاستقلال دفع ذلك الجُعلَ لمن يعكُف[2] علىٰ قبر ذلك الميت من المحتالين لكسب الأموال.

---

(١) ومن أمثالهم في عصرنا: ضُلَّال الروافض؛ تراهم في أوقات الشدة ينادون الحسين وفاطمة وآل البيت، وينسون رب العالمين ﷻ، عياذًا باللَّه من الخذلان.

(٢) في «الفتح الرباني» والنسخة المخرَّجة: «يعتكف»، ولعل الأصح ما أثبتُّه، فالجادة أن لفظ «الاعتكاف» يعدَّىٰ بـ«في»، فيقال: «اعتكف في المسجد»، بينما لفظ «العكوف» يعدَّىٰ بـ«علىٰ» أو «اللام» كما ورد به الكتاب العزيز في قوله ﷻ: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنبياء]، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

وبالجملة: فالسيد المذكور رَحِمَهُ اللَّهُ قد جرد النظر في بحثه السابق إلىٰ الإقرار بالتوحيد الظاهري، واعتبر مجردَ التكلم بكلمة التوحيد فقط ـ من دون نظر إلىٰ ما ينافي ذلك من أفعال المتكلم بكلمة التوحيد، ويخالفه في اعتقاده الذي صدرت عنه تلك الأفعال المتعلقة بالأموات ـ، وهذا الاعتبار لا ينبغي التعويل عليه، ولا الاشتغال به، فاللَّه سبحانه إنما ينظر إلىٰ القلوب، وما صدر من الأفعال عن اعتقاد لا إلىٰ مجرد الألفاظ، وإلا لَمَا كان فرقٌ بين المؤمن والمنافق.

وأما ما نقله السيدُ المذكور رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن القيم في أول كلامه من تقسيم الكفر إلىٰ عملي واعتقادي، فهو كلام صحيح، وعليه جمهور المحققين، ولكن لا يقول ابن القيم ولا غيره: إن الاعتقاد في الأموات علىٰ الصفة التي ذكرها هو من الكفر العملي. وسننقل هاهنا كلام ابن القيم في أن ما يفعله المعتقِدون في الأموات من الشرك الأكبر كما نقل عنه السيد رَحِمَهُ اللَّهُ في كلامه السابق، ثم نُتبِعُ ذلك بالنقل عن بعض أهل العلم؛ فإن السائل[(١)] ـ كثر اللَّه فوائده ـ قد طلب ذلك في سؤاله؛ فنقول:

[كلام الإمام ابن القيم حول شرك القبور]:

- قال ابن القيم في «شرح المنازل» في «باب التوبة»: «وأما الشرك فهو نوعان: أكبر، وأصغر:

فالأكبر: لا يغفره اللَّه إلا بالتوبة منه، وهو أن يَتخذ من دون اللَّه ندًّا يحبُّه كما يحب اللَّه؛ بل[(٢)] أكثرهم يحبُّون آلهتهم أعظم

(١) يعني الشيخ محمد مشحم صاحب السؤال المطول مطلعَ هذه الرسالة.
(٢) سقطت «بل» من «الفتح الرباني»، وهي ثابتةٌ في «المدارج».

من محبة اللَّه، ويغضبون لمنتقِصِ معبودهم من المشائخ أعظم مما يغضبون إذا انتَقص أحدٌ ربَّ العالمين، وقد شاهدنا هذا ـ نحن وغيرنا ـ منهم جهرةً، وترىٰ أحدهم قد اتخذ ذِكرَ معبوده علىٰ لسانه إن قام وإن قعد وإن عَثَر، وهو لا ينكِرُ ذلك، ويزعم أنه بابُ حاجته إلىٰ اللَّه، وشفيعه عنده. وهكذا كان عُبَّادُ الأصنام سواءً، وهذا القدْرُ هو الذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت آلهتُهم من الحجر[1]، وغيرهم اتخذها من البشر.

قال اللَّه ـ حاكيًا عن أسلاف هؤلاء ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ③﴾ [الزمر].

وهكذا حالُ مَن اتخذ من دون اللَّه وليًّا يزعم أنه يقرِّبُه إلىٰ اللَّه تعالىٰ. وما أعزَّ من تخلص من هذا! بل ما أعزَّ من لا يعادي من أنكره! والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين أن آلهتهم تشفعُ لهم عند اللَّه، وهذا عينُ الشرك، وقد أنكر اللَّه ذلك في كتابه وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلَّها له».

ثم ذَكَر[2] الآية التي بسورة «سبأ»، وهي قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢]، وتكلم عليها.

▫ ثم قال: «والقرآنُ مملوءٌ من أمثالها، ولكنَّ أكثر الناس لا

---

(١) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «الحجزِ» ـ هكذا مشكولة الآخر ـ!

(٢) يعني الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يشعرون بدخول الواقع تحته، ويظنه في قومٍ قد خَلَوا ولم يُعقِبُوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وفهم القرآن؛ كما قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «إنما تُنقض عرىٰ الإسلام عروةً عروةً[(١)] إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية». وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآنُ وذَمَّه، وقع فيه وأقرَّه، ودعا إليه، وصوَّبه وحسَّنه، وهو لا يعرف أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية، أو نظيره، أو شر منه، أو دونه، فتُنقض بذلك عرىٰ الإسلام، ويعود المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والبدعة سنةً، والسنة بدعةً، ويُكفَّرُ الرجل بمحضِ الإيمان وتجريدِ التوحيد، ويبدَّع بتجريد متابعة الرسول ﷺ، ومفارقةِ الأهواء والبدع، ومن له بصيرةٌ وقلبٌ حيٌّ سليم يرىٰ ذلك عيانًا. واللَّه المستعان».

▫ ثم قال في ذلك الكتاب: «**وأما الشرك الأصغر:** فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير اللَّه، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حلف بغير اللَّه فقد أشرك باللَّه**»[(٢)]، وقول الرجل للرجل: «ما شاء اللَّه وشئت، وهذا من اللَّه ومنك، وأنا باللَّه وبك، وما لي إلا اللَّه وأنت، وأنا متوكل علىٰ اللَّه وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا». وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده».

▫ ثم قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في ذلك الكتاب ـ بعد فراغه من ذكر الشرك الأكبر والأصغر، والتعريف لهما ـ: «ومن أنواع الشرك: سجود المريد للشيخ، ومن أنواعه التوبة للشيخ؛ فإنها شرك

---

(١) سقطت كلمة «عروة» الثانية من «الفتح الرباني».

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

عظيم[(١)].

ومن أنواعه: النذر لغير اللَّه، والتوكل علىٰ غير اللَّه، والعمل لغير اللَّه، والإنابة والخضوع والذل لغير اللَّه، وابتغاء الرزق من عند غير اللَّه، وإضافة نِعَمِه إلىٰ غيره.

ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتىٰ، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصلُ شرك العالَم؛ فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا ـ فضلًا عمن استغاث به، أو سأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلىٰ اللَّه فيها ـ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده؛ فإن اللَّه تعالىٰ لا يَشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه، واللَّه لم يجعل استعانته وسؤاله سببًا لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمالُ التوحيد، فجاء هذا المشركُ بسببٍ يمنع الإذن، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنعُ حصولها، وهذا حال كل

---

(١) وللمتصوفة آداب ـ زعموا ـ، وهي من أعظم ألوان الضلال، والتعلُّقِ بغير الكبير المتعال، ومنها:
١ ـ أن يستحضرَ شخصَ شيخه في قلبه أثناء الذِّكر، ويجعله بين عينيه قبل الذِّكر؛ فإن شيخه هو باب الدخول علىٰ اللَّه، ومنه يستمد الهِمَّة، ويكون الشيخ عنده كالقبلة؛ فبذلك يُمَدُّ له نورٌ من قبر الشيخ.
٢ ـ مراقبة الشيخ دائمًا في كل الشؤون، وهذا شركٌ باللَّه؛ لأن فيه رفعَ الشيخ إلىٰ مرتبة الربوبية والألوهية.
٣ ـ عدم الاعتراض علىٰ الشيخ، وعدم الإنكار عليه؛ حتىٰ ولو رأىٰ المريدُ شيخه يفعل شيئًا محرمًا! وهذه دعوىٰ لتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٤ ـ لا يلتجئ لغير شيخه، ولو كان من أصلح الصالحين.
مستفاد من حاشية «الفتح الرباني» (١/٣٧١)، ببعض التصرف.

مشرك. والميت محتاجٌ إلىٰ من يدعو له، ويترحم عليه، ويستغفر له، كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم، ونسأل اللَّه لهم العافية والمغفرة(١)، فعكس المشركون هذا، وزاروهم(٢) زيارة العبادة في قضاء الحوائج والاستعانة بهم، وجعلوا قبورهم أوثانًا تُعبد، وسمَّوا قَصْدَها: «حجًّا»، واتخذوا عندها الوَقْفة(٣)، وحَلْقَ الرؤوس، فجمعوا(٤) بين الشرك بالمعبود، وتغيير دينه، ومعاداةِ أهل التوحيد، ونسبتهم إلىٰ التنقص بالأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءَه(٥) الموحدين المخلصين له - الذين لم يشركوا به شيئًا - بذمهم ومعاداتهم، وتنقَّصوا من أشركوا به غاية التنقص؛ إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أَمروهم به.

وهؤلاء أعداءُ الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثرَ المستجيبين لهم! وللَّه درُّ خليله إبراهيم حيث يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم]. وما نجا من شَرَكِ(٦) هذا الشِّرك الأكبر إلا من جرَّد توحيده للَّه، وعادىٰ

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «وزارهم»، والتصويب من «مدارج السالكين».
(٣) كل هذا تشبُّهًا بالحج الشرعي - عياذًا بالرَّحمٰن -.
(٤) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «فجعلوا»، وفي النسخة المخرَّجة إلىٰ: «فجموا». والتصويب من «المدارج».
(٥) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «وأولياء»، بينما في المخرجة: «وأولياؤه»، وهو لحن - أيضًا -، والمثبت من «المدارج» (١/٣٤٥).
(٦) الشَّرَك - بفتح الشين والراء -: الفخُّ والمصيدة.

المشركين في اللَّه، وتقرَّب بمقتهم إلىٰ اللَّه» انتهىٰ كلام ابن القيم.

فانظر كيف صرَّح بأن ما يفعله هؤلاء المعتقِدون في الأموات هو شركٌ أكبر؛ بل أصلُ شِركِ العالَم! وما ذكره من المعاداة لهم فهو صحيح: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال اللَّه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

▫ وقال شيخ الإسلام تقي الدين في «الإقناع»: «إن من دعا ميتًا - وإن كان من الخلفاء الراشدين - فهو كافر، وإن من شك في كفره فهو كافر».

▫ وقال أبو الوفاء ابن عقيل في «الفنون»: «لما صعبت التكاليفُ علىٰ الجهال والطغام، عدلوا عن أوضاع الشرع إلىٰ تعظيم أوضاعٍ وَضَعوها، فسهلت عليهم؛ إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، وهم عندي كفارٌ بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور، وخطاب الموتىٰ بالحوائج، وكَتْبِ الرقاع فيها: «يا مولاي، افعل لي كذا وكذا»، وإلقاء الخِرَق علىٰ الشجر اقتداءً بمن عبد اللات والعزىٰ» انتهىٰ.

▫ وقال ابن القيم في «إغاثة اللهفان» في إنكار تعظيم القبور: «وقد آل الأمر بهؤلاء المشركين إلىٰ أنْ صنَّف بعضُ غُلاتهم كتابًا سماه: «مَناسك المَشَاهد»! ولا يخفىٰ أن هذا مفارقةٌ لدين الإسلام، ودخولٌ في دين عبادة الأصنام» انتهىٰ.

وهذا الذي أشار إليه هو ابن المفيد.



▫ وقال في «النهر الفائق»: «اعلم أن الشيخ قاسمًا[1] قال في «شرح درر البحار»: إن النذر الذي يقع من أكثر العوام؛ بأن يأتي إلىٰ قبر بعض الصلحاء قائلًا: «يا سيدي فلان، إن رُدَّ غائبي، أو عُوفي مريضي فلك من الذهب، أو الفضة، أو الشمع، أو الزيت كذا»= باطلٌ إجماعًا لوجوه...».

▫ إلىٰ أن قال: «ومنها ظنُّ أن الميت يتصرف في الأمر، واعتقادُ هذا كفرٌ» انتهىٰ. وهذا القائل هو من أئمة الحنفية.

وتأمل ما أفاده من حكاية الإجماع علىٰ بطلان النذر المذكور، وأنه كفرٌ عنده مع ذلك الاعتقاد.

▫ وقال صاحب «الروض»: «إن المسلم إذا ذبح للنبي ﷺ كَفَر» انتهىٰ. وهذا القائل من الشافعية.

وإذا كان الذبحُ لسيد الرسل ﷺ كفرًا عنده، فكيف بالذبح لسائر الأموات؟!

▫ وقال ابن حجر في «شرح الأربعين» له: «من دعا غير اللَّه فهو كافر» انتهىٰ.

▫ وقال شيخ الإسلام تقي الدين رَحِمَهُ اللَّهُ في «الرسالة السَّنية»: «إن كل من غلا في نبي، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلٰهيَّة مثل أن يقول: «يا سيدي فلان أغثني، أو انصرني، أو ارزقني، أو اجبرني، أو أنا في حسبك»، ونحو هذه الأقوال= فكل هذا شركٌ وضلالٌ يُستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قُتل، فإن اللَّه إنما أرسل

---

(١) في المطبوعات، و«النهر الفائق»: «قاسم»، والجادة ما أثبتُّه. وما في المطبوعات له وجهٌ في العربية.

الرسل، وأنزل الكتب ليُعبد وحده[1]؛ لا يُجعل معه إلٰهٌ آخر، والذين يدْعون مع اللَّه آلهةً أخرىٰ ـ مثل المسيح والملائكة والأصنام ـ لم يكونوا يعتقدون أنها تَخلق الخلائق، أو تُنزل المطر، أو تُنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم، أو يعبدون قبورهم أو صورهم، ويقولون: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]؛ فبعث اللَّه رسله تنهىٰ أن يُدعىٰ أحدٌ من دونه ـ لا دعاءَ عبادة، ولا دعاء استغاثة ـ.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء] الآية.

قالت طائفة من السلف: كان أقوامٌ يَدْعُون المسيح وعُزيرًا والملائكة».

▫ ثم قال في ذلك الكتاب: «وعبادة اللَّه وحده لا شريك له هي أصل الدين، وهو التوحيد الذي بعث اللَّه به الرسل، وأنزل اللَّه به الكتب؛ قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وكان ﷺ يحقِّق التوحيد، ويعلِّمُه أمته:

حتىٰ قال رجل: ما شاء اللَّه وشئت. قال: «**أجعلتني للَّه نِدًّا؟ قل: ما شاء اللَّه وحده**»[2].

---

(١) في «الفتح الرباني»: «ليعبده وحده».

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

ونهىٰ عن الحلف بغير اللَّه، وقال: «**من حلف بغير اللَّه فقد أشرك**»[(١)].

وقال ﷺ في مرض موته: «**لعن اللَّه اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». يُحذر ما فعلوا[(٢)].

وقال ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلُّوا عليَّ حيثُما كنتم؛ فإن صلاتكم تبلغني**»[(٤)].

ولهذا اتفق أئمةُ الإسلام علىٰ أنه من سلَّم علىٰ النبي ﷺ عند قبره أنه لا يتمرَّغُ بحجرته، ولا يُقبِّلها؛ لأنه[(٥)] إنما يكون لأركان بيت اللَّه، فلا يشبَّهُ بيتُ المخلوق ببيت الخالق[(٦)].

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

(٤) صحيح: وقد تقدم.

(٥) يعني التقبيل.

(٦) هاهو عَلَمُ الإسلام في زمانه يبين أن الاتفاق وقع علىٰ بدعية تقبيل الحجرة النبوية! والآن سمعنا من بعض صوفية زماننا في مصر ـ ممن اشتُهروا بتفسير القرآن العظيم في القرن الماضي ـ، لما ذهب للعمرة وجدوه يقبِّل «الحديد المحيط بالحجرة النبوية الشريفة»، فلما زجره الحارس هناك، وقال له: إن هذا بدعة، رد عليه الصوفيُّ قائلًا: «يا بني، هوِّن عليك. أسألُك سؤالًا: لو كان النبي ﷺ حيًّا، وأردتَ أن تُقبِّلَ رأسه، وكان ﷺ مرتديًا عمامةً، فإذا وقعت القبلة علىٰ العمامة، فهل معنىٰ هذا أنك لم تقبِّل رأسه؟ فقال له: لا بل أكون قبلتُ رأسه. فقال له هذا الصوفي: فهكذا أنا لما أقبِّل هذا الحديد فكأني قبَّلتُ رأس =

= النبي ﷺ»! ولما سمع مبتدعة مصر هذا الكلام ضجُّوا إعجابًا، وتعالت صيحات الاستحسان: «اللَّه اللَّه يا مولانا»!!

ولا ريب أن مثل هذا الكلام يدلُّ علىٰ جهلٍ فاضحٍ بالعلم والعقل معًا، والجواب عنه كالآتي ـ حتىٰ لا ينخدع طالبُ الحقِّ ـ:

أولًا: رأينا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ هنا نقل الإجماع علىٰ عدم جواز مثل هذا الأمر، وقد تقرر أن مخالفة الإجماع ضلالٌ مبين، وحيادٌ عن سبيل المؤمنين.

ثانيًا: نقل غير واحدٍ من أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ بدعية هذا الفعل غير شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وبعضهم أشار إلىٰ الكراهة، وينبغي أن تكون كراهة تحريمية ـ لا تنزيهية ـ؛ لما عُلم من عدم ورود مثل هذا عن أسلافنا الصالحين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وما لم يكن يومئذٍ دينًا فلا يكونُ اليوم دينًا.

- يقول الإمام أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإحياء» (٢٧١/١): «المسُّ والتقبيل للمَشاهد عادةُ اليهود والنصارىٰ» اهـ. وكفىٰ بهذا خزيًا.
- ويقول العلامة ابن الحاج المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عن بدع زيارته ﷺ ـ: «ترىٰ من لا علم عنده يطوفُ بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام، ويتمسح به، ويقبِّله، ويُلقُون عليه مناديلهم وثيابهم؛ يقصدون به التبرك! وذلك كلُّه من البدع؛ لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وما كان سببَ عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب» اهـ «المدخل» (٢٦٣/١).

ثالثًا: ورد عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه رأىٰ رجلًا وضع يده علىٰ القبر الشريف، فنهاه، وقال له: «ما كنَّا نعرفُ هذا». ونقل السمهودي في «وفاء الوفاء» (١٤٠٢/٤) عن مالكٍ وأحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهما أنكرا وضع اليد علىٰ القبر الشريف أشد الإنكار. فما بالُنا بالتقبيل؟!

رابعًا: قياس ذلكم الصوفي المصري تقبيلَ حديد الحجرة النبوية علىٰ تقبيل العمامة = قياس فاسد لا يقول به عالمٌ ولا عاقل؛ لأن العمامة =



كلُّ هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه؛ الذي لا

= تكون متصلةً برأس من نقبِّله، فلها حكم رأسه، وليس من الأدب ولا من العرف إذا أردنا تقبيله أن نرفع العمامة لنقبل الرأس نفسها.

خامسًا: هذا القياس الفاسد مقابَلٌ بالإجماع «العملي» و«التَّرْكي» من الصحابة الأبرار ومن بعدهم من علماء السلف الأخيار ﵃ علىٰ عدم مشروعية هذا الفعل مع قبره الشريف ﷺ، وكلُّ قياس في مقابلة الدلائل الشرعية الصحيحة فهو قياس فاسد، وهو المقصود من القياس الذي شنَّع عليه السلف كثيرًا، وحذَّروا منه طويلًا.

سادسًا: هذه الأمور تؤخذ من الأحكام الشرعية، وليس من نظرات العقول والأهواء، وما خربت الدنيا إلا بتقديم العقل علىٰ النقل، والهوىٰ علىٰ الوحي.

سابعًا: بدايات الشرك كانت بمجرد تعظيم القبور في القلوب ـ مثلما حدث مع الصالحين من قوم نوح كما تقدم غير مرة ـ، وهذا كما أقول بمجرد التعظيم بالقلوب، ولم يكونوا يتمسحون بقبورهم ولا يقبلونها ولا غير ذلك، فما بالنا مع وجود تلك الأفعال، وقد صار بعض الناس الآن ـ بلا شك ـ يعتقدون أن هذا «الحديد» حول الحجرة الشريفة حديدٌ مبارك، وأن التمسح به مما يُحبُّه اللَّه ﷻ ويرضاه ويثيب عليه، ولو استطاعوا خلع الحديد للتبرك به لفعلوا، ولا شك ـ أيضًا ـ أن بعضهم يعتقد أنه بمجرد مسحه وتقبيله قد يجلب لنفسه المنافع أو يدفع عنها المضار! فلو لم يكن الإجماع ثابتًا علىٰ بدعية التمسح والتقبيل، لكانت قاعدة «سد الذرائع» قاضيةً بمنع مثل تلك البدع المظلمة، خشيةً علىٰ قلوب أهل الإسلام من الوقوع في أوحال الشركيات.

واللَّهُ تعالىٰ يعصمنا وإخواننا المؤمنين من سُبل الردىٰ والمهالك.

تنبيه: بعض النقول عن أهل العلم في هذه الحاشية مستفادة من الطبعة المخرَّجة ص(١٢٤).

يَقبل اللَّه عملًا إلا به، ويغفر لصاحبه، ولا يغفر لمن تركه، كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء]؛ ولهذا كانت كلمةُ التوحيد أفضلَ الكلام[1]، وأعظمه آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥][2].

وقال ﷺ: «**من كان آخر كلامه «لا إلٰه إلا اللَّه» دخل الجنة**»[3]، والإلٰه هو الذي يألهُه[4] القلبُ عبادةً له، واستعانةً[5]، ورجاءً له،

(١) ثبت عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول اللَّه، علِّمني عملًا يقربني من الجنة، ويباعدني من النار، فقال: «**إذا عملت سيئةً فاعمل حسنة، فإنها عشر أمثالها**». قلت: يا رسول اللَّه، «لا إلٰه إلا اللَّه» من الحسنات؟ قال: «**هي أحسن الحسنات**». وفي لفظ: «**أفضل الحسنات**». حسن: رواه أحمد (١٦٩/٥)، وفي «الزهد» (١٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٣١/٥)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٢١٧/٤)، وفي «تاريخ أصبهان» (١٢٧/١)، والطبراني في «الدعاء» (١٤٩٨)، وابن بشران في «الأمالي» (٦١٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٠٢)، وهناد في «الزهد» (٥١٩/٢)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨٦/١٠): «رواه أحمد ورجاله ثقات، إلا أن شِمْرَ بن عطية حدث به عن أشياخه عن أبي ذر، ولم يُسمِّ أحدًا منهم»، وكذا ألمح الحافظ المنذري في «الترغيب» (٤٧٨١)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٨٥/٣٥)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣١٦٢).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

(٤) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «يأله».

(٥) في النسختين: «واستغاثةً به»، والمثبت هنا من «مجموع الفتاوىٰ» (٤٠٠/٣).

وخشيةً وإجلالًا[(١)]» اهـ.

▫ وقال ـ أيضًا ـ شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم»؛ في الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]: «إن الظاهر أنه ما ذُبح لغير اللَّه ـ سواءٌ لُفظ به أو لم يلفظ ـ، وتحريمُ هذا أظهرُ من تحريم ما ذبحه وقال فيه: «باسم المسيح» ونحوه؛ كما أن ما ذبحناه متقربين به إلىٰ اللَّه كان أزكىٰ مما ذبحناه للحم[(٢)]، وقلنا عليه: «بسم اللَّه»؛ فإن عبادة اللَّه بالصلاة والنسك له أعظمُ من الاستعانة[(٣)] باسمه في فواتح الأمور، والعبادةُ لغير اللَّه أعظمُ من الاستعانة بغير اللَّه، فلو ذَبح لغير اللَّه متقربًا إليه لحَرُم، وإن قال فيه: «بسم اللَّه»؛ كما قد تفعله طائفةٌ من منافقي هذه الأمة، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباحُ ذبيحتُهم بحال، لكن يجتمعُ في الذبيحة مانعان[(٤)]، ومن هذا ما يُفعل بمكة وغيرها من الذبح».

▫ ثم قال في موضع آخَرَ من هذا الكتاب: «إن العلة في النهي عن الصلاة عند القبور ما يفضي إليه ذلك من الشرك. ذكر ذلك الإمام

(١) سقطت الواو من كلمة «وخشية» في «الفتح الرباني».
(٢) أي: ما ذبحناه قُربةً ـ كالضحايا والصدقات ـ أعظم مما ذبحناه لمجرد الاستمتاع بأكل اللحم.
(٣) في النسختين: «الاستغاثة». والمثبت من «اقتضاء الصراط» (٢/٦٥).
(٤) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «مانعاتٌ» ـ هكذا مشكولة ـ! والتصحيح من السابق.
والمانع الأول: التقرب لغير اللَّه تعالىٰ.
والمانع الثاني: ردَّة صاحب الذبيحة.

الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وغيره، وكذلك الأئمة من أصحاب أحمد ومالك، كأبي[1] بكر الأثرم علَّله بهذه العلة»[2] اهـ. وكلامه في هذا الباب واسع جدًّا، وكذلك كلام غيره من أهل العلم.

وقد تكلم جماعةٌ من أئمة أهل البيت رِضْوَانُ ٱللَّهِ عَلَيْهِمْ ومن أتباعهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في هذه المسألة بما يشفي ويكفي، ولا يتسع المقام لبسطه، وآخر من كان منهم نكالًا علىٰ القبوريين وعلىٰ القبور الموضوعة علىٰ غير الصفة الشرعية مولانا الإمام المهدي العباس بن الحسين بن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإنه بالغ في هدم المشاهد التي كانت فتنةً للناس، وسببًا لضلالهم، وأتىٰ علىٰ غالبها، ونهىٰ الناس عن قصدها والعكوف عليها؛ فهدمها، وكان في عصره جماعةٌ من أكابر العلماء أرسلوا إليه برسائل، وكان ذلك هو الحاملَ له علىٰ نُصرة الدين بهدم طواغيت القبوريين[3].

وبالجملة: فقد سردنا من أدلة الكتاب والسنة فيما سبق[4] ما لا يُحتاج معه إلىٰ[5] الاعتضادِ بقول أحدٍ من أهل العلم[6]، ولكن ذكرنا ما حررناه من أقوال أهل العلم، مطابقةً لما طلبه السائل

---

(١) في «الفتح الرباني»: «وكأبي»، والمثبت من «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٣٠٠).

(٢) انظر السابق؛ ففيه بعض الاختلاف.

(٣) وهكذا تَطهُرُ البلاد بعلماء أمناء، وحاكم يقيم حدود رب الأرض والسماء..

(٤) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «سيق» ـ بالياء ـ.

(٥) سقط حرف الجر من «الفتح الرباني».

(٦) نعم؛ لأن دلائل الكتاب والسنة لا تحتاج إلىٰ تأييد أحد.

ـ كثَّر اللَّه فوائده ـ.

وبالجملة: فإخلاص التوحيد هو الأمر[١] الذي بَعث اللَّه لأجله رُسله، وأنزل به كُتبه.

وفي هذا الإجمال ما يُغني عن التفصيل، ولو أراد رجلٌ أن يجمع ما ورد في هذا المعنىٰ من الكتاب والسنة لكان مجلدًا ضخمًا، فانظر فاتحةَ الكتاب التي تكرَّرُ في كل صلاةٍ مراتٍ من كل فردٍ من الأفراد، ويَفتتح بها التالي لكتابِ اللَّه والمتعلمُ له؛ فإن فيها الإرشادَ إلىٰ إخلاص التوحيد في مواضع:

فمن ذلك ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ فإن علماء المعاني والبيان ذكروا أنه يقدَّر المتعلَّقُ متأخرًا ليفيد اختصاص البداية باسمه تعالىٰ، لا باسم غيره[٢]. وفي هذا ما لا يخفىٰ من إخلاص التوحيد.

ومنها في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ فإن التعريف يفيد أن الحمد مقصورٌ علىٰ اللَّه، و«اللام» في ﴿لِلَّهِ﴾ تفيد اختصاص الحمدِ به، ومقتضىٰ هذا أنه لا حمد لغيره أصلًا، وما وقع منه لغيره فهو في حكم العدم. وقد تقرر أن الحمد هو «الثناء باللسان علىٰ الجميل الاختياريِّ[٣] لقصد التعظيم»، فلا ثناء إلا عليه، ولا جميلَ

(١) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «التوحيد والأمر...».

(٢) كأن يكون التقدير ـ مثلًا ـ: «باسم اللَّه أقرأ، أو أكتب، أو آكل، أو أخرج»، ونحو ذلك.

(٣) المراد بـ«الجميل الاختياري»: الصفات الجميلة التي اختارها المحمود لنفسه؛ كالكرم والرحمة والإحسان ونحو ذلك، فهذه صفاتٌ اختارها الموصوف لنفسه بإرادته، يستحقُّ الحمد عليها، ثم إذا فعلها لك اختيارًا استحق حمدًا آخر منك له، وهذا بخلاف الصفات التي لا اختيار له =

إلا منه، ولا تعظيم إلا له، وفي هذا من إخلاص التوحيد ما ليس عليه مزيد.

ومن ذلك قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أو ﴿مَلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ علىٰ القراءتين السَّبْعيَّتين؛ فإن كونه المالك ليوم الدين يفيد أنه لا مُلْكَ لغيره؛ فلا ينفذُ إلا تصرُّفه ـ لا تصرُّفُ أحدٍ من خلقه ـ من غير فرقٍ بين نبيٍّ مرسل، ومَلَكٍ مقرَّب، وعبدٍ صالح.

وهكذا معنىٰ كونه ﴿مَلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾؛ فإنه يفيد أن الأمرَ أمرُه، والحكمَ حكمُه ليس لغيره معه أمرٌ ولا حكم، كما أنه ليس لغير ملوك الأرض معهم أمرٌ ولا حكم ـ ولله المثل الأعلىٰ ـ.

وقد فسر الله هذا المعنىٰ الإضافيَّ المذكورَ في فاتحة الكتاب في موضع آخر من كتابه العزيز؛ فقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار]، ومن كان يفهم كلام العرب ونُكَتَهُ وأسراره كَفَتْه هذه الآية عن غيرها من الأدلة، واندفعت لديه كلُّ شبهة.

= فيها، كالطول وشدة البنيان والجمال، ونحو ذلك، فهذه لا تستوجب منك أن تحمده عليها.
ولينتبه إلىٰ أن المراد هنا تعريف الحمد بوجهٍ عام، سواءٌ لله تبارك وتعالىٰ أو لغيره؛ ولكن مع ربِّ العالمين جَلَّ ثَنَاؤُهُ تختلف بعض الأمور ـ كما هو معلومٌ ـ، فليس هناك صفةٌ من صفاته الحسنىٰ إلا وهي مختارةٌ له جل جلاله، ولا يمكن أن تكون أيُّ صفةٍ من صفاته خارجةً عن اختياره عز وجل، وكل خير يصل للعباد علىٰ أيدي غيره، فهو في الحقيقة من كرمه وفضله وإحسانه؛ فلا يستحق الحمد كله علىٰ الحقيقة إلا هو جل جلاله.

ومن ذلك قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ فإنَّ تقدُّمَ الضمير قد صرح أئمة[1] المعاني والبيان وأئمة التفسير أنه يفيد الاختصاص، فالعبادة للَّه سبحانه لا يشاركه فيها غيرُه، ولا يستحقها سواه، وقد عرفت أن الاستغاثة، والدعاء، والتعظيم، والذبح، والتقرب= من أنواع العبادة.

ومن ذلك قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ فإن تقدم الضمير هاهنا يفيد الاختصاص ـ كما تقدم ـ، وهو يقتضي أنه لا يشاركه غيره في الاستعانة به في الأمور التي لا يَقدِرُ عليها غيره.

فهذه خمسةُ مواضعَ في فاتحة الكتاب؛ يفيد كلُّ واحدٍ منها إخلاصَ التوحيد، مع أن فاتحة الكتاب ليست إلا سبع آيات، فما ظنك بما في سائر الكتاب العزيز! فذِكرُنا لهذه الخمسة المواضع في فاتحة الكتاب كالبرهان علىٰ ما ذكرناه من أن في الكتاب العزيز من ذلك ما يطول تعداده، وتتعسر الإحاطة به.

ومما يصلح أن يكون موضعًا سادسًا لتلك المواضع الخمسة في فاتحة الكتاب: قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، وقد تقرر ـ لغةً وشرعًا ـ أن العالَم: كلُّ ما[2] سوىٰ اللَّه سبحانه.

وصيغ الحصر إذا تتبعتها من كتب المعاني والبيان والتفسير والأصول بلغت ثلاث عشرة صيغةً فصاعدًا، ومن شك في هذا فليتتبع «كشاف» الزمخشري، فإنه سيجد فيه ما ليس له ذِكرٌ في كتب المعاني والبيان، كالقلب؛ فإنه جعله من مقتضيات الحصر، ولعله ذكر ذلك عند تفسيره للطاغوت، وغير ذلك مما لا يقتضي المقام بسطه. ومع

(١) في النسختين: «صرح به»، ولعل حذف «به» أصح.

(٢) في «الفتح الرباني»: «لمن».

الإحاطة بصيغ الحصر المذكورة تكثر الأدلةُ الدالةُ علىٰ إخلاص التوحيد، وإبطال الشرك بجميع أقسامه.

🕮 [عودةٌ إلى السؤال بجاه وأعمال الصالحين]:

واعلم أن السائل ـ كثَّر اللَّه فوائده ـ ذكر في جملة ما سأل عنه: أنه لو قصد الإنسانُ قبرَ رجلٍ من المسلمين مشهورٍ بالصلاح، ووقف لديه، وأدىٰ الزيارة، وسأل اللَّه بأسمائه الحسنىٰ وبما لهذا الميت لديه من المنزلة= هل تكون هذه البدعةُ عبادةً لهذا الميت، ويصدُقُ عليه أنه قد دعا غير اللَّه، وأنه قد عبد غير الرَّحمٰن، ويُسلب عنه اسم الإيمان؟ ويَصدُقُ علىٰ هذا القبر أنه وثنٌ من الأوثان، ويُحكم برِدَّةِ ذلك الداعي، والتفريق بينه وبين نسائه، واستباحة أمواله، ويعامَل معاملة المرتدين، أو يكون فاعلَ معصيةٍ كبيرة أو مكروه؟

وأقول: قد قدمنا في أوائل هذا الجواب أنه لا بأس بالتوسل بنبيٍّ من الأنبياء، أو وليٍّ من الأولياء، أو عالمٍ من العلماء. وأوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه، فهذا الذي جاء إلىٰ القبر زائرًا، ودعا اللَّه وحده، وتوسَّلَ بذلك الميت، كأن يقول: «اللهم إني أسألك أن تشفيَني من كذا، وأتوسل إليك بما لهذا العبد الصالح من العبادة لك، أو المجاهدة فيك، أو التعلم والتعليم، خالصًا لك»= فهذا لا أتردد في جوازه(١).

🕮 [تفصيل المصنف أحوال الذهاب إلى القبور]:

لكن لأي معنًىٰ قام يمشي إلىٰ القبر؟

---

(١) يأتي الرد بعد نهاية كلام الإمام ـ إن شاء اللَّه ـ.

١ ـ فإن كان لمحض الزيارة، ولم يعزم علىٰ الدعاء والتوسل إلا بعد تجريد القصد إلىٰ الزيارة= فهذا ليس بممنوع؛ فإنه إنما جاء ليزور، وقد أَذن لنا رسول اللَّه ﷺ بزيارة القبور بحديث: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ ألَّا فزوروها**» وهو في «الصحيح»[(١)]. وخرج لزيارة الموتىٰ، ودعا لهم، وعلَّمَنا كيف نقول إذا نحن زرناهم، وكان يقول: «**السلام عليكم ـ أهل دار قوم مؤمنين ـ، وإنا بكم ـ إن شاء اللَّه ـ لاحقون، وأتاكم ما تُوعَدون، نسأل اللَّه لنا ولكم العافية**»[(٢)]، وهو ـ أيضًا ـ في «الصحيح» بألفاظٍ وطرق، فلم يفعل هذا الزائرُ إلا ما هو مأذونٌ له به ومشروع، لكن بشرط ألَّا يَشُدَّ راحلةً، ولا يعزم علىٰ سفر، ولا يرحل؛ كما ورد تقييد الإذن بالزيارة للقبور بحديث: «**لا تُشدُّ الرِّحالُ إلا لثلاثٍ**»[(٣)]، وهو مقيِّدٌ لمطلق الزيارة. وقد خُصِّص بمخصصاتٍ؛ منها: زيارة القبر الشريف النبوي المحمدي ـ علىٰ صاحبه أفضل الصلاة والتسليم[(٤)]ـ، وفي ذلك خلاف بين العلماء، وهي مسألةٌ من المسائل التي طالت ذيولها، واشتهرت أصولها، وامتُحن بسببها من امتُحن، وليس ذكر ذلك هاهنا من مقصودنا.

٢ ـ وأما إذا لم يقصد مجرد الزيارة؛ بل قصد المشي إلىٰ القبر

---

(١) صحيح: وقد تقدم.
وانظر أحاديث مشابهة في «الإبداع في مضار الابتداع»، تحت عنوان: «بدع المقابر والأضرحة وزيارة القبور»، بعنايتي.

(٢) رواه مسلم (٩٧٤)، من حديث أُمِّنا عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) لا دليل علىٰ هذا لا من كتابٍ ولا سنةٍ صحيحةٍ ولا إجماع!



ليفعلَ الدعاء عنده فقط، وجعلَ الزيارة تابعةً لذلك، أو مشىٰ لمجموع الزيارة والدعاء= فقد كان يُغنيه أن يَتوسل إلىٰ اللَّه بما لذلك الميت من الأعمال الصالحة من دون أن يمشي إلىٰ قبره.

فإن قال: إنما مَشيتُ إلىٰ قبره لأشير إليه عند التوسل به.

فيقال له: إن الذي يعلم السر وأخفىٰ، ويحول بين المرء وقلبه، ويطلع علىٰ خفيات الضمائر، وتنكشف لديه مكنوناتُ السرائر= لا يحتاج منك إلىٰ هذه الإشارة التي زعمتَ أنها الحاملةُ لك علىٰ قصد القبر والمشي إليه. وقد كان يُغنيك أن تذكر ذلك الميتَ باسمه العَلَم، أو بما يتميز به عن غيره، فما أُراك مشيتَ لهذه الإشارة؛ فإن الذي تدْعوه في كل مكان[(١)]، ومع كل إنسان؛ بل مشيتَ لتُسمِعَ الميت توسُّلَك به، وتُعطِّفَ قلبه عليك، وتتخذ عنده يدًا[(٢)] بقصده وزيارته، والدعاء عنده، والتوسل به، وأنت إن رجعت إلىٰ نفسك وسألتها عن هذا المعنىٰ؛ فربما تُقرُّ لك به، وتَصْدُقُكُ الخَبَر؛ فإن وجدت عندها هذا المعنىٰ الدقيق ـ الذي هو بالقبول منك حقيق ـ فاعلم أنه قد عَلِق بقلبك ما عَلِق بقلوب عُبَّاد القبور، ولكنك قهرتَ هذه النفسَ الخبيثةَ عن أن تترجم بلسانك عنها، وتنشر ما انطوت عليه من محبة ذلك القبر، والاعتقاد فيه، والتعظيم له، والاستغاثة به؛ فأنت مالكٌ لها من هذه الحيثية، مملوك لها من الحيثية التي أقامتك من مقامك، ومشت بك إلىٰ فوق القبر، فإن تداركتَ نفسك

---

(١) يقصد: بعلمه ورقابته ﷻ، والمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ صحيح العقيدة، ولم يقصد عقيدة الحلول الكفرية.

(٢) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «ندًّا»!



بعد هذه وإلا كانت المستولية[(١)] عليك المتصرفةَ فيك المتلاعبة بك في جميع ما تهوىٰ مما[(٢)] قد وَسْوَسَ به لها الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجِنَّة والناس.

فإن قلت: رجعتُ إلىٰ نفسي فلم أجد عندها شيئًا من هذا، وفتشتُها؛ فوجدتها صافيةً من ذلك الكدر.

[قلنا]: فما أظن الحامل لك علىٰ المشي إلىٰ القبر إلا أنك سمعت الناس يفعلون شيئًا ففعلته، ويقولون شيئًا فقلته؛ فاعلم أن هذه أولُ عقدةٍ من عُقَد توحيدك، وأول محنةٍ من محن تقليدك، فارجع تؤجر، ولا تتقدم فتُنحَر[(٣)]؛ فإن هذا التقليد الذي حملك علىٰ هذه المِشيةِ الفارغةِ العاطلةِ الباطلة سيحملك علىٰ أخواتها؛ فتقف علىٰ باب الشرك أولًا، ثم تدخل منه ثانيًا، ثم تسكن فيه وإليه ثالثًا. وأنت في ذلك كله تقول: سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلته، ورأيتهم يفعلون أمرًا ففعلته.

وإن قلت: إنك علىٰ بصيرةٍ في عملك وعلمك، ولستَ ممن ينقاد لهوىٰ نفسه كالأول، ولا ممن يقهرها، ولا[(٤)] يقلد الناس كالثاني، بل أنت صافي السر، نقيُّ الضمير، خالص الاعتقاد، قوي اليقين،

---

(١) كذا في نسخة الحلبي، وفي «الفتح الرباني»: «المسؤولة».

(٢) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «مما ما»!

(٣) في «الفتح الرباني»: «تنحر». وفي نسخة الحلبي: «وألَّا تتقدم تنحر». ولعل الأدقَّ ما أثبتُّه.

(٤) في النسختين: «ولكنه»، ولعل الأصح ما أثبتُّه، وبه يستقيم السياق، لأن بعد سطور سيأتي التصريح بأن هذا يرىٰ نفسه لم يسقط في هُوَّة التقليد. والعلم عند الرب المجيد.

صحيح التوحيد، جيد التمييز، كامل العرفان، عالمٌ بالسنة والقرآن، فلا لمراد نفسك اتبعت، ولا في هوة التقليد وقعت.

فقل لي بالله: ما الحامل لك علىٰ التشبه بعُباد القبور، والتغرير[(١)] علىٰ من كان في عداد سليمي الصدور؟ فإنه يراك الجاهلُ والخامل، ومَن هو عن علمك وتمييزك عاطل، فيفعل كفعلك، ويقتدي بك، وليس له بصيرةٌ مثل بصيرتك، ولا قوةٌ في الدين مثل قوتك، فيَحكي فِعلَك صورةً، ويخالفه حقيقةً، ويعتقد أنك لم تقصد هذا القبر إلا لأمر، ويغتنم إبليسُ اللعين غِرَّةَ[(٢)] هذا المسكين الذي اقتدىٰ بك، واستن بسنتك، فيستدرجه حتىٰ يبلغ به إلىٰ حيث يريد، فرحم اللَّه امرأً هرب بنفسه عن غوائل التقليد، وأخلص عبادته للحميد المجيد.

[خلاصة أحوال الزيارة مع التوسل]:

وقد ظهر بمجموع هذا التقسيم أن مَن يقصدُ القبر ليدعو عنده هو أحد ثلاثة:

١ ـ إن مشىٰ لقصد الزيارة فقط، وعَرَض له الدعاء، ولم يحصل بدعائه تغريرٌ علىٰ الغير = فذلك جائز.

٢ ـ وإن مشىٰ لقصد الدعاء فقط، أو له مع الزيارة، وكان له من الاعتقاد ما قدمنا = فهو علىٰ خطر الوقوع في الشرك، فضلًا عن كونه عاصيًا.

٣ ـ وإذا لم يكن له اعتقاد في الميت علىٰ الصفة التي ذكرنا، فهو

---

(١) كذا في النسخة المخرجة، وفي «الفتح الرباني»: «والتعزير»!

(٢) في المطبوعتين: «غربة»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه، **والغِرَّة**: الجهل والانخداع. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

عاصٍ آثم، هذا أقل أحواله، وأحقر ما يربحه في رأس ماله.

وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية. واللَّه ولي التوفيق.

انتهىٰ تحريره بقلم مؤلفه في ليلة الأحد لسبع مضت من شهر رجب سنة (١٢١٣هـ)؛ حامدًا للَّه، ومصلِّيًا مسلِّمًا علىٰ رسوله وآله[(١)].



(١) وكما أشرت سابقًا، ففي الصفحات القادمة ردٌّ علىٰ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في إجازته التوسل بجاه الأنبياء والأولياء، واللَّهُ المستعان.

الرد على الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إجازته التوسلَ بجاه الأنبياء والصالحين

الحمد للَّه، والصلاة والسلام علىٰ الرحمة المهداة، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فقد رأينا فيما سبق أن الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجيز التوسل بجاه الأنبياء والصالحين؛ كأن يقول الداعي لربِّه عَزَّ وَجَلَّ ـ مثلًا ـ: «أسألك بجاه نبيك محمد أن تقضي لي حاجتي»، أو: «أسألك بجاه الصالح الفلاني وكرامته ومنزلته عندك أن تفرِّج كربتي»، ونحو ذلك.

وهذا الذي قاله الإمام الشوكاني، ومِن قبله طارحُ السؤال الشيخ محمد مشحم رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ= قولٌ بعيدٌ عن التحقيق، ويمكن إجمال الرد عليه في النقاط التالية ـ باختصار ـ:

١ ـ العبادات توقيفيةٌ أصلًا وصفةً، ولابد أن يثبت الأمرانِ معًا كي تصح العبادة؛ ومعلومٌ أن الدعاء وسؤال اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من أعظم ألوان العبادات، ويجب وجوبًا أن يكونا حسبما ورد في الأدلة الشرعية، وكل صفة أو طريقة خرجت عن مقتضىٰ الأدلة، فهي بدعةٌ بلا تردد. والسؤال بجاه الأنبياء والصالحين لم يثبت مطلقًا في الأدلة الشرعية الصحيحة، ومعظمُ الأدلة التي استدلَّ بها طارح السؤال السابق ـ الشيخ مشحم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ، والتي فيها توسل آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بجاه النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحو ذلك= لم يصح منها شيءٌ مطلقًا ـ كما أشرنا في التخريج ـ،

ومعلومٌ أن الأحكام الشرعية لا تثبت بالأدلة الضعيفة ـ فضلًا عن الموضوعة والباطلة ـ، وقد رأينا في تخريجات الآثار التي أوردها الشيخ مشحم أنها تخطت الضعيف إلىٰ الضعيف جدًّا والموضوع، وحتىٰ ما لم يستدلَّ به السائل والمسؤول، مثل أدعية: «أسألك بحق السائلين عليك...» ونحو ذلك، فهي ـ أيضًا ـ لا تثبت، وإن ثبتت فليس فيها دلالةٌ علىٰ المراد.

وما صحَّ من الأدلة التي استندا إليها فيأتي بيان حالها قريبًا.

٢ ـ القاعدة الأصيلة في معرفة البدع، وهي: ما ثبت مُقتضِيهِ علىٰ عهد النبي ﷺ، وانتفىٰ مانعه، ولم يقم به ﷺ= فقد دلَّ ذلك علىٰ أنه غير مشروع، وأن فعله بعده ﷺ بدعةٌ وضلالة.

والدعاء بجاه الأنبياء والصالحين كان مُقتضِيه موجودًا علىٰ عهده ﷺ، وانتفت موانعه، وبالرغم من هذا لم يُعلَم أنه ﷺ فعله أو حتىٰ أرشد إليه ولو مرةً واحدةً طيلة حياته ﷺ، وهذا دليلٌ قاطعٌ علىٰ أن الدعاء بجاه الأنبياء والصالحين غير مشروع البتة.

٣ ـ لم يعرف ـ مطلقًا ـ عن الصحابة الأبرار ﷺ أنهم سألوا اللَّه تبارك وتعالىٰ بعد وفاة الحبيب ﷺ بجاهه الشريف ـ وهم أعلم الناس بشريعته وسنته ـ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وما لم يكن يومئذٍ دينًا فليس اليومَ دينًا.

٤ ـ الدعوىٰ بجواز التوسل بكلِّ عبدٍ صالح، وأنه ليس خاصًّا بالنبي ﷺ= دعوىٰ مردودة؛ إذ لابد أولًا من إثبات مشروعية التوسل بالجاه، ثم بعد ذلك يُنظر في أدلة التخصيص والتعميم؛ إذ لا يصحُّ إثباتِ فرعٍ لا أصل له.

٥ ـ الدعوىٰ بتعميم التوسل بالأحياء والأموات، وأن من قَصَر الأمر علىٰ التوسل بالأحياء دون الأموات، فلم يصب= هذه دعوىٰ لا أصل لها ـ أيضًا ـ، حيث لم يثبت دليلٌ بذلك ـ كما قلناه ـ للأحياء، ولو فُرض فدعوىٰ قياس الأموات علىٰ الأحياء فيها نظر لا يخفىٰ؛ إذ لا يلزم من جواز شيءٌ للأحياء ـ علىٰ فرض ثبوته ـ جوازه للأموات ـ كما لا يرتاب في ذلك عالم[1] ـ.

٦ ـ قول الشيخ مشحم بأن الأدعية الواردة عن النبي ﷺ هي أصل جواز السؤال بجاه الأنبياء والصالحين= قد تقدم أنها جُلَّها بين الضعيف والموضوع، وكذا ما صحَّ منها فلا دلالةَ فيها علىٰ دعواهم، ومن ثم فلا يجوز الاحتجاج بها جميعًا.

وإن كان يقصد مطلق الأدعية الواردة عنه ﷺ، فهذا عجيب، ولا أدري ما علاقة مطلق الدعاء بتخصيصه بجاه الأنبياء والصالحين! ومعلومٌ أن التخصيص لا يجوز بدون مخصِّص صحيح، ولم يوجد، فسقطت الدعوىٰ.

٧ ـ دعوىٰ الشيخ مشحم بأن رحمة اللَّه ﷻ لا تغيب عن قبور الصالحين، دعوىٰ فيها تعميم، فإن كان المراد بأن الرحمة تنال الميتَ نفسه ـ ممن عفا اللَّه عنهم ورحمهم ـ، فمسلَّم، وإن كان يقصد أنها تنال ـ أيضًا ـ من ذهب لزيارتهم= فتلك تحتاج إلىٰ دليل عن المعصوم ﷺ، ولا دليل. وعلىٰ افتراض وجود الدليل فما علاقة هذا بمشروعية التوسل بالجاه ونحوه؟!

٨ ـ تفريق السائل والمسؤول في أحوال زيارة الزائر للقبور بين

---

(١) ويشبه ذلك المسألة التي ذكرنها في حاشية (٢) ص(٢٥) من هذا الجزء.



من ذهب يريد الزيارة نفسها، ثم دعا هناك بجاه الميت، وبين من قصد من البداية الذهاب للسؤال بجاهه، وأن الأول جائز والثاني لا= فرقٌ غيرُ مؤثر في الحكم بالمنع؛ لأن في كلتا الحالتين هناك اعتقادٌ قلبي من الزائر ـ وإن لم يصرِّح به بلسانه ـ بأن هذا الميت ينفع ويضر، وإلَّا لم يسأل بجاهه أصالةً، خلافًا لما قاله السائل والمسؤول بأنه في الحالة الأولىٰ ينتفي ذلك الاعتقاد، وفي الحالة الثانية يقع من الزائر؛ فهذا خلاف الواقع ـ كما لا يمتري منصف ـ.

٩ ـ دعوىٰ الشيخ مشحم بأنه قد أجمعت الأمة إجماعًا عمليًّا علىٰ الدعاء بعد زيارة قبره ﷺ= هذا الإجماع مردود، ولا نعلم له أصلًا، وزيارةُ الحبيب ﷺ ـ بشروطها الشرعية ابتداءً وانتهاءً ـ شيء، واستحباب الدعاء بعدها شيءٌ آخر، ولا نعلم أي دليل يستحبُّ لنا الدعاء بعد زيارته ﷺ، أو زيارة قبور الأولياء والصالحين ـ حتىٰ الزيارة الشرعية منها ـ، ومن وقف علىٰ دليل عنه ﷺ فلْيُهدِهِ إلينا مشكورًا. وقد تقرر أن فعل العامة ليس ميزانًا.

وأما استناد الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ بعض الأدلة في إجازته التوسل بجاه الأنبياء والصالحين= فمن أعجب ما رأيته للإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ وهو من هو تدقيقًا وتحقيقًا وارتكانًا علىٰ معاني الأدلة المأخوذة من ألفاظها ـ، لكنه هنا ـ عفا اللَّه عنه ـ أوَّل تأويلاتٍ لا أصل لها في نصوص الشريعة وكلام وعمل السلف الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومن ذلك:

١٠ ـ استناده علىٰ حديث توسُّلِ صالحي الأمم قبلنا بأعمالهم في قصة الصخرة المشهورة[(١)]= هذا الاستدلال منه بعيدٌ عن مقتضىٰ

(١) صحيح: وقد تقدم.

الحديث نفسه بألفاظه صريحة الدلالة؛ إذ ليس فيه إلا أن هؤلاء لما وقعوا في المحنة سألوا اللَّه جَلَّ ثَنَاؤُهُ بأعمالهم هم، ولم يسألوه بأعمال غيرهم، وهذا واضحٌ وضوحَ الشمس في نحر الظهيرة. بينما المتوسِّل بالجاه يسأل اللَّه ﷻ بأعمال غيره! والنوع الأول ثبتت مشروعيته، والثاني لا أصل له.

١١ - ذِكرُ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لتوسُّل الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي ﷺ بعمه العباس، وجعله دليلًا علىٰ التوسل بالجاه ونحوه= استدلال باطل، والعجيب أن المصنف صرَّح تصريحًا بأن المقصود أنهم كانوا يطلبون من النبي ﷺ في حياته الاستسقاء، ويطلبون من العباس رضي الله عنه أن يدعوَ اللَّه جَلَّ شَأْنُهُ، ويدعون هم معه، فأين في هذا الحديث أيُّ لفظٍ يدلُّ علىٰ التوسل بالجاه؟

وزيادةً في الإيضاح نقول: لقد نص حديث عمر رضي الله عنه علىٰ أنهم كانوا إذا أجدبوا يتوسلون بالنبي ﷺ في حياته الشريفة، والسؤال هنا: هل ثبت في دليلٍ صحيح واحد أن المقصود من «توسلهم به ﷺ» أنهم كانوا يَسألونَ اللَّه ﷻ بجاهه الشريف ﷺ؟ أم أنهم كانوا يتوسلون به - أي: بدعائه لربِّه ﷻ - في إنزال المطر؟

إذا نظرنا في الأدلة الشرعية وجدنا أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يطلبون من النبي ﷺ أن يدعوَ اللَّه تعالىٰ لهم عند الجدب بإنزال المطر[(١)]؛ وذلك لمعرفتهم بمكانته ﷺ المنيفة، ومنزلته الشريفة، وأنه مستجاب الدعاء؛ فلذلك كانوا يطلبون منه الدعاء.

أما السؤال بالجاه، فنريد حديثًا واحدًا صحيحًا فيه أن صحابيًّا

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

في حياة النبي ﷺ سأل اللَّه ﷻ بجاهه الشريف، حتىٰ يكون دليلًا تقريريًّا منه ﷺ في عصر الوحي علىٰ مشروعية التوسل بجاهه ﷺ. والسنة الشريفة محفوظة، ولا يوجد أيُّ دليل صحيح واحدٍ يدلُّ علىٰ ذلك، فعُلم أن المراد من حديث عمر رضي الله عنه: أنهم كانوا يطلبون «دعاءه» ﷺ في حياته، ثم لما مات جعلوا العباس وسيلتهم ـ أي: سبب إجابة اللَّه لهم ـ عند ربِّهم ﷻ، فكانوا عند الجدب يطلبون من العباس رضي الله عنه أن يدعوَ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لهم ـ كما كانوا يفعلون مع النبي ﷺ ـ.

ومن البديهي أن يقال: لو كان السؤال بجاه أحدٍ جائزًا بعد موته، لكان أولىٰ الخَلق بذلك هو الحبيب ﷺ، فلماذا لما أجدب الناسُ في عهد عمر رضي الله عنه لم يطلب منهم صراحةً أن يسألوا اللَّه ﷻ بجاه الحبيب ﷺ ـ وهو أعظم بلا ريب من جاه العباس رضي الله عنه ـ في إنزال المطر؟ لولا أنهم يعلمون أن السؤال بجاه النبي ﷺ أو غيره ليس بمشروع أصالةً؛ بل لعله لم يخطر لهم علىٰ بالٍ بالكلية!!

فالخلاصة أن اللبس حدث عند المجيزين لوجود لفظ «التوسل» في أثر عمر رضي الله عنه، وكأن المراد منه «التوسل بالجاه»، مع أنه لا يوجد لفظٌ واحدٌ يدلُّ علىٰ هذا ـ بحمد اللَّه تعالىٰ ـ.

١٢ ـ حديث الأعمىٰ الذي سأل النبي ﷺ أن يرد اللَّه تعالىٰ عليه بصره، تقدم في هذا الكتاب المبارك أن النبي ﷺ دعا له بالشفاء، وليس فيه أيُّ إشارةٍ تُذكر إلىٰ أنه سأل اللَّه ﷻ بجاه النبي ﷺ، ولو كان هذا هو المقصود، فلماذا يتكلفُ الإتيانَ إلىٰ النبي ﷺ أصلًا ـ وهو أعمىٰ ـ؟ بل كان يكفيه أن يسألَ اللَّه تعالىٰ بجاهه ﷺ وهو في بيته، دون أن يشق علىٰ نفسه بالإتيان إلىٰ النبي ﷺ؛ وإنما

جاء إليه ليدعو الحبيبُ ﷺ له اللَّه تعالىٰ أن يردَّ عليه بصره، كما هو ظاهرٌ جليٌّ.

١٣ ـ قول الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المتوسلُ بنبيٍّ من الأنبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركةً مع اللَّه جَلَّ جَلَالُهُ في أمر يوم الدين...» إلخ. هذا كلامٌ قد يصح الاعتداد به بعد ثبوت صحةِ التوسل بالجاه من الناحية الشرعية، وبعدها نفصِّل بين من اعتقد مثل هذا ومن لم يعتقده.

وحتىٰ علىٰ افتراض صحة ما سبق، وأن المتوسِّل بجاه شخص لا يعتقد تصرُّفه في الأمور؛ إلا أن هذا ـ بلا أدنىٰ تردد ـ ذريعةٌ لهذا الاعتقاد، وحتىٰ إن قلنا: ليس لهذا الشخص، فهو ذريعة لمن يراه من العوام والأغمار، فواللَّهِ لو لم يكن هناك دليلٌ تَرْكيٌّ من السنة النبوية وفعل الصحابة الأبرار علىٰ عدم مشروعية التوسل بالجاه= لكانت قاعدة «سد الذرائع» تحتِّم المنع[(١)]، وكيف لا، وأصل الكفر باللَّه العظيم بدأ بالذريعة، كما تقدم معنا في قصة الصالحين من قوم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ «ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر»، ورأينا كيف استدرج الشيطانُ الناسَ عبر العصور إلىٰ الظن في ألوهية هؤلاء الصالحين؛ لا سيما وأن الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا ما يستعمل قاعدة «سد الذرائع» في مثل تلك الأبواب.

فما رأيكم في عاميٍّ رأىٰ أحدَهم يتوسل بجاه عبدٍ صالحٍ مثلًا،

(١) راجع كتاب: «قاعدة سد الذرائع عند شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ»، للشيخ إبراهيم بن مهنَّا المهنَّا. وكذا: «إعمال قاعدة سد الذرائع في باب البدعة»، للعلامة محمد بن حسين الجيزاني.

دون أن يعلم بنيَّته؟ فهل نعتقد أن العاميَّ سيظن أن هذا التوسل مجرد عبارة باللسان لا دخل لها باعتقاد الجنان؟ ولماذا هذا الصالح بالذات دون غيره، أو لماذا هؤلاء الجماعة بالذات دون غيرهم؟ وهل العوام وقَّافون عند حدود الشرع حتىٰ نشرع لهم الذرائع التي تخدش توحيدهم، وتوقعهم فيما لا يحمد عقباه؟

ثم ما رأيكم - أيضًا - في عاميٍّ توسل بأحد الصالحين أن يرفع اللَّهُ تعالىٰ له بلاءً - مثلًا -، فاستجاب اللَّه تعالىٰ له لما يعلمُ من فقره وحاجته - لا لصحة فعله -، ثم دارت الأيام، وأراد هذا العاميُّ شيئًا آخر من اللَّه ﷻ، فتوسل بصالحٍ آخر، فلم يستجب اللَّه ﷶ له، هل ترون أنه لن يعتقد أن الصالح الأول - الذي قُضيت حاجته لما توسَّل به - فيه خاصيةٌ تزيد علىٰ الثاني؟ وهل هذا إلا اعتقادٌ وتعلُّقٌ قلبي بهذا الميت أم لا؟ وما الذي يمكن أن يؤدي إليه في النهاية - معشر العقلاء -؟

وقد صرح الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تصريحًا بأن من لم يعتقد في شخصٍ قدرته علىٰ ما لا يقدر عليه إلا اللَّه، لكنه قلد غيره في الذهاب إلىٰ القبور؛ فإن هذا سيفضي به مع مرور الزمان إلىٰ ذلكم الاعتقاد الفاسد؟ لكنه بيَّن أن تلك العاقبة لا تصيب إلا من تعمد زيارة القبور ليسأل اللَّه تعالىٰ عندها بجاه الميت! ولا أدري لماذا لم يعمم هذا - أيضًا - مع من تعمَّد أم لا؛ مع أن العلة والغاية المخوفة من الأمرين واحدة، حتىٰ وإن اشتدت وترسخت مع من تعمَّد الذهاب إلىٰ القبور للسؤال بجاه الميت!

وكل هذا علىٰ افتراض جواز هذا التوسل أصالةً.

١٤ ـ صرَّح المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بأن من يتعمد زيارة القبور للتوسل بمن فيها من الصالحين هو تشبُّهٌ بعبَّاد القبور، وقد علمنا أن لُب الأمر في النهي عن اتخاذ القبور مساجد هو الخوف من تعلُّق القلب بغير اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيما لا يقدر عليه سواه ـ حتىٰ إن لم يعتقد الذاهب إلىٰ هناك هذا في البداية ـ، فهل هذه العلة ليست موجودة في المتوسل بجاه الأنبياء والصالحين ـ سواءٌ تعمَّد التوجُّهَ إلىٰ قبورهم لذلك ابتداءً، أم كان السؤال بجاههم تبعًا ـ؟!

١٥ ـ السائل بجاه الأنبياء والصالحين إنما يسأل بعمل غيره، وما عهدنا في الشريعة المباركة السؤال بمثل تلك الأمور، فإن السائل بجاه فلان وفلان كأنه يقول للَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «أسألك يا رب أن تفرِّج همي وغمي لأن فلانًا يكثر من قيام الليل وصيام النهار ويتصدق علىٰ هذا وذاك»!! فهل يوجد عاقلٌ يُجيزُ مثل هذه الأمور؟ بل هل ورد في الشريعة المطهرة ـ التي هي معيار كل شيء ـ دليلٌ يبيح مثل هذا الفعل؟ وهل إذا سمع أحدهم إنسانًا يسأل اللَّه تعالىٰ بالطريقة السابقة هل سيراه عاقلًا أم مجنونًا؟ وهل سيقول له: أصبت، أم سيقول له: كيف تسأل اللَّه تعالىٰ بعمل غيرك، واللَّهُ تعالىٰ يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر]؟

١٦ ـ لو فرضنا ـ جدلًا ـ أن الأدلة السابقة «قد» تدلُّ علىٰ جواز التوسل بالجاه، فهي «محتملةٌ» وليست نصًّا ولا صريحةً، والقاعدة الأصولية تنصُّ علىٰ أنه: «إذا تطرَّق الاحتمال بَطَل الاستدلال»؛ فلابد من دليلٍ صحيح صريح خالٍ من المُعارِض يدلُّ علىٰ هذا الأمر بلا شك ولا تردد؛ لأن العبادات لا تثبت بالاحتمالات.

١٧ ـ السلف الصالح كانوا أعلم الناس ـ كما تقدم ـ بشريعة اللَّه جَلَّ شَأْنُهُ، ولم نعلم عنهم السؤال بجاه الأنبياء والصالحين ـ لا الأحياء منهم ولا الأموات ـ، ولو كان هذا معلومًا لديهم لنُقل عنهم وفشىٰ؛ لا سيما وأن الدعاء ورغبة الإجابة من اللَّه جَلَّ ثَنَاؤُهُ من الأمور التي لا يخلو منها وقتٌ من الأوقات ليلًا أو نهارًا، وهاهي مصنفات الأئمة مبثوثة، ليس فيها من هذا الأمر شيءٌ بحمد اللَّه تعالىٰ.

ثم علىٰ افتراض أنه وُجد عن بعضهم هذا الأمر ـ وهو السؤال بجاه الصالحين ـ، فأين الدليل الصحيح الصريح الخالي من المعارض الذي يؤيد فعلهم؟ وقد تعلمنا من إمامنا الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ أن الدليل إما كتابٌ وسنةٌ صحيحة أو إجماعٌ ثابت ـ عند القائلين بالإجماع ـ، وتعلمنا منه ومن غيره ـ أيضًا ـ أن الخطأ في مثل هذا النوع من الخلافيات الحقُّ فيه واحدٌ لا غير؛ فأين شيءٌ من هذا علىٰ مشروعية التوسل بالجاه؟

١٨ ـ بيَّن الإمام ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ أن السؤال بالجاه هو في حقيقته قَسَمٌ علىٰ اللَّه تعالىٰ، فكأن المتوسل يقول: «أقسم بجاه فلان أو فلان»، وقد تقدم عنه ﷺ النهي عن الحلف بغير اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[(١)].

وحتىٰ لو قلنا: إن الباء هنا ليست باء القسم، فنعود ونقول: الأمر علىٰ حاله، وهو عدم ثبوت الدليل الصحيح الصريح علىٰ جواز هذه الصفة في الدعاء أصالةً.

---

(١) ذكر ذلك الشيخ عبداللَّه الحلبي في نسخته من «الدر النضيد» ص(٢٤).

١٩ ـ التوسل بمعناه الصحيح ـ وهو طلب الدعاء من العبد الصالح ـ، لا يقاس عليه التوسل بجاه الأموات، فهذا قياسٌ مع الفارق كما يرتاب فيه من شم رائحة العلم؛ لأن الحيَّ يُمكنُه أن يدعوَ لك، أما الميتُ فهو لا يسمعك، فضلًا عن أن يدعوَ اللَّه تعالىٰ في جلب منافعك وتفريج كرباتك؟!

٢٠ ـ ما ورد عن بعض الأكابر كالإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ أنه توسل بجاه النبي ﷺ، فإنه لا يصحُّ إسناده عنه[1]، وحاشا لمالكٍ أن يبتدع شيئًا لا يُعلم له أصلٌ عن نبيِّه ﷺ.

وحتىٰ علىٰ افتراض ثبوت ذلك عن مالكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، فلابد أن ننظر في دليل العالِم، لا في مجرد فعله هو؛ لأن العالم في النهاية ليس مشرِّعًا، بل هو مبلِّغ لدين اللَّه تعالىٰ، فإن صح دليله قبلناه، وإلا لم نقبله.

٢١ ـ وخلاصة أقسام التوسل كالآتي:

■ أولاً: التوسل المشروع، وهو أقسام:

١ ـ التوسل إلىٰ اللَّه تعالىٰ بأسمائه.

٢ ـ التوسل إلىٰ اللَّه تعالىٰ بصفاته.

٣ ـ التوسل إلىٰ اللَّه تعالىٰ بأفعاله.

٤ ـ التوسل إلىٰ اللَّه تعالىٰ بالإيمان به.

٥ ـ التوسل إلىٰ اللَّه تعالىٰ بحال الداعي[2].

---

(١) انظر هذه القصة في (١/٥٥٦).

(٢) كأن يقول: «أسأله وأنا الفقير إليك...»، ونحو ذلك.



٦ ـ التوسل إلىٰ اللَّه تعالىٰ بدعاء الرجل الصالح الذي ترجىٰ إجابة دعائه.

٧ ـ التوسل إلىٰ اللَّه تعالىٰ بالعمل الصالح.

■ **ثانيًا: التوسل الممنوع، وهو نوعان:**

١ ـ توسل الجاهلين بأوليائهم.

٢ ـ توسلٌ يكون بوسيلة سكت عنها الشرع[(١)].

فخلاصة الأمر برمَّته:

ـ أن التوسل المشروع هو ما ثبت في الأدلة الشرعية.

ـ والتوسل الممنوع هو ما جاء الدليل بالنهي عنه، أو لم يثبت به دليلٌ أصلًا.

ومن أراد مزيد تفصيل في هذه المسألة فعليه بالرجوع إلىٰ كتاب «التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ فقد أبدع وأجاد في أقسام التوسل ـ كعادته المباركة ـ، وكذا ما كتبه الشيخ نسيب الرفاعي والألباني رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

فهذا هو الجواب عما مسألة «التوسل بالجاه» باختصار شديد، ولعلنا نتوسع في الرد بعض الشيء في طبعاتٍ أخرىٰ ـ بإذن رب العالمين ـ.

واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.



(١) التقسم السابق مستفاد من حاشية «الفتح الرباني» (٣١٢/١).

[٣٧]

شرح الصدور بتحريم رفع القبور

للإمام

محمد بن عليٍّ الشوكاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيد المرسلين، وعلىٰ آله وصحبه المكرَمين المطهَّرين.

وبعد:

فاعلم أنه إذا وقع الخلافُ بين المسلمين في أن هذا الشيء بدعةٌ أو غير بدعة، أو مكروهٌ أو غير مكروه، أو محرمٌ أو غير محرم، أو غير ذلك= فقد اتفق المسلمون ـ سلفهم وخلفهم ـ من عصر الصحابة إلىٰ عصرنا هذا ـ وهو القرن الثالث عشر منذ البعثة المحمدية ـ أن الواجب عند الاختلاف في أي أمرٍ من أمور الدين بينَ الأئمةِ المجتهدين: هو الرد إلىٰ كتاب اللَّه ـ سبحانه ـ وسنة رسوله ﷺ، والناطق بذلك الكتاب العزيز: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

ومعنىٰ الرد إلىٰ اللَّه سبحانه: الرد إلىٰ كتابه.

ومعنىٰ الرد إلىٰ رسوله ﷺ: الرد إلىٰ سُنته بعد وفاته.

وهذا مما لا خلاف فيه بين جميع المسلمين؛ فإذا قال مجتهدٌ من المجتهدين: «هذا حلال»، وقال الآخر: «هذا حرام»، فليس أحدهما أولىٰ بالحق من الآخر ـ وإن كان أكثرَ منه علمًا أو أكبر منه سنًّا أو أقدم منه عصرًا ـ؛ لأن كل واحد منهما فردٌ من أفراد عباد اللَّه، ومتعبَّدٌ بما في الشريعة المطهرة مما في كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، ومطلوب منه ما طَلب اللَّه من غيره من العباد. وكثرةُ علمه

وبلوغُه درجةَ الاجتهاد أو مجاوزته لها لا يُسقط عنه شيئًا من الشرائع التي شرعها اللَّه لعباده. ولا يُخرجه من جملة المكلَّفين؛ بل العالِمُ كلما ازداد علمًا كان تكليفه زائدًا علىٰ تكليف غيره، ولو لم يكن من ذلك إلَّا ما أوجبه اللَّه عليه من البيان للناس وما كلَّفه به من الصدع بالحق وإيضاح ما شرعه اللَّه لعباده:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].

فلو لم يكن لمن رزقه اللَّه طرَفًا من العلم إلا كونه مكلَّفًا بالبيان للناس، لكان كافيًا فيما ذكرناه من كون العلماء لا يخرجون عن دائرة التكليف؛ بل يزيدون بما علموه تكليفًا. وإذا أذنبوا كان ذنبُهم أشدَّ من ذنب الجاهل وأكثر عقابًا؛ كما حكاه اللَّه عمن يعمل سوءً بجهالةٍ ومَن عَمِلَه بعلم[(١)]. وكما حكاه في كثير من الآيات عن علماء اليهود؛ حيث أقدموا علىٰ مخالفةِ ما شرعه اللَّه لهم، مع كونهم يعلمون الكتاب ويدرسُونه. ونعىٰ ذلك عليهم في مواضع متعددةٍ من كتابه، وبكَّتهم أشد تبكيت، وكما ورد في الحديث الصحيح: «**إن أول من تُسعَّرُ بهم جهنم العالمُ الذي يأمر الناس ولا يأتمر، وينهاهم ولا ينتهي**»[(٢)].

---

(١) حرر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المسألة تحريرًا جيدًا في «مفتاح دار السعادة» (١/٥٠٢ ـ عالم الفوائد).

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

وبالجملة فهذا أمر معلوم؛ أن العلم وكثرته وبلوغ حامله إلىٰ أعلىٰ درجات العرفان لا يُسقط عنه شيئًا من التكاليف الشرعية؛ بل يزيدها عليه شدةً، ويخاطَبُ بأمورٍ لا يخاطَبُ بها الجاهل، ويكلَّفُ بتكاليفَ غيرِ تكاليف الجاهل، ويكون ذنبُه أشدَّ وعقوبته أعظم. وهذا لا ينكره أحدٌ ممن له أدنىٰ تمييزٍ بعلم الشريعة.

والآياتُ والأحاديث الواردة في هذا المعنىٰ لو جمعت لكانت مؤلَّفًا مستقيمًا ومصنفًا حافلًا، وليس ذلك من غرضنا في هذا البحث؛ بل غاية الغرض من هذا ونهايةُ القصد منه: هو بيان أن العالِمَ كالجاهل في التكاليف الشرعية والتعبد بما في الكتاب والسنة، مع ما أوضحناه لك من التفاوت بين الرتبتين ـ رتبة العالم، ورتبة الجاهل ـ في كثير من التكاليف، واختصاص العالم منها بما لا يجب علىٰ الجاهل.

وبهذا يتقرر لك أن ليس لأحدٍ من العلماء المختلفين، أو من التابعين لهم والمقتدين بهم أن يقول: «الحق ما قاله فلان دون فلان»، أو: «فلان أولىٰ بالحق من فلان»؛ بل الواجب عليه ـ إن كان ممن له فهمٌ وعلمٌ وتمييز ـ أن يَرُدَّ ما اختلفوا فيه إلىٰ كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، فمن كان دليلُ الكتاب والسنة معه فهو علىٰ الحق، وهو الأولىٰ بالحق. ومن كان دليلُ الكتاب والسنة عليه ـ لا له ـ كان هو المخطئ؛ بل هو معذور، بل مأجور، كما ثبت في الحديث الصحيح أنه: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر**»[1]؛ فناهيك بخطإٍ يؤجر عليه فاعله.

(١) **صحيح**: وقد تقدم.



ولكن هذا إنما هو للمجتهد نفسه إذا أخطأ، ولكن لا يجوز لغيره أن يتبعه في خطئه، ولا يُعذر كعذره، ولا يؤجر كأجره؛ بل واجبٌ علىٰ من عداه من المكلفين أن يترك الاقتداءَ به في الخطأ، ويرجع إلىٰ الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة. وإذا وقع الردُّ لما اختَلَف فيه أهلُ العلم إلىٰ الكتاب والسنة، كان من معه دليل الكتاب والسنة هو الذي أصاب الحق ووافقه ـ وإن كان واحدًا ـ، والذي لم يكن معه دليلُ الكتاب والسنة هو الذي لم يُصب الحق، بل أخطأه ـ وإن كان عددًا كثيرًا ـ، فليس لعالمٍ ولا لمتعلمٍ ولا لمن يفهم ـ وإن كان مقصرًا ـ أن يقول: «إن الحقَ بيد من يَقتدي به من العلماء»، إن كان دليل الكتاب والسنة بيد غيره؛ فإن ذلك جهلٌ عظيم، وتعصبٌ ذميم، وخروجٌ من دائرة الإنصاف بالمرة؛ لأن الحق لا يُعرف بالرجال؛ بل الرجال يُعرفون بالحق[(١)].

وليس أحدٌ من العلماء المجتهدين والأئمة المحققين بمعصوم، ومن لم يكن معصومًا فإنه يجوز عليه الخطأ ـ كما يجوز عليه الصواب ـ؛ فيصيب تارةً، ويخطئ أخرىٰ. ولا يتبين صوابُه من خطئه إلا بالرجوع إلىٰ دليل الكتاب والسنة؛ فإن وافقهما فهو مصيب، وإن خالفهما فهو مخطئ.

ولا خلاف في هذه الجملة بين جميع المسلمين أولهم وآخرهم، سابقهم ولاحقهم، كبيرهم وصغيرهم، وهذا يعرفه كلُّ من له أدنىٰ حظٍّ من العلم، وأحقرُ نصيب من العرفان. ومن لم يفهم هذا ويعترف

---

(١) ويحسن مراجعة «أدب الطلب ومنتهىٰ الأرب» للمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد صدر ـ بحمد اللَّه تعالىٰ ـ بعنايتي في دار ابن الجوزي بالدمام.

به فليتَّهم نفسه، ويعلم أنه قد جنىٰ علىٰ نفسه بالخوض فيما ليس من شأنه، والدخول فيما لا تبلغُ إليه قدرتُه، ولا ينفذُ فيه فَهمُه. وعليه أن يمسك قلمَه ولسانه، ويشتغلَ بطلب العلم، ويفرِّغَ نفسه لطلب علوم الاجتهاد التي يتوصل بها إلىٰ معرفةِ الكتاب والسنة وفهم معانيهما، والتمييز بين دلائلهما، ويجتهد في البحث في السنة وعلومها، حتىٰ يتميز عنده صحيحُها من سقيمها، ومقبولُها من مردودها، وينظر في كلام الأئمة الكبار من سلف هذه الأمة وخلفها حتىٰ يهتديَ بكلامهم إلىٰ الوصول إلىٰ مطلوبه؛ فإنه إن لم يفعل هذا، وقدَّم الاشتغال بما قدمنا[(١)]، ندم علىٰ ما فَرَط منه قبل أن يتعلم هذه العلومَ غاية الندم، وتمنىٰ أنه أمسك عن التكلم بما لا يعنيه، وسكت عن الخوض فيما لا يدريه.

وما أحسنَ ما أدَّبنا به رسولُ اللَّه ﷺ - فيما صح عنه - من قوله: «**رحم اللَّهُ امْرَأً قال خيرًا أو صمت**»[(٢)]، وهذا في الذي تكلم في العلم

---

(١) يعني التعديل والتجريح والتصويب والتخطئة بدون تأهُّل علمي.

(٢) **لم أجده بهذا اللفظ**: والظاهر أن الإمام رواه بالمعنىٰ، ويقصد حديث: «**من كان يؤمنُ باللَّه واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»، وقد تقدم تخريجه.

وورد عن أبي عمران رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**رَحِم اللَّه عبدًا قال خيرًا فغنم، أو سكت عن سوء فسلم**». **حسن**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٨٠)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٦٤) مرسلًا.

وورد - أيضًا - من رواية الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رواه البغوي في «حديث كامل بن طلحة» (٣/٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/٤٧)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٤٥٨٥). **وضعَّفه** الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٣/٩٥)، بينما **حسَّنه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٨٥٥).

قبل أن يفتح اللَّهُ عليه بما لابد منه، وشغل نفسه بالتعصُّب للعلماء، وتصدَّىٰ للتصويب والتخطئة في شيءٍ لم يعلمه ولا فهمه حق فهمه، ولم يقل خيرًا ولا صمت= فلم يتأدب بالأدب الذي أرشد إليه رسولُ اللَّه ﷺ.

وإذا تقرر لك من مجموع ما ذكرناه وجوبُ الرد إلىٰ كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ بنصِّ الكتاب العزيز وإجماع المسلمين أجمعين، عرفتَ أن مَن زعم للناس أنه يمكن معرفةُ المخطئ من العلماء من غير هذه الطريق عند اختلافهم في مسألةٍ من المسائل فهو مخالفٌ لما في كتاب اللَّه، ومخالفٌ لإجماع المسلمين أجمعين؛ فانظر - أرشدك اللَّه - إلىٰ أي جنايةٍ جنىٰ علىٰ نفسه بهذا الزعم الباطل، وأي مصيبة وقع فيها بهذا الخطأ الفاحش، وأي بليةٍ جلبها عليه القصورُ والتقصير، وأي محنةٍ شديدة ساقها إليه التكلمُ فيما ليس من شأنه؟!

وها أنا أوضِّحُ لك مثالًا لما ذكرناه من الاختلاف بين أهل العلم، ومن كيفية الرد إلىٰ كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، ليتبيَّن المصيبُ من المخطئ، ومَن بيده الحق ومن بيده غيره، حتىٰ تعرف الحقَّ حقَّ معرفته، ويتضح لك غايةَ الاتضاح؛ فإن الشيء إذا ضُربت له الأمثلة وصُورت له الصور بَلَغ من الوضوح والجلاء إلىٰ غاية لا يخفي معها علىٰ من له فهمٌ صحيح وعقلٌ رجيح - فضلًا عمن لم يكن له في العلم نصيب، وفي العرفان حظ -، ولنجعل هذه المسألة التي جعلناها مثالًا لما ذكرناه وإيضاحًا لما أمليناه: هي المسألة التي لهج بالكلام فيها أهلُ عصرنا ومصرنا، خصوصًا في هذه الأيام لأسباب لا تخفىٰ، وهي مسألة: «رفع القبور، والبناء عليها»، كما يفعله

الناس من بناء المساجد والقباب علىٰ القبور.

فنقول: اعلم أنه قد اتفق الناس ـ سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضوان اللَّه عنهم إلىٰ هذا الوقت ـ: أن رفع القبور والبناء عليها بدعةٌ من البدع التي ثبت النهي عنها، واشتد وعيدُ رسول اللَّه لفاعلها ـ كما يأتي بيانه ـ، ولم يخالف في ذلك أحدٌ من المسلمين أجمعين، لكنه وقع للإمام يحيىٰ بن حمزة مقالةٌ تدل علىٰ أنه يرىٰ أنه لا بأس بالقِباب والمشاهد علىٰ قبور الفضلاء، ولم يقل بذلك غيره، ولا رُوي عن أحد سواه، ومَن ذكرها من المؤلفين في كتب الفقه من الزيدية فهو جريٌ علىٰ قوله واقتداءٌ به. ولم نجد القول بذلك ممن عاصره، أو تقدم عصره عليه ـ لا من أهل البيت ولا من غيرهم ـ. وهكذا اقتصر صاحب «البحر» ـ الذي هو مدرس كبار الزيدية، ومرجع مذهبهم، ومكان البيان لخلافهم في ذات بينهم، وللخلاف بينهم وبين غيرهم؛ بل اشتمل علىٰ غالب أقوال المجتهدين وخلافاتهم في المسائل الفقهية، وصار هو المرجوع إليه في هذه الأعصار، وهذه الديار لمن أراد معرفة الخلاف في المسائل، وأقوال القائلين بإثباتها أو نفيها من المجتهدين ـ؛ فإن صاحب هذا الكتاب الجليل لم ينسب هذه المقالة ـ أعني جواز رفع القباب والمشاهد علىٰ قبور الفضلاء ـ إلا إلىٰ الإمام يحيىٰ وحده:

▫ فقد قال ما نصه: «مسألة الإمام يحيىٰ: لا بأس بالقباب والمشاهد علىٰ قبور الفضلاء والملوك لاستعمال المسلمين. ولم ينكره». انتهىٰ.

فقد عرفت من هذا أنه لم يقل بذلك إلا الإمام يحيىٰ، وعرفت

دليلَه الذي استدل به، وهو: «استعمالُ المسلمين مع عدم النكير»[(١)]!

ثم ذكر صاحب «البحر» هذا الدليلَ الذي استدل به الإمام يحيىٰ في «الغيث»، واقتصر عليه، ولم يأت بغيره.

فإذا عرفت هذا تقرر لك أن هذا الخلاف واقعٌ بين الإمام يحيىٰ وبين سائر العلماء، من الصحابة والتابعين، ومن المتقدمين من أهل البيت والمتأخرين، ومن أهل المذاهب الأربعة وغيرهم ومن جميع المجتهدين أولهم وآخرهم. ولا يُعترض هذا بحكاية مَن حكىٰ قول الإمام يحيىٰ في مؤلفه ممن جاء بعده من المؤلفين؛ فإن مجرد حكاية القول لا يدل علىٰ أن الحاكي يختاره ويذهب إليه؛ فإن وجدت قائلًا من بعده من أهل العلم يقول بقوله هذا ويرجحه، فإن كان مجتهدًا كان قائلًا بما قاله الإمام يحيىٰ، ذاهبًا إلىٰ ما ذهب إليه بذلك الدليل الذي استدل به، وإن كان غير مجتهدٍ فلا اعتبار بموافقته؛ لأنها إنما تعتبر أقوالُ المجتهدين لا أقوال المقلِّدين.

فإذا أردت أن تعرف: هل الحق ما قاله الإمام يحيىٰ، أو ما قاله غيره من أهل العلم؛ فالواجب عليك رد هذا الاختلاف إلىٰ ما أَمَرَنا اللَّه بالرد إليه؛ وهو كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ.

فإن قلت: بيِّن لي العمل في هذا الرد حتىٰ تتم الفائدة، ويتضح الحقُّ من غيره، والمصيبُ من المخطئ في هذه المسألة.

---

(١) وهو ليس في الحقيقة بدليل معتبر؛ فإنَّ عمل الناس لا يعد تشريعًا يُبنىٰ عليه التحليل والتحريم ـ كما يعلم أهل العلم ـ، وإنما ذكر المصنف أن هذا دليل الإمام يحيىٰ بن حمزة من حيث رآه يحيىٰ دليلًا؛ وليس في واقع الأمر. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

قلت: افتح لما أقوله سمعًا، واتخذ له فهمًا، وأرهِفْ له ذهنًا. وها أنا أوضِّحُ لك الكيفية المطلوبة، وأبيِّنُ لك ما لا يبقىٰ عندك بعده ريب، ولا يصاحب ذهنَك وفهمك عنده لبس، فأقول:

١ ـ قال اللَّه ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

فهذه الآية فيها الإيجاب علىٰ العباد بالائتمار بما أمر به الرسول ﷺ والأخذ به، والانتهاء عما نهىٰ عنه ﷺ وتركه.

٢ ـ وقال ـ سبحانه ـ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ففي هذه الآية: تعليق محبة اللَّه ـ الواجبة علىٰ كل عبد من عباده ـ باتباع رسوله ﷺ، وأن ذلك هو المعيار[(١)] الذي يُعرف به محبة العبد لربه علىٰ الوجه المعتبر، وأنه السبب الذي يستحق به العبدُ أن يحبه اللَّه.

٣ ـ وقال اللَّه ـ سبحانه ـ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

ففي هذه الآية: أن طاعةَ الرسول طاعةٌ للَّه.

٤ ـ وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء].

فأوجب هذه السعادة لمن أطاع اللَّه ورسوله، وهي أن يكون مع هؤلاء الذين هم أرفع العباد درجةً عنده، وأعلاهم منزلةً.

---

(١) **المعيار**: الميزان.

٥ ـ وقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

٦ ـ وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور].

٧ ـ وقال ـ سبحانه ـ: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩].

٨ ـ وأنزل اللَّه علىٰ رسوله أن يقول: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ [آل عمران].

والآيات الدالة علىٰ هذا المعنىٰ في الجملة أكثر من ثلاثين آيةً.

ويستفاد من جميع ما ذُكر: أن ما أمر به رسولُ اللَّه ﷺ ونهىٰ عنه كان الأخذُ به واتباعه واجبًا بأمر اللَّه سبحانه، وكانت الطاعة لرسول اللَّه ﷺ في ذلك طاعةً للَّه، وكان الأمر من رسول اللَّه ﷺ أمرًا من اللَّه.

وسنوضح لك ما صح عن رسول اللَّه ﷺ في غير حديثٍ من النهي عن رفع القبور والبناء عليها، ووجوب تسويتها، وهدم ما ارتفع منها، ولكنَّا هنا نبتدي بذكر أشياء في حكم التوطئة والتمهيد لذلك، ثم ننتهي إلىٰ ذكر ما هو المطلوب، حتىٰ يَعلم من اطلع علىٰ هذا البحث أنه إذا وقع الردُّ فيما قاله الإمام يحيىٰ وما قاله غيره في القباب والمشاهد إلىٰ ما أمر اللَّهُ بالرد إليه ـ وهو كتاب اللَّه سبحانه وسنة رسوله ﷺ ـ كان في ذلك ما يشفي ويكفي، ويُقنع ويُغني ذِكرُ بعضه ـ فضلًا عن ذكر جميعه ـ، وعند ذلك يتبين لكل

من لهم فهمٌ ما في رفع القبور من الفتنة العظيمة لهذه الأمة، من المكيدة البالغة التي كادهم الشيطانُ بها، وقد كاد بها من كان قبلهم من الأمم السابقة، كما حكىٰ اللَّه ﷻ ذلك في كتابه العزيز.

وكان أول ذلك في قوم نوح:

قال اللَّه ـ سبحانه ـ: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح].

كانوا قومًا صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباعٌ يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صوَّرناهم كان أشوقَ لنا إلىٰ العبادة إذا ذكرناهم. فصوروهم. فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقَون المطر. فعبدوهم، ثم عبدتهم العربُ بعد ذلك. وقد حُكي معنىٰ هذا في «صحيح البخاري» عن ابن عباس رضي الله عنهما[1].

▫ وقال قومٌ من السلف: «إن هؤلاء كانوا قومًا صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم، ثم صوَّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمدُ فعبدوهم».

ويؤيد هذا ما ثبت في «الصحيحين» وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها: أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول اللَّه ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة، وذكرت له ما رأت فيها من الصور؛ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أولئك قومٌ إذا مات فيهم العبدُ الصالح أو الرجل الصالح بنَوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرارُ الخلق عند اللَّه**»[2].

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

□ وأخرج ابن جرير في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ [النجم]: قال [مجاهد]: «كان يَلُتُّ السَّويق للحاج، فمات فعكفوا علىٰ قبره».

وفي «صحيح مسلم» عن جُندب بن عبداللَّه البَجلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت [بخمسٍ] يقول: «**أَلَا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبورَ أنبيائهم مساجد، أَلَا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك**»[1].

وفي «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزل برسول اللَّه صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصةً علىٰ وجهه، فإذا اغتمَّ كشفها، فقال ـ وهو كذلك ـ: «**لعنةُ اللَّه علىٰ اليهود والنصارىٰ؛ فقد اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». يحذر ما صنعوا[2].

وفي «الصحيحين» مثلُه ـ أيضًا ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما[3].

وفيهما ـ أيضًا ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «**قاتَلَ اللَّه اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[4].

وفي «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعنِ اللَّه اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». ولولا ذلك لأُبرز قبره، غير أنه خَشِيَ أن يكون مسجدًا[5].

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.
(٣) **صحيح**: وقد تقدم.
(٤) **صحيح**: وقد تقدم.
(٥) **صحيح**: وقد تقدم.

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده» - بإسنادٍ جيد - من حديث عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه: أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«إن من شرار الناس مَن تُدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبورَ مساجد»**(١).

وأخرج أحمد وأهل السنن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: **«لعن اللَّه زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجدَ والسُّرُج»**(٢).

وفي «صحيح مسلم» وغيره عن أبي الهيَّاج الأَسَدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول اللَّه ﷺ؟ **«ألَّا أدعَ تمثالًا إلا طمستُه، ولا قبرًا مشرفًا إلَّا سوَّيته»**(٣).

وفي «صحيح مسلم» - أيضًا - عن ثمامة بن شُفيٍّ نحو ذلك(٤).

وفي هذا أعظمُ دلالةٍ علىٰ أن تسوية كل قبر مشرفٍ - بحيث يرتفع زيادةً علىٰ القدر المشروع - واجبةٌ متحتمة.

فمن إشراف القبور: أن يُرفع سَمكُها(٥)، أو يُجعل عليها القباب أو المساجد؛ فإن ذلك من النهي عنه بلا شك ولا شبهة؛ ولهذا فإن النبي ﷺ بعث لهدمها أمير المؤمنين عليًّا، ثم أميرُ المؤمنين بعث لهدمها أبا الهيَّاج الأسدي في أيام خلافته.

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **حسن - دون ذكر السُّرج -**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) رواه مسلم (٩٦٨)، أن ثمامة بن شفي قال: «كنا مع فضالةَ بنِ عبيدٍ رضي الله عنه بأرض الروم برُودس، فتُوفِّي صاحبٌ لنا، فأمر فضالةُ بنُ عبيد بقبره فسُوِّي، ثم قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يأمر بتسويتها».

(٥) **السَّمْك**: الجوانب والأطراف.



وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي ـ وصححه ـ والنسائي وابن حبان من حديث جابر قال: «نهىٰ رسول اللَّه ﷺ أن يُجصَّص القبر[(١)]، وأن يبنىٰ عليه، وأن يوطأ»[(٢)].

وزاد هؤلاء المخرجون لهذا الحديث عن مسلم: «وأن يكتب عليه». قال الحاكم: «النهي عن الكتابة علىٰ شرط مسلم، وهي صحيحة غريبة»[(٣)].

وفي هذا التصريحُ بالنهي عن البناء علىٰ القبور، وهو يصدُق علىٰ ما بُني علىٰ جوانب حفرة القبر، كما يفعله كثيرٌ من الناس من رفع قبور الموتىٰ ذراعًا فما فوقه؛ لأنه لا يمكن أن يُجعل نفسُ القبر مسجدًا؛ فذلك مما يدل علىٰ أن المراد بعضُ ما يَقرَبُه مما يتصل به، ويصدقُ علىٰ ما بُني قريبًا من جوانب القبر كذلك، كما في القِباب والمساجد والمشاهد الكبيرة، علىٰ وجهٍ يكون القبر في وسطها أو في جانبٍ منها؛ فإن هذا بناءٌ علىٰ القبر، لا يخفىٰ ذلك علىٰ من له أدنىٰ فهم، كما يقال: «بنىٰ السلطان علىٰ مدينة كذا، أو علىٰ قرية كذا سورًا». وكما يقال: «بنىٰ فلان في المكان الفلاني مسجدًا»، مع أن سَمْكَ البناء لم يباشر إلَّا جوانب المدينة أو القرية أو المكان.

ولا فرق بين أن تكون تلك الجوانب التي وقع وضعُ البناء عليها قريبةً من الوسط ـ كما في المدينة الصغيرة والقرية الصغيرة والمكان

---

(١) **التجصيص**: بناؤها بالجص، وهو ما يسمىٰ في عصرنا: «الجِير».
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.
(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

الضيق ـ، أو بعيدةً في الوسط ـ كما في المدينة الكبيرة والقرية الكبيرة والمكان الواسع ـ. ومن زعم أن في لغة العرب ما يمنع من هذا الإطلاق فهو جاهلٌ لا يعرف لغة العرب، ولا يفهم لسانها، ولا يدري بما استعملته في كلامها.

وإذا تقرر لك هذا علمت أن رَفْعَ القبور ووضعَ القباب والمساجد والمَشاهد عليها:

- قد لَعَن رسولُ اللَّه ﷺ فاعله تارةً ـ كما تقدم ـ.
- وتارةً قال: «**اشتد غضبُ اللَّه علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[1]، فدعا عليهم بأن يشتد غضبُ اللَّه عليهم بما فعلوه من هذه المعصية؛ وذلك ثابت في «الصحيح».
- وتارةً نهىٰ عن ذلك.
- وتارةً بعث من يهدمه.
- وتارةً جعله من فعل اليهود والنصارىٰ.
- وتارةً قال: «**لا تتخذوا قبري وثنًا**».
- وتارةً قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا**». أي: موسمًا يَجتمعون فيه؛ كما صار يفعله كثيرٌ من عُبَّاد القبور؛ يجعلون لمن يعتقدون من الأموات أوقاتًا معلومةً يجتمعون فيها عند قبورهم، ينسِكون لها المناسك[2]، ويعكفون عليها، كما يعرف ذلك كلُّ أحد من الناس من أفعال هؤلاء المخذولين، الذين تركوا عبادة اللَّه ـ الذي خلقهم ورزقهم ثم يميتهم ويحييهم ـ، وعبدوا عبدًا من عباد اللَّهِ صار تحت أطباق الثرىٰ، لا يقدر علىٰ أن يجلب لنفسه نفعًا ولا يدفع عنها

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) أي: يذبحون لها الذبائح.



ضرًّا، كما قال رسول اللَّه ﷺ فيما أمره اللَّه أن يقول: ﴿لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فانظر كيف قال سيد البشر وصفوة اللَّه مِن خلقه ـ بأمر ربه ـ: إنه لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا!

وكذلك قال ـ فيما صح عنه ـ: «**يا فاطمةُ بنتَ محمد، لا أُغني عنكِ من اللَّه شيئًا**»[(١)].

فإذا كان هذا قولَ رسول اللَّه ﷺ في نفسه، وفي أخصِّ قرابته به وأحبِّهم إليه، فما ظنك بسائر الأموات الذين لم يكونوا أنبياءَ معصومين، ولا رسلًا مرسَلين؟ بل غاية ما عند أحدهم أنه فردٌ من أفراد هذه الأمة المحمدية، وواحدٌ من أهل هذه الملة الإسلامية؟ فهو أعجزُ وأعجز أن ينفع أو يدفع عنها ضررًا.

وكيف لا يَعجِزُ عن شيءٍ قد عجز عنه رسول اللَّه ﷺ وأخبر به أمته، كما أخبر اللَّه عنه، وأمره بأن يقول للناس بأنه لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، وأنه لا يُغني عن أخص قرابته من اللَّه شيئًا؟!

فيا عجبًا! كيف يطمع من له أدنىٰ نصيب من علم، أو أقلُّ حظٍّ من عرفانٍ أن ينفعه أو يضره فردٌ من أفراد أمةِ هذا النبي الذي يقول عن نفسه هذه المقالة؛ والحال أنه فردٌ من التابعين له المقتدين بشرعه؟!

فهل سمعتْ أذناك ـ أرشدك اللَّه ـ بضلال عقل أكبرَ من هذا الضلال الذي وقع في عُبَّاد أهل القبور؟! ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة].

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

وقد أوضحنا هذا أبلغ إيضاح في رسالتنا التي سميناها: «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد»؛ وهي موجودةٌ بأيدي الناس؛ فلا شك ولا ريب أن السبب الأعظم الذي نشأ منه هذا الاعتقاد في الأموات هو ما زيَّنه الشيطانُ للناس من رفع القبور، ووضع الستور عليها، وتجصيصها وتزيينها بأبلغ زينة، وتحسينها بأكمل تحسين؛ فإن الجاهل إذا وقعت عينُه علىٰ قبرٍ من القبور قد بُنيت عليه قبةٌ فدخلها، ونظر علىٰ القبور إلىٰ الستور الرائعة، والسُّرجِ المتلألِئة، وقد سطعت حوله مجامرُ الطيب[1]، فلا شك ولا ريب أنه يمتلئ قلبه تعظيمًا لذلك القبر، ويضيق ذهنُه عن تصوُّر ما لهذا الميت من المنزلة، ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرعُ في قلبه من العقائد الشيطانية ـ التي هي من أعظم مكائدِ الشيطان للمسلمين، وأشدِّ وسائله إلىٰ ضلال العباد ـ ما يزلزله عن الإسلام قليلًا قليلًا، حتىٰ يطلب من صاحب ذلك القبر ما لا يقدر عليه إلا اللَّهُ سبحانه، فيصير في عداد المشركين.

وقد يحصل له هذا الشركُ بأول رؤيةٍ لذلك القبر الذي صار علىٰ تلك الصفة، وعند أول زَوْرةٍ له[2]؛ إذ لابد أن يخطر بباله أن هذه العنايةَ البالغةَ من الأحياء بمثل هذا الميت، لا تكون إلا لفائدةٍ يرجونها منه ـ إما دنيوية أو أخروية ـ، فيستصغر نفسه بالنسبة إلىٰ من يراه من أشباه العلماء[3] زائرًا لذلك القبر، وعاكفًا عليه، ومتمسِّحًا بأركانه.

---

(١) **المجامر**: أوعية البخور.
(٢) **الزَّورة**: الزيارة.
(٣) وما أكثرَهم وأكثرَ بلاياهم علىٰ الأمَّة الجريحة!

وقد يجعل الشيطانُ طائفةً من إخوانه من بني آدم يقفون علىٰ ذلك القبر، يخادعون مَن يأتي إليه من الزائرين، يهوِّلون عليهم الأمر، ويصنعون أمورًا من أنفسهم، وينسبونها إلىٰ الميت علىٰ وجهٍ لا يَفطن له مَن كان مِن المغفلين.

وقد يصنعون أكاذيبَ مشتملةً علىٰ أشياء يسمونها «كرامات لذلك الميت»، ويبثونها في الناس، ويكرِّرون ذكرها في مجالسهم، وعند اجتماعهم بالناس، فتَشيع وتستفيض، ويتلقاها مَن يُحسِنُ الظن بالأموات، ويَقبل عقلُه ما يُروىٰ عنهم من أكاذيب، فيرويها كما سمعها، ويتحدث بها في مجالسه، فيقع الجهالُ في بليةٍ عظيمةٍ من الاعتقاد الشركي، ويَنذرون علىٰ ذلك الميت كرائمَ أموالهم، ويَحبسون علىٰ قبره من أملاكهم ما هو أحبُّها إلىٰ قلوبهم، لاعتقادهم أنهم ينالون بجاه ذلك الميت خيرًا عظيمًا وأجرًا كبيرًا، ويعتقدون أن ذلك قربةٌ عظيمة، وطاعةٌ نافعة، وحسنةٌ متقبَّلة! فيحصل بذلك مقصودُ أولئك الذين جعلهم الشيطان من إخوانه من بني آدم علىٰ ذلك القبر[(١)]؛ فإنهم إنما فعلوا تلك الأفاعيل، وهوَّلوا علىٰ الناس بتلك التهاويل، وكذبوا تلك الأكاذيب، لينالوا جانبًا من الحُطام من أموال الطغام الأغتام[(٢)].

وبهذه الذريعة الملعونة، والوسيلة الإبليسية تكاثرت الأوقافُ علىٰ القبور، وبلغت مبلغًا عظيمًا، حتىٰ بلغت غَلَّاتُ ما يوقف علىٰ المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقافُه لبلغ ما يقتاتُه أهلُ قريةٍ

(١) واللَّهِ ما جعلهم من إخوانه؛ بل جعلهم عبيدًا له.
(٢) **الأغتام**: السوقة الأراذل.

كبيرةٍ من قرىٰ المسلمين! ولو بِيعت تلك الحبائسُ الباطلةُ لأغنىٰ اللَّهُ بها طائفةً عظيمةً من الفقراء، وكلُّها من النذر في معصية اللَّه.

وقد صح عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**لا نذر في معصية اللَّه**»[1].

وهي - أيضًا - من النذر الذي لا يُبتغىٰ به وجه اللَّه؛ بل كلها من النذور التي يستحقُّ بها فاعلُها غضبَ اللَّه وسخطه؛ لأنها تفضي بصاحبها إلىٰ ما يُفضي به اعتقادُ الإلٰهيَّة في الأموات من تزلزل قدم الدين؛ إذ لا يَسمح بأحب أمواله وألصقها بقلبه إلَّا وقد زرع الشيطانُ في قلبه من محبةِ وتعظيم ذلك القبر وصاحبه والمغالاة في الاعتقاد فيه= ما لا يعودُ به إلىٰ الإسلام سالمًا. نعوذ باللَّه من الخذلان.

ولا شك أن غالب هؤلاء المغرورين المخدوعين لو طَلب منهم طالبٌ أن ينذر بذلك - الذي نذر به لقبر ميتٍ - علىٰ ما هو طاعةٌ من الطاعات وقربةٌ من القربات لم يفعل، ولا كاد.

فانظر إلىٰ أين بلغ تلاعب الشيطان بهؤلاء، وكيف رمىٰ بهم في هوةٍ بعيدةِ القعر، مظلمة الجوانب؟!

فهذه مفسدةٌ من مفاسد، القبور وتشييدها، وزخرفتها وتجصيصها.

ومن المفاسد البالغة إلىٰ حدٍّ يرمي بصاحبه إلىٰ وراء حائط الإسلام، ويُلقيه علىٰ أم رأسه من أعلىٰ مكان الدين= أن كثيرًا منهم يأتي بأحسن ما يملكُه من الأنعام، وأجود ما يحوزه من المواشي؛ فينحره عند ذلك القبر، متقربًا به إليه، راجيًا ما يُضمر حصوله له منه؛ فيُهِلُّ به لغير اللَّه[2]، ويتعبد به لوثنٍ من الأوثان؛ إذ أنه لا

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) أي: يذبح علىٰ غير اسم اللَّه تعالىٰ.

فرق بين نحر النحائر لأحجارٍ منصوبة يسمونها «وثنًا»، وبين قبرٍ لميت يسمونه «قبرًا»، ومجرد الاختلاف في التسمية لا يغني من الحق شيئًا، ولا يؤثِّر تحليلًا ولا تحريمًا؛ فإن من أطلق علىٰ الخمر غير اسمها وشربها، كان حكمُه حكم من شربها وهو يسميها باسمها، بلا خلافٍ بين المسلمين أجمعين.

ولا شك أن النحر نوعٌ من أنواع العبادة التي تعبَّد اللَّهُ العبادَ بها، كالهدايا والفِدية والضحايا، فالمتقرِّبُ بها إلىٰ القبر والناحر لها عنده لم يكن له غرضٌ بذلك إلا تعظيمُه وكرامته، واستجلابُ الخير منه، واستدفاع الشر به؛ وهذه عبادةٌ لا شك فيها، وكفاك من شرٍّ سماعه، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة].

والنبي ﷺ يقول: «**لا عَقْرَ في الإسلام**»(١).

▫ قال عبدُالرزاق: «كانوا يَعقِرون عند القبر». يعني بقرًا وشياهًا.

وبعد هذا كله فاعلم أن ما سقناه من الدلالة، وما هو كالتوطيد لها، وما هو كالخاتمة نختم بها البحث: يقضي أبلغَ قضاء، وينادي أرفع نداء، ويدلُّ أوضح دلالة، ويفيد أجلىٰ مفاد= أن ما رواه صاحب «البحر» عن الإمام يحيىٰ غلطٌ من أغاليط العلماء، وخطأٌ من

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/١٩٧)، وعبدالرزاق (٦٦٩٠)، وعبد بن حميد (١٢٥٣)، وأبو داود (٣٢٢٢)، وابن حبان (٣١٤٦)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٤/٩٤)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (١/٢٥٢)، من حديث أنس رضي الله عنه، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٠/٣٣٣).

جنس ما يقع للمجتهدين، وهذا شأن البشر. والمعصوم من عصمه اللَّه.

وكلُّ عالم يُؤخذ من قوله ويُترك، مع كونه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أعظم الأئمة إنصافًا، وأكثرهم تحريًا للحق وإرشادًا وتأثيرًا، ولكننا لما رأيناه قد خالف من عداه بما قال من جواز بناء القباب علىٰ القبور، رددنا هذا الاختلاف إلىٰ ما أوجب اللَّهُ الرد إليه؛ وهو كتابُ اللَّه وسنةُ رسوله ﷺ؛ فوجدنا في ذلك ما قدمنا ذكره من الأدلة الدالة أبلغ دلالة، والمنادية بأعلىٰ صوتٍ بالمنع من ذلك والنهي عنه، واللعن لفاعله، والدعاء عليه، واشتداد غضب اللَّه عليه، مع ما في ذلك من كونه ذريعةً إلىٰ الشرك، ووسيلةً إلىٰ الخروج عن الملة - كما أوضحناه -.

فلو كان القائل بما قاله الإمام يحيىٰ بعض الأئمة - أو أكثرهم - لكان قولهم ردًّا عليهم - كما قدمناه في أول هذا البحث -؛ فكيف والقائل به فردٌ من أفرادهم؟!

وقد صح عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**كلُّ أمر ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ**»[(١)]، ورفع القبور وبناء القباب والمساجد عليها ليس عليها أمرُ رسول اللَّه ﷺ - كما عرَّفناك ذلك -، فهو ردٌّ علىٰ قائله، أيْ مردودٌ عليه.

والذي شَرع للناس هذه الشريعة الإسلامية هو الرب - سبحانه - بما أنزله في كتابه وعلىٰ لسان رسوله ﷺ؛ فليس لعالِمٍ - وإن بلغ من العلم إلىٰ أرفع رتبةٍ وأعلىٰ منزلة - أن يكون بحيث يُقتدىٰ به

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

فيما خالف الكتاب والسُّنة أو أحدهما؛ بل ما وقع منه من الخطأ ـ بعد توفية الاجتهاد حقه ـ يستحقُّ به أجرًا، ولا يجوز لغيره أن يتابعه عليه. وقد أوضحنا هذا في أول البحث بما لا يأتي التكرار له بمزيد.

فائدة: [بطلان الاحتجاج بفعل العوام]:

وأما ما استدل به الإمام يحيىٰ حيث قال: «لاستعمال المسلمين ذلك ولم ينكروه»؛ فقولٌ مردود؛ لأن علماء المسلمين ما زالوا في كل عصر يرْوُون أحاديث رسول اللَّه ﷺ في لعن من فعل ذلك، ويقررون شريعة رسول اللَّه ﷺ في تحريم ذلك في مدارسهم ومجالس حفاظهم؛ يرويها الآخِرُ عن الأول، والصغير عن الكبير، والمتعلِّمُ عن العالِم من لدن أيام الصحابة إلىٰ هذه الغاية. وأوردها المحدِّثون في كتبهم المشهورة من الأمهات والمسندات والمصنفات، وأوردها المفسرون في تفاسيرهم، وأهلُ الفقه في كتبهم الفقهية، وأهل الأخبار والسِّير في كتب الأخبار والسير؛ فكيف يقال: إن المسلمين لم ينكروا علىٰ من فعل ذلك، وهم يرْوُون أدلة النهي عنه واللعن لفاعله خلفًا عن سلف في كل عصر؟! ومع هذا فلم يزل علماء الإسلام منكرين لذلك مبالغين في النهي عنه.

وقد حكىٰ ابن القيم عن شيخه تقي الدين رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ ـ وهو الإمام المحيط بمذهب سلف هذه الأمة وخلفه ـ أنه قد صرح عامةُ الطوائف بالنهي عن بناء المساجد علىٰ القبور.

- ثم قال: «وصرح أصحاب أحمد ومالك والشافعي بتحريم ذلك. وطائفة أطلقت الكراهة، لكن ينبغي أن يُحمل علىٰ كراهة التحريم،

إحسانًا للظن بهم، وألَّا يُظنَّ بهم أن يجوِّزوا ما تواتر عن رسول اللَّه ﷺ لَعنُ فاعله والنهي عنه» انتهىٰ.

فانظر كيف حكىٰ التصريح عن عامة الطوائف؟ وذلك يدلُّ علىٰ أنه إجماعٌ من أهل العلم علىٰ اختلاف طوائفهم، ثم بعد ذلك جَعل أهل ثلاثة مذاهب مصرِّحين بالتحريم، وجعل طائفةً مصرِّحةً بالكراهة، وحملها علىٰ كراهة التحريم؛ فكيف يقال: إن بناء القباب والمشاهد علىٰ القبور لم ينكره أحد؟!

ثم انظر كيف يصحُّ استثناءُ أهل الفضل برفع القباب علىٰ قبورهم، وقد صح عن النبي ﷺ ـ كما قدمنا ـ أنه قال: «**أولئك قومٌ إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا علىٰ قبره مسجدًا**»[(١)]، ثم لعنهم بهذا السبب!

فكيف يسوغ من مسلمٍ أن يستثنيَ أهل الفضل بفعل هذا المحرَّم الشديد علىٰ قبورهم، مع أن أهل الكتاب ـ الذين لعنهم الرسول ﷺ وحذر الناس ما صنعوا ـ لم يعمروا المساجد إلَّا علىٰ قبور صلحائهم؟!

ثم هذا رسول اللَّه ﷺ ـ سيد البشر، وخير الخليقة، وخاتم الرسل، وصفوة اللَّه من خلقه ـ ينهىٰ أمته أن يجعلوا قبره مسجدًا أو وثنًا أو عيدًا ـ وهو القدوة لأمته ـ، ولأهل الفضل من القدوة به والتأسي بأفعاله وأقواله الحظ الأوفر، وهم أحق الأمة بذلك وأولاهم به، وكيف يكون فِعلُ بعض الأمة وصلاحُه مسوِّغًا لفعل هذا المنكر علىٰ قبره؟!

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

وأصلُ الفضل ومرجعه هو رسول اللَّه ﷺ، وأي فضل يُنسب إلىٰ فضله أدنىٰ نسبة، أو يكون له بجنبه أقل اعتبار؟ فإن كان هذا محرمًا منهيًّا عنه ملعونًا فاعله في قبر رسول اللَّه ﷺ، فما ظنك بقبر غيره من أمته؟!

وكيف يستقيم أن يكون للفضل مدخلٌ في تحليل المحرمات وفعل المنكرات؟ اللهم غفرًا.

والحمد للَّه الذي هدانا للحق، ووفقنا لاتباعه.

وصلىٰ اللَّه علىٰ محمد عبدِ اللَّه ورسوله، وعلىٰ آله أجمعين.



[٣٨]

حصن المسلم

لفضيلة الشيخ

سعيد بن وهف القحطاني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة[١]

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد:

فَهذا مُخْتَصَرٌ اخْتَصَرْتُهُ مِنْ كِتَابِي: «الذِّكْرُ وَالدُّعَاءُ وَالعِلَاجُ بِالرُّقَىٰ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»[٢] اخْتَصَرْتُ فِيهِ قِسْمَ الأَذْكَارِ؛ لِيَكُونَ خَفِيفَ الْحَمْلِ فِي الأَسْفَارِ.

وَقَدِ اقْتَصَرْتُ عَلَىٰ مَتْنِ الذِّكْرِ، وَاكْتَفَيْتُ فِي تَخْرِيجِهِ بِذِكْرِ مَصْدَرٍ أَوْ مَصْدَرَيْنِ مِمَّا وُجِدَ فِي الأَصْلِ، وَمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ الصَّحَابِيِّ أَوْ زِيَادَةً فِي التَّخْرِيجِ فَعَلَيْهِ بِالرُّجُوعِ إِلَىٰ الأَصْلِ.

---

(١) جميع التعليقات هي للمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إلا ما أعقبته برمز [ط] فهو مني. «أبو شعيب».

(٢) وقد طبع الأصل المذكور، ولله الحمد، مع تخريج أحاديثه تخريجًا موسعًا في أربعة مجلدات؛ «حصن المسلم» في المجلد الأول والثاني منها.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، وَصِفَاتِهِ الْعُلَا أَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ فِي حَيَاتِي، وَبَعْدَ مَمَاتِي، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ مَنْ قَرَأَهُ، أَوْ طَبَعَهُ، أَوْ كَانَ سَبَبًا فِي نَشْرِهِ؛ إِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - وَلِيُّ ذلك، وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

وَصَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

المؤلف

حُرِّر في شهر صفر ١٤٠٩هـ



فصل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[٢].

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣].

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[٤].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»[٥].

وَقَالَ ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُم بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ[٦]، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ؛ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقِكُم؟». قَالُوا: بَلَىٰ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

(٥) البخاري مع الفتح، ١١/٢٠٨، برقم ٦٤٠٧، ومسلم، ١/٥٣٩، برقم ٧٧٩، بلفظ: «مثل البيت الذي يُذكر اللَّه فيه والبيت الذي لا يذكر اللَّه فيه مثل الحي والميت»، ١/٥٣٩.

(٦) **الوَرِق** ـ بكسر الراء ـ: الفضة. [ط]



قال: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَىٰ»(١).

وَقَالَ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا(٢)، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً(٣)»(٤).

وَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ. قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»(٥).

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلكن: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيْمٌ حَرْفٌ»(٦).

---

(١) الترمذي، ٥/٤٥٩، برقم ٣٣٧٧، وابن ماجه، ٢/١٢٤، برقم ٣٧٩٠، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢/٣١٦، وصحيح الترمذي، ٣/١٣٩.
وهذا من أحاديث الصفات التي نثبتها بلا كيفية. [ط]

(٢) **الباع**: مقدار ما بين أطراف الأصابع إلىٰ أعلىٰ الكتف. [ط]

(٣) هذا من أحاديث الصفات التي نُمِرُّها كما أتت. [ط]

(٤) البخاري، ٨/١٧١، برقم ٧٤٠٥، ومسلم، ٤/٢٠٦١، برقم ٢٦٧٥، واللفظ للبخاري.

(٥) الترمذي، ٥/٤٥٨، برقم ٣٣٧٥، وابن ماجه، ٢/١٢٤٦، ٣٧٩٣، وصححه الألباني في: صحيح الترمذي، ٣/١٣٩، وصحيح ابن ماجه، ٢/٣١٧.

(٦) الترمذي، ٥/١٧٥، برقم ٢٩١٠، وصححه الألباني: صحيح الترمذي، ٣/٩، وصحيح الجامع الصغير، ٥/٣٤٠.

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ بُطْحَانَ، أَوْ إِلَىٰ الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ[(١)] فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطِيعَةِ رَحِمٍ»؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُحِبُّ ذلك. قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَىٰ المَسْجِدِ فَيَعْلَمَ، أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عز وجل خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ»[(٢)].

وَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ[(٣)]، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجِعًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ»[(٤)].

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»[(٥)].

وَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرةً»[(٦)].

---

(١) كَوْماوين: عظيمتَي السَّنام. [ط]

(٢) مسلم، ١/٥٥٣، برقم ٨٠٣.

(٣) التِّرَة: الحسرة والندم. [ط]

(٤) أبو داود، ٤/٢٦٤، برقم ٤٨٥٦، وغيره، وانظر: صحيح الجامع، ٥/ ٣٤٢.

(٥) الترمذي، ٥/٤٦١، برقم ٣٣٨٠، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/١٤٠.

(٦) أبو داود، ٤/٢٦٤، برقم ٤٨٥٥، وأحمد، ٢/٣٨٩، برقم ١٠٦٨٠، وانظر: صحيح الجامع، ٥/١٧٦.



١ ـ أَذْكَارُ الاسْتِيقَاظِ مِنَ النَّومِ

١ ـ «الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»[(١)].

٢ ـ «لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ للَّهِ، وَلَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، رَبِّ اغْفِرْ لِي»[(٢)].

٣ ـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لي بِذِكْرِهِ»[(٣)].

٤ ـ «﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَٰاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾

---

(١) البخاري مع الفتح، ١١/١١٣، برقم ٦٣١٤، ومسلم، ٤/٢٠٨٣، برقم ٢٧١١.

(٢) «من قال ذلك غُفِرَ له، فإن دعا استجيب له، فإن قام فتوضأ ثم صلى قُبلت صلاته»، البخاري مع الفتح، ٣/٣٩، برقم ١١٥٤، وغيره، واللفظ لابن ماجه، انظر: صحيح ابن ماجه، ٢/٣٣٥.

(٣) الترمذي، ٥/٤٧٣، برقم ٣٤٠١، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/١٤٤.

مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾»[١].

٢ ـ دُعَاءُ لُبْسِ الثَّوْبِ

٥ ـ «الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي كَسَانِي هذا (الثَّوْبَ) وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّة...»[٢].

٣ ـ دُعَاءُ لُبْسِ الثَّوْبِ الجَدِيدِ

٦ ـ «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ»[٣].

٤ ـ الدُّعَاءُ لِمَنْ لَبِسَ ثَوْبًا جَدِيدًا

٧ ـ «تُبْلِي وَيُخْلِفُ اللَّهُ تَعَالَىٰ»[٤].

---

(١) الآيات من سورة آل عمران، ١٩٠ ـ ٢٠٠، البخاري مع الفتح، ٨/٣٣٧، برقم ٤٥٦٩، ومسلم، ١/٥٣٠، برقم ٢٥٦.

(٢) أخرجه أهل السنن إلا النسائي: أبو داود، برقم ٤٠٢٣، والترمذي، برقم ٣٤٥٨، وابن ماجه، برقم ٣٢٨٥، وحسنه الألباني في: إرواء الغليل، ٧/٤٧.

(٣) أبو داود، برقم ٤٠٢٠، والترمذي، برقم ١٧٦٧، والبغوي، ١٢/٤٠، وانظر: مختصر شمائل الترمذي للألباني، ص٤٧.

(٤) أخرجه أبو داود، ٤/٤١، برقم ٤٠٢٠، وانظر: صحيح أبي داود ٢/٧٦٠.

٨ ـ «الْبَسْ جَدِيدًا وَعِشْ حَمِيدًا وَمُتْ شَهِيدًا»(١).

٥ ـ مَا يَقُولُ إِذَا وَضَعَ ثَوْبَهُ

٩ ـ «بِسْمِ اللَّهِ»(٢).

٦ ـ دُعَاءُ دُخُولِ الْخَلاءِ

١٠ ـ «[بِسْمِ اللَّهِ] اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبائِثِ»(٣).

٧ ـ دُعَاءُ الْخُرُوجِ مِنَ الْخَلاءِ

١١ ـ «غُفْرَانَكَ»(٤).

٨ ـ الذِّكْرُ قَبْلَ الْوُضُوءِ

١٢ ـ «بِسْمِ اللَّهِ»(٥).

٩ ـ الذِّكْرُ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْوُضُوءِ

١٣ ـ «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا

---

(١) ابن ماجه، ٢/١١٧٨، برقم ٣٥٥٨، والبغوي، ١٢/٤١، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢/٢٧٥.

(٢) الترمذي، ٢/٥٠٥، برقم ٦٠٦، وغيره، وانظر: إرواء الغليل، برقم ٥٠، وصحيح الجامع، ٣/٢٠٣.

(٣) أخرجه البخاري، ١/٤٥، برقم ١٤٢، ومسلم، ١/٢٨٣، برقم ٣٧٥، وزيادة: «**بسم اللَّه**» في أوله أخرجها سعيد بن منصور. انظر فتح الباري ١/٢٤٤.

(٤) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي فأخرجه في عمل اليوم والليلة، برقم ٧٩، وأبو داود، برقم ٣٠، والترمذي، برقم ٧، وابن ماجه، برقم ٣٠٠، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/١٩.

(٥) أبو داود، برقم ١٠١، وابن ماجه، برقم ٣٩٧، وأحمد، برقم ٩٤١٨، وانظر إرواء الغليل ١/١٢٢.

عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»[(١)].

١٤ ـ «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ»[(٢)].

١٥ ـ «سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتوبُ إِلَيْكَ»[(٣)].

١٠ ـ الذِّكْرُ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَنْزِلِ

١٦ ـ «بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[(٤)].

١٧ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»[(٥)].

١١ ـ الذِّكْرُ عِنْدَ دُخُولِ المَنْزِلِ

١٨ ـ «بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا، وَعَلَىٰ اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَىٰ أَهْلِهِ»[(٦)].

---

(١) مسلم، ١/٢٠٩، برقم ٢٣٤.

(٢) الترمذي، ١/٧٨، برقم ٥٥، وانظر: صحيح الترمذي، ١/١٨.

(٣) النسائي في عمل اليوم والليلة، ص١٧٣، وانظر: إرواء الغليل ١/١٣٥، و٣/٩٤.

(٤) أبو داود، ٤/٣٢٥، برقم ٥٠٩٥، والترمذي، ٥/٤٩٠، برقم ٣٤٢٦، وانظر: صحيح الترمذي ٣/١٥١.

(٥) أهل السنن: أبو داود، برقم ٥٠٩٤، والترمذي، برقم ٣٤٢٧، والنسائي، برقم ٥٥٠١، وابن ماجه، برقم ٣٨٨٤، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/ ١٥٢، وصحيح ابن ماجه، ٢/٣٣٦.

(٦) أخرجه أبو داود، ٤/٣٢٥، ٥٠٩٦، وحسَّن إسناده العلامة ابن باز في «تحفة الأخيار»، ص٢٨، وفي الصحيح: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر اللَّهَ عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم، ولا عشاء**»، مسلم، =

١٢ ـ دُعَاءُ الذَّهَابِ إِلَى الْمَسْجِدِ

١٩ ـ «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَمِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَمِنْ خَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورًا، وَأَعْظِمْ لِي نُورًا، وَعَظِّمْ لِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا، وَاجْعَلْنِي نُورًا، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي عَصَبِي نُورًا، وَفِي لَحْمِي نُورًا، وَفِي دَمِي نُورًا، وَفِي شَعْرِي نُورًا، وَفِي بَشَرِي نُورًا»(١).

«[اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَبْرِي... وَنُورًا فِي عِظَامِي]»(٢) [«وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا»](٣) [«وَهَبْ لِي نُورًا عَلَىٰ نُورٍ»](٤).

١٣ ـ دُعَاءُ دُخُولِ المَسْجِدِ

٢٠ ـ «يَبْدَأُ بِرِجْلِهِ الْيُمْنَىٰ»(٥)، وَيَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ العَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ

= برقم ٢٠١٨.

(١) انظر جميع هذه الألفاظ في البخاري، ١١/١١٦، برقم ٦٣١٦، ومسلم، ١/٥٢٦، و٥٢٩، و٥٣٠، برقم ٧٦٣.

(٢) الترمذي، ٥/٤٨٣، برقم ٣٤١٩.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٩٥، ص٢٥٨ وصحح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٣٦.

(٤) ذكره ابن حجر في فتح الباري، وعزاه إلىٰ ابن أبي عاصم في كتاب الدعاء، انظر الفتح ١١/١١٨، وقال: فاجتمع من اختلاف الروايات خمس وعشرون خصلة.

(٥) لقول أنس بن مالك رضي الله عنه: «من السنة إذ دخلت المسجد أن تَبدأ برجلك اليمنىٰ، وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرىٰ»، أخرجه الحاكم، ١/ ٢١٨، وصححه علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي، =

الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»[(١)] [بِسْمِ اللَّهِ، وَالصَّلَاةُ][(٢)] [وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ][(٣)] «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»[(٤)].

١٤ ـ دُعَاءُ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ

٢١ ـ «يَبْدَأُ بِرِجْلِهِ الْيُسْرَىٰ»[(٥)]، وَيَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِك، اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»[(٦)].

١٥ ـ أذكَارُ الأذَانِ

٢٢ ـ يَقُولُ مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ، إِلَّا فِي «حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ وَحَيَّ عَلَىٰ الْفَلَاحِ»؛ فَيقُولُ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[(٧)].

= ٢/٤٤٢، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/٦٢٤، برقم ٢٤٧٨.

(١) أبو داود، برقم ٤٦٦، وانظر: صحيح الجامع، برقم ٤٥٩١.

(٢) رواه ابن السني، برقم ٨٨، وحسنه الألباني في الثمر المستطاب، ص ٦٠٧.

(٣) أبو داود، ١/١٢٦، برقم ٤٦٥، وانظر: صحيح الجامع، ١/٥٢٨.

(٤) مسلم، ١/٤٩٤، برقم ٧١٣، وفي سنن ابن ماجه من حديث فاطمة رضي الله عنها: «**اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك**»، وصححه الألباني لشواهده. انظر: صحيح ابن ماجه، ١/١٢٨ ١٢٩.

(٥) الحاكم، ١/٢١٨، والبيهقي، ٢/٤٤٢، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/٦٢٤، برقم ٢٤٧٨، وتقدم تخريجه.

(٦) انظر تخريج روايات الحديث السابق في دعاء دخول المسجد، رقم (٢٠) وزيادة: «**اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم**» لابن ماجه. انظر: صحيح ابن ماجه، ١/١٢٩.

(٧) البخاري، ١/١٥٢، برقم ٦١١، ورقم ٦١٣، ومسلم، ١/٢٨٨، برقم ٣٨٣.

٢٣ ـ يَقُولُ: «وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا»(١)، «يَقُولُ ذلك عَقِبَ تَشَهُّدِ الْمُؤَذِّنِ»(٢).

٢٤ ـ «يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ إِجَابَةِ الْمُؤَذِّنِ»(٣).

٢٥ ـ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ هذه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، [إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ]»(٤).

٢٦ ـ «يَدْعُو لِنَفسِهِ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ فَإِنَّ الدُّعَاءَ حِينَئِذٍ لَا يُرَدُّ»(٥).

١٦ ـ دُعَاءُ الاسْتِفْتَاحِ

٢٧ ـ «اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ، بِالثَّلْجِ وَالْماءِ وَالْبَرَدِ»(٦).

---

(١) مسلم، ١/ ٢٩٠، برقم ٣٨٦.
(٢) ابن خزيمة، ١/ ٢٢٠.
(٣) مسلم، ١/ ٢٨٨، برقم ٣٨٤.
(٤) البخاري، ١/ ١٥٢، برقم ٦١٤، وما بين المعقوفين للبيهقي، ١/ ٤١٠، وحسَّن إسناده العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في «تحفة الأخيار»، ص٣٨.
(٥) الترمذي، برقم ٣٥٩٤، ورقم ٣٥٩٥، وأبو داود، برقم ٥٢٥، وأحمد، برقم ١٢٢٠٠، وانظر: إرواء الغليل، ١/ ٢٦٢.
(٦) البخاري، ١/ ١٨١، برقم ٧٤٤، ومسلم، ١/ ٤١٩، برقم ٥٩٨.

٢٨ ـ «سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ، وَلَا إِلٰهَ غَيْرُكَ»[(١)].

٢٩ ـ «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذلك أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ المَلِكُ لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلَّا أَنْتَ. وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الأَخْلاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِها إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتوبُ إِلَيْكَ»[(٢)].

٣٠ ـ «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيْكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السماوات وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[(٣)].

٣١ ـ «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» ثَلاثًا، «أَعُوذُ بِاللَّه مِنَ الشَّيْطَانِ: مِنْ نَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ،

---

(١) مسلم، برقم ٣٩٩، وأصحاب السنن الأربعة: أبو داود، برقم ٧٧٥، والترمذي، برقم ٢٤٣، وابن ماجه، برقم ٨٠٦، والنسائي، برقم ٨٩٩، وانظر: صحيح الترمذي، ١/٧٧، وصحيح ابن ماجه، ١/١٣٥.

(٢) أخرجه مسلم، ١/٥٣٤، برقم ٧٧١.

(٣) أخرجه مسلم، ١/٥٣٤، برقم ٧٧٠.



وَهَمْزِهِ[(١)]»[(٢)].

٣٢ ـ «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ[(٣)]، أَنْتَ نُورُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السماوات وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، [وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ] [وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَاواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ] [وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَاواتِ وَالأَرْضِ] [وَلَكَ الْحَمْدُ] [أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسّاعَةُ حَقٌّ]، [اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبكَ خاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حاكَمْتُ. فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ] [وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي]؛ [أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ]، [أَنْتَ إِلٰهي لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ] [وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ]»[(٤)].

---

(١) الهَمز: الجنون.

(٢) أخرجه أبو داود، ١/٢٠٣، برقم ٧٦٤، وابن ماجه، ١/٢٦٥، برقم، ٨٠٧، وأحمد، ٤/٨٥، برقم ١٦٧٣٩، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند: «حسن لغيره»، وقال عبد القادر الأرناؤوط في تخريجه للكلم الطيب لابن تيمية، برقم ٧٨: «وهو حديث صحيح بشواهده»، وذكره الألباني في صحيح الكلم الطيب، برقم ٦٢، وأخرجه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه بنحوه، وفيه قصة، ١/٤٢٠، برقم ٦٠١.

(٣) كان النبي ﷺ يقوله إذا قام من الليل يتهجد.

(٤) البخاري مع الفتح، ٣/٣، و١١/١١٦، و١٣/٣٧١، ٤٢٣، ٤٦٥،، برقم ١١٢٠، ورقم ٦٣١٧، ورقم ٧٣٨٥، ورقم ٧٤٤٢، ورقم ٧٤٩٩، ومسلم مختصرًا بنحوه، ١/٥٣٢، برقم ٧٦٩.

١٧ ـ دُعَاءُ الرُّكُوعِ

٣٣ ـ «سُبْحانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ». ثلاث مرَّاتٍ[(١)].

٣٤ ـ «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»[(٢)].

٣٥ ـ «سُبُّوحٌ، قُدُّوسٌ، رَبُّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»[(٣)].

٣٦ ـ «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي، [وَمَا استَقَلَّتْ بِهِ قَدَمِي]»[(٤)].

٣٧ ـ «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ، وَالْمَلَكُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ، وَالْعَظَمَةِ»[(٥)].

١٨ ـ دُعَاءُ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ

٣٨ ـ «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»[(٦)].

٣٩ ـ «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبارَكًا فِيهِ»[(٧)].

---

(١) أخرجه أهل السنن، وأحمد: أبو داود، برقم ٨٧٠، والترمذي، برقم ٢٦٢، والنسائي، برقم ١٠٠٧، وابن ماجه، برقم ٨٩٧، وأحمد، برقم، ٣٥١٤، وانظر: صحيح الترمذي، ١/٨٣.

(٢) البخاري، ١/٩٩، برقم، ٧٩٤، ومسلم، ١/٣٥٠، برقم ٤٨٤.

(٣) مسلم، ١/٣٥٣، برقم ٤٨٧، وأبو داود، ١/٢٣٠، برقم ٨٧٢.

(٤) مسلم، ١/٥٣٤، برقم ٧٧١، والأربعة إلا ابن ماجه: أبو داود، برقم ٧٦٠، ورقم ٧٦١، والترمذي، برقم ٣٤٢١، والنسائي، برقم ١٠٤٩، وما بين المعقوفين لفظ ابن خزيمة، برقم ٦٠٧، وابن حبان، برقم ١٩٠١.

(٥) أبو داود، ١/٢٣٠، برقم ٨٧٣، والنسائي، برقم ١١٣١، وأحمد، برقم ٢٣٩٨٠، وإسناده حسن.

(٦) البخاري مع الفتح، ٢/٢٨٢، برقم ٧٩٦.

(٧) البخاري مع الفتح، ٢/٢٨٤، برقم ٧٩٦.

٤٠ ـ «مِلْءَ السماوات وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيءٍ بَعْدُ. أَهلَ الثَّناءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ. اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»(١).

١٩ ـ دُعَاءُ السُّجُودِ

٤١ ـ «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ» ثلاث مرَّاتٍ(٢).

٤٢ ـ «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»(٣).

٤٣ ـ «سُبوحٌ، قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»(٤).

٤٤ ـ «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِيَ لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسنُ الْخَالِقِينَ»(٥).

٤٥ ـ «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ، وَالْمَلَكُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ، وَالْعَظَمَةِ»(٦).

---

(١) مسلم، ١/٣٤٦، برقم ٤٧٧.

(٢) أخرجه أهل السنن، وأحمد: أبو داود، برقم ٨٧٠، والترمذي، برقم ٢٦٢، والنسائي، برقم ١٠٠٧، وابن ماجه، برقم ٨٩٧، وأحمد، برقم، ٣٥١٤، وانظر: صحيح الترمذي، ١/٨٣.

(٣) البخاري، برقم، ٧٩٤، ومسلم، برقم ٤٨٤، وتقدم برقم ٣٤.

(٤) مسلم، ١/٥٣٣، برقم ٤٨٧، وأبو داود، برقم ٨٧٢، وتقدم برقم ٣٥.

(٥) مسلم، ١/٥٣٤، برقم ٧٧١، وغيره.

(٦) أبو داود، ١/٢٣٠، برقم ٨٧٣، والنسائي، برقم ١١٣١، وأحمد، برقم ٢٣٩٨٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/١٦٦، وتقدم تخريجه برقم ٣٧.

٤٦ ـ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ: دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَّتَهُ وَسِرَّهُ»[(١)].

٤٧ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ»[(٢)].

٢٠ ـ دُعَاءُ الْجِلْسَةِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ

٤٨ ـ «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»[(٣)].

٤٩ ـ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَاجْبُرْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي، وَارْفَعْنِي»[(٤)].

٢١ ـ دُعَاءُ سُجُودِ التِّلَاوَةِ

٥٠ ـ «سَجَدَ وَجْهِيَ لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾»[(٥)].

٥١ ـ «اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا

---

(١) مسلم، ١/٢٣٠، برقم ٤٨٣.
(٢) مسلم، ١/٣٥٢، برقم ٤٨٦.
(٣) أبو داود، ١/٢٣١، برقم ٨٧٤، وابن ماجه، برقم ٨٩٧، وانظر: صحيح ابن ماجه، ١/١٤٨.
(٤) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي: أبو داود، ١/٢٣١، برقم ٨٥٠، والترمذي، برقم ٢٨٤، و٢٨٥، وابن ماجه، برقم ٨٩٨، وانظر: صحيح الترمذي، ١/٩٠، وصحيح ابن ماجه، ١/١٤٨.
(٥) الترمذي، ٢/٤٧٤، برقم ٣٤٢٥، وأحمد، ٦/٣٠، برقم ٢٤٠٢٢، والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، ١/٢٢٠ والزيادة له، والآية رقم ١٤ من سورة المؤمنون.



لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ»[(١)].

٢٢ ـ التَّشَهُّدُ

٥٢ ـ «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ. أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسولُهُ»[(٢)].

٢٣ ـ الصَّلاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ التَّشَهُّدِ

٥٣ ـ «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[(٣)].

٥٤ ـ «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ. وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ. إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[(٤)].

٢٤ ـ الدُّعَاءُ بَعْدَ التَّشَهُّدِ الأخِيرِ قَبْلَ السَّلَامِ

٥٥ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ

---

(١) الترمذي، ٢/٤٧٣، برقم ٥٧٩، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/٢١٩.
(٢) البخاري مع الفتح، ٢/٣١١، برقم ٨٣١، ومسلم، ١/٣٠١، برقم ٤٠٢.
(٣) البخاري مع الفتح، ٦/٤٠٨، برقم ٣٣٧٠، ومسلم، برقم ٤٠٦.
(٤) البخاري مع الفتح، ٦/٤٠٧، برقم ٣٣٦٩، ومسلم، ١/٣٠٦، برقم ٤٠٧، واللفظ له.

فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»[(١)].

٥٦ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ»[(٢)].

٥٧ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغفورُ الرَّحِيمُ»[(٣)].

٥٨ ـ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ»[(٤)].

٥٩ ـ «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبادَتِكَ»[(٥)].

٦٠ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأعوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ»[(٦)].

---

(١) البخاري، ٢/١٠٢، برقم ١٣٧٧، ومسلم، ١/٤١٢، برقم ٥٨٨، واللفظ لمسلم.

(٢) البخاري، ١/٢٠٢، برقم ٨٣٢، ومسلم، ١/٤١٢، برقم ٥٨٧.

(٣) البخاري، ٨/١٦٨، برقم ٨٣٤، ومسلم، ٤/٢٠٧٨، برقم ٢٧٠٥.

(٤) مسلم، ١/٥٣٤، برقم ٧٧١.

(٥) أبو داود، ٢/٨٦، برقم، ١٥٢٢، والنسائي، ٣/٥٣، برقم، ٢٣٠٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/٢٨٤.

(٦) البخاري مع الفتح، ٦/٣٥، برقم ٢٨٢٢، ورقم ٦٣٩٠.



٦١ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»(١).

٦٢ ـ «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَىٰ الْخَلقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْغِنَىٰ وَالْفَقْرِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقائِكَ فِي غَيرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»(٢).

٦٣ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ـ يَا اللَّهُ ـ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ، وَلَمْ يَكنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»(٣).

٦٤ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَاواتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»(٤).

---

(١) أبو داود، برقم ٧٩٢، وابن ماجه، برقم ٩١٠، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢/٣٢٨.

(٢) النسائي، ٣/٥٤، ٥٥، برقم ١٣٠٤، وأحمد، ٤/٣٦٤، برقم، ٢١٦٦٦، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/٢٨١.

(٣) أخرجه النسائي، ٣/٥٢، برقم ١٣٠٠ بلفظه، وأحمد، ٤/٣٣٨، برقم ١٨٩٧٤، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/٢٨٠.

(٤) رواه أهل السنن: أبو داود، برقم ١٤٩٥، والترمذي، برقم ٣٥٤٤، وابن ماجه، برقم ٣٨٥٨، والنسائي، برقم ١٢٩٩، وانظر: صحيح ابن =

٦٥ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»(١).

٢٥ ـ الأَذْكَارُ بَعْدَ السَّلامِ مِنَ الصَّلاةِ

٦٦ ـ «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ (ثَلَاثًا) اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»(٢).

٦٧ ـ «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [ثلاثًا]، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»(٣).

٦٨ ـ «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ»(٤).

٦٩ ـ «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ (ثلاثًا وثلاثين) لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

= ماجه، ٢/٣٢٩.

(١) أبو داود، ٢/٦٢، برقم ١٤٩٣، والترمذي، ٥/٥١٥، برقم ٣٤٧٥، وابن ماجه، ٢/١٢٦٧، برقم ٣٨٥٧، والنسائي، برقم ١٣٠٠ بلفظه، وأحمد، برقم ١٨٩٧٤، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/٢٨٠، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢/٣٢٩، وصحيح الترمذي، ٣/١٦٣.

(٢) مسلم، ١/٤١٤، رقم ٥٩١.

(٣) البخاري، ١/٢٥٥، برقم ٨٤٤، ومسلم، ١/٤١٤، برقم ٥٩٣، وما بين المعقوفين زيادة من البخاري، برقم ٦٤٧٣.

(٤) مسلم، ١/٤١٥ برقم ٥٩٤.

شَيْءٍ قَدِيرٌ»[(١)].

٧٠ - ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾ بَعْدَ كُلِّ صَلاَةٍ[(٢)].

٧١ - ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ عَقِبَ كلِّ صَلاَةٍ[(٣)].

٧٢ - «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» عَشْرَ مَرَّاتٍ بَعْدَ صَلاةِ الْمَغْرِبِ

---

(١) مسلم، ٤١٨/١، برقم ٥٩٧، وفيه: «من قال ذلك دبر كل صلاة غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

(٢) أبو داود، ٨٦/٢، برقم ١٥٢٣، والترمذي، برقم ٢٩٠٣، والنسائي، ٣/ ٦٨، برقم ١٣٣٥، وانظر: صحيح الترمذي، ٨/٢. والسور الثلاث يقال لها: «المعوذات». انظر: فتح الباري، ٦٢/٩.

(٣) «من قرأها دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت». النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ١٠٠، وابن السني، برقم، ١٢١، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٣٣٩/٥، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦٩٧/٢، برقم ٩٧٢، والآية رقم ٢٥٥ من سورة البقرة.

وَالصُّبْحِ[(١)].

٧٣ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا». بَعْدَ السَّلامِ مِنْ صَلَاةِ الفَجْرِ[(٢)].

٢٦ ـ دُعَاءُ صَلاةِ الاسْتِخَارَةِ

٧٤ ـ قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما: كَانَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الْاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذا الأَمْرَ ـ وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ ـ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ـ أَوْ قَالَ: عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ـ، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ـ أَوْ قَالَ: عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ـ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ»[(٣)].

وَمَا نَدِمَ مَنِ اسْتَخَارَ الْخَالِقَ، وَشَاوَرَ الْمَخْلُوقِينَ الْمُؤْمِنِينَ وَتَثَبَّتَ فِي أَمْرِهِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى

(١) رواه الترمذي، ٥/٥١٥، برقم ٣٤٧٤، وأحمد، ٤/٢٢٧، برقم ١٧٩٩٠، وانظر تخريجه في: زاد المعاد ١/٣٠٠.
(٢) ابن ماجه، برقم ٩٢٥، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ١٠٢، وانظر: صحيح ابن ماجه، ١/١٥٢، ومجمع الزوائد ١٠/١١١، وسيأتي برقم ٩٥.
(٣) البخاري، ٧/١٦٢، برقم ١١٦٢.

ٱللَّهِۚ﴾[(١)].

٢٧ ـ أَذْكَارُ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ[(٢)].

٧٥ ـ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[(٣)].

٧٦ ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) عن أنس يرفعه: «**لأن أقعد مع قوم يذكرون اللَّه تعالىٰ من صلاة الغداة حتىٰ تطلع الشمس أحبُّ إليَّ من أن أُعتق أربعةً من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون اللَّه من صلاة العصر إلىٰ أن تغرب الشمس أحبُّ إليَّ من أن أعتق أربعة**». أبو داود، برقم ٣٦٦٧، وحسنه الألباني، في صحيح أبي داود، ٢/٦٩٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥. «**من قالها حين يصبح أُجير من الجن حتىٰ يمسي، ومن قالها حين يمسي أُجير منهم حتىٰ يصبح**» أخرجه الحاكم، ١/٥٦٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/٢٧٣، وعزاه إلىٰ النسائي، والطبراني، وقال: «إسناد الطبراني جيد».

ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ (ثلاثَ مرَّاتٍ)[(١)].

٧٧ ـ «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ[(٢)]، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هذا الْيَوْمِ وَخَيرَ مَا بَعْدَهُ[(٣)]، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هذا الْيَوْمِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ»[(٤)].

٧٨ ـ «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا[(٥)]، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»[(٦)].

٧٩ ـ «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ[(٧)] لَكَ

---

(١) من قالها ثلاث مرات حين يصبح وحين يمسي كفته من كل شيء. أخرجه أبو داود، ٤/٣٢٢، برقم ٥٠٨٢، والترمذي، ٥/٥٦٧، برقم ٣٥٧٥، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/١٨٢.

(٢) وإذا أمسىٰ قال: أمسينا وأمسىٰ الملك للَّه.

(٣) وإذا أمسىٰ قال: «**رب أسألك خير ما في هذه الليلة، وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة، وشر ما بعدها**».

(٤) مسلم، ٤/٢٠٨٨، برقم ٢٧٢٣.

(٥) وإذا أمسىٰ قال: «**اللَّهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير**».

(٦) الترمذي، ٥/٤٦٦، برقم ٣٣٩١، وانظر: صحيح الترمذي ٣/١٤٢.

(٧) أقر وأعترف.

بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلَّا أَنْتَ»[(١)].

٨٠ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ[(٢)] أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلَائِكَتِكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ» (أربعَ مَرَّاتٍ)[(٣)].

٨١ ـ «اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي[(٤)] مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ»[(٥)].

٨٢ ـ «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالفَقْرِ،

---

(١) «من قالها موقنًا بها حين يمسي، فمات من ليلته دخل الجنة»، وكذلك إذا أصبح. أخرجه البخاري، ٧/١٥٠، برقم ٦٣٠٦.

(٢) وإذا أمسىٰ قال: «اللَّهم إني أمسيت».

(٣) «من قالها حين يصبح، أو يمسي أربع مرات، أعتقه اللَّه من النار». أخرجه أبو داود، ٤/٣١٧، برقم ٥٠٧١، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ١٢٠١، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٩، وابن السني، برقم ٧٠، وحسَّن سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ إسناد النسائي، وأبي داود، في تحفة الأخيار، ص٢٣.

(٤) وإذا أمسىٰ قال: «اللَّهم ما أمسىٰ بي...».

(٥) «من قالها حين يصبح فقد أدَّىٰ شكر يومه، ومن قالها حين يمسي فقد أدَّىٰ شكر ليلته» أخرجه أبو داود، ٤/٣١٨، برقم ٥٠٧٥، والنسائي في «عمل اليوم والليلة»، برقم ٧، وابن السني، برقم ٤١، وابن حبان، «موارد» برقم ٢٣٦١، وحسَّن ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ إسناده في تحفة الأخيار، ص٢٤.

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ» (ثلاث مرَّاتٍ)[(١)].

٨٣ ـ «حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» (سَبْعَ مَرَّاتٍ)[(٢)].

٨٤ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي، وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَينِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[(٣)].

٨٥ ـ «اللَّهُمَّ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاطِرَ السماوات وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرَكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَىٰ نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَىٰ مُسْلِمٍ»[(٤)].

---

(١) أبو داود، ٣٢٤/٤، برقم ٥٠٩٢، وأحمد، ٤٢/٥، برقم ٢٠٤٣٠، والنسائي في «عمل اليوم والليلة»، برقم ٢٢، وابن السني، برقم ٦٩، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ٧٠١، وحسَّن العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ إسناده في تحفة الأخيار، ص٢٦.

(٢) **«من قالها حين يصبح وحين يمسي سبع مرات كفاه اللَّه ما أهمَّه من أمر الدنيا والآخرة»**. أخرجه ابن السني، برقم ٧١ مرفوعًا، وأبو داود موقوفًا، ٣٢١/٤، برقم ٥٠٨١، وصحَّح إسناده شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط. انظر: زاد المعاد ٣٧٦/٢.

(٣) أبو داود، برقم ٥٠٧٤، وابن ماجه، برقم ٣٨٧١، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٣٣٢/٢.

(٤) الترمذي، برقم ٣٣٩٢، وأبو داود، برقم ٥٠٦٧. وانظر: صحيح الترمذي، ١٤٢/٣.



٨٦ ـ «بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (ثلاثَ مرَّاتٍ)[(١)].

٨٧ ـ «رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا» (ثلاثَ مرَّاتٍ)[(٢)].

٨٨ ـ «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ أَصْلِحْ لِي شَأْنِيَ كُلَّهُ وَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»[(٣)].

٨٩ ـ «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[(٤)]، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هذا الْيَوْمِ[(٥)]: فَتْحَهُ، وَنَصْرَهُ، وَنورَهُ، وَبَرَكَتَهُ، وَهُدَاهُ، وَأَعُوذُ بِكَ

---

(١) «من قالها ثلاثًا إذا أصبح، وثلاثًا إذا أمسىٰ لم يضره شيء». أخرجه أبو داود، ٤/٣٢٣، برقم، ٥٠٨٨، والترمذي، ٥/٤٦٥، برقم ٣٣٨٨، وابن ماجه، برقم ٣٨٦٩، وأحمد، برقم ٤٤٦. وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٣٢، وحسَّن إسناده العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تحفة الأخيار، ص٣٩.

(٢) «من قالها ثلاثًا حين يصبح وثلاثًا حين يمسي، كان حقًّا علىٰ اللَّه أن يرضيه يوم القيامة». أحمد، ٤/٣٣٧، برقم ١٨٩٦٧، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٤، وابن السني، برقم ٦٨، وأبو داود، ٤/٣١٨، برقم ١٥٣١، والترمذي، ٥/٤٦٥، برقم، ٣٣٨٩، وحسَّنه ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تحفة الأخيار ص٣٩.

(٣) الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ١/٥٤٥، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب، ١/٢٧٣.

(٤) وإذا أمسىٰ قال: «أمسينا وأمسىٰ الملك للَّه ربِّ العالمين».

(٥) وإذا أمسىٰ قال: «اللَّهم إني أسألك خير هذه الليلة: فتحها، ونصرها، ونورها، وبركتها، وهداها، وأعوذ بك من شر ما فيها، وشر ما بعدها».

مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ»[(١)].

٩٠ - «أَصْبَحْنا عَلَىٰ فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ[(٢)]، وَعَلَىٰ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَىٰ دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَىٰ مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ، حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»[(٣)].

٩١ - «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» (مئة مرَّةٍ)[(٤)].

٩٢ - «لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (عشرَ مرَّات)[(٥)]، أَوْ (مرَّةً واحدةً عندَ الكَسَلِ)[(٦)].

٩٣ - «لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ

---

(١) أبو داود، ٤/٣٢٢، برقم ٥٠٨٤، وحسَّن إسناده شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيق زاد المعاد، ٢/٣٧٣.

(٢) وإذا أمسىٰ قال: «**أمسينا علىٰ فطرة الإسلام**».

(٣) أحمد، ٣/٤٠٦، و٤٠٧، برقم ١٥٣٦٠، ورقم ١٥٥٦٣، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٣٤، وانظر: صحيح الجامع، ٤/٢٠٩.

(٤) «**من قالها مئة مرة حين يصبح وحين يمسي لم يأتِ أحدٌ يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه**». مسلم، ٤/ ٢٠٧١ برقم ٢٦٩٢.

(٥) النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٢٤، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب، ١/٢٧٢، وتحفة الأخيار لابن باز رحمه الله، ص٤٤، وانظر فضلها في: ص١٤٦، حديث، رقم ٢٥٥.

(٦) أبو داود، برقم ٥٠٧٧، وابن ماجه، برقم ٣٧٩٨، وأحمد، برقم ٨٧١٩، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب، ١/٢٧٠، وصحيح أبي داود، ٣/ ٩٥٧، وصحيح ابن ماجه، ٢/٣٣١، وزاد المعاد، ٢/٣٧٧.



وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (مئة مرَّةٍ إذا أصبحَ)[(١)].

٩٤ ـ «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ: عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» (ثلاثَ مرَّاتٍ إذا أصبحَ)[(٢)].

٩٥ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا» (إذا أصبحَ)[(٣)].

٩٦ ـ «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» (مِائَةَ مَرَّةٍ فِي الْيَوْمِ)[(٤)].

٩٧ ـ «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» (ثلاثَ مرَّاتٍ إذا أمسىٰ)[(٥)].

---

(١) «من قالها مئة مرة في يوم كانت له عدل عشر رقاب، وكُتِبَ له مئة حسنة، ومُحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتىٰ يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك». البخاري، ٤/٩٥، برقم ٣٢٩٣، ومسلم، ٤/٢٠٧١، برقم ٢٦٩١.

(٢) مسلم، ٤/٢٠٩٠، برقم ٢٧٢٦.

(٣) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٥٤، وابن ماجه، برقم ٩٢٥، وحسَّن إسناده عبدالقادر وشعيب الأرناؤوط في تحقيق زاد المعاد، ٢/٣٧٥، وتقدم برقم ٧٣.

(٤) البخاري مع الفتح، ١١/١٠١، برقم ٦٣٠٧، ومسلم، ٢٠٧٥/، برقم ٢٧٠٢.

(٥) «من قالها حين يمسي ثلاث مرات لم تضرَّه حُمَة تلك الليلة»، أخرجه أحمد، ٢/٢٩٠، برقم ٧٨٩٨، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٥٩٠، وابن السني، برقم ٦٨، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/١٨٧، وصحيح ابن ماجه، ٢/٢٦٦، وتحفة الأخيار لابن باز، ص٤٥.

٩٨ ـ «اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ» (عشرَ مرَّاتٍ)[(١)].

٢٨ ـ أَذْكَارُ النَّوْمِ

٩٩ ـ «يَجْمَعُ كَفَّيْهِ ثُمَّ يَنْفُثُ فِيهِمَا فَيَقْرَأُ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾. ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَىٰ رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ». (يفعلُ ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ)[(٢)].

١٠٠ ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾[(٣)].

١٠١ ـ ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ

---

(١) «من صلَّىٰ عليَّ حين يصبح عشرًا، وحين يمسي عشرًا، أدركته شفاعتي يوم القيامة» أخرجه الطبراني بإسنادين: أحدهما جيد، انظر: مجمع الزوائد، ١٠/١٢٠، وصحيح الترغيب والترهيب، ١/٢٧٣.

(٢) البخاري مع الفتح، ٩/٦٢، برقم ٥٠١٧، ومسلم، برقم ٢١٩٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥، «من قرأها إذا أوىٰ إلىٰ فراشه فإنه لن يزال عليه من اللَّه حافظ ولا يقربه شيطان حتىٰ يصبح»، البخاري مع الفتح، ٤/٤٨٧، برقم ٢٣١١.

وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾(١).

١٠٢ ـ «بِاسْمِكَ(٢) رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِن أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا، بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»(٣).

١٠٣ ـ «اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ»(٤).

١٠٤ ـ «اللَّهُمَّ قِنِي(٥) عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ»(٦).

---

(١) «من قرأهما في ليلة كفتاه»، البخاري مع الفتح، ٩٤/٩، برقم ٤٠٠٨، ومسلم، ٥٥٤/١، برقم ٨٠٧، والآيتان من سورة البقرة، ٢٨٥ ٢٨٦.

(٢) «إذا قام أحدكم من فراشه ثم رجع إليه فلينفضه بصَنِفَةِ إزاره ثلاث مرات، وليُسمِّ اللَّه؛ فإنه لا يدري ما خلفه عليه بعده، وإذا اضطجع فليقل: ...» الحديث، [ومعنىٰ: بصَنِفة إزاره: طَرَفه مِمَّا يَلِي طُرَّته]. النهاية في غريب الحديث والأثر (صنف).

(٣) البخاري مع الفتح، ١٢٦/١١، برقم ٦٣٢٠. ومسلم، ٢٠٨٤/٤، برقم ٢٧١٤.

(٤) أخرجه مسلم، ٢٠٨٣/٤، برقم ٢٧١٢، وأحمد بلفظه، ٧٩/٢، برقم ٥٥٠٢.

(٥) «كان ﷺ إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنىٰ تحت خدِّه، ثم يقول: ...» الحديث.

(٦) أبو داود بلفظه، ٣١١/٤، برقم ٥٠٤٥، والترمذي، برقم ٣٣٩٨، وانظر: =

١٠٥ ـ «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا»[(١)].

١٠٦ ـ «سُبْحَانَ اللَّهِ (ثلاثًا وثلاثِينَ) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ (ثلاثًا وثلاثين) وَاللَّهُ أَكْبَرُ (أربعًا وثلاثينَ)»[(٢)].

١٠٧ ـ «اللَّهُمَّ رَبَّ السماوات السَّبْعِ وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيس بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»[(٣)].

١٠٨ ـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا، وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ»[(٤)].

١٠٩ ـ «اللَّهُمَّ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَىٰ نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَىٰ

= صحيح الترمذي، ٣/١٤٣، وصحيح أبي داود، ٣/٢٤٠.

(١) البخاري مع الفتح، ١١/١١٣، برقم ٦٣٢٤، ومسلم، ٤/٢٠٨٣، برقم ٢٧١١.

(٢) «من قال ذلك عندما يأوي إلىٰ فراشه كان خيرًا له من خادم». البخاري مع الفتح، ٧/٧١، برقم ٣٧٠٥، ومسلم، ٤/٢٠٩١، برقم ٢٧٢٦.

(٣) مسلم، ٤/٢٠٨٤، برقم ٢٧١٣.

(٤) مسلم، ٤/٢٠٨٥، برقم ٢٧١٥.



مُسْلِمٍ»[(١)].

١١٠ ـ «يَقْرَأُ ﴿الٓمٓ﴾ تَنْزِيلَ السَّجْدَةِ، وَتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ»[(٢)].

١١١ ـ «اللَّهُمَّ[(٣)] أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»[(٤)].

٢٩ ـ الدُّعَاءُ إِذَا تَقَلَّبَ لَيْلاً

١١٢ ـ «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السماوات وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ»[(٥)].

٣٠ ـ دُعَاءُ الْفَزَعِ فِي النَّوْمِ وَمَنْ بُلِيَ بِالْوَحْشَةِ

١١٣ ـ «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ،

---

(١) أبو داود، ٤/٣١٧، برقم ٥٠٦٧، والترمذي، برقم ٣٦٢٩، وانظر: صحيح الترمذي ٣/١٤٢.

(٢) الترمذي، برقم ٣٤٠٤، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٧٠٧، وانظر: صحيح الجامع ٤/٢٥٥.

(٣) «**إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع علىٰ شقك الأيمن، ثم قل**: ...» الحديث.

(٤) قال ﷺ لمن قال ذلك: «**فإن مُتَّ مُتَّ علىٰ الفطرة**». البخاري مع الفتح، ١١/١١٣، برقم ٦٣١٣، ومسلم، ٤، ٢٠٨١، برقم ٢٧١٠.

(٥) يقول ذلك إذا تقلب من جنب إلىٰ جنب في الليل. أخرجه الحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، ١/٥٤٠، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٢٠٢، وابن السني، برقم ٧٥٧، وانظر: صحيح الجامع ٤/٢١٣.

وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ»[(١)].

٣١ ـ مَا يَفْعَلُ مَنْ رَأَى الرُّؤْيَا أَوِ الْحُلْمَ

١١٤ ـ «يَنْفُثُ عَنْ يَسَارِهِ» (ثلاثًا)[(٢)].

«يَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ وَمِنْ شَرِّ مَا رَأَىٰ» (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)[(٣)].

«لَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا»[(٤)].

«يَتَحَوَّلُ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ»[(٥)].

١١٥ ـ «يَقُومُ يُصَلِّي إِنْ أَرَادَ ذلك»[(٦)].

٣٢ ـ دُعَاءُ قُنُوتِ الْوِتْرِ

١١٦ ـ «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ؛ فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْكَ[(٧)]، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، [وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ]، تَبَارَكْتَ ـ رَبَّنَا ـ وَتَعَالَيْتَ»[(٨)].

---

(١) أبو داود، ٤/١٢، برقم ٣٨٩٣، والترمذي، برقم ٣٥٢٨، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/١٧١.
(٢) مسلم، ٤/١٧٧٢، برقم ٢٢٦١.
(٣) مسلم، ٤/١٧٧٢، ١٧٧٣، برقم ٢٢٦١، ورقم ٢٢٦٢.
(٤) مسلم، ٤/١٧٧٢، برقم ٢٢٦١، ورقم ٢٢٦٣.
(٥) مسلم، ٤/١٧٧٣، برقم ٢٢٦١.
(٦) مسلم، ٤/١٧٧٣، برقم ٢٢٦٣.
(٧) أي: تحكم بما تريد، ولا يحكم أحدٌ عليك. [ط]
(٨) أخرجه أصحاب السنن الأربعة، وأحمد، والدارمي، والبيهقي: أبو داود، برقم ١٤٢٥، والترمذي، برقم ٤٦٤، والنسائي، برقم ١٧٤٤، وابن =

١١٧ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ»(١).

١١٨ ـ «اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَىٰ وَنَحْفِدُ(٢)، نَرْجُو رَحْمَتَكَ، وَنَخْشَىٰ عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ بِالكَافِرِينَ مُلْحِقٌ(٣). اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ، وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنُؤْمِنُ بِكَ، وَنَخْضَعُ لَكَ، وَنَخْلَعُ مَنْ يَكْفرُكَ»(٤).

٣٣ ـ الذِّكْرُ عَقِبَ السَّلامِ مِنَ الْوِتْرِ

١١٩ ـ «سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ»، ثلاثَ مرَّاتٍ والثَّالِثَةُ يَجْهَرُ بها

= ماجه، برقم ١١٧٨، وأحمد، برقم ١٧١٨، والدارمي، برقم ١٥٩٢، والحاكم، ١٧٢/٣، والبيهقي، ٢٠٩/٢، وما بين المعقوفين للبيهقي، وانظر: صحيح الترمذي، ١٤٤/١، وصحيح ابن ماجه، ١٩٤/١، وإرواء الغليل للألباني، ١٧٢/٢.

(١) أخرجه أصحاب السنن الأربعة، وأحمد: أبو داود، برقم ١٤٢٧، والترمذي، برقم ٣٥٦٦، والنسائي، برقم ١٧٤٦، وابن ماجه، برقم ١١٧٩، وأحمد، برقم ٧٥١. انظر: صحيح الترمذي، ١٨٠/٣، وصحيح ابن ماجه، ١٩٤/١، والإرواء، ١٧٥/٢.

(٢) **نَحفد**: نُسرع. [ط]

(٣) بكسر الحاء أو فتحها. انظر: «المجالسة» للدينوري (٥٣/٤). [ط]

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ، وصحَّح إسناده، ٢١١/٢، وقال الشيخ الألباني في إرواء الغليل: وهذا إسناد صحيح»، ١٧٠/٢. وهو موقوف علىٰ عمر.

ويَمُدُّ بها صوتَهُ يقولُ: [رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ]»[(١)].

٣٤ ـ دُعَاءُ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ

١٢٠ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي»[(٢)].

١٢١ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ[(٣)] وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»[(٤)].

٣٥ ـ دُعَاءُ الْكَرْبِ

١٢٢ ـ «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»[(٥)].

---

(١) رواه النسائي، ٣/٢٤٤، برقم ١٧٣٤، والدارقطني، ٢/٣١، وغيرهما، وما بين المعقوفين زيادة للدارقطني ٢/٣١، برقم ٢، وإسناده صحيح، انظر: زاد المعاد بتحقيق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، ١/٣٣٧.

(٢) أحمد، ١/٣٩١، برقم ٣٧١٢، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/٣٣٧.

(٣) أي: ثُقلُه وشدته. [ط]

(٤) البخاري، ٧/١٥٨، برقم: ٢٨٩٣، كان الرسول ﷺ يكثر من هذا الدعاء. انظر: البخاري مع الفتح، ١١/١٧٣، وسيأتي ص ٨٩، برقم ١٣٧.

(٥) البخاري، ٧/١٥٤، برقم ٦٣٤٥، ومسلم، ٤/٢٠٩٢، برقم ٢٧٣٠.

١٢٣ ـ «اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ»[١].

١٢٤ ـ «لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»[٢].

١٢٥ ـ «اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[٣].

٣٦ ـ دُعَاءُ لِقَاءِ الْعَدُوِّ وَذِي السُّلْطَانِ

١٢٦ ـ «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِم، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ»[٤].

١٢٧ ـ «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي، وَأَنْتَ نَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ»[٥].

١٢٨ ـ «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»[٦].

٣٧ ـ دُعَاءُ مَنْ خَافَ ظُلْمَ السُّلْطَانِ

١٢٩ ـ «اللَّهُمَّ ربَّ السَّمَاواتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيم، كُنْ لِي جَارًا مِنْ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، وَأَحْزَابِهِ مِنْ خَلَائِقِكَ، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ

---

(١) أبو داود، ٤/٣٢٤، برقم ٥٠٩٠، وأحمد، ٥/٤٢، برقم ٢٠٤٣٠، وحسّنه الألباني في صحيح أبي داود، ٣/٩٥٩.

(٢) الترمذي، ٥/٥٢٩، برقم ٣٥٠٥، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٥٠٥، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/١٦٨.

(٣) أخرجه أبو داود، ٢/٨٧، برقم ١٥٢٥، وابن ماجه، برقم ٣٨٨٢، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢/٣٣٥.

(٤) أبو داود، ٢/٨٩، برقم ١٥٣٧، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، ٢/ ١٤٢.

(٥) أبو داود، ٣/٤٢، برقم ٢٦٣٢، والترمذي، ٥/٥٧٢، برقم ٣٥٨٤، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/١٨٣.

(٦) البخاري، ٥/١٧٢، برقم ٤٥٦٣.

أَوْ يَطْغَىٰ، عَزَّ جَارُكَ[١]، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ»[٢].

١٣٠ ـ «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَعَزُّ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعًا، اللَّهُ أَعَزُّ مِمَّا أَخَافُ وَأَحْذَرُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، الْمُمْسِكِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ أَنْ يَقَعْنَ عَلَىٰ الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، مِنْ شَرِّ عَبْدِكَ فُلَانٍ، وَجُنُودِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ، مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، اللَّهُمَّ كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّهِمْ، جَلَّ ثَنَاؤُكَ وَعَزَّ جَارُكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَلَا إِلٰهَ غَيْرُكَ» (ثلاثَ مرَّاتٍ)[٣].

٣٨ ـ الدُّعَاءُ عَلَى الْعَدُوِّ

١٣١ ـ «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ»[٤].

٣٩ ـ مَا يَقُولُ مَنْ خَافَ قَوْمًا

١٣٢ ـ «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ»[٥].

٤٠ ـ دُعَاءُ مَنْ أَصَابَهُ وَسْوَسَةٌ فِي الإِيمَانِ

١٣٣ ـ «يَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ»[٦].

---

(١) أي: عزَّ وعلا من كان في حمايتك. [ط]

(٢) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٧٠٧، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٥.

(٣) البخاري في الأدب المفرد برقم ٧٠٨، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٦.

(٤) مسلم، ١٣٦٢/٣، برقم ١٧٤٢.

(٥) مسلم، ٢٣٠٠/٤، برقم ٣٠٠٥.

(٦) البخاري مع الفتح، ٣٣٦/٦، برقم ٣٢٧٦، ومسلم، ١٢٠/١، برقم ١٣٤.

«يَنْتَهِي عَمَّا وَسْوَسَ فِيهِ»[(١)].

١٣٤ ـ «يَقُولُ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ»[(٢)].

١٣٥ ـ «يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾»[(٣)].

٤١ ـ دُعَاءُ قَضَاءِ الدَّيْنِ

١٣٦ ـ «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»[(٤)].

١٣٧ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»[(٥)].

٤٢ ـ دُعَاءُ الوَسْوَسَةِ فِي الصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ

١٣٨ ـ «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ، وَاتْفُلْ عَلَىٰ يَسَارِكَ (ثلاثًا)»[(٦)].

٤٣ ـ دُعَاءُ مَنِ اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ أَمْرٌ

١٣٩ ـ «اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ إِذَا شِئْتَ

---

(١) البخاري مع الفتح، ٦/٣٣٦، برقم ٣٢٧٦، ومسلم، ١/١٢٠، برقم ١٣٤.
(٢) مسلم، ١/١١٩ ١٢٠، برقم ١٣٤.
(٣) سورة الحديد، الآية: ٣. أبو داود، ٤/٣٢٩، برقم ٥١١٠، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٣/٩٦٢.
(٤) الترمذي، ٥/٥٦٠، برقم ٣٥٦٣، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/١٨٠.
(٥) البخاري، ٧/١٥٨، برقم ٢٨٩٣، وتقدم ص ٨٣، برقم ١٢١.
(٦) مسلم، ٤/١٧٢٩، برقم ٢٢٠٣، من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، وفيه: «ففعلت ذلك، فأذهبه اللَّه عني».

سَهْلًا»[(١)].

٤٤ ـ مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا

١٤٠ ـ «مَا مِنْ عَبْدٍ يُذنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ»[(٢)].

٤٥ ـ دُعَاءُ طَرْدِ الشَّيطَانِ وَوَسَاوِسِهِ

١٤١ ـ «الْاسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنْهُ»[(٣)].

١٤٢ ـ «الْأَذَانُ»[(٤)].

١٤٣ ـ «الْأَذْكَارُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»[(٥)].

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، برقم ٢٤٢٧ (موارد)، وابن السني، برقم ٣٥١، وقال الحافظ: «هذا حديث صحيح»، وصححه عبدالقادر الأرناؤوط في تخريج الأذكار للنووي، ص١٠٦.

(٢) أبو داود، ٢/٨٦، برقم ١٥٢١، والترمذي، ٢/٢٥٧، برقم ٤٠٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/٢٨٣.

(٣) أبو داود، ١/٢٠٣، برقم، وابن ماجه، ١/٢٦٥، برقم ٨٠٧، وتقدم تخريجه برقم ٣١، وانظر: سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧ ٩٨.

(٤) مسلم، ١/٢٩١، برقم ٣٨٩، والبخاري، ١/١٥١، برقم ٦٠٨.

(٥) **«لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة»**، رواه مسلم، ١/٥٣٩، برقم ٧٨٠، ومما يطرد الشيطان أذكار الصباح والمساء، والنوم والاستيقاظ، وأذكار دخول المنزل والخروج منه، وأذكار دخول المسجد والخروج منه... وغير ذلك من الأذكار المشروعة، مثل: قراءة آية الكرسي عند النوم، والآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، ومن قال: لا إلٰهَ إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير مئة مرة، كانت =

٤٦ ـ الدُّعَاءُ حِينَمَا يَقَعُ مَا لا يَرْضَاهُ أَوْ غُلِبَ عَلَى أَمْرِهِ

١٤٤ ـ «قَدَرُ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»[(١)].

٤٧ ـ تَهْنِئَةُ المَوْلُودِ لَهُ وَجَوابُهُ

١٤٥ ـ «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ لَكَ، وَشَكَرْتَ الْوَاهِبَ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ، وَرُزِقْتَ بِرَّهُ»[(٢)]. وَيَرُدُّ عَلَيْهِ الْمُهَنَّأُ فَيَقُولُ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، وَرَزَقَكَ اللَّهُ مِثْلَهُ، وَأَجْزَلَ ثَوَابَكَ»[(٣)].

٤٨ ـ مَا يُعوَّذُ بِهِ الأوْلادُ

١٤٦ ـ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَينَ رضي الله عنهما: «**أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**»[(٤)].

= له حرزًا من الشيطان يومه كله، وكذا الأذان يطرد الشيطان.

(١) «**المؤمن القوي خير وأحبُّ إلىٰ اللَّه من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن باللَّهِ ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدَرُ اللَّه وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان**». مسلم، ٤/٢٠٥٢، برقم ٢٦٦٤.

(٢) ذُكِرَ من كلام الحسن البصري. انظر: تحفة المودود لابن القيم، ص ٢٠، وعزاه لابن المنذر في الأوسط.

(٣) قاله النووي في الأذكار، ص٣٤٩، وانظر: صحيح الأذكار للنووي، لسليم الهلالي، ٢/٧١٣، وتمام التخريج في الذكر والدعاء والعلاج بالرقىٰ للمؤلف، ١/٤١٦.

(٤) البخاري، ٤/١١٩، برقم ٣٣٧١، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

٤٩ ـ الدُّعَاءُ لِلْمَرِيضِ فِي عِيَادَتِهِ

١٤٧ ـ «لَا بَأْسَ؛ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»[(١)].

١٤٨ ـ «أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ» (سبع مرات)[(٢)].

٥٠ ـ فَضْلُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ

١٤٩ ـ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ مَشَىٰ فِي خِرَافَةِ الْجَنَّةِ[(٣)] حَتَّىٰ يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ كَانَ غُدْوَةً صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَإِنْ كَانَ مَسَاءً صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُصْبِحَ»[(٤)].

٥١ ـ دُعَاءُ الْمَرِيضِ الَّذِي يَئِسَ مِنْ حَيَاتِهِ

١٥٠ ـ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ»[(٥)].

---

(١) البخاري مع الفتح، ١٠/١١٨، برقم ٣٦١٦.

(٢) «ما من عبد مسلم يعود مريضًا لم يحضر أجله فيقول سبع مرات...» الحديث، إلَّا عوفي. أخرجه الترمذي، برقم ٢٠٨٣، وأبو داود، برقم ٣١٠٦، وانظر: صحيح الترمذي، ٢/٢١٠، وصحيح الجامع، ٥/١٨٠.
تنبيه: هذا الدعاء للمريض وأمثاله لا يقال بصورةٍ جماعية ـ كما يفعل بعضهم ـ، فلا يدعو واحدٌ ويؤمن الباقون؛ بل كلٌّ يدعو في سرِّه علىٰ حدة؛ لأن هذه هي السُّنة الثابتة عنه ﷺ. أما الجماعية فهي صفةٌ مبتدعةٌ لم تثبت. [ط]

(٣) **خرافة الجنة**: قطف ثمارها. [ط]

(٤) رواه الترمذي، برقم ٩٦٩، وابن ماجه، برقم ١٤٤٢، وأحمد، برقم ٩٧٥، وانظر: صحيح ابن ماجه، ١/٢٤٤ وصحيح الترمذي، ١/٢٨٦، وصححه أيضًا أحمد شاكر.

(٥) البخاري، ٧/١٠، برقم ٤٤٣٥، ومسلم، ٤/١٨٩٣، برقم ٢٤٤٤.

١٥١ ـ «جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»(١).

١٥٢ ـ «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»(٢).

٥٢ ـ تَلْقِينُ المُحْتَضَرِ

١٥٣ ـ «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٣).

٥٣ ـ دُعَاءُ مَن أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ

١٥٤ ـ «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا»(٤).

٥٤ ـ الدُّعَاءُ عِنْدَ إِغْمَاضِ المَيِّتِ

١٥٥ ـ «اللَّهُمَّ اغفِرْ لِفُلَانٍ (بِاسْمِهِ)، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ»(٥).

٥٥ ـ الدُّعَاءُ لِلمَيِّتِ فِي الصَّلاةِ عَلَيْهِ

١٥٦ ـ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ، وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ،

---

(١) البخاري مع الفتح، ٨/١٤٤، برقم ٤٤٤٩، وفي الحديث ذكر السواك.
(٢) أخرجه الترمذي، برقم ٣٤٣٠، وابن ماجه، برقم ٣٧٩٤، وصححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي، ٣/١٥٢، وصحيح ابن ماجه، ٢/٣١٧.
(٣) أبو داود، ٣/١٩٠، برقم ٣١١٦، وانظر: صحيح الجامع، ٥/٤٣٢.
(٤) مسلم، ٢/٦٣٢، برقم ٩١٨.
(٥) مسلم، ٢/٦٣٤، برقم ٩٢٠.

وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ [وَعَذَابِ النَّارِ]»[(١)].

١٥٧ ـ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا. اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَىٰ الإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَىٰ الإِيمَانِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ»[(٢)].

١٥٨ ـ «اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ، وَحَبْلِ جِوَارِكَ[(٣)]، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ، فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ»[(٤)].

١٥٩ ـ «اللَّهُمَّ عَبْدُكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، احْتَاجَ إِلَىٰ رَحْمَتِكَ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِهِ، إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَزِدْ فِي حَسَنَاتِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ»[(٥)].

٥٦ ـ الدُّعَاءُ لِلْفَرَطِ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ

١٦٠ ـ «اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»[(٦)].

---

(١) مسلم، ٢/٦٦٣، برقم ٩٦٣.

(٢) أبو داود، برقم ٣٢٠١، والترمذي، برقم ١٠٢٤، والنسائي، برقم ١٩٨٥، وابن ماجه، ١/٤٨٠، برقم ١٤٩٨، وأحمد، ٢/٣٦٨، برقم ٨٨٠٩، وانظر: صحيح ابن ماجه، ١/٢٥١.

(٣) أي: في حمايتك وحفظك. [ط]

(٤) أخرجه ابن ماجه، برقم ١٤٩٩، انظر: صحيح ابن ماجه، ١/٢٥١، ورواه أبو داود، ٣/٢١١، برقم ٣٢٠٢.

(٥) أخرجه الحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، ١/٣٥٩، وانظر: أحكام الجنائز للألباني، ص١٢٥.

(٦) قال سعيد بن المسيب: «صلَّيتُ وراء أبي هريرة علىٰ صبيٍّ لم يعمل =



وإن قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ فَرَطًا وَذُخْرًا لِوَالِدَيْهِ، وَشَفِيعًا مُجَابًا، اللَّهُمَّ ثَقِّلْ بِهِ مَوَازِينَهُمَا، وَأَعْظِمْ بِهِ أُجورَهُمَا، وَأَلْحِقْهُ بِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاجْعَلْهُ فِي كَفَالَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَقِهِ بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ الْجَحِيمِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَسْلَافِنَا، وَأَفْرَاطِنَا، وَمَنْ سَبَقَنَا بِالْإِيمَانِ» فَحَسَنٌ[(١)].

١٦١ ـ «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لنَا فَرَطًا، وَسَلَفًا، وَأَجْرًا»[(٢)].

٥٧ ـ دُعَاءُ التَّعْزِيَةِ

١٦٢ ـ «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَىٰ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّىٰ. فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»[(٣)].

وَإِنْ قَالَ: «أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ، وَأَحْسَنَ عَزَاءَكَ، وَغَفَرَ لِمَيِّتِكَ» فَحَسَنٌ[(٤)].

= خطيئة قَطُّ، فسمعته يقول...» الحديث. أخرجه مالك في الموطأ، ١/ ٢٨٨، وابن أبي شيبة في المصنف، ٣/٢١٧، والبيهقي، ٤/٩، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لشرح السنة للبغوي، ٥/٣٥٧.

(١) انظر: المغني لابن قدامة، ٣/٤١٦، والدروس المهمة لعامة الأمة، للشيخ عبدالعزيز بن عبداللَّه بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ص١٥.

(٢) كان الحسن يقرأ علىٰ الطفل بفاتحة الكتاب، ويقول... الحديث. أخرجه البغوي في شرح السنة، ٥/٣٥٧، وعبدالرزاق برقم ٦٥٨٨، وعلقه البخاري في كتاب الجنائز، ٦٥ باب قراءة فاتحة الكتاب علىٰ الجنازة، ٢/١١٣، قبل الحديث رقم ١٣٣٥.

(٣) البخاري، ٢/٨٠، برقم ١٢٨٤، ومسلم، ٢/٦٣٦، برقم ٩٢٣.

(٤) الأذكار للنووي، ص١٢٦.

٥٨ ـ الدُّعَاءُ عِنْدَ إِدْخَالِ الميِّتِ الْقَبْرَ

١٦٣ ـ «بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَىٰ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ»[(١)].

٥٩ ـ الدُّعَاءُ بَعْدَ دَفْنِ المَيِّتِ

١٦٤ ـ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ»[(٢)].

٦٠ ـ دُعَاءُ زِيَارَةِ الْقُبُورِ

١٦٥ ـ «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، [وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتأْخِرِينَ] أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ»[(٣)].

٦١ ـ دُعَاءُ الرِّيحِ

١٦٦ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا»[(٤)].

١٦٧ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ

---

(١) أبو داود، ٣/٣١٤، برقم ٣٢١٥، بسند صحيح، وأحمد، برقم ٥٢٣٤، ورقم ٤٨١٢ بلفظ: «بسم اللَّه، وعلىٰ ملَّة رسول اللَّه»، وسنده صحيح.

(٢) كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، وقال: «استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت؛ فإنه الآن يُسأل». أبو داود، ٣/٣١٥، برقم ٣٢٢٣، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي ١/٣٧٠.

(٣) مسلم، ٢/٦٧١، برقم ٩٧٥، وابن ماجه، ١/٤٩٤، واللفظ له، برقم ١٥٤٧ عن بريدة رضي الله عنه، وما بين المعقوفين من حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم، ٢/٦٧١، برقم ٩٧٥.

(٤) أخرجه أبو داود، ٤/٣٢٦، برقم ٥٠٩٩، وابن ماجه، ٢/١٢٢٨، برقم ٣٧٢٧، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢/٣٠٥.

بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»(١).

٦٢ ـ دُعَاءُ الرَّعْدِ

١٦٨ ـ «سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ»(٢).

٦٣ ـ مِنْ أَدْعِيَةِ الاسْتِسْقَاءِ

١٦٩ ـ «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا مَرِيعًا(٣)، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ»(٤).

١٧٠ ـ «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا»(٥).

١٧١ ـ «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ، وَبَهَائِمَكَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَحْيِي بَلَدَكَ الْمَيِّتَ»(٦).

٦٤ ـ الدُّعَاءُ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ

١٧٢ ـ «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا»(٧).

---

(١) مسلم، واللفظ له، ٢/٦٦٦، برقم ٨٩٩، والبخاري، ٤/٧٦ برقم ٣٢٠٦، ورقم ٤٨٢٩.

(٢) كان عبداللَّه بن الزبير ﵄ إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال:... الحديث، الموطأ، ٢/٩٩٢، وقال الألباني في صحيح الكلم الطيب، ١٥٧: «صحيح الإسناد موقوفًا».

(٣) **مريئًا**: محمود العاقبة. **مريعًا**: كثير الخير والبركة. [ط]

(٤) أبو داود، ١/٣٠٣، برقم ١١٧١، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/٢١٦.

(٥) البخاري، ١/٢٢٤، برقم ١٠١٤، ومسلم، ٢/٦١٣، برقم ٨٩٧.

(٦) أبو داود، ١/٣٠٥، برقم ١١٧٨، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ١/٢١٨.

(٧) البخاري مع الفتح، ٢/٥١٨، برقم ١٠٣٢.

٦٥ ـ الذِّكْرُ بَعْدَ نُزُولِ الْمَطَرِ

١٧٣ ـ «مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ»[(١)].

٦٦ ـ مِنْ أَدْعِيَةِ الاسْتِصْحَاءِ

١٧٤ ـ «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَىٰ الآكَامِ وَالظِّرَابِ[(٢)]، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ»[(٣)].

٦٧ ـ دُعَاءُ رُؤيَةِ الهِلَالِ

١٧٥ ـ «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ رَبَّنَا وَتَرْضَىٰ، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ»[(٤)].

٦٨ ـ الدُّعَاءُ عِنْدَ إِفْطَارِ الصَّائِمِ

١٧٦ ـ «ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ العُرُوقُ، وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»[(٥)].

١٧٧ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي»[(٦)].

---

(١) البخاري، ١/٢٠٥، برقم ٨٤٦، ومسلم، ١/٨٣، برقم ٧١.

(٢) **الظراب**: الروابي الصغيرة. [ط]

(٣) البخاري، ١/٢٢٤، برقم ٩٣٣، ومسلم، ٢/٦١٤، برقم ٨٩٧.

(٤) الترمذي، ٥/٥٠٤، برقم ٣٤٥١، والدارمي بلفظه، ١/٣٣٦، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/١٥٧.

(٥) أخرجه أبو داود، ٢/٣٠٦، برقم ٢٣٥٩، وغيره. وانظر: صحيح الجامع، ٤/٢٠٩.

(٦) أخرجه ابن ماجه، ١/٥٥٧، برقم ١٧٥٣ من دعاء عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار. انظر: شرح الأذكار، ٤/٣٤٢.



٦٩ ـ الدُّعَاءُ قَبْلَ الطَّعَامِ

١٧٨ ـ «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ»(١).

١٧٩ ـ «مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ الطَّعَامَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَنًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ»(٢).

٧٠ ـ الدُّعَاءُ عِنْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الطَّعَامِ

١٨٠ ـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هذا، وَرَزَقَنِيهِ، مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ»(٣).

١٨١ ـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ [مَكْفِيٍّ وَلَا مُوَدَّعٍ(٤)، وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا»(٥).

٧١ ـ دُعَاءُ الضَّيْفِ لِصَاحِبِ الطَّعَامِ

١٨٢ ـ «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُم، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ»(٦).

٧٢ ـ التَّعْرِيضُ بِالدُّعَاءِ لِطَلَبِ الطَّعَامِ أَوِ الشَّرَابِ

١٨٣ ـ «اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَاسْقِ مَنْ سَقَانِي»(٧).

---

(١) أخرجه أبو داود، ٣/٣٤٧، برقم ٣٧٦٧، والترمذي، ٤/٢٨٨، برقم ١٨٥٨، وانظر: صحيح الترمذي، ٢/١٦٧.

(٢) الترمذي، ٥/٥٠٦، برقم ٣٤٥٥، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/١٥٨.

(٣) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي: أبو داود، برقم ٤٠٢٥، والترمذي، برقم ٣٤٥٨، وابن ماجه، برقم ٣٢٨٥، وانظر صحيح الترمذي، ٣/١٥٩.

(٤) **المودَّع**: المتروك الطلب منه والرغبة إليه ﷻ.

(٥) البخاري، ٦/٢١٤، برقم ٥٤٥٨، والترمذي بلفظه، ٥/٥٠٧، برقم ٣٤٥٦.

(٦) مسلم، ٣/١٦١٥، برقم ٢٠٤٢. (٧) مسلم، ٣/١٦٢٦، برقم ٢٠٥٥.

٧٣ ـ الدُّعَاءُ إِذَا أَفْطَرَ عِنْدَ أَهْلِ بَيْتٍ

١٨٤ ـ «أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ»(١).

٧٤ ـ دُعَاءُ الصَّائِمِ إِذَا حَضَرَ الطَّعَامُ وَلَمْ يُفْطِرْ

١٨٥ ـ «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ»(٢)، وَمَعْنَىٰ «فَلْيُصَلِّ»: أَيْ فَلْيَدْعُ.

٧٥ ـ مَا يَقُولُ الصَّائِمُ إِذَا سَابَّهُ أَحَدٌ

١٨٦ ـ «إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ»(٣).

٧٦ ـ الدُّعَاءُ عِنْدَ رُؤْيَةِ بَاكُورَةِ الثَّمَرِ

١٨٧ ـ «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا»(٤).

٧٧ ـ دُعَاءُ الْعُطَاسِ

١٨٨ ـ «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُم فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ

---

(١) سنن أبي داود، ٣/٣٦٧، برقم ٣٨٥٦، وابن ماجه، ١/٥٥٦، برقم ١٧٤٧، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٢٩٦ ٢٩٨، ونصَّ علىٰ أنه ﷺ يقوله إذا أفطر عند أهل بيت، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢/٧٣٠.

(٢) مسلم، ٢/١٠٥٤، برقم ١١٥٠.

(٣) البخاري مع الفتح، ٤/١٠٣، برقم ١٨٩٤، ومسلم، ٢/٨٠٦، برقم ١١٥١.

(٤) مسلم، ٢/١٠٠٠، برقم ١٣٧٣.

وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»[(١)].

٧٨ ـ مَا يُقَالُ لِلْكَافِرِ إِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ

١٨٩ ـ «يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»[(٢)].

٧٩ ـ الدُّعَاءُ لِلْمُتَزَوِّجِ

١٩٠ ـ «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ»[(٣)].

٨٠ ـ دُعاءُ الْمُتَزَوِّجِ وَشِرَاءِ الدَّابَّةِ

١٩١ ـ إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً، أَوْ إِذَا اشْتَرَىٰ خَادِمًا فَلْيَقُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَىٰ بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذلك»[(٤)].

٨١ ـ الدُّعَاءُ قَبْلَ إِتْيَانِ الزَّوْجَةِ

١٩٢ ـ «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا»[(٥)].

---

(١) البخاري، ٧/١٢٥، برقم ٥٨٧٠.
(٢) الترمذي، ٥/٨٢، برقم ٢٧٤١، وأحمد، ٤/٤٠٠، برقم ١٩٥٨٦، وأبو داود، ٤/٣٠٨، برقم ٥٠٤٠، وانظر: صحيح الترمذي، ٢/٣٥٤.
(٣) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي: أبو داود، برقم ٢١٣٠، والترمذي، برقم ١٠٩١، وابن ماجه، برقم ١٩٠٥، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٢٥٩، وانظر: صحيح الترمذي، ١/٣١٦.
(٤) أبو داود، ٢/٢٤٨، برقم ٢١٦٠، وابن ماجه، ١/٦١٧، برقم ١٩١٨، وانظر: صحيح ابن ماجه، ١/٣٢٤.
(٥) البخاري، ٦/١٤١، برقم ١٤١، ومسلم، ٢/١٠٢٨، برقم ١٤٣٤.

٨٢ ـ دُعاءُ الغَضَبِ

١٩٣ ـ «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»[(١)].

٨٣ ـ دُعاءُ مَنْ رَأى مُبْتَلَىً

١٩٤ ـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا»[(٢)].

٨٤ ـ مَا يُقَالُ فِي المَجْلِسِ

١٩٥ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄ قَالَ: كَانَ يُعَدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الوَاحِدِ مِائَةُ مَرَّةٍ منْ قَبْلِ أَنْ يَقُومَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُورُ»[(٣)].

٨٥ ـ كَفَّارَةُ المَجْلِسِ

١٩٦ ـ «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»[(٤)].

---

(١) البخاري، ٧/٩٩، برقم ٣٢٨٢، ومسلم، ٤/٢٠١٥، برقم ٢٦١٠.

(٢) الترمذي، ٥/٤٩٤، و٥/٤٩٣، برقم ٣٤٣٢، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/١٥٣.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٣٤، وابن ماجه، برقم ٣٨١٤، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/١٥٣، وصحيح ابن ماجه، ٢/٣٢١، ولفظه للترمذي.

(٤) أصحاب السنن: أبو داود، برقم ٤٨٥٨، والترمذي، برقم ٣٤٣٣، والنسائي، برقم ١٣٤٤، وانظر صحيح الترمذي ٣/١٥٣، وقد ثبت أن عائشة ﵂ قالت: «ما جلس رسول اللَّه ﷺ مجلسًا، ولا تَلا قرآنًا، ولا صلَّىٰ صلاةً إلا ختم ذلك بكلمات...» الحديث، أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٣٠٨، وأحمد، ٦/٧٧، برقم ٢٤٤٨٦، وصححه =

٨٦ ـ الدُّعَاءُ لِمَنْ قَالَ غَفَرَ اللهُ لَكَ

١٩٧ ـ «وَلَكَ»[(١)].

٨٧ ـ الدُّعَاءُ لِمَنْ صَنَعَ إِلَيْكَ مَعْرُوفًا

١٩٨ ـ «جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا»[(٢)].

٨٨ ـ مَا يَعْصِمُ اللهُ بِهِ مِنَ الدَّجَّالِ

١٩٩ ـ «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»[(٣)]، وَالاسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَتِهِ عَقِبَ التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ مِنْ كُلِّ صَلَاةٍ[(٤)].

٨٩ ـ الدُّعَاءُ لِمَنْ قَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللهِ

٢٠٠ ـ «أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ»[(٥)].

٩٠ ـ الدُّعَاءُ لِمَنْ عَرَضَ عَلَيْكَ مَالَهُ

٢٠١ ـ «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ»[(٦)].

= الدكتور فاروق حمادة في تحقيقه لعمل اليوم والليلة للنسائي، ص ٢٧٣.

(١) أحمد، ٥/٨٢، برقم ٢٠٧٧٨، والنسائي في عمل اليوم والليلة، ص ٢١٨، برقم ٤٢١، تحقيق الدكتور فاروق حمادة.

(٢) أخرجه الترمذي، برقم ٢٠٣٥، وانظر: صحيح الجامع، ٦٢٤٤ وصحيح الترمذي، ٢/٢٠٠.

(٣) مسلم، ١/٥٥٥، برقم ٨٠٩، وفي رواية: من آخر الكهف، ١/٥٥٦، برقم ٨٠٩.

(٤) انظر: حديث رقم ٥٥، وحديث ٥٦، ص ٤١ من هذا الكتاب.

(٥) أخرجه أبو داود، ٤/٣٣٣، برقم ٥١٢٥، وحسَّنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣/٩٦٥.

(٦) البخاري مع الفتح، ٤/٢٨٨، برقم ٢٠٤٩.

٩١ ـ الدُّعَاءُ لِمَنْ أَقْرَضَ عِنْدَ القَضَاءِ

٢٠٢ ـ «بارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْحَمْدُ وَالْأَدَاءُ»[(١)].

٩٢ ـ دُعَاءُ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ

٢٠٣ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»[(٢)].

٩٣ ـ الدُّعَاءُ لِمَنْ قَالَ: بَارَكَ اللهُ فِيكَ

٢٠٤ ـ «وَفِيكَ بَارَكَ اللَّهُ»[(٣)].

٩٤ ـ دُعَاءُ كَرَاهِيَةِ الطِّيرَةِ

٢٠٥ ـ «اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»[(٤)].

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، ص٣٠٠، وابن ماجه، ٢/٨٠٩، برقم ٢٤٢٤، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢/٥٥.

(٢) أحمد، ٤/٤٠٣، برقم ١٩٦٠٦، والأدب المفرد للبخاري، برقم ٧١٦، وانظر: صحيح الجامع، ٣/٢٣٣، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني، ١/١٩.

(٣) أخرجه ابن السني، ص١٣٨، برقم ٢٧٨، وانظر: الوابل الصيب لابن القيم، ص٣٠٤، تحقيق بشير محمد عيون.

(٤) أحمد، ٢/٢٢٠، برقم ٧٠٤٥، وابن السني، برقم ٢٩٢، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣/٥٤، برقم ١٠٦٥، أما الفأل فكان يعجب النبي ﷺ؛ ولهذا سمع من رجل كلمة طيبة فأعجبته فقال: «**أخذنا فألك من فيك**»، أبو داود، برقم ٣٧١٩، وأحمد، برقم ٩٠٤٠، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/٣٦٣، عند أبي الشيخ في =



٩٥ ـ دُعَاءُ الرُّكُوبِ

٢٠٦ ـ «بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ للَّهِ، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾، «الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»(١).

٩٦ ـ دُعَاءُ السَّفَرِ

٢٠٧ ـ اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾، «اللَّهُمَّ إِنّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هذا البِرَّ وَالتَّقْوَىٰ، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَىٰ، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هذا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ».

وإذا رَجَعَ قَالَهُنَّ، وَزَادَ فِيهِنَّ: «آيِبُونَ، تائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»(٢).

٩٧ ـ دُعاءُ دُخُولِ القريَةِ أَوِ البَلْدَةِ

٢٠٨ ـ «اللَّهُمَّ رَبَّ السماوات السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، أَسْأَلُكَ

= أخلاق النبي ﷺ، ص٢٧٠.

(١) أبو داود، ٣/٣٤، برقم ٢٦٠٢، والترمذي، ٥/٥٠١، برقم ٣٤٤٦، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/١٥٦، الآيتان من سورة الزخرف: ١٣، ١٤.

(٢) مسلم، ٢/٩٧٨، برقم ١٣٤٢.

خَيْرَ هذه الْقَرْيَةِ، وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ أَهْلِهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا»[١].

٩٨ ـ دُعاءُ دُخُولِ السُّوقِ

٢٠٩ ـ «لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[٢].

٩٩ ـ الدُّعَاءُ إِذَا تَعِسَ المَرْكُوبُ

٢١٠ ـ «بِسْمِ اللَّهِ»[٣].

١٠٠ ـ دُعَاءُ المُسَافِرِ لِلْمُقِيمِ

٢١١ ـ «أَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ»[٤].

١٠١ ـ دُعَاءُ المُقِيمِ لِلْمُسَافِرِ

٢١٢ ـ «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»[٥].

---

(١) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ٢/١٠٠، وابن السني، برقم ٥٢٤، وحسَّنه الحافظ في تخريج الأذكار، ٥/١٥٤، قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ورواه النسائي بإسناد حسن». انظر: تحفة الأخيار، ص٣٧.

(٢) الترمذي، برقم ٣٤٢٨، وابن ماجه، ٥/٢٩١، برقم ٣٨٦٠، والحاكم، ١/٥٣٨، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/٢١، وفي صحيح الترمذي، ٣/١٥٢.

(٣) أبو داود، ٤/٢٩٦، برقم ٤٩٨٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٣/٩٤١.

(٤) أحمد، ٢/٤٠٣، برقم ٩٢٣٠، وابن ماجه، ٢/٩٤٣، برقم ٢٨٢٥، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢/١٣٣.

(٥) أحمد، ٢/٧، برقم ٤٥٢٤، والترمذي، ٥/٤٩٩، برقم، ٣٤٤٣، وصححه =

٢١٣ ـ «زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَىٰ، وَغفَرَ ذَنْبَكَ، وَيَسَّرَ لَكَ الخَيْرَ حَيْثُ ما كُنْتَ»[١].

١٠٢ ـ التَّكبيرُ والتَّسبِيحُ في سَيْرِ السَّفرِ

٢١٤ ـ قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: «كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا»[٢].

١٠٣ ـ دُعاءُ المُسَافِرِ إِذَا أَسْحَرَ

٢١٥ ـ «سَمَّعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا[٣]، رَبَّنَا صاحِبْنَا، وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا، عَائِذًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ»[٤].

١٠٤ ـ الدُّعَاءُ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلاً فِي سَفرٍ أَوْ غَيْرِه

٢١٦ ـ «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»[٥].

١٠٥ ـ ذِكْرُ الرُّجُوعِ مِنَ السَّفَرِ

٢١٧ ـ «يُكَبِّرُ عَلَىٰ كُلِّ شَرَفٍ[٦] ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ ثُمَّ يَقُولُ: لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،

= الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٣/٤١٩.

(١) الترمذي، برقم ٣٤٤٤، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/١٥٥.

(٢) البخاري مع الفتح، ٦/١٣٥، برقم ٢٩٩٣.

(٣) **البلاء**: الإنعام. [ط]

(٤) مسلم، ٤/٢٠٨٦، برقم ٢٧١٨، ومعنىٰ سَمعَ سامِعٌ: أي شهد شاهدٌ علىٰ حمدنا للَّه تعالىٰ علىٰ نعمه، وحسن بلائه. ومعنىٰ سَمَّعَ سامِعٌ: بلَّغ سامع قولي هذا لغيره، وقال مثله تنبيهًا علىٰ الذكر في السحر والدعاء. شرح النووي علىٰ صحيح مسلم، ١٧/٣٩.

(٥) مسلم، ٤/٢٠٨٠، برقم ٢٧٠٩.

(٦) **الشرف**: المرتفع. [ط]

آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزابَ وَحْدَهُ»[١].

١٠٦ ـ مَا يَقُولُ مَنْ أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ أَوْ يَكْرَهُهُ

٢١٨ ـ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَسُرُّهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ». وَإِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَكْرَهُهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ»[٢].

١٠٧ ـ فَضْلُ الصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

٢١٩ ـ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»[٣].

٢٢٠ ـ وَقَالَ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُم تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»[٤].

٢٢١ ـ وَقَالَ ﷺ: «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[٥].

٢٢٢ ـ وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ

---

(١) كان النبي ﷺ يقوله إذا قَفَلَ من غزوٍ أو حجٍّ، البخاري، ١٦٣/٧، برقم ١٧٩٧، ومسلم، ٩٨٠/٢، برقم ١٣٤٤.

(٢) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٣٧٧، والحاكم وصححه، ٤٩٩/١، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٢٠١/٤.

(٣) أخرجه مسلم، ٢٨٨/١، برقم ٣٨٤.

(٤) أبو داود، ٢١٨/٢، برقم ٢٠٤٤، وأحمد، ٣٦٧/٢، برقم ٨٨٠٤، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٣٨٣/٢.

(٥) الترمذي، ٥٥١/٥، برقم ٣٥٤٦، وغيره، وانظر: صحيح الجامع، ٣/ ٢٥، وصحيح الترمذي، ١٧٧/٣.



أُمَّتِي السَّلَامَ»[(١)].

٢٢٣ ـ وَقَالَ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِيَ حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»[(٢)].

١٠٨ ـ إِفْشَاءُ السَّلَامِ

٢٢٤ ـ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُم عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُم، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[(٣)].

٢٢٥ ـ «ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ: الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ»[(٤)].

٢٢٦ ـ وَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرأُ السَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[(٥)].

١٠٩ ـ كَيْفَ يَرُدُّ السَّلَامَ عَلَى الْكَافِرِ إِذَا سَلَّمَ

٢٢٧ ـ «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ»[(٦)].

---

(١) النسائي، ٣/٤٣، برقم ١٢٨٢، والحاكم، ٢/٤٢١، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/٢٧٤.

(٢) أبو داود، برقم ٢٠٤١، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ١/٣٨٣.

(٣) مسلم، ١/٧٤، برقم ٥٤، وأحمد، برقم ١٤٣٠، واللفظ له، ولفظ مسلم: «لا تدخلون...».

(٤) البخاري مع الفتح، ١/٨٢،، برقم ٢٨، عن عمار رضي الله عنه موقوفًا معلقًا.

(٥) البخاري مع الفتح، ١/٥٥، برقم ١٢، ومسلم، ١/٦٥، برقم ٣٩.

(٦) البخاري مع الفتح، ١١/٤٢، برقم ٦٢٥٨، ومسلم، ٤/١٧٠٥، برقم ٢١٦٣.

١١٠ ـ الدُّعاءُ عِنْدَ سَمَاعِ صِياحِ الدِّيكِ ونَهِيقِ الْحِمَارِ

٢٢٨ ـ «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا باللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ؛ فَإِنَّهُ رَأَىٰ شَيْطَانًا»[(١)].

١١١ ـ الدُّعَاءُ عِنْدَ سَمَاعِ نُبَاحِ الْكِلاَبِ بِاللَّيْلِ

٢٢٩ ـ «إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلَابِ وَنَهِيقَ الْحَمِيرِ بِاللَّيْلِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْهُنَّ؛ فَإِنَّهُنَّ يَرَيْنَ مَا لَا تَرَوْنَ»[(٢)].

١١٢ ـ الدُّعَاءُ لِمَنْ سَبَبْتَهُ

٢٣٠ ـ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَبَبْتُهُ؛ فَاجْعَلْ ذلك لَهُ قُرْبَةً إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٣)].

١١٣ ـ مَا يَقُولُ الْمُسْلِمُ إِذَا مَدَحَ الْمُسْلِمَ

٢٣١ ـ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُم مَادِحًا صَاحِبَهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلَانًا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَىٰ اللَّهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ ـ إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ ـ كَذَا وَكَذَا»[(٤)].

---

(١) البخاري مع الفتح، ٦/٣٥٠، برقم ٣٣٠٣، ومسلم، ٤/٢٠٩٢، برقم ٢٧٢٩.

(٢) أبو داود، ٤/٣٢٧، برقم ٥١٠٥، وأحمد، ٣/٣٠٦، برقم ١٤٢٨٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٣/٩٦١.

(٣) البخاري مع الفتح، ١١/١٧١، برقم ٦٣٦١، ومسلم، ٤/٢٠٠٧، برقم ٣٩٦، ولفظه: «**فاجعلها له زكاةً ورحمةً**».

(٤) رواه مسلم، ٤/٢٢٩٦، برقم ٣٠٠٠.

١١٤ ـ مَا يَقُولُ الْمُسْلِمُ إِذَا زُكِّيَ

٢٣٢ ـ «اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ، [وَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ]»(١).

١١٥ ـ كَيْفَ يُلَبِّي الْمُحْرِمُ فِي الْحَجِّ أَوِ الْعُمْرَةِ

٢٣٣ ـ «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ، وَالنِّعْمَةَ، لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ»(٢).

١١٦ ـ التَّكْبِيرُ إِذَا أَتَى الْحَجَرَ الأَسْوَدَ

٢٣٤ ـ «طَافَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَيْتِ عَلَىٰ بَعِيرٍ؛ كُلَّمَا أَتَىٰ الرُّكْنَ أَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ عِنْدَهُ وَكَبَّرَ»(٣).

١١٧ ـ الدُّعَاءُ بَيْنَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ وَالْحَجَرِ الأَسْوَدِ

٢٣٥ ـ «﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾»(٤).

---

(١) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٧٦١، وصحح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٨٥، وما بين المعقوفين زيادة للبيهقي في شعب الإيمان، ٤/٢٢٨ من طريق آخر.

(٢) البخاري مع الفتح، ٣/٤٠٨، برقم ١٥٤٩، ومسلم، ٢/٨٤١، برقم ١١٨٤.

(٣) البخاري مع الفتح، ٣/٤٧٦، برقم ١٦١٣، والمراد بالشيء: المحجن. انظر: البخاري مع الفتح، ٣/٤٧٢.

(٤) أبو داود، ٢/١٧٩، برقم ١٨٩٤، وأحمد، ٣/٤١١، برقم ١٥٣٩٨، والبغوي في شرح السنة، ٧/١٢٨، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ٣٥٤، والآية من سورة البقرة: ٢٠١.

١١٨ ـ دُعَاءُ الْوُقُوفِ عَلَى الصَّفَا وَالمَرْوَةِ

٢٣٦ ـ لَمَّا دَنَا النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: «﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» فَبَدَأَ بِالصَّفَا؛ فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ رَأَىٰ الْبَيْتَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذلك. قَالَ مِثْلَ هذا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. الْحَدِيثُ. وَفِيهِ: «فَفَعَلَ عَلَىٰ الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَىٰ الصَّفَا»[١].

١١٩ ـ الدُّعَاءُ يَوْمَ عَرَفَةَ

٢٣٧ ـ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[٢].

١٢٠ ـ الذِّكْرُ عِنْدَ المَشْعَرِ الْحَرَامِ

٢٣٨ ـ «رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ الْقَصْوَاءَ[٣] حَتَّىٰ أَتَىٰ الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ؛ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ (فَدَعَاهُ، وَكَبَّرَهُ، وَهَلَّلَهُ، وَوَحَّدَهُ)، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّىٰ أَسْفَرَ جِدًّا فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ»[٤].

---

(١) مسلم، ٢/٨٨٨، برقم ١٢١٨، والآية من سورة البقرة، رقم ١٥٨.
(٢) الترمذي، برقم ٣٥٨٥، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٨٤، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤/٦.
(٣) ناقته ﷺ. [ط]
(٤) مسلم، ٢/٨٩١، برقم ١٢١٨.

١٢١ ـ التَّكْبِيرُ عِنْدَ رَمْيِ الْجِمَارِ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ

٢٣٩ ـ «يُكَبِّرُ كُلَّمَا رَمَىٰ بِحَصَاةٍ عِنْدَ الْجِمَارِ الثَّلَاثِ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ، ويَقِفُ يَدْعُو مُسْتَقْبِلَ الْقِبلَةِ، رَافِعًا يَدَيْهِ بَعْدَ الْجَمْرَةِ الْأُولَىٰ وَالثَّانِيَةِ. أَمَّا جَمْرَةُ الْعَقَبَةِ فَيَرْمِيهَا، وَيُكَبِّرُ عِنْدَ كُلِّ حَصَاةٍ وَيَنْصَرِفُ وَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا»(١).

١٢٢ ـ دُعَاءُ التَّعَجُّبِ وَالأَمْرِ السَّارِّ

٢٤٠ ـ «سُبْحَانَ اللَّهِ!»(٢).

٢٤١ ـ «اللَّهُ أَكْبَرُ!»(٣).

١٢٣ ـ مَا يَفْعَلُ مَنْ أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ

٢٤٢ ـ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ ـ أَوْ يُسَرُّ بِهِ ـ، خَرَّ سَاجِدًا شُكْرًا لِلَّهِ تبارك وتعالى»(٤).

١٢٤ ـ مَا يَفْعَلُ وَيَقُولُ مَنْ أَحَسَّ وَجَعًا فِي جَسَدِهِ

٢٤٣ ـ «ضَعْ يَدَكَ عَلَىٰ الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ ـ ثَلَاثًا ـ،

---

(١) البخاري مع الفتح، ٣/٥٨٣، برقم ١٧٥١، وانظر لفظه هناك. والبخاري مع الفتح، ٣/٥٨٣، و٣/٥٨٤، و٣/٥٨١، برقم ١٧٥٣، ورواه مسلم أيضًا، برقم ١٢١٨.

(٢) البخاري مع الفتح، ١/٢١٠، و٣٩٠، و٤١٤، برقم، ١١٥، ورقم ٣٥٩٩، ورقم ٦٢١٨، ومسلم، ٤/١٨٥٧، برقم ١٦٧٤.

(٣) البخاري مع الفتح، ٨/٤٤١، برقم ٤٧٤١، وبرقم ٣٠٦٢، والترمذي، برقم ٢١٨٠، والنسائي في الكبرىٰ، برقم ١١١٨٥، وانظر: صحيح الترمذي، ٢/١٠٣، و٢/٢٣٥، ومسند أحمد، ٥/٢١٨، برقم ٢١٩٠٠.

(٤) رواه أهل السنن إلا النسائي: أبو داود، برقم ٢٧٧٤، والترمذي، برقم ١٥٧٨، وابن ماجه، برقم ١٣٩٤. انظر صحيح ابن ماجه، ١/٢٣٣، وإرواء الغليل، ٢/٢٢٦.

وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»[(١)].

١٢٥ ـ دُعَاءُ مَنْ خَشِيَ أَنْ يُصِيبَ شَيْئًا بِعَيْنِهِ

٢٤٤ ـ «إِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُم مِنْ أَخِيهِ، أَوْ مِنْ نَفْسِهِ، أَوْ مِنْ مَالِهِ مَا يُعْجِبُهُ [فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ]؛ فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ»[(٢)].

١٢٦ ـ مَا يُقَالُ عِنْدَ الْفَزَعِ

٢٤٥ ـ «لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ!»[(٣)].

١٢٧ ـ مَا يَقُولُ عِنْدَ الذَّبْحِ أَوِ النَّحْرِ

٢٤٦ ـ «بِسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، [اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ] اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي»[(٤)].

١٢٨ ـ مَا يَقُولُ لِرَدِّ كَيْدِ مَرَدَةِ الشَّيَاطِينِ

٢٤٧ ـ «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ: مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَبَرَأَ وَذَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا

---

(١) مسلم، ٤/١٧٢٨، برقم ٢٢٠٢.

(٢) مسند أحمد ٤/٤٤٧، برقم ١٥٧٠٠، وابن ماجه، برقم ٣٥٠٨، ومالك، ٣/١١٨ ـ ١١٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١/٢١٢، وانظر تحقيق زاد المعاد للأرناؤوط ٤/١٧٠.

(٣) البخاري مع الفتح، ٦/٣٨١، برقم ٣٣٤٦، ومسلم، ٤/٢٢٠٨، برقم ٢٨٨٠.

(٤) مسلم، ٣/١٥٥٧، برقم ١٩٦٧، والبيهقي، ٩/٢٨٧ وما بين المعقوفين للبيهقي، ٩/٢٨٧ وغيره، والجملة الأخيرة سقتها بالمعنىٰ من رواية مسلم.

رَحْمَنُ»[(١)].

١٢٩ ـ الاستِغْفَارُ والتَّوبَةُ

٢٤٨ ـ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةٍ»[(٢)].

٢٤٩ ـ وَقَالَ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَىٰ اللَّهِ؛ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[(٣)].

٢٥٠ ـ وَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ القَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيهِ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»[(٤)].

٢٥١ ـ وَقَالَ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»[(٥)].

٢٥٢ ـ وَقَالَ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا

---

(١) أحمد، ٣/٤١٩، برقم ١٥٤٦١، بإسناد صحيح، وابن السني، برقم ٦٣٧، وصحح إسناده الأرناؤوط في تخريجه للطحاوية، ص١٣٣، وانظر: مجمع الزوائد، ١٠/١٢٧.

(٢) البخاري مع الفتح، ١١/١٠١، برقم ٦٣٠٧.

(٣) مسلم، ٤/٢٠٧٦، برقم ٢٧٠٢.

(٤) أبو داود، ٢/٨٥، برقم ١٥١٧، والترمذي، ٥/٥٦٩، برقم ٣٥٧٧، والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، ١/٥١١، وصححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي، ٣/١٨٢، وجامع الأصول لأحاديث الرسول ﷺ، ٤/ ٣٨٩ ٣٩٠ بتحقيق الأرناؤوط.

(٥) الترمذي، برقم ٣٥٧٩، والنسائي، ١/٢٧٩، برقم ٥٧٢، والحاكم، ١/ ٣٠٩، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/١٨٣، وجامع الأصول بتحقيق الأرناؤوط، ٤/١٤٤.

الدُّعَاءَ»[١].

٢٥٣ ـ وَقَالَ ﷺ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[٢].

١٣٠ ـ فَضْلُ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ

٢٥٤ ـ قَالَ ﷺ مَنْ قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[٣].

٢٥٥ ـ وَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مِرَارٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»[٤].

٢٥٦ ـ وَقَالَ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمٰنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»[٥].

---

(١) مسلم، ١/٣٥٠، برقم ٤٨٢.

(٢) أخرجه مسلم، ٤/٢٠٧٥، برقم ٢٧٠٢، قال ابن الأثير: «ليُغان علىٰ قلبي»، أي ليُغطّىٰ ويُغشىٰ، والمراد به: السهو؛ لأنه كان ﷺ لا يزال في مزيد من الذكر والقربة ودوام المراقبة، فإذا سها عن شيء منها في بعض الأوقات، أو نسي، عَدّهُ ذَنبًا علىٰ نفسه، ففزع إلىٰ الاستغفار. انظر: جامع الأصول، ٤/٣٨٦.
قلت: راجع ما ذكرتُه من أقوال أهل العلم (٣/٢٥٠). [ط]

(٣) البخاري، ٧/١٦٨، برقم ٦٤٠٥، ومسلم، ٤/٢٠٧١، برقم ٢٦٩١، وانظر: فضل من قالها مئة مرة إذا أصبح وإذا أمسىٰ، ص ٤٠٩ من هذا الكتاب.

(٤) البخاري، ٧/٦٧، برقم ٦٤٠٤، ومسلم بلفظه، ٤/٢٠٧١، برقم ٢٦٩٣، وانظر: فضل من قالها في اليوم مئة مرة: الدعاء رقم ٩٣، ص ٤١٠ من هذا الكتاب.

(٥) البخاري، ٧/١٦٨، برقم ٦٤٠٤، ومسلم، ٤/٢٠٧٢، برقم ٢٦٩٤.



٢٥٧ ـ وَقَالَ ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمسُ»(١).

٢٥٨ ـ وَقَالَ ﷺ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُم أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟». فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»(٢).

٢٥٩ ـ «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»(٣).

٢٦٠ ـ وَقَالَ ﷺ: «يَا عَبْدَاللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»؟ فَقُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُلْ لَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»(٤).

٢٦١ ـ وَقَالَ ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأتَ»(٥).

٢٦٢ ـ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلامًا أَقُولُهُ: قَالَ: «قُلْ: لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

---

(١) مسلم، ٤/٢٠٧٢، برقم ٢٦٩٥.

(٢) مسلم، ٤/٢٠٧٣، برقم ٢٦٩٨.

(٣) أخرجه، الترمذي، ٥/٥١١، برقم ٣٤٦٤، والحاكم، ١/٥٠١، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: صحيح الجامع، ٥/٥٣١، وصحيح الترمذي، ٣/١٦٠.

(٤) البخاري مع الفتح، ١١/٢١٣، برقم ٤٢٠٦، ومسلم، ٤/٢٠٧٦، برقم ٢٧٠٤.

(٥) مسلم، ٣/١٦٨٥، برقم ٢١٣٧.

الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» قَالَ: فَهؤلاء لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي»(١).

٢٦٣ ـ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبيُّ ﷺ الصَّلَاةَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بهؤلاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرِ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي»(٢).

٢٦٤ ـ «إِنَّ أَفْضَلَ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَأَفْضَلَ الذِّكْرِ لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ»(٣).

٢٦٥ ـ «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»(٤).

١٣١ ـ كَيْفَ كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُسَبِّحُ؟

٢٦٦ ـ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبيَّ ﷺ يَعْقِدُ التَّسْبِيحَ»، وفي زيادةٍ: «بِيَمِينِهِ»(٥).

---

(١) مسلم، ٤/٢٠٧٢، برقم ٢٦٩٦، وزاد أبو داود، ١/٢٢٠، برقم ٨٣٢: فلما ولَّىٰ الأعرابي قال النبي ﷺ: «**لقد ملأ يده من الخير**».

(٢) مسلم، ٤/٢٠٧٣، برقم ٣٦٩٧، وفي رواية له أيضًا: «**فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك**».

(٣) الترمذي، ٥/٤٦٢، برقم ٣٣٨٣، وابن ماجه، ٢/١٢٤٩، برقم ٣٨٠٠، والحاكم، ١/٥٠٣، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: صحيح الجامع، ١/٣٦٢.

(٤) أحمد، برقم ٥١٣، بترتيب أحمد شاكر، وانظر: مجمع الزوائد، ١/٢٩٧، وعزاه ابن حجر في «بلوغ المرام» من رواية أبي سعيد إلىٰ النسائي [في الكبرىٰ]، برقم ١٠٦١٧، وقال: صححه ابن حبان، [برقم ٨٤٠]، والحاكم [١/٥٤١].

(٥) أخرجه أبو داود بلفظه، ٢/٨١، برقم ١٥٠٢، والترمذي، ٥/٥٢١، برقم =



١٣٢ ـ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَالآدَابِ الْجَامِعَةِ

٢٦٧ ـ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ ـ أَوْ أَمْسَيْتُم ـ فَكُفُّوا صِبْيانَكُم، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيلِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الشَّيطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغلَقًا، وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُم، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ»[1].

وَصَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.



= ٣٤٨٦، وانظر: صحيح الجامع، ٤/٢٧١، برقم ٤٨٦٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/٤١١.

(١) البخاري مع الفتح، ١٠/٨٨، برقم ٥٦٢٣، ومسلم، ٣/١٥٩٥، برقم ٢٠١٢.

[٣٩]

روائع الدعاء من القرآن وسنة خاتم الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ «اللَّهم إني أسألُك بأنَّ لك الحَمدَ، لا إلٰه إلاَّ أنتَ، المَنَّانُ، بديعُ السَّماواتِ والأرض، يا ذا الجلالِ والإكرام، يا حيُّ يا قيوم».

٢ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ بأني أشهَدُ أنك أنتَ اللَّهُ ـ لا إلٰه إلاَّ أنتَ ـ، الأَحَدُ الصَّمدُ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَد، ولم يكن له كفُوًا أحدٌ».

٣ ـ «اللهمَّ صَلِّ علىٰ مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِ مُحمَّدٍ، كما صلَّيتَ علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آلِ إبراهيمَ؛ اللهمَّ بارِكْ علىٰ مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِ مُحمَّدٍ، كما باركتَ علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آلِ إبراهيمَ في العالمين».

٤ ـ ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾.

٥ ـ ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾.

٦ ـ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾.

٧ ـ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾.

٨ ـ ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾.

٩ ـ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

١٠ ـ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

١١ ـ ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾.

١٢ ـ ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ﴾ .

١٣ ـ ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ .

١٤ ـ ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ .

١٥ ـ ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .

١٦ ـ ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ .

١٧ ـ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

١٨ ـ ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ .

١٩ ـ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

٢٠ ـ ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ .

٢١ ـ ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ .

٢٢ ـ ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ .

٢٣ ـ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ .

٢٤ ـ ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ .

٢٥ ـ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ .

٢٦ ـ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ .

٢٧ ـ ﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ .

٢٨ ـ ﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾ .

٢٩ ـ ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ .

٣٠ ـ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ .

٣١ ـ ﴿ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ .

٣٢ ـ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ .

٣٣ ـ ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ۝١٩٢ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ۝١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ .

٣٤ ـ ﴿رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ .

٣٥ ـ ﴿رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ .

٣٦ ـ ﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ .

٣٧ ـ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

٣٨ ـ ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٣٩ ـ ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

٤٠ ـ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾.

٤١ ـ ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

٤٢ ـ ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

٤٣ ـ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٤٤ ـ ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

٤٥ ـ ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٤٦ ـ ﴿رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٤٧ ـ «اللَّهم إني أعوذُ بك مِنَ الجُبنِ، وأعوذُ بك أنْ أُرَدَّ إلىٰ أرذَلِ العُمُر، وأعوذُ بك مِن فتنةِ الدُّنيا، وأعوذُ بك مِن عَذابِ القَبْر».

٤٨ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من فتنةِ النار، وعذابِ النار، وفتنةِ القبر، وعذابِ القبر، وشرِّ فتنةِ الغِنَىٰ، وشرِّ فتنةِ الفقر؛ اللَّهمَّ إني أعوذُ بك مِن شرِّ فتنةِ المسيحِ الدَّجَّال؛ اللَّهمَّ اغسِلْ قلبي بماءِ الثَّلجِ والبَرَدِ، ونَقِّ قلبي مِنَ الخطايا كما نَقَّيتَ الثوبَ الأبيضَ مِنَ الدَّنَس، وباعِدْ بيني وبين خطاياي كما باعدتَ بين المَشرِقِ والمغرب؛ اللَّهمَّ إني أعوذُ بك مِنَ الكَسل والمأثَمِ والمَغرَم».

٤٩ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك منَ العَجز، والكَسل، والجُبْن، والبُخل، والهَرَم، وأعوذُ بك من عذابِ القبر، وأعوذُ بك من فتنةِ المَحيا والممات».

٥٠ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك مِن جَهْدِ البلاء، ودَرَكِ الشَّقاء، وسُوءِ القضاء، وشَماتةِ الأعداء».

٥١ ـ «اللَّهمَّ أصلِحْ لي دِيني الذي هو عِصمةُ أمري، وأصلِحْ لي دُنيايَ التي فيها معاشي، وأصلِحْ لي آخرتي التي فيها مَعادي، واجعَلِ الحياةَ زيادةً لي في كلِّ خيرٍ، واجعَلِ الموتَ راحةً لي مِن كلِّ شر».

٥٢ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ الهُدىٰ والتُّقَىٰ والعَفافَ والغِنَىٰ».

٥٣ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك منَ العَجزِ، والكَسلِ، والجُبْنِ، والبُخلِ، والهَرَمِ، وعذابِ القبرِ؛ اللَّهمَّ آتِ نفسي تقواها، وزَكِّها أنتَ خيرُ مَن زكَّاها، أنتَ وليُّها ومولاها؛ اللَّهمَّ إني أعوذُ بك مِن علمٍ لا يَنفع، ومِن قلبٍ لا يَخشع، ومِن نَفسٍ لا تَشبع، ومِن دعوةٍ لا يُستجابُ لها».

٥٤ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ الهُدَىٰ والسَّداد».

٥٥ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بِكَ مِن زوالِ نعمتِك، وتَحوُّلِ عافيتِك، وفُجاءَةِ نِقمَتِك، ومِن جميع سَخَطِكَ».

٥٦ ـ «اللَّهمَّ أكثِرْ مالي وولدِي، وبارِكْ لي فيما أعطيتَني، وأطِلْ حياتي علىٰ طاعتِكَ، وأحسِنْ عملي، واغفِرْ لي».

٥٧ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بكَ مِن شرِّ ما عَمِلتُ، ومِن شرِّ ما لم أعمَلْ».

٥٨ ـ «لا إلٰه إلَّا اللَّهُ العظيمُ الحليم، لا إلٰه إلَّا اللَّهُ ربُّ العَرشِ العَظيم، لا إلٰه إلَّا اللَّهُ ربُّ السماواتِ وربُّ الأرضِ وربُّ العَرشِ الكَريم».

٥٩ ـ «اللَّهمَّ رَحمتَكَ أرجو، فلا تَكِلني إلىٰ نفسي طَرْفةَ عَينٍ، وأصلِحْ لي شأني كُلَّه، لا إلٰه إلَّا أنتَ».

٦٠ - «اللَّهمَّ إني عبدُك، ابنُ عبدِك، ابنُ أَمَتِك، ناصِيَتي بيَدِك، ماضٍ في حُكمُك، عَدلٌ في قضاؤُك، أسألُكَ بكلِّ اسمٍ هو لك، سَمَّيتَ به نفسَكَ، أو عَلَّمتَه أحدًا مِن خَلقِك، أو أنزلتَه في كتابِكَ، أو استأثرتَ به في عِلمِ الغَيبِ عندَك: أنْ تَجعلَ القرآنَ رَبيعَ قلبي، ونُورَ صَدرِي، وجَلاءَ حُزني، وذَهابَ هَمِّي».

٦١ - «اللَّهمَّ مُصرِّفَ القُلوب، صَرِّفْ قلوبَنا علىٰ طاعتِك».

٦٢ - «يا مُقلِّبَ القُلوب، ثَبِّت قلبي علىٰ دِينِك».

٦٣ - «اللَّهمَّ إني أسألُكَ العفوَ والعافيةَ في الدُّنيا والآخِرة».

٦٤ - «اللَّهمَّ أحسِنْ عاقبتَنا في الأمورِ كلِّها، وأجِرْنا مِن خِزيِ الدنيا وعذابِ الآخرة».

٦٥ - «اللَّهمَّ إنَّا نَسألُكَ مِن خَيرِ ما سألَكَ منه نَبيُّكَ مُحمَّدٌ ﷺ، ونَعوذُ بك مِن شرِّ ما استعاذَ منه نبيُّك مُحمَّدٌ ﷺ، وأنتَ المستعان، وعليك البلاغُ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللَّه».

٦٦ - «ربِّ أعنِّي ولا تُعِنْ عليَّ، وانصُرني ولا تَنصُرْ عليَّ، وامكُرْ لي ولا تَمكُرْ عليَّ، واهدِني ويَسِّرِ الهُدىٰ إليَّ، وانصُرني علىٰ مَن بَغَىٰ عليَّ، ربِّ اجعَلني لك شَكَّارًا، لك ذَكَّارًا، لك رَهَّابًا، لك مِطواعًا، لك مُخبِتًا، إليك أوَّاهًا مُنيبًا، ربِّ تَقبَّلْ توبَتي، واغسِلْ حَوْبَتي[١]، وأجِبْ دَعوتي، وثَبِّت حُجَّتي، وسَدِّد لِساني، واهْدِ قَلبي، واسْلُلْ سَخِيمةَ صَدرِي[٢]».

٦٧ - «اللَّهمَّ إني أعوذُ بكَ مِن شرِّ سَمعي، ومِن شرِّ بصرِي، ومِن شرِّ لساني، ومِن شرِّ قلبي، ومِن شَرِّ مَنِيِّي[٣]».

---

(١) حوبتي: إثمي.

(٢) السَّخيمة: الحقد.

(٣) أراد من المني: الشهوة المتفلتة.

٦٨ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك منَ الجُنونِ، والجُذامِ، والبَرَصِ[(١)]، وسيِّئ الأسقام».

٦٩ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من مُنكراتِ الأخلاقِ والأعمالِ والأهواء والأدواء».

٧٠ ـ «اللَّهمَّ إنَّك عفُوٌّ كريمٌ تُحِبُّ العَفوَ، فاعفُ عنِّي».

٧١ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ فِعلَ الخَيْرات، وتَركَ المُنكَرات، وحُبَّ المساكين، وإذا أردتَ بعبادِكَ فتنةً فاقبِضْني إليكَ غيرَ مَفتُون. اللَّهمَّ وأسألُكَ حُبَّك، وحُبَّ مَن يُحبُّك، وحُبَّ كلِّ عَمَلٍ يُقرِّبُني إلىٰ حُبِّك».

٧٢ ـ «اللَّهمَّ اقسِمْ لنا مِن خَشيتِكَ ما تَحولُ به بينَنا وبينَ معاصِيك، ومِن طاعتِكَ ما تُبلِّغُنا به جنَّتَك، ومنَ اليقينِ ما تُهوِّنُ به علينا مُصيباتِ الدنيا، ومَتِّعنا بأسْماعِنا وأبصارِنا وقُوَّتِنا ما أحيَيْتنا، واجعَلْه الوارثَ مِنَّا، واجعَلْ ثأرَنا علىٰ مَن ظَلَمَنا، وانصُرْنا علىٰ مَن عادَانا، ولا تَجعَلْ مُصيبَتنا في دِينِنا، ولا تَجعَلِ الدُّنيا أكبرَ هَمِّنا، ولا مَبلغَ عِلمِنا، ولا تُسلِّطْ علينا مَن لا يَرحَمُنا».

٧٣ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُك منَ الخيرِ كلِّه ـ عاجِلِه وآجِلِه ـ، ما علِمتُ منه وما لم أعلَم، وأعوذُ بك منَ الشرِّ كلِّه ـ عاجِلِه وآجِلِه ـ، ما علمتُ منه وما لم أعلَم؛ اللَّهمَّ إني أسألُكَ مِن خَيرِ ما سألَكَ عبدُك ونبيُّك مُحمَّدٌ ﷺ، وأعوذُ بك مِن شرِّ ما عاذَ منه عبدُك ونبيُّك مُحمَّدٌ ﷺ؛ اللَّهمَّ إني أسألُك الجنَّةَ وما قَرَّبَ إليها مِن قولٍ أو عَمَل، وأعوذُ بك منَ النَّارِ وما قَرَّبَ إليها مِن قَولٍ أو عَمَل، وأسألُكَ أن تَجعلَ كُلَّ قَضاءٍ قضيتَه لي خيرًا».

---

(١) البَرَص: مرض جلدي معروف.

٧٤ ـ «اللَّهمَّ احفظني بالإسلام قائمًا، واحفظني بالإسلام قاعدًا، واحفظني بالإسلام راقدًا، ولا تُشمِتْ بي عدُوًّا حاسدًا؛ اللَّهمَّ إني أسألُك مِن كلِّ خيرٍ خزائنُه بيدِكَ، وأعوذُ بك مِن كلِّ شرٍّ خزائنُه بيدِكَ».

٧٥ ـ «رَبِّ اغفِرْ لي خطيئتِي وجهلي، وإسرافي في أمرِي، وما أنت أعلمُ به منِّي، اللَّهمَّ اغفِرْ لي خطئي وعمدِي، وجهلي وهَزْلي ـ وكلُّ ذلك عندي ـ، اللَّهمَّ اغفِرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلَنتُ، أنتَ المُقدِّمُ، وأنتَ المُؤخِّرُ، وأنت علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ».

٧٦ ـ «اللَّهمَّ إني ظَلمتُ نفسي ظُلمًا كثيرًا، ولا يَغفِرُ الذنوبَ إلَّا أنتَ، فاغفِرْ لي مغفرةً من عندِكَ وارْحمني، إنك أنتَ الغفورُ الرَّحيمُ».

٧٧ ـ «اللَّهمَّ لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكَّلتُ، وإليك أنَبتُ، وبك خاصمتُ، اللَّهمَّ إني أعوذُ بعزَّتِك ـ لا إلٰه إلاَّ أنتَ ـ أن تُضِلَّني، أنتَ الحَيُّ الذي لا يَموتُ، والجِنُّ والإنسُ يَموتون».

٧٨ ـ «اللَّهمَّ إنَّا نسألُكَ مُوجِباتِ رحمتِك، وعزائمَ مَغفرتِكَ، والسلامةَ مِن كلِّ إثْمٍ، والغنيمةَ مِن كُلِّ بِرٍّ، والفَوزَ بالجَنَّةِ، والنَّجاةَ منَ النار».

٧٩ ـ «اللَّهمَّ اغفِرْ لي ذنبي، ووسِّعْ لي في دارِي، وبارِكْ لي في رِزقي».

٨٠ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ مِن فضلِكَ ورحمتِك، فإنه لا يَملِكُها إلاَّ أنتَ».

٨١ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك منَ التَّرَدِّي والهَدْمِ والغَرَقِ والحَرَقِ، وأعوذُ بك أن يَتخبَّطَنِيَ الشيطانُ عند الموتِ، وأعوذُ بكَ أن أموتَ في سَبيلك مُدبِرًا، وأعوذُ بك أن أموتَ لَديغًا».

٨٢ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من العجزِ، والكَسَل، والجُبنِ، والبُخلِ،

والهَرمِ، والقَسوةِ، والغفلة، والعَيلَةِ[(١)]، والذِّلَّةِ، والمَسكَنة، وأعوذُ بك منَ الفَقر، والكُفر، والفُسوق، والشِّقاقِ، والنِّفاقِ، والسُّمعةِ، والرِّياء، وأعوذُ بك مِنَ الصَّمَمِ، والبَكَمِ، والجُنونِ، والجُذامِ، والبَرَصِ، وسَيِّئِ الأسقام».

٨٣ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من الفقرِ، والقِلَّة، والذِّلَّة، وأعوذُ بك من أنْ أَظلِمَ أو أُظلَمَ».

٨٤ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك مِن جَارِ السُّوءِ في دَارِ المُقامة[(٢)]؛ فإنَّ جارَ الباديةِ يتحوَّلُ».

٨٥ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك مِن قَلبٍ لا يَخشع، ومِن دُعاءٍ لا يُسمَع، ومِن نَفسٍ لا تشبَع، ومِن عِلمٍ لا يَنفعُ، أعوذُ بك من هؤلاء الأربع».

٨٦ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك مِن يوم السُّوء، ومِن ليلةِ السُّوء، ومِن ساعةِ السُّوء، ومن صاحبِ السُّوء، ومِن جارِ السُّوءِ في دارِ المُقامة».

٨٧ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ الجَنَّةَ، وأستجيرُ بكَ منَ النار» ـ ثلاث مرات ـ.

٨٨ ـ «اللَّهمَّ فقِّهنِي في الدِّين، وعلِّمني التأويل».

٨٩ ـ «اللَّهمَّ انفعني بما علَّمتَني، وعلِّمني ما يَنفعُنِي، وزدني عِلمًا، والحمدُ للَّه علىٰ كلِّ حال».

٩٠ ـ «اللَّهمَّ إنَّا نعوذُ بك مِن أن نُشرِكَ بكَ شيئًا نعلمُه، ونستغفرُكَ لِمَا لا نعلمُه».

٩١ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ ـ يا اللَّهُ ـ بأنَّك الواحدُ الأحدُ الصَّمدُ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَد، ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ: أن تغفِرَ لي ذُنوبي، إنك أنتَ

---

(١) العَيْلَة: الفقر.

(٢) أي: دار الإقامة التي يعيش فيها.

الغفورُ الرَّحِيم».

٩٢ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُك عِلمًا نافعًا، ورِزقًا طيِّبًا، وعملًا متقبَّلًا».

٩٣ ـ «ربِّ اغفِرْ لي وتُبْ عليَّ، إنك أنتَ التوَّابُ الغفورُ».

٩٤ ـ «اللَّهمَّ بعِلمِكَ الغيبَ، وقُدرَتِكَ علىٰ الخَلقِ، أحيِني ما عَلِمتَ الحياةَ خَيرًا لي، وتوفَّني إذا عَلِمتَ الوفاةَ خيرًا لي، اللَّهمَّ وأسألُكَ خَشيتَكَ في الغَيبِ والشهادة، وأسألُكَ كلمةَ الحَقِّ في الغَضب والرِّضا، وأسألُكَ القَصدَ في الفقرِ والغِنَىٰ، وأسألُك نعيمًا لا يَنفَدُ، وأسألُكَ قُرَّةَ عَينٍ لا تنقطعُ، وأسألُك الرِّضا بعدَ القضاء، وأسألُكَ بَردَ العَيشِ بعدَ الموت، وأسألُكَ لذَّةَ النَّظرِ إلىٰ وَجهِك، والشَّوقَ إلىٰ لقائِك، في غيرِ ضرَّاءَ مُضِرَّةٍ ولا فتنةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهمَّ زيِّنا بزينةِ الإيمان، واجعلنا هُداةً مُهتَدِين».

٩٥ ـ «اللَّهمَّ ارزُقنِي حُبَّك، وحُبَّ مَن يَنفعُنِي حُبُّه عندَك؛ اللَّهمَّ ما رزقتَنِي مما أُحِبُّ فاجعَلْه قُوَّةً لي فيما تُحِبُّ؛ اللَّهمَّ وما زَوَيتَ[(١)] عنِّي مما أُحِبُّ فاجعَلْه فراغًا لي فيما تُحِبُّ».

٩٦ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك منَ البُخلِ والجُبن، وأعوذُ بك من سُوءِ العُمر، وأعوذُ بك من فِتنةِ الصَّدر، وأعوذُ بك من عذابِ القبر».

٩٧ ـ «اللَّهمَّ ربَّ جبريلَ ومِيكائيل إسرافيل ورَبَّ مُحمَّدٍ ﷺ، أعوذُ بك مِن حَرِّ النارِ، ومِن عذابِ القبر».

٩٨ ـ «اللَّهمَّ أَلهمني رُشدِي، وأَعِذْني مِن شَرِّ نفسي».

٩٩ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ عِلمًا نافعًا، وأعوذُ بك مِن علمٍ لا ينفعُ».

---

(١) زويت: منعت وأبعدت.

١٠٠ ـ «اللَّهمَّ ربَّ السماواتِ وربَّ الأرضِ وربَّ العرشِ العظيم، ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ، فالِقَ الحَبِّ والنَّوىٰ، ومُنْزِلَ التَّوراةِ والإنجيلِ والفُرقان، أعوذُ بكَ مِن شرِّ كلِّ شيءٍ أنت آخِذٌ بناصيتِه، اللَّهمَّ أنت الأولُ فليس قَبلَكَ شيءٌ، وأنتَ الآخِرُ فليس بعدَك شيءٌ، وأنت الظاهرُ فليس فوقَكَ شيءٌ، وأنت الباطنُ فليس دُونَكَ شيءٌ، اقْضِ عنَّا الدَّينَ، وأغنِنَا منَ الفَقر».

١٠١ ـ «اللَّهمَّ أَلِّفْ بين قلوبِنا، وأصلِح ذَاتَ بينِنا، واهدِنا سُبُلَ السَّلام، ونَجِّنا مِنَ الظُّلُماتِ إلىٰ النُّور، وجَنِّبنا الفواحشَ ـ ما ظَهرَ مِنها وما بَطَن ـ، وبارِكْ لنا في أسْماعِنا وأبصارِنا وقُلوبنا وأزواجِنا وذُرِّيَّاتِنا، وتُبْ علينا إنك أنتَ التَّوَّابُ الرَّحيم، واجعَلْنا شاكرينَ لِنِعَمِكَ، مُثنِينَ بها عَليك، قابِلِينَ لها، وأَتِمَّها علينا».

١٠٢ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ خيرَ المَسألة، وخيرَ الدُّعاء، وخيرَ النَّجاح، وخيرَ العَمل، وخيرَ الثواب، وخيرَ الحَياة، وخيرَ الممات، وثَبِّتنِي، وثَقِّلْ موازيني، وحَقِّقْ إيماني، وارفَعْ درجاتي، وتَقبَّلْ صلاتي، واغفِر خطيئتي؛ وأسألُك الدرجاتِ العُلا من الجنَّةِ، آمين.

اللَّهمَّ إني أسألُك فَواتِحَ الخَيرِ، وخواتِمَه، وجوامعَه، وأوَّلَه، وآخِرَه، وظاهِرَه، وباطنَه، وأسألُكَ الدرجاتِ العُلا منَ الجَنَّة، آمين.

اللَّهمَّ إني أسألُك خيرَ ما آتي، وخيرَ ما أفعلُ، وخيرَ ما أعملُ، وخيرَ ما بَطَنَ، وخَير ما ظَهَر، وأسألُك الدرجاتِ العُلا منَ الجنَّة، آمين.

اللَّهمَّ إني أسألُكَ أن تَرفعَ ذِكري، وتَضعَ وِزرِي، وتُصلِحَ أمري، وتُطهِّرَ قلبِي، وتُحصِّنَ فَرجِي، وتُنوِّرَ لي قلبِي، وتَغفِرَ لي ذنبِي، وأسألُكَ الدرجاتِ العُلا منَ الجَنَّة، آمين.

اللَّهم إني أسألُكَ أن تُبارِكَ لي في نفسي، وفي سَمعِي، وفي بَصَري،



وفي رُوحِي، وفي خَلقِي، وفي خُلُقي، وفي أهلي، وفي مَحيايَ، وفي مماتي، وفي عملي، وتقبَّلْ حسناتي، وأسألُكَ الدرجاتِ العلا منَ الجَنَّة، آمين».

١٠٣ ـ «اللَّهمَّ جنِّبني مُنكراتِ الأخلاقِ والأهواءِ والأعمالِ والأدواء».

١٠٤ ـ «ربِّ قَنِّعني بما رزقتَني، وبارِكْ لي فيه، واخلُفْ عليَّ كلَّ غائبةٍ لي بِخَيرٍ».

١٠٥ ـ «اللَّهمَّ حاسِبْني حسابًا يسيرًا».

١٠٦ ـ «اللَّهمَّ أعِنِّي علىٰ ذِكرِكَ وشُكرِكَ وحُسنِ عبادتِكَ».

١٠٧ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ إيمانًا لا يَرتدُّ، ونعيمًا لا يَنفَد، ومُرافقة النَّبي ﷺ في أعلىٰ غُرَفِ الجَنَّة».

١٠٨ ـ «اللَّهمَّ قِنِي شرَّ نفسي، واعزِمْ لي علىٰ أرشَدِ أمرِي، اللَّهمَّ اغفِرْ لي ما أسررتُ وما أعلنتُ، وما أخطأتُ وما تعمَّدتُ، وما علِمتُ وما جَهِلتُ».

١٠٩ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك مِن غَلَبَةِ الدَّينِ، وغَلَبَةِ العدُوِّ، وشَماتةِ الأعداء».

١١٠ ـ «اللَّهمَّ اغفِرْ لي، واهدِني، وارزُقني، وعافِني، أعوذُ باللَّهِ مِن ضِيقِ المَقامِ يومَ القِيامة».

١١١ ـ «اللَّهمَّ مَتِّعني بسَمعي وبَصَرِي، واجعَلْهما الوارِثَ مِنِّي، وانصُرني علىٰ مَن ظَلَمَني، وخُذ منه بثأرِي».

١١٢ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ عِيشةً هنيَّةً، ومِيتةً سَوِيَّةً، ومَرَدًّا غيرَ مُخزٍ ولا فاضحٍ».

١١٣ ـ «اللَّهمَّ لك الحمدُ كلُّه، اللَّهمَّ لا قابِضَ لما بَسطَّتَ، ولا باسِطَ لما قَبضَّتَ، ولا هاديَ لما أضللتَ، ولا مُضِلَّ لمن هَديتَ، ولا مُعطِيَ لما

مَنعتَ، ولا مانِعَ لما أعطيتَ، ولا مُقرِّبَ لما باعدتَ، ولا مُباعدَ لما قَرَّبتَ؛ اللَّهمَّ ابسُطْ علينا مِن بركاتِكَ ورَحْمتِكَ وفضلِكَ ورِزقِكَ؛ اللَّهمَّ إني أسألُكَ النعيمَ المُقيمَ الذي لا يَحولُ ولا يَزول؛ اللَّهمَّ إني أسألُكَ النَّعيمَ يومَ العَيلَة، والأمنَ يومَ الخَوفِ؛ اللَّهمَّ إني عائذٌ بك مِن شَرِّ ما أعطيتَنا، وشرِّ ما مَنعتَ؛ اللَّهمَّ حَبِّب إلينا الإيمانَ، وزَيِّنه في قلوبنا، وكَرِّه إلينا الكُفرَ والفُسوقَ والعِصيانَ، واجعَلْنا منَ الرَّاشِدِين؛ اللَّهمَّ تَوَفَّنا مُسلِمِين، وأحيِنا مُسلِمين، وألْحِقنا بالصالحِين، غيرَ خزايَا ولا مفتونِين؛ اللَّهمَّ قاتِلِ الكَفرةَ الذين يُكذِّبُون رُسُلَك، ويَصدُّون عن سبيلِكَ، واجعلْ عليهم رِجزَكَ وعذابَكَ؛ اللَّهمَّ قاتِلِ الكفرةَ الذين أوتُوا الكتابَ إلٰهَ الحَقِّ».

١١٤ ـ «اللَّهمَّ اغفِرْ لي، وارحمني، واجبُرني، واهدِني، وارزُقني».

١١٥ ـ «اللَّهمَّ أحسنتَ خَلْقي، فأحْسِنْ خُلُقي».

١١٦ ـ «اللَّهمَّ ثَبِّتْني، واجعلْني هاديًا مَهدِيًّا».

١١٧ ـ «اللَّهمَّ زِدْنا ولا تَنقُصْنا، وأكرِمْنا ولا تُهِنَّا، وأعِطَنا ولا تَحرِمْنا، وآثِرْنا ولا تُؤثِرْ علينا، وأرضِنا وارْضَ عنَّا».

١١٨ ـ «اللَّهمَّ آتني الحِكمةَ التي مَن أُوتِيَها فقد أُوتي خيرًا كثيرًا».

١١٩ ـ «اللهمَّ إني أعوذُ بكَ منَ الهَمِّ والحَزَن، والعَجَزِ والكَسَل، والجُبنِ والبُخل، وضَلَعِ الدَّين وقَهرِ الرِّجال».

١٢٠ ـ «اللهمَّ إني أعوذُ برِضاك من سَخَطِك، وبمُعافاتِكَ مِن عُقوبتِك، وأعوذُ بك منك لا أُحصِي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ علىٰ نَفسِكَ».

١٢١ ـ «اللهمَّ إني أسألُكَ العَفوَ والعافيةَ واليَقينَ في الآخِرَةِ والأولىٰ».

١٢٢ ـ «اللهمَّ إني أسألُكَ الصَّبرَ وتَمامَ النِّعمة».

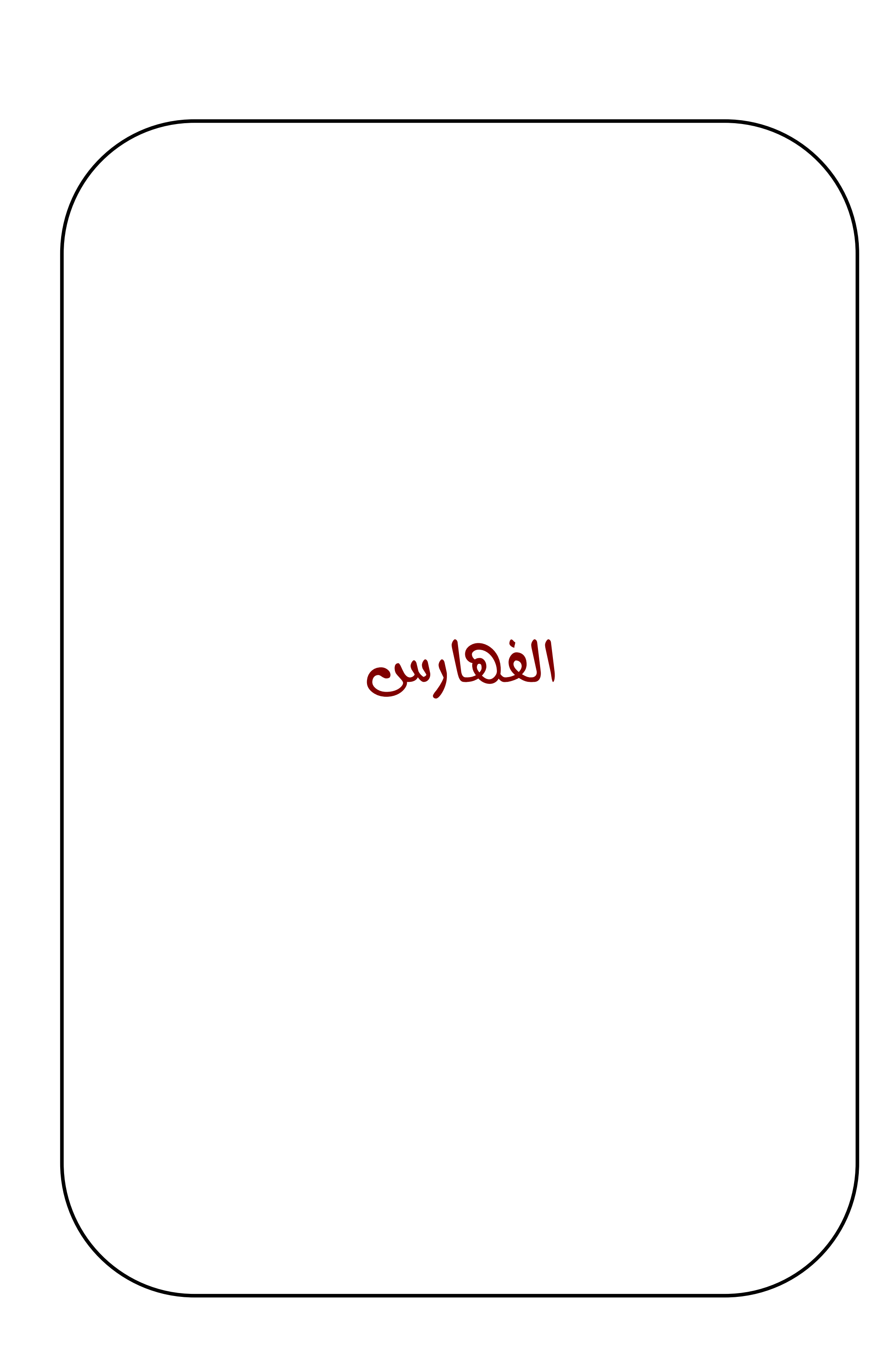
١٢٣ ـ «اللهمَّ إني أسألُكَ الثباتَ في الأمر، والعَزِيمةَ علىٰ الرُّشد، وأسألُك شُكرَ نِعمَتِك، وأسألُكَ حُسنَ عِبادَتِك، وأسألك قلبًا سليمًا، وأسألك لسانًا صادقًا، وأسألُك مِن خَيرِ ما تَعلمُ، وأعوذُ بك مِن شرِّ ما تَعلمُ، وأستغفرُك لِمَا تعلم، إنَّك أنتَ علاَّمُ الغُيوب».

١٢٤ ـ «اللهمَّ اهدِني فيمَن هَدَيت، وعافِني فيمَن عافَيت، وتولَّني فيمَن تولَّيت، وبارِكْ لي فيما أعطيت، وقِنِي شَرَّ ما قَضَيت، فإنك تَقضِي ولا يُقضَىٰ عليك، وإنه لا يَذِلُّ مَن واليت، ولا يَعِزُّ مَن عادَيت، تباركتَ ربَّنا وتعالَيت».

١٢٥ ـ «وصَلِّ اللهمَّ وبارِك علىٰ الحبيب مُحمَّدٍ، وعلىٰ آلِهِ وصَحبِه، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ، وسَلِّم تسليمًا كثيرًا»[(١)].



(١) قال أبو شعيب ـ عفا اللَّه عنه ـ: آمين آمين آمين، وأسأل اللَّه جل في عُلاه أن يتقبَّل مني هذا العمل وسائر أعمالي بقبول حسن، وأن يجعلنا من أهل التوحيد الصافي، وأن يصرف عنا الشرك وخبائثه وبلاياه، وأن يجعلنا من أوليائه حقًّا وصدقًا، وأن يتولانا في دنيانا وأُخرانا، وأن يبيِّض وجوهنا يوم تبيض وجوهٌ وتسودُّ وجوه، وأن يحشرنا في زمرة الحبيب المصطفىٰ ﷺ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء].
وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين، وصلىٰ اللَّه وسلم وبارك علىٰ إمامنا وحبيبنا محمد، وعلىٰ آله وصحابته والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.



الفهارس

[١] فهرس أطراف الأحاديث النبوية





[٢] فهرس الفوائد المنثورة







[٣] فهرس محتويات الجزء الثالث

[٣٣] قاعدة الواسطة ـ ٧

[٣٤] العبودية ـ ٣٥

[٣٥] الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ـ ١٣٥

[٣٦] الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ـ ٣١٥



[٤] فهرس المحتويات العام

محتويات الجزء الأول

محتويات الجزء الثاني

محتويات الجزء الثالث

الفهارس

